بغية الإيضاح

لتلخيص المفتاح

في علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعيدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

طبعة مشكولة مزودة بفهارس

الجزء الأول

من أول الإيضاح حتى القصر في علم المعاني

تنبيه : قد وضعنا الإيضاح بأعلى الصفحة، ووضعنا شرحه «بغية الإيضاح» بأسفلها

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

ت : ٣٩٠٠٨٦٨ - ٣٩١٩٣٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم للشارح :

أردت قبل الشروع فى كتاب « الإيضاح لتلخيص المفتاح » لأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزوينى ، بكتابى « بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح » ، أن أضع هـذا التقديم ، لأبيّن فيه منزلة كتاب الإيضاح بين كتب البلاغة ، ولماذا آثرته من بينها بشرحى له ؟

والكلام فى هذا يرجع بى إلى المدرسة التى ينتمى إليها كتاب الإيضاح من بين مدارس علوم البلاغة ، وهى مدرسة الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجانى الذى ذهب بالشهرة فى هذه العلوم ، حتى عدّوه بحق شيخ البلاغة ، لأنه هو الذى وضع أساسها الصحيح بكتابيه — دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة — وكان يسمّى مسائل البلاغة علم البيان ، وقد ذكر أن هذا العلم لقى من الضيم ما لقى ، ودخل على الناس من الغلط فى معناه ما دخل ، فأراد أن يوفّيه حقه ويقرّر قواعده تقريراً يليق به ، فوضع فيه هذين الكتابين .

وهو يسميه علم البيان بالمعنى الذى يشمل علوم البلاغة الثلاثة الآتية :

المعانى ، والبيان ، والبديع — لأن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير ، والعلوم الثلاثة لها تعلق بالكلام الفصيح تصحيحاً وتحسيناً ، على ما سيأتى من الفرق بينهما فى ذلك ، وإذا كان عبد القاهر لم يفصح عن هذا الفرق بين مباحثها ، فقد أشار إليه بتخصيص كتابه — دلائل الإعجاز — لمباحث نظم الكلام من ذكر وحذف وتقديم وتأخير ونحوها ، فإنه لا يتعرض لغيرها فيه إلا نادراً ، وهذه المباحث هى : مباحث علم المعانى ، وبتخصيص كتابه « أسرار البلاغة » لمباحث الدلالة من الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة ونحوها ، وهذه المباحث

هي مباحث علم البيان بمعناه الذي صار إليه أخيراً ، ثم ذكر المحسنات التي اختص بها أخيراً علم البديع وأشار إلى منزلتها من البلاغة من رجوعها إلى التحسين لا غير ، فلا تُطلب فيها على سبيل الوجوب كما يطلب ما يتعلق منها بالنظم والدلالة ، وقد ذهب إلى أن الحسن لا يمكن أن يكون للفظ في ذاته من غير نظر إلى المعنى ، حتى ما يتوهم في بدء الفكرة أن الحسن فيه لا يتعدى اللفظ والجرس كالتجنيس ، لأنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً ، ولهذا استُقبِح قول أبي تمام :

ذهبتْ بمذهبه السماحةُ فالتوتْ   فيه الظنونُ أمَذْهَبٌ أم مُذْهَبُ

لأنه لم يزد على أن أسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة .

وكان أسلوب عبد القاهر في كتابيه أسلوبا بليغا ممتازاً ، يساعد على تربية ملكة البلاغة ولا يفسدها ، ولا عيب فيه إلا أن يسرف في العبارات المترادفة حتى أطغى على تقرير القواعد وعلى ما عُني به من استخلاص أسرارها من الشواهد النثرية والشعرية ، وهو فيما عُني به من الأمرين الناقد الأديب ، والبليغ الممتاز . وقد طفر بهذا في علم البلاغة طفرة لم يُسبَق إليها . ولم يأت بعده من سار على هديها حتى لا تقف عند هـــذا الحد ؛ لأن شمس العلم في عصره كانت آخذة في الأفول ، كما يقول في ذلك :

كبّرْ على العــــلم يا خليلي   ومِلْ إلى الجهل مَيْلَ هائمْ
وعِشْ حمـــاراً تعش سعيداً   فالسعد في طالع البهائمْ

وإذا كان هذا حال عصره فإن حال ما بعده من العصور كان أسوأ ، فتقهقر علم البلاغة بعده ولم يتقدم .

ثم جاء أبو يعقوب السكاكي بعد عبد القاهر ، فلمح ما أشار إليه فيما سبق من الفروق الثلاثة بين مباحث علم البلاغة . فميّز بعضها عن بعض تمييزاً تاما ، وجعل لكل مبحث منها علما خاصا ، فكان من هذه علوم البلاغة الثلاثة السابقة

ثم جاراه في تقرير قواعدها ، وزاد عليه زيادات كثيرة في تقريرها ، وهذا في قسم البيان من كتابه « مفتاح العلوم » وقد جرى على ترتيبه لهذه المباحث من أتى بعده من المتأخرين ، فكان عمدتهم في هذا الترتيب ، ولم يستفيدوا إلا قليلا من كتب قبله أو بعده في علم البلاغة ، ممن لم يجر فيها على منواله ، ولم ينح فيها نحوه .

ولا شك أن السكاكي بهذا يعد إلى حد ما من تلاميذ مدرسة عبد القاهر ، ولكنه كان ناقداً ولم يكن أديباً ، لأن أسلوبه في كتابه لم يكن أسلوب البليغ الممتاز مثل عبد القاهر ، لأن العجمة كانت غالبة على أسلوبه ، وكان الأسلوب التقريري الذي لا يعتني إلا بتقرير القواعد غالباً عليه ، فكان في أسلوبه كثير من الغموض والتعقيد وضعف التأليف ، ومثل هذا قد يفيد الناظر فيه علما ، ولا يفيده أسلوبا بليغاً ، بل يفسد فيه ملكة البلاغة ، وبهذا يكون ضرره أكبر من نفعه .

وقد جاء بعد السكاكي عالمان كبيران أرادا أن يهذبا في علم البلاغة حذوه ؛ أولهما: بدر الدين ابن مالك ابن النحوي المشهور ، في كتابه « المصباح لتلخيص المفتاح » وثانيهما الخطيب القزويني في كتابيه « تلخيص المفتاح ، والإيضاح لتلخيص المفتاح » وثانيهما كالشرح للأول ، فأما مصباح ابن الناظم فإنه لم يهذب كثيراً من مفتاح السكاكي في علم البلاغة ، لأن ملكة النحو كانت غالبة عليه ، وكان هذا سبباً في إعراض المتأخرين عن كتابه . وأما تلخيص الخطيب القزويني فإنه هذّب كثيراً من مفتاح السكاكي ، فقدم في مباحثه وأخّر ، وزاد عليه ما تجب زيادته من كتب البلاغة . وكان أسلوبه فيه أوضح من أسلوب السكاكي . ولكنه جعله أسلوباً تقريرياً لا يعتني إلا بجمع القواعد في أوجز لفظ ، حتى أسرف في الإيجاز إسراف عبد القاهر في الإطناب ، وجعل من تلخيصه متناً يحتاج إلى شروح وحواش وتقارير ، ولكن عيبه هذا كان موضع تقدير المتأخرين وإعجابهم .

فلما فرغ من تلخيصه شعر هو أيضا بحاجته إلى شرح ، فوضع كتابه الإيضاح كشرح له ، يجرى على ترتيبه فى إطناب يختصره أحيانا من كتابى عبد القاهر ، وأحيانا من كتاب السكاكى مع شىء من التهذيب فيه ، ومع كثير من النقد الذى يفصّله أحيانا ، ويرمز إليه أحيانا بقوله : وفيه نظر . وبهذا جاء الإيضاح وسطا بين إيجاز التلخيص وإسهاب عبد القاهر . وكان بهذا هو الكتاب الممتاز على غيره من كتب البلاغة القديمة .

ولكنه على هذا لم يرزق من الحظوة عند المتأخرين ما رزق التلخيص ؛ لأنهم شُغِفوا بالمتون حفظا وشرحا . وقد نظروا إلى التلخيص على أنه متن من المتون ، فشغفوا بحفظه وشرحه . وكان من السابقين إلى شرحه سعد الدين التفتازانى . من علماء العجم . فوضع له شرحا مطولا سماه « المطول » ، وشرحا مختصراً سماه « المختصر » . وكان سعد الدين من علماء العجم الذين تأثروا بالسكاكى فى طريقته التقريرية ، وفى ضعف أسلوبه لضعف سليقته العربية . بل كان هو وأمثاله ممن أتى بعد السكاكى من علماء العجم أضعف منه ذوقا أدبيًّا ، وسليقة عربية . فمضوا فى الطريقة التقريرية إلى أن وصلوا إلى نهايتها فى البعد عن الذّوق الأدبى ، ثم أخذوا ينشرونها هنا وهناك إلى أن غزت علماء العرب . وغزت جميع العلوم من عربية ، إلى دينية . إلى غيرها من العلوم . وصارت عنايتها بتقرير عبارات المتون أكثر من عنايتها بتقرير مسائل العلوم .

ثم تهافت المتأخرون من علماء البلاغة على شرحَىْ سعد الدين على التلخيص ، يضعون عليها الحاشية بعد الحاشية ، ويضعون على الحاشية التقرير بعد التقرير ، وشغف المدرسون بتلك الكتب فى الجامع الأزهر وغيره من الجامعات الإسلامية فى الأقطار المختلفة . يتعمّقون فى درسها إلى أقصى حدود التعمُّق ، وينتقلون فى درسها من المتن إلى الحاشية إلى التقرير ، فى استقصاء غريب ، وتفنن فى الفهم والبحث . ولو أن كل هذا فى صميم مسائل البلاغة لهان الخطب ، ولكن أكثره فى بحوث خارجة عن هذه المسائل ، وفى أسلوب ركيك يفسد ملكة البلاغة ؛

فإذا كانت فيه فائدة قليلة ، فإنها تضيع فى هذا الخضم الذى لا فائدة فيه .

وقد تأبى كتاب الإيضاح وطريقته السابقة على المتأخرين من علماء البلاغة فلم يضعوا عليه من الشروح والحواشى والتقارير مثل ما وضعوا على كتاب التلخيص اللهم إلا شرحا ضعيفا للأقسرائى لا يزال مخطوطا بدار الكتب المصرية ، ومن الخير أن يبقى مخطوطا فيها ؛ لأنه يذهب مذهب غيره فى الطريقة التقريرية . وينأى عن طريقة كتاب الإيضاح السابقة ، فيكون ضرره فيها أكثر من نفعه .

ولما كان «التلخيص» كالأصل لكتاب «الإيضاح» . كان هذا مما يدعو قارئه إلى أن يرجع فى كثير من مسائله إلى ما وضع على كتاب التلخيص من شروح وحواش وتقارير . فإذا رجع إليها غرق فى ذلك الخضم من البحوث التى لا طائل تحتها . وضاع به ما يكتسبه من كتاب الإيضاح من ذوق أدبى . لأن تلك الشروح والحواشى والتقارير تغطى عليه .

فرأيت أن أنأى بقارىء كتاب الإيضاح عن تلك الشروح والحواشى والتقارير بوضع تعليقات عليه تشتمل على ما يأتى :

١ — اختيار ما تلزم إضافته إليه . مما هو من صميم مسائل البلاغة من تلك الشروح والحواشى والتقارير . واختيار هذا من ذلك الخضم من المماحكات اللفظية ليس بالأمر السهل ؛ لأنه يحتاج إلى فهم صحيح لها ، وإلى ذوق أدبى يميز الصالح للاختيار من غيره .

٢ — شرح الشواهد النظمية شرحا موجزاً ينسبها إلى قائليها ، ويفسر غريبها ويبين ما فيها من فوائد بلاغيّة . وموضع الشاهد فيها . ويعلم الله كم تعبت فى ذلك كله ، ولا سيّما فى نسبتها إلى قائليها .

٣ — وضع عناوين كل باب من أبوابه لموضوعاته المختلفة ؛ ليسهل الرجوع إليها . ووضع تمرينات آخر كل موضوع منها للاختبار فيها . ولفت طالب علوم البلاغة إلى أهم ناحية فيها .

٤ — نقد ما يجب نقده من مسائله . ولا سيّما المسائل التى ينقلها عن السكاكى . وفيها من التكلّفات والتعقيدات ما ينأى عن ذوق الأدب والبلاغة .

٥ — صياغة التعليقات فى أسلوب لا يكون فيه تعقيد ولا تطويل مُمِلّ . ولا إيجاز مُخِلّ . حتى تكون ملائمة لذوق موضوعها من علوم البلاغة وقد سمّيْت ما وضعته من هذه التعليقات : « بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح » .

والله أسأل النفع بها . وأن تكون خطوة فى هذه العلوم لما بعدها ؟

عبد المتعال الصعيدى

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الإيضاح :

قال الشيخ الإمام العالم العلامة خطيب الخطباء مفتي المسلمين جلال الدين أبو عبد الله محمد ، ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن ، ابن إمام الدين أبي حفص عمر القزويني الشافعي ، متع الله المسلمين بحياه . وأحسن عقباه :

الحمد لله رب العالمين . وصلاته على محمد وعلى آل محمد أجمعين .

أما بعد . . فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها . ترجمته « بالإيضاح » وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته « تلخيص المفتاح » وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له . فأوضحت مواضعه المشكلة ، وفصلت معانيه المجملة وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه « مفتاح العلوم » وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابيه « دلائل الإعجاز » ، وأسرار البلاغة — وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما . فاستخرجت زبدة ذلك كله . وهذبتها ورتبتها حتى استقر كل شيء منها في محله . وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري ، ولم أجده لغيري . فجاء بحمد الله جامعا لأشتات هذا العلم ، وإليه أرغب أن يجعله نافعا لمن نظر فيه من أولي الفهم . وهو حسبي ونعم الوكيل ؟

مقدّمة

في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في علم المعاني والبيان (١)

الخلاف في تفسير الفصاحة والبلاغة :

للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة (٢) لم أجد فيما بلغني منها ما يصلح

---

(١) إنما حصر علم البلاغة في علم المعاني والبيان لأن علم البديع يبحث في المحسنات التي تكون بعد رعاية وجوه البلاغة والفصاحة في الكلام. وقدّم الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة على بيان انحصار علم البلاغة في هذه العلوم ؛ لأن معرفة انحصاره فيها تتوقف على الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة ، وبهذا كان صنيعه أحسن من السكاكي ؛ لأنه ذكر الكلام على الفصاحة والبلاغة في آخر علم البيان .

(٢) منها قول أكثم بن صيفيّ : «البلاغة الإيجاز» . وقول أرسطو : «البلاغة حسن الاستعارة» . وقول ابن المقفّع : «البلاغة قلة الحصر . والجراءة على البشر» . وقول بعضهم : «البلاغة تصوير الحق في صورة الباطل . وتصوير الباطل في صورة الحق» . والأول كقول محمد بن عبد الملك الزيات : «الرحمة خَرَق الطبيعة ، وضعف في المُنّة» ، والثاني كقول الحارث بن حلزة :

عيشي بجدّ لا يضرّ ... ك النوكُ ما لاقيت جدّا

والعيش خير في ظلا ... ل النوك ممن عاش كدّا

وأقوال المتقدمين كثيرة في البلاغة ، والظاهر أن جمهورهم لم يكن يفرق بينها وبين الفصاحة . وقد نقل عن أفلاطون أن «الفصاحة لا تكون إلا لموجود . والبلاغة تكون لموجود ومفروض» . ولعله يعني بالموجود اللفظ ، وبالمفروض المعنى . وقال العاص بن عدي : «الشجاعة قلب ركين ، والفصاحة لسان رزين» .

أن يعرفهما به(١) ولا يشير إلى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بهما المتكلم، فالأولى أن نقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين، فنقول :

كل واحدة منهما تقع صفة لمعنيين : أحدهما الكلام ، كما فى قولك « قصيدة فصيحة أو بليغة ، ورسالة فصيحة أو بليغة » والثانى المتكلم(٢) كما فى قولك

وهو يعنى باللسان اللفظ ، وبالرزين ما فيه فخامة وجزالة ، وقال بعضهم : الفصاحة تمام آلة البيان . وهى عنده مقصورة على اللفظ أيضاً ، لأن الآلة ـ وهى اللسان ـ تتعلق باللفظ دون المعنى .

(١) لأن هذه الأقوال يقصد منها ذكر أوصاف البلاغة والفصاحة ، ولا يقصد منها حقيقة الحد والرسم ، وقد قصد بعض العلماء بعد هذه الأقوال إلى حقيقة الحد والرسم ، فقاربوا ولم يصلوا إليهما ، ومنهم أبو هلال العسكرى فى ـ الصناعتين ـ فعرّف البلاغة بأنها كل ما تُبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه فى نفسه كتمكنه فى نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن . وذكر أنه اختلف فى الفصاحة ، فقيل : إنها مأخوذة من قولهم : أفصح عما فى لسانه إذا أظهره ، وعلى هذا ترادف البلاغة . وقيل : إنها تمام آلة البيان ، فلا يكونان مترادفين ، لأن الفصاحة تكون حينئذ مقصورة على اللفظ ، وكذلك كان السكاكى فى « المفتاح » كما سيأتى فى كلامه عليهما .

(٢) يرى أبو هلال العسكرى أن البلاغة من صفة الكلام لا المتكلم ، ولهذا لا يجوز أن يسمّى الله تعالى بليغا ، إذ لا يجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام ، وأما تسمية المتكلم بليغاً فتوسع ، وحقيقته أن كلامه بليغ ، ثم كثر استعمال ذلك حتى صار كالحقيقة ، ويرى أيضاً أنه لا يجوز أن يسمى فصيحا ، لأن الفصاحة تتضمن معنى الآلة وهى اللسان ، هذا ، وقد اعتمد الخطيب فى ذلك التقسيم على ما جاء فى ـ حسن التوسل ـ لابن الثناء الحلبى ، وكذلك اعتمد عليه فى كثير من الموضوعات الآتية فى العلوم الثلاثة .

« شاعر بليغ أو فصيح ، وكاتب فصيح أو بليغ » والفصاحة خاصّة تقع صفة للمفرد فيقال « كلمة فصيحة » ولا يقال — كلمة بليغة .

﴿ فصاحة المفرد ﴾

أما فصاحة المفرد فهى خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوى .

فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية فى الثقل على اللسان وعسر النطق بها[1] كما رُوىَ أن أعرابيا سئل عن ناقته فقال « تركتها ترعى الهُعْخُع »[2] ومنه ما هو دون ذلك ، كلفظ « مستشزر » فى قول امرىء القيس :

---

(1) ذكر ابن الأثير أن المعول فى ذلك على الذوق الصحيح ، فما يعده ثقيلا عسر النطق فهو متنافر ، سواء أكان ذلك من قرب مخارج الحروف أم من بعدها أم من غيرهما ، وذكر ابن سنان الخفاجى أن قرب المخارج يكون سببا فى قبح اللفظ وبعدها يكون سببا فى حسنه ، وذلك غير صحيح ، لأن الكلمتين قد تتركبان من حروف واحدة وتكون إحداهما ثقيلة دون الأخرى ، وذلك مثل (عَلِم و مَلِع) فالأولى خفيفة على اللسان ولا ينبو عنها الذوق بخلاف الثانية مع اتحاد حروفهما ، وقد تتألف الكلمة من حروف متقاربة ولا ثقل فيها مثل (ذقته بفمى) فالباء والفاء والميم أحرف شفوية متقاربة ولا ثقل فيها ، ولكنه مع هذا لا يمكن إنكار ما لمخارج الحروف وصفاتها وهيئة تأليفها من الأثر فى خفة الكلمة وثقلها ، وإنما عول على الذوق دونه لأنه لا يجرى على قاعدة معروفة ، وقد زعم الزَّوْزَنى أن فى قوله تعالى – آية ٦٠ سورة يس ﴿ ألَمْ أعْهدْ إليكم يا بنى آدم ﴾ ثقلا قريبا من التناهى لقرب مخرج الهمزة والعين والهاء ، مع أن الكلمة خفيفة فى الذوق ، وهى سقطة من الزوزنى .

(2) قيل إنه اسم شجر ، وقيل : إنه معاياة لا أصل لها . ومثله كل كلمة يجمع فيها بين العين والهاء أو بين العين والخاء أو بين الجيم والصاد أو بين الجيم والقاف أو بين الدال والزاى ونحو ذلك ، مثل عقجنق والطشش والشصاصاء ونحوها .

* غدائره مستشزرات إلى العلا * (١)

والغرابة أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها (٢) فيحتاج في معرفته

---

(١) هو من قول حندج بن حجر الكندي المعروف بامرىء القيس في معلقته :

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات إلى العلا تضل المدارى في مثنى ومرسل

وفرع المرأة شعرها، والمتن الظهر، والأثيث الكثير الشعر، والقنو العنقود، والمتعثكل المتراكم ، والغدائر الذوائب ، والمستشزرات المرتفعات ، والمدارى الأمشاط جمع مدرى ، والمثنى المفتول ، والمرسل غير المفتول ، وسبب ثقل « مستشزر » توسط الشين المهموسة الرخوة بين التاء المهموسة الشديدة والزاى المجهورة . ومثل مستشزرات « اطلخم » في قول أبي تمام :

قد قلت لما اطلخم الأمر وانبعثت عشواء تالية غبساً دهاريسا

وكذلك « سويداواتها » في قول المتنبي :

إن الكريم بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها

وقد نشأ ثقلها من طولها ، وهي مفردة أيضاً لأنها مركب إضافي .

(٢) عدم ظهور المعنى ينشأ عن وحشية الكلمة . ومعنى وحشيتها كونها غير مأنوسة الاستعمال عند العرب الخلص ، فلا يعول في ذلك على غيرهم من المحدثين الذين ظهروا بعد فساد اللغة ، ولا يرد على هذا متشابه القرآن ومجمله ، لأن المراد عدم ظهور المعنى الموضوع له ، والمعنى الوضعي في المتشابه والمجمل ظاهر لا خفاء فيه ، وإنما الخفاء في مراد الله تعالى منهما ، ومن المتشابه في القرآن قوله تعالى آية ١٠ س محمد ﴿ يَدُ اللهِ فوقَ أيديهِمْ ﴾ ، ومنه في الحديث قوله ﷺ : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا » . ومنه في الشعر قول أبي تمام :

وَلَهَتْ فأظلمَ كلُّ شيء دونها وأضاء منها كلُّ شيء مظلمِ

فالوله والظلمة والإضاءة ألفاظ ظاهرة المعنى ، ولكن البيت بجملته يحتاج =

إلى أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة ، كما رُوِيَ عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس ، فقال : « ما لكم تكأكأتم عليّ تكأكؤكم على ذي جِنّة ؟! افرنقعوا عني » أي اجتمعتم ، تفسحوا . أو يخرج لها وجه بعيد(١) كما في قول العجاج :

* وفاحما ومَرْسِنا مسرَّجا (٢) *

فإنه لم يُعْرَف ما أراد بقوله « مسرجا » حتى اختلف في تخريجه (٣) :

= فهمه إلى استنباط ، ومراده أنها ولهت فأظلم ما بينه وبينها من جزعه لولهها ، وظهر له ما خفي عنه من حبها له .

وإني أرى أن الغرابة وحدها لا تخل بفصاحة الكلمة ، وقد بينت هذا في كتابي « البلاغة العالية » وكذلك أرى أن ابتذالها لا يعيبها مادامت معاني الكلام جيدة ، وهو ما اختاره ابن شرف القيرواني ، وعليه بعض نقاد الإنجليز الذين يرون أن الابتذال يكون في الفكرة لا في الكلمة .

(١) إنما يلجأ عندهم على تخريجها على وجه بعيد إذا وقعت من عربي عارف باللغة ، لأنه لا يصح حمل كلامه على الخطأ ، والحق أن العربي قد يخطىء في لغته ، وأن الحمل على الخطأ خير من تكلف ذلك التخريج البعيد .

(٢) هو لعبد الله بن رؤبة التميمي السعدي المعروف بالعجاج من قوله :

أزمان أبدت واضحا مفلَّجا ... أغَرَّ برَّاقا وطرفا أبرجا

ومُقلة وحاجبا مزجَّجا ... وفاحما ومَرْسِنا مُسرجا

والفاحمُ الشعرُ الشديد السواد ، والمرسن اسم لمحل الرَّسن وهو أنف البعير ثم أطلق، وأريد به الأنف مطلقا على سبيل المجاز المرسل .

وقيل : إن الشاهد لرؤبة بن العجاج .

(٣) سبب اختلافهم أن مسرجا اسم مفعول من — سرَّج — وصيغة فعَّل تأتي للنسبة إلى مصدرها ، كما تقول « كرَّمته » بمعنى نسبته إلى الكرم ، ولما =

فقيل : هو من قولهم للسيوف « سُرَيْجِيَّة » منسوبة إلى قين يقال له « سُرَيْج » ، يريد أنه فى الاستواء والدقة كالسيف السريجى . وقيل من السراج ، يريد أنه فى البريق كالسراج . وهذا يقرب (١) من قولهم « سَرِجَ وجهه » بكسر الراء : أى حَسُنَ . وسَرَّج الله وجهه : أى بهَّجَه وحسنه .

ومخالفة القياس (٢) كما فى قول الشاعر :

= كان هذا غير ممكن فى « سَرَّج » تكلفوا له أصلا ينسب إليه ، وهو السيوف السُّرَيْجِيَّة أو السراج . وهذا إلى أن « مسرجا » فى قول العجاج بمعنى شبيه بالسراج أو السيوف السريجية ، وهو فى أصل وضعه يدل على النسبة إلى أصله ، ولا يستفاد منه التشبيه إلا بتكلف . والحق أن أخذه من السراج لا غرابة فيه من جهة الاشتقاق والتشبيه : لأن الاشتقاق من الاسم الجامد قد جاء فى كلام العرب . كما فى قول ابن المُفَرِّغ :

وبُرُود مُدَثَّرات وقَزّ ومُلاءٍ من أعْتَق الكتان

فالمعنى فى ذلك التشبيه ، أى : برود وَشْيُها .

(١) إنما كان قول العجاج قريباً من هذا الاستعمال ولم يكن منه . لأنه كما جاء فى « التاج » استعمال غريب أو مُوَلَّد ، والعجاج شاعر إسلامى ، فلا يقال فى كلمته إنها مولدة . والحق أن هذا الاستعمال من الغريب لا المولد ، لأن العجاج شاعر إسلامى ، ولكن غرابته لا تكون من غرابة التخريج على وجه بعيد ، وإنما هى من القسم الأول .

ومن الكلمات الغريبة « الحِلِقَّة » بمعنى السوء الخُلُق . و « الابتشاك » بمعنى الكذب كما فى قول الشاعر :

وما أرضى لمُقْلته بحُلْم إذا انتبهت تَوَهَّمه ابتشاكا

(٢) المراد به القياس اللغوى كما سبق ، ومخالفته بأن تكون الكلمة على خلاف ما ثبت عن الواضع ، وقد حمله بعضهم على القياس الصَّرْفى ، وهو خطأ . =

« الحمدُ للهِ العَلِيِّ الأجْلَلِ » (١)

فإن القياس : « الأجلّ » بالإدغام .

وقيل : هي خلوصه مما يُذكِر ومن الكراهة في السمع : بأن تمجّ الكلمة ويتبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة . فإن اللفظ من قبيل الأصوات ، والأصواتُ منها ما تستلذ سماعه ، ومنها ما تكره سماعه .

= لأن مخالفة القياس الصرفي لا تخل دائماً بالفصاحة . إذ توجد كلمات كثيرة فصيحة على خلافه . وذلك مثل آل وماء ويأبى وعَوِرَ يعْوَرُ . ويدخل في مخالفة القياس اللغوى كل ما تنكره اللغة لمأخذ لغوى أو صرفي أو غيرهما . وذلك كالمقراض في قول أبي الشيص :

وجناحٍ مقصوص تحيَّفَ ريشَه ... رَيْبُ الزمان تحيُّفَ المقراضِ

لأنه لم يُسمع في كلامهم إلا مثنى خلافاً لسيبويه . وكالأيم في قول أبي عبادة :

يشُقُّ عليه الريحُ كلَّ عشيَّةٍ ... جيوبَ الغمام بين بكرٍ وأيِّمِ

لأنه وضعها مكان الثيب مع أن الأيم هي التي لا زوج لها ولو كانت بكراً .

وكحذف النون من « لكنْ » في قول النجاشي :

فلستُ بآتيه ولا أستطيعُه ... ولاكِ اسقِني إن كان ماؤك ذا فضلِ

أراد « ولكن اسقني » .

(١) هو لأبي النجم الفضل بن قدامة العجلي من قوله في مطلع أرجوزته :

الحمدُ للهِ العَلِيّ الأجلل ... الواهبِ الفضلِ الكريمِ المجزلِ

والذى ألجأه إلى فك الإدغام ضرورة الشعر ، ولكن ذلك لا يمنع الإخلال بالفصاحة ، لأن من الضرورات الشعرية ما هو مستقبح ، وقد روى مطلعها :

الحمدُ للهِ الوهّاب المجزلِ ... أعطى فلم يبخلْ ولم يبخّلِ

فلا يكون فيه شاهد لمخالفة القياس ، ومنه قول الشاعر :

مهلاً أعاذلُ قد جرّبتِ من خُلُقي ... أني أجودُ لأقوامٍ وإن ضَنِنوا

كلفظ « الجرشى » فى قول أبى الطيب:

* كريم الجرشى شريف النسب[1] *

أى كريم النفس، وفيه نظر[2] .

ثم علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيراً[3]، أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها[4] .

فصاحة الكلام

وأما فصاحة الكلام فهى خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد، مع فصاحتها[5] .

---

(١) هو لأحمد بن الحسين الجعفى الكندى المعروف بأبى الطيب المتنبى ، من قوله فى مدح سيف الدولة :

مُبَارَكُ الاسمِ أغَرُّ اللَّقَبْ كريم الجِرِشَّى شريف النَّسَبْ

وقد أخذ الدسوقى فى « حاشيته على المختصر » من قوله « شريف » أن سيف الدولة من بنى العباس ، وهو خطأ ظاهر ، لأن سيف الدولة من تغلب .

(٢) وجه النظر أن الكراهة فى السمع لا تكون إلا من تنافر حروف الكلمة أو بغرابتها ، فليست شيئاً آخر غيرهما ، والجرشى فى بيت المتنبى تدخل فى الغرابة .

(٣) هذا إذا لم يكن لها مرادف .

(٤) هذا إذا كان لها مرادف ، ولكن هذا يقتضى نفى الفصاحة عن مرادفها . مع أن مراتب الفصاحة متفاوتة ، فلا مانع من أن يكون كل منهما فصيحا ولو كان أحدهما أكثر استعمالا ، فالأولى الاقتصار على الشق الأول من هذه العلامة .

(٥) أى مع فصاحة الكلمات لأن فصاحة الكلمة شرط من فصاحة الكلام، فلو خلا من الثلاثة واشتمل على كلمة غير فصيحة لم يكن فصيحا ، وذلك كقول أبى الطيب :

مُبَارَكُ الاسمِ أغَرُّ اللَّقَبْ كريم الجِرِشَّى شريف النَّسَبْ

. كما فى قولنا « ضرب غلامُهُ زيداً » فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظاً ممتنع عند الجمهور ؛ لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر لفظاً ورتبةً ، وقيل : يجوز(٢) كقول الشاعر :

جزى ربُّه عنى عَدِىَّ بن حاتم

جزاءَ الكلاب العاويات ، وقد فَعَلْ(٣)

وأجيب عنه بأن الضمير لمصدر « جزى » أى رب الجزاء ؛ كما فى قوله(٤) تعالى ﴿ اعْدِلوا هو أقْرب للتقوى ﴾ أى العدل .

والتنافر : منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية فى الثقل على اللسان ، وعسر النطق بها متتابعةً ، كما فى البيت الذى أنشده الجاحظ :

---

(١) ضعف التأليف هو أن يكون تأليف الكلام على خلاف المشهور من قواعد النحو ، وإنما قيد الخلافَ بالمشهور من القواعد لأن خلاف المجمع عليها خطأ لا ضعف تأليف .

(٢) هذا مقابل قوله « ممتنع عند الجمهور » فهو قول بعض النحاة أيضا ، وليس قولا لبعض علماء البلاغة ، لأنهم متفقون على أن ذلك ضعف تأليف .

(٣) هو لزياد بن معاوية «المعروف بالنابغة الذبيانى» وقيل : إنه لأبى الأسود الدؤلى . وقيل : إنه مولد مصنوع ، وجزاء الكلاب : الضربُ بالحجارة ، وجملة « جزى ربه » دعائية ، يعنى أنه يدعو عليه بذلك وقد حقق الله دعاءه ، ولا يخفى ما فى هذا من عدم التلاؤم ، والأولى أن يعود ضمير « فعل » إلى عدى ، والمراد ما فعله معه من الإساءه إليــه ، والحق أن هذا البيت ليس للنابغة ، وإنما هو اشتباه بقوله :

جزى الله عبســا عبسَ آل بغيض

جزاءَ الكلابِ العاوياتِ وقــد فعل

(٤) آية ٨ سورة المائدة ــ وهذا قياس مع الفارق، لأن الضمير فى الآية ظاهر العود إلى العدل، أما البيت فضميره ظاهر العود إلى عدى، ولا داعى إلى تكلف عوده إلى الجزاء

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرٌ ... وليس قُرْبَ قبرِ حربٍ قبرُ(١)

ومنه ما دون ذلك ، كما فى قول أبى تمام :

كريمٌ متى أمدحه أمدحه والورى ... معى وإذا ما لُمتُهُ لمتهُ وحدى(٢)

فإن فى قوله « أمدحه » ثقلاً مَا ، لما بين الحاء والهاء من التنافر(٣).

والتعقيد : ألاّ يكونَ الكلام ظاهر الدلالة على المراد به(٤). وله سببان :

= ومن ضعف التأليف وقوع ضمير الوصل بعد « إلا » فى قول الشاعر :

وما علينا إذا ما كنتِ جارتنا ... ألا يجـاورنا إلاكِ ديّارَ

ومنه حذف « أن » مع بقاء عملها ، كقول طرفة :

ألا أيهـذا الزاجرى أحضرَ الوغَى ... وأنْ أشهدَ اللذاتِ هل أنت مُخلدِى

(١) هو فيما زعموا لبعض الجن ، وكان قد صاح على حرب بن أمية فى فلاة فمات بها ، والقفر : الخالى ، وهو مرفوع صفة لمكان على القطع ، أو خبر المبتدأ وهو قبر ، والمعنى أنه مع مكانه قفر ، وفى هذا الوجه تكلف .

(٢) هو لحبيب بن أوس الطائى المعروف بـ « أبى تمام » يمدح به موسى بن إبراهيم الرافقى ، والورى : الخلق ، ولا يخفى نبوّ الشطر الثانى عن المدح ولا سيما مع « إذا » المفيدة للتحقق ، وأخذ عليه أيضاً مقابلة المدح باللوم لا الهجاء ، ولعله أراد أن ينزهه عنه .

(٣) الحق أنه لا تنافر فى ذلك لأنه ثقل محتمل ، وقد جاء فى قوله تعالى ﴿فسبحه﴾ . وقيل إن الذى أوجب التنافر فى البيت هو التكرير فى قوله « أمدحه » مع الجمع بين الحاء والهاء ، ومع هذا لا يقال إن هذا التعليل يُقبل لو كان يتحدث عن تنافر الحروف ، ولكنه بصدد الحديث عن تنافر الكلمات .

ومن تنافر الكلمات قول الشاعر :

وازورَّ مَن كان له زائراً ... وعافَ عافى العرف عرفانه

(٤) أى لا الموضوع له كما فى الغرابة ، ولا يدخل فى التعقيد المتشابه والمجمل ؛ لأن =

أحدهما ما يرجع إلى اللفظ . وهو أن يختل نظم الكلام(١) ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ، كقول الفَرَزْدَق(٢) :

وما مِثْلُهُ في الناس إلا مُمَلَّكا أبو أمّه حيٌّ أبوهُ يُقاربُهْ

كان حقه أن يقول : وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه ، فإنه مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان فقال : « وما مثله » يعني إبراهيم الممدوح « في الناس حي يقاربه » أي أحد يشبهه في الفضائل(٣) . إلا « مملكا » يعني هشاماً « أبو أمه » أي أبو أم هشام ، « أبوه » أي أبو الممدوح ، فالضمير في « أمه » للملك ، وفي « أبوه » للممدوح ، ففصل بين « أبو أمه » وهو مبتدأ و « أبوه » وهو خبره بـ « حي » ، وهو أجنبي ، وكذا فصل بين « حي » ويقاربه ، وهو نعت « حي » ،

= عدم ظهور المراد فيهما ليس لاختلال النظم أو نحوه مما يأتي ، وقد اختلف في دخول اللغز والمعمى في التعقيد ، فقيل: إنهما منه ، وقيل إنهما من المحسنات البديعية إن كانت الدلالة فيهما ظاهرة للفطن ، وكل منهما قول يدل ظاهره على خلاف المراد ، ولكن اللغز يكون على طريق السؤال ، كقول الحريري في الميل :

وما ناكح أختين سراً وجهرةً وليس عليه في النكاح سبيل

(١) قد يكون اختلاله باجتماع أمور فيه توجب صعوبة الوصول إلى معناه ، وإن كانت جائزة في النحو ، وهذه الأمور كالتقديم والتأخير والحذف والإضمار ونحو ذلك ، وبهذا يكون التعقيد اللفظي غير ضعف التأليف ، ولكنهما قد يجتمعان في مثال واحد ، كما في بيت الفرزدق ، وينفرد ضعف التأليف في مثل « ضرب غلامه زيداً » وينفرد التعقيد في مثل « إلا عمراً الناس ضارب زيد » بتقديم المفعول والمستثنى وتأخير المبتدأ ، وهذا جائز في النحو ، والأصل « زيد ضارب الناس إلا عمراً » .

(٢) هو همام بن غالب التميمي المعروف بالفرزدق ، وقيل إن البيت ليس له .

(٣) فيقاربه في البيت بمعنى يضاهيه ويشبهه ، ويجوز أن يكون من قرب النسب .

وقدّم المستثنى على المستثنى منه ، فهو كما نراه فى غاية التعقيد(١) .

فالكلام الخالى من التعقيد اللفظى ما سلم نظمه من الخلل ، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك إلاّ وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية ، كما سيأتى ذلك كله وأمثلته اللائقة به .

والثانى ما يرجع إلى المعنى ، وهو ألاّ يكونَ انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو لازمه والمراد به ظاهراً(٢) كقول العباس بن الأحنف :

سأطلبُ بُعْدَ الدار عنكم لِتَقرُبُوا ... وتَسكُبُ عيناىَ الدموعَ لِتَجْمُدا(٣)

---

(١) حمله بعضهم على وجه لا تعقيد فيه ، بجعل الاستثناء من الضمير المستتر فى متعلق الجار والمجرور قبله ، وجعل قوله « حى » خبر لقوله « أبو أمه » ، وكذلك قوله « أبوه » ، فهو خبر بعد خبر ، وجملة ذلك صفة لقوله « مملكا » وكذلك جملة « يقاربه » فهى صفة بعد صفة ، ويكون المعنى « إلا مملكا يقاربه أبو أمه حى » ، وهو أبو الممدوح ، ولا يخفى ما فى الإخبار بحى من التهافت .

ومن التعقيد اللفظى قول أبى تمام :

ولقد ثنى الأحشاءَ مِن برحائها ... أن صار بابك جار مازيّار

ثانيهِ فى كبد السماءِ ولم يكنْ ... كاثنين ثانٍ إذْ هما فى الغار

يريد أنه لم يكن كثانى اثنين ، وقيل : إن « ثانيه » خبر ثان لصار ، و « ثان » اسم « يكن » و « كاثنين » خبره ، والأولى جعل « ثانيه » خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو .

(٢) المعنى الأول : هو المعنى الأصلى ، والمعنى الذى هو لازمه هو المعنى المجازى أو الكنائى .

(٣) قوله « وتسكب » بالرفع ، ونصبه بالعطف على « بعد » أو على « تقربوا » وهم ، والحق أنه لا شىء فى عطفه على « تقربوا » ، والسين فى قوله « سأطلب » لمجرد التأكيد ، ومعنى الشطر الأول أنه يفارقه رجاء أن يغنم فى سفره فيعود إليه فيطول اجتماعه به .

كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن(١) وأصاب ، لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عنه ، كقولهم « أبكانى وأضحكنى » أى ساءنى وسرنى . وكما قال الحماسى :

أبكانىَ الدهـــر ويا رُبّما أضحكَنى الدهرُ بما يرضى(٢)

ثم طرد ذلك فى نقيضه ، فأراد أن يكنى عما يوجبه دوامُ التلاقى من السرور بالجمود ، لظنه أن الجمودَ خلوُّ العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شىء آخر ، وأخطأ(٣) لأن الجمود خلو العين من البكاء فى حال إرادة البكاء منها ، فلا يكون كناية عن المسرة ، وإنما يكون كناية عن البخل ، كما قال الشاعر :

ألا إن عَيْناً لم تجُدْ يومَ واسطٍ عليك بجارى دَمْعِها لجَمُودُ(٤)

---

(١) قيل : إنه لا حاجة إلى الكناية بسكب الدموع عن هذا ، لأنه يجوز أن يراد به حقيقة .

(٢) هو لحطّان بن المعلى من شعراء الحماسة ، وقد كنى فيه بإبكاء الدهر له عن إساءته ، وبإضحاكه له عن سروره .

(٣) أى فى نظر علماء البيان ، وإن كان لكلامه وجه من الصحة بأن يكون استعمل جمود العين وهو يبسها فى خلوها من الدموع وقت الحزن مجازاً مرسلا علاقته اللزومية ، ثم استعمله فى خلوها من الدموع مطلقاً مجازاً مرسلا من استعمال المقيد فى المطلق ، ثم كنى به عن دوام السرور ، وفى ذلك من البعد والتعقيد بكثرة الوسائط ما يجعله خطأ فى نظر علماء البيان .

(٤) هو لأفلح بن يسار وقيل مرزوق بن يسار المعروف بأبى عطاء الخراسانى فى رثاء ابن هبيرة ، وبعده :

عشية قام النائحاتُ وشُقّقتْ جيوبٌ بأيدى مأتمٍ وخدود

وواسط : مدينة بالعراق بناها الحجاج بن يوسف ، وقد قتل ابن هبيرة فى معركة وقعت فيها ، وقد كنى فيه بجمود العين عن بخلها بالدمع فى الوقت الذى يجب فيه أن تدمع =

ولو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال المسرة لجاز أن يُدعَى به للرجل فيقال « لا زالت عينك جامدة » كما يقال « لا أبكى اللهُ عينك » ، وذلك مما لا يُشكّ في بطلانه ، ومن ذلك قول أهل اللغة « سنَةٌ جمادٌ » لا مطر فيها ، وناقة جماد لا لبن لها » فكما لا تُجعل السنة والناقة جماداً إلا على معنى أن السنة بخيلة بالقَطر والناقة لا تسخو بالدَّر ، لا تجعل العين جَمُوداً إلا وهناك ما يقتضى إرادة البكاء منها ، وما يجعلها إذا بكت محسنة موصوفة بأنها قد جادت وإذا لم تبك مسيئة موصوفة بأنها قد ضَنَّتْ .

فالكلام الخالى عن التعقيد المعنوى ما كان الانتقال من معناه الأول إلى معناه الثانى الذى هو المراد به ظاهراً ، حتى يُخَيَّل إلى السامع أنه فهمه من حاقِّ اللفظ(١) كما سيأتى من الأمثلة المختارة للاستعارة والكناية .

وقيل : فصاحة الكلام هى خلوصه مما ذُكِرَ ، ومن كثرة التكرار وتتابع الإضافات ، كما فى قول أبى الطيب :

* سَبُوحٌ لها منها عليها شواهدُ(٢) *

= ومن التعقيد المعنوى قول أبى تمام :

مِن الهيف لو أنَّ الخلاخلَ صُيِّرتْ لها وشحاً جالتْ عليها الخلاخل

أراد وصفها بدقة الخصر فكنى عنه بأن الخلاخل لو جعلت لها وشحاً لجالت عليها ، وهذا لا يدل على مراده ، بل يدل على بلوغها غاية القصر ، لأنه أمكن أن تكون الخلاخل وشحاً لها ، والوشاح يضرب لها من العاتق إلى الكشح .

(١) حاق الشىء : وسطه .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى فى وصف فرسه :

وتُسعِدنى فى غمرةٍ بعدَ غمرة سبوحٌ لها منها عليها شواهد

والغمرة : الشدة ، والسبوح : الحزيمة ، والشواهد : العلامات ، وهو فاعل قوله « لها » لاعتماده على الموصوف قبله أو مبتدأ مؤخر . والشاهد فى كثرة الضمائر وتكرارها .

وفى قول ابن بابك :

* حمامةَ جرعا حومةِ الجندلِ اسجعى[1] *

وفيه نظر ؛ لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم[2] ، وإلا فلا يخل بالفصاحة ، وقد قال النبى ﷺ : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق ابن إبراهيم »[3] .

قال الشيخ عبد القاهر[4] : « قال الصاحب[5] : إياك والإضافات المتداخلة فإنها لا تحسن ، وذكر أنها تستعمل ، فى الهجاء ، كقول القائل :

يا علىّ بن حمزة بن عمارهْ أنت والله ثلجةٌ فى خيارة[6]

---

(١) هو لعبد الصمد منصور البغدادى المعروف بابن بابك من قوله :

حمامةَ جرعا حومةِ الجندلِ اسجعى

فأنت بمرأى من سعاد ومسمعِ

والجرعاء : مؤنث الأجرع وهو المكان ذو الرمل لاينبت شيئاً ، وحومة الشىء : معظمه ، والجندل : الحجارة ، ومرأى ومسمع : اسما مكان أى بمكان تراك منه سعاد وتسمعك . والشاهد فى إضافة حمامة إلى جرعا ، وجرعا إلى حومة ، وحومة إلى الجندل .

(٢) يعنى بالتنافر .

(٣) فى الحديث كثرة تكرار وهى ظاهرة ، وفيه تتابع إضافات ، لأن الإضافات تشمل المتداخلة كما فى قول ابن بابك ، وغير المتداخلة كما فى الحديث ، والمتداخلة هى التى يضاف فيها الأول للثانى ، والثانى للثالث .

(٤) ٧٠ - دلائل الإعجاز - المطبعة العربية .

(٥) هو إسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب لصحبته ابن العميد .

(٦) لا يعرف قائله ، وفى قوله « ثلجة فى خيارة » قلب ، والأصل خيارة فى ثلجة ، واعترض على الخطيب بأنه سيذكر هذا البيت فى الاطراد من أنواع البديع فكيف يعيبه هنا ؟! والحق أنه ليس فيه تتابع إضافات ، وإنما هذا اشتباه نظر =

ثم قال الشيخ : « ولا شك فى ثقل ذلك فى الأكثر ، ولكنه إذا سلم من الاستكراه ملح ولطف ، ومما حسن فيه قول ابن المعتز أيضاً (١) :

وظلت تدير الراح أيدى جآذر عتاق دنانير الوجوه ملاح (٢)

ومما جاء فيه حسناً جميلا قول الخالدى يصف غلاماً له :

ويعرف الشعر مثل معرفتى وهو على أن يزيد مجتهد
وصيرفى القريض وزان دينار المعانى الدقاق منتقد (٣)

(فصاحة المتكلم) وأما فصاحة المتكلم فهى ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح، فالملكة قسم من مقولة الكيف التى هى هيئة قارة لا تقتضى قسمة ولا نسبة (٤) ، وهو مختص بذوات الأنفس راسخ فى موضوعه.

وقيل « ملكة » ولم يقل صفة ليشعر بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة ،

= من عبد القاهر . وقد ترجم ياقوت لعلى بن حمزة فى الجزء الخامس من معجم الأدباء .

(١) أى كما حسن فيما ذكره له قبل ذلك ، وهو قوله :

يا مسكة العطار وخال وجه النهار

(٢) هو لعبد الله بن المعتز . والراح : الخمر ، والجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية ، والعتاق : جمع عتيق بمعنى كريم ، وإضافة دنانير إلى الوجوه من إضافة المشبه به إلى المشبه ، والشاهد فى قوله « عتاق دنانير الوجوه » .

(٣) هما لأبى عثمان سعيد بن هاشم المعروف بالخالدى ، والصيرفى : المحتال فى الأمور ، والقريض : الشعر ، والمنتقد : فى الأصل الخبير بتمييز الدراهم ، ثم أطلق على تمييز الدراهم وغيرها ، والشاهد فى قوله « وزان دينار المعانى » .

(٤) خرج بهذا القيد مقولة الكم ، كالعدد ، وكذلك مقولة بالإضافة ، كالأبوة ، وهذا تعريف فلسفى للكيفية ، وهى صفة وجودية إن اختصت بالنفس الناطقة فهى نفسانية ، فإن رسخت بتوالى أمثالها فهى ملكة ، وهذا التعريف أليق بعلوم البلاغة .

معنى لا يكون المعبر عن مقصوده بلفظ فصيح فصيحاً إلا إذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه ، وقيل « يقتدر بها » ولم يقل « يعبّر بها » ليشمل حالتي النطق وعدمه ، وقيل « بلفظ فصيح » ليعمّ المفرد والمركب .

بلاغة الكلام : وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال(1) مع فصاحته(2) . ومقتضى الحال مختلف ، فإن مقامات(3) الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكيّ يباين خطاب الغبي ، وكذا لكل كلمة

---

(1) الحال : هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدى به أصل المراد خصوصيةً ما ، ومقتضى الحال : هو تلك الخصوصية ، ومطابقة الكلام له بمعنى اشتماله عليه ، فإذا كان المخاطب ينكر قيام زيد مثلا ، فإنكاره حال يدعو المتكلم إلى أن يخبر بقيامه مؤكداً « إن زيداً قائم » وتأكيد الخبر هو مقتضى الحال .

(2) فصاحته تكون بخلوه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد ، على ما سبق في بيان فصاحة الكلام ، وهذا قيد يخرج به كل كلام غير فصيح ، فلا يكون بليغاً وإن كان مطابقاً لمقتضى الحال . ويجب عندي أن يزاد فيها قيد آخر أي مع فصاحته وأصالته ، لأن المعنى إذا لم يكن أصيلا لم يكن بليغاً ، على نحو ما يأتي في السرقات الشعرية آخر الكتاب ، وبهذا يكون الكلام فيها عندي من علم المعاني .

(3) المقامات : جمع مقام وهو اسم مكان من « قام » ، والمراد به الحال السابق ؛ وذلك أن البلغاء كانوا يلقون خطبهم وأشعارهم وهم قيام ، فأطلق المقام على الحال الداعي إليها لأنه سبب فيه .

مع صاحبتها مقام(١) ، إلى غير ذلك ، كما سيأتي تفصيل الجميع .

وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول(٢) بمطابقته للاعتبار المناسب ، وانحطاطه : بعدم مطابقته له ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب(٣) ، وهذا — أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال — هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم(٤) ، حيث يقول : النظم تأخّي(٥) معاني النحو(٦) فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام .

---

(١) هذا كالفعل الذي يقترن بالشرط ، فله مع « إنْ » مقام ليس له مع « إذا » وهكذا . ومن ذلك ما روى أن رجلا أنشد ابن هَرْمة قوله :

بالله ربكَ إن دخلتَ فقلْ لها   هذا ابنُ هرمة قائماً بالباب

فقال له : ما هكذا قلتُ ، أكنتُ أتصدّق ؟! قال: فقاعدا . قال: أكنت أبول؟ قال : فماذا ؟ قال : واقفاً ، ليتك علمتَ ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى . ولعل ابن هرمة يعني من ذلك أن القيام يقتضي الدوام والثبوت بخلاف الوقوف ، تقول : وقف الحاج بعرفة . ولا تقول : قام .

وتحقيق هذا أن الألفاظ المركبة فيها جمال وقبح كالألفاظ المفردة ، حتى إنه قد يحدث أن يتألف الكلام من ألفاظ جميلة في ذاتها قبيحة في تركيبها لفقدها ما يسمى جمال الانسجام ، وهذا هو ما يعنون بقولهم : ولكل كلمة مع صاحبتها مقام .

(٢) عطف القبولَ على الحسن ليدل على أن المراد الحسن الذاتي الداخل في البلاغة لا الحسن العَرَضي الحاصل بالمحسنات البديعية .

(٣) أي الأمر الذي اعتبره المتكلم مناسباً بحسب السليقة أو بحسب ما عرفه من أساليب البلغاء .

(٤) ٥٥ — دلائل الإعجاز .

(٥) تأخيت الشيء تحريته وتقبّلته .

(٦) يريد بمعاني النحو الخصوصيات التي هي مقتضى الحال من التقديم والتأخير =

فالبلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب(١) ، وكثيراً ما يسمى ذلك(٢) فصاحة أيضاً ، وهو مراد الشيخ عبد القاهر(٣) بما يكرره في « دلائل الإعجاز » من أن « الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى دون اللفظ » كقوله في أثناء فصل منه: « علمت أن الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجرى في طريقهما أوصاف راجعة إلى المعانى، وإلى ما يدل عليه بالألفاظ دون الألفاظ أنفسها »(٤). وإنما قلنا مراده ذلك لأنه صرح في مواضع من « دلائل الإعجاز » بأن فضيلة الكلام

= وغيرهما ، والأغراض في قوله « على حسب الأغراض » هي الأحوال الداعية إليها ، أو المعانى الثانوية التي يقصد من الخصوصيات إفادتها ، وقيل : إن عبد القاهر لا يقف في هذا بالنحو عند وظيفته التي تصير أخيراً عليها ، وهي الحكم بالصحة والخطأ في المعانى الأصلية ، بل يجعل له حكماً أيضاً في المعانى الثانوية ، ولهذا عرّفه ابن جِنّي بأنه « انتحاء كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره ليلتحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة » .

(١) أى لا باعتبار أنه لفظ وصوت ، ولا باعتبار الألفاظ المفردة والكلم المجردة، والمراد بالمعنى الذى تعتبر به البلاغة المعنى الثانوى وهو مدلول الخصوصيات السابقة فى علم المعانى ، والمعانى المجازية والكنائية فى علم البيان ، أما المعنى الأصلى وهو مجرد ثبوت المسند للمسند إليه فلا تعتبر به البلاغة أصلا ، وقد تطلق المعانى الثانوية على نفس الخصوصيات .

(٢) أى الوصف المذكور وهو البلاغة ، وعلى هذا تكون مرادفة للفصاحة .

(٣) فهو يريد بالفصاحة فى كلامه البلاغة ، لأن الفصاحة بمعناها السابق ترجع فى التنافر والغرابة ومخالفة القياس والتعقيد اللفظى إلى اللفظ وحده ، ولا ترجع إلى المعنى إلا فى التعقيد المعنوى ، وكذلك يريد من رجوع الفصاحة بمعنى البلاغة إلى المعنى أنها صفة اللفظ باعتبار المعنى ، ولا يريد أنها لا ترجع إلى اللفظ أصلا .

(٤) ١٦٩ — دلائل الإعجاز .

للفظ لا لمعناه ، منها أنه حكى قول من ذهب إلى عكس ذلك(١) فقال : فأنت تراه لا يقدم شعراً حتى يكون قد أودع حكمة أو أدباً ، أو اشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر»(٢) ثم قال : « والأمر بالضد إذا جئنا إلى الحقائق وما عليه المحصلون ، لأنا لا نرى متقدما فى البلاغة مبرزاً فى شأوها إلا وهو ينكر هذا الرأى ». ثم نقل عن الجاحظ فى ذلك كلاماً منه قوله : « والمعانى مطروحة فى الطريق ، يعرفها العجمى والعربى ، والقروى والبدوى ، وإنما الشأن فى إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك » . ثم قال(٣) : « ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذى يعبر عنه سبيل الشىء الذى يقع التصوير فيه ، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم وأسوار ، فكما أنه محال إذا أردت النظر فى صوغ الخاتم وجودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذى وقع فيه ذلك العمل ، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية فى الكلام أن تنظر فى مجرد معناه ، وكما لو فضلنا خاتماً على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود أو فصه أنفس لم يكن تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغى إذا فضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه ألا يكون ذلك تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام » . هـذا لفظه ، وهو صريح فى أن الكلام من حيث هو كلام لا يوصف بالفضيلة باعتبار شرف معناه ، ولا شك أن الفصاحة(٤) من صفاته الفاضلة ، فلا تكون راجعة إلى المعنى ، وقد صرح فيما سبق بأنها راجعة إلى المعنى دون اللفظ ، فالجمع بينهما بما قدمناه يحمل كلامه ، حيث نفى أنها من صفات اللفظ ، على نفى أنها من صفات

---

(١) عكسه هو أن فضيلة الكلام للمعنى لا للفظ .

(٢) ١٦٤ ـ دلائل الإعجاز .

(٣) ١٦٦ ـ دلائل الإعجاز .

(٤) يريد من الفصاحة ما يرادف البلاغة ، جرياً على مذهب عبد القاهر .

المفردات من غير اعتبار التركيب[1]، وحيث أثبت أنها من صفاته على أنها من صفاته باعتبار إفادته المعنى عند التركيب[2].

وللبلاغة طرفان: أعلى، إليه تنتهي، وهو حد الإعجاز وما يقرب منه[3]. وأسفل، منه تبتدىء[4] وهو ما إذا غُيِّر الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب. وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة.

وإذ قد عرفتَ معنى البلاغة في الكلام وأقسامها ومراتبها، فاعلم أنه يتبعها وجوه كثيرة[5] غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ولا إلى الفصاحة، تورث الكلام حسنا وقبولا[6].

---

(١) أى من غير اعتبار ما يفيده التركيب من المعانى الثانوية.

(٢) فالمعنى الذى أرجع الفصاحة إليه هو المعنى الثانوى باعتبار استفادته من اللفظ عند التركيب. والمعنى الذى نفى البلاغة عنه هو المعنى الأصلى للفظ المفرد والكلام المجرد عن الخصوصيات.

(٣) حدّ الإعجاز مُنتهاه، لأن الحد فى اللغة منتهى الشىء، وما يقرب من الإعجاز هو ما دونه من مراتب الإعجاز، لأن الحق أن القرآن متفاوت الإعجاز وليس كل آياته فى درجة واحدة من البلاغة، وبهذا يكون قوله «وما يقرب منه» معطوفاً على حد الإعجاز، وقيل: إنه معطوف على قوله «وهو» على معنى أن حد الإعجاز هو الطرف الأعلى وما يقرب منه كما قال السكاكى، ولكن حمل ما هنا عليه لا يخلو من تكلف.

(٤) من العلماء ـ كالفخر الرازى ـ من يرى أن هذا ليس من البلاغة، فيلحق بأصوات الحيوانات أيضاً، والحق أنه منها لأنه لا بد من اشتماله على خُصوصية ما، فيدخل فى تعريف البلاغة.

(٥) هى المحسنات البديعية الآتية فى علم البديع.

(٦) المراد بالقبول هنا ما يرادف الحسن، لا القبول بمعنى الصحة، لعدم توقف صحة الكلام عليها.

بلاغة المتكلم : وأما بلاغة المتكلم فهى ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ .

حصر علوم البلاغة : وقد عُلِمَ بما ذكرنا أمران :

أحدهما : أنّ كل بليغ — كلاماً كان أو متكلماً — فصيح ، وليس كلّ فصيح بليغاً (١) .

الثانى : أن البلاغة فى الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد (٢) وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره (٣) . والثانى — أعنى التمييز — منه ما يتبين فى متن اللغة أو التصريف أو النحو أو يُدرك بالحس وهو ما عدا التعقيد المعنوى (٤) ، وما يُحترز به عن الأول — أعنى الخطأ — هو علم

---

(١) مما هو فصيح وليس ببليغ قول نُصيب :

فإنْ تَصِلِي أصلكِ وإن تعودى ... لِهجرٍ بعدَ وصلكِ لا أبالى

لأنه نسيب ردىء ، ومنه أيضاً قول جميل :

فلو تركتْ عقلى معى ما طلبتها ... ولكن طِلابها لِما فاتَ مِن عقْلى

زعم أنه يهواها لذهاب عقله ، وأنه لو كان عاقلا ما طلبها ، وأين هذا من قول بعضهم :

وما سرّنى أنّى خَلِيٌّ من الهوى ... ولو أنّ لى من بينه شرقى إلى غربِ

فإن كانَ هذا الحبُّ ذنبى إليكمُ ... فلا غفرَ الرحمانُ ذلك منْ ذنبِ

(٢) هو المعنى الثانوى ، والاحتراز عن الخطأ فيه بمراعاة مقتضى الحال .

(٣) لأن الفصاحة شرط فى البلاغة كما سبق ، وتمييز ذلك يكون بمعرفة الامور المخلة بالفصاحة من التنافر والغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف وغير هذا مما سبق .

(٤) ما عدا التعقيد المعنوى ، هو الغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف والتعقيد اللفظى والتنافر ، والأول يعرف بعلم متن اللغة ، والثانى بالتصريف وغيره لأنه لا يختص به ، والثالث والرابع بالنحو ، والخامس يدرك بالحس والذوق ، وبهذا تتوقف علوم البلاغة على هذه العلوم ، وعلى تربية الحس والذوق بمطالعة كلام العرب ،

المعاني . وما يحترز به عن الثاني — أعني التعقيد المعنوي — هو علم البيان . وما يُعرَفُ به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مُقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع(١) . وكثير من الناس يُسمِّى الجميعَ علم البيان(٢) ، وبعضهم يسمى الأولَ علم المعاني ، والثاني والثالث علمَ البيان ، والثلاثة : علمَ البديع(٣) .

---

(١) بهذا تنحصر علوم البلاغة فى العلوم الثلاثة ، وإنما لم تُجعل علوم اللغة والتصريف والنحو من علوم البلاغة مع توقف الفصاحة عليها أيضاً ، لأنها تُقصد لأغراض غير الفصاحة ، ومعرفة بعض نواحى الفصاحة منها تأتى بطريق العَرض.

(٢) لأن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير ، وهذه العلوم لها تعلّق بالكلام الفصيح تصحيحاً وتحسيناً .

(٣) إما لبداعة مباحثها ، أو لأنها يعرف بها أمور مبتدعة بالنسبة إلى تأدية أصل المراد الذى يعرفه الخاصة والعامة . والظاهر أن الذى يسمى الثلاثة علم البديع بعض آخر غير من ذهب إلى ما قبله .

تمرينات على الفصاحة والبلاغة

تمرين — ١

١ — وازن بين هذين البيتين من جهة الفصاحة :

لا يَرْفعُ الناسُ ما أَوْهَتْ أكُفُّهُمُ
عند الدفاع ولا يُوهُون ما رفعوا

فلا يُبرمُ الأمرُ الذى هو حالِلٌ
ولا يُحلَلُ الأمرُ الذى هو يُبرَمُ

٢ — بَيِّنْ ما فى هذا البيت مما يُخِلُّ بالفصاحة :

وشَوْهَ تَرقيشُ المشرَّقش وَقْشهُ فأشياعُهُ يشكونه ومعاشِرُهُ

تمرين — ٢

أ — قال بعض الشعراء :

خلتِ البلادُ من الغزالة ليلَها فأعاضهاكَ اللهُ كي لا تحزنَا

وقال آخر :

فكلُّكم أتى مأتى أبيه فكلُّ فعالِ كلِّكم عجابُ

فبين ما فيهما مما يخل بالفصاحة .

٢ — لماذا كان عودُ الضمير على متأخر لفظاً غير مخل بالفصاحة فى قول الشاعر :

جاء الخلافةَ أو كانت له قَدَراً كما أتى رَبَّه موسى على قدرِ

وكان مخلا بها فى قول الآخر :

ولو أن مجداً أخلَدَ الدَّهرَ واحداً من الناس أبقى مجدُهُ الدَّهرَ مطعِما

تمرين — ٣

قال الأخطل فى مدح عبد الملك بن مروان :

وقد جعل اللهُ الخلافةَ منهمُ لأبلجَ لا عارِى الخوان ولا جدْبِ

فأُخِذَ هذا عليه ، فبين ما ترجع إليه هذه المؤاخذة من البلاغة أو الفصاحة .

تمرين — ٤

١ — من أي التعقيدين قول الشاعر :

أنَّى يكون أبا البرايا آدم ... وأبوك والثقلان أنت مُحَمَّدُ

٢ — قال قاض لرجل خاصمته امرأة : « أَنْ سألتكَ ثَمنَ شكرها وشبرك أخذت تطلُّها وتضهلُها » .

فبين ما فيه مما يخل بالفصاحة والبلاغة .

تمرين — ٥

١ — لماذا لم تعد علوم اللغة والتصريف والنحو من علوم البلاغة مع توقف الفصاحة عليها ؟

٢ — ما الفرق بين القياس اللغوي والصرفي ؟ وأيهما تخل مخالفته بالفصاحة ؟

٣ — ما الذي يرجع إلى اللفظ من الفصاحة ؟ وما الذي يرجع منها إلى المعنى ؟

تمرين — ٦

١ — وازن بين لفظ « شيء » من جهة البلاغة في هذه الأبيات :

ومن مالىء عينيه من شيء غيره ... إذا راح نحو الجمرة البيض كالدُّمى

إذا ما تقاضى المرءَ يوم وليلة ... تقاضاه شيء لا يَمَلُّ التقاضيا

لو الفلكُ الدوَّارُ أبغضتَ سعيَه ... لعوَّقه شيء عن الدوران

٢ — أي الأمرين أنفع : جمع علوم البلاغة تحت اسم واحد ، أم توزيع مسائلها على علومها الثلاثة ؟

الفن الأول: علم المعانى

تعريف علم المعانى : هو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال(١) . قيل « يعرف » دون « يُعلم » رعايةً لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات والمعرفة بالجزئيات ، كما قال صاحب

---

(١) المراد بأحوال اللفظ ما يشمل أحوال الجملة وأجزائها ، فأحوال الجملة : كالفصل، والوصل، والإيجاز، والإطناب ، والمساواة . وأحوال أجزائها: كأحوال المسند إليه ، وأحوال المسند ، وأحوال متعلقات الفعل ، وهذه الأحوال هى التى يقتضيها الحال فى اللفظ ، فهى بعينها مقتضى الحال ، وبهذا يكون فى التعريف تهافت ظاهر، ويمكن أن يجاب عنه بأنه نظر إليها أولا من حيث ذاتها لا من حيث أنها مقتضى حال ، وإنما قيد أحوال اللفظ بما يطابق بها مقتضى الحال لتخرج الأحوال التى ليست بهذه الصفة ، كالإعلال والإدغام والرفع والنصب وغير ذلك مما لا بد منه فى تأدية المعنى الأصلى ، وكذلك المحسنات البديعية لأنها تكون بعد رعاية المطابقة ، ويخرج أيضاً علم البيان لأنه لا يبحث فيه عن أحوال اللفظ من هذه الجهة . وقد تبحث أبوابه من هذه الجهة فيكون ذلك من علم المعانى ، كما قال الأخطل فى مدح عبد الملك ابن مروان :

وقد جعل الله الخلافة منهمُ ... لأبلج لا عارى الخوان ولا جدب

فكنى بهذا عن كرمه ، وهو لا يليق فى مدح الملوك ، وإنما تمدح الملوك بمثل قول الشاعر :

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجلُّ من الدهر

هذا وبعض الأحوال التى يبحث عنها فى علم المعانى قد يبحث عنها فى علم النحو كالذكر والحذف ، ولكن علم النحو يبحث عنها من جهة صحتها وفسادها ، أما علم المعانى فيبحث عنها لبيان الأحوال التى يرجح بعضها على بعض، فلا تظهر المزية فيها إلا إذا احتمل الكلام وجهاً غير الوجه الذى جاء عليه فيكون الحال مرجحاً له .

القانون[1] فى تعريف الطب : الطب علم يعرف به أحوال بدن الإنسان . وكما قال الشيخ أبو عمرو[2] رحمه الله : «التصريف علم بأصول يُعرَف بها أحوال أبنية الكلم».

وقال السكاكى[3] «علم المعانى هو تتبّع خواص[4] تراكيب الكلام فى الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره[5] ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحالُ ذكرَه» . وفيه نظر ، إذ التتبع ليس بعلم ولا صادق عليه، فلا يصح تعريف شيء من العلوم به ، ثم قال . «وأعنى بالتراكيب تراكيب البلغاء» . ولا شك أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة ، وقد عرّفها فى كتابه[6] بقوله : «البلاغة هى بلوغ المتكلم فى تأدية المعنى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها[7] وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها»[8] . فإن أراد بالتراكيب فى حد البلاغة تراكيب البلغاء

---

(1) هو كتاب فى الطب للحسين بن عبد الله المعروف بابن سينا .

(2) هو عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب صاحب الشافية - فى التصريف .

(3) ٨٦ - المفتاح . المطبعة الادبية .

(4) المراد بها أحوال اللفظ فى تعريف الخطيب .

(5) غير الاستحسان هو الاستهجان، ويريد بذلك أن تراكيب الكلام لها خواص مستحسنة وخواص مستهجنة وكل منهما يبحث فى علم المعانى .

(6) ٢٠٨ - المفتاح .

(7) هذا يكون بإيرادها مطابقة لمقتضى الحال .

(8) بأن تكون خالية من التعقيد المعنوى ، وبهذا يرجع عنده علم البيان إلى البلاغة لا إلى الفصاحة كما ذكر الخطيب فى المقدمة ، وإنما لم يقيد تعريف البلاغة بفصاحة الكلام ليحترز به عن غير التعقيد أيضاً كما سبق فى تعريفها ، لأنه يرى

ـ وهو الظاهر ـ فقد جاء الدور(١) وإن أراد غيرها فلم يبينه ، على أن قوله : « وغيره » مبهم لم يبين مراده به(٢) .

أبواب علم المعانى

ثم المقصود من علم المعانى منحصر فى ثمانية أبواب :

(أولها) : أحوال الإسناد الخبرى . (وثانيها) : أحوال المسند إليه .

(وثالثها) : أحوال المسند . (ورابعها) : أحوال متعلقات الفعل .

(وخامسها) : القصر . (وسادسها) : الإنشاء . (وسابعها) . الفصل والوصل .

(وثامنها) : الإيجاز والإطناب والمساواة .

ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء ، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج(٣) تطابقه أولا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج ، الأول الخبر ، والثانى الإنشاء ، ثم الخبر لا بد له من إسناد ومسند إليه ومسند ، وأحوال هذه الثلاثة هى الأبواب الثلاثة الأولى . ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو متصلا به أو فى معناه(٤) كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع . ثم الإسناد والتعلق كل واحد منهما إما يكون بقصر أو بغير قصر ، وهذا هو الباب الخامس . والإنشاء هو الباب السادس . ثم الجملة إذا قرنت بأخرى فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع . ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن .

= أنها غير لازمة لها ، وسيأتى زيادة بيان لهذا فى آخر علم البيان .

(١) لأن معرفة البلاغة على هذا تتوقف على معرفة البلغاء ، مع أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة .

(٢) يجاب عنه بأنه سبق بيان مراده به ، فلا شيء عليه فيه ، ومع هذا أرى أن تعريف السكاكى ركيك العبارة ، وأنه كان الأجدر بالخطيب إهماله .

(٣) المراد بالخارج الواقع ونفس الأمر ولو لم يكن له وجود خارجى .

(٤) يريد بالمتصل بالفعل : اسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما ، ويريد بما فى معنى الفعل : المصدر ، لأنه يدل على الحدث كالفعل .

تنبيه

انحصار الخبر في الصادق والكاذب : اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب[1] فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما ، ثم اختلفوا ، فقال الأكثر منهم : صدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له ، هذا هو المشهور ، وعليه التعويل .

وقال بعض الناس[2] : صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صوابا كان أو خطأ ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له[3] واحتج بوجهين :

أحدهما أن من اعتقد أمراً فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال « ما كذب ، ولكنه أخطأ » كما رُوِيَ عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت فيمن شأنه كذلك : « ما كذب ، ولكنه وَهِمَ ». ورُدَّ بأن المنفيّ تعمُّد الكذب « لا الكذب ، بدليل تكذيب الكافر كاليهودى إذا قال « الإسلام باطل » وتصديقه إذا قال « الإسلام حق » ، فقولها « ما كذب » متأوّل بـ « ما كذب عمداً » .

الثاني قوله[4] تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ كذّبهم في قولهم ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ وإن كان مطابقا للواقع ، لأنهم لم يعتقدوه ، وأجيب عنه بوجوه : أحدها أن المعنى[5] نشهد شهادة واطأت فيها قلوبنا ألسنتنا كما يترجم

---

(١) مثل هذا لا يصح الاشتغال به في علوم البلاغة ، لأنه لا فائدة فيه .

(٢) هو إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام .

(٣) أى لاعتقاده ، وهذا بأن يكون له اعتقاد يخالفه أو لا يكون له اعتقاد أصلا ، فيدخل خبر الشاك عند النظام في الكذب ، ويكون من يقول — محمد رسول — وهو شاك فيه ، كاذباً عنده ، وهو صادق عند الجمهور ، وقيل : إن خبر الشاك ليس خبراً ، فهو خارج عن المقسم ، ولكن هذا لا يأتى مع ما سيأتى عن الجاحظ .

(٤) آية ١ سورة المنافقون .

(٥) يريد معنى قولهم ﴿ نشهد إنك لرسول الله ﴾ .

عنه : إن واللام وكون الجملة اسمية[1] فى قولهم ﴿ إنك لرسول الله ﴾ ، فالتكذيب فى قولهم ﴿ نشهد ﴾ وادعائهم فيه المواطأة ، لا فى ﴿ إنك لرسول الله ﴾ . وثانيها أن التكذيب فى تسميتهم إخبارهم شهادة لأن الإخبار إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة ، وثالثها أن المعنى لكاذبون فى قولهم ﴿ إنك لرسول الله ﴾ عند أنفسهم ، لاعتقادهم أنه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه[2] .

وأنكر الجاحظ انحصار الخبر فى القسمين ، وزعم أنه ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب ، وغير صادق وكاذب ، لأن الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه[3] وإما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه[4] . فالأول أى المطابق مع الاعتقاد[5] هو الصادق . والثالث أى غير المطابق مع الاعتقاد[6] هو الكاذب ، والثانى والرابع أى المطابق مع عدم الاعتقاد[7] وغير المطابق مع عدم الاعتقاد[8] كل منهما ليس بصادق ولا كاذب[9] . فالصدق عنده مطابقة

---

(١) لأن كل واحد من الثلاثة يفيد تأكيد الخبر كما سيأتى .

(٢) فيكون الكذب راجعا إلى الواقع فى زعمهم كما عليه الجمهور لا إلى الاعتقاد ، وعلى هذا يكون التكذيب فى المشهود به لا فى الشهادة كما فى الوجه الثانى .

(٣) أى مع اعتقاد المخبر بأنه مطابق أو عدم اعتقاده بأنه مطابق .

(٤) أى مع الاعتقاد بأنه غير مطابق أو عدم الاعتقاد بأنه غير مطابق .

(٥) بأنه مطابق .   (٦) بأنه غير مطابق .

(٧) بأنه مطابق ، وعدم الاعتقاد بهذا تحته صورتان : ألا يكون عنده اعتقاد أصلا ، وأن يكون عنده اعتقاد بأنه غير مطابق ، والصورة الأولى تأتى فى خبر الشاك ، والثانية كقول المنافق « محمد رسول الله » .

(٨) بأنه غير مطابق ، وعدم الاعتقاد بهذا تحته صورتان أيضا : عدم الاعتقاد أصلا ، والاعتقاد بأنه مطابق ، كقول الكافر — محمد غير رسول .

(٩) بهذا يكون بين الصدق والكذب واسطة عند الجاحظ بخلاف الجمهور والنظام

الحكم للواقع مع اعتقاده ، والكذب عدم مطابقته مع اعتقاده ، وغيرهما ضربان: مطابقته مع عدم اعتقاده ، وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده ، واحتج بقوله(١) تعالى: ﴿ أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ فإنهم حصروا دعوى النبي ﷺ الرسالة في الافتراء والإخبار حال الجنون، بمعنى امتناع الخلو(٢) وليس إخباره حال الجنون كذبا ، لجعلهم الافتراء في مقابلته ، ولا صدقا لأنهم لم يعتقدوا صدقه ، فثبت من الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب . وأجيب عنه بأن الافتراء هو الكذب عن عمد ، فهو نوع من الكذب ، فلا يمتنع أن يكون الإخبار حال الجنون كذبا أيضاً، لجواز أن يكون نوعا آخر من الكذب ، وهو الكذب لا عن عمد ، فيكون التقسيم للخبر الكاذب لا للخبر مطلقاً ، والمعنى أفترى أم لم يفتر ؟ وعبر عن الثاني بقوله : « أم به جنة » لأن المجنون لا افتراء له(٣) .

تنبيه آخـــر

وهو مما يجب أن يكون على ذكر الطالب لهذا العلم ، قال السكاكي :(٤) « ليس من الواجب في صناعة ، وإن كان المرجع في أصولها وتفاريعها إلى مجرد العقل ، أن يكون الدخيل فيها كالناشىء عليها في استفادة الذوق منها ، فكيف إذا كانت الصناعة مستندة إلى تحكمات وضعية ، واعتبارات إلفية ، فلا على الدخيل في صناعة علم المعاني أن يقلد(٥) صاحبه في بعض فتاواه إن فاته الذوق هناك ، إلى

---

(١) آية ٨ ـــ سورة سبأ .

(٢) أي والجمع ؛ لأن قوله « وليس إخباره حال الجنون كذبا » يدل على أنها مانعة جمع أيضاً ـ ولو كانت مانعة خلو فقط لجاز أن يكون إخباره حال الجنون كذباً ، لأن مانعة الخلو تجوز الجمع ، فلا تثبت الواسطة بين الصدق والكذب .

(٣) رأيي في هذه الخلافات بعد الانتهاء منها أنها خلافات لا طائل تحتها .

(٤) ص ٩٠ المفتاح .

(٥) خير له عندي ألا يقلد في ذلك إلى أن يتربى له الذوق فيذوق بنفسه .

أن يتكامل له على تمهل موجبات ذلك الذوق » .

وكثيراً ما يشير الشيخ عبد القاهر فى « دلائل الإعجاز » إلى هذا ، كما ذكر فى موضع(١) ما تلخيصه هذا : « اعلم أنه لا يصادف القول فى هذا الباب موقعاً من السامع ، ولا يجد لديه قبولا ، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، ومن تحدثه نفسه بأن لِمَا تومىء إليه من الحسن أصلا ، فيختلف الحال عليه عند تأملِ الكلام ، فيجد الأريحية تارة ، ويعرى منها أخرى ، وإذا عجَّبته تعجَّب ، وإذا نبهته لموضع المزية انتبه ، فأما من كان الحالان(٢) عنده على سواء ، وكان لا يتفقد من أمر النظم إلا الصحة المطلقة ، وإلا إعرابا ظاهراً ، فليكن عندك بمنزلة من عدِمَ الطبع الذى يدرك به وزن الشعر ، ويميز به مزاحفه من سالمه ، فى أنك لا تتصدى لتعريفه ، لعلمك أنه قد عدم الأداة التى بها يعرف(٣) . واعلم أن هؤلاء وإن كانوا هم الآفة العظمى فى هذا الباب ، فإن من الآفة أيضاً من زعم أنه لا سبيل إلى معرفة العلة فى شىء ما تعرف المزية فيه ، ولا يعلم إلا أن له موقعاً من النفس وحظا من القبول(٤) ، فهذا بتوانيه فى حكم القائل الأول(٥) . واعلم أنه ليس إذا لم يمكن معرفة الكل وجب ترك النظر فى الكل ،

= لأن التقليد مذموم فى كل علم ، على أن دعواه أن هذه الصناعة مستندة إلى تحكمات وضعية لا تصح فى علم المعانى ، وإنما تصح فى علم النحو ، كما ذكره ابن الأثير فى المثل السائر .

(١) ١٩٠ ، ١٩١ ـ دلائل الإعجاز .

(٢) يعنى الحال التى توجب الأريحية والحال التى تعرى منها .

(٣) عبد القاهر فى هذا يخالف السكاكى فى تجويزه التقليد عند تعذر الدربة .

(٤) فلا يعرف لذلك علة وسببا ، لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك عنده ، وإنما هو ذوق لا غير .

(٥) هو من كانت الحالان عنده على سواء .

ولأنْ تعرفَ العلة فى بعض الصور فتجعله شاهداً فى غيره أخرى من أن تسد باب المعرفة على نفسك ، وتعوّدها الكسل وَالهُوَيْنَى. قال الجاحظ : وكلام كثيرٌ جرى على ألسنة الناس وله مضرة شديدة ، وثمرة مُرّة ، فمن أضرِّ ذلك قولهم : « لم يَدَع الأول للآخر شيئاً » . فلو أن علماء كل عصر مُذ جرت هذه الكلمة فى أسماعهم تركوا الاستنباط لما لم يَنْتَهِ إليهم عن قبلهم ، لرأيت العلم مختلا .

القول فى أحوال الإسناد الخبرى

أغراض الخبر : من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما نفسَ الحكم ، كقولك « زيد قائم » لمن لا يعلم أنه قائم ، ويسمى هذا (١) فائدة الخبر ، وإما كونَ المخبرَ عالماً بالحكم ، كقولك لمن زيدٌ عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك : « زيد عندك » ويسمى هذا (٢) : لازمُ فائدة الخبر .

---

(١) اسم الإشارة يعود إلى إفادة المخاطب نفس الحكم ، لأن هذا هو الذى يُسمى فائدة الخبر ، وقيل إنه يعود إلى نفس الحكم ، ورُدّ بأن الحكم ركن من أركان الخبر ، وفائدة الشىء لا تكون جزءاً منه ، وهذه الفائدة هى المقصد الأول من مقاصد الإسناد الخبرى .

(٢) أى كون المخبر عالما بالحكم ، وإنما سُمىَ هذا « لازم فائدة الخبر » لأنه يلزم من إفادة المخاطب الحكم إفادته أن عنده علماً أو ظنا به ، ولازم فائدة الخبر هو المقصد الثانى من الإسناد الخبرى .

وللإسناد الخبرى مقاصد وأغراض أخرى : منها إظهار التحسر ، كما فى قوله تعالى : حكاية عن امرأة عمرانَ ﴿رَبِّ إنى وضعتُها أنثى﴾ - ى ٣٦ - آل عمران

ومنها إظهار الفرح ، كما فى قول الشاعر :

هَنِيًا مَرِيًّا ذاك الغراء المُقدَّما فما عَبَسَ المحزونُ حتى تبسما

ومنها إظهار الضعف والخشوع : كقول الآخر :

قال السكاكي(١) : « والأولى(٢) بدون هذه(٣) تمتنع ، وهذه بدون الأولى لا تمتنع ، كما هو حكم اللازم المجهول المساواة»(٤) أي يمتنع ألا يحصل العلم الثاني من الخبر نفسه عند حصول الأول منه ، لامتناع حصول الثاني قبل حصول الأول ، مع أن سماع الخبر من المخبر كاف في حصول الثاني منه(٥). ولا يمتنع ألا يحصل الأول من الخبر نفسه عند حصول الثاني منه ، لجواز حصول الأول قبل حصول الثاني(٦) وامتناع حصول الحاصل .

وقد ينزّل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم ، فيُلقى إليه الخبر كما يُلقى إلى الجاهل بأحدهما(٧) .

= إلهي عبدك العاصي أتاكا مقراً بالذنوب وقد دعاكا

ومنها توبيخ السامع ، كقول الحماسية :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمتَّ بي من كان فيك يلوم

والغرض الأول وهو فائدة الخبر يستفاد من ذات الخبر ، وما عداه من الأغراض يدل عليها الخبر دلالة تبعية ، فهي من مستتبعات الكلام ، ولا توصف بأنها حقيقة ولا مجاز ولا كناية .

(١) ٨٨ - المفتاح . (٢) هي فائدة الخبر .

(٣) اسم الإشارة يعود إلى لازم فائدة الخبر، وقد أنثه باعتبار كونه فائدة أيضاً .

(٤) كلزوم الحيوانية للانسانية ، لأن الحيوانية أعم ، فيلزم من العلم بالإنسانية العلم بالحيوانية ، ولا يلزم من العلم بالحيوانية العلم بالإنسانية .

(٥) لأن من يخبر بشيء لا بد أن يكون عنده علم أو ظن به ، فالمراد بالعلم الثاني علم المخاطب بأن المخبر عالم بالحكم ، والمراد بالعلم الأول علمه بذلك الحكم .

(٦) بأن يكون المخاطب عالماً بالحكم قبل الإخبار به ، فيحصل بالخبر في هذه الحالة لازم فائدته دونها ، لامتناع تحصيل الحاصل .

(٧) من تنزيل العالم بالفائدة منزلة الجاهل بها قول الفرزدق لهشام بن عبد الملك =

قال السكاكي[1] « وإن شئت فعليك بكلام[2] رب العزة ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي ، وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم . ونظيره في النفي والإثبات ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾[3] وقوله[4] تعالى ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ هذا لفظه ، وفيه إيهام أن الآية الأولى من أمثلة تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل بهما ، وليست منها ، بل هي من أمثلة تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لعدم جريه على موجب العلم ، والفرق بينهما ظاهر[5].

= حين تجاهل معرفة علي بن الحسين رضي الله عنهما :

هذا ابنُ خيرِ عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

هذا ابن فاطمة إن كنتَ جاهلَهُ ... بجده أنبياءُ الله قد خُتِمُوا

ومن تنزيل العالم بلازم الفائدة منزلة الجاهل به قولك لمن يؤذيك وهو يعلم أنك مسلم : « الله ربنا ومحمد نبينا » . وقد جعل السكاكي هذا من باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، فهو عنده مثل تنزيل غير السائل منزلة السائل ونحوه مما يأتي ، وقيل : إن الخطيب لم يجعل ما هنا من ذلك الباب لأن الخبر لا يختلف في التأكيد وتركه في مخاطبة الجاهل بفائدة الخبر ولازمها ومخاطبة العالم بهما المنزل منزلة الجاهل ، أما تنزيل غير السائل منزلة السائل ونحوه فيختلف في ذلك كما سيأتي ، والخطب في هذا سهل .

(1) ٩٢ ـ المفتاح . (2) آية ١٠٢ سورة البقرة

(3) آية ١٧ س الأنفال . (4) آية ١٢ سورة التوبة

(5) أجيب عن السكاكي بأن غرضه التنظير لتنزيل العالم بفائدة الخبر ولازمها =

أضرب الخبر : وإذا كان غرض المخبر بخبره إفادة المخاطب أحد الأمرين فينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة .

فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيه ، استغنى(١) عن مؤكدات الحكم ، كقولك « جاء زيد ، وعمرو ذاهب » فيتمكن في ذهنه لمصادفته إياه خاليا .

وإن كان متصوراً لطرفيه متردداً في إسناد أحدهما إلى الآخر طالباً له حسن تقويته بمؤكد(٢) كقولك « لزيد عارف » أو « إن زيداً عارف » .

= منزلة الجاهل بهما ، وليس غرضه التمثيل له ، ولهذا ذكر أيضاً قوله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت﴾ وهو من تنزيل الموجود منزلة المعدوم وليس من تنزيل العالم منزلة الجاهل .

(١) مثله إذا كان المخاطب عالما بالحكم وأراد المخبر إفادته لازم فائدة الخبر ، أو إظهار التحسر ونحوه ، أو تنزيله منزلة الجاهل ، فيستغنى في ذلك أيضا عن المؤكدات .

(٢) أي واحد ليزيل تردده في الإسناد بالتوكيد ، ومثل التردد في الإسناد التردد في لازم فائدة الخبر ، وحسن التوكيد في ذلك إنما هو بالنظر إلى حال الإنكار ، وإلا فهو واجب أيضا ، ولا يراد إلا التمييز باللفظ بين الحالين ، وأن درجة الوجوب في التردد ليس كدرجة الوجوب في الإنكار ، والمراد بالمتردد ما يشمل الظان والمتوهم ، وقد ذهب عبد القاهر إلى أنه لا يحسن التأكيد إلا إذا كان للمخاطب ظن على خلاف حكم المتكلم ، وسيأتي قريبا ما يفيد جواز تعدد التوكيد في التردد كالإنكار .

ومن التأكيد للتردد في الحكم قوله تعالى ﴿ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً ، قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ ى ـ ٩٦ س العنكبوت .

وإن كان حاكماً بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار[1] فتقول: «إنى صادق» لمن ينكر صدقك ولا يبالغ فى إنكاره، و«إنى لصادق» لمن يبالغ فى إنكاره، وعليه قوله[2] تعالى ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قالوا ما أنتم إلا بَشَرٌ مِثْلُنَا وما أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ، قالوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ حيث قال[3] فى المرة الأولى ﴿ إنا إليكم مرسلون ﴾ وفى الثانية ﴿ إنا إليكم لمرسلون ﴾.

ويؤيد ما ذكرناه جواب أبى العباس للكندى[4] عن قوله: «إنى أجد فى كلام العرب حشواً، يقولون: عبد الله قائم، وإن عبد الله قائم، وإن عبد الله لقائم — والمعنى واحداً»، بأن قال: «بل المعانى مختلفة، فعبد الله قائم إخبار عن قيامه، وإن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر».

---

(1) فيؤتى له بمؤكد واحد أو اثنين أو أكثر على حسب إنكاره فى القوة والضعف، وقيل: إنه لا يكتفى فى الإنكار بمؤكد واحد، ومثل إنكار الإسناد فى هذا إنكار لازم فائدة الخبر، ومن هذا قوله تعالى ﴿قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ آية ١ س المنافقون — لأنه ينكر عليهم بذلك فأكدوا له.

ومن أدوات التأكيد: إن، والقسم، ونونا التوكيد، ولام الابتداء، وأما الشرطية، وحروف التنبيه، وضمير الفصل، وقد، وأدوات الاستفتاح، والحروف الزائدة.

(2) آية ١٣، ١٤، ١٥، ١٦ س يس.

(3) فأكد فى المرة الأولى بأن واسمية الجملة. وفى الثانية بهما وبالقسم واللام، لأنهم بالغوا فى الإنكار فقالوا ﴿ ما أنتم إلا بشر مثلنا — الآية ﴾.

(4) أبو العباس هو محمد بن يزيد المبرد، والكندى هو يعقوب بن إسحاق الفيلسوف

ويسمى النوع الأول من الخبر ابتدائيا ، والثانى طلبيا ، والثالث إنكاريا ، وإخراج الكلام على هذه الوجوه(١) إخراجا على مقتضى الظاهر(٢) .

تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر : وكثيراً ما يخرّج على خلافه(٣) فينزّل غيرُ السائل منزلة السائل إذا قُدم إليه ما يلوّح له بحكم الخبر ، فيستشرف له استشراف المتردد الطالب(٤) كقوله(٥) تعالى ﴿ ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ وقوله ﴿ وما أبرّئ نفسى إنّ النفس لأمّارة بالسوء(٦) ﴾ وقول بعض العرب :

---

(١) هى الخلو عن التأكيد فى الأول ، وعن التقوية بمؤكد استحسانا فى الثانى ، ووجوبا فى الثالث .

(٢) أى يسمى إخراجا على مقتضى الظاهر : والمراد به ظاهر الحال . وهو الحال الداعى الذى له ثبوت فى الواقع ، كخلو المخاطب من الحكم أو تردده أو إنكاره والحال أعم من ظاهر الحال ؛ لأنه يشمل أمرين : أحدهما ما له ثبوت فى الواقع ، والثانى ما لا ثبوت له ، كتنزيل غير السائل منزلة السائل ونحوه مما سيأتى .

(٣) هذا باب من البلاغة أوقع فى النفس من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر ، لدقة مسلكه ، وحسن موقعه فى النفس . وقد قيل : إنه باب الكناية . وقيل : إنه من الاستعارة بالكناية والتخييل . وقيل : إنه من مستتبعات الكلام فلا يوصف بحقيقة ولا مجاز ولا كناية .

(٤) الحال هنا تقديم ما يلوح للمخاطب بالخبر . ومن نكت تنزيل غير السائل منزلة السائل أيضا الاهتمام بشأن الخبر لكونه مستبعداً ، والتنبيه على غفلة السامع ، وغير ذلك .

(٥) آية ٣٧ سورة هود . فإن قوله ﴿ ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ﴾ يلوح باستحقاقهم العذاب .

(٦) آية ٥٣ سورة يوسف — فإن قوله ﴿ وما أبرئ نفسى ﴾ يلوح =

فَغَنِّهَا وَهْيَ لَكَ الفِدَاءُ إنَّ غِنَاءَ الإبلِ الحُدَاءُ(١)

وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض ، روى عن الأصمعى أنه قال : كان أبو عمرو بن العلاء(٢) وخلف الأحمر يأتيان بشارا فيسلمان عليه بغاية الإعظام ، ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له ، حتى يأتى وقت الزوال ، ثم ينصرفان . فأتياه يوما ، فقالا : ما هذه القصيدة التى أحدثتها فى ابن قتيبة ؟ قال : هى التى بلغتكما . قالا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب . قال : نعم، إن ابن قتيبة يتباصر بالغريب ، فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرف . قالا : فأنشدناها يا أبا معاذ ، فأنشدهما :

بَكِّرَا صاحبىَّ قبلَ الهَجِيرِ إنَّ ذاكَ النجاحَ فى التبكيرِ(٣)

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان « إن ذاك النجاح »

= يقبح نفسها، ولا يخفى أن هنا توكيدين . وهذا يفيد جواز تعدد التوكيد فى المتردد وما ينزل منزلته . فيكون الفرق بينه وبين المنكر فى الوجوب والاستحسان فقط . وقيل : إن أحد التوكيدين لاستبعاد الخبر فى ذاته .

(١) لا يعلم قائله . والضمير فى قوله « فغنها » للإبل أى فغن لها . والحداء بضم الحاء وكسرها مصدر « حدا الإبل » إذا ساقها وغنى لها . والشاهد فى أنه حين يقول « فغنها » ليشتد سيرها يفهم السامع أن غناءها هو الحداء الذى تساق به ، فتستشرف له نفسه . ومن هذا قول أبى نواس :

عليك باليأس من الناس إنَّ غنى نفسك فى الياس

(٢) رواية الأغانى : كان خلف بن عمرو بن العلاء وخلف الأحمر ... وقد ساق القصة كما هنا .

(٣) هو لبشار بن برد . والهجير من الزوال إلى العصر ... أو شدة الحر . والشاهد فى أن الشطر الأول يلوح بالثانى ، ولهذا أتى به مؤكداً .

« بكرا فالنجاح » كان أحسن . فقال بشار : إنما بنيتها أعرابية وحشية[1] فقلت « إن ذاك النجاح » كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت « بكرا فالنجاح » كان هذا من كلام المولَّدين ولا يشبه ذلك الكلام[2] ولا يدخل في معنى القصيدة . قال : فقام خلف فقبَّله بين عينيه . فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحضر من أبي عمرو بن العلاء وهم من فُحُولةِ هذا الفن إلا للطف المعنى لذلك وخفائه ؟ .

وكذلك يُنزلُ غير المنكر منزلة المنكر[3] إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار ، كقوله:

جاء شقيقٌ عارضاً رُمحَهُ إن بني عمكَ فيهم رماح[4]

فإن مجيئه هكذا مُدِلا بشجاعته قد وضع رمحه عرْضاً دليل على إعجاب شديد منه واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح .

---

(١) وحشية : صفة كاشفة لأعرابية ، ولا يريد الوحشية المخلة بالفصاحة .

(٢) لأنه ليس فيه من دقة الإشارة إلى تنزيل غير السائل منزلة السائل ما في قوله « إن ذاك النجاح » ، وإنما فيه تكرير الأمر بالتبكير لتأكيده على وجه ظاهر لا دقة فيه .

(٣) غير المنكر يشمل خالي الذهن من الحكم، والمتردد، والعالم به من غير إنكار ولكنه لا يعمل بعلمه ، كقولك للمسلم التارك للصلاة : إن الصلاة واجبة ـ ، وفائدة تنزيل المتردد منزلة المنكر : المبالغة في توكيد الخبر له .

(٤) هو حَجَل بن نضلة الباهلي ، وبعده :

هل أحدث الدهر لنا ذلةً أم هل رقت أمُّ شقيق سلاح

وقوله « عارضاً رمحه » معناه أنه وضعه على عَرْضه . بأن جعله على فخذيه بحيث يكون عرضه إلى جهتهم ، وكان هذا من أمارة عدم التصدي للحرب ، =

وكذلك يُنزّل المنكر منزلة غير المنكر(١) إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن الإنكار ، كما يقال لمنكر الإسلام : « الإسلامُ حق »(٢) . وعليه قوله تعالى فى حق القرآن ﴿ لا رَيْبَ فيه ﴾(٣) .

ومما يتفرع على هذين الاعتبارين(٤) قوله(٥) تعالى : ﴿ ثم إنكمْ بعْدَ ذلكَ

= والشاهد فى قوله « إن بنى عمك فيهم رماح » وهو من تنزيل العالم منزلة المنكر .

(١) المراد بغير المنكر : خالى الذهن من الحكم فقط ، لأنه لا فائدة لتنزيل المنكر منزلة المتردد ، وقيل : إن له فائدة فى تقليل التوكيد كما سيأتى فى قوله تعالى : ﴿ ثم إنكم يومَ القيامة تُبعثون ﴾ .

هذا وقد ترك تنزيل السائل منزلة غير السائل وهو أيضا مما يدخل فى باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وإنما ينزل السائل منزلة غير السائل إذا لم يكن هناك وجه لتردده .

(٢) أى من غير تأكيد ، واعترض على هذا بأنه جملة اسمية ، وأجيب بأن الجملة الاسمية إنما تفيد التوكيد إذا اعتبر تحويلها عن الجملة الفعلية ، نحو « زيد يقوم » فإنها يمكن اعتبارها محولة عن يقوم زيد .

(٣) آية ٢ س البقرة فإن معناه أن القرآن ليس محل شك ، وهذا ينكره المخاطبون من الكفار ، فكان حقه فى الظاهر التأكيد ، ولكنهم نزلوا منزلة غير المنكرين ، فترك التأكيد لهم ، وقيل : إن هذا ليس تمثيلا لتنزيل المنكر منزلة غير غير المنكر بناء على أن المراد نفى الريب نفسه مع أنه واقع منهم تنزيلا له منزلة عدمه ، فيكون هذا نظير لتنزيل المنكر منزلة غيره لا تمثيل له ، ويؤيد هذا أن قوله فيما يأتى « وهكذا اعتبارات النفى » ظاهر فى أنه لم يسبق مثال منه .

(٤) يعنى اعتبار تنزيل غير المنكر منزلة المنكر ، واعتبار تنزيل المنكر منزلة غير المنكر .

(٥) آية ١٥ ، ١٦ سورة الحجر .

لميتونَ ، ثم إنكم يومَ القيامةِ تُبعثونَ ﴾ أكد إثبات الموت تأكيدين وإن كان مما لا ينكر ؛ لتنزيل المخاطبين منزلة مَن يبالغ فى إنكار الموت ، لتماديهم فى الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده ، ولهذا قيل ﴿ ميتون ﴾ دون تمرتون كما سيأتى الفرق بينهما(١). وأكد إثبات البعث تأكيداً واحداً وإن كان مما ينكر، لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بألاَّ ينكرَ ، بل إما أن يُعترَفَ به أو يترددَ فيه ، فنزّل المخاطبون منزلة المترددين تنبيها لهم على ظهور أدلته ، وحثا على النظر فيها ، ولهذا جاء ﴿ تبعثون ﴾ على الأصل(٢) .

هذا كله اعتبارات الإثبات ، وقسْ عليه اعتبارات النفى ، كقولك « ليس زيد » أو « ما زيد منطلقا » أو منطلق » ، « ووالله ليس زيد » أو « ما زيد منطلقا » أو منطلق ، وما ينطلق أو ما إن ينطلق زيد ، وما كان زيد ينطلق وما كان زيد لينطلقَ ، ولا ينطلق زيد ، ولن ينطلق زيد ، ووالله ما ينطلق أو ما إن ينطلقُ زيد »(٣) .

---

(١) أى فى الكلام على المسند من أن ذكره قد يكون ليتعين كونه اسما فيستفاد منه الثبوت ، أو كونه فعلا فيستفاد منه التجدد ، وبهذا يكون ما فى الآية من تنزيل العالم منزلة المنكر .

(٢) أى على الفعلية دون الاسمية ؛ لأن المعنى على التجدد ، لا الثبوت ، وبهذا يكون ما فى الآية من تنزيل المنكر منزلة المتردد .

(٣) هذا والتأكيد يأتى أيضاً فى الإنشاء كما يأتى فى الخبر ، كقول الشاعر :

هَلا تَمُنِّن بوعد غير مُخلفةٍ ... كما عهدْتُكِ فى أيام ذى سَلم

ولكن التأكيد لا يأتى فى الإنشاء لدفع التردد والإنكار لأنهما لا يأتيان فيه وإنما يأتى لأغراض أخرى من أغراض التأكيد فى الخبر، لأنها لا تنحصر فيما ذكر : فمنها الدلالة على استبعاد الحكم من المخبر ، كما فى قوله تعالى ﴿ رَبِّ إنَّ قومى كذَّبونِ ﴾ آية ١١٧ سورة الشعراء . ومنها الاعتناء بشأن الحكم ، كما فى قول أبى بكر =

تمرينات على أغراض الخبر وأضربه

تمرين — ١

بين الغرض من الخبر فيما يأتى :

١ — ذهب الذين يعاشُ فى أكنافهم وبقيتُ فى خَلْفٍ كجلد الأجربِ

٢ — محا البينُ ما أبقتْ عيونُ المها منّى فشبتُ ولم أقضِ اللبانة من سنّى

٣ — قوله تعالى ﴿ اقترَبتِ الساعةُ وانشقّ القمر ﴾ آية ١ - س القمر

تمرين — ٢

من أى أضرب الخبر ما يأتى :

١ — عليك باليأسِ من الناسِ إنّ غِنَى نفسك فى اليأسِ

٢ — لقد عظم البعيرُ بغير لُبٍّ فلم يستغنِ بالعِظَمِ البعيرُ

٣ — ما إنْ ندمتُ على سكوتى مرةً ولقد ندمتُ على الكلام كثيراً

تمرين — ٣

بين ما جرى من أضرب الخبر على مقتضى الظاهر أو خلافه فيما يأتى :

= إن البلاء مُوكّلٌ بالمنطق . ومنها تهيئة النكرة للابتداء بها كما فى قول الشاعر :

إنّ دهراً يلفُّ شملى بسعدَى لزمانٌ يهُمُّ بالإحسانِ

ومنها إظهار صدق الرغبة فى الحكم وقصد ترويجه ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وإذا لقُوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا مَعَكُمْ ﴾ - ى - ١٤ — س البقرة — فلم يؤكدوا فى خطاب المؤمنين لعدم رواجه منهم عندهم ، وأكدوا فى خطاب إخوانهم لصدق رغبتهم فيهم .

١ ـ ترجو النجاةَ ولم تسلك مسالكها　إنَّ السفينةَ لا تجرى على اليَبَسِ
٢ ـ قوله تعالى : (إنَّ قارونَ كانَ مِنْ قومِ موسى فبغَى عليهِمْ)
آية ٧٦ س القصص .
٣ ـ قوله تعالى (ألاَ إنَّ أولياءَ اللهِ لا خوفٌ عليهِمْ ولا هُمْ يحزنون).
آية ٦٢ س يونس

تمرين ـ ٤

بين الغرض من التأكيد فيما يأتى :
١ ـ إنَّ مَحلاً وإنَّ مُرتَحلاً　وإن فى السَّفْرِ إذا مَضوْا مَهَلاً
٢ ـ قول تعالى : (إنَّ الباطِلَ كانَ زَهوقاً) آية ٨١ س الإسراء
٣ ـ إن البُغَاثُ بأرضنا يستنسر .
٤ ـ ألاَ إن أخلاق الفتى كَزمانِهِ　فمنهنَّ بيضٌ فى العيون وسُودُ

فصـــل

الحقيقة والمجاز العقليان : الإسناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي[1] .

أما الحقيقة فهي إسناد الفعل[2] أو معناه إلى ما هو له[3] عند المتكلم في الظاهر[4]

---

(١) الحقيقة والمجاز العقليان يأتيان في الإسناد الإنشائي أيضا ، وقيل إنهما يأتيان في الإسناد الإضافي ونحوه ، كما في قوله ﴿ مكرُ الليل والنهار ﴾ آية ٣٣ س سبأ ﴿ ذلك هو الضلال البعيدُ ﴾ آية ١٢ ـــ س الحج . وقيل : إن الإضافة قد تكون لمطلق الملابسة ، فتكون في نحو مكر الليل ، حقيقة عقلية ويسمى المجاز العقلي مجازا حكميا ومجازا إسناديا أيضا ، ومن الإسناد ما لا يكون حقيقة ولا مجازا كما سيأتي .

(٢) المراد بالإسناد ما يشمل الإسناد الإيجابي والسلبي .

(٣) الإسناد إلى ماهوله يشمل الإسناد إلى الفاعل وإلى المفعول . ويريد بكونه له إذا كان فاعلا أن معناه قائم به ووصف له وحقه أن يسنَدَ إليه ، سواء أكان مخلوقاً لله تعالى كما يقول أهل السُّنة ، أم كان لغيره كما يقول المعتزلة ، والأفعال من هـذه الجهة تنقسم إلى أفعال استأثر الله بها مثل الخلق والرزق ، وإلى أفعال لغيره كسبٌ فيها ، مثل ـــ أحسن وأساء وقام وقعد ـــ وإلى أفعال يراد من إسنادها مجرد الاتصاف بها ، مثل ـــ صح ومرض وعظُم وتنزّه ـــ فالأولى إسنادها إلى الله حقيقي ولا يصح إسنادها إلى غيره إسناداً حقيقاً ، والثانية يصح إسنادها إلى غيره إسناداً حقيقيا ، ومنها ما لا يصح إسنادها إليه تعـــالى مثل ـــ قام وقعد ـــ والثالثة منها ما يسند إليه تعالى ، مثل ـــ عظم وتنزه ـــ ومنها ما يسند إلى غيره مثل ـــ صح ومرض ـــ هذا والمعول عليه عند الخطيب هو إسناد الفعل أو معناه ولو في جملة اسمية ، كما سيأتي تحقيقه .

(٤) أي في ظاهر حال المتكلم ، بألا ينصبَ قرينة تدل على أنه غير ما هو له في اعتقاده كما سيأتي .

والمراد بمعنى الفعل نحو المصدر واسم الفاعل(١) . وقولنا « فى الظاهر » ليشمل ما لا يطابق اعتقاده مما يطابق الواقع وما لا يطابقه ، فهى أربعة أضرب :

أحدها ما يطابق الواقع واعتقاده ، كقول المؤمن « أنبت الله البقل ، وشفى الله المريض » .

والثانى ما يطابق الواقع دون اعتقاده ، كقول المُعْتَزِلىِّ لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه(٢) : « خالق الأفعال كلها هو الله تعالى » .

والثالث ما يطابق اعتقاده دون الواقع ، كقول الجاهل « شفى الطبيب المريض » معتقداً شفاء المريض من الطبيب ، ومنه قوله تعالى حكاية عن بعض الكفار : ﴿ وما يُهْلِكنا إلا الدَّهرُ ﴾(٣) ولا يجوز أن يكون مجازاً ، والإنكارُ عليهم من جهة ظاهر اللفظ ، لما فيه من إيهام الخطأ(٤) بدليل(٥) قوله تعالى عقيبه : ﴿ وما لهُمْ بذلكَ مِنْ علم ، إنْ هُمْ إلا يظنُّونَ ﴾ والمُتجوِّزُ المخطىء فى العبارة لا يُوصَفُ بالظن ، وإنما الظان من يعتقد أن الأمر على ما قاله .

والرابع ما لا يطابق شيئا منهما ، كالأقوال الكاذبة التى يكون القائل عالما بحالها دون المخاطب(٦) .

---

(١) مثلهما اسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظروف ، لأن المراد بالإسناد ما يشمل الإسناد على جهة المفعولية كما سبق ، فيدخل فى ذلك إسناد اسم المفعول كما يدخل فيه إسناد الفعل إلى المفعول .

(٢) لأن الإسناد فى قوله حينئذ يكون إلى ما هو له فى ظاهر حاله ، ولا يخفى أن الجملة هنا مركبة من مبتدإ وخبر ، ولكن يصدق عليها أن فيها إسناد معنى الفعل لما هو له .

(٣) آية ٢٤ — الجاثية .

(٤) هذا تعليل للإنكار عليهم مع كونه مجازاً فقوله « لما » متعلق بالإنكار

(٥) متعلق بقوله « ولا يجوز » .

(٦) قيل : إن الأقوال الكاذبة حقيقة عقلية ولو علم المخاطب بحالها ، لأن الفعل =

وأما المجـــاز فهو إسناد الفعل (١) أو معناه إلى مُلابس له (٢) غير ما هو له بتأوُّل (٣) .

والفعل (٤) مُلابَسات شتى : يلابس الفاعلَ، والمفعولَ به ، والمصدر ، والزمان والمكان ، والسبب (٥) .

فإسناده إلى الفاعل إذا كان مبنيا له حقيقةٌ ، كما مر ، وكذا إلى المفعول إذا كان مبنيا له (٦) . وقولنا « ما هو له » يشملهما .

وإسناده إلى غيرهما (٧) لمضاهاته (٨) لما هو له فى ملابسة الفعل مجاز ، كقولهم

= فيها مُسند إلى ما هو له بحسب وضع اللغة ، فهو بظاهره من شأنه أن يدل على ذلك وإن تخلفت الدلالة لمانع اعتقاد الكاذب ، وبهذا تنقسم الحقيقة العقلية إلى صادقة وكاذبة .

(١) المراد بالإسناد هنا أيضا ما يشمل الإيجابي والسلبي ، والثانى كقوله تعالى ﴿ فما ربحتْ تجارتُهم ﴾ - ى ١٦ س البقرة - وكذلك ما يشمل إسناده الفعل إلى الفاعل وإلى المفعول ، كما فى قولك : أجرى الله النهر .

(٢) يشير بهذا إلى أنه لابد فيه من العلاقة كسائر المجازات ، فالعلاقة هنا هى الملابسة ، أى ملابسة الفعل للفاعل المجازى من جهة وقوعه عليه أو فيه أو به أو نحو ذلك .

(٣) أى بقرينة صارفة عن إرادة الظاهر ، لأن التأول صرف اللفظ عن ظاهره إلى غيره ، فالمتبادر فى نحو « أنبت الربيع البقل » أن الإسناد فيه إلى ما هو له والقرينة تصرفه عن ظاهره .

(٤) مثله ما فى معناه بقرينة التعريف .

(٥) لم يذكر المفعول معه والحال ونحوهما لأن الفعل لا يسند إلى ذلك على سبيل المجاز العقلى . (٦) نحو أُنْبِتَ البقلُ .

(٧) هـذا يشمل إسناد ما هو للفاعل إلى المفعول به ، نحو « عيشة راضية » وإسناد ما هو للمفعول إلى الفاعل ، نحو « سيل مفعَم » .

(٨) يريد بالمضاهاة فى ذلك علاقة الملابسة السابقة ، ولا يريد ان العلاقة =

فى المفعول به[١] عيشة راضية ، وماءٌ دافق[٢] ، وفى عكسه : سيل مُفْعَم[٣] ، وفى المصدر : شِعْرٌ شاعر[٤] وفى الزمان : نهارُهُ صائم ، وليله قائم[٥] ، وفى المكان : طريق سائر ، ونهر جارٍ[٦]. وفى السبب : بنى الأمير المدينة ـ وقال :

= فى ذلك المشابهة لأن المشابهة علاقة المجاز بالاستعارة لا المجاز العقلى، وقيل : إن العلاقة هنا المشابهة فى الملابسة ، وهو تكلف يأباه أسلوب المجاز العقلى ، لأنه لا يلاحظ فيه ذلك أصلا ، على أن علاقة المشابهة لا تكفى فيها هذه الملابسة .

(١) أى فى إسناد ما هو للفاعل إلى المفعول به ، والعلاقة فيه الملابسة بالمفعولية .

(٢) منه أيضا قول الشاعر :

دَعِ المكارم لا ترحلْ لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

يريد المطعوم المكسوّ ، والأصل فى ذلك : راض صاحبها ، ودافق ماؤه ، وطاعم وكاس : طاعمه وكاسيه .

(٣) منه أيضا قوله تعالى ﴿ إنه كان وعده مأتيا ﴾ ـ ى ـ ٦١ ـ س مريم أى آتيا ، والعلاقة فيه الملابسة بالفاعلية ، والأصل مفعم واديه ، ومأتى مضمونه .

(٤) منه أيضا قول الشاعر :

سيذكرنى قومى إذا جدّ جِدُّهم وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

والأصل ـ فى ذلك ـ شعر شاعر صاحبه وجدّ صاحب جدهم ، والعلاقة فيه الملابسة بالمصدرية .

(٥) منه أيضا قوله تعالى ﴿ فذلك يومئذٍ يومٌ عسير ﴾ ـ ى ٩ ـ س المدثر والعلاقة فيه الملابسة بالزمانية ، والأصل صائم الصائم فيه الخ .

(٦) العلاقة فيه الملابسة بالمكانية ، والأصل ـ سائر السائر فيه ... إلخ .

إذا رَدَّ عافى القِدْرِ مَنْ يستعيرها(١)

وقولنا « بتأول » يخرج نحو قول الجاهل « شفى الطبيب المريض » فإنْ إسناده الشفاء إلى الطبيب ليس بتأول ، ولهذا لم يُحْمَلْ نحو قول الشاعر الحماسى :

أشابَ الصغيرَ وأفنَى الكبيـ ـرَ كَرُّ الغداةِ ومرُّ العَشِى(٢)

على المجاز ما لم يُعلَمْ أو يُظَنّ أن قائله لم يُرِدْ ظاهره(٣) ، كما استُدِلَّ على أن إسناد « ميّز » إلى جذب الليالى فى قول أبى النجم :

قد أصبحتْ أمُّ الخيارِ تدّعى عليَّ ذنبـاً كلّه لم أصنعِ

---

(١) هو لعوف بن الأحوص من قوله :

فلا تسألينى واسألى عن خليقتى إذا رد عافى القدر من يستعيرها

وقد نسب فى «أساس البلاغة» للكميت ، والعلاقة فى ذلك الملابسة بالسببية ، والأصل : بنى البنّاء المدينة بسببه ورد المعير القدر بسببه . وعافى القدر : المرق الذى يبقى فيها فيكون سبباً فى رد المستعير لها ، فإسناد الرد إلى عافى القدر من الإسناد إلى السبب ، وهذا كناية عن كَلَب الزمان وكونه يمنع إعارة القدر لتلك البقية ، وقيل : إن عافى القدر هو الضيف ، والمعنى أن المستعير يراه والقدر منصوبة له فلا يطلبها . وقيل : إن البيت لعبيد بن الأبرص . وقيل : إنه لمضرس الأسدى .

(٢) هو لقُثَم بن خَبِيئة المعروف بالصلتان العَبْدى ، وقيل : إنه للصلتان الضبى ، والغداة : أول النهار ، وكرها : رجوعها بعد ذهابها . والعشى أول الليل .

(٣) جاء فى قصيدة الصلتان ما يدل على أنه لم يرد بذلك الإسناد ظاهره ، وهو قوله :

فملّتنا أننا مسلمونَ على دين صِدّيقنا والنبى

مَن أن رأتْ رأسي كرأس الأصلع مُيِّزَ عنه قُنْزُعاً عَنْ قُنزُع

جَذْبُ الليالي أبطئي أو أسرعي(١)

مجاز بقوله عقيبه:

أفناهُ قيلُ الله للشمس اطلعي حتى إذا وَاراكِ أفْقٌ فارجعي(٢)

وسمى الإسنادَ في هذين القسمين من الكلام عقلياً لاستناده إلى العقل دون الوضع، لأن إسناد الكلمة إلى الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة، فلا يصير «ضَرَبَ» خبراً عن «زيد» بواضع اللغة، بل بمن قصد إثبات الضرب فعلاً له. وإنما الذي يعود إلى واضع اللغة أن «ضَرَبَ» لإثبات الضرب، لا لإثبات الخروج، وأنه لإثباته في زمان ماض، وليس لإثباته في زمان مستقبل، فأما تعيين مَن ثبت له فإنما يتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين، ولو كان لغوياً لكان حكمنا بأنه مجاز في مثل قولنا «خطّ أحسنُ مما وشّى الربيع» من جهة أن الفعل لا يصح إلا من الحي القادر(٣) حكماً بأن اللغة هي التي أوجبت أن يختص بالحي القادر دون الجماد، وذلك مما لا يُشك في بطلانه(٤).

---

(١) هو الفضل بن قدامة المعروف بأبي النجم، والقنزع: الشَّعرُ المجتمع في نواحي الرأس، و ـ عن ـ الثانية بمعنى بعد، والأصلع الذي سقط شعر مقدم رأسه، وجملتا ـ أبطئي أو أسرعي ـ حال من الليالي على تقدير القول، أي مقولا فيها، ذلك بالنظر الى اختلاف أحوالها في المسرة والمساءة.

(٢) فقد أسند فيه إفناء شعر الرأس الى الله، فدل على أن إسناده قبله إلى الليالي مجاز، وقيلُ اللهِ: قوله، وواراك ـ بمعنى غيبك وسترك.

(٣) أي لا من الربيع.

(٤) يقصد بهذا الرد على قول بعضهم إن الإسناد في هذين القسمين لغوي لا عقلي. وقيل: إن جرينا على أن المركبات موضوعة فهو لغوي، وإن لم نجر على هذا فهو عقلي، وهذا خلاف لا طائل تحته.

وقال السكاكي(١) : الحقيقة العقلية هي الكلام المُفَادُ به ما عند المتكلم من الحكم فيه ، قال : وإنما قلتُ « ما عند المتكلم » دون أن أقول « ما عند العقل »(٢) ليتناول كلام الجاهل إذا قال « شفى الطبيب المريض » رائيا شفاء المريض من الطبيب ، حيث عدّ منه حقيقة مع أنه غير مفيد لما في العقل من الحكم فيه(٣) وفيه نظر ؛ لأنه غير مُطَّرِد ، لصدقه على ما لم يكن المُسْنَدُ فيه فعلا ولا متصلا به(٤) ، كقولنا « الإنسان حيوان » مع أنه لا يسمى حقيقة ولا مجازا(٥)

---

(١) ٢١١ — المفتاح .

(٢) أي كما قال عبد القاهر .

(٣) لأن العقل يرى إسناد ذلك إلى الله لا إلى الطبيب .

(٤) المتصل بالفعل هو اسم الفاعل ونحوه .

(٥) الحق أنه لا معنى للاعتراض بهذا على السكاكي، لأنه يرى أن الحقيقة والمجاز العقليين يجريان في كل اسناد ، ولا يخصهما بما خصه به الخطيب ، على أن الخطيب قد ذكر في المجاز العقلي أمثلة مركبة من مبتدإ أو خبر ، مثل — نهاره صائم — ولا ينفع في الجواب عنه أن المجاز عنده في اسناد الخبر الى ضمير المبتدأ لأن هذا الاسناد غير مقصود في الكلام ، وانما المقصود الاسناد الى المبتدأ، على أنه قد ذكر من أمثلة الحقيقة العقلية فيما سبق — خالق الأفعال كلها هو الله — وهذا الجواب لا يأتي فيه ، وقد ذكر عبد القاهر من المجاز العقلي قول الخنساء :

تَرْتَعُ ما رتعتْ حتى إذا ادّكرَتْ فإنما هِيَ إقبالٌ وإدبارُ

وهذا مبتدأ وخبر، وانما جعله مجازاً لأن كلا من الاقبال والأدبار لم يحمل على الناقة حمل مواطأة وان كان وصفاً لها.وعبد القاهر حجة في هذا الفن . وقد قيل: انه مجاز مرسل من اطلاق الصفة وارادة الموصوف ، وقيل : انه على حذف مضاف تقديره : ذات اقبال، والحق أنه لا داعي الى هذا التكلف،لأنها تقصد المبالغة بالإخبار بالمصدر من غير تأويل أو حذف ، ويمكن أن يؤخذ من اقتصار الخطيب على

ولا منعكس لخروج ما يطابق الواقع دون اعتقاد المتكلم وما لا يطابق شيئاً منهما منه مع كونهما حقيقتين عقليتين كما سبق(١) .

وقال(٢) : « المجاز العقلى هو الكلام المُفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأول إفادة للخلاف لا بواسطة وضع ، كقولك « أنبت الربيع البقل ، وشفى الطبيب المريض ، وكسا الخليفة الكعبة » . قال : وإنما قلت « خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه » دون أن أقول « خلاف ما عند العقل » لئلا يمتنع طردُه بما إذا قال الدَّهرى(٣) عن اعتقاد جهل ، أو جاهلٌ غيره « أنبت الربيع البقل » رائيا إنباته من الربيع ، فإنه لا يسمى كلامه ذلك مجازا وإن كان بخلاف العقل فى نفس الأمر ، واحتج ببيت الحماسة(٤) وقول أبى النجم على ما تقدم . ثم قال : ولئلا يمتنع عكسه بمثل « كسا الخليفة الكعبة ، وهزم الأمير الجند » فليس فى العقل امتناع أن يكسو الخليفةُ نفسُه الكعبة ، ولا أن يهزم الأمير وحده الجند ، ولا يقدح ذلك فى كونهما من المجاز العقلى ، وإنما قلت « لضرب من التأول » ليُحترَز به عن الكذب ، فإنه لا يسمى مجازاً مع كونه كلاما مفيداً خلاف ما عند المتكلم ، وإنما قلت « إفادة للخلاف لا بواسطة وضع » ليحترز به عن المجاز اللغوى فى صورة ، وهى إذا ادُّعِىَ أن « أنبت » موضوع لاستعماله فى القادر المختار أو وُضِعَ لذلك(٥) . وفيه نظر ؛ لأنا لا نُسلّم بطلان

= الاعتراض بمثل — الإنسان حيوان — أن الذى لا يسمى عنده حقيقة ولا مجازاً هو الذى يكون الخبر فيه جامداً لا فعلا أو فى معناه ، ولكنهم قالوا : إن مذهبه أعم من ذلك .

(١) لأنهما دخلا فى تعريفه لها بزيادته قيد « فى الظاهر » وقد أهمله السكاكى .

(٢) ٢٠٨ — المفتاح . (٣) هو من ينسب الأفعال إلى الدهر .

(٤) هو بيت الصلتان العبدى السابق .

(٥) الفرق بين الأمرين أن « أنبت » على الأول موضوع لإخراج النبات =

طرده بما ذكر، لخرجه بقوله «لضرب من التأول»، ولا بطلان عكسه بما ذكر، إذ المراد بخلاف ما عند العقل خلاف ما في نفس الأمر(١)، وفي كلام الشيخ عبد القاهر(٢) إشارة إلى ذلك، حيث عرّف الحقيقة العقلية بقوله: كلُّ جملة وَضَعْتَها على أن الحكم المُفَاد بها على ما هو عليه في العقل واقعٌ موقعه، فإن قوله «واقع موقعه» معناه في نفس الأمر، وهو بيان لما قبله(٣). وكذا في كلام الزمخشري، حيث عرّفَ المجاز العقلي بقوله: «وأن يُسْنَدَ الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له»، فإن قوله «في الحقيقة» معناه في نفس الأمر، ونحو «كسا الخليفة الكعبة» إذا كان الإسناد فيه مجازا كذلك. ثم القول بأن الفعل موضوع لاستعماله في القادر ضعيف، وهو معترف بضعفه، وقد رَدَّهُ في كتابه بوجوه: منها أن وضع الفعل لاستعماله في القادر قيد لم يُنقل عن واحد من رُوَاة اللغة، وترك القيد دليل في العُرف على الإطلاق، فقوله «إفادة الخلاف لا بواسطة وضع» لا حاجة إليه، وإن ذُكِرَ فينبغي ألا يذكرَ بعد ذكر الحد على المذهب المختار، على أن تمثيله بقول الجاهل «أنبت الربيع البقل» ينافي هذا الاحتراز(٤).

= مطلقا، ولكنه لا يستعمل إلا في القادر المختار، وعلى الثاني يكون موضوعا لإخراج القادر المختار النبات.

(١) فلا يخرج نحو «هزم الأمير الجند» لأنه خلاف ما في نفس الأمر، لأن الذي هزم الجند جيشه.

(٢) ٤٢٩ — أسرار البلاغة — مطبعة الاستقامة.

(٣) يعني قوله «على ما هو عليه في العقل» وهو جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر «أن» قبله، وهذا بيان له.

(٤) لأنه لا يتفق ودعوى أن «أنبت» لا يستعمل إلا في القادر المختار، إذ لو صح هذا يكون مجازا لا حقيقة لإسناد الإنبات فيه إلى الربيع، وهو ليس بقادر مختار، هذا=

تنبيـــه

قد تبين مما ذكرنا أن المسمّى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلى على ما ذكره السكاكى هو الكلام ، لا الإسناد(١) . وهذا يوافق ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر فى مواضع من « دلائل الإعجاز(٢)» وعلى ماذكرناه هو الاسناد لا الكلام ، وهذا ظاهر ما نقله الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله عن الشيخ عبد القاهر ، وهو قول الزمخشرىّ فى « الكشاف » وقول غيره ، وإنما اخترناه لأن نسبة المسمّى حقيقة أو مجازاً إلى العقل على هذا لنفسه بلا وساطة شىء ، وعلى الأول لاشتماله على ما ينتسب إلى العقل : أعنى الإسناد .

أقسام المجاز العقلى : ثم المجاز العقلى باعتبار طرفيه ، أعنى ـ المسند والمسند إليه ـ أربعة أقسام لا غير :

لأنهما إمّا حقيقتان(٣) كقولنا « أنبت الربيع البقل » وعليه قوله :

* فنامَ ليلى وتجلّى همّى(٤) *

= وقد أطال الخطيب هنا فى الرد على السكاكى بما لا يحتمله علم البلاغة .

(١) قيل إنّ السكاكى يرى أن المسمى بهما هو الاسناد ، لأنه فى جميع الباب يقول « إسنادٌ حقيقة وإسنادٌ مجاز » وما فى تعريفه لهما يمكن حمله على التساهل فى العبارة .

(٢) من هذا تعريفه الحقيقة العقلية والمجاز العقلى بأنهما كل جملة . . . الخ . . . كما سبق فى تعريفه . ويمكن حمل كلامه فى هذا على التساهل أيضاً لتصريحه فى عدة مواضع بأنهما وصفان للاسناد .

(٣) أى لغويتان .

(٤) هو لرُؤبة بن العجّاج ، وقبله :

يارَبُّ قــــد فرّجت عنى غمى قد كنتُ ذا همٍ وَرَاعى نجْمٍ =

وقوله : * وشيَّبَ أيامُ الفراقِ مَفارِقى(1) *

وقوله : * ونمتُ وما ليلُ المطى بنائم(2) *

وإما مجازان(3) كقولنا « أحيَا الأرضَ شبابُ الزمان »(4).

وإما مختلفان : كقولنا « أنبت البقل شباب الزمان » وكقولنا « أحيا الأرض الربيع » ، وعليه قول الرجل لصاحبه : « أحيتنى رؤيتك » أى آنستنى وسرّتنى ، فقد جعل الحاصل بالرؤية من الأنس والمسرة حياة ، ثم جعل الرؤية فاعلة له ، ومثله قول أبى الطيب :

وتحيى له المالَ الصوارمُ والقنا ... ويقتل ما تحيى التبسُّمُ والجدا(5)

= وقوله — تجلى — بمعنى انكشف ، والشاهد فى قوله — نام ليلى .

(1) قيل إنه لجرير من قوله :

وشيَّبَ أيامُ الفراق مَفارِقى ... وأنشزْنَ نفسى فوق حيثُ تكونُ

ولكنه لا يوجد فى ديوانه ، وقوله « أنشزن » بمعنى رفعن ، وقوله « تكون » مأخوذ من كان التامة ، والمعنى أيام الفراق رفعت نفسه عن مكانها فى الجسم وبلغت بها الحلقوم ، والشاهد فى قوله « وشيب أيام الفراق » .

(2) هو لجرير من قوله :

لقدْ لمتِنى يا أمَّ غيلان فى السُّرى ... ونمتُ وما ليلُ المطى بنائم

وأم غيلان ابنته ، والسرى السير ليلا ، والشاهد فى قوله « وما ليل المطى بنائم » والمعنى أنه لا يقطع السير بالليل ولا ينام .

(3) أى لغويان . (4) فإحياء الأرض مجاز عن خصبها ، وشباب الزمان مجاز عن الربيع ، وفى اجتماع المجاز اللغوى والمجاز العقلى طرافة تجعل لذلك التقسيم فائدة .

(5) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى من قصيدة له فى مدح سيف الدولة ، والصوارم : السيوف القاطعة ، والقنا : الرماح ، واحدها قناة ، والجدا : العطاء .

جعل الزيادة والوفور حياة المال، وتفريقه في العطاء قتلا له، ثم أثبت الإحياء فعلا للصوارم، والقتل فعلا للتبسم، مع أن الفعل لا يصح منهما، ونحوه قولهم « أهلك الناسَ الدينارُ والدرهم » جعلت الفتنة إهلاكا، ثم أثبت الإهلاك فعلا للدينار والدرهم.

وقوعه في القرآن: وهو في القرآن كثير(١) كقوله(٢) تعالى ﴿ وإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ نسبت الزيادة التي هي فعل الله إلى الآيات لكونها سببا فيها، وكذا قوله(٣) تعالى: ﴿ وَذَلِكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ ومن هذا الضرب قوله: ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ (٤) ﴾ فالفاعل غيره ونسب الفعل إليه لكونه الآمر به، وكقوله: ﴿ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا(٥) ﴾ نسب النزع الذي هو فعل الله تعالى إلى إبليس، لأن سببه أكل الشجرة، وسبب أكلها وسوسته ومقاسمته إياها إنه لهما لمن الناصحين، وكذا قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ(٦) ﴾ نسب الإحلال الذي هو فعل الله إلى أكابرهم، لأن سببه كفرهم، وسبب كفرهم أمر أكابرهم إياهم بالكفر، وكقوله(٧) تعالى: ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ

---

(١) يريد بالنص على وجود المجاز العقلي في القرآن الرد على من ينكر وجود المجاز مطلقا في القرآن، لأنه يوهم الكذب، والقرآن منزه عنه، ورد بأنه لا إيهام مع وجود القرينة.

(٢) آية ٢ سورة الأنفال.

(٣) آية ٢٣ سورة فصلت.

(٤) آية ٤ سورة القصص.

(٥) آية ٢٧ سورة الأعراف.

(٦) آية ٢٨ سورة إبراهيم.

(٧) آية ١٧ سورة المزمل.

الولدانَ شيبا ﴾ نُسبَ الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه ، كقولهم « نهارُه ، صائم » وكقوله[1] تعالى : ﴿ وأخرجتِ الأرض أثقالها ﴾ .

وهو غير مختص بالخبر[2] بل يجرى فى الإنشاء كقوله[3] تعالى : ﴿ إذ قال فرعونُ يا هامانُ ابن لى صرحاً ﴾ وقوله : ﴿ فأوقدْ لى ياهامانُ على الطين فاجعلْ لى صرحاً ﴾[4] وقوله : ﴿ فلا يُخرجنكما من الجنّة فتشقى ﴾[5] .

قسيم قرينته : ولا بُدّ له من قرينة : إما لفظية ، كما سبق فى قول أبى النجم ، أو غير لفظية كاستحالة صدور المسند من المسند إليه المذكور[6] ، أو قيامه به[7] عقلا ، كقولك « محبتك جاءت بى إليك[8] . أو عادة ، كقولك

---

(١) آية ٢ سورة الزلزلة فقد نسب فيه الإخراج إلى مكانه وهو الأرض مع أن الله هو المخرج للدفائن وهى الموتى. وقيل إن الإسناد للمفعول لأنه على تقدير — من — أى أخرج الله من الأرض .

(٢) مثله الحقيقة العقلية كما سبق .

(٣) آية ٣٦ سورة غافر والشاهد فى نسبة البناء لهامان ، وليس هو الذى يفعله ، وإنما يأمر به ، لأنه كان وزيراً لفرعون ، فيكون من الإسناد للسبب . والمجاز العقلى يجرى أيضا فى كل أنواع الإنشاء مع ملابسات الفعل السابقة .

(٤) آية ٣٨ سورة القصص والشاهد فى نسبة الإيقاد لهامان لأنه بسببه .

(٥) آية ١١٧ سورة طه والشاهد فى نسبة الاخراج لإبليس لأنه بسببه .

(٦) أى فى الكلام وهو المسند إليه المجازى ، لأنه هو الذى يذكر فى المجاز العقلى .

(٧) هذا معطوف على قوله « صدور » لأن الصدور الحدوث ، والقيام الاتصاف ، والأول مثل — ضربَ — والثانى مثل — قربَ وبعُد .

(٨) لظهور استحالة قيام المجيء بالمحبة ، وهذا إنما يجرى على مذهب المبرد =

« هزم الأمير الجند » وكسا الخليفة الكعبة » و« بنى الوزير القصر » . وكصدور الكلام(١) من المُوَحِّد(٢) فى مثل قوله(٣) : « أشاب الصغير » ... البيت .

دقة مسلكه : واعلم أنه ليس كل شىء يصلح لأن تتعاطى فيه المجاز العقلى بسهولة ، بل تجدك فى كثير من الأمر تحتاج إلى أن تهيىء الشىء وتصلحه له بشىء تتوخاهُ فى النظم ، كقول من يصف جملا :

تجوبُ له الظلماء عينٌ كأنها زجاجةُ شرب غير ملأى ولا صفْرِ(٤)

يريد أنه يهتدى بنور عينه فى الظلماء ، ويمكنه بها أن يخرقها ويمضى فيها ، ولولاها لكانت الظلماء كالسد الذى لا يجد السائر شيئاً يفرجه به ، ويجعل لنفسه فيه سبيلا ، فلولا أنه قال « تجوب له » فعلق « له » لما تبين جهة التجوز

= فى باء التعدية ، فهى تقضى عنده بمشاركة الفاعل للمفعول فى الفعل ، وهى عند سيبويه بمعنى همزة النقل فى نحو « أذهبت زيداً » أى جعلته ذاهبا ، فتكون المحبة عنده حاملة فقط على المجىء ، وليس فى هذا مجاز عقلى .

(١) عطف على « كاستحالة » .

(٢) المراد به الموحد الكامل بخلاف المعتزلة ، والقرينة هنا حالية ، وإنما لم يكن هذا من الاستحالة العقلية ، لأن المراد بها الاستحالة الضرورية التى لا خلاف فيها ، وما هنا محل خلاف بين المؤمن والدهرىّ ، والمعتزلة من الموحدين يقولون بتأثير الأسباب العادية ، فلا يكون الاسناد إليها مجازاً عندهم .

(٣) أى الصلتان العبدى فيما سبق .

(٤) لا يعلم قائله ، وقبله :

تناسَ طلاب العامرية إذ نأتْ بأسجح مرقال الضحى قلق الضفر
إذا ما أحسته الأفاعى تحيزت شواة الأفاعى من مكلمة سمر

والشرب جمع شارب ، والصفر الخالية ، والمجاز فى إسناد « تجوب » إلى العين ، وإنما قيد الزجاجة بكونها غير ملأى ولا صفر؛ لأن العين إنما تشبهها فى هذه الحالة.

فى جعل الجوب فعلا للعين كما ينبغى ، لأنه لم يكن حينئذ فى الكلام دليل على أن اهتداء صاحبها فى الظلماء ومضيه فيها بنورها ، وكذلك لو قال « تجوب له الظلماء عينه » لم يكن له هذا الموقع ، ولانقطع السلك من حيث كان يعيبه حينئذ أن يصف العين بما وصفها به[1] .

الخلاف فى استلزامه الحقيقة : واعلم أن الفعل المبنى للفاعل فى المجاز العقلى واجب أن يكون له فاعل فى التقدير ، إذا أسند إليه صار الإسناد حقيقة ، لما يشعر بذلك تعريفه بما سبق[2] ، وذلك قد يكون ظاهراً ، كما فى قوله[3] تعالى : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ أى فما ربحوا فى تجارتهم ، وقد يكون خفياً لا يظهر إلا بعد نظر وتأمل ، كما فى قولك « سرتنى رؤيتك » أى سرنى الله وقت رؤيتك ، كما تقول أصل الحكم فى « أنبت الربيع البقل » أنبت الله البقل وقت الربيع ، وفى « شفى الطبيب المريض » شفى الله المريض عند علاج الطبيب ، وكما فى قولك « أقدمنى بلدك حق لى على فلان » أى أقدمتنى نفسى بلدك لأجل حق لى على فلان ، أى قدمت لذلك ، ونظيره « محبتك جاءت بى إليك » أى جاءت بى نفسى إليك لمحبتك : أى جئتك لمحبتك ، وإنما قلنا : إن الحكم فيهما مجاز لأن الفعلين فيهما مسندان إلى الداعى[4] والداعى لا يكون فاعلا ، وكما فى قول الشاعر :

---

(١) لأن تنكيرها هو الذى هيأ له وصفها به .

(٢) يرد بهذا على ما يفيده ظاهر كلام عبد القاهر من أن الفعل المبنى للفاعل فى المجاز العقلى لا يجب أن يكون له فاعل حقيقى ، كما فى قولك — سرتنى رؤيتك — والخلاف فى هذا لا ثمرة له ولا يصح الاشتغال به فى علم البلاغة ، ولا يريد عبد القاهر إلا أن العرف فى مثل هذا لم يجر بإسناد الفعل إلى الفاعل الحقيقى ، فلا يقال فيه : سرنى الله عند رؤيتك .

(٣) آية ١٦ س البقرة .

(٤) يعنى الداعى إلى الفعل وهو السبب .

وصيّرني هــواكِ وبي لِحَيْني يُضربُ المثلُ(١)

أي وصيرني الله لهواك وحالي هذه ، أي أهلكني الله ابتلاء بسبب هواك .

وكما في قول الآخر وهو أبو نُواس :

يزيدك وجهــه حُسناً إذا ما زدته نظراً(٢)

أي يزيدك الله حسناً في وجهه لما أودعهُ من دقائق الجمــال متى تأملت .

إنكار السكاكي له : وأنكر السكاكي(٣) وجود المجــاز العقلي في الكلام(٤)

---

(١) هو — كما في الأغاني لأبي عبد الله محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، وقيل : إنه لابن البواب ، وقبله :

أتيتك عائذاً بك منـ ـك لمّا ضاقت الحيلُ

وبعده :

فإن ظفرت بكم نفسي فما لاقيتــه جللُ
وإن قتل الهوى رجلا فإني ذلك الرجلُ

والحين في الأصل الهلاك ، استعير لما وصل إليه من سوء الحال في هواه .

(٢) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبي نواس . والمراد بالحسن حسن الوجه وجماله وليس المراد به استحسان الناظر إليه . ورواية الديوان :

وجوهر عنــدنا تحكي بدارة وجهها القمرا
يزيدك وجهها حسنا إذا ما زدته نظرا

وقيل إن البيت لابن المعدل ، وقبله :

لعتبة صفحتا قمر يفوق سناهما القمرا

يريد وجهها .

(٣) ٢١٢ — المفتاح .

(٤) ذهب ابن الحاجب أيضاً إلى أن المجاز في لفظ « أنبت » مثلا من قولك « أنبت الربيع البقل » وهو يوافق السكاكي في إنكار المجاز العقلي =

وقال : « الذى عندى نظمُهُ فى سلك الاستعارة بالكناية ، بجعل الربيع استعارةً بالكناية عن الفاعل الحقيقى[1] بواسطة المبالغة فى التشبيه ، على ما عليه مبنى الاستعارة ، كما سيأتى . وجعلُ نسبة الإنبات إليـــه قرينة للاستعارة وبجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم ، وجعل نسبة الهزم إليـه قرينة للاستعارة » . وفيما ذهب إليه نظر ؛ لأنه يستلزم أن يكون المراد بعيشة فى قوله[2] تعالى : ﴿ فهُـو فى عيشة راضية ﴾ صاحب العيشة لا العيشة[3] وبما فى قوله : ﴿ خُلق من ماء دافق ﴾[4] فاعل الدفق لا المنى[5]

= وذهب الفخر الرازى إلى إنكاره أيضا ، ولـكنه يحمل نحو « أنبت الربيع البقل » على أنه تمثيل يورد ليتصور معناه وينتقل الذهن منه إلى إنبات الله تعالى ، فلا مجاز عنده فى الإسناد ولا فى طرفيه ، وذهب سيبويه إلى أنه من التوسع فى الكلام فيحتاج فيه إلى التأويل فقط ، كما يؤول ـــ نام ليلى ـــ بأنه على تقدير نمت فى ليلى ؛ فجملة المذاهب فى ذلك خمسة ، والخلاف بينهم فيها مما لا يصح الاشتغال به فى هذا العلم ، وأقربها إلى أسلوب اللغة جعل التجوز فى الإسناد ، كما ذهب إليه الخطيب ، وهو مذهب عبد القاهر إمام هذا الفن ، لأنه لا تكلف فيه كغيره من المذاهب .

(١) هو الله تعالى ، وإنما لم يصرح به ليبتعد عن سوء الأدب فى التشبيه من اللفظ وما كان أغنى السكاكى عن ذلك المذهب الذى يحوج إلى هذا التكلف .

(٢) آية ٢١ س الحاقة .

(٣) وجه اللزوم أن ضمير ـــ راضية ـــ يعود إلى عيشة ، فيلزم أن يكونا بمعنى واحد ، ووجه بطلان اللازم ما فيه من ظرفية الشىء فى نفسه .

(٤) آية ٦ س الطارق .

(٥) لأن ضمير « دافق » يعود إلى ماء ، فيلزم أن يكونا بمعنى واحد ، ووجه بطلان اللازم ما فيه من إثبات خلق الإنسان من نفسه .

لما سيأتى من تفسيره للاستعارة بالكناية(١) . ولا تصح الإضافة فى نحو قولهم « فلانٌ نهارهُ صائمٌ وليله قائم » لأن المراد بالنهار على هذا فلانٌ نفسهُ ، وإضافة الشيء إلى نفسه لا تصح . وألا يكون الأمر بالإيقاد على الطين فى إحدى الآيتين(٢) وبالبناء فيهما لهامان(٣) مع أن النداء له(٤) . وأن يتوقف جواز التركيب فى نحو قولهم « أنبت الربيع البقل ، وسرتنى رؤيتك » على الإذن الشرعى ، لأن أسماء الله تعالى توقيفية ، وكل ذلك منتف ظاهر الانتفاء ، ثم ما ذكره منقوض بنحو قولهم « فلان نهاره صائم » فإن الإسناد فيـــه مجاز ، ولا يجوز أن يكون النهار استعارة بالكناية عن فلان ، لأن ذكر طرفى التشبيه يمنع من حمل الكلام على الاستعارة ، ويوجب حمله على التشبيه ، ولهذا عدّ نحو قولهم « رأيت بفلان أسداً ، ولقينى منه أسد » تشبيها لا استعارة ، كما صرح السكاكى أيضاً بذلك فى كتابه(٥) .

تنبيـــه

سبب إيراد الحقيقة والمجاز العقليين فى علم المعانى : إنما لم نورد الكلام فى الحقيقة والمجاز العقليين فى علم البيان كما فعل السكاكى ومن تبعه ، لدخوله

---

(١) ما سيأتى هو أن مبناها عنده على دعوى أن المشبَّه فرد من أفراد المشبه به .

(٢) أى السابقتين وهما : ﴿ يا هامانُ ابْنِ لى صرحاً ﴾ ﴿ فأوْقِدْ لى يا هامانُ على الطين فاجعلْ لى صرحا ﴾ آية ٣٦ و ٣٧ سورة غافر .

(٣) بل يكون للعملة الذين يُشبه هامانُ بهم .

(٤) فيكون الأمر له لئلا يلزم تعدد المخاطب فى كلام واحد .

(٥) أجاب أصحاب الحواشى عن السكاكى بأجوبة أعرضنا عنها ؛ لأنه لا يصح التطويل بها فى علم البلاغة ، والحق أن المجاز العقلى طريقه غير طريق الاستعارة بالكناية ، لأنها تقوم على علاقة المشابهة كغيرها من الاستعارات ، بخلافه ، فلا يصح حمله عليها .

في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان(١) .

---

(١) بيان ذلك أن الحقيقة والمجاز العقليين حالان من أحوال اللفظ ، وأنه يؤتى بهما لأحوال تقتضيهما ، لأن ملابسات الفعل السابقة تقتضى الإتيان بالمجاز العقلى عند قصد المبالغة ، وعدمها يقتضى الإتيان بالحقيقة العقلية ، وبهذا يدخلان فى تعريف علم المعانى ، وإنما لم يدخلا فى تعريف علم البيان لأنهما ليسا من أحوال الدلالة ، وقد اعترض على هذا بأن الحقيقة والمجاز اللغويين حالان من أحوال اللفظ أيضا وكل منهما له أحوال تقتضيه كالحقيقة والمجاز العقليين ، وقد ذكرهما الخطيب كغيره فى علم البيان ، فإذا أجيب بأنهما من أحوال الدلالة فيدخلان فى علم البيان، قيل : إنه يمكن جعل الحقيقة والمجاز العقليين من أحوال الدلالة أيضا ، لأن إنبات البقل مثلا يمكن أن يدل عليه بقولنا « أنبت الله البقل » على طريق الحقيقة ، وبقولنا « أنبت الربيع البقل » على طريق المجاز ، وهكذا ، ولكن هذا يتوقف على دخول دلالة الحقيقة فى طرق الدلالة المذكورة فى تعريف علم البيان .

تمرينات على الحقيقة والمجاز العقليين

تمرين — ١

بين الحقيقة والمجاز العقليين والأحوال الداعية إليهما فيما يأتى :

(١) فدعها وسل الهمّ عنها بجسرةٍ ذمول إذا صام النهار وهجّرا

(٢) إنى لمن معشر أفنى أوائلهم قيلُ الكماة ألا أين المحامونا

(٣) إن المنبتّ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى .

(٤) قوله تعالى : ﴿ والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها إنّ فى ذلك لآيةً لقومٍ يسمعون ﴾ آية ٦٥ سورة النحل .

تمرين — ٢

بين نوع الملابسة فيما يأتى من المجاز العقلى :

(١) هى الأمور كما شاهدتها دولٌ من سرّه زمنٌ ساءته أزمانُ

(٢) وكل امرىءٍ يولى الجميل محبّبٌ وكل مكان ينبتُ العز طيبُ

(٣) قوله تعالى : ﴿ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ﴾ آية ٦٧ سورة يونس .

تمرين — ٣

(١) ما وجه من جعل الحقيقة والمجاز العقليين من علم المعانى ؟ ... وما وجه من جعلهما من علم البيان ؟ ... وهل لهذا الخلاف ثمرة فى البلاغة ؟

(٢) بين الخلاف فى كون الحقيقة والمجاز العقليين وصفين للكلام أو للإسناد ، وما هى ثمرة هذا الخلاف فى المقصود من علوم البلاغة ؟

القول فى أحوال المسند إليه

أغراض الحذف : أما حذفه فإمَّا لمجرَّدِ الاختصار(١) والاحتراز عن العبث بناءً (٢) على الظاهر ، وإما لذلك مع ضيق المقام(٣) ، وإما لتخييل(٤) أنَّ فى تركه تعويلا على شهادة العقل وفى ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، وكم بينَ الشهادتين ! . وإما لاختبار تنبُّهِ السامع عند القرينة(٥)

---

(١) الحذف هو حال المسند إليه ، وكذا ما سيأتى من الذكر والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير، ومجرد الاختصار وما عطف عليه هى الأحوال الداعية إلى الحذف ، وهذا يقال فى الحذف بما يأتى، وهذه الأحوال تسمى أغراضاً أيضا .

والاختصار غرض مُطَّرِد فى الحذف ، فتارة يكون وحده ، وتارة يكون مع غيره من أغراض الحذف ، وحذف المسند إليه يشمل حذف المبتدإ وحذف الفاعل مع إنابة المفعول عنه .

(٢) بناء : حال من العبث، أى حال كون العبث مَبنياً على الظاهر بأن تكون هناك قرينة تدل على المحذوف ، لأنه لا يصح حذفه من غير قرينة تدل عليه ، وظاهره أن الاختصار والاحتراز عن العبث غرضان لا ينفصل أحدهما عن الآخر .

(٣) ضيق المقام قد يكون بسبب شعر أو ضجر أو خوف فوات فرصة أو نحو ذلك .

(٤) إنما قال « تخييل » لأن الدال حقيقة عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرينة ، وهذه نكتة فلسفية أتى بها السكاكى فى أغراض الحذف وليست فى شىء من البلاغة العربية .

(٥) هذا كأن يزورك رجلان سبقت لأحدهما صحبة لك ، فتقول لمن معك : « وفى » ، تريد : الصاحب وفى .

أو مقدار تنبيهه(١) ، وإما لإيهام أن في تركه تطهيراً له عن لسانك أو تطهيراً للسانك عنه (٢) ، وإما ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مست إليه حاجة(٣) ، وإما لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة أو ادّعاء(٤) وإما لاعتبار آخر مناسب لا يهتدى إلى مثله إلا العقل السليم والطبع المستقيم(٥) .

---

(١) هذا كأن يزورك رجلان أحدهما أقدم صحبة من الآخر ، فتقول لمن معك « جدير بالإحسان » تريد الأقدم صحبة جدير بالإحسان ، والفرق بين هذا وما قبله أن اختيار مقدار التنبيه لا يكون إلا في القرائن الخفية . وهذا الغرض بقسميه من تكلفاتهم أيضاً .

(٢) قيل : إن لفظ « إيهام » هنا لا داعي إليه ، وكذلك لفظ « تخييل » فيما سبق ، لأن ذلك يقع حقيقة لا تخييلا ولا إيهاما ، والأول كقولك « خاتم الأنبياء » أي محمد ﷺ ، والثاني سيأتي في أمثلة الإيضاح .

(٣) هذا كقولك « فاجر » تريد رجلا معروفا ، فلا تذكره لتقول عند الحاجة ما أردته .

(٤) الأول كقوله تعالى : ﴿ عالمُ الغيبِ والشهادة ﴾ - آية ٩ س الرعد ، والثاني كقولك « وهابُ الألوف » تريد كريما لا تذكره ادعاء لتعينه وشهرته .

(٥) من ذلك تعجيل المسرة أو المساءة كقولك للسائل: « دينار» . ومنه المحافظة على وزن أو سجع ، كقولهم « من طابت سريرته حمدت سيرته » . فلو قيل « حمد الناس سيرته» لفات السجع ، وإني أرى أن هذا غرض يراعى من أجل محسن بديعي ، فلا يفوت بتركه إلا ذلك المحسن ، ولا يكون مقامه في البلاغة كغيره ، وقد ذكر بعضهم من أغراض الحذف اتباع الاستعمال الوارد على تركه ، كما في قولهم « رمية من غير رام » أو على ترك نظائره ، كالرفع على المدح أو الذم في النعت المقطوع ، واعترض عليه بأن الحذف في ذلك ليس لأغراض بلاغية ، وإنما يرجع إلى اقتضاء العربية له ، وأجيب بأن هذا الحذف مع وجوبه عربية لا يصار إليه إلا

كقول الشاعر :

قال لى : كيف أنت ؟ قلتُ عليلُ سهرٌ دائم وحزن طويلُ(١)

وقوله :

سأشكر عمراً إن تراخت منيّتى أيادى لم تُمنَنْ وإن هى جلّتِ
فتى غيرُ محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلّتِ(٢)

وقوله :

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم دُجى الليل حتى نظّم الجزعَ ثاقبُهْ
نجومُ سماءٍ كلما انقضّ كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوى إليه كواكبُهْ(٣)

= لغرض بلاغى يقتضيه ، وهو جواب ظاهر الضعف ، لأنه لا معنى لتوقف الحذف على الغرض البلاغى مع وجوبه فى ذاته ، إذ لا بد منه وجد هذا الغرض أو لم يوجد .

(١) لا يعلم قائله ، والشاهد فى قوله « عليل » لأن التقدير أنا عليل . وفى قوله « سهر دائم » لأن التقدير حالى سهر دائم ، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الضجر والشعر .

(٢) هما لعبد الله بن الزبير الأسدى فى مدح عمرو بن عثمان بن عفان ، وقيل إنهما لإبراهيم بن العباس الصولى ، وقيل غير هذا فى نسبتهما . وأيادى بدل اشتمال من عمرو ، والتقدير أيادى له ، وهى جمع أيدى بمعنى النعم ، وأيدى جمع يد ، وقوله « لم تمنن » معناه لم تقطع أو لم تخلط بمنّة ، وقوله « إذا النعل زلت » كناية عن نزول الشر ، وزلت بمعنى زلقت ، والشاهد فى قوله « فتى » لأن التقدير هو فتى ، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الشعر ، وقد قيل إنه لصون المحذوف عن لسان المادح ، وقيل إنه لادعاء تعينه ، وكلاهما ضعيف لأنه صرح باسمه قبله .

(٣) قيل : إنهما لحنظلة بن الشرقى المعروف بأبى الطمحان القينى =

وقول بعض العرب في ابن عم له موسر سأله فمنعه ، وقال : كم أعطيك مالي وأنت تنفقه فيما لا يعنيك ، والله لا أعطينك . فتركه حتى اجتمع القوم في ناديهم وهو فيهم ، فشكاه إلى القوم وذمّه ، فوثب إليه ابن عمه فلطمه ، فأنشأ يقول :

سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهه ... وليس إلى داعي النّدى بسريع

حريص على الدنيا مضيع لدينه ... وليس لما في بيته بمضيع(1)

وعليه قوله تعالى : ﴿ صمٌّ بكمٌ عميٌ ﴾(2) وقوله تعالى : ﴿ وما أدراكَ ماهيه ، نارٌ حاميه ﴾(3) ، وقيام القرينة شرط في الجميع(4) .

= وقيل : للقيط بن زرارة ، في مدح « بني لأم » من طيء وهو الصحيح وكان في أسر بجير بن أوس الطائي فأطلقه ، فمدحه بذلك ، والجزع : خرز فيه بياض وسواد ، والشاهد في قوله « نجوم سماء » لأن التقدير هم نجوم سماء ، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الشعر ، وقيل : إنه لصون المحذوف عن لسان المادح ، هذا وبعضهم يأخذ على البيت الأول ما فيه من المبالغة التي جاوزت الحد ، وبعضهم يعجب به ويقول : هو أمدح بيت قيل في الجاهلية .

(1) هما للمغيرة بن عبد الله المعروف بالأقيشر الأسدي . والندى : الكرم ، والشاهد في قوله « سريع إلى ابن العم » لأن التقدير هو سريع ، والحذف فيه لصون اللسان عن المحذوف مع الاختصار والاحتراز عن العبث .

(2) آية ١٨ سورة البقرة .

(3) آية ٩ ، و ١٠ سورة القارعة .

(4) أي في جميع أغراض الحذف ؛ لأنه لا يصح الحذف إلا معه ، واعتبار البلاغة إنما يكون بعد اعتبار الصحة ، وقد يغني عن هذا قوله فيما سبق — بناء على الظاهر .

هذا وقد ترك أمثلة حذف المسند إليه الفاعل مع إنابة المفعول عنه . ومن ذلك هذه الأمثلة :

أغراض الذكر : وأما ذكره، فإمّا لأنه الأصل ولا مُقتضى للحذف(١)، وإمّا للاحتياط لضعف التعويل على القرينة(٢)، وإما للتنبيه على غباوة السامع(٣)،

= سُبقنا إلى الدنيا . فلو عاش أهلُها ... مُنِعْنا بها من جيئة وذُهُوبِ

نُبِّئتُ أن أبا قابُوس أوْعدَني ... ولا قرارَ على زأر من الأسد

أُسِرْتُ وما صحبى بعُزْل لدى الوغى ... ولا فرسى مُهْر ولا ربُّه غُمْرُ

لئن كنتَ قد بُلِّغت عنّى خيانةً ... لمبلغُك الواشى أغشُّ وأكذبُ

والحذف فى الأول للعلم بالمحذوف ، وفى الثانى للخوف عليه ، وفى الثالث لضيق المقام ، وفى الرابع لاحتقار المحذوف .

(١) إنما قدم أغراض الحذف على أغراض الذكر لأن الأولى أهم فى البلاغة من الثانية ، والذكر الذى يبحث عن أغراضه هو الذى يصح الاستغناء عنه لوجود القرينة فوجودها شرط فى الذكر كما هو شرط فى الحذف ؛ لأنه مع فقدها يتعين الذكر ، وإنما يبحث فى هذا العلم عن الأغراض المرجحة كما سبق ، وقد اعترض على هذا الغرض بأنه مع وجود القرينة يكون مقتضى الحذف موجوداً ، ويكون الأصل الحذف ، لا الذكر ، وأجيب بأنه يريد لا مقتضى الحذف فى قصد المتكلم وإن كان موجوداً فى نفسه . وإنى أرى أنه متى وجدت القرينة يتعين الحذف بلاغة ، ولا يصح الذكر لمثل هذا الغرض ، فالأولى الاقتصار على ما بعده . وقيل: إن مراده أن الذكر هو الأصل عند فقد القرينة ؛ ويكون ما بعده من الأغراض عند وجودها ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب أيضاً .

(٢) هذا عند خفاء القرينة ، كما تقول « من حضر ومن سافر ؟ فيقال : « الذى حضر زيد ، والذى سافر عمرو » ولا يقال زيد وعمر ، لأن السامع قد يجهل تعيين ذلك فى السؤال .

(٣) هذا عند ظهور القرينة ، كما تقول: « من حضر ؟ » . فيقال « الذى حضر زيد » .

وإما لزيادة الإيضاح والتقرير(١) ، وإما لإظهار تعظيمه أو إهانته كما في بعض الأسامي المحمودة أو المذمومة(٢) ، وإما للتبرك بذكره(٣) ، وإما لاستلذاذه(٤) ، وإما لبسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب ، كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿ هِيَ عَصَايَ ﴾(٥) ولهذا زاد على الجواب(٦) . وإما لنحو ذلك(٧) .

---

(١) نحو قول الشاعر :

وقد علم القبائل من مَعَدٍّ ... إذا قُبَبٌ بأبطحها بُنينا
بأنّا المطعمون إذا قدرنا ... وأنا المهلكون إذا ابتُلينا
وأنا المانعون لما أردْنا ... وأنا النازلون بحيث شِينا
وأنا التاركون إذا سخطنا ... وأنا الآخذون إذا رضينا

(٢) الأول نحو « أمير المؤمنين حاضر » ، والثاني نحو « السارق اللئيم حاضر » جوابا لمن سأل عنهما .

(٣) كقولك لمن سألك : هل الله يرضى هذا ؟ : الله يرضاه .

(٤) نحو قول الشاعر :

بالله يا ظبيات القاع قلنَ لنا ... لَيلايَ مِنكنّ أم لَيلى من البشر

(٥) آية ١٨ سورة طه

(٦) فقال : ﴿ أتوكأُ عليها وأهشُّ بها على غنمي ولي فيها مآربُ أخرى ﴾ وكل هذا لأن الكلام مع رب العزة ، وإصغاء المخاطَب في مثل هذا مطلوب للمتكلم ، والإصغاء محال على الله تعالى ، ولكن كلامه يجرى على أساليب العربية ، بقطع النظر عن كونه كلامه .

وقد يطلب بسط الكلام لغير ذلك من مقامات المدح والرثاء والفخر ونحوها كقول الشاعر :

فعبّاسٌ يصُدُّ الخطبَ عنّا ... وعبّاسٌ يُجيرُ من استجارا

(٧) كالتسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الإنكار ، ومنه قول الفرزدق في علي بن الحسين رضي الله عنهما حين أنكر هشام بن عبد الملك معرفته :

قال السكاكي(١) : وإما ليكون الخبر عامّ النسبة إلى كل مسند إليه ، والمراد تخصيصه بمعيّن(٢) كقولك « زيدٌ جاء ، وعمرو ذهب ، وخالد فى الدار » ، وقوله :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ بهِ   والبرُّ خيرُ حقيبةِ الرّحلِ(٣)

وقوله :

النفسُ راغبةٌ إذا رغّبتها   وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنعُ(٤)

وفيه نظر ؛ لأنه إن قامت قرينة تدل عليه إن حذف ، فعموم الخبر وإرادة تخصيصه بمعين وحدهما لا يقتضيان ذكره ، وإلا فيكون ذكره واجبا(٥) .

= هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلهم   هذا التّقيّ النقي الطاهر العَلَمُ
هذا ابنُ فاطمة إن كنتَ جاهله   بجدّه أنبياءُ الله قد خُتِمُوا

(١) ٩٥ — المفتاح .

(٢) أى ذكر مسند إليه خاص يُسندُ إليه الخبر ، فلا يريد بالتخصيص قصر الخبر عليه ؛ لأنه لا قصر فيما ذكره من الأمثلة . وقيل : إنه يريد به القصر على ما سيأتى فى تقديم المسند إليه . وردّ بأن هذا خلاف مذهب السكاكى ، لأنه يرى أن المبتدأ إذا كان اسما ظاهراً لا يفيد القصر كما سيأتى .

(٣) هو لامرىء القيس بن حُذَيج بن حُجر ، واختار صاحب الأغانى أنه لامرىء القيس بن عابس . وأنجح : أفعل تفضيل من « أنجح الله طلبته » على مذهب سيبويه فى تجويز بنائه من المزيد ، وما ، فى قوله « ما طلبت به » نكرة موصوفة ، بمعنى شىء ، والبر : الطاعة ، والحقيبة ما يوضع فيه الزاد ونحوه ، والرحل : الرحول .

(٤) هو لخويلد بن خالد المعروف بأبى ذُؤَيب الهذلى ، وقوله : رغبتها : بمعنى أطمعتها ، ورواية الجمهرة : « والنفس » بالواو .

(٥) أجيب عن هذا النظر بأنه لا مانع من أن يكون ذكره لعدم القرينة وللتخصيص بمعين معاً ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب لما سبق من وجوب القرينة فى الذكر ، كالحذف .

تمرينات على الذكر والحذف

تمرين — ١

لماذا حذف المسند إليه فى الأمثلة الآتية :

١ — وما المالُ والأهلون إلا ودائعٌ ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائع

٢ — سألونى فى سَقامى كيف حالى؟ قلتُ : نِضوُ

٣ — وإنى رأيتُ البخل يُزرى بأهله فأكرمتُ نفسى أن يُقال بخيلُ

تمرين — ٢

لماذا ذكر المسند إليه فى الأمثلة الآتية :

١ — وإنى لحلوٌ تعترينى مرارةٌ وإنى لتراكٌ لما لم أُعوَّدِ

٢ — قوله تعالى ﴿ فأصبح فى المدينةِ خائفاً يترقبُ فإذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوىٌّ مبين ﴾ آية ١٨ س القصص .

٣ — قوله ﷺ : « أنا النبى لا كذبْ ، أنا ابن عبد المطلبْ » .

تمرين — ٣

بين حال المسند إليه فى الذكر والحذف والداعى إليهما فيما يأتى :

١ — قَتَّالُ مُحكمةٍ نقَّاضُ مبرمة فتاحُ مبهمةٍ حباسُ أورادِ

٢ — قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحدٌ ، الله الصمدُ ﴾ آية ١، ٢ س الإخلاص

٣ — إن تبتدرْ غايةٌ يوما لمكرمة تلق السوابقَ منا والمصلينا

٤ — قوله تعالى: ﴿فصبرٌ جميلٌ والله المستعانُ على ما تصفون﴾ آية ١٨ س يوسف

أغراض التعريف

أغراض التعريف : وأما تعريفه فلتكون الفائدة أتم(١) لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى ، ومتى كان أقرب كانت أضعف. وبُعدهُ بحسب تخصيص المسند إليه والمسند(٢) كلما ازداد تخصيصاً ازداد الحكم بُعداً ، وكلما ازداد عموما ازداد الحكم قرباً ، وإن شئت فاعتبر حال الحكم في قولنا « شيء ما موجود » وفي قولنا « فلان بن فلان يحفظ الكتاب » والتخصيص كما له بالتعريف .

أغراض التعريف بالإضمار : ثم التعريف مختلف، فإن كان بالإضمار : فإما لأن المقامَ مقامُ التكلم(٣) كقول بشار :

انا المرعّث لا أخفى على أحـــد ذرّتْ بي الشمس للقاصي وللداني(٤)

وإما لأن المقام مقام الخطاب ، كقول الحماسية :

---

(١) أي مع اقتضاء المقام له ، ولهذا آثر عليه التنكير في قوله تعالى : ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ آية ٢٠ س القصص.

(٢) المراد بالتخصيص التعيين ، وإنما كان التعيين سبباً في بعد الحكم ، لأن كل واحد يعلم حصول ضرب ما مثلا من أي إنسان ، ولا يعلم حصول ضرب معين من شخص معين ، فتكون الفائدة أتم في الحكم على المعين .

(٣) لا يخفى أن مقام التكلم يوجب ضمير المتكلم ، ومقام الخطاب يوجب ضمير الخطاب ، ومقام الغيبة يوجب ضمير الغيبة ، ومثل هذا لا يبحث عنه في البلاغة كما سبق ، وإنما هي معان نحوية لا يصح ذكرها في علم البلاغة .

(٤) المرعث المقرّط ، لقب به لرعثة كان يعلقها وهو صغير في أذنه . وقوله « ذرت » معناه طلعت ، وهو كناية عن شهرته . والشاهد في قوله « أنا » لأن المقام التكلم ، وقد علمت ما فيه . والحق أن ضمير التكلم يؤتى به في مقام الفخر ونحوه لما فيه من الإشعار بالاعتداد بالنفس .

وأنتَ الذى أخلفتنى ما وعدتنى وأشمتَّ بى مَن كان فيكَ يلومُ(١)

وإما لأن المقام مقام الغيبة لكون المسند إليه مذكوراً أو فى حكم المذكور لقرينةٍ(٢) كقوله :

مِن البيض الوجوه بنى سنانٍ لوْ انكَ تستضى بهم أضاءوا
هُمُ حلُّوا من الشرفِ المُعلّى ومن حَسب العشيرة حيث شاءوا(٣)

وقوله تعالى : ﴿ اعدلوا هو أقربُ للتقْوى ﴾(٤) أى العدل ، وقوله تعالى : ﴿ ولأبويه لكلِّ واحِد منهما السُّدسُ ﴾(٥) أى ولأبوى الميت(٦) .

وأصل الخطاب أن يكون لمعيَّن ، وقد يترك إلى غير معين(٧) كما تقول

---

(١) هو لأمامة الخثعمية تخاطب ابن الدمينة الشاعر ، وكان يتغزل بها فى شعره ، ثم تزوجها بعد ذلك ، وقد وردت فى أكثر شعره أميمة بتصغير الترخيم .

(٢) بهذا يمتاز مقام ضمير الغيبة عن مقام الاسم الظاهر ، لأنه للغيبة أيضاً .

(٣) هما لأبى البرج القاسم بن حنبل المرّى ، فى زفر بن أبى هاشم بن مسعود ، وقبلهما :

أرى الخلانّ بعد أبى حبيب بحجر فى جنابهم خفاءُ

وبياض الوجه كناية عن السيادة والشرف . والشاهد فى ضمائر الغيبة الأربعة فى البيتين .

(٤) آية ٨ سورة المائدة .

(٥) آية ١١ سورة النساء .

(٦) المثالان فى الآيتين لعود الضمير على ما هو فى حكم المذكور ، والقرينة فى الأول لفظية وفى الثانى حاليّة .

(٧) فيدل على العموم البدلى بطريق المجاز أو الحقيقة . وقيل : إن ذلك من الإخراج على خلاف مقتضى الظاهر ، لأن قوله تعالى : ﴿ ولو ترى ﴾ الظاهر فيه ولو يرى أن كل أحد ، ومثل هذا هو الذى يعدّ من وجوه البلاغة فى هذا الباب =

«فلانٌ لئيم إذا أكرمته أهانك، وإن أحسنت إليه أساء إليك» فلا تريد مُخاطباً بعينه بل تريد إن أكْرِم أو أحسِنَ إليه، فتخرجه فى صورة الخطاب ليفيد العموم، أى سوء معاملته غير مختص بواحد دون واحد. وهو فى القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾(١) أخرج فى صورة الخطاب لمَّا أريد العموم للقصد إلى تفظيع حالهم، وأنها تناهت فى الظهور حتى امتنع خفاؤها، فلا تختص بها رؤية راء، بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل فى هذا الخطاب(٢).

أغراض التعريف بالعلمية: وإن كان بالعلمية فإما لإحضاره بعينه فى ذهن السامع ابتداء باسم مُختص به(٣) كقوله(٤) تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقول الشاعر:

أبو مالكٍ قاصرٌ فقرَهُ ... على نفسه ومُشيعٌ غناهُ(٥)

= لما فيه من تلك المزية الظاهرة، ويمكن أن يعد منها الالتفات الآتى، واستعمال ضمير الجمع فى الواحد، ونحو ذلك مما لا يدخل فى المعانى النحوية للضمائر.

(١) آية ١٢ سورة السجدة.

(٢) منه أيضا قول الشاعر:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها ... هواناً بها كانت على الناس أهونا

وقول الآخر:

إذا ما كنتَ ذا قلب قنوع ... فأنت ومالكُ الدنيا سواءُ

(٣) هذا أيضاً من استعمال العلم فى معناه الأصلى، فلا يصح أن يعدّ من وجوه البلاغة.

(٤) آية ١ سورة الإخلاص وإنما تكون الآية من تعريف المسند إليه بالعلمية إذا جعل لفظ الجلالة مبتدأ ثانيا لا خبراً عن الضمير.

(٥) هو لمالك بن عويمر المعروف بالمتنخل الهذلى من قصيدة له فى رثاء أبيه، وكان يكنى أبا مالك، والكنية علم، ومعنى قصره فقره على نفسه: أنه لا يسأل =

وقوله :

اللهُ يعلمُ ما تركتُ قتالهمْ حتى علوْا فرسى بأشقرَ مزبدِ(١)

وإما لتعظيمه أو لإهانته ، كما فى الكُنَى والألقاب المحمودة والمذمومة(٢) .

وإما للكناية حيث الاسم صالح لها(٣) . ومما ورد صالحاً للكناية من غير باب المسند إليه قوله تعالى : ﴿ تبتْ يدا أبى لهب ﴾(٤) أى جهنمى .

وإما لإيهام(٥) استلذاذه أو التبرك به .

وإما لاعتبار آخر مناسب(٦) .

= أحداً ، ومعنى إشاعه غناه أنه يعطى كل الناس .

(١) هو للحارث بن هشام فى الاعتذار عن فراره عن أخيه أبى جهل يوم بدر . والأشقر لون يأخذ من الأحمر والأصفر ، ويريد به الدم ، والمزبد الذى له زبد ، يعتذر بأنه لم يفر إلا بعد أن جرح ، فملأ دمه فرسه .

(٢) كقولك « أبو المعالى حضر » وأنف الناقة ذهب » مثل الكنى والألقاب الأعلام المنقولة من معان محمودة أو مذمومة .

(٣) الفرق بين هذا وما قبله أن ما هناك مجرد إشعار ، وما هنا يقصد فيه المعنى اللازم وتنسى العلمية . وصلاح الاسم للكناية بالنظر إلى أصله قبل العلمية ، وقيل : إنه لا يراد بالكناية هنا معناها الاصطلاحى الآتى فى علم البيان ، لأنه لا يكنى بأبى لهب عن جهنمى باعتبار معناها المستعمل فيه وهو الذات المخصوصه ، وهذا لا بد منه فى الكناية الاصطلاحية .

(٤) آية ١ س المسد .

(٥) لا معنى لإقحام لفظ « إيهام » ؛ لأن التبرك والاستلذاذ حاصلان تحقيقاً ، وذلك كقول الشاعر :

بالله يا ظبيات القاع قُلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر

(٦) كالتفاؤل والتطير . نحو : « سعد فى دارك » والسفاح فى دار صديقك »

أغراض التعريف بالموصولية : وإن كان بالموصولية فإما لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة(١) كقولك « الذى كان معنا أمس رجل عالم » ، وإما لاستهجان التصريح بالاسم ، وإما لزيادة التقرير ، نحو قوله تعالى : ﴿ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ﴾(٢) فإنه مسوق لتنزيه يوسف عليه السلام عن الفحشاء ، والمذكور أدل عليه من امرأة العزيز وغيره(٣) .

وإما للتفخيم كقوله تعالى : ﴿ فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾(٤) وقول الشاعر :

مضى بها ما مضى من عقل شاربها   وفى الزجاجة باق يطلب الباقى (٥)

---

(١) هذا أيضاً معنى لغوى لاسم الموصول ، فلا يصح عدّه فى وجوه البلاغة .

(٢) آية ٢٣ س يوسف .

(٣) لأنه إذا كان فى بيتها وتمكن منها ولم يفعل كان هذا أقوى فى نزاهته ، والآية تصلح أيضاً مثالا لغرض استهجان التصريح بالاسم لقبح الفعل المنسوب إليها ، ومما عدل فيه عن التصريح بالاسم لاستهجانه قول الشاعر :

قلت لترب عندها جالسة   فى قصرها : هـذا الذى أراد من

قلت : فتى يشكو الغرام عاشق   قالت : لمن ، قالت : لمن قالت لمن

والتكرار فى ذلك قبيح يخل بفصاحته وبلاغته .

(٤) آية ٧٨ س طه .

(٥) هو لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، وقيل : إنه لأبى نواس ، والضمير فى قوله « بها » للخمر ، ومعنى البيت أنه مضى بالخمر قـدر كبير من عقل شاربها ، ولا يزال الباقى من الخمر فى الزجاجة يطلب الباقى من عقله حتى يذهب به كله .

ومنه في غير هذا الباب قوله تعالى ﴿ فَغَشَّاها ما غَشَّى ﴾(١) . وبيت الحماسة :

صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسهُ   فلما علاه قال للباطل : ابعدِ(٢)

وقول أبي نواس :

ولقد نزتُ مع الغُواة بدلوهمْ   وأسمتُ سَرْحَ اللحظ حيث أساموا

وبلغتُ ما بلــغ امرؤ بشبابه   فإذا عُصارةُ كلِّ ذاك أثامُ(٣)

وإما لتنبيه المخاطب على خطأه ، كقول الآخر :

إن الذين تَرَونهم إخوانكم   يشفي غليل صدورهم أن تُصرَعوا(٤)

---

(١) آية ٥٤ سورة المنافقون . وإنما يكون ما في الآية من غير هذا الباب إذا جعلت « ما » مفعولا به ، فإذا جعلت فاعلا كانت منه .

(٢) هو لدريد بن الصمة ، وإنما لم يكن من هذا الباب لأن « ما » فيه مفعول به ، أي تعاطى الصبا الذي تعاطاه ، ويجوز أن تكون مصدرية ظرفية ، والصبا : الميل إلى الصبوة وهي جهلة الصبيان .

(٣) هما للحسن بن هانىء المعروف بأبي نواس ، ويقال : « نزع الدلو في البئر » إذا ضرب بها في الماء لتمتلىء ، ويقال « أسام الماشية » إذا أخرجها إلى المرعى ، والكلام على التمثيل في الموضعين والإضافة في « سرح اللحظ » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والسرح في الأصل ذهاب الماشية إلى المرعى ، والعصارة ما تحلب مما عصر ، والمراد بها هنا الثمرة والنتيجة ، والشاهد في قوله « ما بلغ امرؤ » لأنه مفعول به .

(٤) هو لعبدة بن الطبيب في وعظ بنيه ، وقيل لغيره ، وقوله « ترونهم » بمعنى تظنونهم ، والواو فيه فاعل لأنه مما بني على صورة المجهول ، وهو للفاعل ، ويجوز أن يكون من « أرى » المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل ، والغليل العطش الشديد أو الحقد . والشاهد في أن الموصول في البيت يفيد من تخطئتهم في ظنهم ما لا يفيده إن فلاناً وفلانا .

وإما للإيماء إلى وجه بناء الخبر(١) نحو: ﴿ إنَّ الذينَ يستكبرونَ عن عبادتي سيدخلونَ جهنَّم داخرين ﴾(٢) ثم إنه(٣) ربما جعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم لشأن الخبر(٤) كقوله:

إنَّ الذي سَمكَ السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ(٥)

أو لشأنِ غيره(٦) نحو: ﴿ الذين كذَّبوا شُعيباً كانوا همُ الخاسرين ﴾(٧)
قال السكاكي(٨): «وربما جُعل ذريعة إلى تحقيق الخبر، كقوله:

---

(١) أي طريق إسناده إلى الموصول من كونه مدحاً أو ذماً أو نحوهما، بأن يذكر في الصلة ما يناسب ذلك.

(٢) آية ٦٠ سورة غافر.

(٣) الضمير يعود إلى الإيماء إلى وجه بناء الخبر.

(٤) ربما جعل ذريعة أيضا إلى الإهانة لشأنه، كقولك «إن الذي لا يحسن الفقه صنف فيه»، أو شأن غيره، كقولك: إن الذي يتبع الشيطان خاسر.

(٥) هو همام بن غالب المعروف بالفرزدق يفتخر ببيته في تميم على جرير، لأنه كان من ذوي الشرف فيهم، وليس المراد بالبيت الكعبة كما ذكر الدسوقي في حاشيته على المختصر، وقوله «سمك» بمعنى رفع. والشاهد في أن قوله «الذي سمك السماء» إيماء إلى أن الخبر المبني عليه من جنس الرفعة والبناء، وأعز وأطول أي من بيت جرير، أو من كل عزيز وطويل، أو من السماء المذكورة قبـله، أو بمعنى عزيزة طويلة، فيكون أفعل التفضيل على غير بابه، وقد حذفت «من» على الأول للدلالة على قوة الخبر.

(٦) كشعيب عليه السلام في الآية؛ لأن فيها إيماء إلى الخبر يشعر بتعظيمه، إذ جعل خسرانهم بسبب تكذيبه، وفيها إيماء أيضاً إلى أن الخبر من جنس الخسران.

(٧) آية ٩٢ سورة الأعراف.

(٨) ٩٧ — المفتاح.

إن التي ضربتْ بيتاً مهاجرةً ... بكوفة الجند غالتْ ودَّها غول(١)

وربما جُعِلَ ذريعة إلى التنبيه للمخاطب على خطأ ، كقوله « إن الذين ترونهم ... » البيت وفيه نظر ، إذ لا يظهر بين الإيماء إلى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر فرق(٢) ، فكيف يجعل الأول ذريعة إلى الثاني ، والمسند إليه في البيت الثاني ليس فيه إيماء إلى وجه بناء الخبر عليه ، بل لا يبعد أن يكون فيه إيماء إلى بناء نقيضه عليه (٣) ؟

---

(١) هو لعبدة بن الطبيب . وكوفة الجند هي مدينة الكوفة ، وروى أبو زيد « بكوفة الخلد » على أنه موضع ، وقال الأصمعي : إنما هو « بكوفة الجند » والأول تصحيف . وقوله « غالت » بمعنى أكلت ، والغول حيوان خرافي وقد يطلق على الداهية . والشاهد في أن ضرب البيت بالكوفة والهجرة إليها فيه إيماء إلى أن طريق بناء الخبر أمر من جنس زوال المحبة ، وهو مع هذا يحقق زوال المودة ويقرره حتى كأنه دليل عليه .

(٢) فرّق بينهما بأن الإيماء إشعار بالخبر سواء أكان معه تحقيق له أم لا ، والأول كما في بيت عبدة ، والثاني كما في بيت الفرزدق ، فالإيماء إلى الخبر أعم من تحقيقه وإفادة الجزم به .

(٣) نقيضه : نفي الأخوة عنهم ، وهذا لا يخرجه فيما أرى عن كونه فيه إيماء إلى وجه بناء الخبر ، لأنهم أطلقوا فيه ولم يقيدوه بشيء ، ومن هذا الإيماء قول أبي العلاء :

إن الذي الوحشةُ في داره ... تؤنسه الرحمة في لحده

وربما يقصد بالإيماء تشويق السامع إلى الخبر ليتمكن في نفسه ، كما في قول الشاعر :

والذي حارت البرية فيه ... حيوان مستحدث من جماد

ومن أغراض التعريف بالموصولية إخفاء الأمر عن غير المخاطب . كقول الشاعر :

وأخذتُ ما جادَ الأميرُ به ... وقضيتُ حاجاتي كما أهوى

أغراض التعريف بالإشارة : وإن كان بالإشارة فإما لتمييزه أكمل تمييز لصحة إحضاره فى ذهن السامع بوساطة الإشارة حساً(١) كقوله :

* هذا أبو الصقر فرداً فى محاسنه (٢) *

وقوله :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا(٣)

وقوله :

وإذا تأمل شخصَ ضيفٍ مقبلٍ ... متسربلٍ سربالَ ليلٍ أغبر

أوما إلى الكوماء هذا طارق ... نحرتنى الأعداء إن لم تُنحرى(٤)

---

(١) هذا أيضاً معنى أصلى لاسم الإشارة ، فلا يصح أن يعد من وجوه البلاغة ، وإنما يعد منها أن يعنى بتمييزه أكمل تمييز لأن المقام مقام مدح أو نحوه ؛ لأن تمييزه أكمل تمييز يكون أعون على كمال المدح ، وأبعد من التقصير فى الاعتناء بأمر الممدوح .

(٢) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى فى مدح أبى الصقر الشيبانى وزير المعتمد، من قوله :

هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه ... من نسل شيبانَ بين الضال والسلم

والضال شجر السدر البرى ، والسلم شجر ذو شوك ، وقوله « بين الضال والسلم » كناية عن عزهم ، لأن هذه الأشجار بالبادية ، وهى محل العرب وعزهم .

(٣) هو لجرول بن أوس المعروف بالحطيئة ، وقوله « بنوا » يعنى به ما يبنونه من المكارم ، والبنى بضم الباء يقال « بنا يبنى بناء وبنية بكسر الباء فى العمران ، وبنا يبنو بنية بضم الباء فى الشرف وقوله « عقدوا » معناه أبرموا أمراً من أمورهم .

(٤) قيل : إن البيتين لرجل يمدح حاتما . وقيل : إنهما لحسان بن ثابت ، وقيل إنهما لابن المولى محمد بن عبد الله بن مسلم ، وفى مجموعة المعانى أنهما للعلوى صاحب الزنج ، وقوله « أوما » تخفيف أومأ بمعنى أشار ، والكوماء : الناقة الضخمة .

وقوله :

ولا يقيمُ على ضيمٍ يُراد به   إلا الأذلان : عيرُ الحي والوتدُ
هذا على الخسف مربوط برُمته   وذا يشج فلا يرثى له أحد(١)

وإما للقصد إلى أن السامع غبيٌ لا يتميز الشيء عنده إلا بالحس ، كقول الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ(٢)

وإما لبيان حاله في القرب أو البعد أو التوسط(٣) كقولك « هذا زيد وذلك عمرو وذاك بشر » ، وربما جعل القرب ذريعةً إلى التحقير(٤) كقوله تعالى : ﴿ وإذا رآك الذين كفروا إنْ يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكرُ آلهتكم ﴾(٥) وقوله تعالى: ﴿وما هذه الحياةُ الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ ﴾(٦) وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى : ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾(٧) وقول عائشة رضى الله عنها لعبد الله

---

(١) هما لجرير بن عبد المسيح الضبعي المعروف بالمتلمس ، والضمير في « به » يعود إلى المستثنى منه المقدر وهو «أحد» مثلا، والعير الحمار، والرمة : القطعة من الحبل البالي ، وقوله « هذا » يعود إلى العير ، وقوله « ذا » يعود إلى الوتد .

(٢) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق ، والتعريض بالغباوة ناشيء من استعمال اسم الإشارة في آبائه وهم غائبون لموتهم،والأمر في قوله « فجئني » للتعجيز .

(٣) هذا أيضا من المعاني الأصلية لاسم الإشارة .

(٤) قد يجعل أيضاً ذريعة إلى التعظيم ،كقوله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ آية ٩ سورة الإسراء فينزل قربه من ساحة الحضور والخطاب منزلة قربه المسافة .

(٥) آية ٣٦ س الأنبياء .

(٦) آية ٦٤ س العنكبوت .

(٧) آية ٢٦ س البقرة .

ابن عمرو بن العاص : « يا عجبا لابن عمرو هذا »[1] . وقول الشاعر :

تقولُ ودقَّت نحرها بيمينها : أبعلي هذا بالرحا المتقاعس[2]

وربما جعل البعد ذريعة إلى التعظيم ، كقوله تعالى : ﴿ ألم ذلك الكتابُ ﴾[3] ذهابا إلى بعد درجته ، ونحوه : ﴿ وتلك الجنةُ التي أورثتموها ﴾[4] ولذا قالت : ﴿ فذلكنَّ الذي لمتنني فيه ﴾[5] لم تقل « فهذا » وهو حاضر[6] رفعا لمنزلته في الحسن ، وتمهيداً للعذر في الافتتان به ، وقد يجعل ذريعة إلى التحقير ، كما يقال : « ذلك اللعين فعل كذا » .

وإما التنبيه — إذا ذُكر قبل المسند إليه مذكور[7] وعُقب بأوصاف — على أن ما يرد بعد اسم الإشارة فالمذكور جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف ، كقول حاتم الطائي :

ولله صعلوكٌ يساورُ همَّه ويمضي على الأحداث والدهرُ مقدما[8]

---

(١) تريد بهذا تخطئته في فتواه بنقض النساء ذوائبهن في الاغتسال .

(٢) هو للهذلول بن كعب العنبري ، ويقال له الذهلول أيضاً ، وقيل لغيره ، وكانت امرأته رأته يطحن بالرحا لأضيافه فأنكرت عليه ، وبعده :

فقلت لها : لا تعجبي وتبيَّني بلائي إذا التفَّتْ عليَّ الفوارسُ

والمتقاعس الذي يدخل ظهره ويخرج صدره ، ضد الأحدب ، والشاهد في أن اسم الإشارة مسند لا مسند إليه .

(٣) آية ١ ، ٢ سورة البقرة .

(٤) آية ٧٢ سورة الزخرف .

(٥) آية ٣٢ سورة يوسف .

(٦) أي يوسف عليه السلام .

(٧) المسند إليه هو اسم الإشارة ، والمذكور هو المشار إليه قبلها .

(٨) الصعلوك الفقير ، وقوله « يساور » بمعنى يواثب .

فتى كالسباق لا يرى الخمص ترحة ولا شبعة إن نالها عد مغنما(١)

إذا ما رأى يوماً مكارم أعرضت تيمم كبراهن ثمت صمما(٢)

يرى رمحه ونبله ومجنه وذا شطب عضب الضريبة مخذما(٣)

وأحناء سرج قاتر ولجامه عتاد أخى هيجا وطرفاً مسوما(٤)

فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمما(٥)

فعد له - كما ترى - خصالا فاضلة من المضاء على الأحداث مقدما، والصبر على ألم الجوع، والأنفة من عد الشبعة مغنما، وتيمم كبرى المكرمات، والتأهب للحرب بأدواتها، ثم عقب ذلك بقوله « فذلك » فأفاد أنه جدير باتصافه بما ذكر بعده، وكذا قوله(٦) تعالى: ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ أفاد اسم الإشارة زيادة الدلالة على المقصود من اختصاص المذكورين قبله باستحقاق الهدى من ربهم والفلاح .

وإما لاعتبار آخر مناسب(٧) .

---

(١) الخمص: الجوع، وشبعة: مفعول أول لعد، ومغنما: مفعول ثان .

(٢) أعرضت بمعنى ظهرت، وتيمم بمعنى قصد .

(٣) المجن: الترس، وشطب السيف: الخطوط فى متنه، وضريبته: حده، والعضب: القاطع، والمخذم: القاطع بسرعة .

(٤) أحناء السرج: جمع حنو وهو اسم لكل من قربوسيه المقدم والمؤخر . والقاتر: الجيد الوقوع على الظهر . وعتاد: عدة وهو مفعول « يرى » الثانى، وهيجا مقصور هيجاء وهى الحرب، والطرف: الجواد الكريم الأصل، والمسوم: الذى يرسل ليرعى أو للإغارة، أى ويرى طرفاً مسوما كذلك .

(٥) الحسنى مصدر كالبشرى أو اسم للإحسان خبر مقدم، وثناؤه مبتدأ مؤخر

(٦) آية ٥ سورة البقرة .

(٧) كتنزيل الغائب منزلة الحاضر، والمعقول منزلة المحسوس فى نحو قوله تعالى: =

أغراض التعريف باللام : وإن كان باللام فإما للإشارة إلى معهود(١) بينك وبين مخاطبك ، كما إذا قال لك قائل « جاءني رجل من قبيلة كذا » فتقول « ما فعل الرجل ؟ » وعليه قوله تعالى : ﴿ وليسَ الذكرُ كالأنثى ﴾(٢) أي وليس الذَّكرُ الذي طلبت(٣) كالأنثى التي وُهبتْ لها .

وإما لإرادة نفس الحقيقة(٤) كقولك « الرجل خير من المرأة ، والدينار خير من الدرهم » ومنه قول أبي العلاء المَعرّي :

والخِلُّ كالماء يُبدِي لي ضمائرَهُ ... مع الصفاء ويخفيها مع الكدر(٥)

= ﴿ تلك عُقبى الذين اتقوا وعُقبى الكافرينَ النارُ ﴾ آية ٣٥ سورة الرعد وقوله : ﴿ وذلكمُ ظنُّكم الذي ظننتم بربِّكم ﴾ آية ٢٣ سورة فصلت وقوله : ﴿ ذلكما مِمّا علَّمني ربِّي ﴾ آية ٣٧ سورة يوسف .

(١) أي في الخارج مذكورا أو غير مذكور ، ولهذا تسمَّى اللام فيه لام العهد الخارجي ، وهذا المعنى للام التعريف وما بعده من المعاني الأصلية لها ، فلا يصح ذكرها على نحو ما ذكره الخطيب وغيره .

(٢) آية ٣٦ سورة آل عمران .

(٣) في قولها قبله : ﴿ ربِّ إني نذرْتُ لك ما في بَطني محررًا فتقبل مني ﴾ لأن نذر الأولاد لخدمة بيت المقدس كان مقصوراً عندهم على الذكور ، واللام في (الذكر) عائدة إلى مذكور بالكناية على هذا الوجه ، واللام في (الأنثى) عائدة إلى مذكور صريحاً في قولها قبله ﴿ ربِّ إنيّ وضعتُها أنثى ﴾ وقد تعود اللام إلى معهود غير مذكور ، كقوله تعالى : ﴿ إذْ يبايعونكَ تحتَ الشجرةِ ﴾ آية ١٨ سورة الفتح ، وتسمى اللام فيه لام العهد العلمي ، فأقسام لام العهد الخارجي ثلاثة : صريحي وكنائي وعلمي .

(٤) هذه لام الجنس .

(٥) هو لأحمد بن عبدالله المعروف بأبي العلاء المعري ، والخل الصديق ، وضمائره : ما يضمره من المودة وغيرها ، وليس الحكم هنا على خل معهود ، وإنما هو على جنس الخل .

وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾(١) أي جعلنا مبدأ كل شيء حي من هذا الجنس الذي هو الماء : لما رُوي أنه تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء ، والجن من نار خلقها منه ، وآدم من تراب خلقه منه . ونحوه : ﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ﴾(٢) .

والمعرَّف باللام(٣) قد يأتي لواحد(٤) باعتبار عهديته في الذهن(٥) لمطابقته الحقيقة(٦) كقولك « ادخل السوق » وليس بينك وبين مخاطبك سوق معهود في الخارج ، وعليه قول الشاعر :

* ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني(٧) *

---

(١) آية ٣٠ سورة الأنبياء .

(٢) آية ٨٩ سورة الأنعام .

(٣) يعني لام الحقيقة لأنها هي التي يأتي فيها لام العهد الذهني، ولام الاستغراق وقيل : إن لام العهد الذهني ولام الاستغراق مقابلان للام العهد الخارجي ولام الحقيقة ، وعلى هذا تكون لام الحقيقة هي التي يراد منها الحقيقة بقطع النظر عن الأفراد ، ويقصر عليها اسم لام الجنس .

(٤) أي مبهم بخلاف لام العهد الخارجي فإنها لمعين .

(٥) تسمى اللام فيه لام العهد الذهني .

(٦) يريد بمطابقته الحقيقة اشتمالها عليه .

(٧) هو لعميرة بن جابر الحنفي من قوله :

ولقــــد أمرُّ على اللئيم يسبُّني فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يعنيني

وثمت حرف عطف لحقتها تاء التأنيث ، وقوله « أمر » مضارع بمعنى الماضي لاستحضار تلك الصورة العجيبة عنده ، ورواية الكامل «فأجوز ثم أقول لا يعنيني» والشاهد في لام اللئيم ، لأن المراد منه واحد غير معين .

وهذا يقرب فى المعنى من النكرة[1] ؛ ولذلك يقدر « يسبنى » وصفاً للئيم لا حالا[2]

وقد يفيد الاستغراق ، وذلك إذا امتنع حمله على غير الأفراد وعلى بعضها دون بعض[3] كقوله تعالى : ﴿ إن الإنسان لفى خُسر ، إلا الذين آمنوا ﴾[4].

والاستغراق ضربان :

حقيقى[5] : كقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾[6] أى كل غيب وشهادة .

وعُرفى [7] كقولنا « جمع الأمير الصاغة » إذا جمع صاغة

---

(١) قال « يقرب » لأن النكرة تدل على واحد غير معين من جملة الحقيقة ، والمعرف بلام العهد الذهنى يدل على نفس الحقيقة فى ذاته ولا يدل على الواحد المبهم إلا بوساطة القرينة ، كالدخول فى قولك « ادخل السوق » فهما بالنظر إلى القرينة سواء وبقطع النظر عنها مختلفان .

(٢) لأن المعرف بلام العهد الذهنى فى معنى النكرة ، والجمل بعد النكرات صفات لا أحوال ، ولكن يُرَدّ على هذا أنهم جعلوه كالنكرة فى المعنى فقط ، وأجروا عليه فى اللفظ أحكام المعارف ، على أن تقدير « يسبنى » حالا هو المناسب لقوله « فمضيت » لأنه ظاهر فى أن السب كان منه فى حال المرور فقط ولم يكن صفة لازمة له .

(٣) بأن تقوم قرينة على أنه ليس القصد الحقيقة من حيث هى ، ولا بعض الأفراد دون بعض بالاستثناء فى الآية ، فتكون اللام لاستغراق جميع الأفراد ، ولهذا تسمى لام الاستغراق .

(٤) آية ١ ، ٢ سورة العصر .

(٥) هو الذى يتناول كل فرد بحسب وضع اللفظ .

(٦) آية ٧٣ سورة الأنعام .

(٧) هو الذى يتناول كل فرد بحسب العرف العام ، أما العرف الخاص =

بلده أو أطراف مملكته بحسبه، لا صاغة الدنيا(١).

واستغراق الفرد أشمل من استغراق الجمع(٢) بدليل أنه لا يصدق « لا رَجُلَ في الدار » في نفي الجنس(٣) إذا كان فيها رجل أو رجلان ، ويصدق « لا رِجالَ في الدار » ولا تنافي بين الاستغراق وإفراد اسم الجنس(٤) لأن الحرفَ إنما يدخل عليه مجرداً عن الدلالة على الوحدة والتعدد(٥) ، ولأنه بمعنى كلٍّ الإفرادي(٦) لا كل المجموعيّ ، أي معنى قولنا « الرجل » كل فرد من أفراد الرجال لا مجموع الرجال ، ولهذا امتنع وصفه بنعت الجميع(٧) ، وللمحافظة

= كعرف الشرع فيدخل الاستغراق بحسبه في الاستغراق الحقيقي .

(١) أل في « الصاغة » معرفة لا موصولة ، لأنها إنما تكون موصولة في اسم الفاعل إذا دل على الحدوث .

(٢) هذا صحيح في استغراق النكرة المنفية، أما استغراق المعرف باللام فالمفرد والجمع فيه سواء ، ولهذا كان قوله تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أولى بالمؤمنين من أنفُسِهِمْ ﴾ آية ٦ سورة الأحزاب شاملا لكل مؤمن ، وليس خاصا بجماعات المؤمنين .

(٣) بخلاف نفي الوحدة ، نحو « لا رجلٌ في الدار » فإنه يصدق إذا كان فيها رجلان أو أكثر ، ويكون لاستغراق الواحد كما يكون الجمع لاستغراق المجموع دون الأفراد .

(٤) هذا جواب عن اعتراض بعضهم بأن إفراد الاسم ينافي أن تكون الأداة الداخلة عليه للاستغراق، لأن إفراده يدل على الوحدة، والاستغراق يدل على التعدد .

(٥) لأنه قصد به الجنس الصالح لهما .

(٦) هو الذي يدل على كل فرد على طريق البدل ، وعلى هذا لا تنافي الدلالة على الوحدة الدلالة على التعدد .

(٧) هذا عند الجمهور ، وقد أجازه الأخفش لِمَا سمع من كلامهم « أهلك =

على التشاكل بين الصفة والموصوف أيضا .

فالحاصل أن المراد باسم الجنس المعرّفُ باللام : إما نفس الحقيقة لا ما يصدق عليه من الأفراد، وهو تعريف الجنس والحقيقة ، ونحوه عَلَمُ الجنس كأسامة ، وإما فرد معين ، وهو العهد الخارجي ، ونحوه العَلَم الخاص ، كزيد ، وإما فرد غير معين ، وهو العهد الذهني ، ونحوه : النكرة ، كرجل ، وإما كل الأفراد وهو الاستغراق ، ونحوه لفظ «كل» مضافا إلى النكرة ، كقولنا «كل رجل» .

وقد شكك السكاكي(١) على تعريف الحقيقة والاستغراق بما خرج الجواب عنه مما ذكرنا(٢) ، ثم اختار(٣) بناء على ما حكاه عن بعض أئمة أصول الفقه من كون اللام موضوعة لتعريف العهد لاغير(٤) أنّ المراد بتعريف الحقيقة تنزيلها منزلة المعهود بوجه من الوجوه الخطابية، إما لكونِ الشيء حاضراً في الذهن لكونه

= الناسَ الدينارُ الحمر والدرهم البيض» . (١) ١١٥ — المفتاح .

(٢) أما تشكيكه في تعريف الحقيقة من حيث هي فبدعوى أنه لا فرق بين المراد منها والمراد من أسماء الأجناس النكرات كرجل وقيام إن قصد منها الدلالة على الحقيقة من حيث هي ، فإن قصد منها الحقيقة باعتبار حضورها في الذهن لم تفترق عن لام العهد الخارجي ، وأما تشكيكه في الاستغراق فبدعوى التنافي بينه وبين أفراد الاسم ، وقد أجاب الخطيب عن الأول بما أشار إليه من أن لام الحقيقة تدل على الحقيقة بقيد استحضارها في الذهن ، ولام العهد الخارجي يقصد بها فرد معين ، وبهذا تمتاز لام الحقيقة عن أسماء الأجناس النكرات وعن لام العهد الخارجي ، وعن الثاني بدفع التنافي بين الاستغراق وأفراد اسم الجنس .

(٣) أي في الجواب عن تشكيكه في تعريف الحقيقة .

(٤) أي لا الحقيقة ، فلا تأتي لتعريفها إلا بعد تنزيلها منزلة المعهود بوجه من الوجوه الآتية .

محتاجا إليه على طريق التحقيق أو التهكم (١) ، أو لأنه عظيم الخطر معقود الهمم (٢) على أحد الطريقين (٣) ، وإما لأنه لا يغيب عن الحس (٤) على أحد الطريقين لو كان معهوداً (٥) . وقال (٦) الحقيقة من حيث هي هي لا واحدة ولا متعددة ، لتحققها مع الوحدة تارة ومع التعدد أخرى ، وإن كانت لا تنفك فى الوجود عن أحدهما ، فهى صالحة للتوحد والتكثر ، فكونُ الحكم استغراقا أو غير استغراق إلى مقتضى المقام (٧) ، إذا كان خطابيا (٨) مثل « المؤمن غِرٌّ كريم ، والفاجر خَبٌّ لئيم » حُمِلَ المعرّف باللام مفرداً كان أو جمعا على الاستغراق بعلة إيهام أن القصد إلى فرد دون آخر مع تحقق الحقيقة فيهما ترجيح لأحد المتساويين ، وإذا كان استدلاليا حُمِلَ على أقل ما يحتمِلُ ، وهو الواحد فى المفرد والثلاثة فى الجمع (٩) .

---

(١) كقولهم « الدينار خير من الدرهم » ويمكن أن يكون من هذا فى التهكم قولهم « إن البُغاثَ بأرضنا يستنسرُ » .

(٢) كقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهمُ الكتاب والحكم والنبوة ﴾ آية ٨٩ سورة الأنعام .

(٣) أى طريق التحقيق وطريق التهكم .

(٤) كقولك « الأرض مبسوطة » فى الأول، وقولك « الطفيلى حضر » فى الثانى

(٥) هذه الجملة الشرطية لا توجد فى كلام السكاكى .

(٦) أى فى الجواب عن تشكيكه فى الاستغراق ، وهذا هو الذى أجاب به الخطيب فيما سبق .

(٧) يعنى أن دلالة اللام على هذا ليست بمقتضى الوضع ، وإنما هى بمقتضى المقام .

(٨) المقام الخطابى هو الذى يكتفى فيه بالظن ، والمقام الاستدلالى هو الذى يطلب فيه اليقين .

(٩) مثل « حصل الدرهم أو الدراهم » هذا وكل ما ذكره السكاكى والخطيب فى التعريف باللام ليس فيه من البلاغة شىء، لأنه لا يخرج عما تفيده بمقتضى دلالتها ــ

أغراض التعريف بالإضافة : وإن كان بالإضافة فإما لأنه ليس للمتكلم إلى إحضاره فى ذهن السامع طريق أخصر منها ، كقوله :

هوايَ مع الركبِ اليمانين مُصعِد جنيبٌ وجثمانى بمكة موثقُ(1)

وإما لإغنائها عن تفصيل متعذر أو مرجوح لجهة(2) كقوله :

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودٌ لها فى غيل خفانَ أشبلُ(3)

وقوله :

قومى همُ قتلوا أميمَ أخى فإذا رميتُ يصيبنى سهمى(4)

= الوضعية ، وقد حاول السكاكى أن يجعل لذلك وجها من البلاغة ، ولكنه تكلف فيه على عادته .

(1) هو لجعفر بن عُلبة الحارثى ، وكان مسجونا بمكة فى جناية ، فزارته محبوبته مع ركب من قومها ، فلما رحلت قال فيها ذلك ، وآثر قوله « هواى » على نحو « الذى أهوى أو المهوى لى » لأن الإضافة أخصر وأنسب بما هو فيه من ضيق الصدر بالحبس ، وكذلك ضيق الشعر ، وقد أطلق الهوى على المهوى مجازا مرسلا . واليمانين جمع يمان، وألفه عوض عن ياء النسب . والمصعد اسم فاعل من « أصعد » بمعنى أبعد فى السير . والجنيب المستتبع من « جنب البعير » إذا قاده إلى جنبه .

(2) يعنى أنه غير متعذر ، ولكنه مرجوح لجهة ، كما سيأتى فى الشاهد .

(3) هو لأبى السمط مروان بن أبى حفصة فى مدح معن بن زائدة . وبنو مطر قومه ، بطن من شيبان . والغيل : الشجر المجتمع . وخفان مأسدة قرب الكوفة ، والأشبل أولاد الأسود . والشاهد فى قوله « بنو مطر » لإغناء الإضافة فيه عن تفصيل متعذر .

(4) هو للحارث بن وعلة الجرمى، وأميم منادى مرخم أميمة ، وكانت تحضه على الأخذ بثأر أخيه من قتله من قومه . والشاهد فى قوله «قومى» لإغناء الإضافة فيه عن تفصيل تركه أرجح لجهة هى خوف تنفيرهم منه وحقدهم عليه إذا صرح بأسمائهم .

وإما لتضمنها تعظيما لشأن المضاف إليه ، كقولك « عبدى حضر » فتعظم شأنك . أو لشأن المضاف ، كقولك « عبد الخليفة ركب » فتعظم شأن العبد . أو شأن غيرهما ، كقولك « عبد السلطان عند فلان » فتعظم شأن فلان . أو تحقيراً ، نحو : « ولد الحجام حضر »(١) . وإما لاعتبار آخر مناسب(٢) .

أغراض التنكير

وأما تنكيره فللإفراد(٣) كقوله تعالى : ﴿ وجاء رجلٌ من أقصى المدينة

---

(١) هذا مثال لإفادتها تحقير المضاف ، ومن إفادتها تحقير المضاف إليه قولك « ضارب بكر حضر » ومن إفادتها تحقير غيرهما قولك « ولد الحجام جليس زيد » ومن إفادتها التعظيم والتحقير قول الشاعر :

أبوكَ حُبابٌ سارقُ الضَّيفِ بُردهِ ... وجدِّيَ يا حَجاجُ فارسُ شمَّرا

(٢) كالاستعطاف في قوله تعالى : ﴿ لا تُضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴾ آية ٢٣٣ سورة البقرة . وكتضمنها لطفاً مجازيا في نحو قول الشاعر :

إذا كوكبُ الخرقاء لاح بِسحرة ... سُهيلٌ أذاعت غزلها فى الأقاربِ

فأضاف الكوكب إلى الخرقاء لأدنى ملابسة ، وهى أنها لا تتذكر كسوة الشتاء إلا وقت طلوعه سحراً ، وهو لا يطلع سحراً إلا فى الشتاء . وسهيل بدل من كوكب.

هذا ولا تختص هذه المزايا بالتعريف بالإضافة ، بل تأتى فى الإضافة إلى النكرة ، فتفيد التعظيم فى نحو قول امرأة من بنى عامر :

وحرب يضجُّ القوم من نفيانها ... ضجيج الجمال الجِلّةِ الدَّبِرات

سيتركها قوم ويصلى بحرِّها ... بنو نِسوَةٍ للثُّكل مصطبِرات

وتفيد التقليل والتحقير فى قول الشاعر :

إذا جاع لم يفرحْ بأكلة ساعة ... ولم يبتئس من فقدها وهو ساغب

(٣) أى الدلالة على فرد منتشر ، وهذا عام فى كل نكرة ، فإذا كانت مفرداً دلت على واحد ، وإذا كانت مثنى دلت على اثنين ، وإذا كانت جمعا دلت على ثلاثة ، إذا كانت نوعا دلت على النوعية أى فرد سائر الأنواع ، ولا يخفى

يسعى ﴾(١) أي فرد من أشخاص الرجال ، أو للنوعية ، كقوله تعالى : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾(٢) أي نوع من الأغطية غير ما يتعارفه الناس(٣) وهو غطاء التعامي عن آيات الله ، ومن تنكير غير المسند إليه للإفراد قوله تعالى : ﴿ ضربَ الله مثلاً رجلاً فيه شركاءُ متشاكسونَ ، ورَجلا سَلَماً لرجلٍ ﴾(٤) وللنوعية قوله تعالى ﴿ ولتجدنهمْ أحرصَ الناسِ على حياة ﴾(٥) أي نوع من الحياة مخصوص وهو الحياة الزائدة ، كأنه قيل « لتجدنهم أحرص الناس لن عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم في الماضي والحاضر حياة في المستقبل » فإن الإنسان لا يوصف بالحرص على شيء إلا إذا لم يكن ذلك الشيء موجودا له حال وصفه بالحرص عليه ، وقوله تعالى ﴿ واللهُ خلق كلَّ دابة منْ ماء ﴾(٦) يحتمل الإفراد والنوعية أي خلق كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة ، أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه .

أو للتعظيم والتهويل أو للتحقير: أي ارتفاع شأنه أو انحطاطه إلى حدّ لا يمكن معه أن يعرف ، كقول ابن أبي السمط :

= أن هذا معنى أصلي للنكرة لا يصح ذكره هنا وإنما يُعدّ من البلاغة إذا دل بمعونة المقام على نوعية غريبة أو نحو ذلك مما يأتي ، وقد يقتضي المقام المعنى الأصلي للنكرة إذا كان لا يتعلق بتعيينها غرض ، وذلك نحو « رجل » في الآية ، ومثل هذا قد يعدّ وجها من وجوه البلاغة .

(١) آية ٢٠ سورة القصص . (٢) آية ٧ سورة البقرة .

(٣) لهذا نكرت في الآية ، ولو عرّفت لانصرفت إلى ما يتعارفه الناس منها مع أنه ليس مرادا ، فلما أريد غيره نكرت ليبحثوا عنها فيعرفوها ، وإنما كان التنكير هنا للنوعية لأنه هو الذي يقابل أبصارهم المتعددة بخلاف تنكير الأفراد ، وقيل : إن التنكير في الآية للتعظيم .

(٤) آية ٢٩ سورة الزمر (٥) آية ٩٦ سورة البقرة

(٦) آية ٤٥ سورة النور .

له حاجبٌ في كل أمر يشينهُ   وليس له عن طالب العرف حاجبُ(١)

أي له حاجب أيُّ حاجب ، وليس له حاجبٌ ما .

أو للتكثير(٢) : كقولهم « إن له لإبلا ، وإن له لغنما » يريدون الكثرة . وحمل الزمخشريُّ التنكير في قوله(٣) تعالى: ﴿قالوا أَئنَّ لنا لأجراً﴾ عليه ، أو للتقليل(٤) كقوله(٥) تعالى : ﴿ وَعَدَ الله المؤمنينَ والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عَدْنٍ ورضوانٌ من الله أكبرُ ﴾ أي وشيء ما من رضوانه أكبر من ذلك كله ، لأن رضاه سبب كل سعادة وفلاح ، ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعيم ، وإنما تهنأ له برضاه ، كما أنه إذا علم بسخطه تنغصت عليه ، ولم يجد لها لذة ، وإن عظمت ، وقد جاء للتعظيم والتكثير جميعاً ، كقوله(٦) تعالى : ﴿ وإنْ يكذِّبوكَ فقد كُذِّبت

---

(١) هو كما في « زهر الآداب » لأبي السمط مروان بن أبي حفصة ، ونسب في « ديوان المعاني » لولي ابن أبي السمط ، وهو أبو الطمحان القيني ، وقبله :

فتى لا يبالي المدلجون بنوره   إلى بابه ألاّ تضيء الكواكب

ومعنى البيت أن ممدوحه له حاجب عظيم من نفسه يمنعه عن فعل ما يشينه ، وليس له حاجب ما عن طالب الندى ، فالحاجب الأول نفسي والتنكير فيه للتعظيم ، والحاجب الثاني حسي ، والتنكير فيه للتحقير على سبيل المبالغة في النفي ، وفي قوله « وليس له عن طالب العرف حاجب » قلب ، والأصل « وليس لطالب العرف حاجب عنه » .

(٢) فيفيد أنه كثير إلى حد لا يعرف ، وإنما أفاد التنكير التكثير مع أن الأصل فيه الدلالة على الوحدة ، لأنه لا تنافي بين الدلالتين كما سبق ، والفرق بين التكثير والتعظيم أن الأول ينظر فيه إلى الكميات والمقادير ، والثاني ينظر فيه إلى علو الشأن ، وبهذا يعرف الفرق بين التقليل والتحقير .

(٣) آية ١١٢ سورة الأعراف   (٤) فيفيد أنه قليل إلى حد لا يعرف .

(٥) آية ٧٢ سورة التوبة   (٦) آية ٤ سورة فاطر .

رسلٌ من قبلك ﴾ أى رسل ذوو عـــدد كثير وآيات عظام(١) وأعمار طويلة ونحو ذلك .

والسكاكى(٢) لم يفرق بين التعظيم والتكثير ، ولا بين التحقير والتقليل ، ثم جعل التنكير فى قولهم « شر أهرّ ذا ناب » للتعظيم ، وفى قوله تعالى : ﴿ ولئنْ مستهم نفحةٌ منْ عذاب ربك ﴾(٣) لخلافه ، وفى كليهما نظر ، أما الاول فلما سيأتى(٤) ، وأما الثانى فلأن خلاف التعظيم مستفاد من البناء للمرة ، ومن نفس الكلمة(٥) لأنها إما من قولهم « نفحت الريحُ » إذا هبت : أىْ هبةٌ ، أو من قولهم « نفح الطيبُ » إذا فاح : أى فوحة ، كما يقال شمة ، واستعماله بهذا المعنى فى الشر استعارة ، إذ أصله أن يستعمل فى الخير ؛ يقال « له نفحة طيبة » أى هبة من الخير . وذهب أيضاً إلى أن قوله(٦) تعالى : ﴿ يا أبت إنى أخافُ أن يمسك عذاب من الرحمن ﴾ بالتنكير دون عذاب الرحمان بالإضافة إما للتهويل أو لخلافه(٧) والظاهر أنه لخلافه ؛ وإليه ميل الزمخشرى ، فإنه ذكر أن إبراهيم ﷺ لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه ؛ حيث لم يصرح فيه أن العذاب لاحقٌ لاصق به . ولكنه قال : ﴿ إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ﴾ فذكر الخوف والمس ونكر العذاب .

وأما التنكير فى قوله(٨) تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ فيحتمل النوعية

---

(١) قد يقال: إن الذى فى الآية تنكير رسل ، فيدل على عظمهم لا على عظم الآيات ، وأجيب بأنه يشير بهذا إلى أنه هو المراد بعظم الرسل، أو إلى أنه داخل فى عظمهم.

(٢) المفتاح ١٠٣ . (٣) آية ٤٦ سورة الأنبياء .

(٤) من أن تقديم المسند إليه فى ذلك للتخصيص لا للتعظيم، لأن المعنى ما أهرّ ذا ناب إلا شر .

(٥) لا يخفى أن هذا لا يمنع أن يكون للتنكير دلالة عليه أيضاً ؛ لأن المعنى الواحد قد يجتمع فيه دلالتان وثلاث لغرض من الأغراض .

(٦) آية ٤٥ سورة الإسراء (٧) خلاف التهويل هو التهوين .

(٨) آية ١٧٩ سورة البقرة .

والتعظيم ، أى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة ، لمنعه عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد متى اقتدروا ، أو نوع من الحياة وهو الحاصل للمقتول والقاتل بالارتداع عن القتل للعلم بالاقتصاص ، فإن الإنسان إذا همّ بالقتل تذكر الاقتصاص ، فارتدعَ ، فسلمَ صاحبه من القتل وهو من القوَد ، فتسبب لحياة نفسين .

ومن تنكير غير المسند إليه للنوعية : ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾(١) أى وأرسلنا عليهم نوعاً من المطر عجيباً ، يعنى الحجارة ، ألا ترى إلى قوله(٢) تعالى : ﴿ فساء مطرُ المنذرين ﴾ ، والتحقير(٣) : ﴿ إن نظنُّ إلا ظنّا ﴾(٤) .

---

(١) آية ١٧٣ سورة الشعراء

(٢) أى فى الآية نفسها ، لأن قوله « فساء » صيغة تعجب .

(٣) فالمعنى فى الآية إلا ظنا ضعيفا ، وإنما حمل على هذا ولم يجعل مصدراً مؤكداً ، لأن الاستثناء لا يصح فى المصدر المؤكد ، وعلى الأول يكون من المصدر المبين لنوع فعله .

(٤) آيه ٣٢ سورة الجاثية .

هذا ، وقد يأتى التنكير لأغراض أخرى :

منها قصد التجاهل فى قوله تعالى : ﴿ هلْ ندلُّكم على رجل ينبئكم إذا مُزّقتم كل ممزّق إنكم لفى خلق جديد ﴾ آية ٧ سورة سبأ .

ومنها أن يمنع مانع من التعريف كما فى قول الشاعر :

إذا سئمتْ مهنّدهُ يمينُه   لطول الحمل بدّله شمالا

لم يقل « يمينه » ، لأنه كره أن ينسب ذلك إلى يمين ممدوحه ، فنكرها ولم يضفها إليه .

تمرينات على التعريف والتنكير

تمرين — ١

١ — قال الله تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعونَ رسولاً، فعصى فرعونُ الرسولَ﴾ آية ١٥، ١٦ سورة المزمل، فلماذا نكّر رسولاً أوّلا وعرفه ثانيا؟ ومن أي أقسام اللام لام الرسول ؟

تمرين — ٢

١ — قال تعالى: ﴿فذلكَ الذي يدُعّ اليتيمَ﴾ آية ٢ سورة الماعون، فلماذا أتى باسم الإشارة للبعيد ولم يأت بها للقريب ؟

٢ — لماذا أوثر اسم الموصول على غيره من المعارف في قول الشاعر:

أعبّادَ المسيح يخافُ صحبي ... ونحن عبيدُ مَنْ خَلَقَ المسيحا

تمرين — ٣

١ — ما الغرض من تنكير المسند إليه في قول الشاعر:

وفي السماء نجومٌ لا عدادَ لها ... وليس يكسفُ إلا الشمسُ والقمرُ

٢ — لماذا عرّف المسند إليه بالعلمية وبالموصولية في قوله تعالى:

﴿محمدٌ رسولُ الله والذينَ معه أشدّاء على الكفارِ رحماءُ بينهُمْ﴾ آية ٢٩ سورة الفتح.

تمرين — ٤

١ — قال النبي ﷺ: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة» فلماذا نكر المسند إليه ولم يعرفه ؟

٢ — لماذا عرّف المسند إليه بالإضافة في قول الشاعر:

أخوك الذي إن تدْعُه لِمُلمةٍ ... يُجبكَ وإن تغضب إلى السيف يغضبِ

تمرين — ٥

١ — قال الله تعالى : ﴿ إنَّ معَ العُسْرِ يسراً ، إنَّ مَعَ العُسْرِ يسراً ﴾ آية ٥ ، ٦ سورة الشرح . فلماذا عُرِّف العسر فى الموضعين ونكر يسراً فيهما ؟ ومن أى أقسام اللام لام العسر ؟

٢ — ما الغرض من التنكير فى قول الشاعر :

شققت لمنظرك الجيوبَ عقائلٌ ... وبكتكَ بالدمعِ الهتونِ غوانِ

تمرين — ٦

١ — قال الشاعر :

أحيــاؤنا لا يُرزقون بدرهم ... وبألفِ ألفٍ تُرزَقُ الأمواتُ

فلماذا عرّف المسند إليـه الأول بالإضافة والثانى باللام ولم يعكس فيهما ؟

٢ — بين الغرض من التنكير فى قول الشاعر :

ولله منّى جانبٌ لا أضيعه ... وللهوِ منى والخلاعةِ جانبُ

٣ — بين الغرض من التعريف والتنكير فى قول المتنبى :

أهمُّ بشىء والليالى كأنها ... تطاردنى عن كونه وأطارِدُ

أغراض الوصف

وأما وصفه فلكون الوصف تفسيراً له كاشفاً عن معناه(١) كقولك « الجسم الطويل العريض العميق محتاج إلى فراغ يشغله » ونحوه في الكشف قول أوس :

الألمعيُّ الذي يظنُّ بك الظنَّ كأنْ قد رأى وقد سمعا(٢)

حُكي أن الأصمعي سئل عن الألمعي، فأنشده ولم يزد. وكذلك قوله تعالى : ﴿ إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هلوعاً إذا مَسَّهُ الشرُّ جزُوعا ، وإذا مسَّه الخيرُ منوعاً ﴾(٣) قال الزمخشريُّ « الهلع سرعةُ الجزع عند مسّ المكروه ، وسرعةُ المنع عند مس الخير ، من قولهم « ناقة هلوع : سريعة السير » . وعن أحمد بن يحيى(٤) قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر : ما الهلع ؟... قلت : قد فسره الله تعالى » انتهى كلام الزمخشري .

أو لكونه مخصصاً له(٥) نحو : « زيد التاجر عندنا »

---

(١) هذا معنى أصلي للوصف ، فلا يصح ذكره في وجوه البلاغة ، وكذلك كونه مخصصاً للموصوف .

(٢) هو لأوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة ، وقبله :

أيتها النفس أجملي جزعا إنّ الذي تحذرين قد وقعا

إن الذي جمع الشجاعة والنجدةَ والبرَّ والتقى جُمعا

فالألمعي بالرفع خبر « إن » ولهذا قال « ونحوه في الكشف » لأنه ليس مسنداً إليه ، وقد روى بالنصب على أنه وصف لاسم « إن » ، ويؤيد هذه الرواية إتيان خبر « إن » بعد هذا في قوله :

أودى فلا تنفع الإشاحة مِنْ أمر لمرء يحاول البدعا

(٣) آية ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ سورة المعارج .

(٤) هو أبو العباس ثعلب ، من أئمة اللغة والنحو .

(٥) التخصيص رفع الاحتمال في المعارف وتقليل الاشتراك في النكرات .

أو لكونه مدحاً له، كقولنا «جاء زيد العـــالم» حيث يتعين فيه زيد قبل ذكر العالم، ونحوه من غيره(1) قوله تعالى: ﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ﴾(2) وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الخالقُ البارئُ المصوِّرُ﴾(3).

أو لكونه ذمّاً له، كقولنا «ذهب زيد الفاسق» حيث يتعين فيه زيد قبل ذكر الفاسق، ونحوه من غيره قوله تعالى: ﴿فإذا قرأتَ القرآن فاستعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرجيمِ﴾(4).

أو لكونه تأكيداً له(5) كقولك «أمس الدابر كان يوما عظيما».

أو لكونه بيانا له، كقوله تعالى: ﴿لا تتخذُوا إلهينِ اثنينِ، إنما هو إلهٌ واحدٌ﴾(6) قال الزمخشري: الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دالٌّ

---

(1) نحوه أيضا من المسند إليه قوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ وقول خرنق أخت طرفة:

لا يبعدن قومي الذين هم سمُّ العـــداة وآفة الجزر
النـــازلون بكل معترك والطيبون معـــاقد الأزر

(2) آية 1 سورة الفاتحة.

(3) آية 24 سورة الحشر.

(4) آية 98 سورة النحل.

(5) أي لغويا لا اصطلاحيا، ولا بد للوصف المؤكد من حال يقتضيه كإظهار السرور أو التأسف في المثال، والتأكيد يقصد هنا زائداً على الوصفية بخلافه في التوكيد بالنفس ونحوه مما يأتي.

(6) آية 51 سورة النحل.

وقد ذكروا هنا فروقا بين الوصف المبين وغيره مما سبق، وقيل: إن الوصف المبين يمكن جعله من الوصف المؤكد، وإنما جعل وصفا ولم يجعل عطف بيان، لأن عطف البيان لا يكون مشتقا ولا مؤولا به.

على شيئين : على الجنسية والعدد المخصوص . فإذا أريدت الدلالة على أنّ المعنيّ به منهما والذى يساق له الحديث هو العددُ شفعَ بما يؤكده ،فدُلّ به على القصد إليه والعناية به ، ألا ترى أنك لو قلتَ إنما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يَحْسُنْ ، ولَخُيِّلَ أنك تثبت الإلهيةَ لا الوحدانية ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دابةٍ في الأرضِ ولا طائرٍ يطيرُ بِجناحيهِ ﴾(١) فقال السكاكى(٢) شفع « دابة » بـ « في الأرض » و « طائر » « بيطير بجناحيه » لبيان أن القصد بهما إلى الجنسين(٣) . وقال الزمخشرى : « معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة(٤) كأنه قيل : « وما من دابة قطُّ في جميع الأرضين السبع ، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه » .

واعلم أن الجملة قد تقع صفة للنكرة ، وشرطها أن تكون خبرية ؛ لأنها في المعنى حكم على صاحبها كالخبر ، فلم يستقم أن تكون إنشائية مثله ، وقال السكاكى(٥) : لأنه يجب أن يكون المتكلم يعلم تحقُّق الوصف للموصوف ، لأن الوصف إنما يؤتى به ليُتَمَيَّز به الموصوف مما عداه ، وتعيين المتكلم شيئاً من شيء بما لا يعرفه له مُحالٌ ، فما لا يكون عنــــده محققا للموصوف يمتنع أن يجعله وصفا له بحـــكم عكس النقيض(٦) ، ومضمون الجمل الطلبية كذلك

(١) آية ٣٨ سورة الأنعام (٢) ١٠١ — المفتاح (٣) أى لا إلى العدد .

(٤) أما أصل التعميم فمستفاد من وقوع النكرة فى سياق النفى ، والزيادة لدفع احتمال إرادة دواب أرض واحدة أو طيور جو واحد ، وجعل الاستغراق حقيقيا فى جميع الدواب والطيور ، ولا يخفى أن كلام السكاكى يؤول إلى ذلك أيضا ، لأنه عند قصد الجنس يكون الاستغراق حقيقيا .

(٥) ١٠٠ و ١٠١ — المفتاح .

(٦) أى لقوله « يجب أن يكون المتكلم يعلم تحقق الوصف للموصوف » .

لأن الطلب يقتضي مطلوبا غير متحقق لامتناع طلب الحاصل ، فلا يقع شيء منها صفة لشيء ، والتعليل الأول أعمّ ، لأن الجملة الإنشائية قد لا تكون طلبية(١) كقولنا « نعم الرجل زيد . وبئس الصاحب عمرو ، وربما يقوم بكر ، وكم غلامٍ ملكتَ ، وعسى أن يجيء بشر ، وما أحسن خالد » ، وصيغ العقود نحو « بعتُ واشتريت » فإن هذه كلها إنشائية وليس شيء منها بطلبي . ولامتناع وقوع الإنشائية صفة أو خبراً قيل في قوله :

« جاءوا بِمَذقٍ هل رأيتَ الذئبَ قطّ (٢) »

تقديره جاءوا بمذق مقول عنده هذا القول ، أي بمذق يحمل رائيه أن يقول لمن يريد وصفه له : هل رأيت الذئب قط ، فهو مثله في اللون لإيراده في خيال الرائي لون الذئب لوُرقته(٣) وفي مثل قولنا : « زيد اضربْهُ أو لا تضربْهُ » تقديره « مقول في حقه اضربه أو لا تضربه »(٤)

---

(١) لا يخفى أن الجملة الإنشائية غير الطلبية كالإنشائية الطلبية فيما ذكره السكاكي ، ولا معنى للتطويل بهذه المماحكات اللفظية في هذا العلم ، ولا سيما أن ما ذكره من ذلك الشرط من مسائل علم النحو .

(٢) هو لعبد الله بن رؤبة التيمي المعروف بالعجاج ، والبيت :

حتى إذا جنّ الظلام واختلط جاءوا بمذق : هل رأيت الذئب قط

والمذق اللبن المخلوط بالماء ، مصدر بمعنى اسم المفعول ، وقوله « جن الظلام » بمعنى أقبل أوله ، واختلاطه إنما يكون بعد ذهاب نور النهار كله ، يصف قوما أضافوه وأطالوا عليه ثم أتوه بهذا المذق .

(٣) الورقة : سواد في غبرة .

(٤) قد يأتي الوصف لأغراض أخرى ، منها الترحم في قول الشاعر :

إلهي عبدك العاصي أتاكا مقراً بالذنوب وقد دعاكا

ومنها قصد الإبهام ، نحو قولك « تصدقت صدقة كبيرة أو صغيرة » ومنها قصد التعميم ، مثل قولك « أكرم الناسَ الصغار والكبار » .

أغراض التوكيد

وأما توكيده فللتقرير، كما سيأتي في باب تقديم الفعل وتأخيره[1].

أو لدفع توهم التجوّز أو السهو[2] كقولك «عرفتُ أنا، وعرفتَ أنت، وعرف زيد زيداً» أو عدم الشمول، كقولك «عرفني الرجلان كلاهما، أو الرجال كلهم[3]. قال السكاكي[4] ومنه «كل رجل عارف، وكل إنسان حيوان» وفيه نظر؛ لأن كلمة «كل» تارة تقع تأسيسا وذلك إذا أفادت الشمول من أصله حتى لولا مكانها لما عُقل، وتارة تقع تأكيداً، وذلك إذا لم تفده من أصله، بل تمنع أن يكون اللفظ المقتضى له مستعملا في غيره.

---

(١) كقولك «هو يعطي الجزيل» فهو يفيد من تقوية الحكم ما لا يفيده قولك «يعطي زيد الجزيل» لتكرار الإسناد في الأول، ولا يخفى أن هذا ليس من توكيد المسند إليه فلا معنى لذكره هنا.

(٢) بأن يكون في الكلام أو المقام ما يوهم ذلك فيؤتى بالتوكيد لدفعه، وبهذا يمتاز نظر علم المعاني عن نظر علم النحو إلى التوكيد، وهذا كما في قولك «قطع الأمير نفسه السارق» فإنه لو قيل «قطع الأمير السارق» لتوهم أن القاطع غيره بأمره على ما جرت به العادة في ذلك، أما النحو فيجوز فيه أن يقال «قطع الأمير نفسه السارق، وقطع الأمير السارق» بلا نظر إلى هذه الاعتبارات، وعلى هذا ورد التوكيد في قوله: ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى﴾ آية ٥٦ سورة طه وقوله: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ آية ٣٠، ٣١ سورة الحجر. ففي هذا إشارة إلى فظاعة تكذيب فرعون واستكبار إبليس اللعين.

(٣) فإنه قبل التأكيد يحتمل أن أحد الرجلين أو بعض الرجال لم يجيء، ولكنه لم يعتدّ به فأطلق الكل وأريد البعض على سبيل المجاز.

(٤) ١٠١ — المفتاح.

أما الأول فهو أن تكون مضافة إلى نكرة(١) كقوله(٢) تعالى ﴿ كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحونَ ﴾(٣) وقوله ﴿ وكلَّ شيء فصلناه تفصيلاً ﴾ وقوله ﴿ وهم من كلِّ حدبٍ ينسلون ﴾(٤) . وأما الثانى فما عدا ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكةُ كلُّهم ﴾(٥) وهى فى قوله « كل رجل عارف ، وكل إنسان حيوان » من الأول لا الثانى ؛ لأنها لو حذفت منهما لم يفهم الشمول أصلا .

أغراض عطف البيان :

وأما بيانه وتفسيره فلإيضاحه باسم مختصٍّ به(٦) كقولك « قدم صديقك خالد » .

---

(١) كذلك المضافة إلى معرفة ، كقوله تعالى : ﴿ كلُّ الطعام كان حلا لبنى إسرائيل ﴾ آية ٩٣ سورة آل عمران .

(٢) آية ٥٣ سورة المؤمنون .

(٣) آية ١٢ سورة الإسراء .

(٤) آية ٩٦ سورة الأنبياء .

(٥) آية ٣٠ سورة الحجر .

(٦) هذا معنى نحوى لعطف البيان ، وإنما يعد من البلاغة إذا كان للمسند إليه شأن يقتضى العناية بأمره كعظم شأنه أو حقارته ، فيكون عطف البيان لمدحه أو ذمه أو نحو ذلك ، كقوله تعالى ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ آية ٩٧ سورة المائدة وقوله ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ آية ١٦ سورة إبراهيم . وقد يكون عطف البيان غير مختص بمتبوعه ، ولكن يحصل الإيضاح والاختصاص بمجموعهما ، كما فى قول الشاعر :

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ... ركبان مكة بين الغيل والسند
ما إن أتيتُ بشيء أنت تكرهه ... إذن فلا رفعت سوطا إلى يدى =

أغراض البدل :

وأما الإبدال منه فلزيادة التقرير والإيضاح(١) نحو « جاءني زيد أخوك ، وجاء القوم أكثرهم ، وسلب عمرو ثوبه »(٢) ، ومنه في غيره قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم ﴾(٣) .

أغراض عطف النسق :

وأما العطف فلتفصيل المسند إليه مع اختصار(٤) نحو « جاء زيد وعمرو وخالد » .

= فالطير عطف بيان للعائذات ، وكل منهما غير مختص بصاحبه في ذاته ، وإنما حصل هذا بمجموعهما .

(١) يعني أنه يؤتى به لهذين الأمرين زيادة على قصده بالحكم وهو المعنى النحوي للبدل ، أو أن فيه زيادة تقرير على التوابع السابقة ، لأنه على نية تكرار العامل ، فيكون إسناده أقوى من غيره .

(٢) لم يأت بمثال لعطف الغلط ، لأنه لا يقع في فصيح الكلام إلا أن يكون بدل بداء ، وهو أن تذكر المبدل منه عن قصد ثم تذكر البدل بعده فتوهم أنك غالط لقصد المبالغة والتفنن ، وشرطه أن يرتقي فيه من الأدنى إلى الأعلى ، كما في قول الشاعر :

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

هذا وفي البدل من وجوه البلاغة وجه الإجمال ثم التفصيل والعناية بإثبات الحكم ، ولا يكون هذا إلا لمقام يقتضيه ، كما في قول الشاعر :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

(٣) آية ٦ ، ٧ سورة الفاتحة .

(٤) هذا غير ما يفيده العطف من معناه النحوي كالدلالة على مطلق الجمع =

أو لتفصيل المسند مع اختصار ، نحو «جاء زيد فعمرو» أو ثم عمرو ، أو «جاء القوم حتى خالد» (١) ولا بد في «حتى» من تدريج ، كما ينبىء عنه قوله :

وكنتُ فتى من جند إبليس فارتقى
بى الحالُ حتى صار إبليسُ من جُندى (٢)

أو لرد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب (٣) كقولك «جاءني زيد لا عمرو» لمن اعتقد أن عمراً جاءك دون زيد ، أو أنهما جاءاك جميعا ،

= في الواو ، ووجه الاختصار في المثال أنه في معنى «جاء زيد وجاء عمرو وجاء خالد» وقد أشار به إلى أن تفصيل المسند إليه خاص بالواو .

هذا ولا بد لذلك من مقام يقتضيه ، كما في قوله تعالى : ﴿ إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ ـ آية ٨ سورة القصص فذكر بالتفصيل فرعون وهامان لأنهما السبب في الخطأ دون جنودهما .

(١) أشار بهذا إلى أن تفصيل المسند خاص بالفاء وثم وحتى ، لأنها تبين أنه حصل بترتيب وتعقيب أو بترتيب وتراخ أو بترتيب ذهني ، ووجه الاختصار فيها أنها تغنى عن «جاء زيد وعمرو بعده بيوم أو سنة أو نحو ذلك» ولا يخفى أنه يحصل فيه أيضا تفصيل المسند إليه ولكنه غير مقصود منها ، لأنه يكون معلوما قبلها فتساق لأجل تفصيل المسند وحده .

(٢) هو الحسن بن هانىء المعروف بأبي نواس . وحتى فيه ليست عاطفة . وإنما يقصد التمثيل به لإفادتها التدريج ، وإنما لم تكن عاطفة فيه لأن المشهور أنها لا تأتى في عطف الجمل ، ولأن الجملة قبلها لا يستقل بها الكلام حتى يصح العطف عليها عند من يقول بصحة العطف بها في الجمل .

(٣) أي مع الاقتصار على ما سبق ، لأن هذا هو الذي يعنى به في هذا العلم .

وقولك: «ما جاءني زيد لكن عمرو» لمن اعتقد أن زيداً جاءك دون عمرو.

أو لصرف الحكم عن محكوم له إلى آخر، نحو «جاءني زيد بل عمرو، وما جاءني زيد بل عمرو»(1).

أو للشك فيه أو التشكيك(2) نحو «جاءني زيد أو عمرو، أو إما زيد وإما عمرو، أو إما زيد أو عمرو».

أو للإبهام، كقوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾(3).

أو للإباحة أو التخيير، وهو أن يفيد ثبوت الحكم لأحد الشيئين أو الأشياء فحسب(4)، مثالها قولك «ليدخل الدار زيد أو عمرو» والفرق بينهما واضح، فإن الإباحة لا تمنع من الإتيان بأحدهما أو بهما جميعاً.

---

(1) فالمعنى فيه على نقل حكم النفي إلى عمرو على ما ذهب إليه المبرد، والجمهور على أن «بل» تنقل حكم الإثبات لا النفي.

(2) أي مع الاختصار أيضاً، والشك من المتكلم، والتشكيك للسامع، والبلاغة في التشكيك أعلى من البلاغة في الشك، لأن التشكيك يجعل وسيلة إلى بلوغ اليقين ووصول الحق إلى المخالفين على وجه لا يثير غضبهم، لينظروا فيه فيؤديهم النظر إلى العلم به، وقد جعل السكاكي من هذا قوله تعالى ﴿وإنا أو إياكم – الآية﴾. ولم يجعله للإبهام على السامع كما فعل الخطيب، ومنه أيضاً قول الشاعر:

وقد زعمت ليلى بأني فاجر   لنفسي تقاها، أو عليها فجورها

وقيل: إن «أو» فيه بمعنى الواو.

(3) آية ٢٤ سورة سبأ.

(4) أي من غير قصد إلى تشكيك أو إبهام.

أغراض ضمير الفصل :

وأما توسُّطُ الفصل بينه وبين المسند فلتخصيصه به[1] كقولك : « زيد هو المنطلق ، أو هو أفضل من عمرو ، أو خير منه ، أو هو يذهب[2] » .

---

(١) يعنى تخصيص المسند إليه بالمسند ، فالباء داخلة على المقصور وما قبلها هو المقصور عليه ، ومن أغراض الفصل أيضاً التأكيد ، وإنما يفيد التأكيد إذا حصل التخصيص بغيره بأن تكون الجملة معرّفة الطرفين مثلا ، كما فى قوله تعالى ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ آية ٥٨ سورة الذاريات . وقوله ﴿ فلما توفيتنى كنتَ أنت الرقيب عليهم ﴾ آية ١١٧ سورة المائدة . وقوله ﴿ لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ آية ٢٠ سورة الحشر . وقد يكون لتخصيص المسند بالمسند إليه ، نحو « الكرم هو التقوى » لأنه بمعنى لا كرم إلا بالتقوى .

(٢) الحق أنَّ هذا ليس ضمير فصل ، وإنما يعرب توكيداً أو مبتدأ ثانياً ، لأنه يشترط فى ضمير الفصل أن يكون ما بعده خبرا معرفة أو كالمعرفة فى عدم قبول « أل » ، كلفظ خير ، ويشترط فيا قبله أن يكون مبتدأ ولو باعتبار الأصل ، وأن يكون معرفة ، ويشترط فيه نفسه أن يكون بصيغة المرفوع ، وأن يطابق ما قبله ، فلا يجوز « كنت هو الفاضل » .

تمرينات على التوابع

تمرين — ١

(١) بين الغرض من البدل في قول الشاعر :

وكنتُ كذى رِجلين : رجلٌ صحيحةٌ ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فشُلَّتِ

(٢) هل يجوز بلاغةً كما يجوز نحواً أن يُجعل عطف البيان بدلا مطابقاً وبالعكس ، أو أن لكل منهما مقاما خاصاً به ؟

(٣) بين معنى « أو » ومنزلتها بلاغةً في قول الشاعر :

نحن أو أنتم الأولى ألفوا الحقَّ فبُعْــــداً للمبطلين وسحقاً

تمرين — ٢

(١) من أى أقسام البدل قوله تعالى ﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ﴾ آية ٦٨ ، ٦٩ سورة الفرقان . وأى غرض دعا إليه ؟ وما منزلته في البلاغة ؟

(٢) أى غرض دعا إلى التوكيد في قول الشاعر :

لكنه شاقه أنْ قيل ذا رَجَبٌ يا ليتَ عدةَ حولٍ كله رجبا

(٣) قال تعالى ﴿ فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين ﴾ . آية ٣٦ سورة الجاثية . فلماذا عطف في الأول دون الثاني ؟

تمرين — ٣

(١) قال الله تعالى ﴿ إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ . آية ٨ سورة القصص . فما فائدة العطف بلاغةً فيه ؟ ولماذا أوثرت فيه الواو على غيرها ؟

(٢) أى غرض دعا إلى العطف بحتى في قول الشاعر :

قهرناكم حتى الكماة فأنتم تهابوننا حتى بنينا الأصاغرا

(٣) ما الغرض من الوصف في قول الشاعر :

ويأوى إلى نســوةٍ عطل وشعثاً مراضيعَ مثلَ السعالى

أغراض التقديم

وأما تقديمه فلكون ذكره أهم ، إما لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه(١) .

وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع ؛ لأن في المبتدإ تشويقا إليه ، كقوله :

والذي حارت البرية فيه   حيوان مستحدث من جماد(٢)

وهذا أولى من جعله شاهداً لكون المسند إليه موصولا كما فعل السكاكي(٣) .

وإما لتعجيل المسرة أو المساءة لكونه صالحا للتفاؤل أو التطير ، نحو « سعد في دارك ، والسفاح في دار صديقك » .

وإما لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر أو أنه يستلذ ، فهو إلى الذكر أقرب (٤) .

---

(١) هذا إذا كان المسند إليه مبتدأ أو نحوه لا فاعلا أو نحوه، ولا يخفى أن هذه نكتة ضعيفة لا يعول عليها هنا .

(٢) هو لأحمد بن عبدالله المعروف بأبي العلاء المعري ، وقوله « حارت » بمعنى اختلفت، من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل ، واسم الموصول مبتدأ وخبره حيوان على تقدير مضاف ، أي معاد حيوان كما يدل عليه سياق القصيدة — ويجوز أن يراد استحداث الحيوان من النطفة فلا يحتاج إلى تقدير مضاف .

(٣)٩٨ — المفتاح ، ولا مانع من جعله شاهداً لهما معا ، ومما يدخل في هذا الغرض أن يكون المسند إليه ضمير شأن أو قصة ، كما في قول الشاعر :

هي الدنيا تقول بملء فيها   حذار حذار من بطشي وفتكي

(٤) كقول جميل :

بثينة ما فيها إذا ما تبصرت   معاب ولا فيها إذا نسبت أشب

وإما لنحو ذلك (١)

قال السكاكي(٢) : « وإما لأن كونه متصفا بالخبر يكون هو المطلوب لا نفس الخبر ، كما إذا قيل لك : كيف الزاهد ؟ فتقول : الزاهد يشرب ويطرب .

وإما لأنه يفيد زيادة تخصيص كقوله :

متى تهزُزْ بنى قطن تجدهمْ سيوفا فى عواتقهم سيوف
جلوس فى مجالسهم رِزانٌ وإنْ ضيفٌ ألمَّ فهم خُفوف(٣)

والمراد « هم خفوف » . وفيه نظر ، لأن قوله « لا نفس الخبر » يشعر بتجويز أن يكون المطلوب بالجملة الخبرية نفس الخبر ، وهو باطل(٤) لأن نفس الخبر تصوُّر لا تصديق ، والمطلوب بها إنما يكون تصديقا ، وإن أراد

---

(١) كإظهار تعظيمه فى نحو قوله تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رُحماء بينهم ﴾ آية ٢٩ سورة الفتح ، أو تحقيره فى قولك « الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة » .

(٢) ١٠٤ ، ١٠٥ — المفتاح .

(٣) لا يعلم قائلهما ، وقوله « تهزز » بمعنى تهيجهم للحرب ، وقوله : « تجدهم سيوفا » معناه كالسيوف فى المضاء ، ورزان جمع رزين ، وخفوف مصدر خف بمعنى أسرع ، يمدحهم بالنخوة فى قوله « متى تهزز الخ » وبالعظمة والشرف فى قوله « جلوس . . . الخ » وبالكرم فى قوله « وإن ضيف ألم » الخ . وبعد البيتين :

إذا نزلوا حسبتهم بدورا وإن ركبوا فإنهم حتوف

(٤) أجيب عنه فى هذا بأنه لا يريد نفس الخبر مجرداً عن الحكم حتى يلزمه ذلك ، فهو لا يقصد إلا أنه إذا علم تحقق المسند فى الجملة ولم يعلم المسند إليه تقدَّم على المسند ، وهذا ظاهر لا اعتراض عليه .

بذلك وقوع الخبر مطلقا فغير صحيح أيضا - لما سيأتى(١) أن العبارة عن مثله لا يتعرض فيها الى ما هو مسند إليه ، كقولك « وقيع القيام » ثم فى مطابقة الشاهد الذى أنشده للتخصيص نظر(٢) لما سيأتى أن ذلك مشروط بكون الخبر فعليا ، وقوله « والمراد هم خفوف » تفسير للشيء بإعادة لفظه(٣) .

قال عبد القاهر(٤) : وقد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى إنْ وَلِيَ حرفَ النفى(٥) كقولك « ما أنا قلت هذا » أى لم أقله مع أنه مقول ، فأفاد نفى الفعل عنك وثبوته لغيرك ، فلا تقول ذلك إلا فى شىء ثبت أنه مقول وأنت تريد نفى كونك قائلا له . ومنه قول الشاعر :

وما أنا أسقمتُ جسمى بِهِ ولا أنا أضرمتُ فى القلب نارا(٦)

إذ المعنى أن هذا السُّقْم الموجود والضرمَ الثابت ما أنا جالبا لهما ،

---

(١) فى أول الكلام على متعلقات الفعل .

(٢) أجيب عنه فى هذا بأنه لا يريد بالتخصيص هذا الحصر وإنما يريد التخصيص بالذكر ، ولا يخفى أن حمل التخصيص على ذلك بعيد ، على أنه سيأتى أن السكاكى يريد فى هذا ونحوه التخصيص بمعنى الحصر وأنه لا يشترط فيه كون الخبر فعليا .

(٣) لا يخفى أن السكاكى لا يريد بهذا تفسيره ، وإنما يريد بيان محل الشاهد ، وما كان أغنى الخطيب عن الإطالة فى هذه المباحكات اللفظية .

(٤) ٨٤ — دلائل الإعجاز .

(٥) يعنى أنه فى هذه الحالة يفيد قصر نفى الخبر الفعلى على المسند إليه وإثباته لغيره على الوجه الذى نفى به من خصوص أو عموم على ما سيأتى فى الأمثلة ، فالباء داخلة هنا على المقصور ، والمراد بإيلائه حرف النفى إتيانه بعده ولو كان بينهما فاصل ، فيشمل نحو : ما زيداً أنا ضربت ، وما فى الدار أنا جلست .

(٦) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، وقوله « أضرمت » بمعنى أشعلت ، يعنى نار الحب ، ونحوه قول الشاعر :

فالقصد إلى نفى كونه فاعلا لها لا إلى نفيهما ، ولهذا لا يقال « ما أنا قلت ولا أحد غيرى » لمناقضة منطوق الثانى(١) لمفهوم الأول(٢) بل يقال « ما قلت أنا ولا أحد غيرى » ولا يقال « ما أنا رأيت أحداً من الناس » ولا « ما أنا ضربت إلا زيداً » بل يقال « ما رأيت أو ما رأيت أنا أحداً من الناس ، وما ضربت أو ما ضربت أنا إلا زيداً » لأن المنفى فى الأول الرؤية الواقعة على كل واحد من الناس ، وفى الثانى الضرب الواقع على كل واحد منهم سوى زيد(٣) . وقد سبق أن ما يفيد التقويم ثبوته لغير المذكور هو ما نفى عن المذكور ، فيكون الأول مقتضياً لأن إنساناً غير المتكلم قدضرب منعدا زيداً منهم ، وكلاهما محال ، وعلل الشيخ عبد القاهر والسكاكى(٤) امتناع الثانى بأن نقض النفى بإلا يقتضى أن يكون القائل له قد ضرب زيداً ، وإيلاء الضمير حرف النفى يقتضى ألا يكون ضربه ، وذلك تناقض ، وفيه نظر ، إيلاء الضمير حرف النفى يقتضى ذلك ، فإن قيل :

= وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كله ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر

وقوله ﷺ : « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم » .

(١) هو « ولا أحد غيرى » .

(٢) هو « ما أنا قلت » لأن مفهومه أن غيره قاله .

(٣) لا يخفى أن هذا ليس هو المنفى فى المثالين وإلا كانا من سلب العموم لا من عموم السلب ، وإنما المنفى فى الأول رؤية أى واحد من الناس وفى الثانى ضرب أى واحد سوى زيد ، وعلى هذا يكون مفهوم المثالين أن إنساناً غير المتكلم رأى واحداً من الناس وضرب أى واحد سوى زيد ، وهو صحيح لا شىء فيه ، وإنما الذى يؤدى إلى ما ذكره الخطيب أن يقال — ما أنا رأيت كل رجل ، وما أنا ضربت كل رجل إلا زيداً .

(٤) ٨٥ — دلائل الإعجاز ، ١٢٥ — المفتاح .

الاستثناء الذي فيه مفرغ ، وذلك يقتضي ألا يكون ضرب أحداً من الناس ، وذلك يستلزم ألا يكون ضرب زيداً ، قلنا : إن لزم ذلك(١) فليس للتقديم لجريانه في غير صورة التقديم أيضاً ، كقولنا « ما ضربت إلا زيداً » .

هذا إذا ولى المسندُ إليه حرفَ النفي ، وإلا فإن كان معرفة ، كقولك « أنا فعلت » كان القصد إلى الفاعل(٢) وينقسم قسمين :

أحدهما : ما يفيد تخصيصه بالمسند(٣) للرد على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه ، كقولك « أنا كتبت في معنى فلان ، وأنا سعيت في حاجته » ولذلك إذا أردتَ التأكيد قلتَ للزاعم في الوجه الأول « أنا كتبت في معنى فلان لا غيري » ونحو ذلك ، وفي الوجه الثاني « أنا كتبت في معنى فلان وحدي » فإن قلتَ « أنا فعلت هذا وحدي » في قوة « أنا فعلته لا غيري » فلم اختص كل منهما بوجه من التأكيد دون وجه ؟ قلتُ : لأن جدوى التأكيد لما كانت إماطة شبهة خالجت قلب السامع ، وكانت في الأول أن الفعل صدر من غيرك وفي الثاني أنه صدر منك بشركة الغير أكدتَ وأمطت الشبهة في الأول بقولك « لا غيري » وفي الثاني بقولك « وحدي » ، لأنه محزُّهُ ،

---

(١) الحق أنه لا يلزم لأن إيلاء الضمير حرف النفي إنما يقتضي نفي ما عدا المستثنى ، وما ذكره عبد القاهر والسكاكي إنما هو غفلة منهما .

(٢) أي لا إلى الفعل كما في النفي .

(٣) يعني قصر المسند عليه ، ويلزمه أيضاً تقوية الحكم كما في القسم الثاني ، ولكنها تحصل هنا تبعاً لا قصداً .

ولو عكست أحلت (١) .

ومن البين فى ذلك(٢) المثل : « أتعلمنى بضب أنا حرشته »(٣) . وعليه قوله تعالى : ﴿ ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾(٤) أى لا يعلمهم إلا نحن ولا يطلع على أسرارهم غيرنا ، لإبطانهم الكفر فى سويداوات قلوبهم .

الثانى : ما لا يفيد إلا تقوّى الحكم وتقرُّره فى ذهن السامع وتمكُّنه ، كقولك « هو يعطى الجزيل » لا تريد أن غيره لا يعطى الجزيل ولا أن تعرّض بإنسان ، ولكن تريد أن تقرر فى ذهن السامع وتحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل ، وسبب تقويه هو أن المبتدأ يستدعى أن يسند إليه شىء ، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يسند إليه صرفه إلى نفسه ، فينعقد بينهما حكم سواء كان خاليا عن ضميره ، نحو « زيد غلامك » ، أو متضمنا له ، نحو « أنا عرفت ، وأنت عرفته هو عرف أو زيد عرف ، ثم إذا كان متضمنا لضميره صرفه ذلك الضمير إليه ثانيا ، فيكتسى الحكم قوة (٥) .

ومما يدل على أن التقديم(٦) يفيد التأكيد أن هذا الضرب من الكلام يجىء :

---

(١) يعنى حولت كلا منهما عن موضعه المناسب له ، لأن « لا غيرى » تدل صريحا على نفى صدوره من غيرك ، أما وحدى فيدل عليه التزاما ، وكذلك « وحدى » يدل صريحا على نفى الشركة ، أما « لا غيرى » فيدل عليه التزاما .

(٢) أى فى إفادة التخصيص .

(٣) حرشته بمعنى صدته ، والمثل يضرب لمن يخبرك بشىء أنت أعلم به منه .

(٤) آية ١٠١ سورة التوبة .

(٥) علله عبد القاهر بأن تقديم المسند إليه ينبه السامع لقصده بالحديث قبل ذكره تحقيقا وتأكيدا له .

(٦) أى فى هذا القسم ، وبهذا يكون له مقام فى الكلام يباين مقام القسم الأول ؛ لأن المقصود منه التخصيص لا التأكيد كما سبق .

فيما سبق فيه إنكار من منكره نحو أن يقول الرجل « ليس لي علم بالذي تقول» فتقول « أنت تعلم أن الأمر على ما أقول » وعليه قوله تعالى ﴿ ويقولون على الله الكذب ، وهم يعلمون ﴾(١) لأن الكاذب لا سيما في الدين لا يعترف بأنه كاذب ، فيمتنع أن يعترف بالعلم بأنه كاذب .

وفيما اعترض فيه شك : نحو أن تقول للرجل « كأنك لا تعلم ما صنع فلان ؟ » فيقول « أنا أعلم » .

وفي تكذيب مُدّعٍ : كقوله تعالى ﴿ وإذا جاءوكم قالوا آمنّا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ﴾(٢) فإن قولهم (آمنا) دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به .

وفيما يقتضى الدليل ألا يكون كقوله تعالى ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلُقون شيئاً وهم يُخلقون ﴾(٣) فإن مقتضى الدليل ألا يكون ما يُتخذ إلهاً مخلوقاً .

وفيما يستغرَبُ : كقولك « ألا تعجب من فلان يدّعي العظيم وهو يعيا باليسير » .

وفي الوعد والضمان : كقولك للرجل « أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر » ؛ لأن من شأن من تعده وتضمن له أن يعترضه الشك في إنجاز الوعد والوفاء بالضمان ، فهو من أحوج شيء إلى التأكيد .

وفي المدح والافتخار : لأن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويبعدهم عن الشبهة ، وكذلك المفتخر ، أما المدح فكقول الحماسي :

---

(١) آية ٧٨ سورة آل عمران .
(٢) آية ٦١ سورة المائدة .
(٣) آية ٢٠ سورة النحل .

* هم يُفرشون اللبْد كلّ طِمِرَّة(١) *

وقول الحماسية :

* هما يَلبسان المجدَ أحسنَ لِبسة(٢) *

وقول الحماسى :

* فهُمْ يضربون الكبشَ يبرق بيضُه(٣) *

وأما الافتخار فكقول طرفة :

* نحن فى المشتاة ندعو الجَفَلى(٤) *

---

(١) هو للمعذل بن عبد الله الليثى من قوله يمدح فتيان بنى عَتِيك :

هم يفرشون اللبد كل طمرة وأجرد سَبّاح يبذ المغاليا

وقبله :

جزى اللهُ فتيان العتيك وإنْ نأتْ بى الدارُ عنهم خير ما كان جازيا

والطمرة : الفرس الكريم ، والأجرد : القصير الشعر ، والسباح : اللين الجرى ، والمغالى : بضم الميم السهم ، وبفتحها جمع مغلى أو مغلاة وهى السهم أيضاً ، يعنى أنه أسرع منه .

(٢) هو لعمرة الخثعمية من قولها فى رثاء ابنيها :

هما يلبسان المجد أحسن لبسة شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما

واللبسة : اسم هيئة من لبس ، والشحيح : الذى لا يفرط فيما فى يده . وقيل : إن البيت لدرماء بنت سيار الجحدرية فى رثاء أخويها .

(٣) هو للأخنس بن شهاب التغلبى من قوله :

فهم يضربون الكبش يبرق بيضه على وجهه من الدماء سبائبُ

وروى : «هم يضربون» والكبش : الشجاع ، والبيض : اللأمة ، والسبائب : الطرائق جمع سبيبة ، يعنى أنهم يضربونه فيسيل دمه كأنه طرائق حمر .

(٤) هو لعمرو بن العبد المعروف بطرفة .

ومما لا يستقيم المعنى فيه إلا على ما جاء من بناء الفعل على الاسم قوله تعالى : ﴿ إنّ وليّىَ اللهُ الذى نزل الكتابَ وهو يتولّى الصالحين ﴾(١) وقوله تعالى ﴿ وقالوا أساطيرُ الأوّلين اكتتبها فهى تُملَى عليه بُكرةً وأصيلا ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ وحُشرَ لسليمان جنودهُ من الجنّ والإنس والطير فهم يُوزعون ﴾(٣) فإنه لا يخفى على من له ذوق أنه لو جيء فى ذلك بالفعل غير مبنى على الاسم لوُجِد اللفظ قد نبا عن المعنى ، والمعنى قد زال عن الحال التي ينبغى أن يكون عليها .

وكذا إذا كان الفعل منفيا(٤) كقولك « أنت لا تكذب » فإنه أشد لنفى الكذب عنه من قولك « لا تكذب » وكذا من قولك « لا تكذب أنت » لأنه لتأكيد المحكوم عليه لا الحكم ، وعليه قوله تعالى ﴿ والذين هُمْ بربهم لا يُشركون ﴾(٥) فإنه يفيد من التأكيد فى نفى الإشراك عنهم ما لا يفيده

= نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

والمشتاة : الشتاء وهو زمن الجدب عندهم ، والجفلى : الدعوة العامة ، والآدب الداعى إلى المأدبة ، وقوله « ينتقر » معناه يدعو بعضا ويترك بعضا .

(١) آية ١٩٦ سورة الأعراف .

(٢) آية ٥ سورة الفرقان .

(٣) آية ١٧ سورة النمل .

(٤) أى بحرف نفى مؤخر عن المسند إليه ، فهو يأتى كالمثبت تارة للتخصيص ، وتارة لتقوية الحكم ، ومن إتيانه للتخصيص قولك « أنا ما قلت هذا » أى وحدى ، تقوله لمن اعتقد أنه لم يقل مصيبا فى هذا ولكنه نسبه خطئا إلى غيرك ، وكل الأمثلة التى ذكرها الخطيب لإفادة تقوية الحكم .

(٥) آية ٥٩ سورة المؤمنون .

قولنا « والذين لا يشركون بربهم » ولا قولنا « والذين بربهم لا يشركون »
وكذا قوله تعالى ﴿ لقدْ حقّ القولُ على أكثرهم فهم لا يُؤمنون ﴾(١)
وقوله تعالى ﴿ فَعميتْ عليهمُ الأنباء يومئذ فهُمْ لا يتساءلون ﴾(٢)
وقوله تعالى ﴿ إنّ شرّ الدّوابّ عندَ اللهِ الذين كفرُوا فهُمْ لا يؤمنُون ﴾(٣).

هذا كله إذا بُنى الفعل على مُعرّفٍ ، فإن بنى على مُنكّر أفاد ذلك تخصيص(٤) الجنس أو الواحد(٥) بالفعل ، كقولك « رجل جاءنى » أى لا امرأة أو لا رجلان ، وذلك لأن أصل النكرة أن تكون للواحد من الجنس ، فيقع القصد بها تارة إلى الجنس فقط ، كما إذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أنْ قد أتاك آتٍ ،

---

(١) آية ٧ سورة يس

(٢) آية ٦٦ سورة القصص

(٣) آية ٥٥ سورة الأنفال

(٤) ظاهر هذا أن بناء الفعل على المنكر لا يفيد تقوية الحكم ، وقد ذكر السعد أنه قد يفيد ذلك ، كأن يقال « رجل جاءنى » فالمعنى أنه جاء ولا بد ، ثم ذكر أن هذا هو الذى يُشعر به كلام عبد القاهر فى « دلائل الإعجاز » ولكن رجعت إلى كلامه فيه فوجدته صريحا فى أنه لا يفيد إلا التخصيص ، لأنه ذكر أنك إذا قلت « رجل جاءنى » لم يصلح حتى تريد أن تُعلم المخاطب أن الذى جاءك رجل لا امرأة أو لا رجلان ، ويكون كلامك مع من عرف أن قد أتاك آت . فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول « جاءنى رجل » ولا شك أن ما ذكره السعد لا يصح عربيةً لعدم صحة الابتداء بالنكرة إلا عند إرادة التخصيص كما سيأتى ، وإذا لم يصحّ عربية لم يصح بلاغة .

(٥) هذا إذا كان المنكر مفرداً ، فإذا كان مثنى أو جمعاً أفاد تخصيص الجنس أو المثنى أو الجمع .

ولم يدر جنسه أرجل هو أو امرأة ؟ أو اعتقد أنه امرأة ، وتارةً إلى الوحدة فقط ، كما إذا عرف أن قد أتاك مَن هو من جنس الرجال ، ولم يدر أرجل هو أم رجلان ؟ أو اعتقد أنه رجلان .

واشترط السكاكي(١) في إفادة التقديم والاختصاص(٢) أمرين :

أحدهما أن يجوز تقدير كونه في الأصل مؤخراً على أن يكون فاعلا في المعنى فقط ، كقولك « أنا قمت » فإنه يجوز أن تُقَدَّرَ أصله « قمتُ أنا » على أنّ « أنا » تأكيد للفاعل(٣) الذي هو التاء في قمت ، فقُدِّمَ « أنا » وجُعِلَ مبتدأ .

وثانيهما أن يقدّر كونه كذلك ، فإن انتفى الثاني دون الأول كالمثال المذكور إذا أجرى على الظاهر ، وهو أن يقدر الكلام من الأصل مبنياً على المبتدأ والخبر ، ولم يقدر تقديم وتأخير ، أو انتفى الأول بأن يكون المبتدأ اسما ظاهراً(٤) فإنه لا يفيد إلا تَقَوِّيَ الحكم .

واستثنى المُنَكَّرَ(٥) كما في نحو « رجل جاءني » بأن قدر أصله « جاءني رجل » لا على أن « رجل » فاعل جاءني ، بل على أنه بدل من الفاعل الذي هو الضمير المستتر في جاءني ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وأسرّوا النَّجوى الذينَ ظَلَمُوا ﴾(٦) إن ﴿ الذين ظلموا ﴾ بدل من الواو في ﴿أسروا﴾

---

(١) ١١٩ ، ١٢٠ — المفتاح .

(٢) أما تقوية الحكم فلا خلاف فيها بين السكاكي وعبد القاهر ، لأنها تأتي في جميع صور التقديم وإن لم تكن مقصودة في بعضها كما سبق .

(٣) أي وتأكيد الفاعل في المعنى لا في اللفظ .

(٤) نحو « زيد قام » فإنه إذا قدر تأخيره يكون فاعلا في اللفظ والمعنى ، لا في المعنى فقط .

(٥) أي من ذلك الشرط ، فلم يشترطه فيه . (٦) آية ٣ سورة الأنبياء

وفرق بينه وبين المعرّف بأنه لو لم يقدر ذلك فيه انتفى تخصيصه ، إذ لا سبب لتخصيصه سواه ، ولو انتفى تخصيصه لم يقع مبتدأ(١) بخلاف المعرف لوجود شرط الابتداء فيه وهو التعريف .

ثم قال : « وشرطه(٢) ألا يمنع من التخصيص مانع(٣) كقولنا « رجل جاءني » أي لا امرأة أو لا رجلان ، دون قولهم « شرّ أهرّ ذا ناب » ، أما على التقدير الأول(٤) فلامتناع أن يراد المُهِرُّ شر لا خير(٥) ، وأما على الثاني(٦) فلكونه نابياً عن مكان استعماله(٧) ، وإذ قد صرح الأئمة بتخصيصه حيث تأولوه بما أهر ذا ناب إلا شر ، فالوجه تفظيع شأن الشر بتنكيره كما سبق »(٨) . هذا كلامه ، وهو مخالف لما ذكره الشيخ

---

(١) لأنه لا يجوز الابتداء بالنكرة إلا إذا خصصت ، فإذا كان لها مخصص غير ذلك من وصف أو نحوه لم يجب جعل التقديم للتخصيص .

(٢) أي شرط تقدير ذلك في المنكر ليفيد التخصيص .

(٣) يريد بالمانع انتفاء فائدة التخصيص من رد اعتقاد المخاطب في تعيين الحكم مع تسليم أصله .

(٤) هو أن يكون لتخصيص الجنس .

(٥) لأنه لا يوجد من يتوهم أن الخير يهر الكلب حتى يرد عليه بذلك .

(٦) هو أن يكون لتخصيص الواحد .

(٧) لأنه مثل يقال في مقام الحث على شدة الحزم لدفع هذا الشر لعظمه ، فإذا أريد أن الذي أهره شر لا شران نافى القصد منه ، لأنه مما يوجب التساهل في دفعه .

(٨) من أن التنكير قد يأتي للتعظيم ، وبهذا يجمع بين قولهم بتخصيصه وقوله بعدمه . فقولهم بالتخصيص مبني على جعل التنكير للتعظيم ، والمعنى شر عظيم أهر ذا ناب لا شر ضعيف ، فيكون التخصيص في الوصف لا في جنس الشر ، ويكون له فائدة ، وقوله بعدم التخصيص مبني على عدم إرادة ذلك من التنكير ، فيكون التقديم عنده لتقوية الحكم فقط

عبد القاهر (١) لأن ظاهر كلام الشيخ فيما يلي حرف النفي القطعُ بأنه يفيد التخصيص مضمراً كان أو مظهراً ، معرّفاً أو منكراً من غير شرط ، لكنه لم يمثل إلا بالمضمر ، وكلام السكاكي صريح في أنه لا يفيده إلا إذا كان مضمراً أو منكراً بشرط تقدير التأخير في الأصل ، فنحو « ما زيد قام » يفيد التخصيص على إطلاق قول الشيخ ، ولا يفيده على قول السكاكي ، ونحو « ما أنا قمت » يفيده على قول الشيخ مطلقاً ، وعلى قول السكاكي بشرط ، وظاهر كلام الشيخ أن المعرّف إذا لم يقع بعد النفي وخبره مثبت أو منفي قد يفيد الاختصاص مضمراً كان أو مظهراً ، لكنه لم يمثل

(١) من يرجع إلى كلام السكاكي في « المفتاح » يرى أنه حاكى عبد القاهر فيما يفيده تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي ، فقد رأى في النكرة أن البناء عليها لا يفيده إلا التخصيص كما يرى عبد القاهر ، ولم يخالفه إلا في توجيه ذلك بما لا يؤثر في موافقته له ، وقد رأى فيما يلي حرف النفي ما يراه عبد القاهر ، فلا يصح عنده مثل « ما أنا رأيت أحداً ، ولا ما أنا رأيت إلا زيداً » وكذلك لا يصح عنده « ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس » ولا : ما أنا ضربت زيداً ولا أحد غيري » فالمضمر والمظهر عنده في ذلك سواء ، ولهذا لم يذكر شرط تقدير التأخير فيما يلي حرف النفي ، ولا يوجد في كلامه ما يشعر بحمله على المثبت في هذا الشرط ، وقد رأى في المعرف المثبت أنه يحتمل التخصيص وتقوية الحكم كما يرى عبد القاهر ، ولكنه يرى أن البناء على المظهر ليس كالبناء على المضمر في احتمال هذين الاعتبارين على السواء ، فهو لا ينفي فيه الاختصاص ؛ بل يبعده . ولعل عبد القاهر لم يمثل إلا بالمضمر كما ذكر الخطيب لضعف اعتبار التخصيص في المظهر ، ولعل الخطيب أشار بقوله — لأن ظاهر كلام الشيخ إلخ إلى أنه يمكن الجمع بينهما .

فالحق أنه لا خلاف بين عبد القاهر والسكاكي في ذلك كله إلا في التوجيه فقط ، والخلاف في التوجيه لا يؤثر في اتفاقهما على ذلك بشيء ، وما كان أغنى الخطيب عن التطويل بما طوّل به في هذا الوضع .

إلا بالمضمر، وكلام السكاكي صريح في أنه لا يفيده إلا المضمر، فنحو « زيد قام » قد يفيد الاختصاص على إطلاق قول الشيخ ، ولا يفيده عند السكاكي ، ثم فيما احتج به لما ذهب إليه نظر ، إذ الفاعل وتأكيده سواء في امتناع التقديم ما دام الفاعل فاعلا والتأكيد تأكيداً ، فتجويز تقديم التأكيد دون الفاعل تحكمٌ ظاهر، ثم لا نُسلِّم انتفاء التخصيص في صورة المنكر لولا تقدير أنه كان في الأصل مؤخراً فقُدِّمَ ، لجواز حصول التخصيص فيها بالتهويل كما ذكر(1) وغير التهويل، ثم لا نسلم امتناع أن يراد المُهِرُّ شر لا خير ، قال الشيخ عبد القاهر : إنما قُدِّمَ « شر » لأن المراد أن يُعلَمَ أن الذي أهرَّ ذا ناب هو من جنس الشر لا من جنس الخير(2) فجرى مجرى أن تقول « رجل جاءني » تريد أنه رجل لا امرأة ، وقولُ العلماء إنه إنما صلح لأنه بمعنى « ما أهر ذا ناب إلا شر » بيانٌ لذلك ، وهذا صريح في خلاف ما ذكره .

ثم قال السكاكي(3) : ويقرب من قبيل « هو عرف » في اعتبار تقوّي الحكم(4)

---

(1) أي في قولهم « شر أهر ذا ناب » وغير التهويل كالتحقير والتكثير والتقليل ، ولكن هذا لا يرد على السكاكي ، لأنه إنما يقدر ذلك في النكرة إذا لم يكن هناك سبب للتخصيص سواه ، نحو « رجل جاءني » على إرادة الجنس أو الواحد ، فليس فيه احتمال تهويل ولا غيره .

(2) ٩٤ — دلائل الإعجاز ، ولكن قد سبق أن التخصيص في مثل هذا لا فائدة فيه ، وقيل : إن الكلب قد يهز في الدفاع عن أصحابه وهو من جنس الخير ، فيكون على هذا في التخصيص بجنس الشر فائدة ، ولا حاجة مع هذا إلى تسويغ التخصيص فيه بجعل التنكير للتعظيم كما سبق . (3) ١١٩ — المفتاح .

(4) ظاهر هذا أنه لا يأتي للتخصيص عنده ، وقيل : إنه يأتي عنده أيضاً للتخصيص . ويدل على هذا ما سيأتي في قوله تعالى : ﴿ وما أنت علينا بعزيز ﴾ وما سيأتي له في باب القصر من إفادة « أنا عارف » الحصر .

« زيد عارف » ، وإنما قلت « يقرب » دون أن أقول « نظيره » ، لأنه لما لم يتفاوت في التكلم والخطاب والغيبة في « أنا عارف ، وأنت عارف ، وهو عارف » أشبه الخالي عن الضمير ، ولذلك لم يحكم على « عارف » بأنه جملة ولا عومل معاملتها في البناء(١) حيث أعرب في نحو « رجلٌ عارفٌ ، رجلا عارفا ، رجل عارف » واتبعه في حكم الإفراد ، نحو « زيد عارف أبوه » يعني اتبع « عارف » « عرف » في الإفراد . إذا أسند إلى الظاهر مفرداً كان أو مثنى أو مجموعا(٢) .

ثم قال : ومما يفيد التخصيص ما يحكيه علت كلمته عن قوم شعيب عليه السلام : ﴿ وما أنت علينا بعزيز ﴾(٣) أى العزيز علينا يا شعيب رهطك لا أنت(٤) لكونهم من أهل ديننا ، ولذلك قال عليه السلام في جوابهم : ﴿ أرهطي أعزُّ عليكم من الله ﴾ أى من نبيّ الله ، ولو كان معناه معنى « ما عززت علينا » لم يكن مطابقا . وفيه نظر ، لأن قوله : ﴿ وما أنت علينا بعزيز ﴾ من باب « أنا عارف » لا من باب « أنا عرفت »(٥) ، والتمسك بالجواب ليس بشيء ، لجواز أن يكون

---

(١) المراد به عدم ظهور إعرابها ، لأنه لا يلزم البناء فيها .

(٢) فلا تلحقهما علامة التثنية ولا علامة الجمع .

(٣) آية ٩١ سورة هود .

(٤) فيفيد التخصيص مع تقوية الحكم .

(٥) هذا لا يرد على السكاكي عند من يرى أنه لا فرق عنده بين البابين في احتمال إفادة التخصيص وتقوية الحكم ، ولكن الحق خلاف ما ذهب إليه السكاكي من التسوية بين البابين ، بدليل أنه لو كان نحو « زيد عارف » يفيد تقوية الحكم لما صح خطاب الذهن به ، وهو خلاف ما سبق عن أبي العباس في جواب الكندي في باب الإسناد الخبرى من الفرق بين « عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم وإن عبد الله لقائم » .

عليه السلام فهم كون رهطه أعز عليهم من قولهم : ﴿ ولولا رهطك لرجمناك ﴾ وقال الزمخشرى : دل إيلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام فى الفاعل لا فى الفعل ، كأنه قيل : « وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا »(١) وفيه نظر ، لأنا لا نسلم أن إيلاء الضمير حرف النفى إذا لم يكن الخبر فعلياً يفيد الحصر ، فإن قيل : الكلام واقع فيه وأنهم الأعزة عليهم دونه ، فكيف صح قوله : ﴿ أرهطى أعزُّ عليكم من الله ﴾ ؟ قلنا : قال السكاكى : معناه : من نبي الله، فهو على حذف المضاف ، وأجود منه ما قال الزمخشرى : وهو أن تهاونهم به وهو نبي الله تهاونٌ بالله ، فحين عزّ عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾(٢)

---

(١) فيكون الزمخشرى فى هذا موافقاً للسكاكى ، ويرى مثله أن نحو « زيد عارف » من قبيل « هو عرف » فى إفادة التقوية والتخصيص .

(٢) آية ٨٠ سورة النساء .

هذا ، ومما ورد من الشعر فى إفادة التقديم التقوية أو التخصيص قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

وقول بعضهم :

كانت قناتى لا تلين لغامزٍ فألانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربى بالسلامة جاهداً ليُصحّنى ، فإذا السلامة داء

وقول الآخر :

لستُ بكفى كفّه أبتغى الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يُعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدتُ وأعدانى فأتلفتُ ما عندى

ويجوز أن يقال : لا شك أن همزة الاستفهام هنا ليست على بابها ، بل هي للإنكار للتوبيخ ، فيكون معنى قوله : ﴿ أرهطي أعز عليكم من الله ﴾ إنكار أن يكون مانعهم من رجمه رهطه لانتسابه إليهم دون الله تعالى مع انتسابه إليه أيضاً ، أى أرهطي أعز عليكم من الله حتى كان امتناعكم من رجمي بسبب انتسابي إليهم بأنهم رهطي ، ولم يكن بسبب انتسابي إلى الله تعالى بأني رسوله . والله أعلم .

ومما يُرَى تقديمه[1] كاللازم لفظ « مثل » إذا استُعمِلَ كناية من غير تعريض[2] كما في قولنا « مثلك لا يبخل » ونحوه مما لا يراد بلفظ « مثل » غير ما أضيف إليه ، ولكن أريد أن من كان على الصفة التي هو عليها كان من مقتضى القياس وموجِبِ العُرْفِ أن يفعل ما ذكر أو ألا يفعلَ[3] ، ولكون المعنى هذا[4] قال الشاعر :

---

(١) أى على الخبر الفعلي ، ويلحق بلفظ « مثل » ما هو بمعناه كلفظ « شبيه ونظير » ، وإنما كان التقديم فيها كان كاللازم ولم يكن لازما لأنه لا شيء يوجبه من جهة القياس ولا من جهة الكناية ، وإنما هو مما يساعد على الغرض المقصود منها ، وهي حاصلة مع التقديم والتأخير ، فليس هذا اللزوم إلا في استعمال البلغاء .

(٢) أى بغير ما أضيف إليها ، فلو أريد بها غيره لم يلزم تقديمها لأنها تخرج من الكناية إلى الحقيقة ، كما في قول أبي إسحاق الصابي :

تشابه دمعي إذ جرى ومدامتي ... فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب

فليس المراد بالتعريض هنا التعريض المعدود من الكناية ، وإنما المراد به معناه اللغوي وهو الإشارة على وجه الإجمال .

(٣) هذا يلزمه أنه هو نفسه يفعله أو لا يفعله ، فالكناية في ذلك من إطلاق الملزوم وإرادته اللازم .

(٤) أى على أنه لا يراد بمثل غير ما أضيفت إليه .

ولم أقل مِثلُكَ أعني به   سِواكَ يا فَرْداً بلا مُشْبِه(١)

وعليه قوله :

مِثْلُكَ يَثْنِي الحُزْنَ عن صَوْبِهِ   ويَستردُّ الدَّمعَ عن غَرْبِه(٢)

وكذا قول القَبَعْثَرِى(٣) للحجاج لما توعده بقوله « لأحملنك على الأدهم والأشهب : مثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب »(٤) أى مَن كان على هذه الصفة من السلطة وبسطة اليد ، ولم يقصد أن يجعل أحداً مثله .

وكذلك حكم « غير » إذا سُلِك به هذا المسلك(٥) فقيل ، « غيرى يفعل ذلك »

---

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، و « مثلك » فيه مفعول « أقل » على حكايته فى البيت الآتى بعده لأنه تِلْوه فى القصيدة .

(٢) هو للمتنبى أيضاً من قصيدة له فى الرثاء ، وقوله « يثنى الحزن » بمعنى يكفه بالصبر والصوب الجهة ، والغرب عرق فى العين يجرى منه الدمع ، وفى رواية « يثنى المزن » وهو السحاب ، وهى خلاف رواية الديوان ، ولا تناسب مقام الرثاء .

(٣) الصواب ابن القبعثرى وهو الغضبان بن القبعثرى الشيبانى ، وكان ممن خرج على الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٤) الأدهم فى كلام الحجاج بمعنى القيد من الحديد ، وفى كلام الغضبان بمعنى الفرس الأسود ، وسيأتى هذا فى الكلام على تلقى المخاطب بغير ما يترقب .

(٥) فلم يقصد بها سوى ما أضيف إليها ، فإن قصد بها سوى ما أضيف إليها لم يلزم تقديمها ، كما فى قول الشاعر :

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم   فكأننى سبابة المتندم

ويعطى حكم « غير » فى ذلك ما بمعناها مثل « سوى وسواء ونحوهما » ومن ذلك قول ابن سناء الملك :

سواى يهاب الموت أو يرهب الردى   وغيرى يهوى أن يعيش مخلداً

على معنى « أنى لا أفعله »(١) من غير إرادة التعريض بإنسان(٢). وعليه قوله :

* غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع(٣) *

فإنه معلوم أنه لم يُرِدْ أن يُعَرِّضَ بواحد هناك فيصفه بأنه ينخدع ؛ بل أراد أنه ليس مما ينخدع ، وكذا قول أبى تمام :

وغيرى يأكل المعروف سُحْتاً ... ويشحُبُ عنده بيضُ الأيادى(٤)

فإنه لم يُرِدْ أن يعرّض بشاعر سواه فيزعم أن الذى قُرِف به عند الممدوح من أنه هجاه كان من ذلك الشاعر لا منه، بل أراد أن ينفى عن نفسه أن يكون ممن يكفر النعمة ويلؤم لا غير .

واستعمال « مثل وغير » هكذا مركوز فى الطباع ، وإذا تصفحت الكلام وجدتهما يُقدَّمانِ أبداً على الفعل إذا نُحِيَ بهما نحو ما ذكرناه ، ولا يستقيم المعنى فيهما إذا لم يقدَّما ، والسر فى ذلك أن تقديمهما يفيد تقوِّىَ الحكم كما

---

(١) هذا أيضاً بطريق الكناية كما فى لفظ « مثل » وهى من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم أيضا ؛ لأنه إذا كان غيره هو الذى يفعله لزم أنه هو لا يفعله بحكم المقابلة ، وإذا كان غيره لا يفعله لزم أنه هو يفعله ، لأنه لا بد له من محل يقوم به .

(٢) لا يعنى به التعريض الآتى فى الكناية ، وإنما يعنى به قصد إنسان غير المخاطب على طريق الحقيقة كما سبق .

(٣) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى من قوله :

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع ... إن قاتلوا جبنوا أو حدّثوا شجعوا

يريد أنهم جبناء فى قتالهم شجعان فى حديثهم ، فلا تصدق أفعالهم أقوالهم .

(٤) هو لحبيب بن أوس المعروف بأبى تمام ، والسحت الحرام ، ويعنى بذلك أنه لا يجحد المعروف فيأكله سحتا ، وقوله «يشحب» من الشحوب وهو فى الأصل تغير اللون ، والأيادى : النعم .

سبق تقريره ، وسيأتى أن المطلوب بالكناية فى مثل قولنا « مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود » هو الحكم(١) وأن الكناية أبلغ من التصريح فيما قُصِد بها ، فكان تقديمهما أعون للمعنى الذى جُلِبا لأجله .

قيل(٢) : وقد يقدم(٣) لأنه دالٌّ على العموم(٤) كما تقول « كل إنسان لم يقم » فيقدمَ ليفيد نفى القيام عن كل واحد من الناس ، لأن الموجبة المعدولة المهملة(٥) فى قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفى الحكم عن جملة الأفراد دون كل واحدة منها ، فإذا سوِّرت بكل وجب أن تكون لإفادة العموم لا لتأكيد نفى الحكم عن جملة الأفراد ، لأن التأسيس خير من

---

(١) لأنه من قسم الكناية التى يطلب بها نسبة .

(٢) ١٣ — المصباح « لبدر الدين بن مالك » المطبعة الخيرية .

(٣) أى المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٤) لا يخفى أن دلالة التقديم هنا على العموم دلالة لغوية لا وجه لذكرها هنا ، وإن كانت تدل على دقة العربية فى تركيب كلامها ، وإنما ينظر هنا إلى أن نحو « كل إنسان لم يقم » يفيد تقوية حكم العموم ، بخلاف نحو « لم يقم إنسان » فهو داخل فى تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى ، وما كان أغنى الخطيب عن الإطالة فى هذا البحث الذى لا صلة له بهذا العلم ، وإنما هو أشبه بعلم المنطق .

(٥) المعدولة هى التى وقع النفى جزءاً من موضوعها أو محمولها ، والمهملة هى التى لم تسور بسور كلى أو جزئى ، والمراد بالموجبة المعدولة المهملة هنا جملة « إنسان لم يقم » قبل دخول « كل » عليها ، فهى فى قوة السالبة الجزئية أى « لم يقم بعض الإنسان » فكل منهما يفيد نفى الحكم عن جملة الأفراد لا عن كل واحد منها .

التأكيد(١) ولو لم اقدم قلت « لم يقم كل إنسان » كان نفيا للقيام عن جملة الأفراد دون كل واحد منها(٢) لأن السالبة المهملة(٣) في قوة السالبة الكلية(٤) المقتضية سلب الحكم عن كل فرد لورود موضوعها في سياق النفي(٥) ، فإذا سوّرت بكل وجب أن تكون لإفادة نفي الحكم عن جملة الأفراد ، لئلا يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس . وفيه نظر ، لأن النفي عن جملة الأفراد في الصورة الأولى ، أعني الموجبة المعدولة المهملة ، كقولنا « إنسان لم يقم » وعن كل فرد في الصورة الثانية « أعني السالبة المهملة ، كقولنا « لم يقم إنسان » إنما أفاده الإسناد إلى إنسان ، فإذا أضيف « كل » إلى إنسان وحُوّل الإسناد إليه ، فأفاد في الصورة الأولى نفي الحكم عن جملة الأفراد ، وفي الثانية نفيه عن كل فرد منها ، كان « كل » تأسيساً لا تأكيداً ، لأن التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيده لفظ آخر ، وما نحن فيه ليس كذلك ، ولئن سلمنا أنه يسمى تأكيداً(٦) فقولنا « لم يقم إنسان »

---

(١) يريد بالتأسيس إفادة معنى جديد وبالتأكيد خلافه .

(٢) هذا باعتبار الغالب ، وقد يتقدم النفي على « كل » ويكون المعنى على عموم النفي ، كما في قوله تعالى : ﴿ والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾ آية ٢٧٦ سورة البقرة وقيل : إن دلالة هذا ونحوه على عموم النفي ليس بأصل الوضع ، وإنما هو بمعونة القرائن .

(٣) هي جملة — ولم يقم إنسان .

(٤) هي جملة — لا شيء من الإنسان بقائم .

(٥) لأن النكرة في سياق النفي تعم .

(٦) بألا يراد التأكيد الاصطلاحي ؛ وإنما يراد به أن « كل » أفادت معنى كان مستفاداً قبلها ، ويقصد الخطيب أنه إذا سلم هذا صح توجيهه في الصورة الأولى دون الثانية .

إذا كان مفيداً للنفى عن كل فرد كان مفيداً النفى عن جملة الأفراد لا محالة ، فيكون كل فى « لم يقم كل إنسان » إذا جعل مفيداً للنفى عن جملة الأفراد تأكيداً لا تأسيساً ، كما قال فى « كل إنسان لم يقم » فلا يلزم من جعله للنفى عن كل فرد(١) ترجيح التأكيد على التأسيس(٢) . ثم جعله قولنا « لم يقم إنسان » سالبة مهملة فى قوة سالبة كلية مع القول بعموم موضوعها لوروده نكرة فى سياق النفى خطأ ، لأن النكرة فى سياق النفى إذا كانت للعموم كانت للقضية التى جعلت هى موضوعا لها سالبة كلية ، فكيف تكون سالبة مهملة(٣) ولو قال « لو لم يكن الكلام المشتمل على كلمة « كل » مفيداً لخلاف ما يفيده الخالى عنها لم يكن فى الإتيان بها فائدة — لثبت مطلوبه فى الصورة الثانية دون الأولى ، لجواز أن يقال : فائدته فيها الدلالة على نفى الحكم عن جملة الأفراد بالمطابقة(٤) .

---

(١) أى لا يلزم من جعل « لم يقم كل إنسان » لعموم السلب مثل « لم يقم كل إنسان » .

(٢) إذ لا تأسيس مع هذا أصلا ، وإنما يلزم ترجيح أحد التأكيدين على الآخر بلا مرجح وهو باطل ، ويكون هذا هو التوجيه الصحيح فى الصورة الثانية لا ما ذكره من لزوم ترجيح التأكيد على التأسيس .

(٣) أجيب عن هذا بأنه جرى على اصطلاح علم المنطق ، لأن هذه القضية خالية من سور السلب الكلى ، وهو « لا شىء » ونحوه ، فتكون مهملة لا سالبة كلية .

(٤) لأن قولنا « إنسان لم يقم » يدل بالمطابقة على نفى الحكم عن بعض الأفراد ، ولا يحتمل المجموع إلا بدلالة الالتزام ، أما « كل إنسان لم يقم » فإنه إذا جعل لنفى الحكم عن المجموع تكون دلالته عليه بالمطابقة .

واعلم أن ما ذكره هذا القائل من كون «كل» فى النفى مفيدة للعموم تارة وغير مفيدة أخرى مشهور(١) ، وقد تعرض له الشيخ عبد القاهر وغيره .

وقال الشيخ(٢) : «كلمة «كل» فى النفى إن أدخلتَ فى حيزه بأن قُدِّمَ عليها لفظا ، كقول أبى الطيِّب :

* ما كلُّ ما يتمنَّى المرءُ يدركه(٣) *

وقول الآخر :

* ما كل ما رأى الفتى يدعو إلى رشد(٤) *

وقولنا : ما جاء القوم كلهم ، وما جاء كل القوم ، ولم آخذ الدراهم كلها ، ولم آخذ كل الدراهم ، أو تقديرا(٥) بأن قُدِّمَت على الفعل المنفى وأُعمِلَ فيها ؛ لأن العامل رتبته التقدم على المعمول ، كقولك «كل الدراهم لم آخذ» توجه النفى(٦) إلى الشمول خاصةً دون أصل الفعل ، وأفاد الكلام ثبوته لبعض أو تعلقه(٧) ببعض .

---

(١) فهو مسلم فى ذاته ، ولم يرد الخطيب بما سبق إلا إبطال توجيه ابن مالك له ، لأنه يرجع فى الحقيقة إلى أصل الوضع ، لا إلى تلك التكلفات المنطقية السابقة .

(٢) ١٨٦ — دلائل الإعجاز .

(٣) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى من قوله :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

والمشهور رواية «كل» بالرفع ، وقد جوز ابن جنى نصبها على الاشتغال .

(٤) هو لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبى العتاهية من قوله :

ما كل رأى الفتى يدعو إلى رشد إذا بدا لك رأى مشكل فقف

(٥) معطوف على «لفظا» (٦) هذا جواب — إن .

(٧) إفادة الثبوت فيما يكون «كل» فيه فاعلا فى المعنى ، وإفادة التعليق فيما يكون فيه مفعولا فى المعنى .

وإن أخرجت من حيزه بأن قدمت عليه لفظا ولم تكن معمولة للفعل المنفى توجه النفى إلى أصل الفعل، وعمّ ما أضيف إليه «كل» كقول النبي ﷺ لما قال له ذو اليدين(١) «أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟»: «كلُّ ذلك لم يكن» أي لم يكن واحد منهما: لا القصر ولا النسيان، وقول أبي النجم:

قد أصبحت أمُّ الخيار تدّعى ... عليَّ ذنبا كلُّه لم أصنعِ(٢)

ثم قال: وعلة ذلك أنك إذا بدأت «بكل» كنت قد بنيت النفى عليه وسلّطت الكلية على النفي وأعملتها فيه، وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضي الا يشذ شيء عن النفى، فاعرفه. » هذا لفظه، وفيه نظر(٣).

وقيل: إنما كان التقديم مفيداً للعموم دون التأخير لأن صورة التقديم تفهم سلب لحوق المحمول للموضوع(٤) وصورة التأخير تفهم سلب الحكم من غير تعرض للمحمول بسلب أو إثبات. وفيه نظر أيضا؛ لاقتضائه ألاّ تكون «ليس» في نحو قولنا «ليس كل إنسان كاتباً» مفيده لنفي كاتب،

---

(١) هو الخرباق أو العرباض بن عمرو.

(٢) هو للفضل بن قدامة المعروف بأبي النجم، والرواية برفع «كله» على أنه مبتدأ خبره جملة «لم أصنع»، والرابط محذوف أي لم أصنعه.

(٣) لعل وجه النظر ما قيل إن تمثيله بما جاء القوم كلهم ليس بجيد، لأن «كلهم» هنا ليس مسنداً ولا مسنداً إليه بل هو تأكيد، ولكن سلب العموم هنا في الألف واللام في القوم، ومثله في هذا تمثيله بلم آخذ الدراهم كلها، وإني أرى أن المثالين من باب عموم السلب لا من باب سلب العموم، و «كل» فيهما تفيد شمول النفى كما تفيد شمول الإثبات في نحو «جاء القوم كلهم» لأن الغرض من التوكيد واحد فيهما، وهو إفادة الشمول في النسبة إثباتا كانت أو نفيا.

(٤) المراد بالموضوع لفظ إنسان في قولنا «كل إنسان لم يقم»، وليس «كل إنسان قائما» لا لفظ «كل» وهذا اصطلاح أهل المنطق، إنما أفادت صورة التقديم ذلك لاتصال النفى فيه بالمحمول دون الحكم، لأنها موجبة معدولة المحمول.

هذا إن حمل كلامه على ظاهره ، وإن أوّل بأن مراده أن التقديم يفيد سلب لحوق المحمول عن كل فرد ، والتأخير يفيد سلب لحوقه لكل فرد ، اندفع هذا الاعتراض ، لكن كان مصادرة على المطلوب(١) .

واعلم أن المعتمد في المطلوب الحديث وشعر أبي النجم ، وما نقلناه عن الشيخ عبد القاهر وغيره لبيان السبب ، وثبوت المطلوب لا يتوقف عليه ، والاحتجاج بالخبر من وجهين : أحدهما أن السؤال بأم عن أحد الأمرين لطلب التعيين بعد ثبوت أحدهما عند المتكلم على الإبهام ، فجوابه إما بالتعيين أو بنفي كل واحد منهما(٢) . وثانيهما ما روى أنه لما قال رسول الله ﷺ : « كل ذلك لم يكن » قال له ذو اليدين : « بعض ذلك قد كان » ، والإيجاب الجزئي نقيضه السلب الكلي ، ويقول(٣) أبي النجم ما أشار إليه الشيخ عبد القاهر ، وهو أن الشاعر فصيح ، والفصيح الشائع في مثل قوله نصب كل(٤) وليس فيه ما يكسر له وزنا ، وسياق كلامه أنه لم يأت بشيء مما ادّعت عليه هذه المرأة ، فلو كان النصب مفيداً

---

(١) لأن الدليل حينئذ يكون عين المطلوب .

(٢) والجواب لم يحصل بالتعيين ، فتعين أنه ينفي واحد منهما ، وهذا هو عموم السلب . (٣) معطوف على قوله « بالخبر » فهو متعلق بالاحتجاج مثله .

(٤) لأن في الرفع تهيئة العامل للعمل ثم قطعه عنه ، وذلك ضعيف غير فصيح ، بل ذهب ابن هشام وغيره إلى منعه ، وقد أجازه سيبويه استشهادا بقول الشاعر :

ثلاث كلهن قتلت عمداً

هذا ومما جاء فيه تقديم « كل » على النفي وتأخيرها عنه قول دعبل الخزاعي :

فوالله ما أدرى بأى سهامها رمتنى وكل عندنا ليس بالمكدى

أبا لجيد أم مجرى الوشاح وإننى لأتهم عينيها مع الفاحم الجعد

وقول أبي الأسود :

وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤت نصحه بلبيب =

لذلك والرفع غير مفيد لم يعدل عن النصب إلى الرفع من غير ضرورة .

ومما يجب التنبيه له فى فصل التقديم أصلٌ، وهو أن تقديم الشىء على الشىء[1] ضربان :

تقديم على نية التأخير ، وذلك فى شىء أُقِرَّ مع التقديم على حكمه الذى كان عليه ، كتقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل ، كقوله «قائم زيد» وضرب عمرا زيد » فإن « قائم وعمرا » لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا مسندأ ومرفوعا بذلك ، وكون هذا مفولا ومنصوبا من أجله .

وتقديمٌ لا على نية التأخير ، ولكن على أن ينقلَ الشىء عن حكم إلى حكم ، ويُجْعَلَ له إعراب غير إعرابه ، كما فى اسمين يحتمل كل منهما أن يجعل مبتدأ والآخر خبرا له ، فيُقَدَّمُ تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا ، كقولنا « زيد المنطلق ، والمنطلق زيد » فإن المنطلق لم يقدم على أن يكون متروكا على حكمه الذى كان عليه مع التأخير ، فيكون خبر مبتدإ كما كان بل على أن ينقل عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ ، وكان القول فى تأخير زيد .

أغراض التأخير : وأما تأخيره فلاقتضاء المقام تقديم المسنَد[2] .

= وقول الآخر : إن المعلم والطبيب كلاهما   لا ينصحان إذا هما لم يكرما

(١) هذا تقسيم قد مهد به عبد القاهر فى « دلائل الإعجاز » للكلام على التقديم والتأخير ، وهو عام فى تقديم المسند إليه وتقديم المسند وتقديم غيرهما ، وتقديم المسند إليه يكون دائما من القسم الثانى ، لأن رتبته التقديم فلا يأتى فيه تقديم على نية التأخير .

(٢) سيأتى فى الكلام على المسند بيان أغراض تقديمه ، وذلك كتخصيصه بالمسند إليه فى نحو قوله تعالى : ﴿ لكم دينكم ولِىَ دين ﴾ آية ٦ سورة الكافرون وكالتشويق إلى ذكر المسند فى قول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها   شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

تمرينات على التقديم والتأخير

تمرين — ١

١ — لماذا قدم المسند إليه فى قول الشاعر :

أنا لا أختار تقبيلَ يدٍ ... قطعُها أجمل من تلك القبل

٢ — لماذا أخّر المسند إليه أولا وقدم ثانيا فى قوله تعالى : ﴿ لا فيها غولٌ ولا هم عنها ينزفون ﴾ آية ٤٧ سورة الصافات .

تمرين — ٢

١ — أى الأمرين « التخصيص وتقوية الحكم » يقصد من قول الشاعر :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى ... وأسمعتْ كلماتى مَن به صممُ

٢ — لماذا أخر المسند إليه أولا وقدم آخراً فى قول الشاعر :

وكالنار الحيــــاةُ فمن رمادٍ ... أواخرها وأوّلها دخانُ

تمرين — ٣

١ — ماذا تدل عليه « سوى » من الكناية أو الحقيقة فى قول الشاعر :

وإذا تُباع كريمة أو تشترى ... فسواك بائعها وأنت المشترِى

١ — ماذا تدل عليه « كل » من سلب العموم أو عموم السلب فى قولهم « ما كل سوداء تمرة ، وما كل بيضاء شحمة » .

تمرين — ٤

١ — لماذا أخر « كل » على النفى فى قول الشاعر :

فيالك من ذى حجة حِيلَ دونها ... وما كل ما يهوَى امرؤٌ هوَ نائله

٢ — لماذا قدم المسند إليه فى قول الشاعر :

خيرُ الصنائع فى الأنامِ صنيعةٌ ... تنبو بحاملها عن الإذلال

تمرين — ٥

١ — لماذا قدمت « سوى وغير » في قول الشاعر :

سواى بتحنان الأغاريد يطربُ وغيرى باللذات يلهو ويلعبُ

٢ — لماذا أخر المسند إليه في قول الشاعر :

إذا نطق السفيه فلا تجبْهُ فخير من إجابته السكوتُ

تمرين — ٦

١ — ما أحسن طريق يختار في إثبات إفادة « كل » عموم السلب إذا وقعت قبل النفي ، وسلب العموم إذا وقعت بعده ؟

٢ — أى فائدة لتقسيم عبد القاهر التقديم إلى تقديم على نية التأخير وتقديم لا على نية التأخير ؟

تمرين — ٧

قال بعض الشعراء :

أحياؤنا لا يُرزقون بدرهمٍ وبألف ألفٍ تُرزق الأمواتُ

١ — فلماذا أتى بالشطر الأول جملة إسمية خبرها فعلى دون الثانى ؟

٣ — من أى نسمى التقديم قوله تعالى : ﴿ قال أراغبٌ أنت عن آلهتى يا إبراهيم ﴾ آية ٤٦ سورة مريم .

تمرين — ٨

١ — لماذا أخر المسند إليه فى قول الشاعر :

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم ونائل

١ — لماذا قدم المسند إليه فى قول الشاعر :

وما أنا ممن تأسِر الخمرُ لبَّهُ ويملك سمعيه اليراع المثقبُ

تخريج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر

وضع المضمر موضع المظهر :

هذا كله مُقْتَضَى الظاهر(١) وقد يُخَرَّج المسند إليه على خلافه ، فيُوضع المضمر موضع المظهر ، كقولهم ابتداء من غير جريِ ذكْر لفظاً أو قرينة حال : « نعم رجلا زيد ، وبئس رجلا عمر » مكان « نعم الرجل وبئس الرجل » ، على قول من لا يرى الأصل « زيد نعم رجلا ، وعمرو بئس رجلا »(٢) وقولهم « هو زيد عالم ، وهي عمر شجاع »(٣) مكان « الشأن زيد عالم ، والقصة عمرو شجاع » ليتمكن فى ذهن السامع ما يعقبه(٤) ، فإن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقى مُنْتَظِراً لِعُقْبى الكلام كيف تكون ؟ فيتمكن المسموع بعده فى ذهنه فضل تمكن ، وهو السر فى التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة ،

(١) أى مقتضى ظاهر الحال على ما سبق فى باب الإسناد الخبرى ، واسم الإشارة يعود إلى كل ما سبق من الكلام على أحوال المسند إليه ، وقيل إنه يستثنى منه توجيه الخطاب لغير معين ، لأنه من تخريجه على خلاف مقتضى الظاهر .

(٢) من لا يراه يجعل المخصوص خبر مبتدإ محذوف ، فيكون الضمير الفاعل عائدا على معقول معهود فى الذهن ، وأما الذى يرى أن الأصل « زيد نعم رجلا » فلا يكون عنده من التخريج على خلاف مقتضى الظاهر ، لأنه يجعل المخصوص مبتدأ مؤخراً ، وما قبله خبراً عنه ، فيكون الضمير الفاعل عائدا على مذكور متقدم رتبة .

(٣) الأولى أن يذكر بدله « وهى هند مليحة » لأن ضمير القصة لا بد معه من أن يكون فى الكلام مؤنث غير فضلة أو شبيه بها ، فلا يقال « إنها بنيته عرفة » ولا « إنها كان القرآن الكريم معجزة » .

(٤) هذا هو الاعتبار الذى اقتضى تخريج المسند إليه فى ذلك على خلاف مقتضى الظاهر . ولكنه لا يأتى فى باب « نعم » لأنه لا يعلم أن فيها ضميراً قبل سماع مفسره ، ومثل ضمير « نعم » وضمير الشأن فى ذلك كل ضمير يتقدم مرجعه حكما ويتأخر =

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ ﴾(١) وقال : ﴿ إنّه لا يُفلح الكافرون ﴾ وقال : ﴿ فإنّها لا تعمَى الأبصارُ ﴾ .

وضع المظهر موضع المضمر :

وقد يعكس فيوضع المظهر موضع المضمر ، فإن كان المظهر اسم إشارة فذلك إما لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع ، كقوله :

كم عاقل عاقلٍ أعيَتْ مذاهبُهُ وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقاً

هذا الذي ترك الأوهامَ حائرة وصيّرَ العالِمَ النّحريرَ زنديقا(٤)

= لفظا ورتبة ، كما في قولك « ربّه فتى » وكما في قوله تعالى : ﴿ وأسرّوا النجوى الذين ظلموا ﴾ آية ٣ سورة الأنبياء ، وكما قال الشاعر :

جفوني ولم أجفُ الأخلاءَ إنني لغير جميل من خليلي مهمل

(١) آية ١ سورة الإخلاص . (٢) آية ١١٧ سورة المؤمنون .

(٣) آية ٤٦ سورة الحج .

(٤) هما لأحمد بن يحيى المعروف بابن الراوندي ، وكان يرمى بالزندقة، وقيل إنه كان من المتصوفة ، وكل من « عاقل » الثانية و « جاهل » الثانية صفة للأولى منهما على معنى كامل العقل وكامل في الجهل ، وليس ذلك من التأكيد اللفظي ؛ لأنه إنما يكون لدفع توهم سهو أو نحوه وهو غير محتمل هنا ، وقوله « أعيت مذاهبه » بمعنى أعجزته طرق معاشه أو أعيت عليه متعدية أو لازمة ، والأوهام يراد بها العقول من تسمية المحل باسم الحال على المجاز المرسل ، والنحرير من « نحر الأمور علماً » أتقنها ، والزنديق الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام ، والشاهد في اسم الإشارة لأنه يعود إلى الحكم السابق عليه ، وهو كون العاقل محروما والجاهل مرزوقا، فالمقام للضمير لأن هذا الحكم غير محسوق ، واسم الإشارة موضوع للمحسوس والحكم البديع الذي أسند إلى اسم الإشارة هو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا .

وإما للتهكم بالسامع : كما إذا كان فاقد البصر أو لم يكن ثمّ مشار إليــه أصلا(١) ، وإما للنداء على كمال بلادته بأنه لا يدرك غير المحسوس بالبصر ، أو على كمال فطانته بأن غير المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره ، وإما لادعاء أنه كمل ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر . ومنه فى غير باب المسند إليه قوله :

تعاللتِ كى أشجَى وما بكِ علةٌ   تريدين قتلى ، قد ظفرتِ بذلك(٢)

وإما لنحو ذلك(٣) .

وإن كان المظهر غير اسم إشارة فالعدول إليه عن المضمر إما لزيادة التمكين(٤) كقوله تعـــالى : ﴿ قل هو الله أحدٌ ، الله الصمدُ ﴾(٥) ونظيره من غيره قوله : ﴿ وبالحقّ أنزلناهُ وبالحقّ نزل ﴾(٦) : ﴿ فبدّلَ الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا ﴾(٧)

---

(١) كأن يقول لك أعمى : أتشهد أن زيداً ضربنى . فتقول له : نعم ، ذلك الذى فى جانبك ، سواء أكان فى جانبه أم يكن .

(٢) هو كما رواه المبرد لمرة بن عبد الله الهلالى ، وقوله « تعاللتِ » بمعنى ادعاء العلة . « وقوله » أشجى « بمعنى أحزن ، والشاهد فى وضع اسم الإشارة موضع الضمير لأن الظاهر أن يقال قد ظفرت به أى بالقتل ، والداعى إلى ذلك هو ادعاء كمال ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر .

(٣) كالإشارة إلى بعده ، ويمكن أن يحمل عليه ما فى البيت السابق أيضا ، بأن يكون مراده به الإشارة إلى بعد قتله لكمال شجاعته .

(٤) هذا إذا كان المقام يقتضى الاعتناء بالمسند إليه .

(٥) آية ١، ٢ سورة الإخلاص .

(٦) آية ١٠٥ سورة الإسراء .

(٧) من آية ٥٩ سورة البقرة .

وقول الشاعر :

إن تسألوا الحقّ نُعطِ الحق سائله(١)

يدل « نعطيكم إياه » .

وإما لإدخال الرَّوْع في ضمير السامع وتربية المهابة ، وإما لتقوية داعى المأمور(٢) مثالهما قول الخلفاء « أمير المؤمنين يأمرك بكذا » وعليه من غيره : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾(٣) .

وإما للاستعطاف ، كقوله :

* إلهى عبدُك العاصى أتاكا *(٤)

---

(١) لعبد الله بن عنمة الضبي من قوله :

إن تسألوا الحق نعط الحق سائله والدرع محقبة والسيف مقروب

والمحقبة المشدودة في الحقيبة ، والمقروب الموضوع في قرابه ، وسيأتي هذا البيت مع بيت قبله في شواهد الالتفات .

(٢) أى إلى امتثال ما أمر به .

(٣) آية ١٥٩ سورة آل عمران ؛ لأنه لم يقل فيه « فتوكل عليّ » ولكنه من باب تقوية داعى المأمور إلى الامتثال ، لا من باب إدخال الروع في ضمير السامع ، لأن الاطمئنان بالتوكل لا يناسبه الروع من المطمأن إليه .

(٤) هو لإبراهيم بن أدهم من مقطوعة مطلعها :

هجرتُ الخلق طراً في هواكا وأيتمتُ العيال لكى أراكا

إلى أن يقول :

إلهى عبدك العاصى أتاكا مقراً بالذنوب وقد دعاكا

فإن تغفر فأنت لذاك أهل وإن تطرد فمن يرحم سواكا

والشاهد في قوله « عبدك » فلم يقل أنا أتيتك .

وإما لنحو ذلك[1] .

الالتفات :

قال السكاكي[2] : هذا[3] غير مختص بالمسند إليه ، ولا بهذا القدر[4] ، بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقا[5] ينقل كل واحد منها إلى الآخر ، ويُسَمَّى هذا النقل « التفاتاً » عند علماء المعاني[6] كقول ربيعة ابن مَقْرُوم :

---

(١) كأن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف ، نحو قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم ﴾ إلى أن قال : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي ﴾ آية ١٥٨ سورة المائدة ، وكأن يكون المعنى على الإظهار هو المراد ، نحو قول الله تعالى : ﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ﴾ آية ٧٧ سورة الكهف ، لأن جملة ﴿ استطعما أهلها ﴾ صفة قرية وليس صفة أهل ، لأنه مسوق للتحدث عن القرية وجدارها لا عن أهلها ، وليست أيضا جوابا لإذا ، لأن جوابها قوله بعد : ﴿ قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ فوضع المظهر موضع المضمر لأن الصفة جارية على غير من هي له .

(٢) ١٠٦ — المفتاح .

(٣) أى النقل من الحكاية إلى الغيبة .

(٤) أى ولا النقل مطلقا مختص بهذا القدر ، وهو النقل من الحكاية إلى الغيبة ، وإنما أولت عبارته هذا التأويل لما فى ظاهره من التهافت .

(٥) أى فى المسند إليه وغيره ، وحيث سبق التعبير بأحدها ثم عبر بالآخر على خلافه أو لم يسبق ، كما سيأتى .

(٦) بعضهم يجعل منه التعبير بالمضارع عن الماضى وعكسه ، والانتقال من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجماعة إلى الآخر منها ،

بانت سعادُ فأمسى القلبُ معمودا وأخلفتكَ ابنةُ الحُرِّ المواعيدا(١)

فالتفت كما ترى حيث لم يقل « وأخلفتني » . وقوله :

تذكرتَ والذكرى تهيجُكَ زينبا وأصبحَ باقي وصلِها قد تَقَضَّبا

وَحَلَّ بِفَلْجٍ فالأباترِ أهلُنا

وشطَّتْ فحلَّتْ غَمْرةً فمُثَقَّبا(٢)

فالتفت في البيتين :

والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها(٣) . وهذا أخص من تفسير السكاكي ، لأنه أراد بالنقل أن يُعبَّر بطريق من هذه الطرق عما عُبِّرَ عنه بغيره أو كان

---

(١) العمود : الحزين ، وابنة الحر هي سعاد من وضع المظهر موضع المضمر ، ويجوز أن يكون الخطاب في قوله « وأخلفتك » تجريداً لا التفاتا على ما هو الجلي من الفرق بينهما ، لأن مبنى التجريد على المغايرة لأنه يجرد من الشخص شخصا آخر ، ومبنى الالتفات على اتحاد المعنى ، وكذلك يقال في كل ما أشبه هذا الخطاب .

(٢) هما لربيعة بن مقروم أيضا ، وقوله « والذكرى تهيجك » معترض بين الفعل ومفعوله وقوله « تقضب » بمعنى انقطع ، وفلج والأباتر وغمرة مثقب مواضع ، وقوله « شطت » بمعنى بعدت ، والالتفات في البيت الأول من التكلم إلى الخطاب ويجوز حمله على التجريد كما سبق ، والالتفات في البيت الثاني من الخطاب إلى التكلم .

(٣) يجب فيه أيضا أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه ظاهر السياق وإن كان موافقا لظاهر المقام ، فلا يعد منه الخطاب الثاني في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ آية ٥ سورة الفاتحة وإنما حصل الالتفات بالأول فقط وجرى الثاني على سياقه ، وكذلك لا يعد منه الانتقال من التكلم إلى الغيبة في قول الشاعر : =

مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها(١) ، فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس(٢).

مثال الالتفات من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى : ﴿ وما لى لا أعبدُ الذى فطرنى وإليه ترجعون ﴾(٣) .

= نحن اللذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا

لأن الموصول من الاسم الظاهر وهو يدل على الغيبة ، ومقتضى سياقه أن يعود الضمير عليه من الصلة بطريق الغيبة أيضا ، ويعد منه الانتقال من الغيبة إلى الخطاب فى قوله تعالى : ﴿ عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزّكى ﴾ آية ١ و ٢ و ٣ سورة عبس وإن كان الخطاب ظاهر المقام ، لأنه خلاف ظاهر السياق .

(١) يعنى أو لم يعبر عنه بغيره وكان مقتضى الظاهر إلخ . وهذا الشق الثانى هو الذى ينفرد فيه الالتفات عند السكاكى عن الالتفات عند الجمهور ، كالالتفات من التكلم إلى الخطاب فى الشاهدين السابقين لربيعة بن مقروم ، والجمهور يجعلونه من التجريد لا من الالتفات ، والخطب فى هذا سهل .

(٢) أى لغوى لا منطقى لصحة العكس المنطقى هنا بخلاف اللغوى ، لأنه يؤدى إلى أن يكون كل التفات عند السكاكى التفاتا عند الجمهور وهو باطل .

(٣) آية ٢٢ سورة يس . فالسياق يقتضى « وإليه أرجع » وإن كان الخطاب هو ظاهر المقام ، لأن قوله (وما لى لا أعبد) تعريض بالمخاطبين ، والمراد « وما لكم لا تعبدون » . وقيل : إنه لا التفات فى قوله ﴿ وإليه ترجعون ﴾ لأنه يجوز إرادة المخاطبين فلا يكون فى معنى « وإليه أرجع » ، وقيل : إن فى قوله (وما لى) التفاتا ، والحق أنه من التعريض لا من الالتفات . ومن الالتفات من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى : ﴿ قُلْ إنى أمرتُ أنْ أكونَ أوَّلَ منْ أسلمَ ولا تكونَنَّ مِن المشركينَ ﴾ آية ١٤ سورة الأنعام وهو أظهر من الآية السابقة .

ومن التكلم إلى الغيبة (١) قوله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ، فصلِّ لربك وانحر ﴾ . (٢)

ومن الخطاب إلى التكلم قول علقمة بن عبدة :

طحا بكَ قلبٌ في الحسان طَروبُ ... بُعيدَ الشباب عَصْرَ حان مَشيبُ

يكلفني ليلى وقد شطّ وليُها ... وعادتْ عوادٍ بيننا وخطوبُ (٣)

ومن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى : ﴿ حتى إذا كُنتمْ في الفلك وجرَيْن بهم ﴾ .

ومن الغيبة إلى التكلم قوله تعالى : ﴿ واللهُ الذى أرسَل الرِّياح فتُثيرُ سحابًا فسُقْناه ﴾ (٥) .

ومن الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين إياك نعبُدُ ﴾ (٦)

وقول عبد الله بن عَنمة :

---

(١) المراد بالغيبة ما يشمل الاسم الظاهر كما فى الآية ، وكان السياق فيها أن يقال « فصل لنا وانحر » .

(٢) آية ١ و ٢ سورة الكوثر .

(٣) قوله « طحا » بمعنى ذهب وأتلف . وطروب بمعنى أن له طربا ونشاطا فى طلبهم ، وقوله « يكلفنى » ضميره يعود إلى القلب ، وروى « تكلفنى » فيجوز أن يكون فاعله القلب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، ويجوز أن يكون فاعله « ليلى » بمعنى أنها تكلفه شدائد فراقها . وقوله « شطّ وليها » بمعنى بعد قربها ، وقوله « عادت عواد » بمعنى رجعت عوائق كانت تحول بيننا إلى ما كانت عليه ، ويجوز أن تكون « عادت » من المعاداة . والشاهد فى قوله « يكلفنى » لأن الأصل « يكلفك » على مقتضى السياق ، أما قوله «طحا بك» فهو التفات أو تجريد على ماسبق

(٤) آية ٢٢ سورة يونس .

(٥) آية ٩ سورة فاطر . (٦) آية ٤ و ٥ سورة الفاتحة .

ما إن ترى السيد زيدا في نفوسهم ... كما يراه بنو كوز ومرهوب

إن تسألوا الحقّ نعطِ الحقّ سائله ... والدرع محقبة والسيف مقروب(١)

وأما قول امرىء القيس :

تطاول ليلُكَ بالأثمدِ ... ونام الخليُّ ولم ترقدِ

وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذى العائر الأرمدِ

وذلك من نبأٍ جاءنى ... وخُبِّرتُه عن أبى الأسودِ(٢)

فقال الزمخشرى « فيه ثلاث التفاتات »(٣) وهذا ظاهر على تفسير السكاكى ، لأن على تفسيره فى كل بيت التفاتة ، لا يقال : الالتفات عنده من خلاف مقتضى الظاهر ، فلا يكون فى البيت الثالث التفات لوروده على مقتضى الظاهر ،

---

(١) السيد وزيد وكوز ومرهوب أحياء من ضبة قوم الشاعر . يريد أن السيد لا يوجبون لزيد فى نفوسهم من الحرمة والنصرة ما يوجبه كوز ومرهوب ، والضمير فى قوله « تسألوا » لزيد وفيه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، والمحقبة المشدودة فى الحقيبة ، والمقروب الموضوع فى قرابه ، وبعد البيتين :

وإن أبيتم فإنا معشر أنف ... لا نطعم الخسف إن السمّ مشروب

(٢) هى لامرىء القيس حندج بن حجر ، وقيل : إنها لامرىء مقيس بن عابس فى رثاء ابن عمه أبى الأسود . والأثمد اسم موضع ، وقوله « وبات وباتت له ليلة » بات الأولى فيه تامة ، والثانية يجوز أن تكون ناقصة وأن تكون تامة ، والعائر قذى العين ، وأبو الأسود كنية أبيه حجر ملك بنى أسد . والخبر الذى خبره عنه خبر قتلهم له .

(٣) الالتفات الأول فى قوله « ليلك » من التكلم إلى الخطاب وكافها مفتوحة أو مكسورة على ما سيأتى ، وهو الذى يأتى على مذهب السكاكى ، والالتفات الثانى فى قوله « وبات » من الخطاب إلى الغيبة ، والالتفات الثالث فى قوله « جاءنى » من الغيبة إلى التكلم .

لأننا نمنع انحصار الالتفات عنـــده فى خلاف المُقْتَضى[1] لِمَا تَقَدَّمَ[2] ، وأما على المشهور[3] فلا التفات فى البيت الأول، وفى الثانى التفاتة واحدة ، فيتعين أن يكون فى الثالث التـفاتتان ، فقيل : هما فى قوله « جاءنى » إحداهما باعتبار الانتقال من الخطاب فى البيت الأول ، والأخرى باعتبار الانتقال من الغيبة فى الثانى . وفيه نظر ؛ لأن الانتقال إنما يكون من شىء حاصل مُلْتَبِس به ، وإذ قد حصل الانتقال من الخطاب فى البيت الأول إلى الغيبة فى الثانى لم يبق الخطاب حاصلا ملتبسا به ، فيكون الانتقال إلى التكلم فى الثالث من الغيبة وحدها لا منها ومن الخطاب جميعاً ؛ فلم يكن فى البيت الثالث إلا التفاتة واحدة . وقيل : إحداهما فى قوله « وذلك » لأنه التفات من الغيبة إلى الخطاب[4] والثانية فى قوله : « جاءنى » لأنه التفات من الخطاب إلى التكلم ، وهذا أقرب .

واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام ، ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشرى

---

(١) يعنى خلاف مقتضى ظاهر المقام .

(٢) من أن الالتفات عنده ينقسم إلى ما يجرى على خلاف ظاهر المقام وإن لم يجر على خلاف السياق ، وهو يخالف فيه الجمهور ، وإلى ما يجرى على خلاف السياق ، وإن لم يخالف ظاهر المقام ، وهو الذى يوافق فيه الجمهور .

(٣) قد ذكروا أن مذهب السكاكى فى الالتفات هو مذهب الزمخشرى ، فلا معنى لتكلف تحقيق الالتفات الذى ذكره فى البيتين على مذهب الجمهور لأن مذهبه يخالف مذهبهم .

(٤) الالتفات فى « ذلك » متكلف ، لأنه لا دليل على أنه يعنى بالخطاب فيها نفسه ، بل الظاهر أن المعنىّ بها غير المتكلم ، ولهذا لم ينظر إليها قبل هذا التكلف .

هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب (١) كان ذلك أحسن تطرية (٢) لنشاط السامع وأكثر إيقاظا للإصغاء من إجرائه على أسلوب واحد (٣) .

---

(١) إنما خص بيان محاسن الالتفات بما فيه نقل من أسلوب إلى أسلوب لأنه هو الغالب فيه ، أما الالتفات الذى انفرد به السكاكى فوجه حسنه أن المخاطب إذا سمع خلاف ما يترقب نشط وأصغى إليه ، وقد قيل : إن الالتفات على هذا يكون من المحسنات البديعية ، فلا يصح ذكره هنا لأن حسنه يرجع إلى ما ذكره الزمخشرى ، ولا يرجع إلى اقتضاء المقام ، وأجيب بتسليم أنه من المحسنات البديعية ، ولكن هذا لا يمنع من إدخاله فى علم المعانى عند اقتضاء المقام لفائدته من طلب مزيد الإصغاء لكون الكلام دعاء أو مدحا أو نحوهما ، والحق أن مثل هذا يكون شرطا لحسنه ولا يقتضى وجوبه فى البلاغة ، فلا يصح أن يعد به من علم المعانى .

(٢) أى تجـــديداً ، تقول « طريتُ الثوب » إذا عملت ما يجعله طريا كأنه جديد .

(٣) أورد ابن الأثير على ما ذكره الزمخشرى من ذلك أنه لو كان صحيحاً لما حسن الالتفات إلا فى الكلام الطويل ، مع أنه قد أتى فى القرآن حيث لا يمكن أن يقال إن الكلام قد طال ، ثم ذكر أن الالتفات لا يكون إلا لفائدة اقتضته ، وأن تلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، ولكنها لا تحد بحد ، ولا تضبط بضابط ، وإنما يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها ، كما سيأتى فى سورة الفاتحة ، ولكنه عاد فذكر أنه لا ينكر أن فى الانتقال من أسلوب إلى أسلوب اتساعا وتفنناً فى أساليب الكلام ، مع أنه قد يكون المقصد آخر معنوى هو أعلى وأبلغ ، ولا يخفى أن مثل هذا لا يخالفه فيه الزمخشرى ؛ لأنه فيما ذكره من ذلك لم يُرِدْ إلا بيان وجه عام لحسن الالتفات ، ولا يمنع أن تختص مواقعه بلطائف أخرى خاصة .

وقد تختص مواقعه بلطائف(١) كما فى سورة الفاتحة(٢) فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاكرة لما هو فيه بقوله : ﴿ الحمدُ لله ﴾ الدال على اختصاصه بالحمد وأنه حقيق به ، وجد من نفسه لا محالة محركا للإقبال عليه ، فإذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله ﴿ ربِّ العالمين ﴾ الدَّالّ على أنه مالك للعالمين لا يخرج منهم شىء عن ملكوته وربوبيته قوى ذلك المحرك ، ثم إذا انتقل إلى قوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ الدال على أنه منعم بأنواع النعم : جلائلها ودقائقها تضاعفت قوة ذلك المحرك ، ثم إذا انتقل إلى خاتمة هذه الصفات العظام وهى قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ الدّال على أنه مالك للأمر كله يوم الجزاء تناهت قوته ، وأوجب الإقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات(٣) .

وكما فى قوله تعالى : ﴿ ولوْ أنهمْ إذ ظلمُوا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفرَ لهمُ الرسولُ ﴾(٤) لم يقل « واستغفرت لهم » وعدل عنه إلى طريق الالتفات تفخيما لشأن رسول الله ﷺ ، وتعظيما لاستغفاره ، وتنبيها على أن شفاعة مَن اسمه الرسول مِن الله بمكان .

وذكر السكاكى(٥) لالتفات امرىء القيس فى الأبيات الثلاثة على تفسيره وجوها : أحدها أن يكون قصد تهويل الخطب واستفظاعه ، فنبّه فى التفاته الاول على أن نفسه وقت ورود ذلك النبأ عليها ولهت وله الثكلى ، فأقامها مقام المصاب الذى

---

(١) قيل : إنه يلزم أن يلتمس ذلك فى كل التفات ، وقيل : إنه لا يلزم أن يكون له فى كل مقام نكتة خاصة .

(٢) آية ٢ و ٣ و ٤ و ٥ سورة الفاتحة .

(٣) يعنى خطابه بقوله : ﴿ إياك نعبدُ وإياك نستعينُ ﴾

(٤) آية ٦٤ سورة النساء (٥) ١٠٧ — المفتاح .

لا يتسلى ببعض التسلي إلا بتفجع الملوك له ، وتحزنهم عليه ، وخاطبها « بتطاول ليلك» تسلية(١) ، أو على أنها انفظاعة شأن النبأ أبدت قلقاً شديداً ولم تتصبر فعل الملوك ، فشك فى أنها نفسه ، فأقامها مقام مكروب وخاطبها بذلك تسلية . وفى الثانى على أنه صادق التحزن خاطب أو لا ، وفى الثالث على أنه يريد نفسه .

أو نبه(٢) فى الأول على أن النبأ لشدته تركه حائراً فما فطن معه لمقتضى الحال ، فجرى على لسانه ما كان ألفه من الخطاب الدائر فى مجارى أمور الكبار أمراً ونهياً ، وفى الثانى على أنه بعد الصدمة الأولى أفاق شيئاً فلم يجد النفس معه ، فبنى الكلام على الغيبة ، وفى الثالث على ما سبق .

أو نبه(٣) فى الأول على أنها حين لم تثبت ولم تتصبر غاظه ذلك ، فأقامها مقام المستحق للعتاب ، فخاطبها على سبيل التوبيخ والتعيير بذلك ، وفى الثانى على أن الحامل على الخطاب والعتاب لما كان هو الغيظ والغضب وسكت عنه الغضب بالعتاب ولى عنها الوجه وهو يدمدم قائلا « وبات وباتت له » وفى الثالث على ما سبق . هذا كلامه ، ولا يخفى على المنصف ما فيه من التعسف(٤) .

الأسلوب الحكيم : ومن خلاف المقتضى ما سماه السكاكى(٥) الأسلوب

---

(١) فكافها مكسورة ، ويصح فتحها نظراً إلى كون النفس يراد بها شخصه .

(٢) هذا هو الوجه الثانى ، وكان المناسب لسياقه أن يقول وثانيها .

(٣) هذا هو الوجه الثالث .

(٤) لأنه يحمل امرأ القيس ما لا يمكن أن يكون قد خطر بباله من ذلك ، ولا يخفى أن كثيراً من اللطائف التى تلتمس للالتفات فيما مثل هذا التعسف ، وأن ذلك يرجع إلى أنها غير مضبوطة ، لأنها لو كانت مضبوطة لأمكن الرجوع إلى أمر ظاهر مقرر منها .

(٥) ١٧٥ — المفتاح .

الحكيم (١) وهو تلقى المخاطب(٢) بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أنه الأولى بالقصد ، أو السائل بغير ما يتطلب(٣) بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له .

أما الأول فكقول القبعثرى(٤) للحجاج لما قال له متوعداً بالقيد « لأحملنك على الأدهم » : « مثل الأمير يحمل على الأدهم(٥) والأشهب » . فإنه أبرز وعيده فى معرض الوعد ، وأراه بألطف وجه أن من كان على صفته فى السلطان وبسطة اليد لجدير بأن يُصفِد لا أن يَصفِد (٦) وكذا قوله له لما قال له فى الثانية « إنه حديد » : « لأن

---

(١) أكثر العلماء يذكره فى علم البديع ، على أن الخطيب سيذكر فى علم البديع القول بالموجب ، ويقسمه إلى قسمين ، والقسم الثانى هو الأسلوب الحكيم بعينه ، ولا شك أن مراعاة ذلك مما يورث الكلام حسناً ، ولا يصل تركه إلى إخلال بفصاحة أو بلاغة ، فاللائق به أن يعد فى علم البديع . وقد ذكر السعد أنه لما انجر الكلام إلى ذكر خلاف مقتضى الظاهر أورد عدة أقسام منه وإن لم تكن من مباحث المسند إليه ، وهى الأسلوب الحكيم والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضى الخ .

(٢) بكسر الطاء أى المتكلم من إضافة المصدر لمفعوله ، وهذا أولى من فتح الطاء لما فيه من التعقيد .

(٣) الفرق بينه وبين ما عطف عليه أن فيه سؤالا ، فهو أخص منه بهذا الاعتبار ، ولكنه أعم منه باعتبار آخر ، وهو أنه لا يشترط فيه حمل كلام سابق على خلاف ظاهره كما يشترط فى الأول .

(٤) الصواب ابن القبعثرى كما سبق فى ص ١٣٦ .

(٥) أراد الحجاج بالأدهم القيد ، فحمله على غير مراده وهو الفرس الذى غلب سواده على بياضه ، وعطف عليه الأشهب وهو الفرس الذى غلب بياضه على سواده

(٦) أى جدير بأن يعطى لا أن يقيد ، لأن الإصفاد الإعطاء من الصفد وهو العطاء ، ويقال — صفده يصفده — بمعنى قيده ، ولهذا يسمى القيد صفاداً

يكون حديداً خير من أن يكون بليداً »(١) . وعن سلوك هذه الطريقة في جواب المخاطب عَبَّر من قال مفتخراً :

أتتْ تشتكي عندي مُزاولةَ القِرَى ... وقد رأتِ الضيفان يَنحُون منزلي
فقلتُ كأني ما سمعتُ كلامها : ... هُمُ الضيف جِدِّي في قِراهم وعجِّلِ(٢)

وسماه الشيخ عبد القاهر مغالطة(٣) .

وأما الثاني فكقوله تعالى : ﴿ يَسألونكَ عنِ الأهلّةِ قُلْ هي مَواقيتُ للنّاس والحَجِّ ﴾(٤) قالوا : « ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط، ثم يتزايد قليلا قليلاً حتى يمتلىء ويستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ؟ »(٥) وكقوله تعالى: ﴿ يَسألونكَ ماذا يُنفقُون قُلْ ما أنفَقتُمْ منْ خير فللوالدينِ والأقربينَ واليتامى والمساكينِ وابنِ السَّبيلِ ﴾(٦) سألوا عن بيان ما ينفقون، فأجيبوا ببيان المصرف(٧)

---

(١) أراد الحجاج بقوله « أنه حديد » أنه قيد حديد ، فحمله على الحدة ، والمعنى « لأن يكون العطاء حديداً » .

(٢) لا يعلم قائلهما ، والقرى طعام الضيف ، وقوله « ينحون » بمعنى يقصدون والشاهد في أنه أجابها بغير ما تتطلب من الشكوى ، ولهذا قيل : إن هذا من القسم الثاني لا الأول ، لأنه ليس فيه حمل كلام على خلاف ظاهره ، وإنما هو من تلقي السائل بغير ما يتطلب للتنبيه على أن الأولى بها الاستعداد لهم لا الشكوى منهم .

(٣) ص ٩٢ — دلائل الإعجاز ، وقيل : إن الأسلوب الحكيم بقسميه يسمى مغالطة ، لا القسم الأول وحده .

(٤) آية ١٨٩ سورة البقرة .

(٥) فأجابهم ببيان حكمته تنبيها على أنه هو الأولى بحالهم لا السؤال عن سببه.

(٦) آية ٢١٥ سورة البقرة .

(٧) للتنبيه على أنه هو المهم لهم .

ومن هذا أيضا أجوبة موسى لفرعون في قوله تعالى : ﴿ قال فِرْعَونُ وما ربُّ

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى: ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى(١) تنبيها على تحقق وقوعه وأن ما هو للواقع كالواقع ، كقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فى الصُّور فصَعِقَ مَنْ فى السموات ومَنْ فى الأرض إلا مَنْ شاء اللهُ ﴾(٢) وقوله : ﴿ ويومَ نُسَيِّرُ الجبال وترى الأرضَ بارِزَةً وحشرْناهم فلمْ نُغادِرْ منهُمْ أحداً ﴾(٣) وقوله تعالى : ﴿ ونادى أصحابُ النار ﴾(٤) وقوله تعالى : ﴿ ونادى أصحاب الأعراف ﴾(٥) جعل المتوقّع الذى لا بُدَّ من وقوعه بمنزلة الواقع ، وعن حسّان أن ابنه عبد الرحمن اسمه زُنبور وهو طفل لجاء إليه يبكى ، فقال له : يا بنى مالك ؟ قال : لسعنى طُوَيْرٌ كأنه ملتفٌّ فى بُرْدَىْ حِبَرة(٦) . فضمه إلى صدره وقال : قد قلتَ الشعر .

= العالمين ، قال ربُّ السموات والأرضِ وما بينهما إن كنتم موقنين ، قال لِمنْ حولهُ ألا تستمعُونَ ، قال ربُّكم وربُّ آبائِكمُ الأولينَ ، قال إن رسولكمُ الذى أرسلَ إليكمْ لمجنونٌ ، قال ربُّ المشرقِ والمغربِ وما بينهما إن كنتمْ تعقلُون ﴾ آية ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ سورة الشعراء .

(١) مثله التعبير عن الماضى بلفظ المضارع استحضاراً لصورته العجيبة كقوله تعالى : ﴿ واللهُ الّذى أرسلَ الرياحَ فتثيرُ سحابا ﴾ آية ٩ سورة فاطر أى فأثارت ، ولا يخفى أن النوعين من المجاز المرسل أو الاستعارة ، فلا معنى لذكرهما فى علم المعانى ، لأنه لا فرق بينهما وبين غيرهما من أنواع المجاز فيما نقلا به من خلاف مقتضى الظاهر .

(٢) آية ٦٨ سورة الزمر . (٣) آية ٢٧ سورة الكهف .

(٤) آية ٥٠ سورة الأعراف . (٥) آية ٤٨ سورة الأعراف .

(٦) طوير تصغير طائر ، والحبرة ضرب من برود اليمن ، والشاهد فى قوله « قد قلت الشعر » لأنه بمعنى ستقول .

ومثله التعبير عنه باسم الفاعل(١) كقوله تعالى : ﴿ وإنّ الدّين لواقع ﴾(٢) وكذا اسم المفعول، كقوله تعالى : ﴿ ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلك يومٌ مشهودٌ ﴾(٣) .

القلب : ومنه القلب(٤) كقول العرب : « عرضتُ الناقة على الحوض »(٥) وردّه مطلقا قوم(٦)، وقبله مطلقا قوم(٧) منهم السكاكي(٨). والحق أنه إن تضمن

---

(١) لأن كلا من اسم الفاعل واسم المفعول حقيقة فى المتلبس بالفعل فى الحال اتفاقا ، وفى الماضى على قول ضعيف ، فيكون استعماله فى المستقبل مجازاً .

(٢) من آية ٦ سورة الذاريات .

(٣) آية ١٠٣ سورة هود .

(٤) هو فى الاصطلاح أن يجعل جزء من الكلام مكان آخر يجعل مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر ، فليس منه نحو — فى الدار زيد ، وضرب عمراً زيد — وهو قسمان : لفظى ومعنوى، وسيأتى بيانهما فى أمثلته .

(٥) هذا من القلب المعنوى ، لأن المعروض عليه يجب أن يكون ذا شعور واختيار لأجل أن يميل إلى المعروض أو يحجم عنه ، ولكن لما كان المعتاد فى ذلك أن يؤتى بالمعروض إلى المعروض عليه وكانت الناقة هى التى يؤتى بها إلى الحوض نُزّل كل منهما منزلة الآخر ، وقيل : إنه لاقلب فى ذلك وإنما القلب فى « عرضت الحوض على الناقة » لأن المعروض عليه هو المستقر .

(٦) لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصودُ ، وقيل : إنه لايكاد أحد يمنعه مطلقا لوروده فى القرآن وفصيح الكلام، ولعلهم يردون القلب اللفظى دون المعنوى

(٧) لأن قلب الكلام مما يحوج إلى التنبه للأصل ، وذلك مما يورث الكلام ملاحظة ولطفا .

(٨) ١١٣ — المفتاح .

اعتباراً لطيفاً(١) قُبِلَ وإلا رُدّ .

أما الأول(٢) فكقول رؤبة :

ومَهْمَهٍ مُغبرة أرجاؤهُ كأنّ لونَ أرضه سماؤه(٣)

أى كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، فعكس التشبيه للمبالغة ، ونحوه قول أبى تمام يصف قلم الممدوح :

لُعابُ الأفاعى القاتلات لُعابهُ وأرْىُ الجنى اشتارتهُ أيدٍ عواسلُ(٤)

وأما الثانى(٥) فكقول القطامى :

---

(١) أى غير تلك الملاحة التى احتج بها من قبله مطلقاً ، وذلك كالاعتبار السابق فى قولهم « عرضت الناقة على الحوض » وكالاعتبارات الآتية فى باقى الأمثلة وإنما لم يقبل القلب إلا بهذا لأنه من غيره يكون عدولا عن مقتضى الظاهر من غير نكتة يعتد بها . إذ لا يعتد فيه بتلك الملاحة العامة وحدها ، ولا يخفى أن القلب بتلك الملاحة يكون من المحسنات البديعية ، فالأليق ذكره فى علم البديع ، لأن تلك الاعتبارات التى يقبل بها فى علم المعانى ليست محدودة ولا مضبوطة ، وهى مع هذا شرط لحسنه ولا توجبه .

(٢) هو المقبول .

(٣) هو لرؤبة بن عبد الله بن رؤبة ، والمهمه : المفازة ، والأرجاء جمع رجا وهو الناحية ، والقلب فى هذا معنوى أيضاً ، وهو من التشبيه المقلوب الآتى فى علم البيان ، والاعتبار اللطيف فيه بقصد المبالغة .

(٤) هو لحبيب بن أوس المعروف بأبى تمام ، وأرْىُ الجنى العسل من إضافة الموصوف إلى الصفة ، وقوله ـ اشتارته ـ بمعنى جنته ، والأيدى العواسل العارفة بجنيه ، والأولى صفة للقلم مع الأعداء ، والثانية صفته مع الأصدقاء ، والشاهد فى شطره الأول ، وهو من القلب المعنوى أيضاً ، لأنه من التشبيه المقلوب ، والاعتبار اللطيف فيه قصد المبالغة .

(٥) هو المردود .

* كما طيّنت بالفدَن السياعا(١) *

وقول حسان :

* يكون مزاجها عسلٌ وماء(٢) *

وقول عُروة بن الوَرْد :

---

(١) هو للقُطامي بن شُيَيم المعروف بالقطامي من قوله :

فلما أن جرى سِمَنٌ عليها   كما طيّنت بالفَدَن السياعا

أمرتُ بها الرجالَ ليأخذوها   ونحن نظنُّ أنْ لن تُستطاعا

يصف بذلك ناقته ، والفدن القصر ، والسياع : الطين المخلوط بالتبن أو الآلة التي يطين بها ، يعني أنها صارت ملساء من السمن كالقصر المطين بالسياع ، وفي ذلك قلب معنوي ؛ فإن حمل السياع على الآلة لم يتضمن اعتباراً لطيفا ، وفيه الشاهد ، وإن حمل على الطين فيجوز أن يكون المقصود المبالغة في سمنها ، لأنه يقصد تشبيها بالسياع الذي صار لكثرته كأنه الأصل، والفدن هو الفرع، فيكون هو أيضا مثله مع أصله من العظم ونحوه ، ولكنه لا يخلو من تكلف . وروى « كما بطنت بالفدن السياعا » وهو على القلب أيضاً ، والمعنى كما بطنت الفدن بالسياع .

(٢) هو لحسان بن ثابت الأنصاري من قوله :

كأن سبيئةً من بيت رأس   يكون مزاجها عسلٌ وماء

على أنيابها أو طعمُ غضٍّ   من التفاح عصّرهُ اجتناءُ

والسبيئة : الخمر المشتراة للشراب ، وبيت رأس : بلد بالشام بين رملة وغزة ، والغض: الطرى ، وقوله « عصره » بمعنى أساله كناية عن إدراكه وقت نضجه ، شبه ريق محبوبته بخمر مزجت بعسل ، والقلب في قوله « يكون مزاجها عسل » قلب لفظي ؛ لأنه لا قلب في المعنى ، وإنما القلب في اللفظ ، لأنه نكر ما هو في موضع المبتدإ وعرّف الخبر ، والأصل فيهما العكس ، ويروى برفع « مزاجها » على أن اسم يكون ضمير الشأن ، فلا يكون فيه قلب .

* فديت بنفسه نفسي ومالي(١) *

وقول الآخر :

* ولا يَكُ موقف منك الوداعا(٢) *

وقد ظهر من هذا أن قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾(٣) ليس وارداً على القلب(٤) إذ ليس فى تقدير القلب فيه اعتبار لطيف، وكذا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾(٥) وكذا قوله(٦) تعالى : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي

---

(١) هو من قوله :

فلو أنِّى شهدتُ أبا سعادٍ غداةَ غدا لمُهجته يفوقُ
فديت بنفسه نفسى ومـــالى وما آلوكَ إلا ما أطيقُ

وقد رواه المرتضى فى أماليه وابن الأنبارى فى «الأضداد» للعباس بن مرداس : يقال «فاق بمهجته ولمهجته يفوق» إذا أشرفت نفسه على الخروج أو خرجت ، وقوله «وما آلوك» بمعنى لم أقصِّرْ فيك ، والقلب فيه معنوى ، والأصل «فديت نفسه بنفسى ومالى» وليس فى قلبه اعتبار لطيف لأنه يوهم خلاف المراد .

(٢) هو لعُمير بن شييم المعروف بالقطامى من قوله :

قِفِى قبل التفرق يا ضِباعا ولا يَكُ موقف منكِ الوداعا

وألف ضباعاً للإطلاق وهو مرخم ضباعة اسم بنت له أو امرأة غيرها ، والقلب فى قوله «ولا يك موقف منك الوداعا» لفظى كالقلب فى بيت حسان السابق .

(٣) آية ٤ سورة الأعراف .

(٤) ردٌّ بهذا على من زعم أن أصله «جاءها بأسنا فأهلكناها» .

(٥) آية ٨ سورة النجم وعلى تقدير القلب فيه يكون أصله : ثم تدلى فدنا .

(٦) آية ٢٨ سورة النمل ، وعلى تقدير القلب فيه يكون أصله : فانظر ماذا يرجعون ثم تولَّ عنهم .

هذا فالتقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴾ فأصل الأول أردنا إهلاكها لجاءها بأسنا أى إهلاكنا ، وأصل الثانى : ثم أراد الدنو من محمد ﷺ فتدلى فتعلق عليه فى الهواء ، ومعنى الثالث : تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك فانظر ماذا يرجعون فيقال : إنه دخل عليها من كُوَّة فألقى الكتاب إليها وتوارى فى الكوة . وأما قول خداش :

* وتشقى الرماحُ بالضياطرة الحُمرِ *

فقد ذكر له سوى القلب(٢) وجهان : أحدهما أن يجعل شقاء الرماح بهم استعارة من كسرها بطعنهم بها ، والثانى أن يجعل نفس طعنهم شقاء لها تحقيراً لشأنهم وأنهم ليسوا أهلاً لأن يطعنوا بها ، كما يقال « شقىَ الخزُّ بجسم فلان » إذا لم يكن أهلا للبسه .

وقيل فى قول قطرىّ بن الفجاءة :

ثم انصرفتُ وقد أصبتُ ولم أُصَبْ جذعَ البصيرة قارحَ الإقدامِ(٣)

---

(١) هو لخداش بن زهير من قوله :

وتلحقُ خيلٌ لا هَوَادةَ بينها وتشقى الرماحُ بالضياطرةِ الحمر

والهوادة اللين والرفق أو ما يرجى به الصلاح بين القوم ، وعلى هذا يكون المراد لا هوادة بين أصحابها ، والضياطرة جمع ضيطر وهو الضخم اللئيم العظيم الإست ، والحمر : جمع أحمر اللون ، وقيل : هو الذى لا سلاح معه ، وقد روى « وتركب خيل » .

(٢) على أنه من القلب يكون أصله « وتشقى الضياطرة بالرماح » ، وليس له اعتبار لطيف .

(٣) جذع البصيرة بمعنى غير مجرب للأمور ، وقارح الإقدام بمعنى إقدام أصحاب السن القديمة ، يقال « فلان جذع إذا كان حديث السن » ، وقارح إذا كان قديما .

إنه من باب القلب[1] على أن « لم أصب » بمعنى لم أجرح ، أى قارح البصيرة جذع الإقدام[2] كما يقال « إقدام غرٌّ ورأىٌ مجرِّب » ، وأجيب عنه[3] بأن « لم أصب » بمعنى لم آلف بهذه الصفة بل وجدت بخلافها جذع الإقدام قارح البصيرة ، على أن قوله « جذع البصيرة قارح الإقدام » حال من الضمير المستتر فى « لم أصب » فيكون متعلقاً بأقرب مذكور ، ويؤيد هذا الوجه قوله قبله :

لا يَركَنَنْ أحد إلى الإحجام ... يوم الوغَى متخوِّفاً لِحِمام[4]

فلقد أرانى للرماح دَرِيئةً ... مِن عن يمينى مرَّةً وأمامى[5]

حتى خَضَبْتُ بما تحدَّرَ من دمى ... أكناف سرجى أو عنان لجامى[6]

فإن الخضاب بما تحدر من دمه دليل على أنه جُرِحَ ، وأيضاً فحوى كلامه أن مراده أن يدل على أنه جرح ولم يمت ، إعلاما أن الإقدام غير علة للحمام ، وحثاً على الشجاعة وبغض الفرار .

---

(1) لأنه يقصد التمدح بذلك ، وإنما يتمدح بعكسه لا به .

(2) على هذا يكون « جذع البصيرة قارح الإقدام » حالين من فاعل انصرفت .

(3) هذا جواب يجعل كلامه لا قلب فيه ، لأنه قلب غير مقبول لما فيه من إيهام خلاف المراد ، وقيل أيضا : إنه يريد تشبيه بصيرته بالجذع فى عدم الاختلاط والتزلزل من الهول ، وتشبيه إقدامه بالقارح فى الصبر والاحتمال ، وعلى هذا لا قلب أيضاً .

(4) الإحجام : التأخر ، والوغى : الحرب ، والحمام : الموت .

(5) الدريئة حلقة يتعلم عليها الطعن ، شبه نفسه بها ، وهى من الدرء بمعنى الدفع أو من الدرى بمعنى الختل ، فتكون درية بالياء المشددة .

(6) أكناف السرج : جوانبه ، والعنان سير اللجام .

تمرينات على تخريج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر

تمرين — ١

بين ما يحتمل الالتفات والتجريد وما يتعين للالتفات مما يأتى :

(١) قـــوله تعالى ﴿ ياعبادىَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ آية ٥٣ سورة الزمر .

٢ — هل غادرَ الشعراءُ من متردَّمِ   أم هل عرفتَ الدارَ بعد توهمِ

تمرين — ٢

١ — بين الالتفات فى قوله تعالى : ﴿ أتى أمرُ الله فلا تستعجلوهُ سبحانهُ وتعالى عما يُشركون ﴾ — آية ١ سورة النحل — ومن أى قسم من أقسام الالتفات هو ؟

٣ — هل يُعد من الالتفات أو لا يُعدُّ قول الشاعر:

أأنت الهلالىُّ الذى كنتَ مرةً   سمعنا به والأرحبىُّ المغلبُ ؟

تمرين — ٣

١ — من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما فى قول الشاعر :

وميّةُ أجمل الثقلين جيداً   وسالفة وأحسنهُ قذالا

٢ — هل يقبل القلب أو لا يقبل فى قول الشاعر :

رأيتَ شيخاً قد تحنى صلبُه   يمشى فيقعس أو يكبُّ فيعثرُ

تمرين — ٤

١ — من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما فى قول الشاعر :

فرِّجِى الخيرَ وانتظرى إيابى   إذا ما القارظ العنزىُّ آبا

٣ — هل يُعدُّ من القلب أو لا يُعدُّ ما في قول الشاعر :

وعذلتُ أهل العشق حتى ذقتُهُ فعجبتُ كيف يموتُ من لا يعشقُ

تمرين — ٥

١ — من أي نوعي الأسلوب الحكيم ما في قول الشاعر :

وقالوا : قد صفتْ منّا قلوبٌ نعم .. صدقوا ولكن عن ودادى

٢ — من أي أنواع الالتفات ما في قول الشاعر :

سألتُ نسيم أرضك حين وافى وقلتُ : صِفِ القوَام ولا تحاشى

تمرين — ٦

١ — من أي أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما في قول الشاعر :

كلوا في بعض بطنكم تعفُّوا فإن زمانكم زمنٌ خميصُ

٢ — متى يكون من خلاف مقتضى الظاهر ما في قول الشاعر :

نعم امرءاً هرمٌ لم تعرُ نائبةٌ إلا وكان لمرتاع بها وزرَا

تمرين — ٧

١ — بيِّنْ ما في قوله تعالى : ﴿ قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكونَ لكما الكبرياء في الأرضِ ﴾ (آية ٧٨ سورة يونس) من الخروج على مقتضى الظاهر .

٢ — بين ما في قوله تعالى : ﴿ يأيها النبيُّ إذا طلقتمُ النساء ﴾ (آية ١ الطلاق) من الخروج على مقتضى الظاهر .

٣ — بين ما في قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكمْ قبلة ﴾ آية ٨٧ سورة يونس من الخروج على مقتضى الظاهر .

القول في أحوال المسند

أغراض الحذف : أما تركه فلنحو ما سبق في باب المسند إليه[1] من تخييل العدول إلى أقوى الدليلين ، ومن اختبار تنبه السامع عند قيام القرينة أو مقدار تنبهه ، ومن الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر[2] إما مع ضيق المقام كقوله : * فإني وقيّـــار بها لغريبُ[3] *

أيْ وقيار كذلك[4] . وكقوله :

نحن بما عندنا وأنت بما عندكَ راضٍ والرأيُ مختلفُ[5]

---

(١) أي في الكلام على حذفه ، والتعبير بالترك هنا بدل الحذف هناك من التفنن في العبارة .

(٢) كان الأحسن أن يذكر هذا الغرض في أول الأغراض ليجعله مطرداً في جميعها كما صنع في حذف المسند إليه .

(٣) هو ضابئ بن الحارث البُرْجُمي من قوله :

ومن يكُ أمسى بالمدينة رحلُه فإني وقيّار بها لغريبُ

وكان عثمان رضي الله عنه حبسه في المدينة لهجائه قوما في شعره ، والرحل : المنزل والمأوى ، وقيار اسم فرسه أو غلامه ، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما بعد الفاء عليه ، وتقديره « فقد حسنت حاله وساءت حالي » .

(٤) فهو من عطف الجمل ، ولا يصح جعل « قيار » معطوفاً على محل اسم « إن » لامتناع العطف على محل اسمها قبل مضيّ خبرها ، ولا يصح أن يكون « غريب » خبراً عن « قيار » والمحذوف خبر « إن » لاقترانه بلام الابتداء ، وخبر المبتدإ لا يقترن بها في الفصيح إلا إذا كان منسوخا ، وضيق المقام في البيت بسبب الشعر والسجن .

(٥) هو لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي ، أو لقيس بن الخطيم ، وقبله :

يا مال والسيد المعمّم قد يبطره بعض الرأي والسرفُ

أى نحن بما عندنا راضون . وكقول أبى الطيب :

قالتْ وقد رأت اصفرارى : مَنْ بهِ   وتنهّدتْ فأجبْتُها : المتنهدُ[1]

أى المتنهدُ هو المطالَبُ به[2] دون : المطالبُ به هو المتنهد - إن فُسر بن المطالب به ، لأن مطلوب السائلة عن هـذا الحكمُ على شخص معين بأنه المطالب به ليتعين عندها ، لا الحكم على المطالب به بالتعيين ، وقيل : معناه من فعل به ، فيكون التقدير : فعل به المتنهد[3] .

وإما بدون الضيق ، كقوله تعالى : ﴿واللهُ ورسولُهُ أحقُّ أن يُرضُوه﴾[4] على وجه ، أى والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، ويجوز أن يكون جملة واحدة ،

= يخاطب مالك بن العجلان حين رد قضاءه فى واقعة للأوس والخزرج ، وأراد « والرأى مختلف » أن يتبع كل منهما رأيه على اختلافهما ؛ لرضا كل منهما برأيه وعدم انقياده لصاحبه ، وضيق المقام هنا بسبب الشعر وعدم استعداد المخاطب لقبول الكلام ، وقد حذف فى هذا البيت من الأول لدلالة الثانى على عكس البيت السابق .

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى : وقد عنى اصفراره مما يلقاه من حبها ، وقوله « به » متعلق بمحذوف تقديره المطالب ، وقوله « وتنهدت » يعنى به أنها تنهدت لما رأته من اصفراره .

(٢) فيكون من حذف المسند لا المسند إليه ، وقد أجاز السكاكى كلا من التقديرين ، لأنه إذا جعلت « من » مبتدأ على مذهب سيبويه والمحذوف خبر فالأحسن أن يقدر - المتنهد هو المطالب به هو المتنهد ، ليطابق الجواب السؤال . وإذا جعلت « من » خبراً مقدما فالأحسن أن يقدر - المطالب به هو المتنهد : ليطابق الجواب للسؤال أيضا ،

(٣) هو من حذف المسند أيضاً ولكنه فعل على هذا التقدير .

(٤) آية ٦٢ سورة التوبة .

وتوحيد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله ، فكانا فى حكم مرضىّ واحد ، كقولنا « إحسان زيد وإجماله نعشنى وجبر منى »(١) وكقولك « زيد منطلق وعمرو » أى وعمرو كذلك ، وعليه قوله تعالى : ﴿ واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن ﴾ أى واللائى لم يحضن مثلهن ، وقولك « خرجت فإذا زيد(٢) . وقولك لمن قال : هل لك أحد ؟ إن الناس إلب عليك « إن زيداً وإن عمراً » أى إن لى زيداً وإن لى عمراً(٤) . وعليه قوله :

* إنّ محلاً وإنّ مرتحلا(٥) *

---

(١) فإفراد الضمير فيه لأن إحسانه وإجماله بمعنى واحد .

(٢) آية ٤ سورة الطلاق .

(٣) أى موجود أو حاضر أو بالباب أو ما أشبه ذلك ، والحذف هنا لاتباع الاستعمال مع الاختصار والاحتراز عن العبث ، لأنه يطرد حذف المسند إليه بعد « إذا » الفجائية ، لأنها تدل على مطلق وجود . وقد توجد معها قرائن تدل على نوع خصوصية كلفظ الخروج فى المثال .

(٤) الحذف فيه أيضاً لاتباع الاستعمال مع الاختصار والاحتراز عن العبث، لأنه يطرد حذف المسند مع تكرير «إن» وتعدد اسمها .

(٥) هو لميمون بن قيس المعروف بالأعشى من قوله :

إنّ محلاً وإن مرتحلا وإنّ فى السفر إذ مضوا مهلا

محلا ومرتحلا مصدران ميميّان بمعنى الحلول والارتحال ، والسفر اسم جمع بمعنى المسافرين وقد أراد بهم الموتى ، والمهل مصدر بمعنى الإمهال وطول الغيبة ، والمعنى: إن فى غيبة الموتى طولا وبعداً، لأنهم مضوا مضياً لا رجوع معه إلى الدنيا، وروى : إذ مضوا مثلا ، والحذف هنا لاتباع الاستعمال وضيق المقـــام مع الاختصار والاحتراز عن العبث .

أى إن لنا محلا فى الدنيا وإن لنا مرتحلا عنها إلى الآخرة . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لو أَنتمْ تملكون خزائنَ رحمةِ ربِّي ﴾(١) تقديره لو تملكون تملكون مكرراً لفائدة التأكيد ، فأضمر « تملك » الأول إضمارا على شريطة التفسير ، وأبدل من الضمير المتصل الذى هو الواو ضمير منفصل وهو « أنتم » لسقوط ما يتصل به من اللفظ ، فأنتم فاعل الفعل المضمر ، و « تملكون » تفسيره . قال الزمخشرى : هذا ما يقتضيه علم الإعراب ، فأما ما يقتضيه علم البيان(٢) فهو أن ﴿ أنتم تملكون ﴾ فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ(٣) . ونحوه قول حاتم : « لو ذات سوار لطمتنى »(٤) . وقول المتلمس :

---

(١) آية ١٠٠ سورة الإسراء .

(٢) يعنى بعلم البيان ما يشمل علم المعانى .

(٣) رُدَّ هذا على الزمخشرى بأن الاختصاص إنما يكون فى الجملة الاسمية التى يقدم فيها المسند إليه على خبره الفعل كما سبق ، وما هنا ليس كذلك لأنه من الجملة الفعلية ، وبأنه على تسليم ذلك يكون معناه لو اختصصتم بملك تلك الخزائن لأمسكتم ، هذا لا يقتضى اختصاصهم بالشح ، وإنما يقتضى ذلك أن يقال « أنتم لو تملكون ذلك لأمسكتم » .

(٤) رواه الأصمعى « لو غير ذات سوار لطمتنى » على أن حاتما مر ببلاد عنزة فناداه أسير لهم : يا أبا سفانة ، أكلنى الإسار والقمل ولم يكن مع حاتم شىء فساومهم به . ثم قال : أطلقوه واجعلوا يدى فى القيد مكانه ، ففعلوا ، ثم جاءته امرأة ببعير ليفصده فنحره فلطمته ، فقال لها ذلك ، يعنى أنه لا يقتص من النساء . وقيل : إن التى ضربته كانت أمة لهم فقال لها « لو ذات سوار لطمتنى » يعنى حرة من النساء ، وهو أظهر لتأنيث الفعل .

* ولو غير إخوانى أرادوا نقيصتى (١) *

وذلك لأن الفعل الأول (٢) لما سقط لأجل المفسر برز الكلام فى صورة المبتدأ والخبر .

وكقوله تعالى : ﴿ أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسناً ﴾(٣) أى كمن لم يزين له سوء عمله ، والمعنى أفمن زين له سوء عمله من الفريقين اللذين تقدم ذكرهما « الذين كفروا والذين آمنوا » كمن لم يزين له سوء عمله ، ثم كأن رسول الله ﷺ لما قيل له ذلك قال : لا ، فقيل ﴿ فإن الله يُضلُّ من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسُك عليهم حسرات ﴾ وقيل المعنى : أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرات ؟ فحذف الجواب (٤) لدلالة ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ أو : أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله ؟ فحذف لدلالة ﴿ فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ .

وأما قوله تعالى : ﴿ بل سوَّلت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميلٌ ﴾(٥) وقوله تعالى : ﴿ سورةٌ أنزلناها ﴾(٦) وقوله : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن

---

(١) هو لجرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمس من قوله :

ولو غيرُ إخوانى أرادوا نقيصتى　　جعلتُ لهم فوق العرانين ميسما

والعرانين جمع عرنين وهو الأنف كله أو ما صلب منه ، والميسم : العلامة ، وهو على التقدير : ولو أراد غير إخوانى . الخ .

(٢) فى قوله تعالى ﴿ لو أنتم تملكون ﴾ . وهذا تعليل لإفادة الاختصاص .

(٣) آية ٨ سورة فاطر .

(٤) على هذا تكون « من » شرطية .

(٥) آية ١٨ سورة يوسف .

(٦) آية ١ سورة النور .

أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ﴾ (١) فكل منهما يحتمل الأمرين حذف المسند إليه وحذف المسند ، أى فأمرى صبر جميل ، أو فصبر جميل أجمل (٢) وهذه سورة أنزلناها أو أوحينا إليك سورة أنزلناها ، وأمركم أو الذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب ، كطاعة الخلّص من المؤمنين الذين طابق باطنُ أمرهم ظاهرَهُ ، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة ، أى بأنها بالقول دون الفعل ، أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة .

ومما يحتمل الوجهين قوله سبحانه وتعالى : ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ (٣) قيل : التقدير ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ، ورُدّ بأنه تقرير لثبوت آلهة ، لأن النفى إنما يكون المعنى المستفاد من الخبر دون معنى المبتـــدأ ، كما تقول « ليس أمراؤنا ثلاثة » فإنك تنفى به أن تكون عدة الأمراء ثلاثة دون أن تكون لكم أمراء ، وذلك (٤) إشراك ، مع أن قوله تعالى بعده : ﴿ إنما اللهُ إلهٌ واحد ﴾ يناقضه ، والوجه أن ﴿ ثلاثة ﴾ صفة مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوفٌ مميزهُ ، لا خبر مبتدأ ، والتقدير « ولا تقولوا لنا إن فى الوجود آلهةٌ ثلاثةٌ أو ثلاثةٌ آلهة » (٥) ثم حذف الخبر كما حذف من لا إله إلا الله ، وما من إله إلا الله — ثم حذف الموضوع أو المميز كما يحذفان فى غير هـذا الموضع ، فيكون النهى عن إثبات الوجود لآلهة ، وهـذا ليس فيه تقرير لثبوت إلهين ، مع أن ما بعده أعنى قوله : ﴿ إنما الله إله واحد ﴾

---

(١) آية ٥٣ سورة النور .

(٢) أى من الصبر الذى ليس بجميل بأن يكون معه شكاية ، ولكنه مع هـذا خير من عدمه ، فيصح تفضيل الصبر الجميل عليه .

(٣) آية ١٧١ سورة النساء .

(٤) أى تقرير ثبوت آلهة .

(٥) التقدير الأول على أنها صفة مبتدإ ، والثانى على أنها مبتدأ محذوف مميزه .

ينفى ذلك ، فيحصل النهى عن الإشراك والتوحيد من غير تناقض ، ولهذا يصح أن يتبع نفى الاثنين فيقال « ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة ولا إلهان » لأنه كقولنا « ليس لنا آلهة ثلاثة ولا إلهان » وهذا صحيح ، ولا يصلح أن يقال على التقدير الأول « ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ولا اثنان » لأنه كقولنا « ليست آلهتنا ثلاثة ولا اثنين » وهذا فاسد ، ويجوز أن يقدر « ولا تقولوا الله والمسيح وأمه ثلاثة(١) أى لا تعبدوهما كما تعبدونه» لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾(٢) فيكون المعنى ثلاثة مستوون فى الصفة والرتبة ، فإنه قد استقر فى العرف أنه إذا أريد إلحاق اثنين بواحد فى وصف وأنهما شبيهان له أن يقال « هم ثلاثة » كما يقال إذا أريد إلحاق واحد بآخر وجعله فى معناه هما اثنان .

واعلم أن الحذف لابد له من قرينة ، كوقوع الكلام جواباً عن سؤال : إما محقق(٣) كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾(٤) وقوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾(٥) وإما مُقدَّر ، نحو :

* ليُبْكَ يزيد ضارع لخصومة(٦) *

---

(١) فيكون من حذف المسند إليه والمعنى صحيح بخلاف التقدير الذى أبطله، وقد أجيب عنه بأن السالبة تحتمل نفى موضوعها كما تحتمل نفى محمولها وحده ، فيكون المعنى عليه محتملا لنفى الثلاثة والاثنين أيضاً ، ولكن الحمل على هذا نادر .

(٢) آية ٧٣ سورة المائدة .

(٣) السؤال المحقق هو المذكور فى الكلام ، والمقدر بخلافه .

(٤) آية ٢٥ سورة لقمان .

(٥) آية ٦٣ سورة العنكبوت .

(٦) هو للحارث بن ضرار النهشلى أو الحارث بن نهيك من قوله فى رثاء يزيد بن نهشل :

وقراءة من قرأ ﴿ يُسبَّحُ لهُ فيهَا بالغُدُوِّ والآصالِ ، رِجالٌ ﴾(١) وقوله : ﴿ كذَلكَ يُوحَى إليكَ وإلى الذينَ مِنْ قبلكَ اللهُ العزيزُ الحكيم ﴾(٢) ببناء الفعل للمفعول(٣) وفضل هذا التركيب على خلافه أعنى نحو « ليبك يزيد ضارع » ببناء الفعل للفاعل ونصب يزيد من وجوه : أحدها أن هذا التركيب يفيد إسناد الفعل إلى الفاعل مرتين إجمالا ثم تفصيلا ، والثانى أن نحو « يزيد » فيه ركن الجملة لا فضلة(٤) ، والثالث أن أوله غير مطمع للسامع فى ذكر الفاعل فيكون ورود ذكره كن تيسرت له غنيمة من حيث لا يحتسب ، وخلافه بخلاف ذلك .

ومن هذا الباب وأعنى الذى قرينته وقوع الكلام جواباً عن سؤال مقدر - قوله تعالى : ﴿ وجعلُوا للهِ شُركاءَ الجنَّ ﴾(٥) على وجه(٦) فإن ﴿ لله شركاء ﴾ إن

= لِيبكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ ومختبطٌ مما تُطيحُ الطوائحُ

وقبله :

سقى جدثاً أمسى بدومة ثاويا من الدلو والجوزاء غاد ورائح

قوله « ليبك » بالبناء للمفعول ، والضارع الذليل ، والمختبط الذى يأتى إليك للمعروف من غير وسيلة ، وقوله « تطيح » بمعنى تذهب وتهلك ، والطوائح جمع مطيحة على غير القياس وقياسه مطاوح أو مطيحات ، والشاهد فى حذف فعل « ضارع » إذ التقدير ، يبكيه ضارع ، يصفه بأنه كان ملجأ الذليل وعون المحتاج .

(١) آية ٣٦ سورة النور . (٢) آية ٣ سورة الشورى .

(٣) فيكون كل من لفظ الجلالة ورجال فى الآيتين فاعلا لفعل محذوف تقديره يوحى ويسبح .

(٤) كونه ركن الجملة يفيد الاعتناء بشأنه ، ويناسب مقام رثائه .

(٥) آية ١٠٠ سورة الأنعام .

(٦) هو الوجه الذى سينقله عن عبد القاهر لا الوجهان المذكوران بعده .

جملاً مفعولين لجعلوا، فالجن يحتمل وجهين: أحدهما ماذكره الشيخ عبد القاهر(١) من أن يكون منصوبا بمحذوف دل عليه سؤال مقدر، كأنه قيل: من جعلوا لله شركاء؟ فقيل: الجن، فيفيد الكلام إنكار الشرك مطلقاً، فيدخل اتخاذ الشريك غير الجن في الإنكار دخول اتخاذه من الجن، والثاني ماذكره الزمخشري، وهو أن ينتصب «الجن» بدلا منه شركاء، فيفيد إنكار الشريك مطلقا أيضا كما مر(٢) وإن جعل «لله» لغوا(٣) كان «شركاء الجن» مفعولين قدّم ثانيهما على الأول، وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك مَلَكاً كان أو جنيا أو غيرهما، ولذلك قدّم اسم الله على الشركاء، ولو لم يبن الكلام على التقديم. وقيل: «وجعلوا الجن شركاء لله» لم يفد إلا إنكار جعل الجن شركاء، والله أعلم.

ومنه ارتفاع المخصوص في باب «نعم وبئس» على أحد القولين(٤).

أغراض الذكر: وأما ذكره فإما لنحو ما مر في باب المسند إليه من زيادة التقرير والتعريض بغباوة السامع والاستلذاذ والتعظيم والإهانة وبسط الكلام(٥)

---

(١) ١٨٧، ١٨٨ — دلائل الإعجاز.

(٢) لأنه يكون بدل بعض من كل، والتقدير: الجن منهم.

(٣) أي جارا ومجروراً متعلقا بشركاء مقدما عليه.

(٤) هو قول من يجعله مبتدأ محذوف الخبر، فيكون التقدير في قولك «نعم الرجل زيد» زيد الممدوح، وهو واقع من جواب سؤال مقدر أيضا، كأنه قيل: من الممدوح؟ وقيل: إنه خبر مبتدإ محذوف. وقيل: إنه بدل من الفاعل قبله. فالأقوال أربعة لا اثنان.

(٥) زيادة التقرير كما في قوله تعالى: «ولئنْ سألتهم مَنْ خلقَ السمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ خلقهُنَّ العزيزُ العليمُ» — آية ٩ سورة الزخرف. والتعريض بغباوة السامع كما في قولك «محمد نبينا» في جواب سؤال =

وإما ليتعين كونه اسماً فيستفاد منه الثبوت(١) أو كونه فعـــلا فيستفاد منه التجدد(٢) أو كونه ظرفا(٣) فيورث احتمال الثبوت والتجدد(٤)، وإما لنحو ذلك.

قال السكاكى(٥) : وإما للتعجيب من المسند إليه بذكره ، كما إذا قلت « زيد يقاوم الأسد » مع دلالة قرائن الأحوال(٦) ، وفيه نظر؛ لحصول التعجيب بدون الذكر إذا قامت القرينة(٧) .

= من نبيكم ؟ والاستلذاذ كما فى قولك « هى سعاد » فى جواب : هل هذه سعاد ؟ وهكذا ، ولا بد فى الذكر من قرينة كما سبق فى ذكر المسند إليه .

(١) أى الدلالة على النسبة من غير تقييد بزمان .

(٢) أى الدلالة على الحدوث بعد العدم .

(٣) أو جاراً أو مجروراً .

(٤) لأن نحو « زيد فى الدار » تقديره زيد مستقر أو استقر فى الدار . وهذا وما قبله معان أصلية للاسم والفعل والظرف ، فليست فى شىء من البلاغة .

(٥) ١١١ — المفتاح .

(٦) بأن يكون جواب سائل « من يقاوم الأسد » ؟

(٧) أجيب عنه بأن القرينة على المسند لا على التعجيب ، وإنما يحصل التعجيب بذكره مع الاستغناء عنه .

تمرينات على الذكر والحذف

تمرين — ١

١ — لم حذف المسند فى قول الشاعر :

لولا المشقةُ ساد الناس كلُّهمُ　　الجود يُفقرُ والإقدام قتّالُ

٢ — لم ذكر المسند بعد « بل » فى قوله تعالى : ﴿ قالوا أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيمُ ، قال بلْ فعلهُ كبيرُهمْ هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ آية ٦٢ ، ٦٣ سورة الأنبياء .

تمرين — ٢

١ — لم حذف المسند الأول وأعيد ذكر الثانى فى قول الشاعر :

لولا الشُّقىّ لجملتُ قبرك كعبتى　　وجعلتُ قولك سنّتى وكتابى

٢ — لم حذف المسند فى قوله تعالى : ﴿ ولما ضُربَ ابنُ مريم مثلاً إذا قومكَ منهُ يصدُّون ﴾ آية ٥٧ سورة الزخرف .

تمرين — ٣

١ — لم حذف المسند أولاً ، ثم المسند إليه ثانياً فى قول الشاعر :

والناسُ هذا حظّهُ مالٌ وذا　　علمٌ وذاك مكارم الأخلاق

٢ — بين المحذوف والداعى إلى حذفه فى قول الشاعر :

والطيرُ أقعدَهــــا الكَرَى　　والناسُ نامعٌ والوُجودُ

تمرين — ٤

١ — لماذا حذف المسند فى قولهم « أحَشَفاً وسُوءَ كيلة » ؟

٢ — لماذا أعيد ذكر المسند فى قول الخنساء :

أعينىَّ جُودَا ولا تجمُدا　　ألا تبكيانِ لصخرِ النَّدَى

ألا تبكيان الجرىءَ الجميـــل　　ألا تبكيان الفتى السّيدا

أغراض الإفـــراد

وأما إفراده فلكونه غير سببي مع عدم إفادة تقوّي الحكم[1] كقولك « زيد منطلق ، وقام عمرو » والمراد بالسببي نحو « زيد أبوه منطلق »[2] .

قال السكاكي[3] : وأما الحالة المقتضية لإفراده فهي إذا كان فعليا ولم يكن المقصود من نفس التركيب تقوّي الحكم ، وأعني بالمسند الفعلي ما يكون مفهومه محكوما به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتفاء عنه ، كقولك « أبو زيد منطلق ، والكُرّ[4] من البُرّ بستين » ، وضرب أخو عمرو ، ويشكرك بكر إن تعطه ، وفي الدار خالد » إذ تقديره « استقر أو حصل في الدار » على أقوى الاحتمالين[5] لتمام الصلة بالظرف ، كقولك « الذي في الدار أخوك »[6] وفيه نظر من وجهين :

---

(١) نحو « زيد قائم » وإنما يكون ذلك عند اقتضاء المقام له بأن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم ؛ فلا يؤتى له بصورة تفيد تقويته ، وهي صورة تقديم الاسم على الخبر الفعلي كما سبق في المسند إليه ، وإنما اختص إفراده بذلك لأنه إذا كان سببيا أو مفيداً للتقوي كان جملة لا مفرداً .

(٢) فالسببي كل جملة علقت على مبتدإ بعائد لا يكون مسنداً إليه في تلك الجملة ، لأنه إذا كان مسنداً إليه فيها كان من صورة تقوية الحكم نحو « زيد ينطلق » والسببي نسبة إلى السبب وهو ضمير الربط .

(٣) ١١١ — المفتاح .

(٤) هو مكيال مقداره أربعون أردبا ، وقيل : غير ذلك .

(٥) الاحتمال الثاني تقديره اسما أي مستقر أو حاصل .

(٦) فإن تقديره ـ الذي استقر أو حصل في الدار أخوك ، ولا يصح تقدير حاصل أو مستقر فيه ؛ لأن الصلة لا تتم به ، ولكن تعين هذا في الصلة لا يوجب أرجحيته في غيرها .

أحدهما أن ما ذكره في تفسير المسند الفعلي يجب أن يكون تفسيراً للمسند مطلقاً(١)، والظاهر أنه إنما قصد به الاحتراز عن المسند السببي، إذ فسر المسند السببي بعد هذا بما يقابل تفسير المسند الفعلي، ومثّله بقولنا «زيد أبوه منطلق أو انطلق، والبُرُّ الكُرّ منه بستين» فجعل كما ترى أمثلة السببي مقابلة لأمثلة الفعلي مع الاشتراك في أصل المعنى(٢). والثاني أن الظرف الواقع خبراً إذا كان مقدراً بجملة كما اختاره كان قولنا «الكر من البر بستين» تقديره «الكر من البر استقر بستين»، فيكون المسند جملة ويحصل تقوّي الحكم كما مرّ، وكذا إذا كان «في الدار خالد» تقديره «استقر في الدار خالد» كان المسند جملة أيضاً، لكون «استقر» مسنداً إلى ضمير خالد لا إلى خالد على الأصح؛ لعدم اعتماد الظرف على شيء(٣).

أغراض كون المسند فعلاً أو اسماً: وأما كونه فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر ما يمكن(٤) مع إفادة التجدد(٥).

---

(١) لأنه يشمل المسند إذا كان فعلاً أو غيره، نحو انطلق زيد، وزيد منطلق، وزيد أبوه منطلق.

(٢) يعني به المعنى الذي ذكره للفعلي، لأنه يشمل كل مسند كما سبق فيدخل فيه السببي، وإذا كان داخلاً في معنى الفعلي لم تصح المقابلة بين أمثلتهما.

(٣) مقابل الأصح يجعل خالداً فاعلاً لمتعلق الظرف، فلا تكون جملة مركبة من مبتدإ وخبر، وهذا إنما يأتي في الأصح إذا اعتمد الظرف على نفي أو شبهه، نحو — أو في الدار خالد؟

(٤) نكتة الاختصار هي في الحقيقة مرجع البلاغة في هذا الغرض، لأن دلالة الفعل على الأزمنة الثلاثة بأصل وضعه، ووجه الاختصار بأن قولك «قام زيد أو زيد قام» يفيد مع الاختصار معنى قولك «زيد حصل منه القيام في الزمن الماضي»، ولكن هذا الاختصار لا يكاد يمتاز به بليغ عن غيره، والذي يدخل منه في معنى البلاغة دلالته على الاستمرار التجددي كما سيأتي.

(٥) المراد بالتجدد حصول الشيء بعد عدمه، والفعل يدل عليه بأصل ـــ

وأما كونه اسماً فلإفادة عدم التقييد(١) والتجدد ، ومن البين فيهما قول الشاعر:

لا يألف الدرهمَ المضروبَ صرتنا ... لكن يمرُّ عليها وهوَ منطلق(٢)

وقوله :

أوَ كلما وردتْ عكاظَ قبيلةٌ ... بعثوا إليَّ عريفهم يتوسَّمُ(٣)

إذ معنى الأول على انطلاق ثابت للدرهم مطلقا من غير اعتبار تجدده وحدوثه، ومعنى الثاني على توسم وتأمل ونظر يتجدد(٤) من العريف هناك .

= وضعه أيضاً ، وإنما تعرض لإفادته ذلك لأن من الأسماء ما يشارك الفعل في الدلالة على أحد الأزمنة ، كاسم الفاعل ، فإنه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال .

(١) أي بأحد الأزمنة لأنه يدل على الثبوت فقط، وهي دلالة وضعية لا يصح عدها من وجوه البلاغة ، وإنما الذي يصح عده دلالته على الدوام بمعونة القرائن إذا كان المقام يقتضي كمال المدح أو الذم ونحوهما ، وكما سيأتي في البيت الآتي .

(٢) هو للنضر بن جؤيَّة ، والمشهور نصب « صرتنا » على أنه مفعول ، ولكن الأحسن نصب الدرهم ليكون عدم الإلف من جانب الصرة ، فيدل على غناهم وإنفاقهم ، أما الأول فيحتمل أن عدم إلف الدرهم صرتهم لفقرهم ، مع أنه يقصد التمدح بغناهم وجودهم ، ولهذا حمل بعضهم الجملة الاسمية «وهو منطلق» على إفادة الدوام ليكون المدح أكمل .

(٣) هو لطريف بن تميم العنبري، وعكاظ سوق بين نخلة والطائف، والعريف القيم الذي يقوم بأمر القوم ، يريد أنهم يبعثون إليه عريفهم من أجل شهرته وعظمته ،

(٤) يريد به الدوام التجددي ، والفعل إنما يدل عليه بمعونة القرائن لأن التجدد الذي يدل الفعل عليه بأصل وضعه هو حصول الشيء بعد عدمه، والبلاغة في الفعل إنما تكون بدلالته على الدوام التجددي ، ومما يتبين الفرق فيه بين المسند الفعلي والمسند الاسمي قوله تعالى : ﴿ الله يستهزئُ بهم ﴾ بعد قوله : ﴿ إنما نحن مستهزئونَ ﴾ آية ١٤ ، ١٥ سورة البقرة لأن دلالة الأول على الاستمرار التجددي، وهو أبلغ .

أغراض تقييد الفعل بمفعول ونحوه ، وترك تقييد الفعل : وأما تقييد الفعل بمفعول ونحوه فلتربية الفائدة(١) كقولك « ضربت ضربا شديداً ، وضربت زيداً ، وضربت يوم الجمعة ، وضربت أمامك ، وضربت تأديباً ، وضربت بالسوط ، وجلست والسارية ، وجاء زيد راكباً ، وطاب زيد نفساً ، وما ضرب إلا زيد ، وما ضربت إلا زيداً »(٢) .

والمقيد في نحو « كان زيد قائما » هو « قائما » لا « كان »(٣) .

وأما ترك تقييده فلمانع من تربية الفائدة(٤) .

---

(١) أي تكثيرها ، ولا يخفى أن تقييد الفعل بذلك من أحوال متعلقات الفعل فلا معنى لذكره هنا ، ولا يخفى أيضاً أن هذا التقييد يرجع إلى أصل معانى تلك المتعلقات ، فيجب أن يكون اعتبار ذلك هنا عند وجود القرينة التى تغنى عن ذكرها ، كما اعتبر وجود القرينة فى ذكر المسند إليه والمسند ، ومثال ذلك هنا أن يقال لك : هل تحب هندا ؟ فتقول : أحب هندا .

(٢) الاستثناء فى الأول من الفاعل وفى الثانى من المفعول ، وقيد الفعل فيهما هو المستثنى لأنه فى الحقيقة منسوب إلى المستثنى منه المحذوف ، فيكون المستثنى قيدا فيهما وإن كان فى الأول هو الفاعل فى الظاهر .

(٣) لأن « قائما » هو المسند ، فهو الذى يدل على الحدث المراد إسناده ، وكان تدل على زمانه ، فكأنك قلت : زيد قائم فى الزمان الماضى .

(٤) كخوف انقضاء فرصة أو ضيق مقام أو نحو ذلك من أغراض الحذف ، وبهذا يرجع اعتبار التقييد وتركه إلى اعتبارَىْ الحذف والذكر ، ومن ترك التقييد لخوف انقضاء فرصة: قول الصائد لمن معه « حبس الصيد » فلا يقول « فى الشرك » ليبادر إليه قبل فواته بالفرار أو موته قبل ذبحه .

أغراض تقييد الفعل بالشرط : إن وإذا ولو : وأما تقييده(١) بالشرط فلاعتبارات لا تعرف إلا بمعرفة ما بين أدواته من التفصيل ، وقد بيّن ذلك فى علم النحو(٢) ولكن لا بد من النظر ههنا فى « إن ، وإذا ، ولو .

أما « إن وإذا » فهما للشرط فى الاستقبال(٣) لكنهما يفترقان فى شىء وهو أن الأصل فى « إن » ألا يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه(٤) كما تقول لصاحبك « إن تكرمنى أكرمك » وأنت لا تقطع بأنه يكرمك .

والأصل فى « إذا » أن يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه(٥) كما تقول : إذا زالت الشمس آتيك. ولذلك كان الحكم النادر موقعاً لإنْ ، لأنّ النادر غير مقطوع

---

(١) أى الفعل مسندا فى الجزاء ، فالشرط قيد لحكم الجزاء كالمفعول ونحوه ، لأن قولك « إن جئتنى أكرمك » بمنزلة أكرمك وقت مجيئك .

(٢) لا يخفى أن تلك الاعتبارات اعتبارات نحوية ، وليست فى شىء من اعتبارات البلاغة إلا أن ينظر إلى دلالة أدوات الشرط على تعليق الجزاء بالشرط فى أخصر عبارة ، فتكون نظير حروف العطف فيما سبق ، وذلك وجه ضعيف من وجوه البلاغة .

(٣) أى لتعليق حصول الجزاء بحصول الشرط فى الاستقبال .

(٤) بأن يتردد فى وقوعه أو يظن عدم وقوعه ، أما القطع بعدم وقوعه لاستحالته فلا تستعمل فيه « إن » إلا لنكتة كما سيأتى فى قوله تعالى : ﴿ قل إنْ كان للرحمن ولد ﴾ آية ٨١ سورة الزخرف. ومثل « إن» فى دلالتها على ذلك باقى أدوات الشرط كما ذكره الدسوقى فى حاشيته على المختصر .

(٥) مثل القطع فى ذلك ظن وقوعه ، ولا يخفى أن الأداتين يدلان على ذلك بأصل الوضع ، ولكن إيثارها إحداهما على الأخرى فى موضع يصلح لهما قد يكون لاعتبارات دقيقة كما سيأتى فى أمثلتهما .

به فى غالب الأمر، وغلب لفظ الماضى مع « إذا » لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظراً إلى اللفظ(١) قال تعالى(٢) : ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ﴾ أتى(٣) فى جانب الحسنة بلفظ « إذا » لأن المراد بالحسنة الحسنة المطلقة التى حصولها مقطوع به . ولذلك عرفت تعريف الجنس(٤) . وجوز السكاكى(٥) أن يكون تعريفها للعهد ، وقال : « وهذا أقضى لحق البلاغة، وفيه نظر(٦). وأتى فى جانب السيئة بلفظ « إن » لأن السيئة نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ولذلك نكرت (٧) .

ومنه قوله(٨) تعالى : ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ أتى بإذا فى جانب

---

(١) إنما كان هذا بالنظر إلى اللفظ لأن الماضى معها ينقل إلى الاستقبال .

(٢) آية ١٣١ سورة الأعراف .

(٣) هذه الاعتبارات تأتى فى كلام الله تعالى لأنه وارد على أساليب كلام البشر، وإن لم يتصور فيه جزم ولا عدمه ، فيراعى فيه ذلك على فرض أنه لمخلوق يجوز عليه الجزم والتردد .

(٤) يعنى الحقيقة فى ضمن فرد مبهم بدليل إسناد المجىء إليها .

(٥) ١٣٠ — المفتاح .

(٦) وجهه أنه ذكر أن المراد الحسنة المطلقة والإطلاق ينافى العهد، وأجيب عنه بأنه يريد العهد على مذهبه من تنزيل الحقيقة منزلة المعهود لاعتبارات ، والذى ينافى الإطلاق العهد الحقيقى الذى يراد فيه فرد معين ؛ وإنما كان ذلك أقضى لحق البلاغة لأن المعهود أقرب إلى التحقق من الجنس الذى لا عهد فيه ولكن هذا لا يخلو من تكلف .

(٧) لأن التنكير فى أصله يفيد التقليل لدلالته على الوحدة، بخلاف « أل » الجنسية .

(٨) آية ٣٦ سورة الروم .

الرحمة . وأما تنكيرها فجعله السكاكي(١) للنوعية نظراً إلى لفظ الإذاقة . وجعله للتقليل نظراً إلى لفظ الإذاقة ، كما قال ، أقرب(٢) . وأما قوله تعالى : ﴿ وإذا مسَّ النَّاسَ ضُرٌّ ﴾(٣) بلفظ « إذا » مع الضُّر فللنظر إلى لفظ المس ، وإلى تنكير الضر المفيد في المقام التوبيخي القصد في اليسير من الضر ، وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم كل ضرر ، وللتنبيه على أن مساس قدر يسير من الضر لأمثال هؤلاء حقه أن يكون في حكم المقطوع به ، وأما قوله تعالى : ﴿ وإذا مسَّهُ الشرُّ فذو دُعاءٍ عريض ﴾(٤) بعد قوله عز وجل : ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسانِ أعرضَ ونأى بجانبه ﴾ أي أعرض عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبّر وتعظم ، فالذي تقتضيه البلاغة أن يكون الضمير في ﴿ مسه ﴾ للمعرض المتكبر ، ويكون لفظ ﴿ إذا ﴾ للتنبيه على أن مثله يحق أن يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعاً به .

قال الزمخشريُّ : وللجهل بموقع « إن وإذا » يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب فيغلطون ، ألا ترى إلى عبد الرحمن بن حسان(٥) كيف أخطأ بهما الموقع في قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ثم شُفِعَ له فيها فقضاها :

ذَمِمْتَ ولم تحمدْ وأدركتُ حاجتي تولَّى سواكم أجرها واصطناعها

أبى لك كسبَ الحمد رأيٌ مقصِّرٌ ونفسٌ أضاق الله بالخير باعَها

إذا هي حثَّتْهُ على الخير مرة عصاها وإن همَّت بشر أطاعها

---

(١) ١٣٩ — المفتاح .

(٢) لأن الإذاقة أثرها أضعف من غيرها ، وقد اعترض على هذا بأنه ينافي ما ذكره في الآية السابقة من أن إطلاق الحسنة المفيد للتكثير هو الذي يناسب « إذا » فلا يكون التقليل هنا في الرحمة مناسباً لها .

(٣) آية ٣٣ الروم . (٤) آية ٥١ سورة الدخان .

(٥) قيل إن هذه القصة وما فيها من الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان .

فلو عكس لأصاب »(١) .

وقد تستعمل « إن » في مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة :

كالتجاهل لاستدعاء المقام إياه(٢) .

وكعدم جزم المخاطب ، كقولك لمن يكذبك(٣) فيما تخبر : إن صدقتَ فقل لي ماذا تفعل ؟ » .

وكتنزيله منزلة الجاهل(٤) لعدم جريه على مُوجَب العلم ، كما تقول لمن يؤذى أباه : « إن كان أباك فلا تؤذه » .

وكالتوبيخ على الشرط وتصوير أن المقام لاشتماله على ما يقلعه عن أصله لا يصلح إلا لفرضه كما يُفرضُ المحال لغرض(٥) كقوله تعالى : ﴿ أفنضربُ عنكم الذِّكرَ صفحاً إنْ كنتمْ قوماً مُسرفينَ ﴾(٦) فيمن قرأ « إن » بالكسر

---

(١) يعنى بالعكس أن يقول « إن هى حشته ، وإذا هست » ووجه الصواب فيه أنه هو المناسب لما يقصده من الهجاء ، وأجيب عنه بأنه يقصد فى «إذا» إثبات حث نفس الوالى له على الخير وأنه مع ذلك يعصيها ، وهو أبلغ فى الذم ، وبأنه يقصد فى « إن » أنه يبادر إلى الشر بمجرد توهم نفسه له ، وهو أبلغ فى الذم أيضا .

(٢) كأن يسأل خادم عن سيده : هل هو فى الدار ؟ وهو يعلم أنه فيها ، فيقول « إن كان فيها أخبرك » فيتجاهل خوفاً من سيده .

(٣) أى لمن يجوِّز كذبك ، لأن المقام فى عدم جزم المخاطب .

(٤) يعنى به الشاك لأنه هو الأصل فى استعمال « إن » ، والفرق بين هذا وما قبله أن الشك غير حقيق هنا ، وفيما قبله حقيق .

(٥) كإرخاء العنان لإلزام الخصم .

(٦) آية ٥ سورة الزخرف . بقراءة : « أن كنتم »

لقصد التوبيخ والتجهيل فى ارتكاب الإسراف، وتصوير أن الإسراف من العاقل فى هذا المقام واجب الانتفاء، حقيق ألا يكون ثبوته إلا على مجرد الفرض.

وكتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به[1]، وعليه قوله[2] تعالى: ﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ بـ« إن »، يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها عن أصلها، ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين من المخاطبين على المرتابين منهم[3]، فإنه كان فيهم من يعرف الحق وإنما ينكر عنادا[4]

---

(١) يعنى تغليب المشكوك فى اتصافه بالشرط على المجزوم باتصافه به، ولا يعنى تغليب المجزوم بعدم اتصافه به على المجزوم فيه بذلك، لأن كلا منهما ليس هو المقام الأصلى لها، والمراد تغليب مقامها الأصلى على غيره.

(٢) آية ١٣ سورة البقرة.

(٣) اعترض على هذا بأن ما هنا جمع بين مرتاب يقينا وغير مرتاب يقينا، وكل منهما لا تستعمل فيه « إن » فالوجه أن يجعل من تغليب من يشك فى ارتيابه كالمنافقين على غيرهم. ويمكن أن يجعل من تغليب غير المرتابين على المرتابين على أنه بعد التغليب صار الجميع بمنزلة غير المرتابين، فصار الشرط قطعى الانتفاء فاستعمل « إن » فيه على سبيل الفرض للتبكيت والإلزام، ولا يخفى ما فى هذا من التكلف.

(٤) هؤلاء هم غير المرتابين.

هذا وكما تستعمل « إن » فى مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة، تستعمل فى مقام القطع بعدم وقوعه لنكتة أيضاً، وذلك كالتبكيت وإلزام الخصم والمبالغة ونحو ذلك، ومن هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ آية ٨١ سورة الزخرف.

وقد تستعمل « إذا » فى مقام الشك لنكتة، كالإشعار بأن الشك فى الشرط لا ينبغى أن يكون، كقولك لمن قال: لا أدرى هل يتفضل علىّ الأمير؟ إذا تفضل عليك =

وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ ﴾(١) .

استطراد إلى التغليب: والتغليب باب واسع(٢) يجرى فى فنون كثيرة(٣) . كقوله(٤) تعالى: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ أدخل شعيب عليه السلام فى: ﴿ لتعودن فى ملتنا ﴾ بحكم التغليب إذ لم يكن شعيب فى ملتهم أصلا، ومثله قوله(٥) تعالى: ﴿ إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾ وكقوله(٦) تعالى: ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ عدت الأنثى من

= فكيف يكون شكرك؟ للإشعار بأن الأمير لا ينبغى الشك فى تفضله، وقد تستعمل فى ذلك أيضاً لتغليب المتصف بالشرط على غير المتصف به، ولكن استعمال «إذا» فى مقام الشك نادر، بخلاف استعمال «إن» فى مقام الجزم.

(١) آية ٥ سورة الحج.

(٢) لا يخفى أن التغليب معدود فى المحسنات البديعية، فلا معنى لذكره هنا، وهو إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم الآخر بجعله موافقا له فى الهيئة أو المادة. فالأول كقوله تعالى: ﴿ وكانت من القانتين ﴾ والثانى كالأبوين للأب والأم، وكالقمرين للقمر والشمس، وقيل إن التغليب من المجاز المرسل لعلاقة المجاورة، أو من باب عموم المجاز، بأن يراد من (القانتين) مثلا الذوات المتصفة بالقنوت، ويصح بهذا أن يلحق التغليب بعلم البيان، والحق أنه ليس من المجاز؛ لأن المجاز نقل اللفظ من معنى إلى آخر أما التغليب فهو كالمشاكلة الآتية فى البديع، فإنما ينقل فيه المعنى من لباس إلى لباس لا اللفظ، وهذا إلى أنه لا علاقة فيه من مجاورة أو غيرها، لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلولى اللفظين لا بين اللفظين.

(٣) أى يجرى فى أساليب من الكلام لاعتبارات مختلفة غير محدودة ولا مضبوطة، وشأنه فى ذلك شأن غيره من المحسنات البديعية.

(٤) آية ٨٨ سورة الأعراف. (٥) آية ٨٩ سورة الأعراف.

(٦) آية ١٢ سورة التحريم.

الذكور بحكم التغليب(١) وكقوله تعالى: ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾(٢) عُدَّ إبليس من الملائكة بحكم التغليب، وكقوله تعالى: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾(٣) بتاء الخطاب)، غُلِّبَ (أنتم) على جانب (قوم)(٤) ومثله ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٥) فيمن قرأ بالتاء(٦) وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٧) غلب المخاطبون في قوله ﴿ لعلكم تتقون ﴾ على الغائبين(٨) في اللفظ، والمعنى على إرادتهما جميعاً، لأن (لعل) متعلقة بخلقكم لا باعبدوا(٩)، وهذا من غوامض

---

(١) هذا على أن «من» تبعيضية، ويجوز جعلها ابتدائية على أن المراد بالقانتين آباؤها الأولون كإبراهيم وإسحاق، والأول أبلغ لما في التغليب من الإشعار بأنها بلغت في طاعتها مبلغ أولئك الرجال القانتين حتى عُدَّتْ منهم.

(٢) آية ٣٤ سورة البقرة.

(٣) آية ٥٥ سورة النمل.

(٤) قيل: إن ذلك التفات من الغيبة إلى الخطاب، ورُدَّ بأن الخطاب فيه مسبوق بخطاب مثله، فلم يجر على خلاف السياق حتى يكون التفاتا.

(٥) آية ١٢٣ سورة هود.

(٦) غلب فيها خطاب النبي في قوله تعالى قبل ذلك: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ على من ورد ذكرهم قبله في قوله: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾.

(٧) آية ٢١ سورة البقرة.

(٨) في قوله: ﴿ والذين من قبلكم ﴾. والمخاطبون هم الناس في قوله ﴿ يأيها الناس ﴾ وهم أمة دعوة النبي ﷺ.

(٩) فلو تعلقت به لم يكن ذلك من التغليب، لأنه يراد به المخاطبون وحدهم

التغليب، وكقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ (١) فإن الخطاب فيه (٢) شامل للعقلاء والأنعام ، فغلب فيه المخاطبون(٣) على الغُيَّب (٤) والعقلاء (٥) على الأنعام(٦). وقوله تعالى : ﴿ يذرؤكم فيه ﴾ أى يبثكم ويكثركم فى هذا التدبير ، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل ، فجعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير ، ولذلك قيل ﴿ يذرؤكم فيه ﴾ ولم يقل « به » كما فى قوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾(٧) .

واعلم أنه لما كانت هاتان الكلمتان لتعليق أمر بغيره - أعنى الجزاء بالشرط - فى الاستقبال(٨) امتنع فى كل واحدة من جملتيهما الثبوت وفى أفعالها المضى ، أعنى أن يكون كلتا الجملتين أو إحداهما اسمية ، أو كلا الفعلين أو أحدهما ماضيا - ولا يخالف ذلك لفظا(٩) نحو « إن أكرمتنى أكرمتك ، وإن أكرمتنى

---

(١) آية ١١ سورة الشورى . (٢) أى فى قوله (يذرؤكم)

(٣) أى فى قوله (وجعل لكم) .

(٤) هم الأنعام . (٥) هم المخاطبون .

(٦) لأنه جمع ما لا يعقل ؛ فالأفصح فيه إفراد الضمير العائد عليه ، لكنه غلب عليه العقلاء لجمع الضمير .

(٧) آية ١٧٩ سورة البقرة ، فقد جعل القصاص كالمنبع للحياة .

(٨) متعلق بمحذوف تقديره كائنين فى الاستقبال ، ولا يتعلق بالمصدر وهو « تعليق » لأنه حاصل فى الحال لا فى الاستقبال .

(٩) أما فى المعنى فالاستقبال باق على حاله ولو قلت « إن أكرمتنى الآن فقد أكرمتك أمس » لأن معناه إن تعتد بإكرامى الآن أعتد بإكرامك أمس ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ آية ٤ سورة فاطر ؛ لأن جواب الشرط فيه محذوف تقديره فاصبر .

أكرمك ، وإن تكرمني أكرمتك ، وإن تكرمني فأنت مكرم ، وإن أكرمتني الآن فقد أكرمتك أمس ، إلا لنكتة ما(١) مثل إبراز غير الحاصل في صورة الحاصل: إما لقوة الأسباب المتآخذة في وقوعه ، كقولك « إن اشترينا كذا » حال انعقاد الأسباب في ذلك ، وإما لأن ما هو للوقوع كالواقع ، كقولك «إن مت كان كذا وكذا» كما سبق ، وإما للتفاؤل ، وإما لإظهار الرغبة في وقوعه(٢) نحو «إن ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام » فإن الطالب إذا تبالغت رغبته في حصول أمر يكثر تصوره إياه ، فربما يخيل إليه حاصلا ، وعليه قوله(٣) تعالى : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً ﴾ وقد قوى هذا التخيل عند الطالب حتى إذا وجد حكم الحس بخلاف حكمه غلطه تارة ، واستخرج له محملا أخرى ، وعليه قول أبي العلاء المعري :

= وقد تستعمل « إن » في الماضي لفظاً ومعنى باطراد مع « كان » كقوله تعالى : ﴿ إن كنتُ قلتهُ فقد علمته ﴾ آية ١٦ سورة المائدة ، وعلى قلة مع غيرها ، كقول أبي العلاء :

فيا وطني إن فاتني بك سابق ... من الدهر فلينعم لساكنك البال

وقد تستعمل « إذا » في الماضي كذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا ﴾ آية ٩٦ سورة الكهف وهذا استعمال لغوي لها لا يحتاج إلى نكتة كاستعمالها في الماضي لفظاً فقط .

(١) المثال الأخير على تقدير « إن تعتد بإكرامي الآن أعتد بإكرامك أمس » كما سبق .

(٢) التفاؤل للسامع وهو ذكر ما يسره ، والرغبة من المتكلم ، والمثال المذكور صالح لهما .

(٣) آية ٢٣ سورة النور ومعنى إظهار الرغبة في حقه تعالى إظهار كمال رضاه ، لتنزهه تعالى عن الرغبة .

ما سِرْتُ إلا وطيفٌ منك يصحبني سُرىً أمامي وتأويباً على أثري(١)

يقول : لكثرة ما ناجيت نفسي بك انتقشت في خيالي ، فأعدُّك بين يديَّ مغالطا للبصر بعلة الظلام إذا لم يدركك ليلاً أمامي ، وأعدك خلفي إذا لم يتيسر لي تغليطه حين لا يدركك بين يديَّ نهاراً .

وإما لنحو ذلك .

قال السكاكي(٢) : أو للتعريض(٣) كما في قوله تعالى : ﴿ لئِنْ أشركْتَ ليَحبطَنَّ عملُكَ ﴾(٤) وقوله تعالى : ﴿ ولئِنْ اتبعتَ أهواءهم منْ بعْدِ ما جاءكَ من العلمِ إنّكَ إذاً لمنَ الظالمين ﴾(٥) وقوله : ﴿ فإنْ زللتمْ منْ بعدِ ما جاءتكم البيّناتُ ﴾(٦) .

ونظيره في التعريض قوله تعالى: ﴿ ومَا ليَ لا أعبدُ الذي فطرَني وإليه ترجعون ﴾(٧)

---

(١) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعرى ، والطيف : الخيال ، السرى : السير ليلا ، والتأويب : السير نهارا مشتق من الأوب ، لأن الغالب أنهم يسيرون ليلا ويؤوبون إلى منازلهم نهاراً ، وفي البيت تعقيد ظاهر .

(٢) ١٣٣ — المفتاح .

(٣) معطوف على ما ذكره السكاكي من الأسباب السابقة لإبراز غير الحاصل في صورة الحاصل، وإنما صرح الخطيب باسم السكاكي في هذا السبب مع أن ما سبق منقول عنه ، لأن التعريض يحصل في ذلك ولو عُبِّرَ بالمضارع بدل الماضي، فلا يصح نكتة للتعبير بالماضي دونه كالأسباب السابقة ، وأجيب عن السكاكي بأن ذكر المضارع في ذلك لا يفيد التعريض لكونه على أصله ، والحق أنه يفيده لأن مبنى التعريض فيه على نسبة الفعل إلى من لا يصح وقوعه منه ، وهي حاصلة في المضارع كالماضي .

(٤) آية ٦٥ سورة الزمر . (٥) آية ١٤٥ سورة البقرة .

(٦) آية ٢٠٩ سوره البقرة (٧) آية ٢٢ سورة يس وإنما كان نظيره ولم يكن منه لخلوه عن أداة الشرط .

المراد : وما لكم لا تعبدون الذى فطركم ، والمنبه عليه(١) ﴿ ترجعون ﴾ وقوله(٢) تعالى : ﴿ أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون ، إنى إذاً لفى ضلال مبين ﴾ إذ المراد — أتتخذون من دونه آلهة إن يردكم الرحمن بضر لا تغن عنكم شفاعتهم شيئاً ولا ينقذونكم إنكم إذاً لفى ضلال مبين، ولذلك قيل(٣) ﴿ آمنت بربكم ﴾ دون بربى وأتبعه ﴿ فاسمعون ﴾ .

ووجه حسنه(٤) تطلبُ إسماع المخاطبين الذين هم أعداء المُسْمِع الحقَّ على وجه لا يورثهم مزيد غضب ، وهو ترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل ومواجهتهم بذلك ، ويعين على قبوله(٥) لكونه أدخل فى إمحاض النصح لهم ، حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، ومن هذا القبيل قوله(٦) : ﴿ قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون ﴾ ـ فإن من حق النسق من حيث الظاهر « قل لا تسألون عما عملنا ولا نسأل عما تجرمون » وكذا ما قبله(٧) : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضـــلال مبين ﴾ . قال السكاكى رحمه الله(٨) : وهذا النوع من الكلام يسمى المُنصف .

ومما يتصل بما ذكرناه أن الزمخشرى قدر قوله(٩) تعالى : ﴿ إن يثقفوكم

(١) لأنه لولا التعريض لكان المناسب للسياق « وإليه أرجع » وقد سبق التمثيل بالآية للالتفات ، ولا منافاة بينه وبين التعريض .

(٢) آية ٢٣ ، ٢٤ سورة يس .

(٣) فى قوله تعالى بعد الآيتين السابقتين : ﴿ إنى آمنت بربكم فاسمعون ﴾

(٤) أى حسن هذا التعريض فى قوله تعالى : ﴿ وما لِىَ لا أعبد الذى فطرنى ﴾ وما بعده . أما التعريض فى قوله : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ فيفيد نسبته إليهم على وجه أبلغ من التصريح بنسبته إليهم .

(٥) أى قبوله الحق .

(٦) آية ٢٥ سورة سبأ .

(٧) الضمير فى قوله « قبله » يعود إلى قوله ﴿ قل لا تسألون ﴾ الآية .

(٨) ١٣٣ — المفتاح .

(٩) آية ٢ سورة الممتحنة .

يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ﴾ وقال: الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب (١) فإن فيه نكتة، كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعني أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضارّ الدنيا والدين جميعاً من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردّكم كفاراً. وردّكم كفاراً أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم، لأنكم بذّالون لها دونه، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه. هـذا كلامه، وهو حسن دقيق، لكن في جعل ﴿ وودوا لو تكفرون ﴾ عطفاً على جواب الشرط نظر، لأن ودادتهم أن يرتدوا كفاراً حاصلة وإن لم يظفروا بهم، فلا يكون في تقييدها بالشرط فائدة: فالأولى أن يجعل قوله ﴿ ودّوا لو تكفرونَ ﴾ عطفا على الجملة الشرطية كقوله تعالى: ﴿ وإنْ يقاتلوكم يولوكمُ الأدبار ثم لا ينصرون ﴾(٢).

لو: وأما «لو» فهي للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء(٣) كانتفاء الإكرام في قولك «لو جئتني لأكرمتك» ولذلك قيل: هي

---

(١) لأنه ينقلب فيه من المضي إلى المستقبل.

(٢) آية ١١١ سورة آل عمران فإن قوله (لا ينصرون) معطوف على الجملة الشرطية.

(٣) يعني أن «لو» موضوعة للدلالة على امتناع الجزاء وعلى أن امتناعه ناشيء عن امتناع الشرط، ولا يريد أن دلالتها على امتناع الشرط بالوضع وعلى امتناع الجزاء باللزوم، فلا يعترض عليه بأن الشرط سبب في الجزاء، ولا يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب، لأنه يجوز أن يكون له سبب آخر غيره، وإذا كان هـذا معنى «لو» بالوضع فإنه يلزمه أن العلم بامتناع الشرط لأجل العلم بامتناع الجزاء، وبهذا يكون لها معنيان: أحدهما وضعي، وهو الشائع في القرآن والحديث وأشعار العرب، كقول الحماسي:

ولو طار ذو حافر قبلها لطارتْ ولكنه لم يطرْ

لامتناع الشيء لامتناع غيره(١) ويلزم كونُ جملتيها فعليتين وكونُ الفعل ماضياً(٢) فدخولها على المضارع(٣) في نحو قوله تعالى: ﴿ لو يُطيعكم في كثير من الأمر لعنتُّم ﴾(٤) لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتاً فوقتاً(٥)، كما في قول الله(٦) تعالى: ﴿ اللهُ يستهزئ بهم ﴾ بعد(٧) قوله: ﴿ إنما نحن مُستهزئُون ﴾

= وقول أبي العلاء:

ولو دامت الدَّولاتُ كانوا كغيرهم   رعايا ولكنْ ما لهن دوام

وثانيهما عقلي. وهو المعتمد في علم المنطق والشائع في مقام الاستدلال العقلي، وعليه قوله تعالى: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا اللهُ لفسدتا ﴾ آية ٢٢ سورة الأنبياء لأن الغرض منه الاستدلال بامتناع الفساد على امتناع تعدد الآلهة دون العكس.

(١) أي لامتناع الجزاء لامتناع الشرط، لأن « لو » في كلامهم إنما تستعمل في الشرط الذي لا سبب سواه لجزائه، فإذا حصل حصل، وإذا انتفى انتفى.

(٢) ذهب المبرد إلى أنها قد تستعمل وضعا في المستقبل، فلا يلتمس لها فيه نكتة، كقول الشاعر:

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا   من دون رمسينا من الأرض سبسب

لظلَّ صدى صوتي وإن كنتُ رمةً   لصوت صدى ليلى يهشُّ ويطربُ

(٣) هذا هو الذي يدخل في معنى البلاغة من استعمال « لو » وغيره استعمال وضعي لا بلاغي. (٤) آية ٧ سورة الحجرات.

(٥) فيكون المعنى في الآية أن امتناع عنتهم بسبب امتناع استمراره على إطاعتهم. (٦) آية ١٥ سورة البقرة.

(٧) فلم يقل « الله يستهزئ بهم » كما قالوا (نحن مستهزئون) لأن المضارع يفيد استمرار الاستهزاء على سبيل التجدد، وهو أبلغ من الاستمرار والثبوت الذي تفيده الجملة الاسمية.

وفي قوله تعالى : ﴿ فويلٌ لهم مما كتبتْ أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبُونَ ﴾(١) .

ودخولها عليه في نحو قوله : ﴿ ولوْ ترى إذ المُجرمُون ناكسُوا رؤوسهمْ ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿ ولوْ ترى إذِ الظالمُون موقوفُونَ عندَ ربّهمْ ﴾(٣) لتنزيله منزلة الماضي لصدوره عمّنْ لا خلاف في إخباره ، كما نزّل ﴿ يودُّ ﴾ منزلة « ودّ » في قوله تعالى : ﴿ ربما يودُّ الذين كفروا ﴾(٤) ويجوز أن يُردّ الغرض من لفظ « ترى ويود » إلى استحضار صورة(٥) رؤية المجرمين ناكسي الرؤوس قائلين لما يقولون ، وصورةِ رؤية الظالمين موقوفين عند ربهم متقاولين بتلك المقالات ، وصورةِ ودادة الكافرين لو أسلموا كما في قوله تعالى : ﴿ واللهُ الذي أرسلَ الرّياح فتثير سحاباً فسقناهُ إلى بلد ميتٍ فأحيينا به الأرضَ بعد موتها ﴾(٦) إذ قال ﴿ فتثير سحابا ﴾ استحضاراً(٧) لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة ، من إثارة السحاب مسخراً بين السماء والأرض ،

---

(١) آية ٧٩ سورة البقرة ، إذ لم يقل « مما كسبوا » كما قال « مما كتبت أيديهم » لأن كسبهم يتجدد ، بخلاف ما كتبوه .

(٢) آية ١٢ سورة السجدة (٣) آية ٣١ سورة سبأ

(٤) آية ٢ سورة الحجر ؛ لأن الفعل الواقع بعد « رب » المكفوفة يجب أن يكون ماضيا عند ابن السراج وأبي علي ، والجمهور لا يوجبون ذلك .

(٥) الحق أن هذا إنما يكون في حكاية الحال الماضية ، كما في قوله تعالى : ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ آية ١٨ سورة الكهف ولم يثبت في كلامهم حكاية الحال المستقبلة كما هنا ، وقيل : إن ما هنا من حكاية الحال الماضية بعد تنزيل المضارع منزلة الماضي ، وهو تكلف ظاهر .

(٦) آية ٩ سورة فاطر .

(٧) هذا من استحضار الحال الماضية ، فلا يصح قياس ما سبق عليه .

تبدو فى الأول كأنها قطع قطن مندوف ، ثم تتضامُّ متقابلة بين أطوار حتى يغدنَ رُكاما . وكقول تأبط شراً(١) :

ألا منْ مُبلغٌ فتيان فهم بما لاقيت عند رحا بطان(٢)

بأنى قد لقيتُ الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان(٣)

فقلتُ لها كلانا نضوُ أرض أخو سفر فخلى لى مكانى (٤)

فشدَّتْ شدَّةً نحوى فأهوتْ لها كفى بمصقول يمانى

فأضربهُا بلا دهش فخرَّتْ صريعا لليدين وللجران (٥)

إذ قال « فأضربها » ليصور لقومه الحالة التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ، ويتطلب منهم مشاهدتها ، تعجيبا من جراءته على كل هول وثباته عند كل شدة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدمَ خلقهُ منْ تُراب ثمَّ قال لهُ كنْ فيكونُ ﴾(٦) إذ قال ﴿ كنْ فيكونُ ﴾ دون « كن فكان » وكذا قوله تعالى : ﴿ ومن يُشركْ بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفهُ الطيرُ أو تهوى به الريحُ فى مكان سحيق ﴾(٧) .

---

(١) هذا لقب غلب عليه ، واسمه ثابت بن جابر بن سفيان ، وقيل : إن الأبيات لأبى الغول الطهوى .

(٢) فهم : قبيلة تأبط شراً ، ورحا بطان : موضع .

(٣) قوله « تهوى » بمعنى تسرع ، والسهب الفلاة ، والصحصحان ما استوى من الأرض .

(٤) النضو : المهزول من كل شىء ، فعل بمعنى مفعول ، كأنه نضى وأخرج عن لحمه من جلدها .

(٥) صريعاً فعيل بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث ، والجران فى الأصل مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره .

(٦) آية ٥٩ سورة آل عمران (٧) آية ٣١ سورة الحج

تمرينات

على إفراد المسند واسميته وفعليته وتقييده وترك تقييده

تمرين — ١

١ — بين الداعي إلى فعلية المسند وظرفيته في قوله تعالى : ﴿ يَمحُو الله ما يشاءُ ويُثبت وعنده أمُّ الكتابِ ﴾ آية ٣٩ سورة الرعد .

٢ — لم أتى المتنبي بالمسند فعلاً ثم ظرفاً في قوله :

تُدبِّر شرقَ الأرض والغرب كفُّه وليس لها يوماً عن الجود شاغلُ

تمرين — ٢

سلامٌ على القبر الذي لا يجيبنا ونحن نُحيِّي تربهُ ونخاطبه

٢ — بين ما يستفاد من اسمية المسند وفعليته في قول الشاعر :

يهوَى الثناء مُبرِّزٌ ومُقصر حُب الثناء طبيعةُ الإنسانِ

تمرين — ٣

١ — افرق بين الدوام الذي تفيده اسمية المسند بمعونة القرائن، والدوام الذي تفيده فعليته بمعونة القرائن .

٢ — أيهما أحسن في تقدير متعلق الظرف والجار والمجرور ؟ وهل يدخل هذا في البلاغة أو لا يدخل ؟

تمرين — ٤

١ — لم عبرَ بإن في قوله تعالى : ﴿ وإنْ يروا آيةً يُعرضُوا ويقولوا سحرٌ مُستمرٌ ﴾ آية ٢ سورة القمر .

٢ — لم عبرَ بإذا في قوله تعالى : ﴿ إذا جاءَ نصرُ الله والفتحُ ، ورأيتَ الناس يدخلونَ في دين الله أفواجاً ، فسبِّحْ بحمدِ ربكَ واستغفرْهُ ﴾ آية ١ ، ٢ ، ٣ سورة النصر .

أغراض التنكير

وأما تنكيره : فإما لإرادة عدم الحصر والعهد(1) كقولك « زيد كاتب، وعمرو شاعر » ، وإما للتنبيه على ارتفاع شأنه أو انخفاضه على ما مر في المسند إليه ، كقوله(2) تعالى : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي هدى لا يُكتنه كُنهه(3) .

أغراض التخصيص بالإضافة والوصف وتركه : وأما تخصيصه بالإضافة أو الوصف فلتكون الفائدة أتم كما مر(4)، وأما ترك تخصيصه بهما فظاهر مما سبق(5)

---

(1) لأن تعريف المسند إذا كان بأداة عهدية أو بضمير أو اسم إشارة أفاد العهد ، وإذا كان بأداة جنسية أو بموصول أفاد الاستغراق المستلزم للحصر ، وقد يفيد في هذا غير الحصر كما سيأتي .

(2) آية 2 سورة البقرة .

(3) فالتنكير في ذلك للتعظيم ، ومن التنكير للتحقير قول قيس بن جروة يخاطب عمرو بن هند :

غدرتَ بأمرٍ كنتَ أنت دعوتنا ... إليه وبئس الشيمةُ الغدرُ بالعهد

وقد يترك الغدرَ الفتى ، وطعامهُ ... إذا هو أمسى ، حلبةٌ من دمِ الفصدِ

(4) من أن زيادة الخصوص توجب تمام الفائدة ، وإنما ذكر الإضافة هنا مع الوصف لاتحادهما معه في ذلك الغرض، وقد ذكر السعد أن جعل معمولات المسند كالحال ونحوه من التقييد وجعل الإضافة والوصف من التخصيص إنما هو مجرد اصطلاح ؛ لأنه لا فرق بينهما في ذلك ، ولا يخفى أن أغراض الإضافة والوصف في المسند إليه تأتي هنا أيضاً . ومن التخصيص بالإضافة قول الشاعر :

تَحرِي الحديدَ عليهمُ فكأنهُ ... ومضانُ برقٍ أو شعاعُ شموسِ

ومن التخصيص بالوصف قول الشاعر :

وكنتُ امرأً لا أسمعُ الدهرَ سُبَّةً ... أُسبُّ بها إلا كشفتُ غطاءها

(5) أي في ترك تقييد المسند من أنه يكون لمانع من تربية الفائدة ، وذلك =

غرض التعريف : وأما تعريفه(١) فلإفادة السامع إمّا حكمًا على أمر معلوم له بطريق من طرق التعريف بأمر آخر معلوم له كذلك(٢) . وإمّا لازمَ حكم بين أمرين كذلك(٣) . تفسير هذا أنه قد يكون للشيء صفتان من صفات التعريف ويكون السامع عالمًا باتصافه بإحداهما دون الأخرى(٤) . فإذا أردت أن تخبره بأنه متصف بالأخرى تعمد إلى اللفظ الدال على الأولى وتجعله مبتدأ ، وتعمد إلى اللفظ الدال على الثانية وتجعله خبراً، فتفيد السامع ما كان يجهله من اتصافه بالثانية كما إذا كان للسامع أخ يسمى زيد وهو يعرفه بعينه واسمه، ولكن لا يعرف أنه أخوه، وأردتَ أن تعرّفه أنه أخوه ، فتقول له « زيد أخوك » سواء عرف أن له أخاً ولم يعرف أن زيداً أخوه أو لم يعرف أن له أخاً أصلا(٥)، وإن عرف أن له أخاً فى

= كقصد الإخفاء عن السامعين ونحو ذلك .

(١) أخره هنا عن الكلام على التنكير وذكر بينهما التخصيص بالإضافة والوصف ، ولا يخفى أن أغراض الإضافة من أغراض التعريف ، وأن أغراض الوصف من أغراض التوابع ، وما كان أحسن لو رتب الكلام هنا كما رتبه فى باب المسند إليه .

(٢) لا يقال : إنه يلزم من علم السامع بكل منهما أن يكون هذا إخبار بمعلوم له ، لأن المراد أنه يعلم كلا منهما ويجهل إسناد أحدهما إلى الآخر ، وإنما جعل الحكم فى ذلك على أمر معلوم لوجوب تعريف المسند إليه عند تعريف المسند ، وهذا حكم بالقلب فى قول القطامى السابق — ولا يكُ موقف منك الوداعا .

(٣) لازم الحكم هو ما سماه فى باب الإسناد الخبرى لازم فائدة الخبر ، كأن تقول لمن مدحك أمس فى غيبتك : أنت المادح لى أمس .

(٤) هذا لا يمنع علمه بالأخرى فى ذاتها كما سبق .

(٥) هذا ينافى ما سبق له من وجوب أن يعرف السامع كلاً من المسند إليه والمسند بإحدى طرق التعريف ، لأن هذا يلزمه أن يعرف أن له أخا فى الجملة ، فإذا لم يعرف ذلك قيل له « زيد أخ منك » بالتنكير .

الجملة(١) وأن تعيينه عنده قلت « أخوك زيد » ، أما إذا لم يعرف أن له أخا أصلا فلا يقال ذلك ؛ لامتناع الحكم بالتعيين على من لا يعرفه المخاطب أصلا ، فظهر الفرق بين قولنا « زيد أخوك » وقولنا أخوك زيد .

وكذا إذا عرف السامع إنسانا يسمى زيداً بعينه واسمه ، وعرف أنه كان من إنسان انطلاق ، ولم يعرف أنه كان من زيد أو غيره ، فأردت أن تعرفه أن زيداً هو ذلك المنطلق(٢) فتقول «زيد المنطلق» ، وإن أردت أن تعرفه أن ذلك المنطلق هو زيد قلت : « المنطلق زيد »(٣) .

وكذا إذا عرف السامع إنسانا يسمى زيداً بعينه واسمه ، وهو يعرف معنى جنس المنطلق ، وأردت أن تعرفه أن زيداً متصف به ، فتقول « زيد المنطلق » ، وإن أردت أن تعين عنده جنس المنطلق قلت « المنطلق زيد » .

لا يقال : «زيد» دال على الذات فهو متعين للابتداء ، تقدم أم تأخر ، والمنطلق دال على أمر نسبي فهو متعين للخبرية ، تقدم أو تأخر ، لأنا نقول : المنطلق لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذى له الانطلاق ، وإنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبراً وزيد لا يجعل خبراً إلا بمعنى صاحب اسم زيد ، وإنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتدأ

---

(١) أى وكان يعرف زيداً بعينه واسمه .

(٢) على هذا تكون « أل » فى المنطلق للعهد الذهنى ، أما فيما بعده فهى فيه للجنس كما صرح به .

(٣) ضابط هذا أن ما يعرف السامع اتصاف الذات به منهما يجب تقديمه وجعله مسنداً إليه ، وقد اختلف النحويون فى إعراب ذلك على أربعة مذاهب : فقيل وهو المشهور : إن الأول هو المبتدأ ، وقيل : إن المبتدأ أعرفهما ، وقيل : إن المبتدأ هو المعلوم عند السامع منهما ، وقيل : إن كلا منهما يجوز أن يكون مبتدأ وخبراً

ثم للتعريف بلام الجنس(١) قد لا يفيد قصر المعرَّف على ما حكم عليه به كقول الخنساء :

إذا قَبُحَ البكاء على قتيلٍ رأيتُ بكاءكَ الحسنَ الجميلا(٢)

وقد يفيد قصره(٣) إما تحقيقاً، كقولك «زيد الأمير» إذا لم يكن أمير سواه، وإما مبالغة لكمال معناه فى المحكوم عليه(٤) كقولك «عمرو الشجاع» . أى الكامل فى الشجاعة ، فتخرج الكلام فى صورة توهمُ أن الشجاعة لم توجد إلا فيه ، لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال .

---

(١) أى فى المسند ، لأن الكلام فيه . وإن كان التعريف بلام الجنس فى المسند إليه يفيد القصر أيضا كما سيأتى .

(٢) هو لتماضر بنت عمرو المعروفة بالخنساء ، وتريد بقولها «على قتيل» كل قتيل بقرينة المقام، لأن النكرة فى سياق الإثبات لا تعم فى أصل الوضع ، وإنى أرى أنه لا حاجة إلى هذا العموم ، ويكفى أن يراد «إذا قبح البكاء على أى قتيل» ، وإنما لم يفد تعريف «الحسن» القصر لأن كلامها للرد على من يتوهم قبح البكاء على قتيلها كغيره ، والرد عليه يكفى فيه إخراج البكاء على قتيلها من القبح إلى الحسن ، وإنما يصح القصر إذا كان الكلام للرد على من يسلم حسن البكاء على قتيلها ، ولكنه يدعى أن بكاء غيره حسن أيضا ، وهذا لا يلائمه أول البيت ، وفائدة تعريف «الحسن» ادعاء أنه معلوم لا ينكره أحد ، لأن «ال» الجنسية تفيد هذا كما سبق .

(٣) أى قصره على المسند إليه .

(٤) فالأول قصر تحقيقى والثانى ادعائى ، وتعريف المسند إليه بلام الجنس يفيد القصر كما سبق ، ولكنه يفيد قصر المسند إليه على المسند ، كقولك «الأمير زيد، والشجاع عمرو» وتعريف المسند يفيد قصر المسند إليه على المسند بالعكس كما سبق ، ولهذا لا يتفاوت المعنى فيهما من جهة القصر .

ثم المقصور قد يكون نفس الجنس مطلقا ، أى من غير اعتبار تقييده بشيء كما مر ، وقد يكون الجنس باعتبار تقييده بظرف أو غيره ، كقولك « هو الوفيُّ حين لا تظن نفس بنفس خيراً » فإن المقصور هو الوفاء فى هذا الوقت لا الوفاء مطلقا . وكقول الأعشى :

هو الواهبُ المائة المُصْطفا ة إما مخاضاً وإما عشاراً(١)

فإنه قصر هبة المائة من الإبل فى إحدى الحالتين ، لا هبتها مطلقاً ، ولا الهبة مطلقا . وهذه الوجوه الثلاثة « أعنى العهد والجنس للقصر تحقيقا والجنس للقصر مبالغة » تمنع جواز العطف بالفاء ونحوها(٢) على ما حكم عليه بالمُعرّف بخلاف المُنكّر ، فلا يقال « زيد المنطلق وعمرو » ولا « زيد الأمير وعمرو » ولا زيد الشجاع وعمرو .

أغراض كون المسند جملة : وأما كونه جملة (٣) فإما لإرادة تقوّى الحكم بنفس التركيب كما سبق(٤) وإما لكونه سببيا ، وقد تقدم بيان ذلك(٥) ، وفعليتها لإفادة

---

(١) هو ميمون بن قيس المعروف بالأعشى فى مدح قيس بن معديكرب أبى الأشعث الكندى ، والمخاض : الحوامل من النوق اسم جمع ، والعشار : جمع عشراء وهى من النوق كالنفساء من النساء ، أو التى مضى لحملها عشرة أشهر .

(٢) أى مما يفيد الجمع من حروف العطف كالواو وثم ، وإنما امتنع العطف بذلك لأنه ينافى القصر .

(٣) هذا يقابل قوله فيما سبق « وأما إفراده » وقد وسط بينهما الأحوال السابقة لدخولها فى حال الإفراد .

(٤) أى فى الكلام على الخبر الفعلى فى تقديم المسند إليه ، نحو « هو يعطى الجزيل »

(٥) أى بيان كونه سببيا عند قوله « وأما أفراده » وقيل : إن كل ما خبره جملة يفيد التقوى ولو كانت اسمية ، وعلى هذا تكون الجملة السببية مفيدة للتقوى أيضا ، فيفيد قولك « زيد أبوه منطلق » تقوى الحكم بخلاف « أبو زيد منطلق » ولا يرد =

التجدد(١) ، واسميتها لإفادة الثبوت ، فإن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد ، ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت ، وعليها قول رب العزة : ﴿ وإذا لقُوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوْا إلى شياطينهمْ قالوا إنا معكم ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿ قالوا سلاماً، قالَ سلامٌ ﴾(٣) إذ أصل الأول « نسلمُ عليك سلاماً» وتقدير الثانى « سلام عليكم » كأن إبراهيم عليه السلام قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به(٤) أخذاً بأدب الله تعالى فى قوله(٥) تعالى : ﴿ وإذا حُيّيتمْ بتحيةٍ فحيُّوا بأحسنَ منها ﴾ وقد ُذكرَ له وجه آخر فيه دقة غير أنه بأصول الفلاسفة أشبه ، وهو أن التسليم دعاء المسلم عليه بالسلامة من كل نقص ، ولهذا أطلق ، وكمال الملائكة لا يتصور فيه التجدد لأن حصوله بالفعل مقارن لوجودهم، فناسب أن يحيّوا بما يدل على الثبوت دون التجدد ، وكمال الإنسان متجدد لأنه بالقوة وخروجه إلى الفعل بالتدرج ،

= على الحصر فى الغرضين أن خبر ضمير الشأن جملة وليس للتقوى ولا للسببية ، لأن جملة الخبر عن ضمير الشأن فى حكم المفرد لتفسيرها له ، وقيل : إنها تفيد التقوى لما فيها من البيان بعد الإبهام .

(١) الضمير فى قوله « وفعليتها » يعود إلى الجملة الواقعة مسنداً ، فليس فى هذا تكرار مع ما سبق ، لأنه كان فى الفعل الواقع مسنداً ، وهو لا مفرد جملة ، وفى هذا إشارة إلى أن الجملة الاسمية إذا كان خبرها فعليا تفيد التجدد .

(٢) آية ١٤ سورة البقرة ويريد بهذا وما بعده الاستشهاد على إفادة الفعلية للتجدد والاسمية الثبوت بقطع النظر عن أصل الموضوع ، لأن أصله فيهما إذا كانا مسندين ، وهما فيما ذكره من الشواهد ليسا كذلك ، والشاهد فى قوله (آمنا) وقوله (إنا معكم) .

(٣) آية ٦٩ سورة هود .

(٤) لأن الجملة الاسمية فى ذلك تفيد الثبوت والدوام بخلاف الفعلية .

(٥) آية ٨٦ سورة النساء .

فناسب أن يُحيا بما يدل على التجدد دون الثبوت ، وفيه نظر(١) وقوله تعالى : ﴿ سواءٌ عليكُمْ أدعوتموهمْ أمْ أنتمْ صامتون ﴾(٢) أى أحدثتم دعاءهم أم استمر صمتكم عنه ؟ فإنه كانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعائهم ، فقيل : لم يفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم . وقوله(٣) تعالى : ﴿ قالوا أجئتنا بالحقِّ أمْ أنت من اللاعبين ﴾ أى أحدثت عندنا تعاطيَ الحق فيما نسمعه منك أم اللعب أى أحوال الصبا بعدُ مستمرة عليك ؟ وأما قوله ﴿ وما هُمْ بمؤمنينَ ﴾ فى جواب ﴿ آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾(٤) فلإخراج ذواتهم من جنس المؤمنين مبالغة فى تكذيبهم ، ولهذا أطلق قوله : ﴿ مؤمنين ﴾ وأكد نفيه بالباء(٥) ونحوه ﴿ يريدون أنْ يخرجوا من النار وما هُمْ بخارجينَ منها ﴾(٦) .

وشرطيتها لما مر(٧) وظرفيتها لاختصار الفعلية ، إذ هى مقدرة بالفعل على الأصح(٨)

---

(١) وجهه أن إبراهيم لم يكن يعلم وقت السلام أنهم ملائكة ، بدليل قوله : « قال سلامٌ قومٌ مُنكرُون » على أن ذلك يقتضى أن يكون رفع « سلام » فى تحية البشر بعضهم لبعض غير بليغ ، ولا يقول بهذا أحد .

(٢) آية ١٩٣ سورة الأعراف .

(٣) آية ٥٥ سورة الأنبياء (٤) آية ٨ سورة البقرة

(٥) فكل هذا كان له أثره فى أنه لم يقل « ولم يؤمنوا » مع أنه هو المطابق لقولهم (آمنا) . (٦) آية ٣٧ سورة المائدة

(٧) أى فى الكلام على تقييد المسند إذا كان فعلا بالشرط ، ولا تكرار فى هذا أيضا مع ما سبق ، لأن الكلام هنا فى شرطية الجملة الواقعة مسنداً ، وفيما سبق فى تقييد الفعل إذا كان مسنداً بالشرط .

(٨) كان الأحسن إذ الظرف ، لأن ظاهر عبارته يقتضى أن الجملة الظرفية مقدرة باسم الفاعل فى غير الأصح ، ولا يخفى فساده ، وقد سبق توجيه الأصح فى الكلام على إفراد المسند .

تمرينات على تعريف المسند وتنكيره وكونه جملة

تمرين — ١

١ — لم نكر المسند فى قول الشاعر :

آراؤه وعطاياه ونعمته وعفوه رحمة للناس كلهم

٢ — لم عرف المسند بالإضافة أولا ونكر ثانيا فى قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ آية ٢٩ سورة الفتح .

تمرين — ٢

١ — لم كان المسند جملة اسمية فى قوله تعالى : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ آية ٢ سورة آل عمران .

٢ — لم كان المسند جملة فعلية فى قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ آية ٥ سورة طه .

تمرين — ٣

١ — لم نكر المسند فى قول الشاعر :

لئن صدفتْ عنَّا فرُبَّتَ أنفُسٍ صَوادٍ إلى تلك النفوس الصوادف

ولم جاءت الجملة الأولى فيه فعلية والجملة الثانية اسمية ؟

٢ — بين الغرض من تعريف المسند بأل فى قول الشاعر :

وإنّ سنام المجد من آل هاشم بنو أمّ مخزوم ، ووالدُك العبْدُ

تمرين — ٤

١ — لِمَ نكر المسند وأضيف في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ آية ٤٠ سورة الأحزاب.

— ولم عرف بالإضافة في المعطوف بعد تنكيره في المعطوف عليه ؟

٢ — بين المسند والمسند إليه في قول الشاعر :

أبوكَ حُبابٌ سارِقُ الضَّيفِ بُرْدَهُ ... وجدّي يا حجّاجُ فارسُ شَمَّرا

تمرين — ٥

١ — ما هو الضابط الذى يميز بين المسند والمسند إليه في حال تعريفهما ؟ وما الفرق بين نظر علم المعاني وعلم النحو في هذه الحالة ؟

٢ — لم عرف المسند في قول الشاعر :

كُلثُمُ ، أنتِ الهمُّ يا كلثمُ ... وأنتِ دائي الذى أكتمُ

ولم نكر في قول الآخر :

خيرُ الصنائع في الأنامِ صنيعةٌ ... تنبو بحاملها عن الإذلالِ

وقول الآخر : —

وكنت فتى من جندِ إبليس فارتقى ... بي الحالُ حتى صار إبليسُ من جندى

أغراض التأخير والتقـــديم

أغراض التأخير : وأما تأخيره فلأن ذكر المسند إليه أهم كما سبق (١) .

أغراض التقديم : وأما تقديمه فإما لتخصيصه بالمسند إليه (٢) كقوله (٣) تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ وقولك « قائم هو » لمن يقول « زيد إما قائم أو قاعد » فيردده بين القيام والقعود من غير أن يخصصه بأحدهما ، ومنه قولهم « تميمي أنا » وعليه قوله تعالى : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾(٤) أي بخلاف خمور الدنيا فإنها تغتال العقول(٥) ، ولهذا يُقدّم الظرف في قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾(٦) لئلا يفيد ثبوت الريب في سائر كتب الله تعالى(٧) .

وإما للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت(٨) كقوله :

---

(١) أي في الكلام على تقديم المسند إليه ، فأغراض تأخير المسند هي ما سبق من أغراض تقديم المسند إليه .

(٢) الباء داخلة على المقصور ، فيكون المسند إليه في ذلك مقصوراً والمسند مقصوراً عليه .

(٣) آية ٦ سورة الكافرون . (٤) آية ٤٧ سورة الصافات .

(٥) فالمعنى أن عدم الغول مقصور على الكون في خمور الجنة ، أو أن الغول مقصور على عدم الحصول فيها ، وهذا على ما قيل من اعتبار النفي في جانب المسند أو المسند إليه .

(٦) آية ٢ سورة البقرة .

(٧) لأنها المعتبرة في مقابلة القرآن ، والقصر إنما يكون باعتبار النظير الذي يتوهم فيه المشاركة ، والمراد أن التقديم يوهم ذلك باعتبار الغالب ، لأنه قد يكون للاهتمام لا للتخصيص ، ومن تقديم المسند للتخصيص قول الشاعر :

رضينا قسمة الجبار فينا ... لنا علمٌ وللأعداء مال

وقول الآخر :

لك القلمُ الأعلى الذي بشباته ... يصابُ من الأمر الكلى والمفاصل

(٨) لأن النعت لا يتقدم على المنعوت بخلاف الخبر على المبتدأ .

له هممٌ لا مُنتهى لكبارها وهمتهُ الصغرى أجلُّ من الدهر(١)

وقوله تعالى: ﴿ ولكُمْ في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾(٢).

إما للتفاؤل (٣).

وإما للتشويق إلى ذكر المسند إليه، كقوله:

ثلاثةٌ تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمرُ(٤)

وقوله:

وكالنار الحياةُ فمن رمادٍ أواخرها وأوّلها دخانُ(٥)

---

(١) هو لبكر بن النطاح في مدح أبي دلف العجلي وقيل: إنه لحسان بن ثابت في مدح النبي ﷺ، والشاهد في قوله «له همم» لأنه لو عكس لأوهم أن الجار والمجرور صفة والجملة بعده هي الخبر، مع أن الكلام مسوق لمدحه لا لمدح همه، ويصح أن يكون التقديم لإفادة التخصيص، وهو أبلغ.

(٢) آية ٢٤ سورة الأعراف.

(٣) كقول ابن الرومي:

سَعِدَتْ غُرَّةُ وجهك الأيام وتزينت بلقائك الأعوام

وقول الآخر:

تهنّ الله طلعة المهرجان كل يمن على الأمير الهجان

(٤) هو لمحمد بن وهيب في مدح أبي إسحاق المعتصم، وإنما لم يجعل ثلاثة مبتدأ وشمس الضحى وما عطف عليه خبر، لأنه لا يخبر بمعرفة عن نكرة.

(٥) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري، يعني أن أول الحياة وآخرها وهو الصبا والشيب، وليس بشيء، وأن وسطها وهو الشباب هو المعتد به وقد شبهها في ذلك بالنار في أحوالها الثلاث.

قال السكاكي رحمه الله[1] : وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام في المسند[2] وإلا لم يحسن ذلك الحسن .

تنبيـــــه

كثير[3] مما في هذا الباب والذي قبله غير مختص بالمسند إليه والمسند ، كالذكر والحذف وغيرهما مما تقدمت أمثلته ، والفطن إذا أتقن اعتبار ذلك فيهما لا يخفى عليه في غيرهما[4] .

---

(١) ١١٩ — المفتاح .

(٢) كما في بيت ابن وهيب ، وكما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ في خلقِ السَّموَاتِ والأرضِ واختلافِ الليل والنهارِ لآياتٍ لأولي الألبابِ ﴾ آية ١٩٠ سورة آل عمران . وقد يكون تقديم المسند لمجرد الاهتمام ، كقول الشاعر :

سلامُ الله يا مطرٌ عليها ... وليس عليك يا مطرُ السلامُ

وقد يكون لإظهار التألم ، كقول المتنبي :

ومِنْ نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدواً له ما من صداقته بُدٌّ

(٣) أما القليل منه فيختص بالبابين ، كضمير الفصل وكون المسند فعلا ، والذي لا يختص بهما لا يلزم أن يجري في كل ما عداهما ، كالتعريف ، فإنه لا يجري في الحال والتمييز .

(٤) أي من المفعولات ونحوهما ، وسيأتي بيان شيء من هذا في أحوال متعلقات الفعل

تمرينات على التقديم والتأخير وغيرهما

تمرين — ١

١ — لماذا قدم المسند فى قولهم : « ثلاثة يذهبن الغم والحزن : الماء والخضرة والوجه الحسن » .

٢ — لماذا عبر بإن دون « إذا » فى قول الشاعر :

إنْ دام هذا ولم تحدث له غيرٌ   لم يُبك ميتٌ ولم يفرحْ بمولود

تمرين — ٢

١ — هل تأخير المسند للتخصيص أو لتقوية الحكم فى قول الشاعر :

ريمٌ على القاع بين البان والعلم   أحلّ سفكَ دمى فى الأشهر الحرُم

٢ — لماذا قدم المسند فى قول الشاعر :

ثلاثة ليس لها إيابُ   الوقتُ والجمالُ والشبابُ

تمرين — ٣

هل تقديم المسند للتخصيص أو لمجرد الاهتمام فى قول الشاعر :

وليس بمعن فى المودة شافعٌ   إذا لم يكن بين الضلوع شفيع

٢ — لماذا قدم المسند فى قوله تعالى : ﴿ ولم يكنْ له كفواً أحدٌ ﴾ آية ٤ سورة الإخلاص .

تمرين — ٤

١ — هل تقديم المسند للتخصيص أو لمجرد الاهتمام فى قوله تعالى : ﴿ وإن كذبوك فقلْ لى عملى ولكمْ عملكم ﴾ آية ٤١ سورة يونس .

٢ — لماذا قدم المسند فى قول الشاعر :

إذا نطق السفيه فلا تجبه   فخير من إجابته السكوت

تمرين — ٥

١ — لماذا عبر بإذا دون « إن » فى قوله تعالى : ﴿ وإذا الموؤدةُ سُئلت ، بأى ذنب قتلت ﴾ آية ٨ و ٩ سورة التكوير .

٢ — كيف صحت التثنية فى قوله ﷺ : « اللهم أعزّ الإسلام بأحبّ العمرين إليك » مع أنها تثنية عمر وعمرو ؟ ولماذا أوثرت تثنية الأول على الثانى ؟

القول فى أحوال متعلقات الفعل(١)

حال الفعل مع المفعول والفاعل : حال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل(٢) فكما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه منه ، لا أن تفيد وجوده فى نفسه فقط ، كذلك إذا عدّيته إلى المفعول كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه ، لا أن تفيد وجوده فى نفسه فقط ، فقد اجتمع الفاعل والمفعول فى أن عملَ الفعل فيهما إنما كان ليعلم التباسه بهما ، فعمل الرفع فى الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه ، والنصب فى المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه. أما إذا أريد الإخبار بوقوعه فى نفسه من غير إرادة أن يعلم ممن وقع فى نفسه(٣) أو على من وقع ، فالعبارة عنه أن يقال :كان ضربٌ أو وقعَ أو وُجِدَ ، أو نحو ذلك ، من ألفاظ تفيد الوجود المجرَّدَ .

أغراض حذف المفعول به : وإذا تقرر هذا فنقول :

الفعل المتعدى إذا أسند إلى فاعله ولم يُذكَرْ له مفعول فهو على ضربين :

الأول أن يكون الغرض إثبات المعنى فى نفسه للفاعل على الإطلاق أو نفيه عنه كذلك ، وقولنا « على الإطلاق » من غير اعتبار عمومه وخصوصه

---

(١) يلحق بالفعل ما فى معناه كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما .

(٢) يريد بهذا أن يمهد الكلام على المفعول به . وقد ذكر فى هذا الباب ثلاثة أحوال لمتعلقات الفعل : أولها حذف المفعول به ، ومثله فى ذلك باقى المتعلقات من المفعولات والحال والتمييز وغيرها. وثانيها تقديم المفعول ونحوه من المتعلقات على الفعل . وثالثها تقديم بعض معمولات الفعل على بعض . وقد ترك الكلام على غير هذه الأحوال الثلاثة اكتفاء بما ذكره فى التنبيه الواقع فى آخر القول فى أحوال المسند ، فقد ذكر فيه أن أمرها يجرى فى غير المسند إليه والمسند كما يجرى فيهما .

(٣) لا داعى إلى لفظ « فى نفسه » هنا ، ولهـــذا حذفها السعد فى شرحه على التلخيص .

ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه ، فيكون المتعدى حينئذ بمنزلة اللازم ، فلا يذكر له مفعول ، لئلا يتوهم السامع أن الغرض الإخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول(١) ، ولا يقدر أيضا لأن المقدر فى حكم المذكور(٢) .

وهذا الضرب قسمان(٣) لأنه إما أن يجعل الفعل مطلقا كناية(٤) عن الفعل متعلقا بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة ، أو لا(٥) .

الثانى(٦) كقوله تعالى(٧) : ﴿ قُلْ هل يَستوى الذينَ يعلمونَ والذينَ لا يعلمونَ ﴾ أى من يحدث له معنى العلم ومن لا يحدث .

قال السكاكى(٨) : ثم إذا كان المقام خطابيا لا استدلاليا(٩) أفاد العموم فى

---

(١) مع أنه فى هذا الضرب يقصد إثباته فى نفسه من غير اعتبار تعلقه بمفعول ، ولكل منهما مقام خاص به ، فإذا قيل : فلان يعطى : كان هذا لمن يجهل إعطاءه ، وإذا قيل : فلان يعطى الدنانير ، كان هذا لمن يعلم إعطاءه ، ويجهل أنه يعطى الدنانير .

(٢) قيل إنه فى هذه الحالة لا يسمى المفعول محذوفا ، ولكن هذه نظرة نحوية ، أما هنا فيعد محذوفا ويبحث عن نكتته ، بدليل أنه لا يبحث عن مثل هذا فى اللازم .

(٣) جرى عبد القاهر على حصر هذا الضرب فى القسم الثانى ، وجعل القسم الأول من الضرب الثانى الآتى ، لأن له عنده مفعولا مقصوداً محذوفا لدلالة الحال ونحوه عليه ، ولا يؤثر فى ذلك محاولة المتكلم أن ينسيه نفسه لغرض من الأغراض الآتية ، فلا يرى عبد القاهر فيه من الكناية ما يراه الخطيب ، كما يأتى .

(٤) الكناية فى هذا من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم على سبيل الادعاء لأن المقيد لا يكون لازما للمطلق إلا على هذا التقدير .

(٥) يعنى أو لا يجعل كذلك .

(٦) أى من الضرب الأول ، وهو الذى لا يجعل الفعل فيه مطلقا ، كناية عن الفعل ، متعلقا بمفعول مخصوص . (٧) آية ٩ سورة الزمر .

(٨) ١١٦ و ١٢٣ — المفتاح . (٩) المقام الخطابى هو الذى يكتفى بالظن كالمدح والفخر ونحوهما ، والاستدلالى هو الذى يطلب فيه اليقين .

أفراد الفعل بعلة إيهام أن القصد إلى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيهما تحكم، ثم جعل قولهم في المبالغة «فلا يعطى ويمنع، ويصل ويقطع» محتملا لذلك (١)، ولتعميم المفعول كما سيأتي (٢).

وعدّه الشيخ عبد القاهر (٣) مما يفيد أصل المعنى على الإطلاق من غير إشعار بشيء من ذلك (٤).

والأول (٥) كقول البحتري يمدح المعتز ويعرّض بالمستعين بالله:

شجوُ حسادِه وغيظ عداه ... أن يرى مبصرٌ ويسمع واعي (٦)

أي أن يكون ذا رؤية وذا سمع، يقول: محاسن الممدوح وآثاره لم تخف على من له بصر لكثرتها واشتهارها، ويكفي في معرفة أنها سبب لاستحقاقه الإمامة دون غيره أن يقع عليها بصر ويعيها سمع، لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد، فحساده وأعداؤه يتمنون ألا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع بها كي يخفى استحقاقه للإمامة فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته إياها فجعل كما ترى مطلق الرؤية كناية عن رؤية محاسنه وآثاره، ومطلق السماع كناية عن سماع أخباره (٧)

---

(١) أي لتعميم أفراد الفعل، فيكون المعنى يفعل كل إعطاء وكل منع وكل صلة وكل قطع. (٢) في قوله تعالى: ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ آية ٢٥ سورة يونس من الضرب الثاني أي كل أحد، فيكون المعنى عليه في ذلك يعطى كل أحد ... إلخ. (٣) ١٠١ و١٠٢ — دلائل الإعجاز.

(٤) أي من شمول أفراد الفعل أو المفعول، وهذا هو المختار، لأن المفهوم فيما بين الناس، وما ذكره السكاكي تكلف لا وجه له. (٥) أي من الضربين الأول وهو الذي يجعل الفعل فيه مطلقا، كناية عن الفعل، متعلقا بمفعول مخصوص.

(٦) هو للوليد بن عبيد المعروف بالبحتري، والشجو الحزن، وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل ليصح حمل الخبر عليه.

(٧) هذا بادعاء الملازمة بينهما كما سبق، وفائدة ذلك الإشارة إلى شهرة

وكقول عمرو بن معديكرب :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم ... نطقتُ ولكن الرماح أجرت(١)

لأن غرضه أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه وهو أنها أجرته(٢) .

وكقول طفيل الغنوى لبنى جعفر بن كلاب :

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت ... بنا نعلنا فى الواطئين فزلتِ

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقى الذى لاقوه منا لملتِ

هم خلطونا بالنفوس وألجئوا ... إلى حجرات أدفأت وأظلتِ(٣)

فإن الأصل « ملتنا وأدفأتنا » إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطلوبه بطريق الكناية (٤) فإن قلت لاشك أن قوله « ألجئوا »

= محاسنه مبالغة فى مدحه ، ومثل هذا يفوت بالتصريح بالمفعول وترك الكناية بذلك عنه ، وعلى مذهب عبد القاهر فى هذا القسم لا يكون فى البيت كناية ، وإنما يكون قصده من أول الأمر أن يرى مبصر محاسنه ، ولكنه حذفها ادعاء لشهرتها وأن رؤية البصر لاتقع إلا عليها ، وهو معنى حسن أيضا .

(١) قوله « أجرت » من الإجرار ، وهو فى الأصل شق لسان الفصيل لئلا يرضع ، والمراد أنها حبست لسانه عن مدحهم ، على سبيل الاستعارة ، وإنما حبست لسانه عن مدحهم لأنها لم تبل فى الحرب بلاء حسنا .

(٢) قال عبد القاهر فى بيان معناه على مذهبه : إنه يقصد أجرتنى ، ولكنه حذف المفعول لتتوافر العناية على إثبات الفعل للفاعل ، ويوهم أن إجرارها كان عاما له ولغيره .

(٣) هى لطفيل بن عوف الغنوى يمدح بنى جعفر ، وقوله « أزلقت » بمعنى زلت ولم تثبت ، وعلى هذا يتحد معناه ومعنى قوله : فزلت . ويجوز أن يكون المراد زلق ما تحتها ، فيتغايران ، وكلاهما كناية عن سوء حالهم .

(٤) جعل عبد القاهر حذف المفعول فى ذلك لتتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل

ـــ أصله ألجئونا فلأى معنى حذف المفعول منه ؟ قلت : الظاهر أنْ حذفه لمجرد الاختصار ؛ لأن حكمه حكم ما عطف عليه ، وهو قوله « خلطونا »[1] .

الضرب الثانى[2] أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول ، فيجب تقديره بحسب القرائن[3] .

ثم حذفه من اللفظ : إما للبيان بعد الإبهام ، كما فى فعل المشيئة إذا لم يكن فى تعلقه بمفعوله غرابة[4] كقولك : لو شئتُ جئتُ ، أو لم أجىء . أى لو شئت المجىء أو عدم المجىء ، فإنك متى قلت « لو شئت » علم السامع أنك علقت المشيئة بشىء ، فيقع فى نفسه أن هنا شيئا تعلقت به مشيئتك بأن يكون أو لا يكون ، فإذا قلت « جئت أو لم أجىء » عرف ذلك الشىء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ شاء لهداكُم أجمعينَ ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿ فإنْ يشأ اللهُ يختمْ على قلبك ﴾[6] وقوله تعالى : ﴿ من يشأ يضلله ﴾[7] وقول طرفة :

فإنْ شئتُ لم ترقلْ ، وإن شئتُ أرقلتْ   مخافة ملوىّ من القِدِّ محصد[8]

وقول البحترى :

(1) جعله عبد القاهر مثل الحذف فى « أدفأت وأظلت » . وماذهب إليه الخطيب أقوى وأدق .   (2) أى من الفعل المتعدى الذى لم يذكر له مفعول .

(3) يشير بهذا إلى أن حذف المفعول لا بد فيه من قرينة تدل عليه .

(4) مثله فعل الإرادة والمحبة ونحوهما ، نحو « لو أحب لأعطاكم » ، ولا يلزم أن يكون شرطا كما ذكر فى هذه الأمثلة ، ومن مجيئه غير شرط قوله تعالى : ﴿ ولا يحيطونَ بشىء من علمه إلا بما شاء ﴾ آية ٢٥٥ سورة البقرة ، ولكن الظاهر أن الحذف فى الآية ليس للبيان بعد الإبهام .

(5) آية ١٤٩ سورة الأنعام .   (6) آية ٢٤ سورة الشورى .

(7) آية ٣٩ سورة الأنعام .

(8) هو لعمرو بن العبد المعروف بطرفة ، وقوله : لم ترقل ، بمعنى لم تسرع ، والضمير لناقته ، والملوى : السوط المفتول ، والقد : الجلد المشقوق ، والمحصد : المفتول المحكم .

لو شئتَ عدتَ بلاد نجدٍ عودةً ... فحللتَ بين عقيقه وزَرُودِهِ(١)

وقوله :

لو شئتَ لم تفسد سماحةَ حاتم ... كرماً ولم تهدم مآثر خالد(٢)

فإن كان فى تعلق الفعل به غرابة ذكرت المفعول لتقرره فى نفس السامع وتؤنسه به ، يقول الرجل يخبر عن عزه : لو شئت أن أردّ على الأمير رددت ، وإن شئتُ أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته . وعليه قول الشاعر :

ولو شئتُ أن أبكى دماً لبكيتهُ ... عليه ولكن ساحةُ الصبر أوسعُ(٣)

فأما قول أبى الحسين على بن أحمد الجوهرى أحد شعراء الصاحب ابن عبّادٍ :

فلم يُبق منى الشوقُ غير تفكيرى ... فلو شئت أن أبكى بكيتُ تفكرا

فليس منه ؛ لأنه لم يرد أن يقول : فلو شئت أن أبكى تفكراً بكيت تفكراً ، ولكنه أراد أن يقول : أفنانى النحول فلم يبق منى وفىّ غير خواطر تجول ، حتى لو شئت البكاء فريت جفونى وعصرت عينى ليسيل منها دمع لم أجده ، ولخرج منها بدل الدمع التفكر ، فالمراد بالبكاء فى الأول الحقيقى ، وفى الثانى

---

(١) هو للوليد بن عبيد المعروف بالبحترى ، وقوله : عدت بلاد نجد - بمعنى عدت إليها ، وعقيق نجد وزروده موضعان به ، وخطابه للسحابة الوارد فى قوله قبل هذا البيت فى مطلع القصيدة :

يا عارضاً متلفعاً ببروده ... يختال بين بروقه ورعودِهِ

(٢) هو للبحترى أيضاً ، والمراد بحاتم : حاتم الطائى ، وبخالد : خالد بن أصبع النبهانى الذى نزل عليه امرؤ القيس الشاعر .

(٣) هو لأبى يعقوب إسحاق بن حسان الخريمى « بالراء » فى رثاء أبى الهيذام عامر بن عمارة الخريمى كما فى « البيان والتبيين ونهاية الأرب » وهو من قصيدة له مطلعها :

قضى وطراً منك الحبيب المودّع ... وحلّ الذى لا يستطاع فيدفع

والشاهد فى قوله « ولو شئت أن أبكى دماً » لأن بكاء الدم غريب .

غير الحقيق ، فالثانى لا يصلح لأن يكون تفسيراً الأول(١) .

وإما لدفع أن يتوهم السامع فى أول الأمر إرادة شىء غير المراد كقول البحترى:

وكم ذُدتَ عنى من تحامل حادث وسوْرة أيام حززنَ إلى العظم(٢)

إذ لو قال « حززن اللحم » لجاز أن يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده أن الحز كان فى بعض اللحم ولم ينته إلى العظم ، فترك ذكر اللحم ليبرىء السامع من هذا الوهم ، ويصور فى نفسه من أول الأمر أن الحز مضى فى اللحم حتى لم يرده إلا العظم(٣) .

وإما لأنه أريد ذكره ثانيا على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه(٤) كقول البحترى أيضاً :

قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ دد والمجد والمكارم مثلا(٥)

أى قد طلبنا لك مثلا فى السؤدد والمجد والمكارم ، فحذف المثل إذ كان غرضه أن يوقع نفى الوجود على صريح لفظ المثل(٦) ولأجل هذا المعنى بعينه عكس ذو الرُّمة فى قوله :

---

(١) لهذا ذكر الأول ولم يحذف . (٢) هو الوليد بن عبيد المعروف بالبحترى يمدح أبا الصقر الشيبانى ، وقوله ذدت : بمعنى دفعت ، وكم خبرية فى موضع نصب مفعول به مقدم ، ومميزها « من تحامل حادث » وقيل : إن التقدير كم مرة ، فتكون « من » زائدة فى الإثبات على قول بعض النحاة ، والسورة : الشدة والصولة . (٣) لاشك أنه يمكن تأدية هذا الغرض بتأخير المفعول ، بأن يقول : حززن إلى العظم اللحم ، ولكن تأخير المفعول لايجعل لذكره فائدة .

(٤) هذه نكتة الإتيان بصريح اسم المفعول ثانيا ، وأما نكتة حذفه أولا فهى لزوم التكرار مع ذكره ثانيا . (٥) المثل : الشبيه والنظير ، والبيت من قصيدة له فى مدح المعتز . (٦) إنما كان هذا غرضه لأنه آكد فى كمال المدح ، ولو عكس فصرح أولا وأضمر ثانيا لفات هذا الغرض ؛ لأنه قد يتوهم عود الضمير على غيره .

ولم أمدحْ لأرضيهُ بشعرى لئيماً أن يكونَ أصاب مالا(١)

فإنه أعمل الفعلَ الأول الذى هو « أمدح » فى لفظ اللئيم ، والثانى الذى هو « أرضى » فى ضميره ، إذ كان غرضه إيقاع نفى المدح على اللئيم صريحا دون الإرضاء ، ويجوز أن يكون سبب الحذف فى بيت البحترى قصد المبالغة فى التأدب مع الممدوح بترك مواجهته بالتصريح بما يدل على تجويز أن يكون له مثل ، فإن العاقل لا يطلب إلا ما يجوز وجوده(٢) .

وإما للقصد إلى التعميم(٣) فى المفعول والامتناع عن أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار ، كما تقول « قد كان منك ما يؤلم » أى ما الشرط فى مثله أن يؤلم كل أحد وكل إنسان(٤) ، وعليه قوله(٥) تعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ أى يدعو كل أحد(٦) .

وإما لرعاية الفاصلة(٧) كقوله(٨) سبحانه وتعالى : ﴿ والضُّحى ، والليل إذا سجى ، ما ودّعك ربُّك وما قلى ﴾ أى وما قلاك(٩) .

---

(١) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة يمدح بلال بن أبى بردة ، وبعده :

ولكن الكرام لهم ثنائى فلا أخزى إلى ما قيل قالا

والضمير فى قوله « لأرضيه » يعود إلى اللئيم ، وقوله « أن يكون » فى تأويل مصدر مجرور بلام التعليل المحذوفة . (٢) يجوز أيضاً أن يكون الحذف فيه لقصد البيان بعد الإبهام . (٣) التعميم يؤخذ فى الحقيقة من قرينة المقام ، ولا يؤخذ من الحذف لوجوده مع الذكر ، ولكن الحذف له فيه تأثير فى الجملة ، لأن تقدير مفعول خاص فيه دون آخر ترجيح بلا مرجح ، وبهذا يحمل على العموم ، وهذا إلى ما فيه من الاختصار كما ذكره بعد . (٤) بقرينة أن المقام مقام مبالغة .

(٥) آية ٢٥ سورة يونس (٦) الآية تفيد العموم تحقيقا ، والمثال يفيده مبالغة . (٧) لا يخفى أن هذا يقصد لمحسن بديعى فيكون مطلوبا من أجله ، ويقدر فى البلاغة بقدره (٨) آية ١ و ٢ سورة الضحى .

(٩) سيأتى أنه حذف أيضا لصونه عن نسبة (قلى) إليه ، وهذا إلى أن ذكره =

وإما لاستهجان ذكره ، كما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

« ما رأيت منه ولا رأى منى »[1] تعنى العورة .

وإما لمجرد الاختصار ، كقولك « أصغيت إليه » . أى أذنى ، وأغضيت عليه : أى بصرى ومنه قوله تعالى : ﴿ أرنى أنظر إليك ﴾[2] أى ذاتك . وقوله تعالى: ﴿ أهذا الذى بعث الله رسولا ﴾[3] أى بعثه . وقوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾[4] أى أنه لا يماثل أو ما بينه وبينها من التفاوت أو أنها لا تفعل كفعله ، كقوله : ﴿ هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء ﴾[5] ويحتمل أن يكون المقصود نفس الفعل من غير تعميم ، أى وأنتم من أهل العلم والمعرفة[6] ثم ما أنتم عليه فى أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أندادا غاية الجهل.

ومما عدّ السكاكى[7] الحذف فيه لمجرد الاختصار قوله تعالى : ﴿ ولمّا ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان ، قال ما خطبكما ؟ . . قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير . فسقى لهما ﴾[8] والأولى أن يجعل لإثبات المعنى فى نفسه للشىء على الإطلاق كما مر[9] وهو ظاهر قول الزمخشرى ، فإنه قال : ترك المفعول لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ، ألا ترى أنه رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقى ، ولم يرحمهما الآن مذودهما

= فى (ودعك) يعنى عن ذكره فى (قلى) فلا يكون حذفه لمجرد ذلك المحسن البديعى .

(1) هو من قولها : « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ، فما رأيت منه ولا رأى منى » . (2) آية ١٤٣ سورة الأعراف .

(3) آية ٤١ سورة الفرقان . (4) آية ٢٤ سورة البقرة .

(5) آية ٤٠ سورة الروم والكاف للتنظير للوجه الأخير وهو أنها لا تفعل كفعله .

(6) فيكون من القسم الثانى من الضرب الأول . (7) ١٣٣ — المفتاح .

(8) آية ٢٣ سورة القصص ومحل الشاهد فيه (يسقون ، تذودان ، نسقى) .

(9) فيكون من القسم الثانى من الضرب الأول ، وجعله عبد القاهر مما قصد فيه إلى مفعول خاص ثم حذف لتتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل .

غنم ومستقيهم إبل مثلا ، وكذلك قولهما ﴿لا نسقي حتى يُصدر الرعاء﴾ المقصود منه السقي لا المسقي .

واعلم أنه قد يشتبه الحال في أمر الحذف وعدمه لعدم تحصل معنى الفعل ، كما في قوله تعالى : ﴿ قل ادعُوا اللهَ أوِ ادعُوا الرَّحمن أيًّا مَّا تدعُوا فله الأسماء الحسنَى ﴾(١) فإنه يُظن أن الدعاء فيه بمعنى النداء فلا يقدر في الكلام محذوف . وليس بمعناه ، لأنه لو كان بمعناه لزم إما الإشراك أو عطف الشيء على نفسه ، لأنه إن كان مسمى أحدهما غير مسمى الآخر لزم الأول ، وإن كان مسماهما واحداً لزم الثاني ، وكلاهما باطل ، تعالى كلام الله عز وجل عن ذلك ، فالدعاء في الآية بمعنى التسمية التي تتعدى إلى مفعولين ، أي سموه الله أو الرحمن أيا ما تسموه فله الأسماء الحسنى(٢) كما يقال « فلان يدعى الأمير » أي يسمى الأمير » وكما في قراءة من قرأ : ﴿ وقالتِ اليهودُ عزير ابنُ اللهِ ﴾(٣) بغير تنوين على القول بأن سقوط التنوين لكون الابن صفة واقعة بين علمين ، كما في قولنا « زيد بن عمرو قائم » فإنه قد يظن أن فعل القول فيه لحكاية الجملة كما هو أصله(٤) فقيل : تقدير الكلام - عزير بن الله معبودنا وهذا باطل ؛ لأن التصديق والتكذيب إنما ينصرفان إلى الإسناد لا إلى وصف ما يقع في الكلام موصوفاً بصفة ، كما إذا حكيت عن إنسان أنه قال « زيد ابن عمرو سيد » ثم كذبته فيه ، ولم يكن تكذيبك أن يكون زيدٌ بنَ عمرو ، ولكن أن يكون زيد سيداً ، فلو كان التقدير ما ذكر لكان الإنكار راجعاً إلى أنه معبودهم وفيه تقرير أنّ عزيراً ابن الله ، تعالى عن ذلك ، فالقول في الآية بمعنى الذكر(٥) لأن الغرض الدلالة على أن اليهود قد بلغوا في الرسوخ في الجهل

---

(١) آية ١١٠ سورة الإسراء . (٢) الحذف فيه لمجرد الاختصار .

(٣) آية ٣٠ سورة التوبة ، وهذا من باب التنظير في اشتباه الحال في أمر الحذف وعدمه ، لأن ما هنا ليس من حذف المفعول به .

(٤) أي كما هو الأصل في القول لأن الأصل فيه أن يكون لحكاية الجملة .

(٥) أي على قراءة (ابن) بغير تنوين ، وعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير محذوف =

والشرك إلى أنهم كانوا يذكرون عزيراً هذا الذكر ، كما تقول فى قوم تريد أن تصفهم بالغلو فى أمر صاحبهم وتعظيمه : إنى أراهم قد اعتقدوا أمراً عظيماً . فهم يقولون أبداً « زيد الأمير » تريد أنه كذلك يكون ذكرهم له إذا ذكروه .

واعلم أن لحذف التنوين من عزير فى الآية وجهين (١) :

أحدهما أن يكون لمنعه من الصرف لعجمته وتعريفه كعازر (٢) .

والثانى أن يكون لالتقاء الساكنين كقراءة (٣) من قرأ : (قلْ هو الله أحدُ اللهُ الصمدُ) بحذف التنوين من (أحد) وكما حكى عن عمارة بن عقيل أنه قرأ : (٤) (ولا الليل سابق النهارَ) بحذف التنوين من (سابق) ونصب (النهار) فقيل له : وما تريد ؟ . . . فقال : (سابقٌ النهار) . فالمعنى على هذين الوجهين كالمعنى على إثبات التنوين ، فعزير مبتدأ وابن الله خبره ، و(وقال) على أصله (٥) . والله أعلم .

= فى ذلك ليكون جملة . (١) أى غير الوجه السابق وهو أن حذف تنوينه لكون الابن صفة واقعة بين علمين فيحذف تنوين العلم قبله . فتكون الوجوه فى ذلك ثلاثة.

(٢) من يصرف عزيراً مع عجمته وتعريفه يرى أن خفته عارضت ذلك فصرفته.

(٣) آية ١ ، ٢ سورة الإخلاص (٤) آية ٤٠ سورة يس ؛

(٥) من الدخول على الجملة ، ولا حاجة إلى تأويله بمعنى الذكر ، كما أول به فى الوجه السابق الذى جعل فيه الابن صفة لا خبراً .

هذا ، وقد يكون حذف المفعول لأغراض أخرى : منها إخفاؤه خوفاً عليه ، ومنها تعيينه حقيقة أو ادعاء ، ومنها صونه عن اللسان أو صون اللسان عنه . وقد قيل فى قوله تعالى آية ٢ سورة والضحى (ماودعك ربك وما قلى) إنه يجوز أن يكون حذف مفعول (قلى) لصونه ﷺ عن التصريح بتعلقه به وإن كان جهة النفى ، وهذا بخلاف (ودعك) لأنه يدل على الترك فقط ولا يدل على البغض كما يدل عليه (قلى) ، وقد تقول « نحمد ونشكر » أى الله ، فتحذفه لتعيينه ، وتقول « لعن الله وأخزى » أى الشيطان ، فتحذفه لصون لسانك عنه .

تمرينات على الذكر والحذف

تمرين — ١

١ — لماذا حذف المفعول فى قوله تعالى : ﴿ لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾ . آية ٢ سورة الكهف .

٢ — من أى ضربى حذف المفعول قول الشاعر :

بردُّ حشاىَ إن استطعتَ بلفظة ... فلقد تضرُّ إذا تشاء وتنفع

تمرين — ٢

١ — لماذا ذكر الحال فى قوله تعالى : ﴿ فتبسَّمَ ضاحكاً من قولها ﴾ آية ١٩ سورة النمل .

٢ — من أى ضربى حذف المفعول حذفه أولا وثانيا فى قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ آية ٥٦ سورة القصص .

تمرين — ٣

١ — لماذا ذكر المفعول المطلق فى قوله تعالى : ﴿ لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتُواً كبيراً ﴾ آية ٢١ سورة الفرقان .

٢ — لماذا حذف وصف المضاف إلى المفعول فى قوله تعالى : ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ﴾ آية ٧٩ سورة الكهف .

٢ — لماذا حذف المفعول فى قول الشاعر :

إذا بعدت أبلتْ وإن قربتْ شفت ... فهجرانها يبلى ولقيانها يشفى

تمرين — ٤

١ — من أى ضربى حذف المفعول حذفه فى قول الشاعر :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لاتنفعُ

٢ — لماذا حذف المفعول فى قول الشاعر :

لولا المشقةُ ساد الناس كلهمُ ... الجود يفقر والإقدام قتالُ

أغراض تقديم المتعلقات على الفعل : وأما تقديم مفعوله ونحوه(١) عليه فلرد الخطأ في التعيين(٢) كقولك «زيداً عرفت» لمن اعتقد أنك عرفت إنساناً وأنه غير زيد، وأصاب في الأول دون الثاني، وتقول لتأكيده وتقريره «زيداً عرفت لا غيره» ، ولذلك لا يصح أن يقال «ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس» لتناقض دلالتي الأول والثاني(٣) ولا أن تعقب الفعل المنفي بإثبات ضده ، كقولك «ما زيداً ضربت ولكن أكرمته» ، لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ في الضرب فترده إلى الصواب في الإكرام ، وإنما هو على أن الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه زيد ، فرده إلى الصواب أن تقول : ولكن عمراً(٤) .

وأما نحو قولك : زيداً عرفته(٥) فإن قدر المفسر المحذوف قبل المنصوب أي عرفت زيداً عرفته ، فهو من باب التوكيد، أعني تكرير اللفظ ، وإن قدر بعده أي زيداً عرفت عرفته، أفاد التخصيص، وأما نحو(٦) قوله(٧) تعالى: (وأما ثمود فهديناهم)

---

(١) من كل متعلقات الفعل التي يجوز تقديمها عليه ، وذلك كالظرف والجار والمجرور والحال ونحوها . (٢) أو في اعتقاد الشركة ، وذلك كقولك «زيداً عرفت وحده» كما سبق في تقديم المسند إليه . (٣) يريد بالأول «ما زيداً ضربت» وبالثاني «ولا أحداً من الناس» لأن الثاني يناقض ما يفيده الأول من ضرب غير زيد من الناس ، وإنما لا يصح أن يقال إذا كان التقديم للتخصيص لا لمجرد الاهتمام . (٤) هذا أيضاً على أن التقديم للتخصيص لا لمجرد الاهتمام .

(٥) نحوه كل ما يكون التقديم فيه من باب الاشتغال ، وقد ذهب الزمخشري إلى أن التقديم فيه للتخصيص مطلقاً ، وإني أرى أنه لا يفيد إلا التوكيد لأنه يفيد التخصيص من غير الاشتغال ، فالعدول إليه لا يكون إلا لغرض غير التخصيص . ولأنه يجب تقدير الفعل قبل الاسم الظاهر ليوافق مفسره في تقدمه على الضمير .

(٦) يريد بهذا تقييد ما ذكره من حكم التقديم في الاشتغال .

(٧) آية ١٧ سورة فصلت .

فيمن قرأ بالنصب(١) فلا يفيد إلا التخصيص، لامتناع تقدير : أما فهدينا ثمود(٢)

وكذلك إذا قلت «بزيد مررت» أفاد أن سامعك كان يعتقد مرورك بغير زيد، فأزلت عنه الخطأ مخصصا مرورك بزيد دون غيره(٣) .

والتخصيص فى غالب الأمر لازم للتقديم ، ولذلك يقال فى قوله تعالى : ﴿ إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعينُ ﴾(٤) معناه نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك . وفى قوله تعالى : ﴿ إن كُنتم إيّاه تعبدُونَ ﴾(٥) معناه إن كنتم تخصونه بالعبادة وفى قوله تعالى : ﴿ لتكونوا شهداء على النّاس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً ﴾(٦) أخرت صلة الشهادة فى الاول وقدمت فى الثانى ، لأن الغرض فى الأول إثبات شهادتهم على الامم ، وفى الثانى اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم ، وفى قوله تعالى : ﴿ لإلى الله تحشرون ﴾(٧) معناه إليه لا إلى غيره ، وفى قوله تعالى : ﴿ وأرسلناكَ للنـــاس رسولا ﴾(٨) معناه لجميع الناس من العرب والعجم ؛ على أن التعريف للاستغراق ، لا لبعضهم المعين على أنه للعهد ، أى للعرب ، ولا لمسمى الناس على أنه للجنس ، لئلا يلزم من الأول(٩) اختصاصه بالعرب دون العجم لانحصار النـــاس فى الصنفين ، ومن

(١) يعنى نصب ﴿ ثمود ﴾ ؛

(٢) لوجوب الفصل بين أما والفاء ، وإنما التقدير : أما ثمود فهدينا هديناهم وقد يقال : إن هذا إنما يقتضى امتناع ذكره لامتناع تقديره ، لأن كثيراً مما يقدر يمتنع ذكره ولا يمتنع تقديره ، كالضمير المستتر وجوبا ونحوه ، والحق أن التقديم فى ذلك لإصلاح اللفظ لا للتخصيص ، لأن غير ثمود مثلها فى ذلك الحكم .

(٣) مثل تقديم الجار والمجرور فى ذلك : تقديم غيره ، كقولك : يوم الجمعة سرت ، وتأديبا ضربت ، وماشيا حججت . ومن تقديم الجار والمجرور للتخصيص قوله تعالى : ﴿ إلى ربك يومئذ المساقُ ﴾ آية ٣٠ سورة القيامة .

(٤) آية ٤ سورة الفاتحة . (٥) آية ١٧٢ سورة البقرة . (٦) آية ١٤٣ البقرة

(٧) آية ١٥٨ سورة آل عمران (٨) آية ٧٩ سورة النساء (٩) هو أنه للعهد .

الثانى(١) اختصاصه بالإنس دون الجن لانحصار من يتصور الإرسال إليهم من أهل الأرض فيهما ، وعلى تقدير الاستغراق لا يلزم شيء من ذلك ، لأن التقديم لما كان مفيداً لثبوت الحكم لمتقـــدم ونفيه عما يقابله كان تقديم (للناس) على (رسولا) مفيداً لنفى كونه رسولا لبعضهم خاصة(٢) ، هو المقابل لجميع الناس ، لا لبعضهم مطلقا ولا لغير جنس الناس(٣) .

وكذلك يذهب فى معنى قـوله تعالى(٤) ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ إلى أنه تعريض بأن الآخرة التى عليها أهل الكتاب فيما يقولون « إنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، وإنه لا تمسهم النار إلا أياما معدودات ، وإن أهل الجنة لا يتلذذون فى الجنة إلا بالنسيم والأرواح العبقة والسماع اللذيذ(٥) » ليست الآخرة(٦) وإيقانهم بمثلها ليس من الإيقان بالتى هى الآخرة عند الله فى شيء ، أى بالآخرة يوقنون لا بغيرها كأهل الكتاب .

ويفيد التقديم فى جميع ذلك وراء التخصيص اهتماماً بشأن المقدم ، ولهذا قدر المحذوف فى قوله (بسم الله) مؤخراً ، وأورد قوله(٧) تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ فإن الفعل فيـه مقدم ، وأجيب بأن تقديم الفعل هنـالك(٨) أهم لأنها أول سورة نزلت ، وأجاب السكاكى(٩) بأن (باسم ربك) متعلق باقرأ

---

(١) هو أنه للجنس .

(٢) يعنى قومه من العرب ، لأنهم هم الذين يتوهم أنه أرسل إليهم دون غيرهم ؛

(٣) لأن كلا منهما لا يقابل جميع الناس ، وإنما يقابل الأول تعريف العهد ، ويقابل الثانى تعريف الجنس . هذا ويجوز أن يكون (للناس) متعلقا بقوله (وأرسلناك) فلا يكون فيه تقديم ولا تعين اللام فيه للاستغراق وإن كان هو الظاهر

(٤) آية ٤ سورة البقرة (٥) لأنهم ينكرون أن تكون فيها لذائذ جسمانية .

(٦) جملة ليس واسمها وخبرها خبر أن فى قوله ـــ بأن الآخرة الخ .

(٧) آية ١ سورة العلق . (٨) أى فى قوله ﴿ اقرأ بسم ربك ﴾

(٩) ١٢٧ ـــ المفتاح .

الثاني(١) ، ومعنى الأول : افعل القراءة وأوجدها على نحو ما تقدم في قولهم « فلان يعطي ويمنع » يعني إذا لم يحمل على العموم(٢) وهو بعيد(٣) .

أغراض تقديم بعض المعمولات على بعض :

وأما تقديم بعض معمولاته على بعض فهو :

إما لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه(٤) كتقديم الفاعل على المفعول(٥) نحو « ضرب زيد عمراً » وتقديم المفعول الأول على الثاني ، نحو : أعطيت زيداً درهماً .

وإما لأن ذكره أهمّ والعناية به أتمّ (٦) .

---

(١) في قوله بعده ﴿ اقرأ وربك الأكرمُ ﴾ .

(٢) أي العموم في المفعول ، فإن السكاكي يجعله محتملاً للعموم في المفعول وللعموم في أفراد الفعل ، وعلى هذا يكون (اقرأ) الأول منزلاً منزلة اللازم .

(٣) لأنه خلاف ظاهر نظم الآيتين ، لبعد ما بين (اقرأ) الثاني والجار والمجرور الذي يراد تعليقه به .

هذا ، وقد يأتي التقديم لأغراض أخرى : منها مجرد الاهتمام ، وقصد التبرك ، والالتذاذ ، وموافقة كلام السامع ونحو ذلك ، كقولك « العلم طلبت ، ومحمداً اتبعت ، وليلى أحببت » ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاقَ ويعقوبَ ، كلاً هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ﴾ آية ٨٤ سورة الأنعام .

(٤) قد سبق أن مثل هذا لا يصح أن يعد في وجوه البلاغة ، لأن الكلام معه لا يفيد معنى ثانوياً يعتد به .

(٥) تقديم الفاعل على المفعول لا يدخل في تقديم المعمولات ، فذكره هنا استطراد ، ولبيان اختلاف الغرض عند تقديم كل منهما على الآخر .

(٦) لابد أن يكون هذا لغرض من الأغراض كما سيأتي في الأمثلة ، لأنه لا يكفي كما ذكر عبد القاهر أن يقال قدم للعناية من غير معرفة وجهها .

فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه ، كما إذا خرج رجل على السلطان وعاث فى البلاد وكثر منه الأذى فقُتِل وأردت أن تخبر بقتله ، فتقول « قتل الخارجىَّ » إذ ليس للناس فائدة فى أن يعرفوا قاتله ، وإنما الذى يريدون علمه هو وقوع القتل به ليخلصوا من شره .

ويقدّم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه ، لا وقوعه على من وقع عليه ، كما إذا كان رجل ليس له بأس ولا يقدّر فيه أن يقتل ، فقتل رجلا وأردت أن تخبر بذلك ، فتقول « قتل فلان رجلا » بتقديم القاتل ، لأن الذى يعنى الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن ، ومعلوم أنه لم يكن نادراً ولا بعيداً من حيث كان واقعاً على من وقع عليه ، بل من حيث كان واقعاً ممن وقع منه .

وعليه قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادَكُمْ مِنْ إملاقٍ نحنُ نرزقكم وإيّاهم ﴾(١) وقوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاقٍ نحنُ نرزقهم وإيّاكم ﴾(٢) قدم المخاطبين(٣) فى الأولى دون الثانية ، لأن الخطاب فى الأولى للفقراء بدليل قوله تعالى ﴿ من إملاق ﴾ فكان رزقهم أهمّ عندهم من رزق أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب فى الثانية للأغنياء بدليل قوله ﴿ خشية إملاق ﴾ فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع ، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل ، فكان(٤) أهمّ ، فقدم الوعد برزق أولادهم على على الوعد برزقهم .

وإما لأن فى التأخير إخلالا ببيان المعنى ، كقوله(٥) تعالى : ﴿ وقال رجل

---

(١) آية ١٥١ سورة الأنعام . (٢) آية ٣١ سورة الإسراء .
(٣) يعنى غيرهم فى قوله : « نرزقكم » فى الأولى ، وقوله « وإياكم » فى الثانية .
(٤) أى رزق أولادهم . (٥) آية ٢٨ سورة غافر .

مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ فإنه لو أخر ﴿ من آل فرعون ﴾ عن ﴿ يكتم إيمانه ﴾ لتوهم أن (من) متعلقة بيكتم ، فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون[1] أو التناسب كرعاية الفاصلة ، نحو ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾[2] .

وإما لاعتبار آخر مناسب[3] .

وقسم السكاكي[4] التقديم للعناية مطلقاً[5] قسمين :

أحدهما أن يكون أصل ما قدم في الكلام هو التقديم ولا مقتضى للعدول عنه ، كالمبتدإ المعرّف[6] فإن أصله التقديم على الخبر ، « زيد عارف » وكذا الحال المعرف فإن أصله التقديم على الحال ؛ نحو « جاء زيد راكبا » وكالعامل فإن أصله التقديم على معموله ، نحو « عرف زيد عمرا ، وكان زيد عارفاً ، وإن زيداً عارف » وكالفاعل ، فإن أصله التقديم على المفعولات وما يشبهها من الحال والتمييز ، نحو « ضرب زيد الجاني بالسوط يوم الجمعة أمام بكر ضرباً شديداً تأديبا له ممتلئا من الغضب ، وامتلأ الإناء ماء » وكالذي يكون في حكم المبتدإ من مفعولي باب علمت[7] نحو « علمتُ زيداً منطلقا » أو في حكم الفاعل من مفعولي باب أعطيت وكسوت[8] . نحو « أعطيت زيداً

---

(١) فالتقديم في ذلك لدفع اللبس ، لأن الأصل عند اختلاف النعوت تقديم النعت المفرد ثم الظرف ثم الجملة . (٢) آية ٦٧ سورة طه ، وقد سبق أن مثل هذا إنما يفوت به حسن بديعي ، فتكون منزلته في البلاغة بقدر الغرض منه ، ويمكن أن يكون تقديم (في نفسه) على (خيفة) لأنه لو أخر عنه لتوهم تعلقه به لا بقوله ﴿ فأوجس ﴾ وهو المقصود (٣) كإفادة التخصيص في نحو « جاء راكبا زيد » ، كما ذهب إليه ابن الأثير ، وهو خلاف مذهب الجمهور . (٤) ١٢٧ — المفتاح . (٥) أي في المعمولات وغيرها . (٦) أما المنكر فإنه يتقدم عليه الخبر لتسويغ الابتداء به ، وكذلك صاحب الحال المنكر . (٧) بابه كل مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر . (٨) بابه كل مفعولين أولهما فاعل في المعنى .

درهما وكسوت عمراً جبة(١) ، وكالمفعول المتعدى إليه بغير واسطة فإن التقديم على المتعدّى إليه بواسطة ، نحو «ضربت الجانى بالسوط» ، وكالتوابع فإن أصلها أن تذكر بعد المتبوعات(٢) .

ثانيهما أن تكون العناية بتقديمه والاعتناء بشأنه لكونه فى نفسه نصبَ عينك ، والتفات خاطرك إليه فى التزايد ، كما تجدك قد مُنيتَ بهجر حبيبك وقيل لك : ما تتمنى ؟ . . . تقول « وجه الحبيب أتمنى » وعليه قوله تعالى : ﴿ وجعلُوا لله شركاء ﴾ أى على القول(٤) بأن (لله شركاء) مفعولا (جعلوا) .

أو لعارض يورثه ذلك(٥) ، كما إذا توهمت أن مخاطبك ملتفت الخاطر إليه ينتظر أن تذكره ، فيبرز فى معرض أمر يتجدد فى شـــأنه التقاضى ساعة فساعة ، فتى تجد له مجالا للذكر صالحاً أوردته ، نحو قوله(٦) تعالى : ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجلٌ يسعى ﴾ قُدم فيه المجرور لاشتمال ما قبله على سوء معاملة أهل القرية الرسـل من إصرارهم على تكذيبهم ، فكان مظنة أن يلمن السامع على مجرى العادة تلك القرية ، ويبقى مجيلا فى فكره : أكانت كلهـا كذلك أم

---

(١) فكل من زيد وعمرو فى حكم الفاعل ، لأن زيداً هو الآخذ ، والدرهم مأخوذ ، وعمرو هو اللابس والجبة ملبوسة .

(٢) فلا تتقدم عليها ولا يتقدم عليها غيرها بعدها ، كالحال فى نحو « جاء زيد الطويل راكبا » .

(٣) آية ١٠٠ سورة الأنعام .

(٤) هناك قول فى هذه الآية : « وجعلوا لله شركاء الجن » بأن «شركاء الجن» هما المفعولان ، والجار والمجرور متعلق بشركاء ، ولا يخفى أن الاستشهاد جار عليه أيضا ، لأن الشاهد فى تقديم « الله » لكونه فى نفسه مما يلتفت إليه .

(٥) معطوف على قوله : لكونه فى نفسه . والمقابلة ظاهرة .

(٦) آية ٢٠ سورة يس .

كان فيها قطر دان أم قاص منبت خير ؟ منتظراً لإلمام الحديث به ، بخلاف ما في سورة القصص (١) .

أو كما إذا وُعدت (٢) باستبعاد وقوعه من جهتين : إحداهما أدخل في تبعيده من الأخرى ، فإنك حال التفات خاطرك إلى وقوعه باعتبارهما تجد تفاوتا في إنكارك إياه قوة وضعفا بالنسبة ، ولامتناع إنكاره بطون القصد إليه يستتبع تفاوته ذلك تفاوتا في القصد إليه والاعتناء بذكره ، فالبلاغة توجب أنك إذا أنكرت تقول في الأول(٣) : شيء حاله في البعد عن الوقوع هذه أنى يكون ؟ . . . لقد وُعدت هذا أنا وأبي وجدي : فتقدم المنكر على المرفوع (٤) وفي الثاني : لقد وعدت أنا وأبي وجدي هذا : فتؤخر ، وعليه قوله تعالى (٥) في سورة النمل : ﴿ لقد وُعِدنا هذا نحن وآباؤنا ﴾ وقوله تعالى(٦) في سورة المؤمنون : ﴿ لقد وُعدنا نحنُ وآباؤنا هذا ﴾ فإن ماقبل الأولى : ﴿ إذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجونَ ﴾ وما قبل الثانية : ﴿ أإذا متنا وكنا تراباً وعظاما أئنا لمبعوثونَ ﴾ فالجهة المنظور فيها هنـــاك كونهم أنفسهم وآباؤهم ترابا ،

---

(١) هو قوله تعالى في قصة موسى : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى » آية ٢٠ سورة القصص . وقد جاء الكلام فيها على أصله من تأخير الجار والمجرور ، لأنه ليس فيها من ذلك ما يقتضى تقديمهما في الآية الأولى لتبكيت أولئك القوم بكون البعيد عما شاهدوا ينصح لهم ما لم ينصحوه لأنفسهم .

(٢) معطوف على قوله : كما إذا توهمت .

(٣) أي في الحال الأول وهو ما كانت جهته أدخل في تبعيد ذلك ، فتجعل العناية بذكره أهم ، والثاني هو ما كانت جهته أضعف في تبعيد ذلك ، فلا تكون هناك عناية بذكره قبل غيره .

(٤) المنكر هو اسم الإشارة « هذا » لأنه هو المستبعد ، والمرفوع هو مؤكد نائب الفاعل « أنا » وما عطف إليه .

(٥) آية ٦٨ سورة النمل

(٦) آية ٨٣ سورة المؤمنون

والجهة المنظور فيها هنا كونهم تراباً وعظاماً ، ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم في تبعيد البعث(١) .

أو كما إذا عرضه في التأخير مانعا(٢) كما في قوله تعالى (٣) في سورة المؤمنون : ﴿ وقالَ الملأ من قومه الذين كفرُوا وكذبوا بلقاءِ الآخرة وأترفناهمْ ﴾ بتقديم المجرور على الوصف(٤) لأنه لو أخر عنه ـ وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل في صلة الموصول ، وتمامه (وأترفناهمُ في الحياة الدُّنيا) لاحتمل أن يكون من صلة الدنيا ، واشتبه الأمر في القائلين ، أنهم من قومه أم لا . بخلاف قوله تعالى(٥) في موضع آخر منها : ﴿فقالَ الملأ الذين كفروا مِن قومه﴾ فإنه جاء على الأصل(٦) لعدم المانع ، وكان في قوله تعالى(٧) في سورة طه : ﴿آمنّا بربِّ هارون وموسى ﴾ للمحافظة على الفاصلة بخلاف قوله تعالى(٨) في سورة الشعراء : ﴿ ربِّ موسى وهارونَ ﴾ .

وفيما ذكره نظر من وجوه :

أحدهما أنه جعل تقديم (لله) على (شركاء) للعناية والاهتمام ، وليس كذلك ، فإن الآية مسوقة للإنكار التوبيخي فيمتنع أن يكون تعلق (جعلوا) بالله منكراً اعتبار تعلقه بشركاء ، إذ لا ينكر أن يكون جعلٌ ما ، متعلقاً به ، فيتعين أن يكون إنكار تعلقه به باعتبار تعلقه بشركاء ، وتعلقه بشركاء كذلك منكر باعتبار تعلقه

---

(١) لأنهم صاروا فيها إلى تراب ولم يبق لهم فيها عظام ، وقد قيل في سر التقديم والتأخير في الآيتين إن قوله :﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا ﴾ جاء على أسلوبه ما قبله ﴿ أإذا كنا ترابا وآباؤنا ﴾ فقدم المفعول الثاني لوعد، كما قدم خبر كان على المعطوف على اسمها، ولا شك أن الخبر كمفعول لها . (٢) معطوف على قوله ـ كما إذا أوعدت
(٣) آية ٢٣ سورة المؤمنون (٤) المجرور « قومه » والوصف « الذين »
(٥) آية ٢٤ سورة المؤمنون .
(٦) من تقديم الصفة على الحال وهو الجار والمجرور لأنه متأخر الرتبة على التابع .
(٧) آية ٧٠ سورة طه . (٨) آية ٤٨ الشعراء

بالله ، فلم يبق فرق بين التلاوة وعكسها(١) وقد علم بهذا أن كل فعل متعد إلى مفعولين لم يكن الاعتناء بذكر أحدهما إلا باعتبار تعلقه بالآخر إذا قدم أحدهما على الآخر لم يصح تعليل تقديمه بالعناية .

وثانيها أنه جعل التقديم للاحتراز عن الإخلال ببيان المعنى والتقديم للرعاية على الفاصلة من القسم الثاني ، وليسا منه(٢) .

وثالثها أن تعلق (من قومه) بالدنيا على تقـــدير تأخر غير معقول المعنى إلا على وجه بعيد(٣) .

---

(١) يعني من هذه الجهة ، فلا ينافى هذا ما سبق له فى الكلام على حذف المسند وهو أن تقـديم « لله » على « شركاء » لإفادة استعظام أن يتخذ له شريك ملكا كان أو جنا أو غيرهما . ويمكن الجواب عن السكاكى بأنه جعل تقديم « لله » لكونه نصب العين ، وهذا يوجب تقديمه عنده ، وإن كان ماسيقت له الآية من الإنكار التوبيخى يحصل عند تأخيره .

(٢) لأن المراد به تقديم ما حقه التأخير ، والجار والمجرور فى قوله : « وقال الملأ من قومه الذين كفروا . . . » الآية ، حال من الملأ ، واسم الموصول صفة لقومه لا للملأ كما ذهب إليه السكاكى . فلا يكون الحال حقه فى التأخير عنها ، لأنها ليست صفة لصاحبه ، وكذلك تقديم هارون على موسى فى قوله : « آمنا برب هارون وموسى » لأن المتعاطفين بالواو ليس من حق أحدهما التأخر عن الآخر ، وقد أجيب عن السكاكى بأن تقسيمه التقديم للعناية مبنى على أن العناية فى القسم الأول ترجع إلى مجرد أن التقديم فيه هو الأصل ، وفى القسم الثانى ترجع إلى الأمور التى ذكرها ، وليس مبنياً على أن التقديم فى القسم الأول تقديم ما أصله التقديم ، وفى القسم الثانى تقديم ما حقه التأخير حتى يصح الاعتراض عليه بذلك .

(٣) أجيب عن هذا بأن احتمال ذلك فيه ، ولو كان بعيداً ، يكفى فى إثبات ما ذكره السكاكى فى نكتة تقديمه ، ولكن الأوجه من هذا أن يجعل المانع من تأخيره طول الصفة بالصلة وما عطف عليها ، فلو أخر عنها لطال الفصل بين ضمير « قومه » ومرجعه .

تمرينات على التقديم والتأخير

تمرين — ١

(١) لماذا قدم الظرف على الفعل فى قول الشاعر :

بعدَ المشيب المنقضى فى الذوائبِ تحاول وصل الغانيات الكواعب

(٢) هل تقديم الجار والمجرور للتخصيص أو لمجرد الاهتمام فى قول الشاعر :

على الأخلاق خطّوا الملك وابنوا فليس وراءها للعز ركن

تمرين — ٢

(١) لماذا قدم المفعول الثانى على نائب الفاعل فى قول الشاعر :

أفى الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً ويُحرَم ما دون الرضا شاعر مثلى

(٢) لماذا قدم الجار والمجرور على متعلقه وعلى الفاعل فى قوله تعالى : ﴿ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ آية ٩١ سورة طه .

تمرين — ٣

(١) ما الغرض من تقديم المفعول على الفعل فى قول الشاعر :

صهوةَ الجوِّ اعتلوا تحسبهم جمع أفلاك على الخيل تسامى

(٢) ما الغرض من تقديم الجار والمجرور على الفعل فى قول الشاعر :

إذا شئتَ يوماً أن تسود عشيرة فبالحلم سُدْ لا بالتسرع والشتم

تمرين — ٤

(١) لماذا قدم المفعول على الفعل فى قوله تعالى : ﴿ وربَّكَ فكبِّرْ وثيابَكَ فطهرْ ﴾ آية ٣ ، ٤ سورة المدثر .

(٢) ما الغرض من تقديم بعض المعمولات على بعض فى قول الشاعر :

ألقتْ مقاليدَها الدنيا إلى رجل ما زال وقفاً عليه الجود والكرمُ

(٣) هل تقديم الجار والمجرور للاهتمام أو التخصيص فى قول الشاعر :

بك اقتدت الأيامُ فى حسناتها وشيمتها لولاك هم وتكريبُ

مباحث الجزء الأول

(تابع) مباحث الجزء الأول

بُغْيَةُ الإِيضاح
لِتَلخِيصِ المفتاحِ
فى علوم البلاغة

تأليف
عبد المتعَال الصِّعيدى
الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الثانى
من القصبر فى علم المعانى إلى أول علم البيان

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا ـ القاهرة ت ٣٩٠٠٨٦٨

الطبعة الحادية عشر

١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى القصر

أقسام القصر :

القصرُ حقيقىٌّ ، وغيرُ حقيقى[1] . وكل واحد منهما ضربان :

---

(١) القصر فى اللغة الحبس ، وفى الاصطلاح تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص ، والشىء الأول هو المقصور ، والثانى هو المقصور عليه ، والطريق المخصوص هو أدوات القصر ، والمراد بتخصيص الشىء بالشىء إثبات أحدهما للآخر ونفيه عن غيره ، وبهذا تكون جملة القصر فى قوة جملتين ، ويكون القصر طريقًا من طرق الإيجاز ، ويكون الإيجاز من أهم أغراضه . وقد يصرح فى القصر بالجملتين معًا كما سيأتى فى القصر بلكن وبل وليس . ومن أغراض القصر أيضًا أنه قد يقصد به تمكين الكلام وتقريره فى الذهن لدفع ما فيه من إنكار أو شك ، ولا يخفى أن هذه المزايا إنما هى للقصر بأدواته الآتية ، وبهذا يبطل ما ذهبّ إليه بعض مؤلفى عصرنا من التعميم فى تعريف القصر ، ليشمل نحوُ قول الشاعر :

أرونى أمَّةً بلغتْ مُناها ... بغير العِلْم أو حَدّ اليَّمانى

وقوله تعالى : آية ١٠٥ سورة البقرة ﴿ والله يختص برحمته من يشاءُ ﴾ وقولك : « زيد مقصور على الكتابة » مع أن القصر فى الآية والمثال معنى أوَّلى لا ثانوى ، والبيت من الاستثناء فى الإثبات ، وسيأتى .

والقصر الحقيقى هو ما يكون فيه النفى لكل ما عدا المقصور عليه ، كقولك « ما خاتم الرسل إلا محمد » . والقصر غير الحقيقى هو ما يكون فيه النفى لبعض ما عدا المقصور عليه ، كقولك « زيد كاتب لا شاعر » فهو يفيد نفى الشعر فقط لا كل ما عدا الكتابة من أكل وشرب وغيرهما ، القصر غير الحقيقى هو الذى يُسَمَّى القصر الإضافى .

قصر الموصوف على الصفـــة ، وقصْر الصفة على الموصوف[١] . والمراد الصفة المعنوية[٢] لا النعت .

والأول من الحقيقي كقولك « ما زيد إلا كاتب » إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة ، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام ؛ لأنه ما من متصوَّر إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها أو تتعسر[٣] .

والثاني منه كثير ، كقولنا « ما في الدار إلا زيد »[٤] . والفرق بينهما ظاهر ؛

---

(١) قصر الموصوف على الصفة هو ما لا يتجاوز فيه الموصوف صفته وإن جاز أن تكون لموصوف آخر ، وقصر الصفة على الموصوف هو ما لا تتجاوز فيه الصفة موصوفها وإن جاز أن يكون له صفة أخرى .

(٢) هي كل أمر قائم بغيره ، وكذلك يراد بالموصوف كل ما قام به غيره ، وإن كان هو صفة في نفسه ، فيدخل في ذلك نحو « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » من قصر الموصوف على الصفة ، أي ما الصبر إلا الكائن عند هذه الصدمة ، وكذلك قوله تعـــالى : آية ٣ سورة الزمر ﴿ ما نعبُدُهم الاَّ ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وإنما لم يكن المراد بالصفة النعت النحوى ؛ لأنه لا يتأتى قصرٌ بينه وبين موصوفه لخلوّهما عن الحكم ، ولا يمكن أن يخرج قصرٌ عن كونه قصرَ موصوف على صفة أو صفة على موصوف ، سواء أكان قصر مبتدأ على خبر أم كان قصر فاعل على مفعول أم كان غيرهما ، فقصر الفاعل على المفعول معناه في الحقيقة قصر الفعل الصادر من الفاعل على المفعول ، لا قصر ذات الفاعل عليه ، وإذا كان كلٌّ من المبتدأ والخبر يدل على ذات نحو « ما الباب إلا ساج » أوّلَ في أحدهما حتى يكون صفة ، فالمراد في هذا المثال قصر الباب على الاتصاف بكونه ساجًا ، وهكذا .

(٣) قد يوجد هذا النوع من القصر في الكلام عند قصد الادعاء والمبالغة في مقام المدح والفخر ونحوهما ، كقوله تعالى : آية ٩٠ سورة المائدة ﴿ إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عمل الشيطان ﴾ وقول الشاعر :

هَلِ الجودُ إلاَّ أنْ تجودَ بأنفسٍ   على كل ماضى الشفرتين صقيل

وقد تكلَّفوا هذا المثال – إنما الله تعالى متصف فبكل كمال منزَّه عن كل نقص – لقصر الموصوف على الصفة قصرًا تحقيقيًا صادقًا .

(٤) يعني من البشر ، لأنه هو المقصود في مثل هـذا ، وإلا فالدار يوجد فيها متاعها وغيره ، ولكن مثل هذا لا ينظر إليه في ذلك الكلام ، فلا يجعله من القصر الإضافي ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولا ينال العُلا إلا فتًى شَرُفَتْ   خِلالُه فأطاع الدهرُ ما أمرا

فإن الموصوف فى الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره فى الصفة المذكورة ، وفى الثانى يمتنع ، وقد يقصد به[1] المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور فينزل منزلة المعدوم .

والأول من غير الحقيقى : تخصيص أمر بصفة دون أخرى[2] أو مكانَ أخرى ، **والثانى منه :** تخصيص صفة بأمرٍ دون آخر[3] أو مكانَ آخر . فكل واحد منهما ضربان ، والمخاطَب بالأول من ضربَىْ كل (أعنى تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص صفة بأمر دون آخر) مَن يعتقد الشركة[4] ، أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة ، وغيرها جميعًا فى الأول ، واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعًا بتلك الصفة فى الثانى ؛ فالمخاطَب بقولنا : « ما زيد إلا كاتب » من يعتقد أن زيدًا كاتب وشاعر، وبقولنا « ما شاعر إلا زيد » من يعتقد أن زيدًا شاعر لكن يدَّعى أن عمرًا أيضًا شاعر ، وهذا يسمَّى قصر إفراد ؛ لقطعه الشركة بين الصفتين فى الثبوت للموصوف ، أو بين الموصوف وغيره فى الاتّصاف بالصفة .

والمخاطَب بالثانى من ضربَى كل (أعنى تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة بأمر مكان آخر) أما من يعتقد العكس ، أىْ اتصافَ ذلك الأمر بغير

---

(١) أى بقصر الصفة على الموصوف ، وهذا يسمَّى قصرًا دعائيًا ، أما قصر الموصوف على الصفة فلا يوجد إلا على سبيل الادّعاء ، كما سبق ، والمراد المبالغة فى كمال الصفة فى الموصوف بها ، ومن قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقيًا ادعائيًا قول الله تعالى آية ٢٨ سورة فاطر : ﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العُلماءُ﴾ لأن غيرهم قد يخشاه أيضًا ولكن لا اعتداد بخشيته ، وكذلك قول الفرزدق :

أنا الذائد الحامى الذّمارَ وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثْلى

(٢) أى دون صفة أخرى ، والمعنى دون جنسها ، فيشمل الصفة الواحدة ، ويشمل أيضًا ما فوقها بشرط أن يكون على التفصيل ، ليفترق القصر الإضافى عن الحقيقى ، فلا يكون من الإضافى نحو « إنما زيد كاتب لا شاعر ، ولا غير ذلك من الصفات - والباء فى التعريف داخلة على المقصور عليه .

(٣) أى دون موصوف آخر ، والمعنى دون جنسه ، فيشمل الموصوف الواحد ويشمل أيضًا ما فوق ذلك بشرط أن يكون على التفصيل أيضًا ، فلا يكون من الإضافى نحو « إنما الكاتب زيد لا غيره من الناس » .

(٤) مثل اعتقاد الشركة فى ذلك ظنها وتجويزها مطلقًا ، وكذلك يقال فى اعتقاد العكس الآتى ؛ لأن كل هذا يقابل التساوى الآتى فى قصر التعيين .

تلك الصفة عوضًا عنها فى الأول ، واتصاف غير ذلك الأمر بتلك الصفة عوضاً عنه فى الثانى ، وهذا يُسمَّى قصرُ القلب ، لقلبه حكم السامع ، وأما من تساوى الأمران عنده ، أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة واتصافه بغيرها فى الأول ، واتصافه بها واتصاف غيره بها فى الثانى ، وهذا يُسَمَّى قصر تعيين ، فالمخاطب بقولنا « ما زيد إلا قائم » من يعتقد أن زيدًا قاعد لا قائم ، أو يعلم أنه إما قاعد أو قائم ولا يعلم أنه بماذا يتصف منهما بعينه، وبقولنا « ما قائم إلا زيد » من يعتقد أن عمرًا قائم لا زيدًا ، أو يعلم أن القائم أحدهما دون كل واحد منهما ، لكن لا يعلم من هو منهما بعينه(١)

وشرط قَصْرِ الموصوف على الصفة إفرادًا عدم تنافى الصفتين(٢) حتى تكون المنفية فى قولنا « ما زيد إلا شاعر » كونه كاتبًا أو منجّمًا أو نحو ذلك ، لا كونه مفحَمًا لا يقول الشعر ، ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما . وشرط قصره قلبًا تحقق تنافيهما ، حتى تكون المنفية فى قولنا « ما زيد إلا قائم » كونه قاعدًا أو جالسًا أو نحو ذلك ، لا كونه أسود أو أبيض أو نحو ذلك ليكون إثباتها مشعرًا بانتفاء

---

(١) على هذا يكون قصر التعيين كقصر القلب من الضرب الثانى فى القصر الإضافى ، وهو التخصيص بشىء مكان شىء ، وقد جعل السكاكى قصر التعيين من الضرب الأول وهو التخصيص بشىء دون شىء ، فجعله شاملاً لقصر الإفراد وقصر التعيين ، وجعل الضرب الثانى خاصًا بقصر القلب ، والخطب فى ذلك سهل .

هذا والمقام الداعى إلى القصر فى الأقسام الثلاثة هو الرد على المخاطب فى قصر الإفراد والقلب ، وتعيين المبهم عند المخاطَب فى قصر التعيين ، وإنما لم تجر هذه الأقسام فى القصر الحقيقى ؛ لأنه القصر فيه بالنسبة إلى كل ما عدا المقصور عليه على الإطلاق فلا يُتصور فيه اعتقاد شركة أو غيرها ، وقد تكلف بعضهم تقسيم الحقيقى إلى ذلك أيضا ، والقصر الادعائى لا يجرى فى الإضافى كما جرى فى الحقيقى ؛ لأنه فيما قيل لم يقع فى كلام البلغاء ، وإن لم يكن هناك مانع عقلى من إتيانه فى الإضافى، ويمكن أن يكون من الإضافى الادعائى قول الشاعر :

هَلِ الجودُ إلا أن تجود بأنفس على كل ماضى الشفرتين صقيلِ

إذا كان يريد قصر الجود على الجود بالنفس لا الجود بالمال على سبيل المبالغة ، والرد على من يعتقد خلاف ذلك .

(٢) لم يذكر هذا الشرط فى قصر الصفة على الموصوف ؛ لأن الموصوفات لا تكون إلا متنافية .

غيرها[١] . وقصر التعيين أعمّ ؛ لأن اعتقاد كون الشيء موصوفًا بأحد أمرين معينين على الإطلاق لا يقتضي جواز اتصافه بهما معًا ولا امتناعه ، وبهذا عُلم أن كل ما يصلح أن يكون مثالاً لقصر الإفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالاً لقصرَ التعيين ، من غير عكس[٢] . وقد أهمل السكاكي[٣] القصرَ الحقيقي ، وأدخل قصر التعيين في قصر الإفراد[٤] ، فلم يشترط في قصر الموصوف إفرادًا عدمَ تنافي الصفتين[٥] ، ولا في قصره قلبًا تحقُّقَ تنافيهما[٦] .

* * *

---

(١) تكون فائدة القصر مع ذلك ما فيه من التنبيه على رد الخطأ في اعتقاد العكس ؛ لأن ذلك الإشعار لا يستفاد منه هذا التنبيه .

(٢) أي لغوي ، وهو أن كل ما يصلح أن يكون مثالاً لقصر التعيين يصلح أن يكون مثالاً لقصر الإفراد أو القلب .

(٣) ص ١٥٦ - المفتاح .

(٤) لأنه جعله لمن يعتقد الشركة ومن لا يعتقد شيئًا ، وقد سمى ذلك قصر إفراد ، ولم يتعرض لما يدخل فيه مما سماه غيره قصر تعيين ، وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحّة فيها .

(٥) لدخول ما يسمى قصر التعيين عند غيره في قصر الإفراد عنده ، وقصر التعيين لا يشترط فيه ذلك .

(٦) لأنه قد يأتي في نحو « ما زيد إلا شاعر » لمن اعتقد أنه كاتب لا شاعر ، ولا تنافي بين الشعر والكتابة ، وما ذكره الخطيب في تعليل ذلك الشرط مردود بأن أداة القصر فيها ذلك الإشعار ، فلا حاجة إلى إفادته بذلك الشرط .

تمرينات على أقسام القصر

تمرين –١

(١) هل القصر فى البيت الآتى حقيقى أو إضافى :

قد علمتْ سَلمَى وجاراتُها ما قطَّر الفـــــارسَ إلا أنا

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى حقيقى وغير حقيقى ؟ وما هى فائدة هذا التقسيم بلاغةً؟ ولماذا أهمله السكاكى ؟

تمرين – ٢

(١) من أى القصرين – قصر الموصوف على الصفة والعكس – قول الشاعر :

وما المرءُ إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نسب فى الهالكين عريق

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى قصر صفة على موصوف وبالعكس ؟ وما فائدة ذلك بلاغةً ؟

تمرين – ٣

(١) هل القصر فى البيت الآتى قصر إفراد أو قصر تعيين :

فإن كان فى لبس الفتى شرفٌ لهُ فما السيفُ إلا غمده والحمائلُ

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى قصر إفراد وقصر قلب وقصر تعيين ؟ وما فائدة ذلك بلاغةً ؟ وما هو الحال ومقتضى الحال فى الأقسام الثلاثة ؟

تمرين – ٤

(١) هل من القصر الحقيقى أو الادّعائى قول الشاعر :

وما البأسُ إلا حملُ نفسٍ على السُّرَى وما العجزُ إلا نومةٌ وتشَمُّسِ .

(٢) هل يأتى القصر الادّعائى فى القصر الإضافى ؟ وأيهما أبلغ : الحقيقى أم الادعائى ؟

طُرْق القصر

وللقصر طرق : منها :

١ - **العطف**[١] كقولك فى قصر الموصوف على صفة إفرادًا « زيد شاعر لا كاتب » ، أو « ما زيد كاتبًا بل شاعر »[٢] وقلبًا « زيد قائم لا قاعد » ، أو « ما زيد قاعدًا بل قائم » (٣) ، وفى قصر الصفة على الموصوف إفرادًا أو قلبًا بحسب المقام : «زيد قائم لا عمرو » أو « ما عمرو قائمًا بل زيد »[٤] .

---

(١) إنما قدم العطف لأنه أقوى دلالةً على القصر للتصريح فيه بالإثبات والنفى ، ويليه النفى والاستثناء ، فإنما ، فالتقديم . وإنما كان التقديم آخرها لأن دلالته على القصر ذوقية لا وضعية كما يأتى . ولا تنحصر طرق القصر فى هذه الطرق التى ذكرها ، لأن منها ضمير الفصل وتعريف المسند بأل الجنسية كما سبق فى الكلام عليه فى الجزء الأول .

(٢) إنما ذكر « بل » بعد النفى لأنها بعد الإثبات تجعل ما قبلها فى حكم المسكوت عنه فقط ، فلا تفيد بعده القصر كما تفيده بعد النفى .

(٣) جرى فى هذا على مذهبه من اشتراط التنافى بين الصفتين فى قصر القلب واشتراط عدمه فى قصر الإفراد ، فلا يمكن اجتماعهما فى مثال واحد ، والخطب فى ذلك سهل .

(٤) إنما جمع قصر الصفة على الموصوف إفرادًا أو قلبًا فى مثال واحد ؛ لأنه لا يشترط فى قصر الإفراد فيه عدم تنافى الاتصافين اتفاقًا ، فلا يتنافى هو وقصر القلب فى ذلك ، ويصح اجتماعهما بحسب المقام فى مثال واحد ، وإنما لم يذكر مثالاً لقصر التعيين فى الموضعين لأن كل ما يصلح مثالاً لقصر الإفراد أو القلب يصلح مثالاً له كما سبق ، وقد ادعى عبد القاهر أن قصر التعيين لا يأتى فى طريق العطف ، وذكر عبد القاهر أن « لا » لا تنفى عن الثانى أن يكون قد شارك الأول فى الفعل ، بل تنفى عنه أنه قد كان منه دون الأول فهى عنده لقصر القلب دون الإفراد . والحق أن أنواع القصر الثلاثة تأتى كلها فيما ذكر من حروف العطف ، وأن القصر الحقيقى يأتى فيها أيضاً ، كما تقول : « محمد خاتم الأنبياء لا غيره » ، وأن « لكنَّ » العاطفة تفيد القصر أيضًا ، نحو : « ما الشاعر أبو تمام والمتنبى لكنِ البحترى » وقد تأتى لكنَّ للاستدراك كما فى قول الشاعر :

إن ابنَ ورقاء لا تُخْشَى بوادره لكنْ وقائعه فى الحربِ تُنتظرُ

لأنها لا تعطف جملة على جملة . وكذلك « بلْ » قد تأتى للإضراب لا العطف ولكنهما مع هذا يحملان فى إفادة القصر على « بل ولكن » العاطفتين كما ذكره ابن يعقوب، لإفادتهما معنى العطف أيضًا . ولا يخفى أن مزية الإيجاز فى القصر تتضاءل فى طريق العطف .

٢ - النفى والاستثناء :

ومنها النفى والاستثناء(١) كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفرادًا « ما زيد إلا شاعر » وقلبًا : « ما زيد إلا قائم » وتعيينًا كقوله تعالى : ﴿ وما أنزَل الرحمنُ من شىء إنْ أنتم إلا تكذِبونَ ﴾(٢) أى لستم فى دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب(٣) كما يكون ظاهر حال المدعى إذا ادَّعى ، بل أنتم عندنا كاذبون فيها . وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين(٤) « ما قائمٌ » أو « ما مِنْ قائم » أو « لا قائمَ إلاْ زيد » .

وتحقيق وجه القصر فى الأول(٥) أنه متى قيل « ما زيد » توجَّه النفى إلى صفته

= للتصريح فيه بالإثبات والنفى ، فتكون بلاغة القصر فيه أقل منها فى غيره ، وإن كانت فائدة التأكيد فيه أقوى . ومما ورد فى الشعر من القصر بالعطف هذه الأبيات :

ليس اليتيمُ الذى قد مات والده ... بل اليتيمُ يتيم العلـم والأدب

إنَّ الجديدين فى طول اختلافهما ... لا يفسـدان ولكن يفسد الناسُ

كأن دثـاراً حلَّتْ بلَبونه ... عُقاب تنُوفى لا عقـاب القواعلِ

(١) بخلاف الاستثناء من الإثبات فإنه ليس بقصر عندهم ، وقيل : إنه قصر أيضًا ، لأنك إذا قلت « قام القوم إلا زيداً » قصرت عدم القيام على زيد ، ومن يذهب إلى أنه ليس بقصر يرى أنه قيد مصحح للحكم لا غير . فكأنك فى هذا المثال قلت « جاء القوم المغايرون لزيد » ، كما تقول « جاء القوم الصالحون » ، وهذا بخلاف قولك « ما جاءنى إلا زيد » فإن الغرض منه النفى الإثبات المحقَّقان للقصر ، ولهذا يستعمل النفى والاستثناء عند الإنكار بخلاف الاستثناء من ثبات .

(٢) آية ١٥ سورة يس .

(٣) أى مترددين بينهما ، ولهذا كان القصر على الكذب قصر تعيين ، ولكن هذا لا يَصِح إلا بتنزيل المشركين للرسل منزلة المترددين مبالغةً فى إنكارهم لدعواهم وإعراضهم عنها ، والظاهر أن القصر فى ذلك قصر قلب لا تعيين .

(٤) كان عليه أن يكتفى أيضاً فى قصر الموصوف على الصفة بمثال واحد للاعتبارين ، لأن المنفى فى النفى والاستثناء غير مصرح به ، فيجوز فى قولك « ما زيد إلا شاعر » أن يكون لنفى أنه كاتب فيكون قصر إفراد ، وأن يكون لنفى أنه منجِّم فيكون قصر قلب ، وكذلك القصر فى إنما وفى التقديم الآتيين .

(٥) أى قصر الموصوف على الصفة .

لا ذاته ؛ لأن أنفُسَ الذوات يمتنع نفيها وإنما تنفى صفاتها كما بُيّن ذلك فى غير هذا العلم ، وحيث لا نزاع فى طوله وقصره وما شاكل ذلك ، وإنما النزاع فى كونه شاعرًا أو كاتبًا تناولهما النفى ، فإذا قيل « إلا شاعر » جاء القصر[1] .

وفى الثانى[2] أنه متى قيل « ما شاعر » فأدخل النفى على الوصف المسلَّم ثبوته- أعنى الشعر - لغير مَنِ الكلامُ فيهما كزيد وعمرو مثلاً توجه النفى إليهما فإذا قيل « إلا زيد » جاء القصر[3] .

٣ - إنما :

ومنها إنما ، كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفرادًا[4] « إنما زيد كاتب» . وقلبًا « إنما زيد قائم » وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين « إنما قائم زيد » والدليل على أنها تفيد القصر كونها متضمنة معنى « ما وإلا »[5] لقول المفسرين[6] فى

(١) لتحقق النفى والإثبات المحقق للقصر .

(٢) أى قصر الصفة على الموصوف .

(٣) لتحقق النفى والإثبات كما سبق ، ولا يخفى من دلالة النفى والإثبات على القصر بالوضع ، فلا يحتاج إلى تكلف ما ذكره فى تحقيق إفادته القصر ، هذا ولا فرق فى إفادة النفى والاستثناء القصرَ بين أداة وأداة ، ومن ذلك قول الشاعر فى « ما » ، « ولا » ، « وإلا » :

وما الخوف إلاَّ ما تخوَّفه الفتى ... ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمنًا

وقول الآخر فى « لا وغير » :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم ... بهنَّ فلول من قراع الكتائب

(٤) يرى عبد القاهر أن « إنما » لا تستعمل فى الكلام البليغ إلا فى قصر القلب .. و أنها تستعمل فيه وفى غيره ، ومن قصر الإفراد فيها قوله تعالى : آية ٦٠ سورة التوبة ﴿ إنما الصدقات للفقراء .. الآية) إذ ليس هناك من يعتقد عدم استحقاق الفقراء ونحوهم الصدقة ، فلا يكون القصر فى ذلك قصر قلب .

(٥) لا يخفى أن دلالة « إنما» على القصر بالوضع ،فلا يُحتاج إلى دليل فى دلالتها عليه ، وإنما جعلها متضمنة معنى« ما وإلا »ولم يجعلها مرادفة لهما ، لما سيأتى من الفرق بينها وبينهما ، وشرطُ المترادفين أن يكونا متحدين معنًى وإفرادًا وتركيبًا .

(٦) أى من الذين يحتج بهم فى اللغة كابن عباس ومجاهد ونحوهما من الصحابة والتابعين .

قوله تعالى: ﴿ إنما حَرَّم عليكمُ الميتةَ والدَّم ﴾[1] بالنصب معناه ما حرم عليكم إلا الميتة ، وهو المطابق لقراءة الرفع[2] لِما مَرَّ فى باب « المنطلق زيد »، ولقول النحاة[3] : « إنما » لإثبات ما يذكر بعدها ونفى ما سواه ، ولصحة انفصال الضمير معها[4] كقولك « إنما يضرب أنا » كما تقول « ما يضرب إلا أنا » قال الفرزدق :

أنا الذائدُ الحامى الذّمارَ وإنَّما يُدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلى[5]

وقال عمرو بن معْديكرب :

قد علمتْ سَلْمَى وجاراتُها ما قَطَّرَ الفارسَ إلا أنا[6]

قال السكاكى[7] : ويذكرُ لذلك وجه لطيف يُسنَد إلى على بن عيسى الرَّبعىّ وهو أنه لما كانت كلمة « إن » لتأكيد إثبات المسند للمسند اليه ، ثم اتصلت بها « ما » المؤكِّدة لا النافية - كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو - ناسَبَ أن يُضمَّن

---

(١) آية ١٧٤ سورة البقرة .

(٢) هى قراءة ﴿ إن ما حَرّم عليكم الميتةُ ﴾ وعليها يتعين أن تكون « ما » موصولة اسم إن؛ أى إن الذى حرم عليكم الميتةُ ، وهى جملة مُعرَّفة الطرفين فتفيد القصر كما مر فى الجزء الأول فى نحو « المنطلق زيد » وهناك قراءة أخرى بالرفع على بناء « حُرِّم » للمفعول ، وهى غير مرادة له ؛ لأن «ما» فيها يصح أن تكون كافة وأن تكون موصولة ، فلا يتم بها الدليل الذى يريده .

(٣) أى الذين أخذوا اللغة من كلام العرب مشافهةً ، وبهذا يحتج بقولهم .

(٤) فلا يجب فصله خلافًا لابن مالك . بدليل قوله تعالى : آية ٦ سورة يوسف ﴿إنما أشكو بثى وحُزنى إلى الله ﴾ والحق أن الضمير إذا كان محصورًا فيه وجب فصله وتأخيره ، وإلا أتى به متصلاً كما فى الآية ؛ لأن الجار والمجرور فيها هو المحصور فيه لا الضمير ، ووجه الاستدلال بذلك أن وصل الضمير ممكن فى إنما ، والانفصال إنما يجوز عند تعذُّر الاتصال ، ولا تعذر هنا إلا بكونها فى معنى « ما » ، و « إلا » .

(٥) هو لهمَّام بن غالب المعروف بالفرزدق ، والذائد من الذود وهو الدفع . والذمار : ما يلزم الشخص حمايته من أهل ومال ونحوهما ، مأخوذ من الذمر وهو الحث ؛ لأن ما تجب حمايته كانوا يتذامرون أى يحث بعضهم بعضًا على حمايته ، والأحساب : جمع حسب وهو ما يعده الشخص من مفاخر نفسه وآبائه ، والمراد أنه لا يدفع عن أحسابهم إلا هو ، ولهذا فصل الضمير وأخَّره لأنه المحصور فيه .

(٦) قوله « قطر » مضعف، قطر كنصر بمعنى صرعه صرعة شديدة . والشاهد فى فصله الضمير بعد « إلا » ، وأن « إنما » يفصل الضمير بعدها مثلها .

(٧) ص ١٥٨ - المفتاح .

معنى القصر ؛ لأن القصر ليس إلا تأكيدًا على تأكيد[1] فإن قولك « زيد جاء لا عمرو » لمن يردد المجيء الواقع بينهما يفيد إثباته لزيد في الابتداء صريحًا وفي الآخر ضمنا .

٤ - **التقديم** : ومنها التقديم[2] كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفرادًا : « شاعر هو » لمن يعتقده شاعرًا وكاتبًا ، وقلبًا « قائم هو » لمن يعتقده قاعدًا[3] ، وفي قصر الصفة على الموصوف إفرادًا « أنا كفيت مُهمَّك » بمعنى وحدى ، لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتماه مهمه ، وقلبًا « أنا كفيت مُهِمَّ » بمعنى لا غيرى ، لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمه دونك كما تقدم[4] .

---

(١) ردّ هذا بأنه لو كان اجتماعُ تأكيدين يفيد القصر لأفاده نحو « إن زيداً لقائم » واللازم باطل ؛ فبطل اللازم .

هذا وقد اختلف فى إفادة « أنما » بفتح الهمزة القصر ، فقيل : إنها تفيده مثل المكسورة الهمزة ، وقد اجتمعا فى قوله تعالى : آية ١١٠ سورة الكهف ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إلهٌ واحدٌ ﴾ وهو من القصر الإضافى ، والمعنى ما أوحى إلىّ إلا التوحيد أى لا الشرك . ومن القصر بإنما قول الشاعر :

وإنما المرء حديثٌ بعده   فكن حديثاً حسنًا لمن وعى

وقول الآخر :

وما لامرىء طول الخلود وإنما   يخلّده طول الثناء فيخلُد

(٢) هو ثلاثة أقسام : أولها تقديم المسند إليه على نحو ما سبق فى بابه فى الجزء الأر كقول المتنبى :

وما أنا أسقمتُ جسمى به   ولا أنا أضرمتُ فى القلب نار

وثانيها تقديم المسند على نحو ما سبق فى بابه فى الجزء الأول، كقول عمرو بن كلثوم :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها   ونبطش حين نبطش قادرينا

وثالثها تقديم بعض القيود على نحو ما سبق في باب متعلقات الفعل ، كقول الشاعر:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى   أرى الأرضَ تبقى والأخلاّء تذهبُ

وأما تقديم بعض المعمولاتَ على بعض فقد سبق الخلاف فى إفادته القصر بين الجمهور وابن الأثير فى الجزء الأول .

(٣) المثالان من تقديم الخبر على المبتدأ ، وهو إنما يفيـــد القصر إذا كان المبتدأ معرفة نكرة .

(٤) فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى فى الجزء الأول .

فروق طرق القصر : وهذه الطرق تختلف من وجوه :

الأول : أن دلالة الثلاثة الأولى بالوضع دون الرابع(١) .

الثاني : أن الأصل فى الأول أن يدل على المثبَت والمنفىّ جميعًا بالنص ، فلا يُترَكُ ذلك إلا كراهة الإطناب فى مقام الاختصار ، كما إذا قيل : « زيد يعلم النحو والتصريف والعَروض والقوافى » ، أو « زيد يعلم النحو وعمرو وبكر وخالد » فتقول فيهما « زيد يعلم النحو لا غير »(٢) . وفى معناه « ليس إلا » أى لا غير النحو ولا غير زيد . وأما الثلاثة الباقية فتدل بالنص على المثبت دون المنفى(٣) .

الثالث : أن النفى(٤) لا يجامع الثانى ؛ لأن شرط المنفى بلا ألاّ يكون منفيًا قبلها بغيرها ، ويجامع الأخيرين ، فقال : « إنما زيد كاتب لا شاعر ، وهو يأتينى لا عمرو » لأن النفى فيهما غير مصرح به(٥) كما يقال « امتنع زيد عن المجىء لا عمرو» .

---

(١) فدلالته على القصر بالذوق والبحث فى سر التقديم حتى يُفهم بالقرائن الحالية أنه للتخصيص لا لغيره من أغراض التقديم ، ولا تُنافى الدلالة الوضعية فى الثلاثة الأولى البحثَ عنها فى علم المعانى لأنه لا يُبحث فيه عن دلالتها على القصر وإنما يبحث فيه عن مزايا القصر وأحواله وعن المقامات التى تدعو إليها ولا شك أن هذا من صميم علم المعانى .

(٢) ببناء « غير » على الضم ، وقيل : إنها لا تستعمل كذلك إلا بعد « ليس » وهو مردود بقول الشاعر :

جوابًا به تنجو اعتمد فوربّنا لعنْ عملٍ أسْلفتَ لا غير تُسألُ

وقيل : إن « لا » فى ذلك لنفى الجنس لا للعطف ، وخبرها محذوف أى لا غيره معلوم و عالم فى المثالين ، وتكون مع هذا للقصر حملاً على « لا » العاطفة لأنها بمعناها .

(٣) أى بحسب الأصل ، وقد تجىء على خلافه ، كما تقرأ فى التقديم « ما أنا قلت هذا» بالنص على المنفى دون المثبت ، وكما يقال فى النفى والاستثناء « ما قام القوم إلا زيد » بالنص على المثبت والمنفى معًا ، والاستثناء المفرَّغ هو الأصل فى القصر .

(٤) يعنى النفى بلا كما يؤخذ من توجيهه له ، ولأن المراد أن طريق القصر بلا – لا يجامع طريق النفى والاستثناء ، وقد جاء ذلك فى كلام المولدين كقول الحريرى :

لعَمرُك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلّى يومُه لا ابن أمْسِه

أما النفى بغير « لا » فيجامع النفى والاستثناء ولا وجه للفرق بينهما إلا السماع .

(٥) بخلاف الثانى لأنه يصرح فيه بأداة النفى ، وإن لم يصرح فيه بالمنفى .

قال السكاكى[١] « شرط مجامعته للثالث ألاَّ يكون الوصف مختصًا بالموصوف[٢] كقوله تعالى ﴿ إنما يستجيبُ الذين يسمعون ﴾[٣] فإنَّ كل عاقل يعلم أن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع . وكذا قولهم « إنما يعجِّلُ من يخشى الفوت » ، وقال الشيخ عبد القاهر[٤] : « لا تحسن مجامعته له فى المختص كما تحسن فى غير المختص » ، وهذا أقرب[٥] ، قيل : ومجامعته له إما مع التقديم كقوله تعالى ﴿ إنما أنت مذكرٌ ، لستَ عليهم بمسيطرٍ ﴾[٦] ، وإما مع التأخير ، كقولك « ما جاءنى زيد وإنما جاءنى عمرو» وفى كون نحو هذين مما نحن فيه نظر[٧] .

الرابع : أن أصل الثانى أن يكون ما استُعملَ له مما يجهله المخاطب وينكره[٨] كقولك لصاحبك وقد رأيتَ شبحًا من بعيد « ما هو إلا زيد » إذا وجدته يعتقده غير زيد ويصرّ على الإنكار ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وما منْ إله إلا الله ﴾[٩] وقد يُنزَّل المعلوم المَجهول لاعتبار مناسب فيُستعمل له الثانى إفرادًا ،نحو: ﴿وما محمَّدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ من قبْله الرُّسلُ ﴾[١٠] أى أنه ﷺ مقصـــــور على الرسالة لا يتعداها إلى

---

(١) ص ١٥٩ المفتاح .

(٢) أى بالنظر إلى الوصف فى نفسه وإن كان مختصًا بالموصوف بحسب المقام الذى اقتضى قصره عليه .

(٣) آية ٣٦ سورة الأنعام .

(٤) ص ٢٢٩ - دلائل الإعجاز .

(٥) لأنه لا دليل على امتناع ذلك عند قصد زيادة التأكيد ، هذا والسكاكى يناقض هنا ما سبق له فى الكلام على تقديم المسند إليه ؛ لأنه هنا أجاز التخصيص مع اختصاص الوصف فى نفسه بالموصوف ، وهناك منعه فى نحو قولهم « شر أهرّ ذا ناب » لأن المهرّ لا يكون إلا شرًا ، أى لأن الوصف فى نفسه مختص بالموصوف ؛ فلا فائدة فيه للتخصيص .

(٦) آية ٢١ ، ٢٢ سورة الغاشية .

(٧) لأن النفى فيهما بغير « لا » .

(٨) المراد بذلك أن يكون شأنه مما يجهله المخاطب وينكره ، لا الجهل بالفعل لأن الجهل بالفعل شرط فى القصر مطلقًا .

(٩) آية ٦٢ سورة آل عمران .

(١٠) آية ١٤٤ سورة آل عمران .

التبرّى من الهلاك ؛ نزّل استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه[١] . ونحوه : ﴿ وما أنتَ بمسمعٍ مَنْ فى القبور ، إن أنت إلا نذيرٌ ﴾[٢] فإنه ﷺ كان لشدة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة الممتنعين عن الإيمان ولا يرجع عنها ، فكان فى معرض من ظنّ أنه يملك مع صفة الإنذار إيجاد الشىء فيما يمتنع قبوله إياه ، أو قلبًا ، كقوله تعالى حكاية عن بعض الكفار ﴿ إنْ أنتمْ إلا بشرٌ مثلُنا ﴾[٣] أى أنتم بشر لا رسل ، نزّلوا المخاطبين[٤] منزلة من ينكر أنه بشر لاعتقاد القائلين[٥] أن الرسول لا يكون بشراً مع إصرار المخاطبين على دعوى الرسالة . وأما قوله تعالى[٦] حكاية عن الرسل ﴿ إنْ نحنُ إلا بشرٌ مثلُكمُ ولكنَّ اللهَ يمنُّ على من يشاء من عباده ﴾ فمن مجاراة الخصم للتبكيت والإلزام والإفحام[٧] فإن من عادة من ادّعى عليه خصمه الخلاف فى أمر هو

(١) فكأنهم يعتقدون الشركة بين الرسالة والتبرّى من الهلاك ، وبهذا كان القصر على الرسالة قصر إفراد، والاعتبار المناسب فى ذلك هو الإشعار بعظم ذلك الأمر فى نفوسهم وشدة حرصهم على بقائه بينهم ، وقيل : إن ذلك قصر قلب ، لأن محطّ القصر هو الجملة الواقعة بعد المستثنى لكونها صفة له ، والمعنى أنه رسول يخلو كما خلت الرسل من قبله ، لا رسول لا يخلو كما هو لازم استعظامهم هلاكه .

(٢) آية ٢٢ ، ٢٣ سورة فاطر . (٣) آية ١٠ سورة إبراهيم .

(٤) هم الرسل لأنهم مخاطبون فى الآية ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ .

(٥) هم المشركون ، وهذا هو الاعتبار المناسب فى الآية لتنزيل المعلوم فيها عندهم منزلة المجهول ؛ فصفة الرسالة تنافى عندهم صفة البشرية ، ولهذا كان القصر فى كلامهم قصر قلب ، وقد روعى فيه حال المتكلم مع المخاطب على خلاف الأصل فى القصر من مراعاة حال المخاطب فقط ، وقيل : إن ذلك يمكن ألاّ يكون من تنزيل المعلوم منزلة المجهول ، بأن يجعل قصر إفراد على معنى أنّ الرسل لم تجتمع لهم الرسالة والبشرية كما يدّعون فى زعمهم ، أو قصر قلب على معنى ما أنتم إلا بشر مثلنا ، أى لا بشر أعلى منا بالرسالة .

(٦) أى بعد قول المشركين السابق – آية ١١ سورة النساء .

(٧) مجاراة الخصم على وجهين : أحدهما اعتراف المجارى بمقدمة فاسدة ليرتب عليها ما يخالف مقصود الخصم ، وثانيهما اعترافه بمقدمة صحيحة ليبين أنها لا تستلزم مقصود الخصم ، وما هنا من الوجه الثانى . – القصر فى قول الرسل ﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ﴾ قصر صورىّ يقصد منه المشاكلة اللفظية لقول المشركين لتكون أقوى فى المجاراة ، ولا يراد منه إلا أصل الإثبات على سبيل التجرد ، وقيل : إنهم يريدون حقيقة القصر ، لأن المشركين يريدون من قصرهم أن الرسل بشر لا ملائكة ، فجاراهم الرسل بتسليم أنهم كذلك ، ويكون المقصود من القصر هذه المجاراة لا الرد عليهم ؛ لأنهم لا ينكرون بشرية الرسل بل هى ثابتة عندهم .

لا يخالف فيه أن يفيد كلامه على وجهه ، كما إذا قال لك من يناظرك « أنت من شأنك كيت وكيت » فتقول « نعم أنا من شأنى كيت وكيت ، ولكن لا يلزمنى من أجل ذلك ما ظننتَ أنه يلزم » ، فالرسل عليهم السلام كأنهم قالوا : « إن ما قلتم من أنّا بشر مثلكم هو كما قلتم لا ننكره ، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الله تعالى قد مَنَّ علينا بالرسالة » .

وأصلُ الثالث أن يكون ما استُعملَ له مما يعلمه المخاطَب ولا ينكره ، على عكسِ الثانى ، كقولك « إنما هو أخوك ، وإنما هو صاحبك القديم » لمن يعلم ذلك ويُقِرُّ به، تريد أن ترقّقه عليه وتنبهه لما يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب[١] وعليه قول أبى الطيب :

إنما أنت والد والأبُ القَا طعُ أحنَى مِن واصل الأولاد[٢]

لم يُرِدْ أن يُعْلِمَ كافوراً أنه بمنزلة الوالد ، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام ، ولكنه أراد أن يُذكّره منه بالأمر المعلوم ليبنى عليه استدعاء ما يوجبه .

وقد ينزَّل المجهول منزلة المعلوم لادّعاء المتكلم ظهوره فيستعملُ له الثالث[٣] نحو : ﴿ إنما نحن مُصلحون ﴾[٤] ادَّعوا أنَّ كونَهم مصلحين ظاهر جَلِيٌّ ، ولذلك جاء ﴿ ألا إنهمْ همُ المفسدون ﴾[٥] للردّ عليهم مؤكداً بما ترى من جعْل الجملة اسميةً وتعريف الخبر باللام وتوسيط الفصل[٦] والتصدير بحرف التنبيه[٧] ثم بأنَّ .

---

(١) هذا هو المقصود من « إنما » التعريض به ، وتكون فائدة القصر المبالغة فى الترقيق لما فيه من زيادة التأكيد .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبّى ، والخطاب لكافور الإخشيدى ، يعنى أنه بمنزلة الولد لمولاه ابن الإخشيد . والأب القاطع هو الذى لا يصل أولاده ، وإنما كان أحنَى من الأولاد الواصلين لأبيهم لأن حنوَّ الأب على أولاده أشد من حنو الأولاد على أبيهم بمقتضى الفطرة والطبيعة .

(٣) يقصد من استعماله هنا الرد على المخاطب كغيره من أدوات القصر ولا يقصد منه التعريض كما قصد منه فى أصل استعماله .

(٤) آية ١١ سورة البقرة . (٥) آية ١٢ سورة البقرة .

(٦) هو « هم » .

(٧) هو « ألا » .

ومثله قول الشاعر :

إنما مُصْعبُ شهابٌ من الله تجلَّتْ عن وجهه الظلماءُ(١)

ادَّعى أن كونَ مصعب كما ذهب جَلِيٌّ معلوم لكل أحد على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدَّعوا فى كل ما يصفون به ممدوحيهم الجلاء ، وأنهم قد شُهروا به حتى إنه لا يدفعه أحد كما قال الآخر :

وتعذلنى أفناء سعـــــد عليهمُ وما قلت إلا بالتى علمتْ سعدُ(٢)

وكما قال البحترى :

لا أدَّعى لأبى العلاء فضيلةً حتى يُسلمهــــا إليه عِداهُ(٣)

واعلم أنَّ لطريق « إنما » مزيَّةً(٤) على طريق العطف ، وهى أنه يُعقلُ منها ثبات الفعل لشىء ونفيه عن غيره دفعةً واحـــدة بخلاف العطف ، وإذا ما استقريت وجدتها أحسن ما تكــون موقعــًا إذا كان الغــــرض بها التعــريض بأمر هو مقتضــــى معنى الكلام بعـدها(٥) كمـــا فى قوله تعـــالى: ﴿ إنما يتذكر أولو

(١) هو لعبد الله بن قيس الرُّقيَّات فى مدح مصعب بن الزبير بن العوام وقوله « تجلت » بمعنى تكشفت ، وهذا من أبلغ المدح ، ولذلك فضله عبد الملك بن مروان على مدحه له بقوله :

يأتلج التاج فرق مفرقه على جبين كأنه الذهبُ

(٢) هو الحطيئة جرول بن أوس فى مدح بغيض بن شماس وقومه بنى أنف الناقة وذم الزبرقان بدر وقومه ، وجميعهم ينتمون إلى سعد بن مناة ، والأفناء جمع فنن : وهو الجماعة ، والشاهد فى دعواه أن ما قاله فى حق ممدوحيه لا يدفعه أحد من سعد ، وقيل : إن الرواية « أبناء سعد » لأن أفناء الناس أخلاطهم ، ولا يريده الحطيئة ، وكذلك روى « الذى » بدل « التى » والشاهد فى دعواه عليهم بذلك .

(٣) هو للوليد بن عبيد المعروف بالبحترى من أبيات له فى مدح أبى العلاء صالح بن مخلد وابنه أبى عيسى ، والشاهد فيه كالذى قبله .

(٤) توجد هذه المزية أيضًا فى طريق النفى والاستثناء وطريق التقديم .

(٥) هذا إنما يكون إذا استعملت فى أصلها وهو ما يعلمه المخاطب ولا ينكره كما سبق ، لأنه إذا كان ذلك معلومًا له فلا يهم المتكلم إفادته له ، وإنما يهمه المعنى الآخر الملوَّح إليه بالتعريض ، لأنه هو الذى يجهله المخاطب ويُصِرُّ على إنكاره .

هذا وقد قيل : إن عبد القاهر يرى أن « إنما » يقصد منها دائمًا التعريض ولو استعملت =

الألباب ﴾[1] فإنه تعريض بذم الكفار وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم فى حكم من ليس بذى عقل ، فأنتم فى طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع فى ذلك من غير أولى الألباب ، وكذا قوله[2] تعالى : ﴿ إنمـــا أنت مُنذرُ مَنْ يخشاها ﴾ وقوله : ﴿ إنما تنذرُ الذين يخشوْن ربهم بالغيب ﴾[4] المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع ، وقلب يعقل ، فالإنذار معه كلا إنذار ، قال الشيخ عبد القاهر[5] ومثال ذلك من الشعر قوله :

أنا لم أُرزَق محبتها   إنما للعبد ما رُزِقا[5]

فإنه تعريض بأنه قد علم أنه لا مطمع له فى وصلها ، فيئس من أن يكون منها إسعاف به . وقوله :

وإنما يَعْذرُ العشَّاقَ من عَشِقا[6]

يقول : ينبغى للعاشق ألاّ يُنكر لومَ من يلومه ؛ فإنه لا يعلم كُـنْـه بلوى العاشق ، ولو كان قد ابتُلى بالعشق مثله لعرف ما هو فيه فيعذره . وقوْله :

ما أنتَ بالسبب الضعيفِ وإنما   نُجحُ الأمور بقوة الأسباب

= فى المجهول المنزَّل منزلة المعلوم ، ولا يقصد منها الرد على المخاطب إذا استعملت هذا الاستعمال ، مع أن عبد القاهر قد ذكر أنها تأتى فى كثير منها الكلام والقصد بالخبر بعدها أن تعلم السامع أمرًا قد غلط فيه بالحقيقة واحتاج إلى معرفته ، ولكن لا بد مع ذلك من أن يدعى هناك فضل انكشاف وظهور فى أن الأمر كالذى ذُكر .

(١) آية ٩ سورة آل عمران .

(٢) آية ٤٥ سورة النازعات .

(٣) آية ٨ سورة فاطر .

(٤) ٢٣٠ دلائل الإعجاز .

(٥) هو للعباس بن الأحنف ، وفى رواية « مودتكم » بدل « محبتها » ، والإضافة فى ذلك من إضافة المصدر إلى فاعله ، وقبل البيت :

كان لى قلبٌ أعيش به   فاصطلى بالنار فاحترقا

(٦) هو من قول العباس بن الأحنف أيضًا :

يلوم فى الحب مَن لم يَدْرِ طعمَ هوى   وإنما يعذرُ العشاقَ من عشقا

فاليومُ حاجَتُنا إليك وإنمـــــا يُدْعَى الطبيبُ لساعة الأوصاب[١]

يقول فى البيت الأول : إنه ينبغى أن أنجح فى أمرى حين جعلتك السبب إليه ، وفى الثانى : إنا قد طلبنا الأمر من جهته حين استعنا بك فيما عرض لنا من الحاجة وعوّلنا على فضلك ، كما أن من يعول على الطبيب فيما يعرض من السقم كان قد أصاب فى فعله .

ثم القصر كما يقع بين المبتدأ والخبر كما ذكرنا[٢] يقع بين الفعل والفاعل وغيرهما[٣] ففى طريق النفى والاستثناء يؤخر المقصور عليه مع حروف الاستثناء ، كقولك فى قصر الفاعل على المفعول إفرادًا أو قلبًا بحسب المقام « ما ضرب زيد إلا عمرًا » [٤] وعلى الثانى لا الأول قوله تعالى : ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربّكم ﴾[٥] لأنه ليس المعنى أنى لم أزد على ما أمرتنى به شيئًا ؛ إذ ليس الكلام فى أنه زاد شيئًا على ذلك أو نقص منه ، ولكن المعنى أنى لم أترك ما أمرتنى به أن أقوله إلى خلافه[٦] لأنه قاله فى مقام اشتمل على معنى أنك يا عيسى تركت ما أمرتك أن تقوله إلى ما آمرك أن لا تقوله ؛ فإنى أمرتك أن تدعو الناس أن

---

(١) هما كما فى - معجم الشعراء - لمحمد بن أحمد العمروانى فى عبيد الله بن يحيى ابن خاقان ، وقيل : إنهما للزبير بن بكار ، وقيل : إنهما للباخَرْزى . والسبب : كل ما يُتوصل به إلى غيره ، والأوصاب : جمع وصب وهو المرض .

هذا وإنما ترك الكلام على أصل الطريق الأول والطريق الرابع من جهة استعمالها فيما يجهله المخاطب أو يعلمه ؛ لأنهما كما قال صاحب الأطول مستويا النسبة إلى المعلوم والمجهول.

(٢) فى التمثيل لأقسام القصر وطرقه ؛ لأن ما ذكره فى ذلك من باب المبتدأ والخبر إلا ما ندر .

(٣) مما سيذكره وما يذكره كالتمييز والظرف وسائر المتعلقات إلا المصدر المؤكد والمفعول معه .

(٤) يجوز فى هذا ونحوه أن يكون الفعل المسند إلى الفاعل مقصورًا على المفعول ، فيكون من قصر الصفة على الموصوف ، وأن يكون الفاعل مقصورًا على الفعل المتعلق بالمفعول ، فيكون من قصر الموصوف على الصفة ، وكذلك يقال فى قصر المفعول على الفاعل ونحوهما .

(٥) آية ١١٧ سورة المائدة .

(٦) بهذا يكون قصر قلب لا إفراد .

يعبدونى ثم أنك دعوتهم إلى أن يعبدوا غيرى ، بدليل قوله تعالى ﴿ أأنت قلت للناس اتخذونى وأمىَ إلهين من دونِ الله ﴾[1] .

وفى قصر المفعول على الفاعل «ما ضرب عمرًا إلا زيد » .

وفى قصر المفعول الأول على الثانى فى نحو[2] « كسوت وظننت » ، « ما كسوت زيدًا إلا جبة » ، و « ما ظننت زيــدًا إلا منطــلقًا » .

وفى قصر الثـــانى على الأول « ما كسوت جبة إلا زيدًا » ، و « ما ظننت منطلقًا إلا زيدًا » . وفى قصر ذى الحال على الحال[3] وما جاء زيد راكبًا » .

وفى قصر الحال على ذى الحال « ما جاء راكبًا إلا زيد » .

والوجه فى جميع ذلك[4] أن النفى فى الكلام الناقص - أعنى الاستثناء المفرّغ - يتوجه إلى مقدّر هو مستثنى منه عام[5] مناسب للمستثنى فى جنسه وصفته ، أما توجهه إلى مقدَّر هو مستثنى منه فلكون « إلا » للإخراج واستدعاء الإخراج مُخرَجًا منه ، رأما عمومه فليتحقق الإخراج منه ، ولذلك قيل : تأنيث المضمر فى « كانت » على قراءة[6] أبى جعفر المدنّى : ﴿ إن كانت إلا صيحةٌ﴾ بالرفع ، وفى « ترى » مبنيا للمفعول فى قراءة[7] الحسن ﴿ فأصبحوا لا تُرَى إلا مساكنهم ﴾ برفع مساكنهم، وفى « بقيت » فى بيت ذى الرمة :

* فما بقيتْ إلا الضلوعُ الجراشعِ[8] *

---

(١) آية ١١٦ سورة المائدة .

(٢) نحو « كسوت » كلّ فعل ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر، ونحو « ظننت » كل فعل ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر .

(٣) هو من قصر الموصوف على الصفة ، فيقال فى هذا المثال : إن زيدًا قصر على المجىء حال الركوب ، وقيل : إن المجىء هو الذى قصر على الركوب ، أما قصرُ الحال على ذى الحال فهو من قصر الصفة على الموصوف .

(٤) هذا عودٌ إلى ما سبق من توجيه إفادة النفى والاستثناء القصرَ ، وقد سبق أن دلالته على القصر بالوضع ، فلا تحتاج إلى توجيهها بما ذكر .

(٥) لا فرق فى هذا بين القصر الحقيقى والإضافى إلا بأن الإضافى يقدَّر فيه عام يراد به الخاص الذى يكون القصر بالإضافة إليه .

(٦) آية ٢٩ سورة الشعراء . (٧) آية ٢٥ سورة الأحقاف .

(٨) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة من قوله :

طوى النحزُ والأجرازُ ما فى غروضها
فما بقيتْ إلا الضــــــلوعُ الجراشعُ =

للنظر إلى ظاهر اللفظ ، والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من الأشياء. وأما مناسبته في جنسه وصفته فظاهرة ؛ لأن المراد بجنسه أن يكون في نحو « ما ضرب زيد إلا عمراً » أحداً[١] ، وفي نحو قولنا وما كسوت زيداً إلا جبة » لباساً، وفي نحو : « ما جاء زيد إلا راكبًا » كائنًا على حال من الأحوال ، وفي نحو « ما اخترت رفيقًا إلا منكم ، من جماعة من الجماعات . ومنه قول السيد الحِميْرىّ :

لو خُيِّر المِنْبَرُ فرســـانه   ما اختار إلا منكمُ فارسًا[٢]

لما سيأتي إن شاء الله تعالى أن أصله : ما اختار فارسًا إلا منكم .

والمراد بصفته كونه فاعلاً أو مفعولاً أو ذا حال أو حالا ، وعلى هذا القياس ، وإذا كان النفي متوجهًا إلى ما وصفناه فإذا أوجِب منه شيء جاء القصر[٣] .

ويجوز تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء بحالهما على المقصور ، كقولك « ما ضرب إلا عمراً زيد ، وما ضرب إلا زيد عمراً ، وما كسوت إلا جبة زيدًا ، وما ظننت إلا زيدًا منطلقًا ، وما جاء إلا راكبًا زيد ، وما جاء إلا زيد راكبًا » . وقولنا «بحالهما » احتراز من إزالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيره عن المقصور عليه ، كقولك في الأول « ما ضرب عمراً إلا زيد » فإنه يختل المعنى[٤] ، فالضابط

= يصف بذلك ناقته . وقوله « طوى » بمعنى أضمر ، « والنحز » الدفع والنخس ، لأجراز » جمعُ جرز وهي الأرض اليابسة التي لا نبات فيها ، و « الغروض » جمع غرض وهو حزام ، والجراشع المنتفخة الغليظة جمع جُرْشُع .

(١) هو خبر يكون ، وكذلك نظائره مما بعده .

(٢) هو لإسماعيل بن محمد المعروف بالسيد الحميري ، وتقدير الشطر الثاني :« ما اختار فارسًا من جماعة من الجماعات إلا فارسًا منكم » والفارس في الأصل راكب الفرس استعير في البيت لخطيب المنبر ، وإسناد الاختيار إلى المنبر مجاز عقلي ، وكان السفّاح العباسي قد خطب يومًا فأحسن ، فمدحه بذلك .

(٣) لتحقق النفي والإثبات المحققين لمعنى القصر .

(٤) لأنه ينقلب المقصور مقصوراً عليه ، وهو خلاف المراد ، ومن تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء قول الشاعر :

الناسُ إلْبٌ علينا فيك ليس لنا   إلا السيوفَ وأطراف القنا زردُ

أن الاختصاص إنما يقع فى الذى يلى إلا[(١)] ولكن استعمال هذا النوع أعنى تقديمها قليل، لاستلزامه قصرالصفة قبل تمامها[(٢)] كالضرب الصادر من زيد فى « ما ضرب زيد إلا عمراً » والضرب الواقع على عمرو فى « ما ضرب عمراً إلا زيد » وقيل[(٣)] «إذا أُخّر المقصور عليه والمقصور عن « إلا » ، وقُدّم المرفوع كقولنا « ما ضرب إلا عمرو زيداً » فهو على كلامين ، وزيداً منصوب بفعل مضمر ، فكأنه قيل « ما ضرب إلا عمرو » أى ما وقع ضرب إلا منه ، ثم قيل : من ضرب ؟ فقيل « زيداً » أى ضرب زيداً ، وفيه نظر ؛ لاقتضائه الحصر فى الفاعل والمفعول جميعاً[(٤)] .

وأما فى « إنما » فيؤخَّر المقصور عليه[(٥)] ، تقول « إنما زيد قائم ، وإنما ضرب زيد ، وإنما ضرب زيد عمراً ، وإنما ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ، وإنما ضرب زيد عمراً يوم الجمعة فى السوق » أى « ما زيد إلا قائم ، وما ضرب إلا زيد ، وما ضرب زيد إلا عمراً ، وما ضرب زيد عمراً إلا يوم الجمعة ، وما ضرب زيد عمراً يوم الجمعة إلا فى السوق » ، فالواقع أخيراً هو المقصور عليه أبداً[(٦)] ولذلك تقول ، «إنما هذا لك ، وإنما لك هذا » أى ما هذا إلا لك ، وما لك إلا هذا ، حتى إذا

---

(١) فيكون هو المقصور عليه تأخرا معًا أو تَقَدَّما معًا .

(٢) إنما جاز التقديم مع استلزامه ؛ ذلك لأنه فى نية التأخير ، فكأنه مؤخر فعلاً .

(٣) على هذا لا يلزم قصر الصفة قبل تمامها ، ولا يكون فى الكلام تقديم وتأخير .

(٤) أجيب عن هذا بأنه إنما يلزم من يُجوّز أن يستثنى شيئان أو أكثر بأداة واحدة دون عطف ، ولعل من قال إن نحو « ما ضرب إلا عمرو زيداً » على كلامين لا يجوز ذلك ، فلا يقتضى ما ذهب إليه الحصر فى الفاعل والمفعول جميعاً ويؤيد هذا أنه لو كان ممن يجوّز ذلك لم يحتج إلى تقدير الفعل ثانياً ، بدليل أن من لا يجوّز ذلك يرى فى قوله تعالى : آية ٢٧ سورة هود ﴿ وما نراكَ اتَّبعك إلا الذينَ همْ أَراذلُنا بادى الرأى ﴾ أنه لم يستثنِ فيه الموصول والظرف جميعًا بإلا . وإنما الظرف منصوب مضمر تقديره اتبعوك بادى الرأى ، والراجح أن الكلام على التقديم والتأخير وليس على تقدير كلامين لما يظهر فيه من التكلُّف .

(٥) فلا يجوز تقديمه لئلا يلتبس بالمقصور ،وقد يعرض ما يوجب تقديم المقصور عليه فيتقدم ، كقولك « إنما قمت » قصر فيه المتكلم على القيام ، فقدم الفعل مع أنه هو المقصور عليه لعدم صحة تقديم الفاعل عليه .

(٦) إنما يكون الواقع أخيراً هو المقصور عليه إذا كان جزءاً مستقلاً فى آخر الكلام ولو كان فضلةً ، فالمقصور عليه فى قولك « إنما جاء الذى أكرمته يوم الجمعة ، هو الموصول مع =

أردت الجمع بين إنما والعطف، فقل « إنما هذا لك لا لغيرك ، وإنما لك هذا لا ذاك ، وإنما أخذ زيد لا عمرو ، وإنما زيد يأخذ لا يعطى »[١] ومن هذا نعثر على الفرق بين قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾[٢] وقولنا « إنما يخشى العلماءُ من عباد الله» فإن الأول يقتضى قصر خشية الله على العلماء ، والثانى يقتضى قصر خشية العلماء على الله[٣] .

=صلته ، وفى قولك « إنما جاءنى رجل عالم » هو الموصوف مع صفته ، وهكذا . وقد اعترض على ذلك بمواضع لا يظهر فبها أن الواقع أخيرًا هو المقصور عليه . كقوله ﷺ : ﴿ إنما يأكل آل محمد من هذا المال ليس لهم فيه إلا المأكل ﴾ أى لا يقع إلا أكلهم منه ، وليس المعنى لا يأكلون إلا منه ، وكقوله تعالى : آية ٩١ سورة المائدة ﴿ إنما يريدُ الشيطانُ أنْ يوقعَ بينكمُ العداوة والبغضاء في الخمر والميسرِ ﴾ ويمكن أن يجاب عن هذا بأن هذه المواضع جاءت على خلاف الأصل فى « إنما » لأمن اللبس فيها بقرينة من القرائن ، كقوله فى الحديث « ليس لهم فيها إلا المأكل » فإنه يدل على أن المراد أنه لا يقع إلا أكلهم منه .

(١) لأنه إذا اجتمع طريق « إنما » وطريق العطف يكون القصر مستفادًا من « إنما » والعطف مؤكدًا له ، ولا ينسب القصر إليه لأنه تابع من التوابع ، وعلى هذا يكون المقصور عليه هو الواقع أخيرًا قبل العطف ، وقد ذهب بعض مؤلفى عصرنا إلى أن القصر ينسب فى ذلك إلى العطف لأنه الأقوى ، فأجاز أن يقال « إنما محمود شاعر لا علىّ » بتقديم المقصور عليه ، وإنى أرى أن الحجة فى ذلك يجب أن يعتمد فيها على أساليب البلغاء لا على نحو هذا المثال ، على أن كون العطف أقوى من غيره فى الدلالة على القصر لا يذكر مع ما له من رتبة التابع فى الكلام ؛ لأن هذا يجعله تابعًا فى إفادته بلا نزاع .

وقد يجتمع طريق « إنما » وطريق التقديم ، فقيل : إن الذى يفيد القصر فى هذه الحالة التقديم ، وقيل إن الذى يفيده « إنما » ؛ وهذا كما فى قول الشاعر :

ألا فليمُتْ مَن شاء بعدك إنما   عليك من الأقدار كان حذاريا

وقول الآخر :

أساميًا لم تَزِدْه معرفةً   وإنما لذةً ذكرناها

والمقصور عليه فى ذلك هو المقدَّم كما هو ظاهر .

(٢) آية ٢٨ سورة فاطر ، وقرىء برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء فتكون الخشية مجازاً بمعنى الإجلال لا بمعنى الخوف ، كما قال الشاعر :

أهابُك إجلالاً وما بك قدرةُ   علىَّ ولكنْ ملءُ عينٍ حبيبُها

(٣) هذا والمقصور عليه فى العطف ببل ولكنْ هو ما بعدهما ، وفى العطف بلا هو المعطوف عليه قبلها ، وفى التقديم هو المقدم ، وقد يجتمع العطف والتقديم ، كقولك =

واعلم أن حُكم « غير »[1] حكم « إلا » فى إفادة القصرين ، أى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف ، وفى امتناع مجامعة « لا » العاطفة ، تقول فى قصر الموصوف إفرادًا « ما زيد غير شاعر » وقلبًا « ما زيد غير قائم » ، وفى قصر الصفة بالاعتبارين بحسب المقام : « لا شاعر غير زيد » . ولا تقول : ما زيد غير شاعر لا كاتب ، ولا شاعر غير زيد ولا عمرو .

* * *

=هو يأتينى لا أخوه » فينسب القصر فى ذلك إلى التقديم لأن العطف تابع كما سبق ، وقيل هنا أيضًا : إنه ينسب إلى العطف ، وإنه يجوز على هذا أن يقال « فى الدار سعيد لا محمود » وهو مردود بمثل ما سبق .

(١) مثلها « سوى » ونحوه من أدوات الاستثناء ؛ لأنه لا فرق بينها جميعًا فى إفادة القصر كما سبق ، ومثال ذلك فى « سوى » قول الشاعر :

أأترك ليلى ليس بينى وبينها ... سِوَى ليلةٍ إنى إذنْ لصبورُ

تمرينات على طرق القصر

تمرين – ١

(١) بيّن لماذا أوثر القصر بالعطف على غيره فى قوله تعالى : آية ٤٠ سورة الأحزاب ﴿ ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ منْ رجالكمْ ولكنْ رسولَ اللهِ ﴾ وبين ما فيهِ من مزايا القصر .

(٢) بين طريق القصر ، والمقصور ، والمقصور عليه فى قول الشاعر :

بكَ اجتمع المُلْكُ المبدَّدُ شملُهُ　　وضُمّنْ قواصٍ سنه بعد قواصى

تمرين – ٢

(١) لماذا أوثر القصر بإنما فى قول الشاعر :

وإنما الأُممُ الأخلاقُ ما بقيتْ　　فإن هُمُ ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

(٢) من أى طرق القصر قول الشاعر :

وإنَّ سنَامَ المجد مِن آل هاشم　　بنو أم مخزوم ووالدك العبدُ

وما هو المقصور فيه ؟ وما هو المقصور عليه ؟

تمرين – ٣

(١) لماذا لم يفد تعريف المسند بأل القصر فى قول الخنساء :

إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيلٍ　　وجدتُ بكاءَك الحَسَنَ الجميلا

(٢) لماذا أوثر القصر بالنفي والاستثناء في قوله تعالى : آية ١٨ سورة العنكبوت ﴿ وإن تكذّبوا فقد كذّب أممٌ منْ قبلكمْ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ وبإنما فى قوله : آية ٢١ سورة الغاشية ﴿ فذكّر إنما أنتَ مذكّرْ ﴾ .

تمرين – ٤

(١) ما هو طريق القصر ؟ وما هو المقصور عليه فى قول الشاعر :

ما افترينا فى وصفه بل وصفْنا بعْضَ أخلاقهِ وذلك يكفِى

(٢) بين كيف اختصت المزايا البلاغية بالقصر بطرقه من العطف وغيره ؟ .

تمرين – ٥

(١) لماذا قال الله تعالى : آية ١٠٥ سورة البقرة ﴿ والله يختص برحمته من يشاءُ ﴾ ولم يُفد الاختصاص بطريق من طرقه المعروفة .

(٢) يأتى التوكيد لدفع التردد فى نحو « إن زيدًا شاعر » ، ويأتى قصر التعيين لدفع التردد فى نحو « إنما زيد شاعر » ، فما هو الفرق بين دفع التردد فيهما ؟ .

تمرين – ٦

(١) لماذا قدم المقصور عليه فى قول الشاعر :

وما لِىَ إلا آلَ أحمـــدَ شيعَةٌ وما لِىَ إلا مَذهبَ الحقِّ مذهبُ

(٢) بين موقع المقصور عليه فى جملتيه فى قول الشاعر :

ما بِعتُكُم مهجتى إلا بِوَصْلكمُ ولا أُسَـــلّمُهُا إلا يدًا بيَد

تمرين – ٧

(١) هل من قصر الفعل على الفاعل أو من قصر المفعول عليه قول الشاعر :

فى ليلةٍ لا نرى بها أحداً يَحْكى علينا إلا كواكبُها

(٢) بين الذى أفاد القصر من التقديم أو العطف فى قول الشاعر :

لِلفَتَى مِنْ ماله ما قدَّمتْ يداه قَبْلَ موته لا ما اقْتَنى

(٣) هل من القصر قول الشاعر :

وكلُّ أخٍ مفـــارقُه أخوه لَعَمْرُ أبيك إلا الفَرْقدانِ

(٤) اختُلف فى إفادة الاستثناء من الإثبات بالقصر، فبيّن ما تختاره فى ذلك .

* * *

القول فى الإنشاء

أقسام الإنشاء : الإنشاء ضربان : طلب وغير طلب ٠

الطلب يستعدى مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل(١) وهو المقصود بالنظر ههنا(٢) ٠ وأنواعه كثيرة :

أنواع الطلب :

التمنى : منها التمنى(٣) ، واللفظ الموضوع له « ليت » ، ولا يشترط فى التمنى الإمكان ، تقول : « ليت زيدًا يجىء ، وليت الشباب يعود ، قال الشاعر :

---

(١) إذا استعمل الطلب فيما هو حاصل وجب تأويله ، كقوله تعالى آية ٣٦ سورة النساء ٠

﴿ يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ﴾ قوله : آية ١ سورة الأحزاب ﴿ يأيها النبىُّ اتَّقِ اللهَ ﴾ فالمعنى فيهما على طلب دوام الإيمان والتقوى للترقى فى مراتب الكمال فيهما ٠

(٢) أما الإنشاء غير الطلبى فلا يقصد بالنظر ها هنا لقلة المباحث البلاغية المتعلقة به ، ولأن أكثر أنواعه فى الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء ، ومن الإنشاء غير الطلبى الترجى ، ويرى كثير من العلماء أنه من الإنشاء الطلبى ، والحق أنه لا طلب فيه بدليل أنه يأتى فى المكروه ، نحو « لعل الحبيب مريض » ولا طلب فى مكروه ، وإنما فيه مجرد ترقب وإشفاق ، ومنه أفعال المدح والذم ، كنعمَ وبئس ، وأفعال التعجب ، فهى لإنشاء المدح والذم والتعجب ، وقيل إنها أخبار تحتمل الصدق والكذب ، ولهذا بُشِّر أعرابى ببنت فقيل له : نعمت المولودة ، فقال : والله ما هى بنعمت المولودة ٠ ومنه القسم وصيغ العقود كبعت واشتريت ، ومنه « رُبَّ » و « كم » الخبرية ، لدلالتهما على إنشاء التكثير أو التقليل ، وقيل : إنهما خبر لا إنشاء ٠

(٣) هو طلب المحبوب الذى لا طمع فيه ، بأن يكون غير ممكن أو يكون بعيد الحصول ، فالأول كقول الشاعر :

ليت الكواكب تدنو لى فأنظمها　　عقود مدح فما أرضى لكم كلمى

والثانى كقول الآخر :

فياليت ما بينى وبيـــن أحبَّتى　　مِن البعد ما بينى وبين المصائبِ

* يا ليت أيام الصِّبَا رواجعا[1] *

وقدْ يتمنى بـ « هل »[2] كقول القائل « هل لى من شفيع » فى مكان يعلم أنه لا شفيع له فيه[3] لإبراز المتمنى لكمال العناية به فى صورة الممكن[4] . وعليه قوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ فهل لنا من شُفعاء فيشفعوا لنا ﴾[5] وقد يتمنى بلو[6] كقولك « لو تأتينى فتحدثنى » بالنصب[7] .

قال السكاكى[8] : وكأن حروف التنديم والتحضيض « هلاَّ ، وألاَّ بقلب الهاء همزة ، ولولا ، ولو ما » مأخوذة منهما[9] مركبتين مع« لا » و « ما » المزيدتين ، لتضمينهما معنى التمنى[10] ليتولد منه فى الماضى التنديم ، نحو « هلا أكرمت زيدًا » وفى المضارع التحضيض ، نحو « هلاَّ تقوم » .

---

(١) هو من أرجوزة لعبد الله بن رؤبة المعروف بالعجاج ، وقد نصب الجزءين بليت على مذهب الكوفيين ، والبصريون على أن خبرها محذوف وتقديره « أقبلن رواجعـــًا » ، أو تكون رواجعًا .

(٢) استعمالها فى التمنى مجاز بالاستعارة التبعية كما سيأتى فى علم البيان .

(٣) فتحمل على التمنى لأن الاســتفهام لا يكون مع الجـــزم بانتفاء الشىء ، بل مع الجهل به .

(٤) هذا هو الحال الداعى إلى استعمال « هل » فى التمنى .

(٥) آية ٥٣ سورة الأعراف .

(٦) استعمالها فى التمنى مجاز أيضًا ، ونكته الإشعار بعزة المتمنى بإبراره فى صورة ما لم يوجد ؛ لأن « لو » فى أصلها حرف امتناع لامتناع ، ومن ذلك قول مهلهل :

فلو نُشر المقابرُ عن كليب فيخبَر بالذناب أى زيرِ

(٧) أى نصب « تحدث » لأنه إنما يكون بعد الطلب .

(٨) ١٦٦ - المفتاح .

(٩) أى من « هل ولو » اللتين للتمنى . وهذا تكلف من السكاكى ، والنحويون على أنها موضوعة للتحضيض والتنديم من أول الأمر .

(١٠) يريد بتضمينهما ذلك جعلهما دالّين عليه مطابقةً لا تضمُّنًا .

وقد يتمنى بـ « لعل » فتعطى حكم ليت[1] نحو « لعلى أحج فأزورَك » بالنصب ، لبعد المرجوّ عن الحصول[2] ، وعليه قراءة عاصم[3] فى رواية حفص ﴿ لعلِّى أبلغُ الأسبابَ ، أسبابَ السمواتِ فأطَّلع إلى إله موسى ﴾ بالنصب .

الاستفهام " ومنها الاستفهام[4] .

والألفاظ الموضوعة له : الهمزة ، وهل ، وما ، ومن ، وأى ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأنَّى ، ومتى ، وأيَّان .

● **فالهمزة** لطلب التصديق[5] كقولك « أقام زيد ؟ وأزيد قائم ؟ » . أو التصور[6] كقولك : « أدبْس فى الإناء أم عسل ؟ » أو : « فى الخابية دبسك أم فى الزِّقّ ؟ » ولهذا لم يفتح « أزيد قام ؟ » و « أعمرًا عرفت ؟ »[7] .

---

(١) هو نصب المضارع بالفاء بعدها . وهذا مبنى على مذهب البصريين لأنهم لا ينصبونه بعد الترجى ، واستعمالها فى التمنّى مجاز أيضًا ، ومنه قول الشاعر :

أسربَ القطا هل مَن يُعيرُ جناحه ... لعلى إلى من قد هويتُ أطيرُ

(٢) لا يخفى أن « لعل » لا تدل على بُعْد المرجوّ حتى يشار بها إلى ذلك ، فالأحسن أن تجعل نكتته إظهار المتمنّى فى صورة الممكن المتوقع الحصول لشدة الرغبة فيه .

هذا ولا يخفى أن الحروف السابقة بعضها يستعمل فى التمنى حقيقةً ، وبعضها يستعمل فيه مجازًا ، وعلى هذا لا يكون هناك محلٌّ لذكرها فى علم المعانى ، وما ذكر لذلك من النكت والأعراض شأنه فيها كشأن سائر المجازات .

(٣) آية ٣٦ ، ٣٧ سورة غافر .

(٤) هو طلب حصول صورة الشىء فى الذهن بأدوات مخصوصة ، كالهمزة ونحوها مما يأتى .

(٥) فى هذه الحال لا يذكر معها معادل، وإذا جاءت (أم) بعدها كانت منقطعة بمعنى «بل»، كقول الشاعر :

ولستُ أبالى بَعْدَ فقدِىَ مالكا ... أموتِىَ ناءٍ أمْ هُوَ الآن واقعُ

(٦) ذكرَ له مثالين : أحدهم لطلب تعيين المسند إليه ، والثانى لطلب تعيين المسند ، وقد يكون المطلوب تعيين المفعول أو نحوه من متعلقات الفعل كما سيأتى فى الأمثلة ، ويكون الجواب هنا بتعيين المسئول عنه ، وفى طلب التصديق بنعم ، أو لا .

(٧) لأنه إذا كان التقديم للتخصيص استدعى حصول التصديق بنفس الفعل ويكون المسئول عنه زيدًا بخصوصه وعمرًا بخصوصه ، وذلك تصور ، وإذا كان لتقوية الحكم كان المسئول عنه التصديق به ، وكل منهما تصلح له الهمزة ، وهذا بخلاف « هل » كما سيأتى .

المسئول عنه بها هو ما يليها ، فتقول « أضربت زيداً » إذا كان الشك فى الفعل نفسه وأردتَ بالاستفهام أن تعلم وجوده[1] ، وتقول « أأنت ضربت زيداً ؟ » إذا كان الشك فى الفاعل من هو ؟ وتقول « أزيداً ضربت ؟ » إذا كان الشك فى المفعول من هو ؟[2] .

● و « هل » لطلب التصديق فحسب ، كقولك « هل قام زيد ؟ وهل عمرو قاعد ؟ » ولهذا امتنع « هل زيد قام أم عمرو ؟ »[3] وقبح « هل زيداً ضربت ؟ » لما سبق أن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل والشّك فيما قُدّم عليه[4] . ولم يقبح « هل زيداً ضربته ، لجواز تقدير المحذوف المفسّر مقدّما كما مرَّ ، وجعل السكاكى[5] قُبْحَ نحو « هل رجل عرف » لذلك ، أى لما قبح له « هل زيداً ضربت ، ويلزمه ألاّ يقبح نحو « هل زيد عرف » لامتناع تقدير التقديم والتأخير فيه عنده على ما سبق[6] . وعلَّل غيرُه[7] القبحَ فيهما بأنَّ أصل « هل » أن تكون بمعنى « قد » إلا أنهم تركوا الهمزة قبلها لكثرة وقوعها فى الاستفهام .

(١) على هـذا تكون إذا وليها الفعل لطلب التصديق ، وقد تقوم فى ذلك قرينة على خلافه ؛ كذكر المعادل فى نحو « أجاء زيد أم عمرو » ، فيكون المطلوب بها التصور ويكون المسئول عنه غير ما يلها .

(٢) أما إذا وليتها جملة اسمية خبرها ليس فعلاً فيكون المطلوبُ بها التصديق نحو « أزيد قائم ؟ » .

هذه أبيات للهمزة فى هذه الأحوال :

ألا اصطبار لسلمى لها أمَ جَلَـدٌ ؟ إذن ألاقى الذى لاقـاه أمثالى
فوالله ما أدرى وإن كنتُ داريـاً بسبع رمين الجمـر أم بثمانِ ؟
أفى الحق أن يُعطَى ثلاثون شـاعراً ويُحرم ما دون الرضا شاعر مِثلى
فدع الوعيدَ فما وعيـدُكَ ضائرى أطنينُ أجنحـة الذباب يضير

(٣) لأن وقوع المفرد فيه بعد « أم » دليل على أنها متصلة يطلب بها تعيين أحد الشيئين مع العلم بثبوت الحكم ، فلا يصح اجتماعها و« هل » ، ويصح اجتماعها و « أم » المنقطعة لأنها بمعنى « بل » كقول الشاعر :

ألا ليتَ شعرى هل تغيرت الرَّحا رحا الحرب أم أضحت بفَلْج كما هيا

(٤) إنما لم يمتَنع لجواز أن يكوَن « زيداً » مفعول لفعل محذوف ، أو أن يكون تقديمه للاهتمام لا للتخصيص .

(٥) ١٦٧ - المفتاح .

(٦) فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى ، فيكون التقديم عنده فيه للاهتمام لا للتخصيص ، ولا يخفى أن كل ما ذكر هنا أحكام نحوية لا يصح ذكرها فى هذا العلم .

(٧) هو الزمخشرى فى المفصَّل .

و « هل » تخصص المضارع بالاستقبال ، فلا يصح أن يقال « هل تضرب زيداً وهو أخوك »[1] كما تقول « أتضرب زيداً وهو أخوك » ولهذين[2] - أعنى اختصاصها بالتصديق وتخصيصها المضارع بالاستقبال - كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانيًا أظهر ، كالفعل[3]، أما الثانى[4] فظاهر، وأما الأول[5] فلأن الفعل لا يكون إلا صفة ، والتصديق حكم بالثبوت أو الانتفاء ، والنفى والإثبات إنما يتوجهان إلى الصفات لا الذوات ، ولهذا[6] كان قوله تعالى : ﴿ فهَلْ أنْتم شاكرُونَ ﴾[7] أدلَّ على طلب الشكر من قولنا : « فهل تشكرون » وقولنا : « فهل أنتم تشكرون »[8] لأن إبرازَها ما سيتجدد فى معرض الثابت أدلُّ على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله[9] .

---

(١) أى على أن الضرب واقع فى الحال كما يفهم عرفًا من تقييده بالأخوة لأنها حالية لا مستقبلة .

(٢) لا يخفى أن كون « هل » لها مزيد اختصاص بالفعل يرجع فيه إلى استعمال العرب ، ولا حاجة إلى تكلف تعليله بذلك ؛ لأنه فى الحقيقة لا تأثير له فيه .

(٣) الكاف فى ذلك استقصائية ؛ لأن الفعل وحده هو المقصود بذلك الحكم .

(٤) هو تخصيصها المضارع بالاستقبال ، والمراد أن اقتضاءه لاختصاصها بالفعل ظاهر .

(٥) هو اختصاصها بالتصديق .

(٦) أى لكونها لها مزيد اختصاص بالفعل .

(٧) آية ٨٠ سورة الأنبياء .

(٨) مع ما فيه من التأكيد بالتكرير ، لأنه على تقدير « فهل تشكرون » ، ثم حذف الفعل الأول فانفصل ضميره .

(٩) يمكن أن يؤخذ من هذا أن « هل » لا يعدل بها عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية إلا لهذه النكتة ، وهذا هو الذى له صلة بعلم المعانى من كل هذه المباحث التى لا صلة لها به ، ومثله فى ذلك ما قيل فى الفرق بين الاستفهام بالهمزة وبهل ، من أن الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس فى النفس إثبات ما يستفهم عنه ، أما « هل » فإنه لا يترجح فيها إثبات ولا نفى ، ويمكنك أن تدرك هذا السؤال بهل فى هذه الأبيات :

هل بالطلول لِسائلٍ ردٌّ ... أم هل لها بتكلُّمٍ عهْدُ

ألا أبلغ الأحلافَ عنى رسالة ... وذبيانَ هل أقسمتم كلَّ مُقْسَمِ

ليتَ شِعْرى هل ثَمَّ هل آتينهم ... أو يحولنَّ دون ذاك حِمامُ

وكذا من قولنا : « أفأنتم شاكرون » وإن كانت صيغته للثبوت ، لأن « هل » أدعى للفعل من الهمزة ، فتركه معها أدل على كمال العناية بحصوله ، ولهــذا لا يحسن « هل زيد منطلق » إلا من البليغ[1] .

هى قسمان : بسيطة ، وهى التى يطلب بها وجود الشيء كقولنا « هل الحركة موجودة ؟ » . ومركَّبة ، وهى التى يطلب بها وجود شيء لشيء ، كقولنا « هل الحركة دائمة ؟ » [2] .

● والألفاظ الباقية لطلب التصور فقط[3] .

أما « ما » فقيل : يطلب به إما شرح الاسم[4] كقولنا « ما العنقاء ؟ » ، وإما ماهية المسمَّى ، كقولنا « ما الحركة ؟ » . والقسم الأول يتقدم على قسمَىْ « هل » جميعًا ، والثانى يتقدم على « هل » المركبة دون البسيطة ، فالبسيطة فى الترتيب واقعةٌ بين قسمَىْ « ما »[5] .

وقال السكاكى[6] : يُسأل بما عن الجنس[7] تقول « ما عندك ؟ » أى أىُّ أجناس

---

(١) لأنه هو الذى يراعى دقائق النكت ، ويأتى بالكلام على مقتضى المقام .

(٢) الحق أن هذا التقسيم لا يختص بهل ، لأن الهمزة مثلها فيه ، على أن البحث فيه لا شان لعلم المعانى به .

(٣) لكنه تصورٌ مَشوب بشيء من التصديق ؛ لأن هـذا شأن التصور المطلوب فى الاستفهام ، ولهذا يصح الجواب عنه أحيانًا بالتصديق ، كقوله تعالى آية ١٤ سورة الصف ﴿ كما قال عيسى ابن مريمَ للحواريينَ من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريونَ نحن أنصار الله ﴾ .

(٤) أى بيان مدلوله الإجمالى الذى يعرف منه حقيقته .

(٥) فيطلب أولاً شرح الاسم ، ثم وجود المفهوم فى نفسه ، ثم حقيقته ، ثم ما يعرض لها ، وهو الذى يُسأل عنه بهل المركبة ، وقد قال بعضهم : إن هذا الترتيب مستحب لا واجب ؛ لأنه لا مانع مثلا من طلب وجود المفهوم قبل معرفته .

(٦) ١٦٧ - المفتاح .

(٧) يعنى به الحقيقة الكلية ، فيشمل جميع أقسام ما يقال فى جواب « ما هو » من النوع والجنس والحقيقة الإجمالية والتفصيلية . كما يشمل الجنس من ذوى العلم وغيرهم .

الأشياء عندك[١] ؟ وجوابه : إنسان أو فرس أو كتاب أو نحو ذلك . كذلك تقول «ما الكلمة ؟ وما الكلام ؟ » وفي التنزيل ﴿ فما خطبكم ﴾[٢] أي أيّ أجناس الخطوب خطبكم ؟ وفيه ﴿ ما تعبدونَ من بعدى ﴾[٣] أي اى من في الوجود تؤثرونه للعبادة ؟ أو عن الوصف[٤] تقول : ما زيد ؟ وما عمرو ؟ وجوابه : الكريم أو الفاضل ونحوهما[٥] . وسؤال فرعون ﴿ وما رب العالمين ﴾[٦] إما عن الجنس لاعتقاده لجهله بالله تعالى أن لا موجود مستقلاً بنفسه سوى الأجسام ، وكأنه قال : أي أجناس الأجسام هو ؟ وعلى هذا جواب موسى عليه السلام بالوصف[٧] للتنبيه على النظرِ المؤدى إلى معرفته ، ولكن لـمّا لم يطابق السؤال عند فرعون عجّبَ الجهلة الذين حوله من قول موسى بقوله لهم ﴿ ألا تستمعون ﴾ ثم لما وجدهُ مصرًا على الجواب بالوصف إذ قال في المرة الثانية ﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ استهزأ به وجنّنه بقوله ﴿ إن رسولكم الذى أرسِل إليكم لمجنون ﴾ ، وحين رآهم موسى عليه السلام لم يفطنوا لذلك في المرتين ، غلّظ عليهم في الثالثة بقوله : ﴿ إن كنتمْ تعقلون ﴾ . وإما عن الوصف[٨] طمعًا في أن يسلك موسى عليه السلام في الجواب معه مسلك الحاضرين[٩] ولو كانوا هم المسئولين مكانه ، لشهرته بينهم برب العالمين إلى درجة

(١) في هذه العبارة تساهل من وجهين : أولهما أن « ما » يسأل بها عن جنس واحد لا عن جمع من الأجناس . فالمراد أى جنس من أجناس الأشياء عندك ؟ وثانيهما أن السؤال بما غير السؤال بأى ، ففى تفسيرها بها تساهل .

(٢) آية ٥٧ سورة الحجر .

(٣) آية ١٢٣ سورة البقرة .

(٤) هذا خلاف ما عليه علماء المنطق؛ لأن الذى يسأل به عن الوصف عندهم هو « أى »، ولعل السكاكى ينظر فى ذلك إلى أصل اللغة ، لأنها لا تمنع أن يسأل بما عن الوصف على سبيل الحقيقة أو المجاز ، والفرق بين مذهب السكاكى فى « ما » وما قيل فيها قبله أنها على ما قبله يطلب بها شرح الاسم ولو كان جزئيًا ، ولا يسأل بها عن الوصف ، أما عنده فيسأل بها عن الوصف ولا يطلب بها إلا الكلّى .

(٥) الأحسن أن يقال فى الجواب : كريم أو فاضل بالتنكير .

(٦) آية ٢٣ سورة الشعراء والآيات الآتية تقع بعدها فى الترتيب .

(٧) هو قوله تعالى ﴿ قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتمْ موقنين ﴾ .

(٨) معطوف على قوله « إما » عن الجنس .

(٩) فيجاب بأن فرعون رب العالمين مثلهم .

دعت السحرة إذ عرفوا الحق أن أعقبوا قولهم ﴿ آمنَّا برب العـــالمين ﴾[1] بقولهم : ﴿ رب موسى وهارون ﴾ نفيًا لاتهامهم أن يعنوه ، ولجهله[2] بحال موسى إذ لم يكن جمعهما قبل ذلك مجلس ، بدليل[3] : ﴿ قال أولَو جئتُك بشيء مُبين ، قال فأتِ به إن كنتَ من الصادقين ﴾[4] فحين سمع الجواب تعدَّاه عجَبَ وجنَّنَ وتفيهق بما تفهيق من قوله : ﴿ لئن اتخذت إلهًا غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾[5] .

● وأما « من » فقال السكاكى[6] هو للسؤال عن الجنس من ذوى العلم[7] تقول « من جبريل ؟ بمعنى أبشرٌ هو أم ملكٌ أم جِنّى؟»وكذا: « من إبليس ؟ ومن فلان ؟ » ومنه قوله تعالى[8] حكايةً عن فرعون : ﴿ فمن ربكما يا موسى ﴾ أى أملَكٌ هو أم بشر أم جنى ؟ مُنْكِرًا لأن يكون لهما ربٌّ سواه ، لادّعائه الربوبية لنفسه ، ذاهبًا فى سؤاله هذا إلى معنى « ألكما رب سواى ؟ » فأجاب موسى عليه السلام بقوله : ﴿ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴾ كأنه قال نعم لنا رب سواك هو الصانع الذى إذا سلكت الطريق الذى بَين بإيجاده لما أوجد وتقديره إياه على ما قدره ، واتبعت فيه الخرّيت الماهر ، وهو العقل الهادى عن الضلال ، لزمك الاعتراف بكونه ربًا ، وأنْ لا رب سواه ، وأن العبادة له منى ومنك ومن الخلق أجمع حق لا مدفع له .

وقيل : هو للسؤال عن العارض المُشخّص لذى العلم[9] ، وهذا أظهر ؛ لأنه

---

(١) آية ٤٧ ، سورة الشعراء .

(٢) معطوف على قوله « لشهرته بينهم » يعنى جهله بعلوّ شأن موسى ، والظاهر أنه فى جعل السؤال عن الوصف يكون مراده سؤال موسى عن صفة ربه ، كما أنه فى جعل السؤال عن الجنس كان مراده سؤاله عن جنسه ، وما ذكره السكاكى هنا فى غاية التكلف .

(٣) يستدل بهذا على أنهما لم يجمعهما قبل هذا مجلس .

(٤) آية ٣٠ ، ٣١ سورة الشعراء .　　(٥) آية ٢٩ سورة الشعراء .

(٦) ١٦٨ - المفتاح .

(٧) أى العقل ، والمراد بالجنس ما يشمل النوع والصنف ، لأنه يطلق عليهما فى اللغة اسم الجنس .

(٨) آية ٤٩ سورة طه .

(٩) أى العقل ، يريد بذلك ما يتعلق به من عَلَمَه ووصفه الخاص به ، فإذا قيل : من فلان ؟ ضحَّ فى جوابه (زيد) كما ذكره ، وصح أن يجاب بوصف خاص به .

إذا قيل « من فلان ؟ » يجاب بزيد ونحوه مما يفيد التشخيص ، ولا نسلّم صحةَ الجواب بنحو : بشر أو جنى كما زعم السكاكى[١].

● وأما « أيٌّ » فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما[٢] يقول القائل « عندى ثياب » تقول : « أى الثياب هى ؟ » فتطلب منه وصفًا يميزها عندك عمَّا يشاركها فى الثوبية ، وفى التنزيل : ﴿ أى الفريقين خيرٌ مقامًا ﴾[٣] أى أنحن أو أصحاب محمد عليه السلام ؟[٤] وفيه : ﴿ أيكمْ يأتينى بعرشها ﴾[٥] أى الإنسّى أم الجنىّ ؟ .

● وأما « كم » فللسؤال عن العدد ، إذا قلت « كم درهمًا لك ؟ وكم رجلاً رأيتَ ؟ » فكأنك قلتَ « أعشرونْ أو ثلاثون أم كذا كذا ؟ » وتقول : « كم درهمك؟ وكم مالك ؟ أى كم دانقًا[٦] أو كم دينارًا ؟ وكم ثوبك ؟ أى كم شبرًا أو كم ذراعًا ؟ وكم زيد ماكث ؟ أى كم يومًا أو كم شهرًا ؟ وكم رأيتك ؟ أى كم مرة ؟ وكم سرت؟ أى كم فرسخًا،أو كم يومًا ؟ قال الله تعالى: ﴿ قال قائلٌ منهم كم لبثْتُمْ ﴾[٧] أى كم يومًا أو كم ساعة ؟ وقال : ﴿ كم لبثْتُمْ فى الأرض عدد سنين ﴾[٨] وقال : ﴿ سَلْ بنى إسرائيل كم آتيناهُمْ من آية بينة ﴾[٩]ومنه قول الفرزدق :

---

(١) أما قول الشاعر :

أتوا نـــــارى فقلتُ مَنُون أنتمْ   فقالوا : الجن ، قلت عموا ظلام

فيحتمل أنه من أسلوب الحكيم ، وذلك أنه سأل عن مشخّصهم لظنه أنهم من البشر ، جابوه بذلك لتخطئته فيه ، فلا يكون إذن السؤال بها عن الجنس فى البيت ولكن لا يخفى ما فى حمل ذلك على الأسلوب الحكيم من البعد .

(٢) هو مضمون ما تضاف إليه كالثوبية فى المثال الأول ، فيكون السؤال بها عن الوصف المميز لهما ، ومثل المتشاركين المتشاركون والمتشاركات .

(٣) آية ٩٣ سورة مريم .

(٤) فى هذا تساهل ؛ لأن السؤال عن الوصف المميز لأفضل الفريقين لا عن ذات كل منهما .

(٥) آية ٣٨ سورة النمل .

(٦) يشير بهذا وما بعده إلى أن الشىء قد يكون واحدًا والتمييز لأجزائه ، وإلى أن المميز قد يحذف للعلم به .

(٧) آية ١٩ سورة الكهف .   (٨) آية ١١٢ سورة المؤمنون .

(٩) آية ٢١١ سورة البقرة .

كم عمةَ لك يا جريرُ وخالة فَدْعاء قد حَلَبتْ عليَّ عشارى[1]

فيمن روى بالنصب ، وعلى رواية الرفع تحتمل الاستفهامية والخبرية[2] .

● وأما « كيف » فللسؤال على الحال ، إذا قيل « كيف زيد ؟ » فجوابه : صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ ونحو ذلك .

● وأما « أين » فللسؤال عن المكان . إذا قيل « أين زيد ؟ » فجوابه فى الدار أو فى المسجد أو فى السوق ونحو ذلك .

● وأما « أنَّى » فتستعمل تارة بمعنى « كيف » قال الله تعالى » ﴿ فأتوا حرثكم أنَّى شئتم ﴾[3] أى كيف شئتم ، وأخرى بمعنى « من أين »[4] قال الله تعالى : ﴿أنَّى لكِ هذا ﴾[5] أى من أين لك هذا .

● وأما « متى ، وأيان » ، فللسؤال عن الزمان إذا قيل « متى جئت » ، أو أيان جئتَ ؟ » قيل : يوم الجمعة أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا ، وعن على بن عيسى الربعى : أن « أيان » تستعمل فى مواضع التفخيم[6] كقوله تعالى : ﴿ يسألُ أيان يومُ القيامة ﴾ [7]وقال تعالى : ﴿ يسألوا أيَّان يوم الدين ﴾[8] .

ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل فى معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب

---

(١) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق . والفدعاء : مشتقة من الفَدَع وهو عوج فى المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ، والعشار : جمعُ عشَراء وهى النفَساء أو الناقة التى مضى لحملها عشرة أشهر .

(٢) وعلى رواية الجر تتعين للخبرية ، وقيل : إن « كم » الخبرية تنصب المميز أيضًا .

(٣) آية ٢٣٣ سورة البقرة .

(٤) الفرق بين « أين » و « من أين » وأنَّ : أن« أين » للسؤال عن المكان الذى حل فيه الشىء ، و « من أين » للسؤال عن المكان الذى برز منه .

(٥) آية ٣٧ سورة آل عمران .

(٦) كذلك تستعمل فى الاستبعاد ، وهو الأظهر فى الآيتين ؛ لأن السؤال فيهما ممن لا يؤمن بيوم القيامة ولا بيوم الدين ، فالظاهر فى سؤاله الاستبعاد لا التفخيم .

(٧) آية ٦ سورة الحديد .

(٨) آية ١٢ سورة الذاريات .

المقام[1] منها الاستبطاء[2] نحو « كم دعوتك ؟ » وعليه قوله تعالى : ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ﴾ [3] .

ومنها التعجب[4] نحو قوله : ﴿ ما لِيَ لا أرى الهدهد ! ﴾[5] .

ومنها التنبيه على الضلال[6] نحو : ﴿ فأينَ تذهبون ﴾[7] .

ومنها الوعيد[8] كقولك لمن يسيئ الأدب : « ألم أؤدب فلانًا ؟ » ، إذا كان عالمًا بذلك ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ألمْ نهلك الأوّلين ﴾[9] .

---

(١) لأن دلالتها عليها من قبيل المجاز ، ولكل مجاز مقام يناسبه ، وإرجاع هذه المعانى إلى ما يناسبها من المقام هو الذى يجعل لها صلةَ المعانى ، وهى صلة ضعيفة كما سبق فى نحو ذلك ، وقيل : إن دلالتها على هذه المعانى من الكناية ، وقيل : إنها من مستتبعات الكلام .

(٢) دلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن الاستفهام عن عدد الدعاء مثلاً مسبب عن تكرير الدعوة ، وتكريرها مسبب عن الاستبطاء فى إجابتها .

(٣) آية ٢١٤ سورة البقرة .

(٤) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن سؤال العاقل فى الآية عن حال نفسه مثلاً يستلزم جهله به ، وجهله به يستلزم التعجب منه .

(٥) آية ٢٠ سورة النمل .

(٦) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم أيضًا ؛ لأن الاستفهام عن الطريق فى الآية مثلاً يستلزم تنبيه المخاطب إليه ، وتنبيهه إليه يستلزم تنبيهه على ضلاله فى غفلته عن ذلك الطريق وسلوكه طريقًا واضح الضلالة ، وقيل : إنه يجوز أن يكون اللفظ مستعملاً فى الاستفهام ليتوصل به إلى ذلك على طريق الكناية . وقيل : إنه يجوز أن يجعل من مستتبعات الكلام ، ولا يخفى أن الحمل على ذلك يجوز فى كل هذه المعانى كما سبق .

(٧) آية ٢٦ سورة التكوير .

(٨) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم أيضًا ؛ لأن الاستفهام فى المثال ينبه المخاطب إلى جزاء إساءة الأدب ، وهذا يستلزم وعيده لاتصافه بها .

(٩) آية ١٦ سورة المرسلات .

ومنها الأمر[1] نحو قوله تعالى[2] : ﴿ فهل أنتمْ مسلمون ﴾ ونحو : ﴿ فهل من مُدَّكر ﴾[3] .

ومنها التقرير[4] . ويشترط فى الهمزة أن يليها المقرَّر به[5] كقولك : أفعلت ؟ إذا أردتَ أن تقرره بأن الفعل كان منه ، وكقولك ، « أأنتَ فعلتَ ؟ » إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل ، وذهب الشيخ عبد القاهر والسكاكى[6] وغيرهما إلى أن قوله : ﴿ أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيمُ ﴾[7] من هذا الضرب قال الشيخ[8] : لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقرَّ بأنه منه كان ، وكيف وقد أشاروا له إلى الفعل فى قوله : ﴿ أأنت فعلت هذا ﴾ وقال عليه السلام : ﴿ بل فعله كبيرُهم هذا ﴾ ولو كان التقرير بالفعل فى قولهم : ﴿ أأنت فعلت ﴾ لكان الجواب « فعلتُ أو لم أفعل »[9] وفيه نظر ؛ لجواز أن تكون الهمزة فيه على أصلها[10] ، إذ ليس فى السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذى كسر الأصنام ، وكقولك « أزيداً ضربت ؟ » إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد .

---

(١) دلالتها عليه من باب الإطلاق والتقييد على سبيل المجاز المرسل ، لأن الاستفهام طلب الإقرار بالجواب مع سبق جهل المستفهم ، فاستعمل فى مطلق الطلب ، ثم استعمل فى الطلب على سبيل الاستعلاء وهو الأمر .

(٢) آية ١٤ سورة هود . (٣) آية ١٥ سورة القمر .

(٤) دلالتها عليه من باب الإطلاق والتقييد أيضًا ، وذلك باستعمال الاستفهام فى مطلق طلب الإقرار ، ثم طلب الإقرار من غير سبق جهل .

(٥) بخلاف « هل » فإنها للتقرير بالنسبة ، وبخلاف باقى الأدوات فإنها للتقرير بما يطلب تصوره بها .

(٦) ١٧٠ المفتاح .

(٧) آية ٦٢ سورة الأنبياء .

(٨) ص ٧٨ دلائل الإعجاز .

(٩) أى ولم يكن ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ .

(١٠) من الاستفهام ، وقد أجيب عن هذا النظر بأن قوله قبل كسرها : ﴿ لأكيدنَّ أصنامكم ﴾ وقولهم : ﴿ سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ فيهما دلالة على علمهم بأنه هو الذى كسرها ، فلا يصح حمل استفهامهم على حقيقته .

ومنها الإنكار[1] إمّا للتوبيخ بمعنى - ما كان ينبغى أن يكون[2] نحو « أعصيت ربك؟ » أو بمعنى لا ينبغى أن يكون »[3] كقولك للرجل يضيع الحق « أتنسى قديم إحسان فلان ؟ وكقولك هذا للرجل يركب الخطر : أتخرج فى هذا الوقت ؟ أتذهب فى غير الطريق ؟ والغرض بذلك تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعل مَا همَّ به . وإما للتكذيب بمعنى « لم يكن » كقوله تعالى : ﴿ أفأصْفاكمْ ربكْم بالبنين واتّخذ من الملائكة إناثًا ﴾[4] وقوله : ﴿ أصْطفى البنات على البنين ﴾[5] أو بمعنى - لا يكون ، نحو : ﴿ أنُلْزِمُكمُوها وأنتم لها كارهون ﴾[6] وعليه قول امرىء القيس[7] :

أيقتلنى والمشرفىُّ مُضاجِعى ومسنونةٌ زُرقٌ كأنياب أغوال

فيمن روى « أيقتلنى »[8] . وقول الآخر :

أأترك أن قلّتْ دراهمُ خالدٍ زيارته ؟ إنى إذن للئيمُ[9]

والإنكار كالتقرير يشترط أن يلى المنكرُ الهمزة ، كقوله تعالى : ﴿ أغير الله تدعونَ ﴾[10] ﴿ أغير الله أتخذُ وليًا ﴾[11] ﴿ أبشرًا منا واحدًا نتبعه ﴾[12] وكقوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا نُزّل هذا القرآنُ على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك ﴾[13] أى ليسوا هم المتخيَّرين للنبوة من يصلح لها ، المتولينَ لقسم رحمة

(١) دلالتها عليه من إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم ، لأن إنكار الشىء يستلزم عدم توجه الذهن إليه ، وهذا يستلزم الجهل به والجهل به يستلزم الاستفهام عنه .

(٢) إذا كان الموبخ عليه قد وقع فى الماضى .

(٣) إذا كان الموبخ عليه واقعًا فى الحال أو بصدد الوقوع فى المستقبل .

(٤) آية ٤٠ سورة الإسراء (٥) آية ١٥٣ سورة الصافات . (٦) آية ٢٨ سورة هود .

(٧) هو لحندج بن حُجر المعروف بامرىء القيس ، والمشرفى: السيف المنسوب إلى مشارف الشام ، والمسنونة : السهام المحدودة النصال ، والزرق : الصافية فى خضرة

(٨) لعل الرواية الأخرى « ليقتلنى » كما فى البيت قبله .

(٩) هو لعمارة بن عقيل ، « أن قلت » يجوز روايته « أن وإن » وتقديره على الأول لأن قلت وهو الأظهر ، والمراد بخالد : خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى .

(١٠) آية ٤٠ سورة الأنعام . (١١) آية ١٤ سورة الانعام .

(١٢) آية ٢٤ سورة القمر . (١٣) آية ٣١ ، ٣٢ سورة الزخرف .

الله التى لا يتولاها إلا هو بباهر قـــدرته وبالغ حكمتـــه ، وعدَّ الزمخشرى قوله : ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾[1] وقوله : ﴿ أفأنت تسمعُ الصُمَّ أو تهدى العمى ﴾[2] من هذا الضرب ، على أن المعنى : أفأنت تقدر على إكراههم على الإيمان ؟ وأفأنت تقدر على هدايتهم ؟ على سبيل القصر والإلجاء أى إنما يقدر على ذلك الله لا أنت . وحمل السكاكى[3] تقديم الاسم فى هذه الآيات الثلاث[4] على البناء على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر[5] فى نحو « أنا ضربت » فلا يفيد إلا تقوّى الإنكار[6] .

ومن مجىء الهمزة للإنكار نحو قوله تعالى : ﴿ أليس اللهُ بكاف عبده ﴾[7]

وقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بُطون راح[8]

أى الله كاف عبده ، وأنتم خير من ركب المطايا ، لأن نفى النفى إثبات ، وهذا مراد من قال إن الهمزة فيه للتقرير، أى للتقرير بما دخله النفى لا للتقرير بالانتفاء[9] .

وإنكار الفعل مختص بصورة أخرى[10] وهى نحو قولك « أزيدًا ضربت أم عمراً ؟ » لمن يدعى أنه ضرب إما زيدًا وإما عمراً دون غيرهما ، لأنه إذا لم يتعلق الفعل

---

(١) آية ٩٩ سورة يونس . (٢) آية ٤٠ سورة الزخرف . (٣) ١٧٠ ، ١٧١ المفتاح .

(٤) هى آية ﴿ أهم يقسمون ﴾ والآيتان بعدها .

(٥) أى فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٦) على هذا لا يكون للتخصيص كما ذهب إليه الزمخشرى .

(٧) آية ٣٦ سورة الزمر .

(٨) هو من قصيدة له فى مدح عبد الملك بن مروان ، وأندى أفعل تفضيل من الندى ، والراح : واحده راحة وهى باطن الكف ، ويجوز أن يراد بها الكف على سبيل المجاز كما فى البيت ، بقرينة إضافة بطون إليها .

(٩) لأن التقرير فى مثل هذا لا يجب أن يكون بالحكم الذى دخلت الهمزة عليه ، وإنما يكون بما يعرفه المخاطب فيه من إثبات أو نفى ، كقوله تعالى آية ١١٦ سورة المائدة ﴿ أأنت قلت للنّاس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ﴾ .

(١٠) هذه الصورة لا يكون الفعل فيها واليًا للهمزة كالصور السابقة ، ومع هذا يكون هو المنكر : وهذه الصورة . أبلغ فى نفى الفعل كما سيأتى تقريره .

ـما والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة، وعليه قوله تعالى : ﴿ قل آلذكرين حرَّم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحامُ الأنثيين ﴾[1] أخرج اللفظ مُخرجه إذا كان قد ثبت تحريم فى أحد الأشياء ثم أريد معرفة عين المحرّم ، مع أن المراد إنكار التحريم من أصله . وكذا قوله ﴿ آللهُ أذن لكم ﴾[2] إذ معلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذن فيما قالوه ، من غير أن يكون هذا الإذن قد كان من غير الله فأضافوه إلى الله ، إلا أن اللفظ أخرج مُخرجه إذا كان الأمر كذلك ، ليكون أشد لنفى ذلك وإبطاله . فإنه إذا نفى الفعل عما جُعِل فاعلاً له فى الكلام ولا فاعل له غيره لزم نفيه من أصله .

قال السكاكى رحمه الله[3] « وإياك أن يزول عن خاطرك التفصيل الذى سبق[4] فى نحو : أنا ضربت ، وأنت ضربت ، وهو يضرب - من احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت المعنى فى الوجهين ، فلا تحمل نحو قوله تعالى : ﴿ آلله أذَن لكم ﴾ على التقديم ، فليس المراد أن الإذن يُنكر من الله دون غيره[5] ، ولكن احمله على الابتداء مرادًا منه تقوية حكم الإنكار » وفيه نظر ، لأنه إن أراد أن نحو هذا التركيب - أعنى ما يكون الاسم الذى يلى الهمزة فيه مظهراً لا يفيد توجُّه الإنكار إلى كونه فاعلاً للفعل الذى بعده فهو ممنوع[6] ، وإن أراد أنه يفيد ذلك إن قدّر تقديم وتأخير وإلا فلا على ما ذهب إليه فيما سبق، فهذه الصورة مما منع هو ذلك فيه على ما تقدم[7] .

---

(١) آية ١٤٣ سورة الأنعام .

(٢) آية ٥٩ سورة يونس .

(٣) ١٧١ : المفتاح .

(٤) أى فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٥) لأنه بهذا يكون مفيدًا للتخصيص ، وليس مرادًا .

(٦) لأن المعنى على هذا قطعًا فى المظهر والمضمر .

(٧) لأن البناء فيها على المظهر فلا تحتمل تقدير التقديم والتأخير ، والحق أن السكاكى لا يخالف غيره فى توجه الإنكار فى الآية إلى الفاعل على أن المراد منه إنكار الفعل ، وإنما ينكر أن يكون التقديم فى ذلك للتخصيص ، وهذا موافق لمذهبه السابق فى الفرق بين البناء على المضمر والبناء على المظهر ، وما ذكره فى منع تقدير التقديم هنا لا يمنع أنه ممنوع عنده أيضًا لأن البناء فيه على المظهر .

لا يقال : قد يلى الهمزة غير المنكَـر فى غير ما ذكرتم ، كما فى قوله :

* أيقتلنى والمشرفى مضاجعى[1] *

فإن معناه أنه ليس بالذى يجىء منه أن يقتل مثلى[2] بدليل قوله :

يغطُّ غطيطَ البكر شُدَّ خناقه ليقتلنى والمرءُ ليس بقتالِ[3]

لأنا نقول : ليس ذلك معناه ، لأنه قال « والمشرفى مضاجعى » فذكر ما يكون منعًا من الفعل ، والمنع إنما يحتاج إليه مع من يتصور صدور الفعل منه دون من يكون فى نفسه عاجزًا عنه .

ومنها التهكم[4] نحو : ﴿ أصلاتك تأمُرك أن نترك ما يعبُد آباؤنا أو أن نفعلَ فى أموالنا ما نشاء ﴾[5].

ومنها التحقير[6] كقولك : مَن هذا ؟ وما هذا ؟ .

ومنها التهويل[7] كقراءة ابن عباس[8] ﷺ : ﴿ ولقد نجَّينا بنى إسرائيل من

(١) أنظر ص ٤٦ .

(٢) فيكون لإنكار الفاعل لا الفعل .

(٣) هذا البيت قبل البيت السابق ، والبكر : الفتى من الإبل ، وغطيطه : هديره فى شقشقته ، والخناق : ما يختنق به من حبل ونحوه .

(٤) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم ؛ لأن الاستفهام عن الشىء يستلزم الجهل به ، وبفائدته ، والجهل بذلك يستلزم التهكم به .

(٥) آية ٨٧ سورة هود .

(٦) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم ؛ لأن الاستفهام عن الشىء يستلزم الجهل به ، والجهل به يستلزم تحقيره ، والفرق بين التحقير والتهكم أن التهكم قد يكون بمن هو عظيم فى نفسه بخلاف التحقير ، ومن التحقير قول الشاعر :

مِن أية الطُّرق يأتى نحوك الكرمُ أين المحاجم يا كافور والجَلَمُ

(٧) دلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب ؛ لأن الاستفهام عن الشىء ينشأ عن الجهل به ، والجهل به ينشأ عن كونه هائلاً لا يدرَك كنهه .

(٨) آية ٣٠ ، ٣١ سورة الدخان .

العذاب المُهين . ﴿مِن فرعونَ﴾ بلفظ الاستفهام ، لمَّا وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدته وفظاعة شأنه أراد أن يصور كنهه فقال : ﴿من فرعون﴾ أى أتعرفون من هو فى فرط عتوه وتجبره ؟ ما ظنكم بعذابٍ يكون هو المعذِّب به ؟ ثم عرَّف حاله بقوله . ﴿إنه كان عالياً من المسرفين﴾ .

ومنها الاستبعاد[1] نحو : ﴿أنَّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبينٌ . ثمّ تولوا عنه وقالوا معلَّمٌ مجنون﴾[2].

ومنها التوبيخ والتعجيب جميعاً[3] كقوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتُكم ثم يُحيِيكم ثم إليه ترجعون﴾[4] أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة ؟ أما التوبيخ فلأن هذه الحال تأبى ألاَّ يكون للعاقل علم بالصانع ، وعلمه به يأبى أن يكفر . وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ، ونظيره : ﴿أتأمرون الناسَ بالبرّ وتنسون أنفُسكم وأنتم تتلون الكتابَ﴾[5].

* * *

(١) دلالتها عليه كدلالتها على الاستبطاء السابق للقرب بين معنييهما ، والفرق بينهما أن الاستبطاء يتوقَّع ما يتعلق به بخلاف الاستبعاد .

(٢) آية ١٣ ، ١٤ سورة الدخان .

(٣) دلالتها عليهما كدلالتها على الإنكار من إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم ؛ لأنهما يستلزمان إنكار الموبخ عليه والمتعجَّب منه ، وإنكارهما يستلزم عدم توجه الذهن إليهما ، وهذا يستلزم الجهل بهما ، والجهلُ بهما يستلزم الاستفهام عنهما .

هذا ولا يخفى أنَّ البحث هنا عن الاستفهام وأدواته كالبحث عن التمنى وأدواته ، فليس له كبير علاقة بعلم المعانى ، ولا وجه للاشتغال به فيه .

(٤) آية ٢٨ سورة البقرة .

(٥) آية ٤٤ سورة البقرة .

تمرينات على التمنى والاستفهام

تمرين – ١

(١) لماذا آثر الشاعر فى التمنى « ليت » على غيرها فى قوله :

ليتَ الكواكب تدنو لى فأنظِمَها

عُقودَ مدحٍ فما أرْضَى لكم كَلِمِى

(٢) لماذا أوثرت « لو » فى التمنى على « ليت » فى قوله تعالى : آية ١٠٢ سورة الشعراء ﴿ فلو أنَّ لنا كرَّةً فنكونَ من المؤمنين ﴾ .

تمرين – ٢

(١) بيّن ما تدل عليه « هل » فى قوله تعالى حكايةً عن أهل النار آية ٤٤ سورة الشورى ﴿ هل إلى مَرَدٍ من سبيل ﴾ ؟ وما الداعى إلى إيثارها على غيرها فيه ؟ .

(٢) بين معنى الاستفهام فى قول الشاعر :

أضاعونى وأىَّ فتًى أضاعوا ... لِيوم كريهةٍ وسدادِ ثغر

تمرين – ٣

(١) هل الإنكار بالاستفهام فى البيت الآتى للتوبيخ أو للتكذيب ؟ وهل المقصود به الفعل أو غيره ؟ .

أعندى وقد مارستُ كلَّ خفيَّة ... يُصدَّق واشٍ أو يُخيَّبُ سائلُ

(٢) بيِّن ما يدلُّ عليه الاستفهام فى قول الشاعر :

فدَعِ الوعيدَ فما وعيدُك ضائرى ... أطنينُ أجنحةِ الذُّباب يُضيرُ

تمرين – ٤

(١) بيّن معنى « هل » فى قول الشاعر :

هَلِ الدَّهْرُ إلا ساعةٌ ثم تنقضى ... بما كان فيها مِن بَلاءٍ ومِن خَفَضِ

(٢) بين معنى « ليت » فى قول الشاعر :

فليتَ لى بهمْ قوماً إذا ركبوا ... شنُّوا الإغارةَ فرساناً وركبانا

الأمـــــر

الأمر : ومن أنواع الإنشاء الأمر ، والأظهر أن صيغته من المقترنة باللام نحو : « لِيَحْضر زيد » وغيرها ، نحو « أكرم عمراً » و« رويد بكراً » موضوعة لطلب الفعل استعلاء ، لتبادُر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة ، قال السكاكى[1] : ولإطباق أئمة اللغة على إضافتها إلى الأمر بقولهم « صيغة الأمر ومثال الأمر ولام الأمر » وفيه نظر لا يخفى على المتأمل[2] .

ثم إنها – أعنى صيغة الأمر – قد تستعمل فى غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام[3] كالإباحة[4] كقولك فى مقام الإذن « جالسِ الحسن أو ابنَ سِيرين » . ومن أحسن ما جاء فيه قول كُثير :

أسيئى بنا أو أحسنى لا مَلومةٌ لدينا ولا مقليةٌ إن تقلتِ[5]

أى لا أنت ملومة ولا مقلية ، ووجه حسنه إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب ، أى مهما اخترت فى حقى من الإساءة والإحسان فأنا راض به غاية الرضا ، فعاملينى بهما وانظرى هل تتفاوت حالى معك فى الحالين ؟

---

(١) ١٧١ – المفتاح .

(٢) لأن ائمة اللغة لا يريدون بالأمر فى هذا طلب الفعل استعلاءً ، وإنما يريدون الأمر فى نحو : قم وليقم ، ولو لم يكن على جهة الاستعلاء ، لأنهم يقولون ذلك فى مقابلة الماضى والمضارع .

(٣) استعمالها فى ذلك مجاز إن منعت قرينة من إرادة الأمر وإلا فكناية وتبعية ذلك للمقام هى التى تجعل له صلةً بعلم المعانى ، وهى صلة لا تقتضى ذكره فيه كما سبق فى التمنى والاستفهام .

(٤) استعمالها فيها يكون فى مقام يتوهم السامع فيه حظر شىء عليه ، لاشتراكها هى والأمر فى مطلق الإذن ، فهو مجاز مرسل من إطلاق اسم الأخص على الأعم .

(٥) هو لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزّة ، والخطاب لعزة محبوبته ، وملومة : خبر مبتدأ تقديره لا أنت ملومة ، والمقلية : اسم مفعول من القلى وهو البغض ، وقوله « تقلت » فعل ماض منه مسند إلى ضمير المؤنث المستتر ، وأصله « تقلّيتْ » فالتفت من الخطاب إلى الغيبة ، ومفعوله محذوف أى تقلّتنا .

والتهديد[1] كقولك لعبد شتم مولاه وقد أدبته : « اشتم مولاك » . وعليه قوله تعالى ﴿ اعمَلوا ما شئْتمُ ﴾[2].

والتعجيز[3] كقولك لمن يدَّعى أمرًا تعتقد أنه ليس فى وسعه : « افعله » وعليه ﴿ فأتُوا بسُورةٍ من مثْله﴾[4].

والتسخير[5] نحو : ﴿ كُونوا قردةً خاسئين ﴾[6].

والإهانة[7] نحو : ﴿ كُونوا حجارةً أو حديدًا﴾[8] وقوله تعالى : ﴿ ذُقْ إنك أنت العزيزُ الكريم ﴾[9] .

والتسوية[10] كقوله تعالى : ﴿ أنفقوا طوعًا أو كرهًا لن يُتقبَّل منكم ﴾[11] وقوله تعالى : ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا ﴾[12] .

---

(١) تستعمل فيه صيغة الأمر فى مقام عدم الرضا بالمأمور به ، واستعمالها فيه مجاز لعلاقة شبه التضاد بينه وبين الأمر .

(٢) آية ٤٠ سورة فصلت .

(٣) تستعمل فيه صيغة الأمر فى مقام إظهار عجز مَن يدعى القدرة على ما يعجز عنه ، واستعمالها فيه لعلاقة شبه التضاد أيضًا .

(٤) آية ٢٣ سورة البقرة .

(٥) تستعمل فيه صيغة الأمر فى مقام انقياد المأمور للأمر من غير قدرة له فيه ، واستعمالها فيه لعلاقة المشابهة بينه وبين الأمر فى مطلق الإلزام .

(٦) آية ٦٥ سورة البقرة .

(٧) تستعمل فيها صيغة الأمر فى مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور ، واستعمالها فيها لعلاقة اللزوم ؛ لأن طلب الشىء من غير قصد حصوله لعـدم القدرة عليه مع خسته يستلزم إهانة المأمور ، والفرق بين الإهانة والتسخير أن الإهانة لا يحصل فيها المأمور به بخلاف التسخير .

(٨) آية ٥٠ سورة الإسراء .

(٩) آية ٤٩ سورة الدخان .

(١٠) تستعمل فيها صيغة الأمر فى مقام توهم رجحان أحد الأمرين على الآخر ، واستعمالها فيه لعلاقة التضاد بينها وبين الأمر ، وقيل : إن صيغة التسوية خبر لا إنشاء .

(١١) آية ٥٣ سورة التوبة .

(١٢) آية ١٦ سورة الطور .

والتمنى[1] كقول امرىء القيس :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ[2]

والدعاء : إذا استُعملت فى طلب الفعل على سبيل التضرع[3] نحو : ﴿ رب اغفر لى ولوالدىَّ ﴾[4].

والالتماس : إذا استعُملت فيه على سبيل التلطف[5] كقولك لمن يساويك فى الرتبة : « افعل » بدون الاستعلاء .

والاحتقار[6] نحو : ﴿ ألقوا ما أنتمْ مُلْقون ﴾[7].

ثم الأمر : قال السكاكى[8] : « حقُّه الفَوْرُ ؛ لأنه الظاهر من الطلب ، ولتبادر الفهم عند الأمر بشىء بعد الأمر بخلافه إلى تغيير الأمر الأول دون الجمع وإرادة التراخى ، والحقُّ خلافه لما تبين فى أصول الفقه[9].

* * *

---

(١) تستعمل فيه صيغة الأمر فى مقام طلب شىء محبوب لا قدرة للطالب عليه ، ممالها فيه لعلاقة التضاد أيضًا .

(٢) هو لحندج بن حُجْر المعروف بامرىء القيس من قوله :

ألا أيها الليل ألا انجل بصبح وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ

وقوله « انجل » بمعنى انكشف ، والأمثل : الأفضل ، وإنما طلب انجلاء الليل مع هذا لأن فى تغير الزمن راحة على كل حال .

(٣) هو طلب الأدنى من الأعلى ، وقيل : إن استعمال صيغة الأمر فيه حقيقة لا مجاز ، وكذلك استعمالها فى الالتماس .

(٤) آية ٢٨ سورة نوح . (٥) هو الطلب مع المساواة .

(٦) هو قريب من الإهانة أو هما بمعنى واحد .

(٧) آية ٤٣ سورة الشعراء .

(٨) ١٧٢ المفتاح .

(٩) الحق أنه لا معنى لذكر مثل هذا هنا ؛ لأنه منْ خلط مسائل علم بمسائل علم آخر .

النَّهْـــــــىُ

ومنها النهى ، وله حرف واحد وهو « لا » الجازمة فى قولك « لا تفعلْ » وهو كالأمر فى الاستعلاء ، وقد يستعمل فى غير طلب الكفّ أو الترك[1] كالتهديد[2] كقولك لعبد لا يمتثل أمرك « لا تمتثل أمرى » .

واعلم أن هذه الأربعة - أعنى التمنى والاستفهام والأمر والنهى - تشترك فى كونها قرينة دالة على تقدير الشرط بعدها[3] كقولك « ليت لى مالاً أنفقْه » أى أن أرزقه ، وقولك « أين بيتك أزرْك » أى إن تعرّفْنيه ، وقولك : « أكرمنى أكرمْك » أى إن تكرمنى ، قال : ﴿ فتهبْ لِى منْ لدنك وليًّا يرثنى ﴾[4] بالجزم ، فأما قراءة

---

(١) يشير بهذا إلى الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة فى أن المطلوب فى النهى الكف أو الترك ، وهو خلاف أصولى لا معنى لذكره هنا .

(٢) استعمال النهى فيه مجاز مرسل علاقته السببية ؛ لأن النهى عن الشىء يترتب عليه التخويف على مخالفته .

وقد يستعمل النهى فى الدعاء ، كقوله تعالى آية ٢٨٦ سورة آل عمران ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا ﴾ وفى الالتماس : كقول الشاعر :

لا تطويا السر عنى يوم نائبة ... فإنَّ ذلك ذنب غير مغتفَر

وفى التمنى كقول الشاعر :

يا ليلُ طُلْ ، يا نوم زُلْ ... يا صبح قِفْ لا تَطْلَعِ

وفى الإرشاد ، كقول بشار :

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافى قوةٌ للقـــــــــوادم

وذكر النهى فى علم المعانى كذكر التمنى والاستفهام والأمر .

(٣) وجه ذلك أن الحـــامل على الطلب إما كون المطلوب مقصودًا لذاته أو لغيره لتوقفه عليه ، أى على ذلك المطلوب ، فإذا كان مقصودًا لغيره وذكره بعده : تبادر إلى الذهن أن المطلوب شرط فيه ، فيكون الطلب متضمنًا لشرطه ومغنيًا عن ذكره ، ولا يخفى أن ذكر هذا فى باب الإيجاز الآتى أليق من ذكره هنا .

(٤) آية ٥ سورة مريم .

الرفع فقد حملها الزمخشرى على الوصف[1] ، وقال السكاكى[2] الأولى حملها على الاستئناف دون الوصف لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما السلام، وأراد بالاستئناف أن يكون جواب سؤال مقدر تضمنه ما قبله، فكأنه لما قال : ﴿ فهب لى من لدنك وليًا ﴾ قيل : ما تصنع به ؟ فقال (يرثنى) فلم يكن داخلاً فى المطلوب بالدعاء[3] . وقولك « لا تشتم يكن خيرًا لك » أى إن لا تشتم .

وأما العرْض كقولك لمن تراه لا ينزل « ألا تنزل تُصبْ خيرًا أى إن تنزل ، فموَلّد من الاستفهام[4] وليس به ، لأن التقدير أنه لا ينزل فالاستفهام عن عدم النزول طلب للحاصل وهو محال .

وتقدير الشرط فى غير هذه المواضع لقرينة جائز أيضًا ، كقوله تعالى : ﴿ فاللهُ هوَ الولىُّ ﴾ أى إن أرادوا أولياء بالحق فالله هو الولىُّ بالحق لا ولىَّ سواه[5] وقوله : ﴿ ما اتخَذ الله منْ ولدٍ وما كان معه من إلهِ إذنْ لذهب ﴾[6] أى لو كان معه إله إذن لذهب .

* *

---

(١) أى للنكرة قبله

(٢) ١٧٢ الفتاح .

(٣) فلا يقدح تخلفه فى دعائه عدم إرثه له مع أنه نبى مستجاب الدعاء . أو قد أجاب عن ذلك من حملها على الوصف بأن المراد بالإرث إرث العلم والنبوة ، وقد حصلا ليحيى فورث قبل موته أباه فيهما .

(٤) فهو مثله فى كونه قرينة دالة على شرط ، والترجّى فى ذلك أيضًا مثل التمنى ، والدعاء ونحوه مثل الأمر والنهى .

(٥) لأنه من قوله تعالى : آية ٩ سورة الشورى ﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى ﴾ وقيل : إن قوله : ﴿ أم اتخذوا ﴾ إنكار وتوبيخ بمعنى أنه لا ينبغى لهم أن يتخذوا من دونه أولياء لأن الله هو الولى ، فتكون الفاء للتعليل لا للشرط ، وهو ضعيف لأن المألوف فى ذلك أن يقال -. والله هو الولى - كما يقال - أتضرب زيدًا وهو أخوك ؟ .

(٦) آية ٩١ سورة المطففين . وتمام الآية : ﴿ لذهب كلُّ إله بما خلقَ ﴾ .

النـــــــداء

ومنها النداء[١] وقد تستعمل صيغه فى غير معناه ، **كالإغراء فى قولك لمن أقبل يتظلم[٢]: يا مظلوم** .

والاختصاص[٣] فى قولهم « أنا أفعل كذا أيها الرجل[٤] ونحن نفعل كذا أيها

---

(١) هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو وهو « يا » أو إحدى أخواتها ، ودلالة النداء على الطلب التزامية ؛ لأنه بمقتضى تعريفه فى معنى « أدعو » وهو فعل مضارع لا أمر ، ولكن الدعاء يتضمن طلب الإقبال ، فلهذا جعل النداء من أقسام الطلب ، وقيل : إنه مجرد تنبيه لا طلب فيه ، وقيل : إنه بمعنى « أقبل » فيدل على الطلب مطابقة لا التزامًا .

(٢) بهذا لا تكون « يا » فى ذلك للنداء لأن الإقبال حاصل فلا معنى لطلبه ، بل يكون المراد بها الإغراء على طلب الأمر الذى ينادى له . واستعمال النداء فى الإغراء مجاز مرسل علاقته الإطلاق والتقييد .

(٣) استعمال النداء فيه مجاز مرسل علاقته كعلاقة الإغراء ، وهو فى الحقيقة صورة نداء كما سيأتى .

(٤) يريد بالرجل نفسه ، فهو فى الحقيقة صورة نداء لا نداء ، ولكن أداة الاختصاص لما كثر استعمالها مع أدوات النداء نزلت منزلتها ، وقيل إن الاختصاص نداء حقيقى لا مجازى ؛ لأنه لا مانع من نداء الشخص نفسه ، كما قال عمر ﷺ : كل الناس أفقه منك يا عمر . فنادى نفسه : وقد تستعمل صيغة النداء فى الاستغاثة ، كقول الشاعر :

يا للرجال ليـــوم الأربعاء أما ينفكّ يحدث لى بعد النهى طربًا

وفى التعجب ، كقول الشاعر :

يا لك من قُنبــــــرة بمعمر خلا لكِ الجوُّ فبيضى واصفــــرى

وفى التحسر والتوجع ، كقول الشاعر :

أيا منازلَ سلمى أينَ سلــماكِ من أجل هذا بكيناهـــا بكيناكِ

وذكر النداء فى علم المعانى كذكر التمنى والاستفهام والأمر والنهى ، ومما له صلة وثيقة منه بعلم المعانى استعمال نداء القريب فى البعيد وبالعكس لتنزيل كل منهما منزلة الآخر ، كما قيل فى نداء القريب المنزَّل منزلة البعيد :

يأيها السادر المزوَرُّ من صَلَفٍ مهلاً فإنك بالأيام منخدعُ

وكما قيل فى نداء البعيد المنزل منزلة القريب :

أسكانَ نعمان الأراك تيقنوا بأنكم فى رَبع قلبىَ سكانُ

القوم ، واغفر اللهمّ لنا أيتها العصابة » أى متخصصًا من بين الرجال ، ومتخصصين من بين الأقوام والعصائب .

ثم الخبر قد يقع موقع الإنشاء(١) إما للتفاؤل أو لإظهار الحرص فى وقوعه كما مر(٢) والدعاء بصيغة الماضى من البليغ يحتمل الوجهين(٣) ، أو للاحتراز عن صورة الأمر ، كقول العبد للمولى إذا حوَّل عنه وجهه « ينظر المولى إلىَّ ساعةً » أو لحمل المخاطب على المطلوب ، بأن يكون المخاطب ممن لا يحب أن يكذّب الطالب(٤) أو لنحو ذلك(٥).

* * *

---

(١) استعمال الخبر إذا كان ماضيًا فى الطلب مجازٌ مرسل علاقته الضدية ، أو استعارة بتشبيه غير الحاصل بالحاصل للتفاؤل أو الحرص على وقوعه ، واستعماله إذا كان مستقبلاً فى الطلب مجاز أيضًا ، ويجوز أن يكون كناية بجعل حصول الفعل فى المستقبل لازمًا لطلبه فى الحال، ثم يطلق اللازم ويراد الملزوم ، وقيل : إنه لا يصح أن يكون كناية ، لأنه عليها يكون خبرًا لفظًا ومعنًى مع أنه قد جعل إنشاءً بصيغة الخبر .

(٢) فى الكلام على الشرط فى باب المسند .

(٣) يعنى التفاؤل ، وإظهار الحرص فى الوقوع . ومن ذلك قول الشاعر :

إن الثمانين - وبلغتها - قد أحوجتْ سَمْعِى إلى ترجمان

(٤) كأن تقول لصاحبك « تأتينى غدًا » بدل ائتنى ، لتحمله بلطف على الإتيان ، لأنه إذا لم يأتك صرت كاذبًا وهو لا يحب تكذيبك .

(٥) كالتنبيه على سرعة الامتثال فى قولك « أخذت عليكم عهدًا لا تختلفون فى أمركم » مكان (لا تختلفوا) .

وقد يقع الإنشاء موقع الخبر لأغراض : منها الاهتمام بالشىء ، كقوله تعالى : آية ٢٩ سورة الأعراف ﴿ قلْ أمرَ ربّى بالقسط وأقيمُوا وجوهكم عندَ كل مسجدٍ ﴾ ومنها الرضا بالواقع حتى كأنه مطلوب كقوله ﷺ : « من كذَبَ علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار » . ومنها الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق ، كقوله تعالى : آية ٥٤ سورة هود ﴿ قالَ إنى أشهدُ اللهَ واشهدُوا أنّى برىءٌ مما تشركونَ منْ دونهِ ﴾ .

ولا يخفى أن مثل هذا يمكن ذكره فى أحوال الإسناد الخبرى .

تنبيـــــه

ما ذكرناه فى الأبواب الخمسة السابقة ليس كله مخصصًا بالخبر ، بل كثير منه حُكْم الإنشاء فيه حكمُ الخبر[1] يظهر ذلك بأدنى تأمل ، فليعتبره الناظر .

* * *

(١) كالذكر والحذف ونحوهما ، وقليل منه يختلف فيه حكم الإنشاء والخبر كالتأكيد ونحوه ، فإنه لا يكون فى الإنشاء للشك أو الإنكار من المخاطب ، وإنى أرى أن ذلك الكثير هو الذى يعد فى الإنشاء من علم المعانى ، أما الكلام على أنواعه فهو قليل الجدوى فيه ، فالأحسن الاستغناء عن هذا الباب من أبوابه ، وأن يلحق ما ذكره فيه بما يليق به من علم البيان وغيره .

تمرينات على الأمر والنهى والنداء

تمرين – ١

(١) ما يراد بالنهى فى قول الشاعر ؟ .

لا تحسب المجدَ تمرًا أنت آكِلُهُ لن تبلغ المجدَ حتى تلعق الصبرا

(٢) ما يراد بالأمر فى قول الشاعر؟ :

أرينى جوادًا مات هُزلاً لعلنى أرى ما ترين أو بخيلا مُخلَّدا

تمرين – ٢

(١) ما يراد بالنداء فى قول الشاعر ؟ :

يا درّة نُزعتْ من تاج والدها فأصبحتْ حليةٌفى تاج رضوان

(٢) لماذا أتّى بنداء القريب فى قول الشاعر ؟ : .

أأبىٌّ لا تبعدْ وليس بخالدٍ حىٌّ ومَن تصب المُنونُ بعيدُ

تمرين – ٣

(١) لأى شىء استعمل الأمر باللام فى قوله تعالى : آية ٩ سورة النساء ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهِم ذرّيةً ضعافًا خافوا عليهم ﴾ ؟ .

(٢) لماذا أتى بنداء البعيد فى قوله تعالى : آية ٧٧ سورة الزخرف ﴿ ونادْوا يا مالك ليقضِ علينا ربُّك قالَ إنكمْ ماكثونَ ﴾ وما يراد بالأمر فيه ؟

تمرين – ٤

(١) لماذا عبَّر بالخبر عن الطلب فى قوله تعالى : آية ٨٤ سورة البقرة ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكمْ لا تسفِكونَ دماءكم ولا تخرِجون أنفسكمْ من دياركم ﴾ ؟ .

(٢) ما يراد بالأمر فى قول الشاعر :

أولئك آبائى فجِئْنى بمثلهمْ إذا جمعتْنا يا جريرُ المجامعُ

القول فى الوصل والفصل

تعريف الوصل والفصل :

الوصلُ عطفُ بعضُ الجمل على بعض ، والفصل تركه[1] . وتمييز موضع

(١)جرى الخطيب فى جعل كل من الوصل والفصل خاصًا بالجمل على ما جرى عليه عبد القاهر فى « دلائل الإعجاز » والعلوى « فى الطراز » وابن قيم الجوزيَّة فى « الفوائد » بل الذى جرى عليه علمـاء البلاغة أن كلاً منهما خاص بالعطف بالواو وتركه دون غيره من حروف العطف . وبالجمل التى لا محل لها من الإعراب ؛ لأن دقة الوصـل والفصل إنما تظهر فى ذلك ، أما عطف المفرد على المفرد فإنه يأتى للتشريك فى الحكم ، فأمره سهل ، وكذلك الجمل التى لها محل من الإعراب لوقوعها موقع المفرد ، ومثلها العطف بغير الواو لانه يأتى لمعانبه النحوية المعروفة ، وليس كذلك العطف بالواو فى الجمل التى لا محـل لها من الإعراب ، لأنك إذا قلت - زيد قائم ، وعمرو قاعد - لم يكن معك حكم تدَّعى أن الواو أشركت بين الجملتين فيه ، فيشكل فى ذلك أمرها ، وتحتاج إلى اعتبار آخر من الاعتبارات الآتية ، وظاهر كلام عبد القاهر أن واو الوصل يؤتى بها لاعتبارات الوصل فقط ، وأنها تفيد من ذلك غير ما تفيده واو العطف .

وقد ذهب السكاكى إلى أن كلاً من الوصل والفصل يأتى فى عطف الجمل والمفردات ، وفى العطف بالواو وغيره من حروف العطف ، وأن المعوَّل عليه فى ذلك هو الجهة الجامعة ، فمتى وُجدت صح العطف فى الجمل وغيرها ، كما تقول « الشمس والقمر والسماء والأرض والجن والإنس كل ذلك محدث » ومتى فقدت امتنع العطف ، فلا تقول « الشمس ومرارة الأرنب ودين المجوس كلها محدثة . وقد انتصر للسكاكى فى هذا بعض مؤلفى عصرنا ، والحق ما جرى عليه عبد القاهر وغيره ، لأنه إذا كان هناك اشتراك فى الحكم بين المفردات وأردت أن تخبر عنه لم يجز أن يمنعك من ذلك فقدُ الجهة الجامعة بينها ، وقد يُشتبه فى ذلك بما حكى عنُ نُصَيب أنه اجتمع بالكُمَيت فأنشده :

أمْ هل ظعـائنُ بالعلياء واقعةٌ   وإن تكامل فيها الدَّل والشنبُ

فعقد نصيب واحدة ، فقال الكميت : ماذا تحصى ؟ فقال : خطأك ، فإنك تباعدت فى القول ، أين الدل من الشنب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمَّة :

لمياء فى شفتيها حُوَّة لعَسٌ   وفى اللثات وفى أنيابها بَرَدُ

فالدل يذكر مع الغنج وما أشبهه ، والشنب يذكر مع اللعس وما أشبهه ، ولكن ما ذكره نصيب يرجع إلى محسّن بديعى يسمى مراعاة النظير . وعلم المعانى لا شأن له بالمحسنات البديعية ، ولهذا لم يعطف ذو الرمة (حوة) على (لعس) مع المناسبة بينهما .

أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة . وهو فن منها عظيم الخطر ، صعب المسلك ، دقيق المأخذ ، لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علمًا بكُنهه إلا من أوتِيَ فى فهم كلام العرب طبعًا سليمًا ، ورزق فى إدراك أسراره ذوقًا صحيحًا ؛ ولهذا قصر بعض علماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل ، وما قصرها عليه لأن الأمر كذلك[1] ، وإنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه ، وأن أحدًا لا يكمل فيه إلا كمل فى سائر فنونها ، فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه فى البيان ، فنقول والله المستعان :

أحوال الوصل والفصل للاشتراك فى الحكم :

إذا أتت جملة بعد جملة فالأولى منهما إما أن يكون لها محل من الإعراب أو لا ، وعلى الأولى إن قُصد التشريك بينها وبين الثانية فى حكم الإعراب عُطفتْ عليها[2] . وهذا كعطف المفرد على المفرد[3] لأن الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، فكما يشترط فى كون العطف بالواو ونحوه[4] مقبولاً فى المفرد أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة[5] كما

(١) أى لأن الأمر فى البلاغة مقصور على معرفة الوصل والفصل ، لأنه لا يقتصر عليها ، بل يشمل الإيجاز ونحوه من فنونها .

(٢) أى وجوبًا .

(٣) فإنه واجب عند قصد التشريك ، ولكن يجوز تركه فى الأخبار والصفات المتعددة ، وقد بين هذا فى علم النحو .

(٤) قيل : إنه يريد بنحو الواو ما يدل على التشريك، كالفاء ، وثم ، وحتى ، ورُدّ بأن هذا الحكم مختص بالواو ؛ لأن لكل من الفاء وثم وحتى معنى محصلاً غير التشريك ، فإن تحقق هذا المعنى حسن العطف وإن لم توجد جهة جامعة : كما تقول « إن تخرج من المنزل فتمطر السماء تبتلّ » أما الواو فلا بد فيه من تلك الجهة ، وقيل إنه يريد بنحو الواو ما يأتى بمعناه من حروف العطف ، وذلك نحو « أو» فى قول توبة :

وقد زعمتْ ليلى بأنّى فاجـــر   لنفسى تُقاها أو عليها فجورها

وربما يؤيد هذا ما سيأتى من تفرقته بين الواو وغيره فى عطف الجمل التى لا محل لها من الإعراب .

(٥) المراد بالجهة الجامعة الجامع الآتى بيانه،واشتراط ذلك فى عطف المفرد على المفرد إنما يوافق مذهب السكاكى،ولا يوافق ما سبق له فى تعريف الوصل والفصل من تخصيصها بالجمل .

فى قوله تعالى[١] : ﴿ يَعلمْ ما يلِج فى الأرض وما يخرُج منها وما ينزل من السماء وما يعرجُ فيها ﴾ يشترط فى كون العطف بالواو ونحوه مقبولا فى الجملة ، ذلك كقولك « زيد يكتب ويشعر ، أو يعطى ويمنع » وعليه قوله[٢] : ﴿ والله يقبضُ ويبسطُ وإليه ترجعون ﴾ ولهذا عِيب على أبى تمام قوله :

لا والذى هو عالم أنَّالنّوى صَبِر وأنَّ أبا الحسين كريم[٣] .

إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ولا تعلُّق لأحدهما بالآخر[٤] .

الفصل لعدم الاشتراك فى الحكم :

وإن لم يقصدْ ذلك تُرِك عطفها عليها[٥] كقوله تعالى[٦] : ﴿ وإذا خَلَوا إلى شياطينهمْ قالوا إنَّا معكم إنما نحنُ مستهزئون * الله يستهزىء بهم ﴾ لم يعطف ﴿ الله

---

(١) آية ٢ سورة سبأ ، والجهة الجامعة فيه التقابل بين « ما يلج وما يخرج » وبين «ما ينزل وما يعرج» - وقد تكون شبه التماثل ، كقول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيـــــــا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

ومثل هذا يدخل فى المحسنات البديعية عند من يرى قصر الوصل والفصل على الجمل

(٢) آية ٢٤٥ سورة البقرة .

(٣) هو حبيب بن أوس المعروف بأبى تمام ، وقوله « لا » نفى لما ادعته محبوبته فى البيت قبله :

زعمتْ هواك عفا الغداةَ كما عفَا عنها طلولٌ باللِّوَى ورسومُ

والنوى : الفراق ، والصبر : عصارة شجر مر ، وأبو الحسين : هو محمد بن الهيثم الذى مدحه أبو تمام بهذه القصيدة ، ويصح أن يكون ما فى البيت من عطف المفرد .

(٤) أجيب عن أبى تمام بأن الجامع بين الأمرين شبه التضاد ؛ لأن مرارة النوى كالضد لحلاوة الكرم وهو إلى هذا تحيُّل للتخلص من النسيب إلى المدح .

(٥) لا يخفى أنَّ ترك العطف لهذا يكون المانع نحوى لا لوجه بلاغى ، فلا يصح أنْ يُعدَّ من أحوال الفصل الذى هو باب من أبواب البلاغة .

فالحق أنه لا يصح البحث عن الداعى إلى الفصل فى ذلك من هذه الجهة النحوية

وإنما يبحث عن الداعى إلى الفصل فيه بالنظر إلى جملة « قالوا » أو جملة الشرط وجوابه كما يأتى فى الفصل لعدم الاشتراك في القيد وشبه كمال الانقطاع .

(٦) آية ١٤ ، ١٥ سورة البقرة .

يستهزئ بهم ﴾ على ﴿ إنا معكم ﴾ لأنه لو عطف عليه لكان من مقول المنافقين وليس منه ، وكذا قوله تعالى[1] :

﴿ وإذا قيل لهمْ لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحنُ مصلحون * ألا إنهم هُم المفسدون ﴾ وكذا قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لَهمْ آمنوا كما آمنَ الناس قالوا أنُؤمنُ كما آمن السفهاء ألا إنهم هُم السفهاء ولكنْ لا يَعلمون ﴾[2] .

الوصل بغير الواو من حروف العطف :

وعلى الثانى إن قُصدَ بيان ارتباط الثانية بالأولى على معنى بعض حروف العطف سوى الواو عُطِفتْ عليها بذلك الحرف[3] فتقول « دخل زيد فخرج عمرو » إذا أردتَ أن خروج عمرو كان بعد دخول زيد من غير مهلة ، وتقول « خرجت ثم خرج زيد » إذا أردت أن تخبر أن خروج زيد كان بعد خروجك بمهلة ، وتقول « يعطيك زيد ديناراً أو يكسوك جبة » إذا أردت أن تخبر أنه يفعل واحــدًا منها لا بعينه ، وعليه قوله تعالى[4] : ﴿ سننظرُ أصَدقتَ أمْ كنتَ من الكاذبين ﴾ .

الفصل لعدم الاشتراك فى القيد :

وإن لم يقصد ذلك ، فإن كان للأول حكم ولم يقصد إعطاؤه للثانية تعيَّن الفصل[5] كقوله تعالى[6] : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن

(١) آية ١١ ، ١٢ سورة البقرة .

(٢) آية ١٣ سورة البقرة .

(٣) أى من غير اشتراط جهة جامعة ، فلا يشترط ذلك فى عطف هذه الحروف للجمل كما لا يشترط فى عطفها للمفردات ، وعلى هذا يصح أن تقول « خرجت من المنزل فأمطرت السماء » مع أنه لا يصح فيه العطف بالواو لعدم الجهة الجامعة وقيل : إنه تشترط الجهة الجامعة فى عطف الجمل بهذه الحروف ، بدليل أنه لا يصح أن تقول « جالينوس طبيب ، ثم سورة الإخلاص من القرآن ، ثم إن القرد يشبه الآدمى » ولا يخفى أن فساد هذا ليس لفقد الجهة الجامعة الآتية « لأنه لا يصح من غير العطف أيضًا ، وهذا لأن كل كلام لا بد فيه من ارتباط ما بين أجزائه ، ثم يأتى بعد ذلك اعتبار الوصل والفصل بالنظر إلى الجامع الخاص الآتى وغيره من الاعتبارات الآتية .

(٤) آية ٢٧ سورة النمل .

(٥) أى بلاغة لا نحوًا ، لأن العطف يقتضى التشريك فى حكم الإعراب لا فى القيود فإذا قيل « ضربت زيدًا يوم الجمعة وعمرًا » لا يلزم أن يكون ضربت عمرو يوم الجمعة أيضًا ، ولكن ذلك هو الظاهر من العطف وإن لم يقتضه ، فلهذا تعين الفصل بلاغة فيما هنا دفعًا لإرادة ذلك الظاهر .

(٦) آية ١٤ ، ١٥ سورة البقرة .

مستهزئون * الله يستهزىء بهم ﴾ لم يعطف ﴿ الله يستهزىء بهم ﴾ على ﴿ قالوا ﴾ لئلا يشاركه فى الاختصاص بالظرف المقدم[1] وهو قوله: ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ فإن استهزاء الله بهم « وهو أن خذلهم فخلاَّهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجًا إياهم من حيث لا يشعرون » متصل لا ينقطع بكل حال ، خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم ، وكذلك فى الآيتين الأخيرتين[2] فإنهم مفسدون فى جميع الأحيان قيل لهم لا تفسدو أو لا ، وسفهاء فى جميع الأوقات قيل لهم آمنوا أو لا .

أحوال أخرى للفصل :

وإنْ لم يكن للأول حكم كما سبق ، فإن كان بين الجملتين كمال الانقطاع وليس فى الفصل إيهام خلاف المقصود كما سيأتى ، أو كمال الاتصال ، أو كانت الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأول، أو بمنزلة المتصلة بها - فكذلك يتعين الفصل[3] وأما فى الصورة الأولى فلأن الواو للجمع والجمعْ بين الشيئين يقتضى مناسبةً بينهما كما مر، وأما فى الثانية فلأن العطف فيها بمنزلة عطف الشيء على نفسه مع أن العطف يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه[4] ، وأما فى الثالثة والرابعة فظاهر مما مر[5] .

---

(١) لأن هذا هو ظاهر العطف وإن لم يقتضه كما سبق ، والمراد باختصاصه بالظرف أنه قيد فيه لكونه شرطًا له ، والشرط قيد فى الجواب كما هو معلوم .

(٢) هما قوله : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدُوا فى الأرض ﴾ الآية - وقوله : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ﴾ الآية ، والمراد أنهما اخيرتان باعتبار ترتيبهما فيما ذكره سابقًا ، وإن كانتا فى التنزيل قبل هذه الآية .

(٣) هذه أربع حالات للفصل : كمال الانقطاع بلا إيهام ، وكمال الاتصال ، وشبه كمال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال ، ويضاف إليها الحالة السابقة التى تتناسب فيها الجملتان ويوجد فى أولاهما حكم لا يقصد إعطاؤه للثانية ، وتسمَّى التوسط بين الكمالين مع وجود المانع من العطف فيكون الفصل خمس حالات

(٤) ولا يرد على هذا عطف التفسير لأنه ليس من أسلوب البلغاء ، وإنما هو من أسلوب المؤلفين وأشباههم ، وقيل : إن الواو فيه حرف تفسير لا عطف وقد وردت هذه الواو فى قول الشاعر : وقددت الأديم لراهشيه ... وألفى قولهم كذبًا ومينًا

فإن كانت للتفسير فأمرها ظاهر ، وإن كانت للعطف فذلك حشو كما سيأتى فى باب الإيجاز والإطناب والمساواة .

(٥) لأن حكم كل واحدة منهما حكم ما هى بمنزلته من كمال الانقطاع أو الاتصال .

الأول كمال الانقطاع :

وأما كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع إلى الإسناد أو إلى طرفيه :

الأول : أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً لفظًا ومعنى ، كقولهم « لا تدنُ من الأسد يأكلك » ، « وهل تصلح لى كذا أدفعُ إليك الأجرة » بالرفع فيهما .

وقول الشاعر :

وقال رائدهم : ارْسـوا نزاولها
فكلُّ حتفِ امرئٍ يجرى بمقدار[1]

أو معنى لا لفظاً ، كقولك « مات فلان رحمهُ الله »[2].

أما قول اليزيدى :

ملكته حبلى ولكنـــه ألقاه من زهده على غاربى
وقال : إنى فى الهوى كاذبٌ انتقم اللهُ من الكـاذب[3]

فعدَّه السكاكى[4] رحمه الله من هذا الضرب ، وحمله الشيخ عبد القاهر[5] رحمه الله على الاستئناف بتقدير « قلت »[6].

---

(١) كما نسبه سيبويه إلى الأخطل غياث بن غوث ولكنه لا يوجد فى ديوانه . والرائد هو من يتقدم القوم لطلب الماء ونحوه، والمراد به عريفهم وقائدهم، وقوله «ارسوا» بفتح الهمزة أو ضمها من أرسى أو رسا بمعنى أقيموا، وقوله « نزاولها » بمعنى نحاولها والضمير للحرب . والحتف: الهلاك ، والمقدار: مصدر بمعنى القدر ، وفى العبارة قلب ، والأصل فحتف كل امرئ ، وقيل : إنه لا قلب فيها لأن الحتف يتنوع بتنوع أسبابه ، والشاهد فى قوله « ارسوا نزاولها » ، ويجوز أن يكون الفصل فيه لشبه كمال الاتصال، لجواز كون الجملة الثانية « نزاولها » مبنية على سؤال مقدر ، والاستشهاد بذلك لما لا محل له من الإعراب منظور فيه إلى ما قبل تسليط القول عليه .

(٢) فإذا اختلفتا لفظًا لا معنى ، لم يكن عندهم من كمال الانقطاع كما سيأتى فى أحوال الوصل .

(٣) هو ليحيى بن المبارك المعروف باليزيدى ، وقيل إنه لإبراهيم بن المدبر . والحبل فى الأصل الرباط أو الرسن والمراد به عهد الود ، والغارب: الكاهل ، والمراد بإلقاء عهد الود عليه تركه له ، والشاهد فى البيت الثانى بين جملة « قال » وجملة « انتقم » على ما سيأتى .

(٤) ١٤٦ المفتاح . (٥) ١٥٥ دلائل الإعجاز .

(٦) أى قلت انتقم الله ، فيكون من شبه كمال الاتصال ، ويرجح هذا بأن ما ذهب إليه السكاكى لا يأتى إلا بجعل « انتقم الله من الكاذب » من كلام المحكى عنه وهو بعيد ، ويمكن أن يجاب عنه بأن الفصل عنده أيضًا بين جملة « انتقم الله » وجملة « قال إنى فى الهوى كاذب» لأنه

الثانى : ألاّ يكون بين الجملتين جامعٌ كما سيأتى (١) .

= جملة « إنى فى الهوى كاذب » من غير « قال » ولكنه لا يقدر قلت ، ولا مانع من الجمع بين كونه لكمال الانقطاع والاستئناف .

هذا وإنى أرى أن ترك العطف فى هذا الضرب لمانع نحوى ، فلا يصح أنْ يعدّ من الفصل المعدود من أبواب البلاغة، على أن سيبويه يجيز العطف فى نحو « هذا زيد ومَنْ عمرو ؟ مع اختلافهما خبرًا وإنشاء ، ومن ذلك قوله تعالى آية ١٧٣ سورة آل عمران : ﴿ حسبُنا الله ونعم الوكيل ﴾ .

(١) انتفاء الجامع بين الجملتين قد يكون بسبب انتفائه عن المسند إليه فيهما كقولك « زيد طويل ، وعمرو قصير » إذا لم يكن بينهما جامع من صداقة ونحوها ، وقد يكون بسبب انتفائه عن المسند فيهما ، كقولك « زيد طويل وعمرو نائم » فى حال وجود صداقة بينهما ، وهذا ما يريده القوم بكمال الانقطاع فى هذا الضرب ، فلا يريدون به إلا انتفاء الجامع الخاص الآتى ، ولا يعنون به أن يتفكك الكلام بحيث لا يكون فيه ارتباط ما يجمع بين أجزائه ، وإذا كان هذا هو ما يريدونه من ذلك فلا معنى لاعتراض بعض مؤلفى عصرنا عليهم فى تلك التسمية ، ولا لما ذكروهُ من أنها توهم جواز تفكيك الكلام ، ولا لما بناه على ذلك من وجوب أن يكون ما يسمونه كمال الانقطاع وشبه كمال الانقطاع وغيرهما وجوه ارتباط واتصال بين الجمل ، ولا ضير بعد هذا فى كون الاتصال بالواو أو بتركه » ولست أدرى كيف يكون الاتصال بترك الواو ؟ ولا كيف يكون الاختلاف خبرًا وإنشاءً مثلاً وجهًا من وجوه الارتباط ؟ ولا أية فائدة للاشتغال بمثل هذا فى علم المعانى ؟ وكل ما أتى به لم يغير شيئاً من مواضع الوصل ، ولا شيئًا من مواضع الفصل . وهذه أبيات من الشعر يتبين منها كيف يوجد كمال الانقطاع بمعناه الاصطلاحى فى الكلام ، وهو مع هذا متسق تتلاقى أجزاؤه فى غرض من الأغراض :

سَلِمْتِ وما الديارُ سالمات ... على عنت البلى يا دار هنْد
ولا زالت مفوّقةُ الغوادى ... تُصيب رُباكِ مَنْ خطأ وعَمْد
على أنّى متى مطرتك ... ففضلُ ما سقاكِ الغيثُ بعدى

* * *

أرى بصرى عن كلّ يوم وليلة ... يكلّ وخطوى عن مَدى الخطو يَقْصُرُ
ومن يصحب الأيام تسعين حجةً ... يغيّرنه ، والدهرُ لا يتغير
لعَمْرى لئن امسيتُ أمشى مقيّدًا ... لما كنتُ أمشى مطلق القيد أكثر

وقد يبلغ من تلاقى الجملتين مع ما بينهما من كمال الانقطاع بمعناه الاصطلاحى أن تكون الثانية منهما مفرّعة على الأولى ، وفى هذه الحالة يصح عطف الثانية على الأولى بالفاء ، ويصح الاكتفاء بالإتيان بها بعدها من غير عطف كقول الشاعر :

الشيب كُرْهٌ وكُرْه أن يفارقنى ... عجبٌ لشىء على البغضاء مردود

وقد روى بالفاء « فاعجب لشىء » .

الثاني : كمال الاتصال :

وأما كمال الاتصال **فيكون لأمور ثلاثة :**

الأول : أن تكون الثانية مؤكدة للأولى ، والمقتضِي للتأكيد دفعُ توهم التجوّز والغلط · **وهو قسمان :**

أحدهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوى من متبوعه فى إفادة التقرير مع الاختلاف فى المعنى[1] كقوله تعالى[2] : ﴿ ألم ، ذلكَ الكتابُ لا ريبَ فيه ﴾ فإن وِزانَ ﴿ لا ريب فيه ﴾ فى الآية وزانُ « نفسه » فى قولك جاءنى الخليفة نفسه »[3] ؛ فإنه لما بولغ فى وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال بجعل المبتدأ « ذلك » وتعريف الخبر باللام[4] كان عند السامع قبل أن يتأمله مَظَنَّة أن يُرْمَى به جزافًا من غير تحقق[5] فأتبعهُ ﴿ لا ريب فيه ﴾ نفيًا لذلك[6] إتباعَ الخليفة « نفسه » إزالةً لما عسى أن يتوهم السامع أنك فى قولك « جاءنى الخليفة » متجوّز أوَ ساه ، وكـــذا قوله : ﴿ كأن لمْ يسـمعها كأنَّ فى أذنيه وقرًا ﴾[7] .

---

(١) ضابط ذلك أن يختلف مفهوم كل منهما ولكن يلزم من ثبوت معنى إحداهما ثبوت معنى الأخرى ، ومقتضى تنزيله منزلة التأكيد المعنوى أنه ليس منه وإنما هو تأكيد لغوى لا اصطلاحى ، وقيل : إن المراد تنزيله منزلة التأكيد فى المفرد ، فيكون من التأكيد الاصطلاحى ·

(٢) آية ١ ، ٢ سورة البقرة ·

(٣) هذا إنما يأتى بجعل ﴿ الم ﴾ طائفة من الحـــروف أو جملة مستقلة حذف أحد جزءيها ، وجعل ﴿ ذلك الكتاب ﴾ جملة ثانية ، وجعل ﴿ لا ريب فيه ﴾ جملة ثالثة · ويجوز أن يجعل ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ جملة واحدة ، وعلى هذا لا شاهـــد فيه للتأكيد المعنوى بين جملتين ·

(٤) لأن « « ذلك » إشارة إلي بُعد المنزلة ، وتعريف الخبر باللام يقتضى الحصر ، أى ذلك الكتاب لا غيره ·

(٥) هذا بقطع النظر عن كونه كلام الله تعالى ؛ لأنه يجرى فى ذلك على أساليب البشر ·

(٦) فكأنه قيل : لا ريب فى بلوغه تلك الغاية من الكمـــال ، وهذا المعنى يخالف معنى ﴿ ذلك الكتاب ﴾ لكنهما متلازمان كما هو ظاهر ·

(٧) آية ٧ سورة لقمان ·

الثانى مقرر لما أفاده الأول[1] وكذا قوله : ﴿ إنَّا معكم إنما نحنُ مُستهزئون ﴾[2] لأن قولـه : ﴿ إنا معكم ﴾ معناه الثبات على اليهودية ، وقوله : ﴿ إنما نحن مستهزئون ﴾ ردٌّ للإسلام ودفعٌ له منهم ؛ لأن المستهزىء بالشيء المستخفّ به منكر له ودافع له لكونه غير معتدّ به ، ودفعُ نقيض الشيء تأكيدٌ لثباته[3] ويحتمل الاستئناف[4] أى فما بالكم إنْ صحّ أنكم معنا توافقون أصحاب محمد ؟ .

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظى من متبوعه فى اتحاد المعنى[5] كقوله تعالى : ﴿ ذلك الكتابُ لا ريب فيه هدًى للمتقين ﴾[6] فإنَّ ﴿ هدى للمتقين ﴾ معناه أنه فى الهداية بالغٌ درجة لا يدرَك كنْهها حتى كأنه هداية محضة[7] وهذا معنى قوله : ﴿ ذلك الكتابُ ﴾ لأن معناه كما مرَّ الكتاب الكامل ، والمراد بكماله كماله فى الهداية[8] ؛ لأن الكتب السماوية بِحَسْبها تتفاوت فى درجات

---

(١) لأن معنى الجملة الأولى أنه لم يسمعها مصادفةً أو قصدًا إلى عدم سماعها ، ومعنى الثانية أنه لم يسمعها لفساد سمعه ، والمقصود من التشبيهين فى الجملتين هو عدم التأثر بسماع الآيات . وهذا هو ما يتلازمان فيه مع اختلاف معناهما ، وعلى هذا تكون الجملتان مستأنفتين ، وقد قيل : إن قوله : ﴿ كأن لم يسمعها ﴾ حالٌ من قوله قبله ﴿ ولّى مستكبرًا ﴾ وقوله : ﴿ كأن فى أذنيه وقرًا ﴾ حالٌ من قوله : ﴿ لم يسمعها ﴾ وعلى هذا يكون لها محل من الإعراب فلا يكونان مما نحن فيه ، وهما الجملتان اللتان لا محل لهما من الإعراب .

(٢) آية ١٤ سورة البقرة .

(٣) هذا والاستشهاد بذلك لما لا محل له من الإعراب منظور فيه إلى حاله قبل الحكاية ، لأنه فى محل نصب بقوله قبله ﴿ قالوا ﴾ .

(٤) فيكون من شبه كمال الاتصال .

(٥) مع هذا قد يختلفان فى اللفظ كما فى الأمثلة التى ذكرها ، وقد يتحدان فى المعنى واللفظ كما فى قوله تعالى : اية ١٧ سورة الطارق ﴿ فمهّل الكافرين أمهلهُمْ رُويدًا ﴾ واستحسن بعضهم قصر التأكيد اللفظى على ما اتحد لفظه ومعناه ، فيكون كل ما اختلف لفظه من التأكيد المعنوى ، والخطب فى ذلك سهل .

(٦) آية ٢ سورة البقرة .

(٧) هذا مأخوذ من تنكير « هدى » وأنه لم يقل هاد ، وهدى على هذا خبر مبتدأ محذوف تقديره « هو » .

(٨) يجوز أن يراد به الكمال الأعم ، فيكون ذلك من التأكيد المعنوى لاختلاف معنى الجملتين .

الكمال . وكذلك قوله تعالى (١) : ﴿ سواءٌ عليهمْ أأنذرتهمْ أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ فإن معنى قوله : ﴿ لا يؤمنون ﴾ معنى ما قبله(٢) وكذا ما بعده (٣) تأكيد ثان ؛ لأن عدم التفاوت بين الإنذار وعدمه لا يصح إلا في حق من ليس له قلب يخلص إليه حق ، وسمعٌ تدرَكُ به حجَّةٌ ، وبصرٌ تثبت به عِبرةٌ ، ويجوز أن يكون ﴿ لا يؤمنون ﴾ خبرًا لـ (إنَّ) (٤) فالجملة قبلها اعتراض .

الثاني(٥) : أن تكون الثانية بدلاً من الأولى ، والمقتضى للإبدال كونُ الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية ، والمقَام يقتضي اعتناءً بشأنه لنكتة ، ككونه مطلوبًا في نفسه أو فظيعًا أو عجيبًا أو لطيفًا ، وهو ضربان :

أحدهما : أن تنزَّل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه (٦) كقوله تعالى (٧) : ﴿ أمدَّكم بما تعلمون . أمدكم بأنعامٍ وبنين . وجنات وعيون ﴾ فإنه مَسوقٌ للتنبيه على نعم الله تعالى عند المخاطبين ، وقوله : ﴿ أمَدَّكم بأنعامٍ وبنين وجنات وعيون ﴾ أوفَى بتأديته مما قبله(٨) لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على

---

(١) آية ٦ سورة البقرة .

(٢) قيل : إنه غيره ، وهو الظاهر فيكون ذلك من التأكيد المعنوى .

(٣) هو قوله : ﴿ ختمَ اللهُ على قلوبهمْ وعلى سمعهمْ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ والظاهر أنه تأكيد معنوى .

(٤) في قوله قبل ذلك ﴿ إنَّ الذينَ كفروا ﴾ .

هذا وكما يجب الفصل بين الجملة المؤكدة لأخرى يجب الفصل بين الجملتين المؤكدتين لجملة قبلهما كما سبق في قوله تعالى : ﴿ ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ وقد تعطف الجملة المؤكدة بالفاء أو ثم ، كقوله تعالى : آية ٣٤ و ٣٥ سورة القيامة ﴿ أوْلى لكَ فأولى ، ثم أولى لك فأولى ﴾ وقيل : إن ذلك عطف صورى لا حقيقى ، وقيل : إنه تأسيس لا تأكيد ؛ لأن الجملة الثانية أبلغ في الإنذار من الأولى .

والحق أنَّ تركَ العطف في الجملة المؤكدة لجملة قبلها لمانع نحوى ، فلا يصح أن يعد من الفصل كما سبق .

(٥) أى من الأمور التي يكون بها كمال الاتصال .

(٦) أى في المفرد ؛ فيكون ذلك بدلا صطلاحيًا على ما سبق في التأكيد .

(٧) آية ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ سورة الشعراء .

(٨) فنكتته كونه مطلوبًا في نفسه .

عملهم مع كونهم معاندين ، والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون[1] ، ويحتمل الاستئناف[2] .

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه ، كقوله تعالى : ﴿ اتَّبِعوا المرسلين · اتبعوا مَنْ لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون ﴾[3] فإن المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل ، وقوله تعالى : ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون ﴾ أوفَى بتأدية ذلك ؛ لأن معنـــاه : لا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم ، وتربحون صحة دينكم ، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة .

وقول الشاعر :

أقول له : ارحلْ لا تُقيمنَّ عندنا ⁂ وإلا فكُنْ في السر والجهر مسلما[4]

فإن المراد به كمالُ إظهار الكراهة لإقامته بسبب خلاف سرِّه العلنَ ، وقوله « لا تقيمن عندنا » أوفَى بتأديته لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد [5] بخلاف « ارحل » [6]

---

(١) يعنى أنه بعضه فى الظاهر وإن كان المراد منهما واحدًا كالمراد من قولك « أكلت الرغيف ثلثه » .

(٢) فيكون من شبه كمال الاتصـــال ، ورُدّ بأنه لو كان منه لكان التأكيد مستحسنًا كما سيأتى ، مع أن الجملة الثانية قد أعيدت من غير تأكيد .

(٣) آية ٢٠ و ٢١ سورة يس .

(٤) لا يُعرف قائله ، ويريد بقوله « مسلما » أن يكون معه كالمسلم فى استواء ظاهره وباطنه ، ويجوز أن يكون المراد به مُسالمًا ، والاستشهاد بقوله « ارحل لا تقيمن » بالنظرَ إلى حاله قبل حكايته بالقول كما سبق فى نظائره .

(٥) كون هذه الدلالة مطابقة منظورٌ فيه إلى العُــرف ؛ لأنك إذا قلت لآخر « لا تقم عندى » لم تقصد كفَّه من الإقامة ، وإنما تقصد إظهار الكراهة لإقامته .

(٦) لأن دلالته عليه بالالتزام ، وهى باعتبار العرف أيضًا ؛ لأن طلب الارتحال يقتضى عرفًا محبته ، ومحبته تقتضى كراهة ضده وهو الإقامة .

ووزان الثانية مع كل واحد من الآية والبيت وزانُ « حسنها » فى قولك « أعجبتنى الدار حسنها » لأن معناها مغاير لمعنى ما قبلها وغير داخل فيه مع ما بينهما من الملابسة(١) .

الثالث(٢) أن تكون الثانية بيانًا للأولى ، وذلك بأن تنزَّلَ منها منزلة عطف البيان مع متبوعه فى إفادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون فى الأول نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته . كقوله تعالى(٣) : ﴿ فوسوس إليه الشيطانُ قال يا آدمُ هل أدلك على شجرة الخلد ومُلْك لا يبلَى ﴾ فصلَ جملة (قال) عمًّا قبلها لكونها تفسيرًا له وتبيينًا (٤). ووزانه وزانُ عمر فى قوله :

أقسمَ بالله أبو حفص عمر(٥)

---

(١) يريد بهذا تحقيق كون ذلك بدل اشتمال لا تأكيدًا ولا بدل بعض من كل ، ولكنه لا يمنع إلا أن يكون تأكيدًا لفظيًا كما هو ظاهر ، ولهذا قيل : إنه يصح أن يكون ما فى البيت تأكيدًا معنويًا ، لأن عدم الإقامة مغاير للارتحال بحسب المفهوم ، ولكنه ملازم له فى الوجود .

هذا ومما نكتة البدل فيه كونه عجيبًا قوله تعالى : آية ٨١ ، ٨٢ سورة المؤمنون ﴿ بل قالوا مثلَ ما قال الأولون : قالوا أئذا متنا وكنا تُرابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون ﴾ ومما نكتة البدل فيه كونه فظيعًا قولك لمن تزنى وتتصدق « أتجمعين بين قبيح وحسن : تزنين وتتصدقين ؟! » . ومما نكته البدل فيه كونه لطيفا قولك « زيد جمع أمرين : جمع اللطف والاستقامة » وهذا من البدل المطابق على أنه يأتى هنا أيضًا ، وقد تركه الخطيب لما سيأتى ، وأمر البدل بعد هذا عندى كأمر التأكيد فى أن ترك العطف فيه لمانع نحوى لا لمانع بلاغى ، فلا يصح أن يعدّ من الفصل أيضًا .

(٢) أى من الأمور التى بها يكون كمال الاتصال . (٣) آية ١٢٠ سورة طه .

(٤) أورد على الاستشهاد به أن جملة ﴿ وسوس ﴾ معطوفة على جملة ﴿ قلنا ﴾ فى قوله قبل ذلك ﴿ وإذ قلنا للملائكة ﴾ الآية ، فتكون فى محل جر مثلها ، ولا يصح الاستشهاد بذلك لما معنا من الجمل التى لا محل لها من الإعراب ، وقد سبق أن الاستشهاد بهذا منظور فيه إلى ما قبل تسليط (قالوا) عليه .

(٥) هو لعبد الله بن كيْسية من قوله :

أقسَمَ بالله أبو حفص عُمَرْ
ما مسَّها من نَقَب ولا دَبر
فاغفر له اللهمَّ إن كان فجَر

والنقب : ضعف أسفل الخف ، والدبر : جراحة الظهر، وقوله « فجر » بمعنى حنث . =

وأما قوله(١) : ﴿ ما هذا بشرًا إن هذا إلا مَلَكٌ كريم ﴾ فيحتمل التبيين والتأكيد ، أما التبيين فلأنه يمتنع أن يخرج من جنس البشر ولا يدخل فى جنس آخر، فإثبات الملكية له تبيين لذلك الجنس وتعيين ، وأما التأكيد فلأنه إذا كان ملكًا لم يكن بشرًا ، ولأنه إذا قيل فى العرف لإنسان « ما هذا بشرًا » حال تعظيم له وتعجب مما يشاهَد منه من حُسْنِ خُلق أو خَلْق كان الغرض أنه مَلَك بطريق الكناية .

فإن قيل : هلاّ نزلتم الثانية منزلة الكل من متبوعه فى بعض الصور ومنزلة النعت من متبوعه فى بعض ؟ قلنا : لأن بدل الكل لا ينفصل عن التأكيد إلا بأن لفظه غير لفظ متبوعه وأنه مقصود بالنسبة دون متبوعه بخلاف التأكيد والنعت لا ينفصلان عن عطف البيان إلاّ بأنه يدل على بعض أحوال متبوعه لا عليه ، وعطفُ البيان بالعكس ، وهذه كلها اعتبارات لا يحقق شيء منها فيما نحن بصدده(٢) .

الثالث : شبه كمال الانقطاع : وأما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى فلكون عطفها عليها مُوهمًا لعطفها على غيرها(٣) ويسمى الفصل لذلك قطعًا ، مثاله قول الشاعر :

وتظنُّ سلمى أننى أبغى بها ... بدلاً أراها فى الضلال تهيمُ(٤) .

= وكان قد أتى عمر فشكا له بُعدَ أهله وضعف ناقته ، وطلب منه أن يستحمله غيرها ، فلم يصدقه وقال : والله ما نتبت ، فلما قال ذلك حمله عمر على بعير وزوّده وكساه . هذا ولا يخفى أن ترك العطف فى عطف البيان لمانع نحوى أيضا ، فلا يصح عدّه من الفصل كالتأكيد والبدل .

(١) آية ٣١ سورة يوسف .

(٢) أى من الجمل التى لا محل لها من الإعراب ، وبهذا يستغنى فيها بعطف البيان عن النعت ، وبالتأكيد عن بدل الكل من الكل ، وأما بدل الغلط فلا يقع فى فصيح الكلام كما سبق فى باب المسند إليه عند الكلام على الإبدال منه ، فلهذا لم يتعرض له هنا أيضًا .

هذا والظاهر من كلام عبد القاهر أنه يجعل كل كمال الانصال من باب التأكيد وإن كان قد يشتمل أحيانًا على نوع من البيان ، ولعل هذا أسهل من تكلف ما سبق من الفروق بين التوابع فى الجمل .

(٣) هذه نكتة الفصل هنا ، يجب بها ترك العطف بلاغةً لا نحوًا ؛ لأنه لا مانع من العطف من جهة النحو .

(٣) لا يعلم قائله ، وقوله : « أراها » بمعنى أظنها على صورة المبنى للمفعول وهو للفاعل ، وقوله : « تهيم » مأخوذ من « هام على وجهه » إذا مشى من غير قصد .

لم يعطف « أراها » على « تظن » لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على « أبغى» لقربه منه مع أنه ليس بمراد ، ويحتمل الاستئناف[1].

وقسَّم السكاكى[2] القطعَ إلى قسمين : أحدهما القطع للاحتياط ، وهو ما لم يكن لمانع من العطف كما فى هذا البيت . والثانى القطع للوجوب ، وهو ما كان لمانع ، ومثَّله بقوله تعالى[3] : ﴿ اللهُ يستهزىء بهم ﴾ قال : لأنه لو عُطف لَعُطف إما على جملة ﴿ قالوا ﴾ وإما على جملة ﴿إنا معكم﴾ وكلاهما لا يصح لَما مرَّ[4]. وكذا قوله : ﴿ ألا إنهم هُمُ المفسدونَ ﴾ وقوله : ﴿ ألا إنهم همُ السفهاءَ ﴾[5] وفيه نظر ؛ لجواز أن يكون المقطوع فى المواضع الثلاثة معطوفًا على الجملة المصدَّرة بالظرف[6] وهذا القسم[7] لم يبين امتناعه .

الرابع : شبه كمال الاتصال :

وأما كونها بمنزلة المتصلة بها فلكونها جوابًا عن سؤال اقتضته الأولى ، فتنزّل منزلته فتفصَل الثانية عنها كما يفصَل الجواب عن السؤال[8] . وقال السكاكى[9] : فينزل ذلك منزلة الواقع[10].

---

(١) فيكون من شبه كمال الاتصال . (٢) ١٣٦ : المفتاح . (٣) آية ١٥ سورة البقرة .

(٤) فى الفصل لعدم الاشتراك فى الحكم أو القيد . (٥) آية ١٢ ، ١٣ سورة البقرة .

(٦) هى جملة الشرط وجوابه . وإذا جاء العطف عليها نحوًا كان القطع فيه من القسم الأول وهو القطع للاحتياط ، وإذن يكون الفصل لشبه كمال الانقطاع منحصرًا فى هذا القسم ، أما الفصل فى القسم الثانى فهو للتوسط بين الكمالين مع وجود المانع من العطف كما سبق .

(٧) أى كون العطف على جملة الشرط وجوابه .

ومن الفصل لشبه كمال الانقطاع قول الشاعر :

يقولون إنى أجمل الضيم عندهم   أعوذ بربّى أن يضام نظيرى

لم يعطف جملة « أعوذ » على جملة « يقولون » لئلا يتوهم عطفها على جملة « أحمل » فتكون من مقولهم ، مع أنها ليست منه وإنما هى من مقوله .

(٨) كما فى قوله تعالى آية ١٠ ، ١١ سورة القارعة ﴿ وما أدراك ما هيهْ ؟ نار حامية ﴾ وفصْل الجواب عن السؤال قيل : إنه لكمال الاتصال ، وقيل : إنه لكمال الانقطاع وهو الظاهر ، لأن جملة السؤال إنشاء وجملة الجواب خبر .   (٩) ١٢٧ : المفتاح .

(١٠) أن ينزل السؤال المقدر منزلة السؤال الواقع ، فيكون من فصل الجواب عن السؤال بخلاف ما ذهب إليه الخطيب .

ثم قال : وتنزيل السؤال بالفحوى[١] منزلة الواقع لا يُصار إليه إلا لجهات لطيفة: إما لتنبيه السامع على موقعه ، أو لإغنائه أن يسأل ، أو لئلا يُسمَع منه شيء أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف ، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك .

ويسمى الفصل لذلك استئنافًا ، وكذا الجملة الثانية أيضًا تسمى استئنافًا . والاستئناف ثلاثة أضرب :

لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى: إما عن سبب الحكم فيها مطلقًا كقوله:

قال لي : كيف أنتَ ؟ قلتُ : عليلٌ سهرٌ دائم وحزن طويلُ[٢]

أي ما بالك عليلا ؟ أو ما سبب علتك ؟ وكقوله :

وقد غرِضتُ من الدنيا فهل زمَني معط حياتي لغرٍّ بعدُ ما غرضا
جرَّبتُ دهري وأهليه فما تركتْ ليَ التّجاربُ في وُدّ امرىء غرضا[٣]

أي لم تقول هذا ويحك؟ وما الذي اقتضاك أن تطوى عن الحياة إلى هذا الحد كشحكَ ؟ .

وإما عن سبب خاص له[٤] كقوله تعالى[٥] ﴿ وما أبرىء نفسي إن النفسَ لأمارة

---

(١) هو السؤال المقدَّر .

(٢) لا يعرف قائله ، وقد سبق في الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول ، وإنما يكون من الفصل للاستئناف إذا جعل « سهر » خبر مبتدأ تقديره « حالي سهر » أما إذا جعل خبرًا بعد خبر على المبالغة فلا شاهد فيه للفصل ، ولا شاهد في قوله : « قال لي كيف انت قلت عليل » للاستئناف للتصريح فيه بالسؤال .

(٣) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري ، وقوله « غرضت » بمعنى ضجرت ، والغر : الغافل ، وقوله « ما غرضا » ألفه للإطلاق ، والظرف قبله متعلق به ، أي لم يضجر الحياة بعد ما ضجرت . ومعنى البيت الثاني أن تجربته للناس لم تترك له غرضًا أي حاجة في ودهم ، وجعلته يسأم الحياة معهم . والشاهد في فصل « جربت دهري » عن جملة « وقد غرضت » .

(٤) ضابط هذا وما قبله أن الجملة السابقة أو سياقها إذا لوَّحا بالاستئناف فالسؤال المقدر عن سبب خاص ، وإلا فهو عن سبب عام ، فقول الشاعر في البيت السابق « قال لي كيف أنت قلت عليل » لا يدلّ إلا على وجود علة مستدعية لسبب ما ، وقوله تعالى في الآية : ﴿ وما أبرىء نفسي ﴾ ينصرف الذهن فيه إلى سبب خاص هو انها أمَّارة بالسوء .

(٥) آية ٥٢ سورة يوسف حكايةً عن امرأة العزيز .

بالسوء ﴾ كأنه قيل : هل النفس أمارة بالسوء ؟ فقيل : إن النفس لأمارة بالسوء ، وهذا الضرب يقتضى تأكيد الحكم[1] كما مر فى باب أحوال الإسناد .

وإما عن غيرهما[2] كقوله تعالى : ﴿ قالوا سلامًا قال سلامٌ ﴾[3] كأنه قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ فقيل : قال سلام . ومنه قول الشاعر :

زعمَ العواذلُ أننى فى غمْرةٍ   صدقوا ولكن غمرتى لا تنْجلى[4]

فإنه لما أبدى الشكاية من جماعات العذَّال كان ذلك مما حرك السامع ليسأل أصدقوا فى ذلك أم كذبوا ؟ فأخرج الكلام مخرجه إذا كان ذلك قد قيل له ففصَّل .

ومثله قول جندب بن عمار :

---

(١) لأن السؤال فيه عن حكم تصديقىّ ، أما السؤال العام فهو سؤال عنه ما هو ؟ وذلك تصور لا يأتى فيه شك حتى يؤتى بالتأكيد من أجله ، وقد يؤكد فى السؤال عن السبب العام ويترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص لإمكان رد التصور إلى التصديق وبالعكس ، ومن ترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص قول الشاعر :

إذا ما الدهر جرّ على الناس   كلا كلـه أناخ بآخرينـــــا

فقل للشامتين بنا : أفيقوا   سيلقَى الشامتون كما لقينا

(٢) أى عن شىء آخر له تعلق بالجملة الأولى غير التعلق بالسببية . وهو أيضًا إما عام كما فى المثال الأول ، وإما خاص كما فى المثال الثانى ، وهو يقتضى التأكيد أيضًا كالسؤال عن السبب الخاص ، ومنه قول الشاعر :

فغنِّها وهى لك الفداءُ   إن غناء الإبل الحُداءُ

فتقدير السؤال فيه : هل غناء الإبل الحداء ؟ لأنه هو الذى تتجه إليه النفس بعد الأمر بالغناء للإبل ، وكذلك قول الشاعر :

يرى البخيل سبيلَ المال واحدةً   إن الكريم يرى فى ماله سبُلا

(٣) آية ٦٩ سورة هود .

(٤) لا يُعلم قائله . وقوله « زعم » بمعنى قال ؛ لأنه قد يستعمل فى القول مطلقًا كما هنا ، والعواذل جمع عاذل وإن كان صفةً لعاقل ، لأنه جائز سماعًا كفارس وفوارس ، وقيل : إنه جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة من الذكور ليوافق قوله « صدقوا » وهو الذى جرى عليه الخطيب فى تفسيره للبيت ، والغمرة : الشدة ، وقد ترك التأكيد هنا مع أن السؤال تصديقىّ لتنزيله ذلك منزلة الظاهر الذى لا يعتريه شك .

زعم العواذلُ أنَّ ناقة جُنْدُبٍ ... بجنوب خَبْتٍ عُرِّيت وأَجَمَّتْ

كذب العواذلُ لو رأين مُناخنا ... بالقادسية قلن لَجَّ وذلت[1]

وقد زاد هنا أمرَ الاستئناف تأكيدًا بأن وضع الظاهر[2] موضع المضمر من حيث وضعه وضعًا لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، وأتى به مأتَى ما ليس قبله كلام . ومن الأمثلة قول الوليد :

عرفتُ المنزلَ الخـــالى ... عفا من بعد أحـــوال

عَفـــــاه كلُّ حنَّان ... عَسوفِ الوَبْل هطَّالِ[3]

فإنه لما قال « عفا » وكان العفاء مما لا يحصل للمنزل بنفسه كان مظنةَ أن يسأل عن الفاعل . ومثله قول أبى الطيب :

وما عفتِ الرياحُ له محلا ... عفاه مَن حَدا بهمُ وسَاقا[4]

فإنه لما نفَى الفعلَ الموجود عن الرياح كان مظنَةَ أن يُسأل عن الفاعل .

وأيضًا من الاستئناف ما يأتى بإعادة اســـم ما استُؤنف عنـــه ، كقولك : «أحسنت إلى زيد ، زيدٌ حقيقٌ بالإحسان » ومنه ما يبنى على صفتــه ، كقولك : «أحسنت إلى زيد ، صديقك القديمُ أهلٌ لذلك » وهذا أبلغ لانطوائه على بيان

---

(١) خبت : من ديار كلب . وقوله : « عريت » بمعنى أزيل عنـها رحـلهـــــا . وقوله « أجمعت » بمعنى تركت فلم تركب ، وهنا كناية عن قعوده بهذا المكان دون غرضه ، والقادسية بالعراق ، وقوله : « لج وذنت » بمعنى جدَّ فى السير وانقادت ناقته له .

(٢) أى فى جملة الاستئناف ، وهو العواذل فى قوله : « كذب العواذل » لأن حقه الإضمار لسبق ذكره .

(٣) هما كما فى « الأغانى » للوليد بن يزيد الأموى . وقوله « عفا » بمعنى درس ، والمراد بأحوال فى قوله « من بعد أحوال » الأحوال التى سعد فيه بسكانه من أحبابه . والحنان : السحاب . وعسوف الوبل : شديد المطر .

(٤) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، وقوله « عفت » بمعنى محت ، وضمير « له » يعود إلى الربْع ، وقوله « حدا » من الحداء وهو غناء الإبل ، والمراد بها الإبل التى سارت بهم وجعلتهم يهجرونها .

السبب[1] ، وقد يُحذفُ صدر الاستئناف لقيام قرينة ، كقوله تعالى : ﴿ يسبَّحُ له فيها بالغُدوّ والآصال * رجالٌ ﴾[2] فيمن قرأ ﴿ يسبَّح ﴾ مبنياً للمفعول[3] وعليه نحوُ قولهم : « نعم الرجل أو رجلاً زيد ، وبئس الرجل أو رجلا عمرو. » على القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف أى هو زيد ، كأنه لما قيل ذلك فأُبهمَ الفاعل بجعله معهودًا ذهنيًا مظهَرًا[4] أو مضمَرًا[5] سئل عن تفسيره فقيل « هو زيد » ثم حذف المبتدأ .

وقد يُحذفُ الاستئناف كله ويقام ما يدلُّ عليه مقامه ، كقول الحماسى :

زعمتم أنَّ إخوتكم قريشٌ لهم إلفٌ وليس لكم إلافُ[6]

(١) هو صفة الصداقة التى دعت إلى الإحسان ، أما الأول ففيه بيان سبب لا يشتمل على مثل تلك الصفة .

(٢) آية ٣٦ ، ٣٧ سورة النور .

(٣) فالتقدير يسبّح فيها رجال ، والفعل المبنى للفاعل هو صدر الاستئناف المحذوف ، وعلى قراءته مبنيًا للفاعل يكون (رجال) فاعلاً له .

(٤) فى « نعم الرجل زيد » ، « وبئس الرجل عمرو » .

(٥) فى « نعم رجلاً زيد » ، و « وبئس رجلاً عمرو » وإذا قدر المخصوص فى ذلك مبتدأ محذوف الخبر كان ذلك من حذف عجز الاستئناف .

(٦) هو لمساور بن هند العبسى فى هجاء بنى أسد وتكذيبهم فى انتسابهم إلى قريش . والإلف : مصدر « ألِف » ، والإلاف مصدر « آلف » ، يريد بذلك إلف قريش رحلتى الشتاء والصيف إلى اليمن والشام ، ويجوز أن يكون الفصل لدفع إيهام العطف على قوله : « أن إخوتكم قريش » فيكون لشبه كمال الانقطاع .

هذا وقد يدخل على الاستئناف لامُ التعليل أو فاؤه كقول أبى تمام :

لا تنكرى عَطَلَ الكريم من الغنى فالسيل حربٌ للمكان العالى

وقد تأتى الواو فى ذلك بدل الفاء واللام فتكون للاستئناف لا للعطف ، كقول الشاعر :

أرى بصرى عن كلّ يوم وليلــــة يكلُّ وخطوى عن مدى الخطو يقصر
ومَن يصحب الأيامَ تسعـــين حجّةً يُغيّرنه والدهرُ لا يتغيـــــر

وقيل : إن الواو فى هذا للعطف على محذوف مفصول عما قبله ، كأنه قيل من يقاسى أحوالى يكن حاله كحالى ومن يصحب الأيام الخ ، والاستئناف من غير أداة أدق وأبلغ من الاستئناف بها واوًا كانت أو لامًا أو فاء ؛ لأنه يؤدى معناها من غير ذكرها ، ويشير إلى السؤال المقدَّر مثلها .

حذف الجواب الذى هو « كذبتم فى زعمكم » وأقام قوله : « لهم إلفٌ وليس لكم إلاف » مقامه لدلالته عليه ، ويجوز أن يقدَّر قوله : « لهم إلف وليس لكم إلاف » جوابًا لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف ، كأنه لما قال المتكلم : كذبتم ، قالوا: « لِم كذبنا ؟ » قال : « لهم إلف وليس لكم إلاف » فيكون فى البيت استئنافان .

وقد يحذف ولا يقام شيء مقامه[1] كقوله تعالى[2]: ﴿ نعمَ العبدُ ﴾ أى أيوب ، أو هو لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه ، ونحوه قوله : ﴿ فنعمَ الماهدون ﴾[3] أى نحن[4].

الوصل لدفع الإيهام :

وإن لم يكن بين الجملتين شيءٌ من الأحوال الأربع تعيَّن الوَصْلُ ؛ إما لدفع إيهام خلاف المقصود[5] ، كقول البلغاء : « لا ، وأيَّدك الله »[6] ، وهذا عكس الفصل للقطع[7].

الوصل للتوسط بين الكمالين :

وإما للتوسط بين حالتَىْ كمال الانقطاع وكمال الاتصال ، وهو ضربان :

---

(١) لوجود قرينة تدل عليه ، لأنه لا بد فى كل حذف من قرينة .

(٢) آية ٣٠ سورة ص .

(٣) آية ٤٨ سورة الذاريات .

(٤) تقديره « هم نحن » على ما سبق .

(٥) الوصل فى ذلك يجب بلاغةً لا نحوًا ، وهو إنما يكون فى كمال الانقطاع بين الجملتين عند إيهام الفصل فيه خلاف المقصود ، وقيل : إنه يأتى فى كمال الاتصال أيضًا عند ذلك الإيهام ، كما تقول لمن سألك : « هل تشرب خمرًا » ؟ « لا ، وتركت شربه » وقيل : إنه يتعين الفصل فى مثل هذا فيه ويدفع الإيهام بطريق آخر فيقال مثلاً : « لا قد تركت شربه » ، أو يسكت قليلاً بعد « لا » .

(٦) أى ليس الأمر كذلك وأيدك الله ، وقد اختلف فى هذه الواو ، فقيل : إنها عاطفة ، وقيل : إنها زائدة ، وقيل : إنها استئنافية .

(٧) لأن هذه الصورة من الوصل تقابل ما اشترط فى الفصل لكمال الانقطاع من عدم تأديته إلى إيهام خلاف المقصود .

أحدهما : أن يتفقا خبراً و إنشاء[1] ، لفظاً ومعنًى ، كقوله تعالى[2]: ﴿إن الأبرارَ لفى نعيم * وإن الفجّار لفى جحيم ﴾ وقوله : ﴿ يخرج الحى مِنَ الميت ويخرج الميت من الحى ﴾[3] وقوله: ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا ﴾[5] والثانى أن يتفقا كذلك معنًى لا لفظًا، كقوله تعالى[6] : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا اللهَ وبالوالدين إحسانًا وذى القربَى واليتامى والمساكين وقولوا ﴾ عطف قولــــه : ﴿ وقولوا ﴾ على قوله: ﴿ لا تعبدون ﴾ لأنه بمعنى لا تعبدوا . وأما قوله : ﴿ وبالوالدين إحسانًا ﴾ فتقديره : إما: وتحسنون بمعنى وأحسنوا ، وإما وأحسنوا[7] ، وهذا[8] أبلغ من صريح الأمر والنهى لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه . وأما قوله تعالى[9] في سورة البقرة : ﴿ وبشّر الذين آمنوا ﴾ فقال الزمخشرى فيه : فإن قلتَ : علام عُطف هذا الأمر ولم يسبق أمرٌ ولا نهى يصح عطفه عليه [10] ؟ قلتُ : المراد ليس الذى اعتُمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب لهُ مُشاكل من أمر أو نهى يعطف عليه ، إنما المعتمَد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ، فهى معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين[11] كما تقول : « زيد يعاقَب بالقيد والإرهاق،وبشّر عمراً بالعفو والإطلاق» ولك أن تقول : هو معطوف على ﴿ فاتقوا ﴾ كما تقول : « يا بنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم ، وبشّر يا فلان بنى أسد بإحسانى إليهم » هذا كلامه ، وفيه نظر لا

(١) أى مع وجود الجامع الآتى ، وهو شرط في الضرب الثانى أيضًا ؛ لأن هذه الصورة من الوصل بضربيها تقابل صورة الفصل فى كمال الانقطاع لعدم وجود الجامع .

(٢) آية ١٣ و١٤ سورة الانفطار .(٣) آية ٣١ سورة يونس. (٤) آية ١٤٢ سورة النساء .

(٥) آية ٣١ سورة الأعراف . (٦) آية ٨٣ سورة البقرة .

(٧) على التقدير الأول يكون من الضرب الأول ، وعلى التقدير الثانى يكون من الضرب الثانى .

(٨) أى صورة الخبر فى قوله : ﴿ لا تعبدوا ﴾ وفى تقديره « وتحسنون » أبلغ من صريح النهى والأمر أى لا تعبدوا وأحسنوا . (٩) آية ٢٥ سورة البقرة .

(١٠) أى فى قوله قبله ﴿ فإنْ لم تفعلوا ولنْ تفعلوا فاتقوا النارَ التى وَقودها الناسُ والحجارَة أعدّتْ للكافرين ﴾ .

(١١) هذا هو ما يسمَّى عطف قصة على قصة أو عطف مضمون كلام على مضمون كلام آخر ، فتعتبر فيه المناسبة بين القصتين ، ولا يمنع اختلافهما فى ذلك كمن عطف إحداهما على الأخرى .

يخفى على المتأمل[1] . وقال أيضًا في قوله تعالى في سورة الصف ﴿ وبشّر المؤمنين﴾[2] : إنه معطوف على ﴿ تؤمنون ﴾[3] لأنه بمعنى آمنوا[4] ، وفيه أيضًا نظر، لأن المخاطبين في ﴿ تؤمنون ﴾ هم المؤمنون، وفي ﴿ بشر ﴾ هو النبي عليه السلام[5] ثم قوله ﴿ تؤمنون ﴾ بيان لما قبله[6] على سبيل الاستئناف، فكيف يصح عطف ﴿ بشّر المؤمنين ﴾ عليه[7] ؟! وذهب السكاكي[8] إلى أنهما معطوفان على « قال » مرادًا قبل ﴿ يأيها الناس ﴾[9] و﴿ يأيها الذين آمنوا ﴾[10] لأن إرادة القول بواسطة انصباب الكلام إلى معناه غير عزيزة في القرآن ، وذكر صورًا كثيرة منها قوله تعالى[11] : ﴿وأنزلنا عليكمُ المنَّ والسلوَى كلوا ﴾ وقوله : ﴿ وإذْ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خُذُوا ﴾[12] وقوله : ﴿ وإذْ جعلنا البيتَ مثابةً للناس وأمنًا واتخذوا ﴾[13] أي وقلنا أو قائلين[14] والأقرب أن يكون الأمر في الآيتين معطوفًا على مقدّر يدل عليه ما قبله، وهو في الآية الأولى « فأنذر أو نحوه »، « أي فأنذرهم وبشر الذين آمنوا » وفي الآية الثانية « فبشر أو نحوه » أي فأبشر يا محمد وبشر المؤمنين ، وهذا كما قدر الزمخشري قوله تعالى ، ﴿ واهجرْني مَليا ﴾[15] معطوفًا على محذوف يدل عليه قوله: ﴿ لأرجّمنك ﴾أي فاحذرني واهجرني، لأن﴿ لأرجمنك ﴾ تهديد وتقريع .

(١) هذا النظر يرجع إلى تجويزه العطف على قوله : ﴿ فاتقوا ﴾ في الآية قبلها ؛ لأنه لا مناسبة بينهما لاختلاف المخاطب في الأمرين ، ولأن الأمر الأول مقيد بالشرط قبله فلا يصح عطف الثاني عليه لاقتضائه تقييده بما قيد به ، وقد أجيب عن الأول بأن اختلاف المخاطب لا يمنع التناسب لما فيه من التقابل وعن الثاني بأنه لا ضرر في تقييد الأمر الثاني بما قيد به الأول ؛ لأن الأول مقيد بعدم فعلهم ما أمروا به مما لا يمكنهم أن يفعلوه ، وهو الإتيان بسورة من مثل القرآن ، ولا ضرر في تقييد الأمر بالبشارة بذلك .

(٢) آية ١٣ سورة الصف . (٣) أي في الآية قبلها .

(٤) لهذا جزم قوله ﴿ يغفر ﴾ في الآية بعده في جوابه .

(٥) أجيب عن ذلك بما سبق أن اختلاف المخاطب لا يمنع تناسب الجملتين .

(٦) هو قوله : ﴿ يأيها الذين آمنُوا هلْ أدلكم على تجارة تنجيكمْ من عذاب أليم ﴾ آية ١٠ سورة الصف .

(٧) أجيب عن ذلك بأن مضمون قوله : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ مما يصح الاستئناف به أيضًا عن ذلك . (٨) ١٤١ - المفتاح . (٩) آية ٢١ سورة البقرة . (١٠) آية ١٠ سورة الصف .

(١١) آية ٥٧ سورة البقرة . (١٢) آية ٩٣ سورة البقرة . (١٣) آية ١٢٥ سورة البقرة .

(١٤) المقول : « كلوا » و « خذوا » و « اتخذوا » في الآيات الثلاث .

(١٥) آية ٤٦ سورة مريم .

الجامع بين الجملتين وأقسامه :

والجامع بين الجملتين ، ويجب أن يكون باعتبار المسند إليه فى هذه والمسند إليه فى هذه ، وباعتبار المسند فى هذا ، والمسند فى هذه جميعًا[1] كقولك : « يشعر زيد ويكتب ، ويعطى ويمنع » وقولك : « زيد شاعر » ، « وعمرو كاتب » ، « وزيد طويل » ، « وعمرو قصير » إذا كان بينهما مناسبة كأن يكونا أخوين أو نظيرين ، بخلاف قولنا : « زيد شاعر ، وعمرو كاتب » إذا لم يكن بينهما مناسبة ، وقولنا : « زيد شاعر ، وعمرو طويل » كان بينهما مناسبة أو لا ، وعليه قوله تعالى[2] : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أمْ لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ قطع عما قبله لأنه كلام فى شأن الذين كفروا ، وما قبله كلام فى شأن القرآن[3].

وأما ما يُشعِر به ظاهر كلام السكاكى[4] فى موضع من كتابه أنه يكفى أن يكون الجامع باعتبار المخبر عنه أو الخبر أو قيد من قيودهما فإنه منقوض بما مرّ[5] وبنحو قولك : هزم الأمير الجند يوم الجمعة ، وخاط زيد ثوبى فيه[6] ولعله سهو فإنه صرح فى موضع آخر منه[7] بامتناع عطف قول القائل « خُفّى ضيق » على قوله « خاتمى ضيق » مع اتحادهما فى الخبر[8].

(١) ظاهر هذا أنه لا يجب أن يكون باعتبار متعلقاتهما ، وقيل : إنه يعتبر ذلك فيهما أيضًا . والحق أنه لا يعتبر فيهما إلا إذا كانت المتعلقات مقصودة بالذات من الجملتين ، كقوله تعالى آية ٤١ سورة غافر ﴿ ويا قوم ما لِى أدعُوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النارِ ﴾ .

وقول الشاعر :

ظلّ يسعى إلى المعالى بجد ... والعلا لا يُنال إلا بكـــد

وقول الآخر :

أريد حيـــاتَه ويريد قَتْلِى ... عُذيرُك من خليلك من مراد

(٢) آية ٦ سورة البقرة .

(٣) هو قوله ﴿ آلم ، ذلك الكتابْ لا ريب فيهِ هدًى للمتقين ... ﴾ الآيات إلى هذه الآية .

(٤) ١٣٧ - المفتاح .

(٥) من الأمثلة التى امتنع فيها الوصل مع وجود الجامع فى المخبر عنه أو الخبر ، وإنما احتج بها مع أنها ليست من كلام مَن يحتج به من البلغاء لأنها محل اتفاق .

(٦) فالوصل ممتنع فيه أيضًا مع الاتحاد فى القيد .

(٧) ١٤٧ - المفتاح .

(٨) قيل : إنه لا سهو من السكاكى فى ذلك ؛ لأن الظاهر من كلامه وكلام غيره أن الجامع يكفى فيه التناسب بين الجملتين لا غير، وهذا التناسب له سبب وله مظنة ، فسببه اجتماع=

ثم قال[1] : الجامع بين الشيئين عقلي ووهمي وخيالي :

أما العقلي[2] فهو أن يكون بينهما اتحادٌ في التصور [3] أو تماثل [4] ؛ فإن العقل بتجريده المثلين عن التشخص في الخارج يرفع التعدد بينهما ، أو تضايفٌ كما بين

= الجملتين في القوة المفكرة بطريق العقل أو الوهم أو الخيال على ما يأتي ، ومظنة حصول الاتحاد بين الطرفين حقيقةً أو بتأويل قريب أو بعيد ، ولكن المظنة غير ملازمة للمظنون ، فقد يحصل التناسب مع الاتحاد في الطرفين ، كقولك « زيد يعطي ويمنع » وقد يحصل مع الاتحاد في أحدهما دون الآخر ، كمن يذكر في مجلسه الحركة والبياض فتقول له « الحركة عرض نقلة ، والبياض لون مفرق للبصر » فالتناسب موجود ولم يحصل إلا باتحاد المسند إليه في الجامع الخيالي ، وقد يحصل الاتحاد في الطرفين ولا يحصل التناسب ، كقولك « انظر إلى علم زيد ، وانظر إلى هذا القطع في ثوبك » وإنما منع السكاكي نحو « خاتمي ضيق ، وخفي ضيق » حيث لم يجمع بينهما ذكر في مجلس أو نحو ذلك كما صرّح به ، ومما يؤيد ذلك قوله تعالى آية ٨٨ سورة يوسف ﴿ مسَّنا وأهلنا الضرّ وجئنا ببضاعةٍ مزجاةٍ ﴾ فالمسندان المس والمجيء ، والمسند إليه فيهما الضر وإخوة يوسف ، وهما مختلفان لاّ يتحدانّ في شيء ، ومع هذا حصل الوصل بوجود التناسب بين المسندين لأن المس سبب في المجيء .

وقد ذهب السيد إلى أن مجرد الاتحاد أو التناسب في الغرض الذي تصاغ له الجملة يكفي في صحة الوصل ولو لم يتحد الطرفان ، وهذا كما يأخذ شخص في ذكر ما وقع في يوم من الأفعال « انطلق زيد ، وطاب الطعام ، وصليت الظهر الخ » وإني أرى أن هذا يصح نحوًا لا بلاغة ؛ لأنه في تأويل « حصل كذا وكذا » على معنى واو العطف لا واو الوصل ؛ لأن واو الوصل لا يؤتى بها لمثل هذا ، وإنما يؤتى بها لدفع الإيهام أو للدلالة على التناسب البلاغي بين الجملتين . والاتحاد في الغرض الذي تصاغ له الجملة لا يكفي في الوصل ؛ لأنه يجب في حال الفصل أيضًا كما سبق .

(١) ١٢٧ - المفتاح .

(٢) ضابطه أن يكون الجمع بين الشيئين فيه حقيقيًا . بأن يكون في الواقع ونفس الأمر .

(٣) بأن يكونا شيئًا واحدًا حقيقةً بالشخص والنوع ، كقول الشاعر :

سافر تجدْ عوضًا عمن تفارقهُ   وانصبْ فإنّ لذيذ العيش في النَّصب

(٤) بأن يتفقا في الحقيقة ويختلفا بالشخص مع اشتراكهما في وصف له نوع اختصاص بهما من صداقة أو نحوها ، كما سبق في نحو : « زيد شاعر ، وعمرو كاتب » وكتماثل المسند في قول الشاعر :

فيبكي إنْ نأوْا شــوقًا إليهم   ويبكي إنْ دنوا خوفَ الفراق

العلة والمعلول ، والسبب والمسبَّب ، والسفل والعلوّ ، والأقلّ والأكثر ؛ فإن العقل يأبى ألاّ يجتمعا فى الذهن[1] .

وأما الوهمىّ[2] فهو أن يكون بين تصوريهما شبهُ تماثل ؛ كلون بياضٍ ولون صفرة ، فإن الوهم يبرزهما فى معرض المثلين[3] ، ولذلك حَسُنَ الجمعُ بين الثلاثة التى فى قوله :

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتهـــا   شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ[4] .

أو تضاد[5] كالسواد والبياض ، والهمس والجهارة ، والطيب والنتنِ ، والحلاوة والحموضة ، والملاسة والخشونة ، وكالتحرك والسكون ، والقيام والقعود ، والذهاب والمجىء ، والإقرار والإنكار ، والإيمان والكفر ، وكالمتصفات بذلك كالأسود والأبيض ، والمؤمن والكافر . أو شبه تضاد[6] كالسماء والأرض ، والسهل والجبل ، والأول والثانى . فإن الوهم يُنزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة المتضايفين فيجمع بينهما فى الذهن ، ولذلك نجد الضد أقرب خطوراً بالبال مع الضد .

---

(١) فالمراد بالتضايف أن يكونا بحيث لا يمكن تعقل كل منهما من غير الآخر ، كما بين المبادرة إلى الفرصة والنهوض فى قول الشاعر :

بادرْ إلى الفرصة وانهضْ لما   تريد فيها فهْى لا تلبثُ

(٢) ضابطه أن يكون الجمع بين الشيئين فيه اعتباريًا غير محسوس بإحدى الحواس الظاهرة .

(٣) أما للعقل فيدرك أنهما نوعان متباينان داخلان فى جنس اللون كالبياض والسواد .

(٤) هو لمحمد بن وُهَيب ، وقد سبق فى الكلام على تقديم المسند فى الجزء الأول . والبيت فى عطف المفردات ، وقد سبق أنه ليس من الوصل فى رأى الجمهور وإنما هو من مراعاة النظير ، والثلاثة بينهما تماثل فى الإشراق .

(٥) المراد به ما يشمل تقابل الضدين كالسواد والبياض ، وتقابل الإيجاب والسلب ، وتقابل العدم والملكة . والجمع بين ذلك باعتبار الوهم أيضًا ، أما العقل فيدرك كل متقابلين فيه من غير الآخر .

(٦) معطوف على « تضاد » والمراد بشبه التضاد تقابلُ الشيئين اللذين لا يتنافيان فى ذاتهما ولكن يستلزم كل منهما معنى ينافى ما يستلزمه الآخر ، ومن الوصل للجامع الوهمى قوله تعالى آية ٨٢ سورة التوبة ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾ وقوله تعالى آية ١٣ و ١٤ سورة الانفطار ﴿ إن الأبرار لفى نعيم * وإنَّ الفجار لفى جحيم ﴾ .

والخيالى[(١)] أن يكون بين تصويرهما تقَارنٌ فى الخيال سابق [(٢)] ، وأسبابه مختلفة، ولذلك اختلفت الصور الثابتة فى الخيالات ترتيباً ووضوحًا ، فكم صور تتعانق فى خيال وهى فى آخر لا تتراءى ، وكم صورة لا تكاد تلوح فى خيال وهى فى غيره نار على عَلَم .

كما يُحكى أن صاحب سلاح ملك وصائغًا وصاحبَ بقرٍ ومعلّم صبية سافروا ذات يوم ، وواصَلوا سير النهار بسير الليل ، فبينما هم فى وحشة الظلام ومقاساة خوف التخبط والضلال طلع عليهم البدر بنوره ، فأفاض كل منهم فى الثناء عليه وشبهه بأفضـلِ ما فى خزانة صُورِه ، فشبَّهه السلاحىّ بالترس المُذهَّب يرفع عند الملك ، والصائغُ بالسبيكة من الإبريز تفْتر عن وجهها البُوتقة ، والبقَّارُ بالجبن الأبيض يخرج من قالبه طريًا ، والمعلم برغيف أحمر يصل إليه من بيت ذى مروءة .

وكما يُحكَى عن ورَّاق يصف حاله : عيشى أضيق من محبرة ، وجسمى أدق من مسْطرة ، وجاهى أرق من الزجاجِ ، وحظى أخفَى من شق القدَم ، وبدنى أضعف من قصبة ، وطعامىَ أمرّ من العَفْص ، وشرابى أشد سوادًا من الحبر ، وسوء الحالِ لِى ألزم من الصَّمْغ .

ولصاحب علم المعانى[(٣)] فضلُ احتياج إلى التنبه لأنواع الجامع لا سيما الخيالى؛ فإن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب فى ذاك ، كالجمع بين الإبل والسماء ، والجبال والأرض فى قوله تعالى ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقتْ * وإلى السماء كيف رُفعت ، وإلى الجبال كيف نُصبت * وإلى الأرض كيف سُطحتْ ﴾[(٤)] بالنسبة إلى أهل الوبر ، فإنَّ جُلَّ انتفاعهم فى معاشهم من الإبل فتكون عنايتُهم مصروفةً إليها ، وانتفاعهم منها لا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر ، فيكثر تقلب وجوههم فى السماء ، ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم وحصن

= وقول الشاعر :

إنْ كنتَ ذا رأىٍ فكنْ ذا عزيمة ولا تَكُ بالترداد للرأى مفسدَا

(١) ضابطه أن يكون الجمع بين الشيئين فيه اعتباريًا مسندًا إلى إحدى الحواس الظاهرة .

(٢) أى على الوصل ، فيأتى الوصل باعتباره .

(٣) هذا أيضًا من كلام السكاكى .

(٤) آية ١٧و ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ سورة الغاشية .

يتحصنون به ، ولا شيء لهم في ذلك كالجبال ، ثم لا غنى لهم لتعذر طول مكثهم فى منزل عن التنقل من أرض إلى سواها ، فإذا فتش البدوى فى خياله وجد صور هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور ، بخلاف الحَضَرى ، فإذا تلا قبل الوقوف على ما ذكرنا ظن النسق لجهله معيبًا[1] .

محسنات الوصل :

ومن محسنات الوصل [2] تناسب الجملتين فى الاسمية والفعلية ، وفى المُضِىّ والمضارعة [3] إلا لمانع ، كما إذا أريد بإحداهما التجدد وبالأخرى الثبوت ، كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو وقلت : « قام زيد ، وعمرو قاعد » كما سبق[4] :

---

(١) من الوصل للجامع الخيالى قول الأرَجانى :

فبتُّ من وصلــــك فى لذة ... حتى جلا الصبـــحُ مُحياه
والنجم قد أطبـــق أجفانه ... والنوم قد أطلـــق أسراه
والليل سيفُ الفجـر فى فرقه ... يقتله والديك ينعـــــاه

وقول الشاعر :

أعزُّ مكانٍ فى الدنيا سرجُ سابح ... وخير جليس فى الزمان كتابُ

(٢) حسن الوصل فى ذلك لا ينافى أنه واجب بلاغةً عند اقتضاء الحال له فإنه إذا كان المقام للثبوت فى الجملتين وجب تناسبهما فى الإسمية ، وإذا كان للتجدد وجب تناسبهما فى الفعلية ؛ لأن ما يجب بلاغةً يستند أكثره إلى التحسين ، ولهذا كان كل ما وجب لغةً وجب بلاغةً من غير عكس ، وقيل : إن ذلك من الحسن البديعى ؛ لأن مخله عند قصد النسبة فى الجملتين فى ضمن أى خصوصية كانت ، فيكون التناسب جائزًا لا واجبًا .

(٣) من تناسبهما فى الإسمية قول الشاعر :

أسودٌ إذا أبدت الحربُ نابها ... وفى سائر الدهر الغيوث المواطر

ومن تناسبهما فى المضىّ قول الشاعر :

أعْطيتَ حتى تركت الريحَ حاسرة ... وجُدتَ حتى كأن الغيثَ لم يَجُدِ

ومن تناسبهما فى المضارعة قول الشاعر :

نروح ونغـــــدو لحاجاتنا ... وحاجةُ مَن عاشَ لا تنقضى

(٤) فى الكلام على إسمية الجملة وفعليتها فى باب المسند ، ومن ذلك قوله تعالى : آية ١٧٨ سورة آل عمران ﴿ ولا يحسبنَّ الذينَ كفرُوا أنَّما نُملى لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملى لهم =

فروق الجملة الحالية :

ومما يتصل بهذا الباب القول فى الجملة إذا وقعت حالاً منتقلة[1] فإنها تجيء تارةً بالواو ، وتارةً بغير الواو[2] فتقول :

أصل الحال المنتقلة أن تكون بغير واو لوجوه :

الأول : أن إعرابها ليس بتبع [3] وما ليس إعرابه بتبع لا يدخله الواو ، وهذه وإن كانت تسمى واو الحال فإن أصلها العطف .

= ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين ﴾ وقوله آية ٨٧ سورة البقرة ﴿ ففريقًا كذّبتم وفريقًا تقتلون ﴾ .

ومن محسنات الوصل أيضًا التناسب في الإطلاق والتقييد ، والتناسب فى الإطلاق كثير ، أما التناسب فى التقييد فمنه قول الشاعر :

دنوت تواضعًا وعلوت مجدًا فشأناك انحدار وارتفاع

وقول الآخر :

تنام عينى وعين الليل ساهرة وتستحيل وصبغ الليل لم يَحُلِ

(١) يريد بها الحال المؤسسة . وكان الواجب أن يقول مؤسسة بدل المنتقلة لأن الحال تنقسم باعتبار إلى لازمة ومنتقلة ، كقولك « خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها » ، و « جاء زيد يضحك » . وباعتبار آخر إلى مؤسسة ومؤكدة ، كقولك « جاء زيد راكبًا » و « هو الحق لا ريب فيه » والحال المؤسسة هى التى أصلها أن تكون بغير واو منتقلة كانت أو لازمة ، والحال المؤكدة هى التى يمتنع الواو فيها .

(٢) ذكر بعض مؤلفى عصرنا أن الحال يجيء كذلك على مقتضى أحكامه النحوية ، فلا يصح الاشتغال به فى هذا العلم ، والحقّ أن ذلك قد يجرى على مقتضى مقامات يجب بها بلاغةً ما لا يجب نحوًا . فكل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من الواقع فهذا كما ذكر عبد القاهر لأنك عمدت إلى الفعل الواقع فى صدرها فضممته إلى الفعل الأول فى إثبات واحد ، كقولك « جاءنى زيد يسرع » فهو بمنزلة قولك « جاءنى زيد مسرعًا » . وهذا بخلاف كل جملة وقعت حالاً ثم اقتضت الواو ، فإنها لا تكون إلا حيث تريد أن تستأنف بها خبرًا ، ولا تقصد أن تضمها إلى الفعل الأول فى إثبات واحد . وهذا إنما يكون عند قصد الاهتمام بها أو إزالة شك أو إنكار أو نحو ذلك .

(٣) يريد تبعية عطف النسق لأنها هى التى تقتضى الواو ، بخلاف تبعية غيرها كالنعت .

الثانى : أن الحال فى المعنى حُكمٌ على ذى الحال كالخبر بالنسبة إلى المبتدأ ، إلا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم به يحصل بالأصالة لا فى ضمن شىء آخر ، والحكم بها إنما يحصل فى ضمن غيرها ؛ فإن الركوب مثلا في قولنا « جاء زيد راكبًا » محكوم به على زيد لكن لا بالأصالة بل بالتبعية ، بأن وُصِلَ بالمجىء ، وجُعل قيدًا له ، بخلافه فى قولنا : « زيد راكب » .

الثالث : أنها فى الحقيقة وصفٌ لذى الحال ؛ فلا يدخلها الواو كالنعت ، فثبت أن أصلها أن تكون بغير واو ، ولكن النون خُولف الأصل فيها إذا كانت جملة ، لأنه بالنظر من حيث هى جملة[1] مستقلة بالإفادة ، فتحتاج إلى ما يربطها بما جُعلتْ حالا عنه ، وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط ، والأصل للضمير[2] بدليل الاقتصار عليه فى الحال المفردة والخبر والنعت . وإذا تمهد هذا فنقول : الجملة التى **تقع حالا ضربان : خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه ، وغير خالية :**

أما الأول : فيجب أن تكون بالواو لئلا تصير منقطعة عن غيره مرتبطة به ، وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز أن يُنتصَبَ عنه حال يصح أن تقع حالاً عنه إذا كانت مع الواو إلا المُصدَّرة بالمضارع المثبت ، كقولك « جاء زيد ويتكلم عمرو » على أن يكون « ويتكلم عمرو » حالاً عن زيد ، لما سيأتى أن ارتباط مثلها يجب أن يكوّن بالضمير وحده .

وأما الثانية : فتارةً يجب أن تكون بالواو ، وتارة يمتنع ذلك ، وتارة يترجح أحدهما ، وتارة يستوى الأمران ، والواو غير مُنافٍ للضمير فى إفادة الربط[3] ، فتعيَّن التنبيه على أسباب الاختلاف ، فنقول :

الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو ، كقوله تعالى[4] :

---

(١) أى لا حال .

(٢)يعنى فى نظر البلغاء ، فلا يُعْدَل عنه إلا لنكتة تدعو إلى زيادة ارتباط الحال بصاحبها كقصد الاهتمام أو نحوه ، فيؤتَى بها عند ذلك جملةً مســتقلة وتربط بالواو وحدها أو مع الضمير ، أما النحاة فيستوى عندهم الحال المفردة والجملة المرتبطة بالضمير والواو .

(٣) لأنه يجوز الربط بهما معًا ، كقولك : « جاء زيد وهو يضحك » .

(٤) آية ١١٠ سورة الأنعام .

﴿ونَذرهمْ فى طُغيانهم يعمهون﴾ وقوله ﴿ولا تمنن تستكثر﴾[1] وقوله : ﴿وسيُجنبها الأتقى ؟ الذى يؤتى ماله يتزكى﴾[2] لأن أصل الحال المفردة أن تدل على حصول صفة غير ثابتة[3] مقارن لِما جُعلتْ قيدًا له[4]، والمضارعِ المثبت كذلك . أما دلالته على حصول صفة غير ثابتة فلأنه فعل مثبت ، والفعل المثبت يدل على التجنيد وعدم الثبوت كما مَرّ[5] وأما دلالته على المقارنة فلكونه مضارعا[6] فوجب أن يكون بالضمير وحده كالحال المفردة ، وبهذا امتنع نحو « جاء زيد ويتكلم عمرو » كما مر ، وأمَّا ما جاء من نحو قول بعض العرب « قمت وأصكُّ عينه أو وجهه » وقول عبد الله بن همَّام السَّلولى :

فلمَّا خشيتُ أظافيرَهمْ   نجوتُ وأرْهَنُهُمْ مالكا[7]

فقيل : على حذف المبتدأ ، أى أصُكُّ عينه وأنا أرهنهم ، وقيل : الأول شاذ والثانى ضرورة ، وقال الشيخ عبد القاهر[8] : ليست الواو فيهما للحال بل هى

---

(١) آية ٦ سورة المزمل برفع تستكثر ، وقرىء بجزمه على أنه بدل اشتمال لا حال .

(٢) آية ١٧ و ١٨ سورة الليل .

(٣) هذا مبنى على جعله أصل الكلام هنا فى الحال المنتقلة ، والحق كما سبق أنه فى الحال المؤسسة منتقلةً كانت أو لازمة .

(٤) ما جعلت قيدًا له هو العامل .

(٥) فى الكلام على أحوال المسند . ودلالته على الحصول بكونه مثبتًا ، وعلى التجديد بكونه فعلا ، والمراد بالتجدد حصوله بعد أن لم يكن كما سبق .

(٦) لأن المضارع يدل على الحال فيدل على تلك المقارنة ، وقد رُدَّ هذا بأن تلك المقارنة معناها مقارنة الحال لزمان عاملها ماضيًا كان أو حالاً أو استقبالاً . وهذا غير دلالة المضارع على الحال ، والحق أن هذه النكتة على طولها ومع ورود هذا عليها نكتة نحوية لا يصح ذكرها فى هذا العلم وقد سبقت نكتة ذلك بلاغةً عن عبد القاهر من أنك لا تقول « جاءنى زيد يسرع » إلا وأنت تريد أن تضم الفعلينْ فى إثبات واحد . ولا تُعْنى بالحال كما تعنى بها فى قولك « جاءنى زيد وهو يسرع » وهذا لا يمنع أن يكون أقوى فى الإثبات من قولك « جاءنى زيد مسرعًا » .

(٧) الأظافير : جمع أظفار جمع ظفر وهذا كناية عن خوفه من تمكنهم منه . وكان عبيد الله بن زياد توعده فهرب منه إلى الشام ، ومالك هو عريفه الوارد فى قوله بعد هذا البيت :

عريفًا مقيمًا بدار الهوان   أهْوِن علىَّ به هالكا

(٨) ١٢٦ . دلائل الإعجاز .

للعطف ، وأصك وأرهن بمعنى صككت ورهنت . ولكن الغرض من إخراجهما على لفظ الحال أن يحكيا الحال في أحد الخبرين ويدعا الآخر أصله كما في قوله :

ولقد أمُرُّ على اللئيم يسبني فمضيتُ ثمّت قلت لا يَعنيني[١]

يبين ذلك أن الفاء قد تجيء مكان الواو في مثله ، كما أخبر عبد الله ابن عَتيك، فإنه ذكر دخوله على أبي رافع اليهودي حصنه ثم قال : فانتهيتُ إليه فإذا هو في بيت مظلم لا أدري أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع ، قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهِشٌ . فإن قوله « فأضربه » مضارع عطفه بالفاء على ماض لأنه في المعنى ماض .

إن كان الفعل مضارعاً منفيًا فيجوز فيه الأمران من غير ترجيح ، لدلالته على المقارنة لكونه مضارعًا ، وعدم دلالته على الحصول لكونه منفيًا[٢] أما مجيئه بالواو فكقراءة ابن ذكوان ﴿ فاستقيما ولا تتَّبعان ﴾ بتخفيف النون [٣] وقول بعض العرب : كنت ولا أخشى بالذيب ، وقول مسكين الدَّارميّ :

أكســبْته الوَرِقُ البيضُ أباً ولقد كان ولا يُدْعَى لأب[٤]

وقول مالك بن رفيع وكانَ قد جنَى جنايةً فطلبه مُصْعَبُ بن الزبير :

---

(١) هو لعميرة بن جابر ، وقد سبق في الكلام على تعريف المسند إليه باللام في الجزء الأول ، ومحل الشاهد هنا قوله « أمر » بالمضارع مع قوله « مضيت » بالماضي .

(٢) هذه النكتة ضعيفة أيضاً كنكتة المضارع المثبت ، والحق أن المضارع المنفى كالمضارع المثبت في امتناع دخول الواو كما هو مذهب جمهور النحاة ، وقد خالفهم الزمخشري في ذلك ، والجمهور يؤولون ما ورد بالواو من المنفى كتأويل المثبت ، وإذا جرينا على مذهب الزمخشري فنكتته أن حرف النفى أبعده عن الدخول مع الفعل الأول في إثبات واحد .

(٣) آية ٨٨ سورة يونس . أما بتشديدها فهو نهْيٌ معطوفٌ على ما قبله ، والحق أن الواو مع التخفيف للعطف أيضًا ؛ لأنه نفى في معنى النهى ، ولا يصح أن تكون لحال لأنها تكون حالاً مؤكدة وقد سبق أنها لا يصح دخول الواو عليها .

(٤) الورق : المال من الدراهم ويُجمع على أوراق ، وقد وُصف بالجمع في البيت كما يقال « الدرهم البيض » لتعدده في المعنى . يعنى أنه أكسبه نسبًا معروفًا بعد أن كان مجهولاً .

بَغاني مُصعَبٌ وبنو أبيـــــه   فأين أحيدُ عنهم لا أحيـــدُ
أقادُوا من دمِي وتوعَّـلـــونى   وكنتُ وما يُنَهْنِهُنى الوعيـدُ(١)

وأما مجيئه بغير واو فكقوله تعالى(٢) : ﴿ ومَا لَنَا لا نُؤمنُ باللهِ ﴾ .

وقول عكرِشَة العبسى :

مضَوا لا يريدون الرواحَ وغــــالهمْ   من الدهر أسبابٌ جرَينَ على قدر(٣)

وقول خالد بن يزيد بن معاوية :

لو أن قومًا لارتفاع قبيلـــــة   دخلوا السماءَ دخلتُها لا أُحجَب (٤)

وقول الأعشى :

أتينا إصبهـــانَ فهَزلَتنـــا   وكنَّا قبل ذلك فى نعيـــم
وكان سفاهةً منى وجهْـــلا   مَسيرى لا أسير إلى حمِيم (٥)

وإن كان ماضيًا لفظًا أو معنًى فكذلك يجوز الأمران من غير ترجيح . أما

(١) قوله « أحيد » بمعنى أتنحى وأنجو منهم ، وقوله « أقادوا من دمى » بمعنى قتلوا بدل قتيلهم . وقوله « ينهنهنى » بمعنى يزجرنى ، والشاهد فى قوله :
{ وما ينهنهنى الوعـــــيد }

(٢) آية ٨٤ سورة المائدة .

(٣) هو لأبى شغب عكرشة العبسى من شعر له فى رثاء ابنه شغب ، وقبله :
سقى الله أجداثًا ورائى تركتها   بحاضر قنَّسرين من سبل القطر
الرَّواح :الرجوع آخر النهار والمراد به هنا مطلق الرجـــوع ، وقوله « غالهم » بمعنى أهلكهم ، والقدر مصدر « قدرته قدراً » بمعنى قَدَّرته تقديراً ، أى جرين على أسباب مقدرة . والشاهد فى قوله : « لا يريدون الرواح » .

(٤) قوله « لارتفاع قبيلة » تعليل لقوله « دخلوا السماء » والشاهد فى قوله « دخلتها لا أحجب » .

(٥) هما لعبد الرحمن بن عبد الله المعروف بأعشى همْدان ، وكان قد صحب عباد ابن ورقاء إلى إصبهان فلم يحمد صحبته ، وقوله « هزلتنا » بمعنى أضعفتنا ، والحميم : الصديق . والشاهد فى قوله « لا أسير إلى حميم » وهو حال من ياء المتكلم .

مجيئه بالواو فكقوله تعالى حكاية[1] : ﴿ أنَّى يكون لى غلامٌ وقد بلغنى الكِبَرُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أنَّى يكون لى غلامٌ وكانت امرأتِى عاقرًا ﴾[2] .

وقول امرىء القيس :

أيقتلنى وقد شـــعفْتُ فؤادَها

كما شعف المهنوءةَ الرّجلُ الطالى[3]

وقوله :

فجئتُ وقد نضَّتْ لنومٍ ثيابها لَدَى السِّتْر إلا لبْسَةَ المتفضّل[4] .

وقوله تعالى[5] ﴿ قال أوحِىَ إلىَّ ولمْ يُوحَ إليهِ شىءٌ ﴾ وقوله : ﴿ أنَّى يكونُ لى غلامٌ ولَمْ يمسسنى بشرُ ﴾[6] . وقول كعب :

لا تأخذنِّى بأقوال الوُشاة ولمْ أُذنبْ وإن كثرْت فىّ الأقاويلُ[7]

وقوله تعالى[8] : ﴿ أمْ حسبْتم أنْ تدخلوا الجنة ولـمَّا يأتكم مَثل الذين خَلوْا من قبْلكم ﴾ . وقول الشاعر :

---

(1) آية ٤٠ سورة آل عمران .

(2) آية ٨ سورة مريم .

(3) هو لحندج بن حُجْر المعروف بامرىء القيس ، وقوله « شعفت فؤادها » بمعنى غلب حبها لى على قلبها وخالطه ، وشعفة القلب : رأسه ، والمهنوءة : المطلية بالقطران . وشعفها بمعنى طلاها ، والمعنى أن حبها له بلغ ما يبلغ القطران من الناقة المهنوءة ، فإنه يسرى فى جسمها حتى يوجد طعمه فى لحمها ، والشاهد فى قوله « وقد شعفت » .

(4) هو لامرىء القيس أيضًا ، وقوله « نضت » بمعنى نزعت ، والمتفضل الذى يبقى فى ثوب واحد لينام أو يعمل عملاً ، والشاهد فى قوله « قد نضت » .

(5) آية ٩٣ سورة الأنعام . وهذه الآية وما بعدها من أمثلة الماضى معنًى ، وهو المضارع المنفى بلم ولما .

(6) آية ٢٠ سورة مريم .

(7) هو لكعب بن زهير ، والوشاة : جمع واش وهو النمام ، والأقاويل : جمع أقوال وهى جمع قول . والشاهد فى قوله « ولم أذنب وإن كثرت » .

(8) آية ٢١٤ سورة البقرة .

بانت قطام ولمّا يحظَ ذو مِقَـــةٍ منها بِوَصْلٍ ولا إنجاز ميعاد [١]

وأما مجيئه بلا واو فكقوله تعالى: ﴿ أو جاؤوكم حصرتْ صدورهُمْ ﴾ [٢] .

وقول الشاعر :

وإنى لتعزونـــــى لذاكراك هِزَّةٌ كما انتفَض العصفورُ بلَّلَهُ القَطَرُ [٣]

وقوله :

أتيناكمْ قد عمَّكم حذرُ العِـــدَى فنلتم بنا أمنًا و لم تعدَموا نصر [٤]

وقوله :

متى أرى الصبحَ قد لاحتْ مخايلهُ والليلَ قد مَزّقت عنه السرابيل [٥]

وكقوله تعالى: ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضْل لم يمسسهمْ سوءٌ ﴾ [٦] .

وقوله : ﴿ وردَّ الله الذين كفروا بغيْظهم لم ينالوا خيراً ﴾ [٧] وقول امرىء القيس :

فأدركك لم يجهد ولم يثن شأوه [٨] .

---

(١) لا يُعرف قائله . وقطام : اسم محبوبته ، والمقة : مصدر وَمَقهُ يمقه ومقْا ومقة » بمعنى أحبه . والشاهد فى قوله : ولما يحظ .

(٢) آية ٩٠ سورة النساء .

(٣) هو لعبد الله بن مسلم المعروف بأبى صخر الهُذلى ، والهزة : بكسر الهاء اسم الهيئة من « هزَّ » . والشاهد فى قوله « بلله القطر » .

(٤) لا يُعرف قائله ، والحذر الخوف . وإضافته إلى العدى من إضافة المصدر إلى المفعول . والعدى الأعداء . والشاهد فى قوله « قد عمكم » .

(٥) هو لحندج بن حندج المرّى ، ومخايل الصبح : طلائعه ، والسرابيل : جمع سربال وهو القميص استعيرت لظلام الليل . والشاهد فى قوله « قد لاحت ، وقد مزقت » .

(٦) آية ١٧٤ سورة آل عمران .

(٧) آية ٢٥ سورة الأحزاب .

(٨) هو لحندج بن حجر المعروف بامرىء القيس من قوله :

فأدرك لم يجهد يثن شأوه يمر كخذروف الوليد المثقب

يصف بذلك فرسه . والشأو : الطلق ، والخذروف : الدوارة التى يلعب بها الصبى ، والمعنى أنه يدرك طريدته بغير مشقة فى أول شأوه . والشاهد فى قوله « لم يجهد » .

وقول زهير :

كأن فُتاتَ العِهْنِ فى كُلِّ منزل نَزَلْنَ به حَبُّ الفَنا لم يُحْطَمِ[١]

والسبب فى أن جاز الأمران فيه إذا كان مثبتًا دلالتُه على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلاً ، وعدم دلالته على المقارنة لكونه ماضيًا[٢] لهذا اشترط أن يكون مع«قد» ظاهرةً أو مقدَّرة حتى تقرِّبه إلى الحال فيصح وقوعه حالا ، وظاهرُ هذا يقتضى وجوب الواو فى المنفىّ لانتفاء المعنيين[٣] لكنه لم يجب فيه بل كان مثله ، أما النفى بلمَّا فلأنها للاستغراق[٤] وأما المنفىّ بغيرها فإنه لما دل على انتفاء متقدم[٥] وكان الأصل استمرار ذلك[٦] حصلت الدلالة على المقارنة عند إطلاقه[٧] بخلاف المثبت فإن وضع الفعل على إفادة التجدد[٨] وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب بخلاف استمرار الوجود كما بين فى غير هذا العلم[٩].

وإن كانت الجملة اسمية فالمشهور أنه يجُوز فيها الأمران ، ومجىءُ الواو أوْلى . أما الأول[١١] فلعكس ما ذكرناه فى المصَدَّرة بالماضى المثبت[١٢] ؛ فمجىء الواو كقوله

---

(١) الفتات اسم لما انفت وتقطع من الشىء ، والعهن : الصوف المصبوغ ، والفنا : عنب الثعلب . شبه فتات الصوف المصبوغ الذى زينت به الهوادج بحَبِّ الفَنا فى حمرته قبل تحطيمه ؛ لأنه إذا حطم تزول حمرته ، والشاهد فى قوله « لم يحطم » .

(٢) هذه النكتة ضعيفة كما سبق ، والحق أنن دخول « قد » أو حرف النفى على الماضى أبعده عن دخوله مع الفعل الأول فى إثبات واحد .

(٣) هما الدلالة على حصول صفة غير ثابتة ، والدلالة على المقارنة .

(٤) يعنى به امتداد النفى من زمن الانتفاء إلى زمن التكلم .

(٥) أى على زمن التكلم . (٦) أى استمرار الانتفاء .

(٧) بعدم ذكر قرينة تدل على الانقطاع ، كقولك « لم يضرب زيد أمس لكنه ضرب اليوم» . (٨) أى من غير أن يكون الأصل استمراره .

(٩) بيانه أن استمرار الوجود عبارة عن وجود عَقيبَ وجود ، أو لا بد للوجود الحادث من سبب ، أما استمرار العدم فهو عدم لا يحتاج إلى وجود سبب بل يكفيه مجرد انتفاء سبب الوجود ،ويكون الأصل فيه الاستمرار عند الإطلاق . (١٠) هو جواز الأمرين .

(١١) عكس ذلك هو أن الجملة الإسمية تدل على المقارنة لكونها مستمرة ، ولا تدل على حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام ، وقد سبق بيان ضعف هذه النكتة .

تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتمْ تعلمون ﴾(١) وقوله : ﴿ ولا تُباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ﴾(٢).

وقول امرىء القيس :

أيقتُلنى والمَشرفِىُّ مضاجعــــى ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال(٣)

وقوله :

ليالِىَ يدعونى الهــوى فأجيبه وأعْيُنُ مَنْ أهْــوَى إلىَّ رَوان(٤)

والخلوّ منها كما رواه سيبويه « كلَّمتُه فوه إلى فىَّ ، ورجع عَوْدُه على بدئه » بالرفع(٥). وما أنشده أبو على فى الإغفال :

ولولا حنانُ الليل ما آب عامر إلى جعفــر سرباله لم يمزّق(٦)

وقول الآخر :

ما بالُ عينك دمعها لا يَرقا(٧)

وقول الآخر :

ثم راحوا عبق المسك بهم(٨)

---

(١) آية ٢٢ سورة البقرة . (٢) آية ١٨٧ سورة البقرة .

(٣) انظر ص ٤٦ ، والشاهد فى قوله « والمشرفىّ مضاجعى » .

(٤) هو لامرىء القيس أيضًا ، والروانى جمع رانية وهن مديمات النظر ، والجار والمجرور قبله متعلق به ، الشاهد فى قوله « وأعين من اهوى إلى روان » .

(٥) أما النصب وهو « فاه إلى فى ، وعوده إلى بدئه » فيكون الحال فيه مفردًا لا جملة ، لأنه يكون كل من « فاه وعَوْده ، هو الحال » .

(٦) هو لسلامة بن جندل ، وجنان الليل : ظلمته ، والسربال : القميص وقد استعاره لنفس عامر أو هو كناية . يعنى أنه لولا ظلمة الليل لقتل ، والشاهد فى قوله: «سرباله لم يمزق» .

(٧) لا يُعلم قائله ، والبال : الحـال ، وقوله : « لا يرقأ » مأخوذ من : « رقأ الدمع أو الدم » جَفَّ وانقطع . والشاهد فى قوله « دمعها لا يرقأ » .

(٨) هو من قول عمرو بن العبد المعروف بطرفة :

ثم رَاحوا عَبَق المســك بهم يُلحفونَ الأرضَ هدَّاب الأزْرِ

والعبق : مصدر « عبق » بمعنى فاحت رائحته ، وهداب الأزر : ما استرسل منها إلى الأرض فتكون لها كلحاف وغطاء ، والشاهد فى قوله « عبق المسك بهم » . وقبل البيت :

وأسدُ غِيل فإذن ما شربوا وهبــــوا كل أُمونٍ وطِمِر

وأما الثانى[1] فلعدم دلالة الإسمية على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة[2] فتحسن زيادة رابط ليتأكد الربط .

وقال الشيخ عبد القاهر[3] « إن كان المبتدأ ضمير ذى الحال وجبَ الواو . كقولك « جاء زيد وهو يسرع ، أو وهو مسرع » ولعل السبب فيه أن أصل الفائدة كان يحصل بدون هذا الضمير ، بأن يقال « جاءنى زيد يسرع أو مسرعاً » فالإتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافى للاتصال ، فلا يصلح لأن يستقل بإفادة الربط فتجب الواو » . وقال أيضاً ﷺ : إنْ جعلَ نحو « على كتفه سيف »[4] بتقديم الظرف حالاً عن شيء ، كما فى قولنا « جاء زيد على كتفه سيف » كثر فيها أن تجيء بغير واو ، كقول بشار :

إذا أنكرتْنى بلدةٌ أو نكرتها خرَجتُ مع البازِى عليَّ سوادُ[5]

يعنى - عليَّ بقية من الليل . وقول أبى الصَّلتِ عبد الله الثقفى يمدح ابن ذِى يزن : واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفِقاً فى رأس غُمدانَ داراً منك محلالا[6]

---

(١) هو كون مجيء الواو أوْلى .

(٢) المهم فى هذه النكتة هو ظهور قصد الاستئناف فى الجملة الإسمية . أما دلالتها على الثبوت فلا شأن له فى ذلك كما سبق .

(٣) ١٣٣ - دلائل الإعجاز .

(٤) نحوه كل جملة اسمية خبرها جارّ ومجرور ومتقدم .

(٥) قوله « أنكرتنى أو نكرتها » بمعنى كرهتنى أو كرهتها ، والبازى : الباز وهو ضرب من الصقور ، والشاهد فى قوله « عليَّ سـواد » ولكن قد يقال : إن خروجه مع الباز كناية عن تبكيره ، وعلى هذا تكون جملة « عليَّ سواد » حالاً مؤكدة ، وقد سبق أن أصل الكلام فى الحال المؤسسة .

(٦) هو لأبى الصلت عبد الله بن أبى ربيعة الثقفى ، وقيل : إنه لأمية ابنه ، والأقرب أنه لأبيه ، والمرتفق : الواقف الثابت الدائم أو المتكيء ، وداراً : منصوب به على الظرفية ، وغمدان: قصر باليمن يشمل على دور قصور تحلها ملوكه ، ومحلالاً : بمعنى كثير حلولها لكرم صاحبها . والشاهد فى قوله « عليك التاج » . والخطاب لسيف بن ذى يزن ، وهو الذى أخرج الحبشة من اليمن .

وقول الآخر :

لقد برت للذل أعــــواد منبرٍ تقوم عليها فى يديك قضيبُ[١]

ثم قال[٢] : والوجه أن يقدر الاسم فى الأمثلة مرتفعًا بالظرف ، فإنه جائز باتفاق من صاحب الكتاب وأبى الحسن[٣] لاعتماده على ما قبله[٤] ثم اختار أن يكون الظرف هنا خاصة تقدير اسم فاعل ، وجوَّز أيضًا أن يكون فى تقـدير فعل ماض مع « قد » ، ومنع أن يكون فى تقدير فعل مضارع ، ولعله إنما اختار تقديره باسم فاعل لرجوع الحال حينئذ إلى أصلها فى الإفراد ، ولهذا كثر مجيئها بلا واو ، وإنما جوَّز التقدير بفعل ماض أيضًا لمجيئها بالواو قليلاً ، وإنما منع التقدير بفعل مضارع لأنه لو جاز التقدير به لامتنع مجيئها بالواو[٥] .

ثم قال[٦] : وربما يحسن مجيء الاسمية بلا واو لدخول حرف على المبتدأ ، كما فى قوله :

فقلتُ عَسَى أنْ تبصُرينى كأنما بَنِيَّ حوالَيَّ الأُسُود الحوارد[٧]

فإنه لولا دخول « كأن » عليه لم يحسن الكلام إلا بالواو ، كقولك : عسى أن تبصرينى وبنىَّ حواليَّ الأسود .

---

(١) هو لأبى وائلة بن خليفة السدوسى فى هجاء عبد الملك بن المهلب . والقضيب السيف أو الغصن المقطوع . والشاهد فى قوله « فى يديك قضيب » .

(٢) ١٤٤ . دلائل الإعجاز .

(٣) صاحب الكتاب : سيبويه ، وأبو الحسن : هو سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط .

(٤) ما قبله هو صاحب الحال ؛ لأن الظرف يكون على هذا متعلقًا بمحذوف منصوب على الحالية ، فيعتمد على صاحبه اعتماد الصفة على موصوفها .

(٥) الحق أنه يجوز تقديره بالمضارع ؛ لأنه لا فرق بينه وبين المفرد فى امتناع الواو .

(٦) ١٤٠ . دلائل الإعجاز .

(٧) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق يخاطب امرأة عذلته فى اعتنائه ببنيه ، وقيل : إنه يقول ذلك لامرأته حين قالت له : ليس لك ولد ، وإن متَّ ورثك قومك . والحوارد : الغضاب جمع حارد ، والشاهد فى قوله « كأنما بنى حوالى إلخ » وحوالى من « بنى » .

ثم قال (١) : وشبيه بهذا أن تقع حالاً بعقب المفرد فيلطف مكانها(٢) بخلاف ما لو أفردت(٣) كقول ابن الرومى :

والله يبقيكَ لنا سالما بُرداك تبجيل وتعظيم(٤)

فإنه لو قال « والله يبقيك لنا برداك تبجيل » لم يحسن .

هذا كله إذا لم يكن صاحبها نكرة مقدَّمة عليها ، فإن كان كذلك نحو « جاء رجل وعلى كتفه سيف » وجب الواو لئلا تشتبه بالنعت :

وأما نحو قوله تعالى(٥) : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم ﴾ فقال السكاكى(٦) : الوجه فيه عندى هو أن ﴿ ولها كتاب معلوم ﴾ حال لقرية لكونها فى حكم الموصوف نازلة « وما أهلكنا قرية من القرى » لا وصف ، وحمله على الوصف سهوٌ لا خطأ ، ولا عيب فى السهو للإنسان ولا ذام ، والسهو ما يتنبه له صاحبه بأدنى تنبيه ، والخطأ ما لا يتنبه له صاحبه أو يتنبه ولكن بعد تعب . وكأنه عرَّض بالزمخشرى حيث قال فى تفسيره ﴿ لها كتاب ﴾ جملة واقعة صفة لقرية ، والقياس

---

(١) ١٤٠ - دلائل الإعجاز . (٢) أى مكان الاسمية بلا واو .

(٣) يعنى لم تقع عقب مفرد .

(٤) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى ، والبرد : فى الأصل ثوب مخطط ، وقد ثناه هنا باعتبار لفظ التبجيل والتعظيم وإن كان معناهما واحداً ، وهو يدعو لممدوحه أن يبقى سالماً مشتملا عليه ذلك اشتمال البرد على لابسه . والشاهد فى قوله سالـمًا برداك تبجيل وتعظيم ؛ لأن الأول « حال مفرد » ، والثانى « جملة اسمية » من غير واو لوقوعها عقبه . هذا والحق أن طريقة عبد القاهر فى الجملة الإسمية تنظر إليها من جهة البلاغة ، أما تجويز الأمرين فيها على الإطلاق فهو مذهب علماء النحو ، ومثل هذا لا يعنى به هنا ، بنى عبد القاهر مجيء الواو وتركها فى الجملة الاسمية على قصد الاستئناف وعدمه كما سبق فى الجملة الفعلية ، ولكن الأصل عنده فى الجملة الاسمية أن تكون مبنية على قصد الاستئناف ، وقد أوجب الواو فيها إذا كانت مبتدأة بضمير ذى الحال ؛ لأنها يقصد منها الاستئناف دائماً ، أما غيرها فيجوز أن تأتى على خلاف الأصل فى الجملة الإسمية ، فتكون فى تأويل المفرد ، نحو « كلمته فُوه إلى فى » وكل هذا يجرى على ما يقتضيه حال المخاطَب فى الشك والإنكار وغيرهما .

(٥) آية ٤ سورة الحِجْر (٦) ١٣٥ : المفتاح

ألاّ يتوسط الواو بينهما كما فى قوله تعالى: ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرونَ﴾[1] وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، كما يقال فى الحال « جاءنى زيد وعليه ثوب » ، « وجاءنى زيد وعليه ثوب » ، ثم قال السكاكى[2] :

من عرف السبب فى تقديم الحال إذا أريد إيقاعها عن النكرة تنبه لجواز إيقاعها عن النكرة مع الواو فى مثل « جاءنى رجل وعلى كتفه سيف » ولمزيد جوازه فى قوله عزّ اسمه ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾ [3] على ما قدّمتُ .

واعلم أن السكاكى بنَى كلامه فى الجملة الواقعة حالاً على أصول مضطربة لا يخفى حالها على الفَطِن ، لا سيما إذا أحاط علمًا بما ذكرناه وأتقنه ، فآثرنا الإعراض عن نقل كلامه والتعرض لما فيه من الخلل ، لئلا يطول الكتاب من غير طائل .

* * *

---

(1) آية ٢٠٨ سورة الشعراء .

(2) ١٥٠ - المفتاح .

تمرينات على الوصل والفصل

تمرين - ١

(١) لماذا فصل الشاعر بين الجملتين فى قوله :

جزى اللهُ الشدائد كلَّ خير   عرفتُ بها عدوى من صديقى

(٢) لماذا وصل الشاعر بين الجملتين فى قوله :

سافرْ تجدْ عِوَضًا عمَّن تفارقه   وانصَبْ فإن لذيذ العيش فى النَّصَبِ

تمرين - ٢

(١) بَيِّن موضع الوصل والفصل فى قوله تعالى آية ١ ، ٢ سورة الكوثر ﴿ إنا أعطيْناكَ الكوثر ، فصل لربك وانحر ﴾ .

(٢) بين الفصل لكمال الانقطاع ولشبه كمال الاتصال فى قوله الشاعر :

قال لى كيف أنت ؟ قلتُ عليلُ   سهرٌ دائم وحُزنٌ طويل

تمرين - ٣

(١) بين سبب الفصل فى موضعيه من قوله تعالى آية ٢ سورة الرعد ﴿ يُدبِّر الأمرَ يفصِّلُ الآياتِ لعلكُم بِلقاء ربكُم توقِنُون ﴾ .

(٢) لأى جامع حصل فى قول الشاعر :

ولستُ بهيَّاب لِمنْ لا يَهابُنى   ولستُ أرى للمرء ما لا يرى ليا

تمرين - ٤

(١) لماذا فصل الشاعر بين الجملتين مع كونهما خبريتين فى قوله :

الفقر فيما جاوزَ الكفافا   مَن اتّقى الله رجا وخافا

(٢) مر أبو بكر ﷺ برجل فى يده ثوب فقال له : أتبيع هذا ؟ فقال : لا يرحمك الله ، فقال له : لا تقل هكذا : وقل: ويرحمك الله . فأمره بزيادة « واو »

بين لا ، وقوله « يرحمك الله » ليكون وصلاً لا فصلاً ، فما هو السبب فى أمر أبى بكر له بالوصل بين الجملتين ؟ وهل الوصل يجب فى ذلك بلاغةً أو نحواً ؟ وهل الجملة الثانية خبر أو إنشاء ؟ .

تمرين – ٥

(١) لماذا فصل بين الجملتين فى قول الشاعر :

قمْ للمعلم وفّه التبجيـــلا   كاد المعلم أن يكون رسولا

(٢) بيّن سبب الوصل والفصل فى قوله تعالى آية ١١ ، ١٢ ،١٣ سورة المزمل ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً ، وذرنى والمكذّبين أولى النعمة ومهلهمْ قليلا ، إن لدينا أنكالاً وجحيمًا وطعامًا ذا غُصَّةٍ وعذابًا أليمًا ﴾ .

تمرين – ٦

(١) بين موضع الوصل للتناسب فى الاسمية والفعلية ، ولِمَ وصل مع عدمه فى قوله تعالى آية ١١ سورة سبأ ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحُها شهر وأسلنا له عينَ القِطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السَعير ﴾ . وبين لِمَ فُصّل فيه الحال أيضًا ؟ .

(٢) لماذا أتت الجملة الحالية من غير واو فى قول الشاعر :

الا ليتَ شعرى هل أبيتن ليلةً   بمكة حولى إذْخِرٌ وجليلُ

(٣) لماذا عطف « يذبحون » فى قوله تعالى : آية ٦ سورة إبراهيم ﴿ وإذْ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبّحون أبناءكم ويستحيون نِساءكم ﴾ ولم يعطف فى قوله تعالى آية ٤٩ سورة البقرة ﴿ وإذ نجّيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ ؟ .

* * *

القول فى الإيجاز والإطناب والمساواة

تعريف السكاكى للإيجاز والإطناب والمساواة :

قال السكاكى[1] : « أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيّين[2] لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق[3] والبناء على شىء عرفى[4] مثل جعْل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم فى التأدية للمعانى فيما بينهم « ولا بد من الاعتراف بذلك[5] فى مَقيسًا عليه[6] ولنسمّة « متعارَف الأوساط » وإنه فى باب البلاغة لا يُحْمَد منهم ولا يُذَمّ .

فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط[7] ، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراته ، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل »[8] ثم قال[9] « الاختصار لكونه من الأمور النسبية يُرجَع فى بيان

(١) ١٥٠ - المفتاح .

(٢) إنما كانا نسبيين لأن إيجاز الكلام إنما هو بالنسبة إلى كلام أزيد منه ، وإطنابه إنما هو بالنسبة إلى كلام أنقص منه ، وكذلك المساواة نسبية أيضًا .

(٣) يعنى بالتحقيق التعيين ، وإنما لم يتيسر الكلام فيهما إلا بتركه لأنه لما كان ذلك شأنهما لم يمكن تعيين مقدار من الكلام للإيجاز ومقدار منه للإطناب ، فرُب كلام موجز يكون مطنبًا بالنسبة إلى كلام آخر وبالعكس .

(٤) أى وإلا بالبناء على شىء عرفى وهو ما يعرفه أهل العرف فى الجملة ؛ لأن هذا أقرب شىء يُرجع إليه فى مثل ذلك .

(٥) جملة معترضة ، أى ولا بد من الاعتراف بكلام الأوساط لأن أكثر الناس منهم ، وأوساط الناس هم الذين لم يصلوا إلى رتبة البلاغة ولم ينحطّوا إلى حال الفهاهة ، فيكون كلامهم صحيح الإعراب من غير مراعاة ما يقتضيه الحال فى الكلام .

(٦) أما المقيس فهو الإيجاز والإطناب ، ولا شك أن قياسهما بذلك يعينهما فى الجملة لانضباطه وقلة التفاوت فيه .

(٧) يسمى الإيجاز باسم الإشارة فى بعض كتب البلاغة .

(٨) لم يذكر تعريف المساواة لأنها على ذلك تكون عبارةً عن متعارف الأوساط ، وهو يرى أنه لا فضيلة له لأنه لا يحمد ولا يذم ، فما يحصل من البليغ مساويًا له لا يكون بليغًا مثله لعدم اشتماله على نكتة يعتد بها ، وقيل : إن المساواة من البليغ تعد بليغة إذا اقتضاها المقام بأن يكون من يخاطبه من الأوساط ، والحق أنه لا يعتد بمثل ذلك كما سيأتى .

(٩) ١٥٦ - المفتاح .

دعواه[١] إلى ما سبق تارة ، وإلى كون المقام خليقًا بأبسط مما ذُكِر أخرى[٢] . وفيه نظر ؛ لأن كون الشيء نسبيًا لا يقتضى ألاّ يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والبناء على الشيء عرفى[٣] ثم البناء على متعارف الأوساط والبسط الذى يكون المقصود جديرًا به ردّ إلى جهالة[٤] فكيف يصلح للتعريف ؟! .

تعريف الخطيب :

والأقرب أن يقال : المقبول من طرق التعبير عن المعنى : هو تأدية الأصل المراد[٥] بلفظ مساو له[٦] أو ناقص عنه وافٍ ، أو زائد عليه لفائدة ، والمراد بالمساواة

---

(١) أى مسماه ، مأخوذ من « دعاه بكذا » بمعنى سماه به .

(٢) هذا عندما يكون أقل مما يقتضيه المقام بحسب الظاهر ، كقوله تعالى آية ٤ سورة مريم ﴿ رب إنّى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبًا ﴾ هو إجاز بالقياس إلى ما يقتضيه ظاهر مقام انقراض الشيب من بسط الكلام فيه غاية البسط ، وليس بإيجاز بالقياس إلى متعارف الأوساط فى ذلك ، وهو قولهم « يا ربّ شخت » بل هو إطناب بالقياس إليه ، وإنما اعتبر فى ذلك أن يكون أقل ما يقتضيه المقام فى الظاهر لأنه إذا كان أقل مما يقتضيه تحقيقاً لم يكن بليغًا .

(٣) يعنى أن يكونه كذلك لا يقتضى تعسر تحقيق معناه ، وأجيب عنه بأنه لا يريد بذلك تعسر بيان معنى الإيجاز والإطناب لأنه بينه بما سبق ،وإنما يريد تعسر تعيين أن هذا القدر إيجاز وذاك إطناب ، وبهذا وجب الرجوع فى بيان معناهما إلى القياس على متعارف الأوساط .

(٤) أجيب عنه بأنه يراد من متعارف الأوساط الكلام الذى تكون فيه الألفاظ على قدر المعانى الأصلية مع صحة الإعراب وعدم مراعاة مقتضى الحال ، ومع هذا لا يكون البناء عليه ردًا إلى جهالة ، أما المعنى الثانى للإيجاز وهو المبنى على البسط المذكور فالظاهر أنه معنى مجازى له، وليس معنى حقيقيًا يراد به ضبط الإيجاز وتمييزه .

(٥) إضافة أصل إلى المراد بيانية ، وأصل المراد هو المعنى الأول الذى يقصد المتكلم به إفادته للمخاطب ولا يتغير بتغير العبارات واعتبار الخصوصيات .

(٦) على هذا تكون المساواة داخلة فى المقبول من طرق التعبير عن المعنى ، وقد قيل : إن هذا يخالف ما سبق عن السكاكى من أنها لا تحمد ولا تذم ، والحق أنه لا خلاف بين السكاكى والخطيب فى ذلك ، لأن ما ذكره السكاكى هو أنها لا تحمد فى باب البلاغة ، وهذا لا ينافى قبولها من أوساط الناس ، ولهذا حكم فيما سبق بأنه لا بد من الاعتراف بكلام هؤلاء الأوساط، والخطيب يعنى بالمقبول من طريق التعبير ما يشمل قبول هذا من الأوساط ، ولا يريد به ما يقبل فى البلاغة فقط .

أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصاً عنه بحذف أو غيره ، كما سيأتى ، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض كما سيأتى .

الإخلال : وقولنا « واف » احتراز عن الإخلال ، وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى ، كقول عُرْوه بن الورد :

عجبتُ لهمْ إذ يقتلون نفوسَهم ومقتلْهم عند الوغى كان أعْذرا[1]

فإنه أراد « إذ يقتلون نفوسهم فى السلم » ، وقول الحارث بن حلزة :

والعيشُ خيرٌ فى ظلا لِ النَّوك ممن عاش كدّا[2]

فإنه أراد « العيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاق فى ظلال العقل » فأخلَّ كما ترى .

التطويل والحشو :

وقولنا « لفائدة » احتراز من شيئين : أحدهما التطويل وهو ألاّ يتعين الزائد فى الكلام ، كقوله :

وألْفَى قولها كذباً ومَيْنا[3]

فإن الكذب والمين واحد .

وثانيهما ما يشتمل على الحشو ، والحشو ما يتعين أنه الزائد ، وهو ضربان : أحدهما ما يفسد المعنى ، كقول أبى الطيب :

---

(١) يعنى بقتلهم نفوسهم موتهم على فراشهم جبنًا عن القتال ، والوغى : الحرب ، وأفعل التفصيل فى قوله « أعذرا » ليس على بابه ، لأنه يريد نفى العذر عنهم فى قتلهم نفوسهم .

(٢) النوك : الحمق ، والكد : مصدر « كدّ » إذا اشتد فى العمل .

(٣) هو لعدىّ بن زيد العِبادى من قوله :

وفاجأها وقد جمعتْ جموعًا على أبواب حصن مصلتينا
وقدَّدتِ الأديم لراهشيْــــه وألفى قولها كــــذبًا ومَيْنا

وقيل : إنه لعدىّ بن الأبرش ، وقوله ، « قددت » بمعنى قطعت وضميره للزباة ملكة تَدمُر ، والأديم : الجلد ، والراهشان : عرقان فى باطن الذراع ، والضمير المضاف إليه لجزيمة بن الأبرش ملك الحيرة وقصتهما معروفة . وقد روى « كذبًا مبينًا » فلا يكون فيه تطويل ، وقيل : إنه لا تطويل فى الرواية الأولى ؛ لأن القصد منه التأكيد ، والمقام يقتضيه .

ولا فضلَ فيها للشجاعة والندَى وصبر الفتى لولا لقاءُ شعوبِ[1]

ومن ذلك أيضًا قول الشاعر :

أعاذل عاجلُ ما أشتهى أحَبُّ من الأكثر الرَّيِّثِ

أراد « عاجل ما أشتهى مع القلة ، أحب من الأكثر المبطىء » .

فإن لفظ « الندى »فيه حشو يفسد المعنى ، لأن المعنى أنه لا فضل فى الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت ، وهذا الحكم صحيح فى الشجاعة[2] دون الندى ؛ لأن الشجاع لو علم أنه يخلدُ فى الدنيا لم يخش الهلاك فى الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل ، بخلاف باذل ماله ، فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله ، ولهذا يقول إذا عوتب فيه : كيف لا ابذل ما لا أبقى له ؟ أنَّى أثق بالتمتع بهذا المال ؟ وعليه قول طرفه :

فإن كنتَ لا تستطيعُ دفع منيتى فذرْنى أبادرها بما ملكتْ يدى[3]

وقول مهيار :

فكلْ إنْ أكلتَ وأطْعمْ أخاكَ فلا الزادُ يبقى ولا الآكلُ[4]

فلو علم أنه يخلد ثم جاد بماله كان جوده أفضل ، فالشجاعة لولا الموت لم تُحمد ، والندى بالضد ، وأجيب عنه بأن المراد بالندى فى البيتِ بذل النفس لا بذل المال ، كما قال مسلم بن الوليد :

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى . والندى : الكرم . وشعوب : عَلَم جنس للمنية وهى الموت. وقد جر بالكسر لأجل الروى ؛ لأنه مما لا ينصرف فيجر بالفتحة .

(٢) كذلك الصبر لتيقن الصابر زوال المكروه فى العادة على تقدير الخلود ، فلا يكون فى صبره فضل أيضًا .

(٣) هو لعمرو بن العبد المعروف بطرفة وقبله :

ألا ايهذا اللائمى احضر الوغى وأن احضر اللذات هل أنت مخلدى ؟

والمنية : الموت ، وقوله « ذرنى أبادرها » بمعنى اتركنى أسبقها بالتمتع بمالى قبل أن تحرمنى منه ، وهذا هو معنى قول من يعاتب فى بذل ماله : كيف لا أبذل إلخ .

(٤) هو لمهيار بن مرزويه الديلمى . وقوله « إن أكلت » بمعنى إن قدرت على الأكل ، أو التقدير « فكل وأفضل إن أكلت » .

يجود بالنفس إن ضَنَّ الجَوادُ بها   والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ

ورُدّ بأن لفظ « الندى » لا يكاد يُستعمل فى بذل النفس ، وإن استعمل فعلى وجه الإضافة ، فأما مطلقاً فلا يفيد إلا بذل المال ·

والثانى ما لا يفسد المعنى كقوله :

ذكرتُ أخـــى فعاودنى   صداعُ الرأس والوَصَبُ (١)

فإن لفظ (الرأس) فيه حشو لا فائدة فيه ؛ لأن الصداع لا يستعمل إلا فى الرأس ، وليس بمفسد للمعنى · وقول زهير :

وأعلمُ عِلمَ اليوم والأمس قبله   ولكنى عنْ عِلْم ما فى غدٍ عَمِى

فإن قوله « قبله » مستغنى عنه غير مفسد · وقول أبى عدى :

نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سمَتْ   فى المجـــد للأقوام كالأذْناب(٢)

فإن قوله « للأقوام » حشوٌ لا فائدة فيه مع أنه غير مفسد(٣) ·

وأعلم أنه قد تشتبه الحال على الناظر لعدم تحصيل معنى الكلام وحقيقته فيعد من الزائد على أصل المراد ما ليس منه ، كما مثّله بعض الناس(٤) بقول القائل :

---

(١) هو لأبى العيال بن أبى عنْترة الخفاجي من قصيدته في رثاء أخ له ، والصداع : وجع الرأس ، والجصب: المرض والوجع الدائم · وأخذ عليه أيضًا أن الذاكرَ لما فات من محبوب يوصف بألم القلب واحتراقه لا بالصداع ·

(٢) هو كما فى « حُسْنِ التوسل » لأبى عدى عبد الله بن عمر بن عبد الله العَبْلى الأموى القرشى ، والمراد بالرؤوس أشراف الناس ورؤساؤهم ، والمراد بالأذناب سفلتهم · وكان أبو عدى من بنى أمية ملوك المسلمين بعد الخلفاء الراشدين ·

(٣) هذا وقد قيد ابن مالك قبحَ الحشو بِغير المفسد بما ليس فيه بديع ، فإن كان فيه بديع حسن ، كقول المتنبى :

وخفوقُ قلب لو رأيتِ لهيبه   يا جنتى لرأيت فيه جهنما

فقوله « يا جنتى » حشو ولكنه حسنٌ لما فيه من المطابقة لجهنم ، والمطابقة من المحسنات البديعية ·

(٤) منهم ابن قتيبة إذ يقول فى هذه الأبيات : إنها كفارغ بندق ، وليس فيها على ضخامة لفظها كبير معنى ، فهى عنده من التطويل الذى لا فائدة فيه ·

ولَمَّا قضينا مِنْ مِنى كل حاجــة ومسَّح بالأركان مَن هو ماســحُ
وشُدَّت على دُهْم المهارى رِحالنُا ولَـمْ ينظُرِ الغادى الذى هو رائحُ
أخذنا بأطـــراف الأحاديث بيننا وسالتْ بأعناق المَطِىِّ الأباطح[1]

يبين أنه ليس منه ما ذكره الشيخ عبد القاهر فى شرحه[2] قال : أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال « ولما قضينا من منى كل حاجة » فعبَّر عن قضاء جميع المناسك فرائضها وسننها بطريق العموم الذى هو أحد طرق الاختصار . ثم نبه بقوله « ومسح بالأركان من هو ماسح » على طواف الوداع الذى هو آخر الأمر ودليل المسير الذى هو مقصوده من الشعر ، ثم قال « وشدت » البيت ، فوصل بذكر مسح الأركان ما وليه من ذمّ الركاب وركوب الركبان . ثم دل بلفظ « الأطراف » على الصفة التى تختص بها الرفاق فى السفر من التصرف فى فنون القول وشجون الحديث، أو ما هو عادة المتظرفين من الإشارة والتلويح والرمز والإيماء[3] وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط ، كما توجبه ألفة الأصحاب ، وأنسة الأحباب ويليق بحال من وُفّق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الإياب ، وتنسَّم روائح الأحبة والأوطان ، واستماع التهانى والتحايا من الخلان والإخوان ، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة حيث قال « وسالت بأعناق المطى الأباطح » فنبه بذلك على سرعة السير ووطأة الظهر ، وفى ذلك ما يؤكد ما قبله ؛ لأن الظهور إذا كانت وطيئة وكان سيرها سهلاً سريعًا زاد ذلك فى نشاط الركبان ، فيزداد الحـديث طيبًا . ثم قال « بأعناق المطى » ولم يقل بالمطى ؛ لأن السرعة والبطء فى سير الإبل يظهران

---

(١) هى لكُثَيِّر بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزَّة ، وقيل : لابن الطثرية ، وقيل : لعقبة بن كعب بن زهير المعروف بالمضرّب ، والأركان : أركان للكعبة ، والدُّهم : السود ، والمهارى . جمع مهرية وهى نوق منسوبة إلى مهرة ، والغادى: السائر فى أول النهار ، والرائح : ضده . والأباطح جمع بطحاء وهى مسيل واسع فيه رمل ودقائق الحصى . وقد ذكر من عد هذه الأبيات زائدة على أصل المراد أن أصله فيها « ولما رجعنا من منى أخذنا فى الكلام » والزائد على هذا فيها تطويل عنده لا فائدة فيه .

(٢) ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ أسرار البلاغة .

(٣) فأطراف الحديث جمع طرف وهو مختارها .

غالبًا فى أعناقها ، ويتبين أمرهما من هواديها[١] وصدورها ، وسائرُ أجزائها تستند إليها فى الحركة ، وتتبعها فى الثقل والخفة[٢] .

* * *

(١) جمع هادية وهى العنق .

(٢) ظاهر كلام عبد القاهر أن الأبيات الثلاثة من الإيجاز ، وقيل : إنها من المساواة ، وكان على الخطيب أن يذكر مقامات الإيجاز والإطناب والمساواة ، لأن هذا من أهم ما يعنى به فى علم المعانى ، ومقام الإيجاز هو مقام الحذف السابق فى المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل ، ومقام الإطناب هو قصد التأكيد أو زيادة الإيضاح أو بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب أو نحو ذلك . وللإيجاز مواضع تلائمه كالحكم والأمثال ، وللإطناب مواضع تلائمه كالمدح والفخر والوعظ ، أما مقام المساواة فهو مقام الإتيان بالأصل حيث لا مقتضى للعدول عنه ، وهذه النكتة لا يعتمد بها فى البلاغة كما سبق ، ولهذا كانت المساواة غير محمودة ولا مذمومة .

القسم الأول - المساواة

كقوله تعالى ﴿ ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله ﴾[1] وقوله : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرِض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴾[2]

وقول النابغة الذُّبيانى :

فإنك كالليل الذى هو مُدركى وإنْ خِلْتُ أنَّ المنتأى عنك واسع[3]

* * *

---

(١) آية ٤٣ سورة فاطر ، ولا يقدح فى عده من المساواة ما فيه من حذف المستثنى منه ؛ لأن اعتبار الحذف فى ذلك لرعاية الإعراب ولا يفتقر إليه فى تأدية أصل المراد ، حتى إنه لو صرح به يكون من الحشو ، نعم يقدح فى عده من المساواة أنه يقع تذييلاً فى آية ﴿ استكبارًا فى الأرض ومكر السيىء ، ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله ﴾ اللهم إلا أن ينظر فى عده من المساواة إليه فى ذاته بقطع النظر عما قبله ، ولكنه إذا نظر إليه فى ذاته فهو من القصر الذى سبق أنه نوع من الإيجاز ، وقد عد العسكرى الآية من الإيجاز فى كتاب : « الصناعتين » وقد قيل : كيف تقع المساواة فى القرآن وهى لا تصل إلى رتبة البلاغة كما سبق ؟ وأجيب بأن وقوعها فى موضع من القرآن لا يمنع اشتماله على وجوه أخرى من البلاغة ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب ، لأنه يشترط فى المساواة أن تكون خالية من جميع الاعتبارات البلاغية كما سبق فى تعريفها ، والحق أنها نادرة الوقوع فى الكلام البليغ ، وإنما تقع فى كلام الأوساط كما سبق .

(٢) آية ٦٨ سورة الأنعام .

(٣) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبيانى ، والخطاب فيه للنعمان ابن المنذر ، والمنتأى : مكان الانتباء وهو البعد ، وإطلاق السعة عليه مجاز مرسل علاقته المجاورة ؛ لأن الواسع فى الحقيقة هو مسافة ما بين المخاطب ومكان البعد الذى لجأ إليه النابغة ، ولا يقدح فى عد البيت من المساواة ما فيه من حذف جواب الشرط ؛ لأنه تقدير إعراب لا يقدح فيها .

ومهما بعد من المساواة قول زهير :

ومهما يكنْ عند امرىء من خليقة وإنْ خالها تَخفَى على الناس تُعلمِ

وقول بعضهم :

إذا أنت لم تُقصِرْ عن الجهل والخنا أصبتَ حليمًا أو أصابك جاهل

القسم الثانى – الإيجاز

وهو ضربان :

إيجاز القصر :

أحدهما إيجاز القِصَر[1] وهو ما ليس بحذف ، كقوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاصِ حياةٌ ﴾[2] فإنه لا حذف فيه[3] مع أن معناه كثير يزيد على لفظه ؛ لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتل قُتل كان ذلك داعياً له قويًا إلى ألاَّ يُقْدِمَ على القتل ، فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ، فكان ارتفاع القتل حياةً لهم ، وفَضْلُهُ على ما كان عندهم أوجزَ كلام فى هذا المعنى ، وهو قولهم : « القتل أنْفَى للقتل » من وجوه :

أحدهما : أن عدة حروف ما يناظره منه وهو ﴿ فى القصاص حياة ﴾ عشرة فى التلفظ[4] وعدة حروفه أربعة عشر .

وثانيها : ما فيه من التصريح بالمطلوب الذى هو الحياة بالنص عليها ، فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى إلى الاقتصاص .

وثالثها : ما يفيده تنكير (حياة) من التعظيم أو النوعية كما سبق[5] .

ورابعها : اطّراده ، بخلاف قولهم ؛ فإن القتل الذى ينفى القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره .

---

(١) بكسر القاف وفتح الصاد ، وإن كان المشهور فتح القاف وسكون الصاد . وكثرة المعانى مع قصر الألفاظ تأتى من كون اللفظ لا يقتصر على دلالة واحدة ، بل تتنوع دلالته ويدل بالتضمن والالتزام على أكثر مما يدل عليه بالمطابقة .

(٢) آية ١٧٩ سورة البقرة .

(٣) أى لم يحذف فيه شيء مما يؤدى به من أصل المراد ، أما متعلق الجار والمجرور بتقديره لرعاية الإعراب فقط .

(٤) هى الفاء واللام والقاف والصاد والألف والصاد والحاء ، والياء ، والألف ، والتاء ، ولم يضف التنوين إليها لسقوطه فى الوقف .

(٥) فى الكلام على تنكير المسند إليه فى الجزء الأول .

وخامسها : سلامته من التكرار الذى هو من عيوب الكلام ، بخلاف قولهم .

وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم ؛ فإن تقديره « القتل أنفى للقتل من تركه »[١] .

وسابعها : أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طِباق كما سيأتى[٢] .

وثامنها : جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال « فى » عليه على ما تقدم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ هُدًى للمتقين ﴾[٣] أى هدًى للضالين الصائرين إلى الهدى بعد الضلال[٤] وحسّنه التوصل إلى تسمية الشىء باسم ما يؤول إليه[٥] وإلى تصدير السورة بذكر أولياء الله تعالى ، وقوله : ﴿ أتُنبّئون الله بما لا يعلم ﴾[٦] أى بما لا ثبوت له ولا علم لله متعلق بثبوته نفيًا للملزوم بنفى اللازم[٧] وكذلك قوله تعالى : ﴿ ما للظالمين منْ حميمٍ ولا شفيعٍ يُطاعُ ﴾[٨] أى لا شفاعة ولا طاعة على أسلوب قوله :

على لاحبٍ لا يُهْتَدى بمناره[٨]

---

(١) قيل : هذا تقدير إعرابى كما فى الآية ، وقيل : إن أفعل التفضيل فيه ليس على بابه فلا يحتاج إلى تقديره ، ولا يخفى ضعف هذا التقدير ، والحقُّ أنه يراد من قولهم أن القتل أنفى للقتل من كل زاجر ، وهذا هو الذى يجب أن يقدّر لا ما قدّره الخطيب وهو ليس تقدير إعراب ، وأفعل التفضيل فيه على بابه .

(٢) فى علم البديع .　　(٣) آية ٢ سورة البقرة .

(٤) فلا يراد « المتقون » بالفعل لأنهم مهتدون ، وقد يقال : إن الهدى يقبل الزيادة والنقصان ؛ فلا مانع من إرادة المتقين بالفعل .

(٥) فيكون مجازًا مرسلاً .　　(٦) آية ١٨ سورة يونس .

(٧) الملزوم الثبوت واللازم العلم .　　(٨) اية ١٨ سورة غافر .

(٨) هو لحندج بنْ حجْرٍ المعروف بامرىء القيس من قوله :

على لاحبٍ لا يُهتدى بمناره　　إذا ساقه العَودُ النباطى جَرْجرا

واللاحب : الطريق يمشى على جهة ، والمنارة : ما يجعل عليه من علامة ، وقوله «ساقه» بمعنى شمه، والعود : الجمل المسن ، والنباطى : الضخم منسوب إلى النبط ، وقوله « جرجر » بمعنى : رغا وضج ، وإنما يرغو الجمل لمعرفته ببعد الطريق .

أى لا منار ولا اهتداء ، وقوله :

ولا ترى الضبَّ بها ينجحر[١]

أى لا ضب ولا انجحار .

ومن أمثلة الإيجاز أيضًا قوله تعالى[٢] فيما يخاطب به النبى عليه الصلاة والسلام ﴿ خُذ العفْو وأمُر بالعُرْف وأعْرِضْ عن الجاهلين ﴾ فإنه جمع فيه مكارم الأخلاق ، لأن قوله ﴿ خذ العفو ﴾ أمَر بإصلاح قوة الشهوة[٣] ؛ فإن العفو ضد الجَهْل ، قال الشاعر :

خذى العفو مِنّى تستديمى مودتى[٤]

أى خذ ما تيسر أخذه وتسهَّل ، قوله : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ أمر بإصلاح قوة الغضب[٥] ، أى أعرض عن السفهاء واحْلُم عنهم ولا تكافئهم على أفعالهم . هذا ما يرجع إليه منها ، وأما ما يرجع إلى أمته فدلَّ عليه بقوله : ﴿ وأمُر بالعرف ﴾ أى بالمعروف والجميل من الأفعال ؛ ولهذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه فيما رُوى عنه : أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق ، وليس فى القرآن آية أجمع لها من هذه الآية .

---

(١) هو لأوس بن حجر :

لا يُفزِعُ الأرنبَ أهوالُها ولا ترى الضَّبَّ بها يَنجحر

يصف مفازة بأنها غير مطروقة للناس ، فلا يوجد ما يفزع أرنبها ، أو ينجحر به ضبها أى يدخل حجره ، والشاهد فى البيتين ورود النفى على المقيد وقيده معًا ، وروده على القيد فقط .

(٢) آية ١٩٩ سورة الأعراف .

(٣) هى قوة النفس تبعث على جانب المنافع ، وإصلاحها بجعلها تطلب ما تيسر لا ما تعسر .

(٤) هو لأسماء بن خارجة الفزارى من قوله :

خذى العفو مِنّى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سَوْرتى حين أغْضَبُ

يخاطب بذلك امرأته ، وسَوْرَة الشىء : شدته .

(٥) هى قوة النفس تبعث على دفع المضار .

ومنها قول الشريف الرضى :

مالوا إلى شُعَب الرحال وأسندوا   أيدى الطعان إلى قلوب تخفق(١)

فإنه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة فى أثناء وصفهم بالغرام عبَّر عن ذلك بقوله « أيدى الطعان » .

ومنها ما كتب عمرو بن مَسْعدى عن المأمون الرجل يُعْنى به إلى بعض العمال حيث أمره أن يختصر كتابه ما أمكن : « كتابى إليك كتاب واثق بمن كَتَب إليه ، مَعْنىٍّ بمن كتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله » .

إيجاز الحذف :

والضرب الثانى إيجاز الحذف ، وهو ما يكون بحذف ، والمحذوف إما جزء جملة أو أكثر من جملة .

والأول : إما مضاف ، كقوله تعالى : ﴿ واسأل القرية ﴾(٢) أى أهلها ، كقوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم المَيْتة ﴾(٣) أى تناوُلها ؛ لأن الحكم الشرعى إنما يتعلق بالأفعال دون الأجرام ، وقوله تعالى : ﴿ حرمنا عليهمْ طيبات أحلت لهم ﴾(٤) أى تناول طيبات أحل لهم تناولها ، وتقدير التناول أوْلى من تقدير الأكل ليدخل فيه شرب ألبان الإبل ؛ فإنها من جملة ما حُرِّمت عليهم ، وقوله تعالى : ﴿ وأنعامٌ حُرِّمت ظهورها ﴾(٥) ، أى منافع ظهورها وتقدير المنافع أوْلى من تقدير الركوب لأنهم حرموا ركوبهم وتحميلها ، وكقوله تعالى : ﴿ لمنْ كان يَرجْون الله ﴾(٦) أى رحمة الله ، وقوله تعالى : ﴿ يخافون ربّهم ﴾(٧) أى عذاب ربهم ، وقد ظهر هذان المضافان فى قوله تعالى : ﴿ ويرجون رحمته ويخافونَ عذابه ﴾(٨) .

---

(١) هو لمحمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضى ، وشعب الرحال : خشبها . وميلهم إليها : كناية عن ارتحالهم وركوبهم عليها ، وقوله « تخفق » بمعنى تضطرب لفراق الأحبة .

(٢) آية ٨٢ سورة يوسف .

(٣) آية ٣ سورة المائدة .

(٤) آية ١٦٠ سورة النساء .

(٥) آية ١٣٨ سورة الأنعام .

(٦) آية ٢١ سورة المؤمنون .

(٧) آية ٥٠ سورة النمل .

(٨) آية ٥٧ سورة الإسراء .

وإما موصوف ، كقوله :

أنا ابن جلا وطلاَّع الثنايا[1]

أى أنا ابن رجل جلا[2]

وإما صفة ، نحو : ﴿ وكان وراءهم مَلِكٌ يأخُذ كلَّ سفينة غصبًا ﴾[3] أى كل سفينة صحيحة أو صالحة أو نحو ذلك بدليلِ ما قبله[4] وقد جاء ذلك مذكورًا فى بعض القراءات ، قال سعيد بنُ جبَير : كان ابن عباس ﷺ يقرأ ﴿ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا ﴾ . وإما شرط كما سبق[5] .

وإما جواب شرط ، وهو ضربان :

أحدهما : أن يحذف لمجرد الاختصار[6] كقوله تعالى[7] : ﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بينَ أيديكم وما خلفكم لعلكم تُرحمون ﴾ أى أعرضوا بدليل[8] قوله بعده ﴿ إلا

---

(١) هو لسُحيم بن وَثيل :

أنا ابنُ جلا وطلاَّعُ الثنايا   متى أضع العمامة تعرفونى

والثنايا : جمع ثنية وهى الطريق فى أعلى الجبل أو الطريق الصعب منه ، ويعنى بكونه طلاعا للثنايا أنه ركّاب لصعاب الأمور ، والمراد بالعمامة عمامة الحرب وهى البيضة ، يعنى أنه متى يضعها على رأسه يعرفوا شجاعته .

(٢) جلا : إما بمعنى انكشف أى منكشف الأمر ، أو بمعنى « كشفَ الأمور » وهذا مبنى على القول بجوز حذف موصوف الجملة مطلقًا ، وقيل : إنه لا يجوز إلا إذا كان بعضَ اسم مجرور بمن أو فى كقولهم « منا ظعن ومنا أقام » أى فريق ظعن وفريق أقام ، وقيل : إن « جلا » علَم لرجل فلا يكون فيه حذف ، وعلى هذا يكون منقولا عن جملة ، ولهذا لم يصرف .

(٣) آية ٧٩ سورة الكهف .

(٤) هو قوله : ﴿ فأردتُ أنْ أعيبها ﴾ .

(٥) فى آخر باب الإنشاء من هذا الجزءِ من تقدير الشرط فى جواب التمنى والاستفهام والأمر والنهى .

(٦) هذه نكتة لفظية .   (٧) آية ٤٥ سورة يس .

(٨) قيل : إنه على هذا يكون تقدير الجواب للإعراب كما سبق فى بيت النابغة فيكون من المساواة مثله ، وأجيب بأن جواب الشرط فى البيت سابق عليه فأغنَى عنه عرفًا ، حتى إن الكوفيين يرون فى مثله أن الجواب هو السابق ، وجواب الشرط فى الآية بخلاف ذلك .

كانوا عنها مُعرضين ﴾ وكقوله تعالى[1] : ﴿ ولو أن قرآناً سُيِّرت به الجبالُ أو قُطِّعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى ﴾ أى لكان هذا القرآن ، وكقوله تعالى[2] : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهدٌ من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ أى ألستم ظالمين ؟ بدليل قوله بعده ﴿ إنّ الله لا يهدِى القوم الظالمين ﴾ .

والثانى : أن يحذف للدلالة على أنه شىء لا يحيط به الوصف[3] أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن[4] فلا يتصور مطلوبًا أو مكروهًا إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منـــه ، ولو عُين شىء اقتصر عليه وربمـــا خف أمره عنده[5] كقوله[6] ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا جاءوها وفُتحتْ أبوابهُا وقال لهم خزنتها سلام عليكم طِبْتم فادخلوها خالدين ﴾ وقوله : ﴿ ولَو ترى إذ وُقفوا على النارِ ﴾[7] ﴿ ولو ترى إذ وُقِفوا على ربهم ﴾[8] ﴿ ولو ترى إذِ المجرمونَ ناكسُوا رؤوسهم عندَ ربّهمْ ﴾[9] .

قال السكاكي رحمه الله [10] ، ولهذا المعنى حُذف الصلة من قولهم : جاء بعد

---

(١) آية ٣١ سورة الرعد . (٢) آية ١٠ سورة الأحقاف .

(٣) هذه النكتة معنوية . وهى أهم مما قبلها ، والمقام الذى يقتضيها قصد المبالغة فى أمر لكونه مرغوبًا فيه أو مرهوبًا منه .

(٤) هذا فى الحقيقة لازمًا لكونه لا يحيط به الوصف ، ولهذا لم يذكر لكل منهما مثالا خاصًا به ، ولكنه عطف « بأو » نظرًا إلى أن مفهومهما مختلف ، فتارة يقصدهما البليغ معاً ، وتارة يخطر بباله أحدهما فقط .

(٥) قيل : إنهم يقدرونه فى ذلك بما لو صرح به لم تفد هذه النكتة ، كما سيأتى فى نحو قوله تعالى آية ٢٧ سورة الأنعام ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ﴾ فالتقدير لرأيت أمرًا عظيمًا ، وأجيب بأن هذا تقدير تقريبى ، والجواب الحقيقى شىء مخصوص حذف لإظهار فظاعته .

(٦) آية ٧٣ سورة الزمر ، ويقدر جواب « إذا » بعد قوله ﴿ خالدين ﴾ والتقدير : - لرأوا فيها من النعيم ما لا يحيط به الوصف .

(٧) آية ٢٧ سورة الأنعام .

(٨) آية ٣٠ سورة الأنعام .

(٩) آية ١٢ سورة السجدة . وجواب « لو » فى الآيات الثلاثة : لرأيت أمرًا عظيمًا أو فظيعًا .

(١٠) ١٥٢ - المفتاح .

اللتيَّا والتى[1] أى المشار إليه بهما ، وهى المحنة والشدائد قد بلغت شدتها وفظاعة شأنها مبلغاً يبهَتُ الواصف معه حتى لا يجيب ببنِت شَفَة .

وإما غير ذلك [2] كقوله تعالى : ﴿ لا يستوى منكم مَن أنفقَ من قبل الفتح وقاتل ﴾[3] أى ومن أنفق من بعده وقاتل[4] بدليل ما بعده[5] .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : ﴿ رب إنى وهنَ العظمُ منى واشتعل الرأسُ شيبًا ﴾[6] لأن أصله « يا رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس منى شيبًا » وعدهُ السكاكى من القسم الثانى من الإيجاز على ما فسره[7] ، ذاهبًا إلى أنه وإن اشتمل على بسط فإن انقراض الشباب وإلمام المشيب جديران منه ، ثم ذكر فيه لطائف يتوقف بيانها على النظر فى أصل المعنى ومرتبته الأولى ، ثم أفاد أن مرتبته الأولى « يا ربى قد شخت » فإن الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ، ثم تركت هذه المرتبة لتوخّى مزيد التقرير إلى تفصيلها فى « ضعف بدنى وشاب رأسى » ثم ترك التصريح بضعف بدنى إلى الكناية بـ « وهنت عظام بدنىَ » لما سيأتى أن الكناية أبلغ من التصريح ، ثم لقصد مرتبة رابعة أبلغ فى التقرير بنيت الكناية على المبتدأ[8] فحصل « أنا وهنت عظام بدنى » ثم لقصد مرتبة خامسة أبلغ أدخلت « إنَّ » على المبتدأ فحصل « إنى وهنت عظام بدنى » ثم لطلب تقرير أن الواهن عظام بدنه قُصد مرتبة سادسة ، وهى سلوك طريقَىْ الإجمال والتفصيل ، فحصل « إنى وهنت العظام من بدنى » ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصدت مرتبة سابعة ، وهى ترك

---

(١) اللتيا تصغير التى ، ويكنى بها عن الداهية الكبيرة ، وبالتى عن الداهية الصغيرة وهو مَثل أصله أن رجلا من جَديس تزوج امراة قصيرة فقاسى منها شدائد ، وكان يعبر عنها بالتصغير ، ثم تزوج امرأة طويلة فقاسى منها شدائد أيضًا . فطلقها وقال : بعد اللتيا والتى لا أتزوج أبدًا .

(٢) أى من أجزاء الجملة كالمسند إليه والمسند والمفعول ونحو هذا مما سبق فى أبوابه .

(٣) آية ١٠ سورة الحديد .

(٤) فالمحذوف فى ذلك الواو مع ما عطفت .

(٥) هو قوله : ﴿ أولئك أعظمُ درجةً منَ الذين أنفقُوا منَ بعدُ وقاتلُوا ﴾ .

(٦) آية ٤ سورة مريم .

(٧) هو الذى يكون مقامه خليقاً بأبسط مما ذكر فيه - ١٥٥ ، ١٥٦ : المفتاح .

(٨) لأن ذلك من تقديم المبتدأ على الخبر الفعلى فيفيد تقوية الحكم .

توسيط البدن ، فحصل « إنى وهنت العظام منى » ثم لطلب شمول الوهن العظام فردًا فردًا قصدت مرتبة ثامنة ، وهى ترك الجمع إلى الإفراد لصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد[1] فحصل ما ترى[2] وهكذا تركت الحقيقة فى « شاب رأسى » إلى الاستعارة فى « اشتعل شيب رأسى » لما سيأتى أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، ثم تركت هذه المرتبة إلى تحويل الإسناد إلى الرأس وتفسيره بشيبًا لأنها أبلغ من جهات :

إحداهما : إسناد الاشتمال إلى الرأس لإفادة شمول الشيب الرأس ، إذ وزانُ «اشتعل شيب رأسى ، واشتعل رأسى شيبًا » وزانُ « اشتعل النار فى بيتى ، واشتعل بيتى نارًا » والفرق بيِّن نيِّر .

وثانيها : الإجمال والتفصيل فى طريقَى التمييز .

وثالثها : تنكير ﴿ شيبًا ﴾ لإفادة المبالغة ، ثم ترك « اشتعل رأسى شيبًا » لتوخى مزيد التقرير إلى « اشتعل الرأس منى شيبًا » على نحو : ﴿ وهن العظم منى﴾ ثم ترك لفظ ﴿ منى ﴾ لقرينة عطف ﴿ اشتعل الرأس ﴾ على ﴿ وهن العظم منى ﴾ لمزيد التقرير ، وهو إيهام حوله تأدية مفهومة على العقل دون اللفظ .

ثم قال عقب هذا الكلام :

واعلم أن الذى فتق أكمام هذه الجهات عن أزاهير القبول فى القلوب هو مقدمة هاتين الجملتين ، وهى ﴿ ربِّ ﴾ اختُصرت ذلك الاختصار ، بأن حذفت كلمة النداء وهى « يا » وحذفت كلمة المضاف إليه وهى ياء المتكلم ، واقتصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهى المنادى ، والمقدمة لكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق فى نهج البلاغة نازلة منزلة الأساس للبناء ، فكما أن البنَّاء الحاذق لا يرى الأساس إلا بقدر ما يُقدِّر من البناء عليه ، كذلك البليغ يصنع بمبدأ كلامه ، فمتى رأيته قد اختصر المبدأ فقد آذنك باختصار ما يورد « انتهى كلامه » .

---

(١)يعنى أنه لو قيل « وهن العظام منى » لصح مع وهن بعضها ، لأنه يكفى فى وهَن المجموع وهن بعضه ، بخلاف ﴿ وهن العظم ﴾ لأن « أل » فيه للاستغراق فلا يخرج منه فرد من الأفراد .

(٢) أى قوله تعالى : ﴿ ربِّ إنى وهن العظم منى ﴾ .

وعليه أن تتنبه لشيء ، وهو أن ما جعله سبباً للعدول عن لفظ العظام إلى لفظ العظم فيه نظر ، لأننا لا نسلم بصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد[1] فالوجه في ذكر العظم دون سائر ما تركب منه البدن وتوحيده ما ذكره الزمخشري ، قال : إنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه ، وإذا وهن تداعى وتساقطت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ، ووحَّده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية[2] وقصدُه إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركت منه الجسد قد أصابه الوهن ، ولو جمع لكان قصداً إلى معنىً آخر ، وهو أنه لم يهن بعض عظامه ولكن كلها ، واعلم أن المراد بشمول الشيب الرأس أن يعم جملته ، حتى لا يبقى منه إلا ما لا يعتد به ٠

والثاني : « أعني ما يكون جملةً » إما مسبَّبٌ ذُكِر سببه ، كقــــوله تعالى[3] ﴿ ليُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطِلَ ﴾ أي فَعلَ ما فعل[4] وقولِه : ﴿ وما كنتَ بجانب الطُّور إذْ نَادينا ولكن رحمَةً من ربِّك ﴾ [5] أي اخترناك ، وقوله : ﴿ ليدخل الله في رحمته من يشاء ﴾[6] أي كان الكف ومنع التعذيب ، ومنه قول أبي الطيب :

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته   فسرَّهم وأتيناهُ على الهِرم(٦)

أي : فساءنا ٠

---

(١) لأنه إذا كانت « أل » فيه للاستغراق فلا فرق بين دخولها على الجمع ودخولها على المفرد ، لما سبقَ من أنه لا فرق بين استغراق الفرد واستغراق الجمع في الإثبات ٠

(٢) بهذا يكون الحكم على حقيقة العظم وإن لزمه الحكم على أفرادها ، والحكم عليها لأجل إفادة ما ذكره الخطيب من أن قصده إلخ ، أما جمع العظام فيجعل الحكم على الأفراد من أول الأمر ، وتفوت به إفادة ذلك ٠

(٣) آية ٨ سورة الأنفال ٠

(٤) يجوز تعليق قوله : ﴿ ليحق ﴾ بيقطع من قوله قبله ﴿ يريد الله أن يحق الحق بكلمته ويقطع دابرَ الكافرين ﴾ فلا يكون فيه حذف ٠

(٥) آية ٤٦ سورة القصص ٠

(٦) آية ٢٥ سورة الفتح ٠

(٧) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي ، والضمير في « بنوه » للزمان وأضافهم إليه لإقباله عليهم ، وشبيبته : أوله وهو مقبل ، وهرمه : آخره وهو مدبر ٠

أو بالعكس[1] كقوله تعالى[2] : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم فتابَ عليكم ﴾ أى فامتثلتمْ فتاب عليكم ، وقوله : ﴿ فقلنا اضربْ بعصاك الحجر فانفجرتْ ﴾[3] أى فضربه بها فانفجرت ، ويجوز أن يقدّر « فإن ضربتَ بها فقد انفجرت »[4] .

أو غير ذلك[5] كقوله تعالى[6] : ﴿ فنعْم الماهدون ﴾ على ما مر[7] .

والثالث[8] كقوله تعالى[9] : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ﴾ أى فضربوه ببعضها فحيي فقلنا ﴿ كذلك يحيي الله الموتى ﴾ وقوله : ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ، يوسفُ ﴾[10] أى فأرسلونى إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ، فأرسلوه إليه فأتاه وقال له يا يوسف وقوله : ﴿ اذهبا إلى القوم الذين كذّبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرًا ﴾[11] . أى فأتياهم فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم، وقوله : ﴿ فأتيا فرعون فقولا إنّا رسولُ رب العالمين ٭ أن أرسل معنا بنى إسرائل ٭ قال ألم نربّك ﴾[12] . أى فاتياه فأبلغاه ذلك ، فلما سمعه قال ﴿ ألم نربك ﴾ ويجوز أن يكون التقدير فاتياه فأبلغاه ذلك ، ثم يقدر ، فماذا قال ؟، فيقع قوله ﴿ ألم نربك ﴾

---

(١) عكسه سبب ذكر مسببه .

(٢) آية ٥٤ سورة البقرة .

(٣) آية ٦٠ سورة البقرة .

(٤) فيكون المحذوف جزء جملة هو الشرط وأداته ، وإنما قدر « قد » فى الجواب لأجل الفاء ، ولكن يلزم على مثل هذا التقدير أن يكون الجواب ماضيًا لفظا ومعنى مع أن الشرط مستقبل فى المعنى . اللهم إلا أن يكون ذلك على معنى فقد حكمنا بأنها انفجرت .

(٥) أى غير المسبب والسبب . (٦) آية ٤٨ سورة الذاريات .

(٧) فيكون التقدير « هم نحن أو نحن هم » وهذا على القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر ، بخلاف قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره ، فإن المحذوف عليه فى الآية جزء جملة .

(٨) هو ما يكون أكثر من جملة .

(٩) آية ٧٣ سورة البقرة .

(١٠) آية ٤٥ ، ٤٦ سورة يوسف .

(١١) آية ٣٦ سورة الفرقان

(١٢) آية ١٦ ، ١٧ ، ١٨ سورة الشعراء .

استئنافاً ، ونحوه قوله : ﴿ إذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون * قالت يا أيها الملأ ﴾[١] أى ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ، ثم كأن سائلا سأل قال : فماذا قالت ؟ فقيل : ﴿ قالت يا أيها الملأ ﴾ وأما قوله تعالى[٢] : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علمًا وقالا الحمدُ لله ﴾ فقال الزمخشرى فى تفسيره : هذا موضع الفاء ، كما يقال « أعطيته فشكر ومنعته فصبر ، وعطفه بالواو إشعارًا بأن ما قالاه ما أحدث فيهما العلم ، كأنه قال : فعملا به وعلما وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة ﴿ وقالا الحمد لله ﴾ وقال السكاكى[٣] : يحتمل عندى أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعمّا قالا ، كأنه قال : نحن فعلنا إيتاء العلم ، وهما فعلا الحمد من غير بيان ترتبه عليه اعتمادًا على فهم السامع[٤] كقولك « قم يدعوك » بدل : قم فإنه يدعوك . واعلم أن الحذف على وجهين :أحدهما : ألاّ يقام شىء مقام المحذوف كما سبق[٥] . والثانى : أن يقام مقامه ما يدل عليه ، كقوله تعالى[٦] : ﴿ فإن تولوا فقد أبلغتُكم ما أرسِلتُ به إليكم ﴾ ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم ؛ والتقدير « فإن تَولوا فلا لوم علىَّ لأنى قد أبلغتكم » ، أو فلا عذر لكم عند ربكم لأنى قد أبلغتكم . وقوله: ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت رسلٌ من قبلك ﴾[٧] أى فلا تحزن واصبر فإنه قد كذبت رسل من قبلك،وقوله:﴿وإن يعودوا فقد مضت سُنَّةُ الأولين ﴾[٨] أى فيصيبهم مثل ما أصاب الأولين[٩] .

وأدلة الحذف[١٠] كثيرة: منها أن يدل العقل على الحذف والمقصودُ الأظهر[١١]

---

(١) آية ٢٨ ، ٢٩ سورة النمل .

(٢) آية ١٥ سورة النمل .

(٣) ١٥١ : المفتاح .

(٤) على هذا لا يكون فيه حذف .

(٥) فيكفى فيه القرينة الدالة عليه ، والأمثلة السابقة كلها على هذا الوجه .

(٦) آية ٥٧ سورة هود . (٧) آية ٤ سورة فاطر .

(٨) آية ٤٨ سورة الأنفال .

(٩) أى فإنه قد قضت سنتهم ، كما صنع فى الآيتين السابقتين .

(١٠) يعنى الحذف الذى لا يقام فيه شىء مقام المحذوف،لأنه هو الذى يحتاج إلى ذلك ، بخلاف الحذف الذى يقام فيه شىء مقام المحذوف ، فإن ما يقامُ مقامه يدل عليه .

(١١) أى بحسب العرف المقرر فى استعمال الكلام .

على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى[1] : ﴿ حُرِّمَتْ عليكم المَيْتَةُ والدمُ ولحمُ الخنزيرِ ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ حرّمت عليكم أمهاتكم ﴾ الآية [2] فإن العقل يدل على الحذف لما مر[3] والمقصود الأظهر يرشدك إلى أن التقدير : حرم عليكم تناول الميتة وحرم عليكم نكاح أمهاتكم ؛ لأن الغرض من هذه الأشياء تناولها ومن النساء نكاحهن ٠

ومنها أن يدل العقل على الحذف والتعيين ،كقوله : ﴿ وجاءَ ربُّك ﴾[4] أى أمر ربك أو عذابه أو بأسه ، وقوله ﴿ هـــل ينظرونَ إلاّ أن يأتيهمُ اللهُ فى ظُللٍ من الغمام ﴾[5] أى عذاب الله أو أمره ٠

ومنها أن يدل العقل على الحذف والعادة على التعيين[6] كقوله تعالى[7] حكايةً عن امرأة العزيز : ﴿ فذلكُنَّ الذى لُمتننى فيه ﴾ دل العقل على الحذف لأن الإنسان إنما يلام على كسبه ، فيحتمل أن يكون التقدير : فى حبه ، لقوله[8] : ﴿ قدْ شَغفها حبًّا ﴾ وأن يكون : فى مراودته ، لقوله : ﴿ تُراودُ فتاها عنْ نفسه﴾ وأن يكون : فى شأنه وأمره فيشملها ، والعادة دلت على تعيين المراودة لأن الحب المفرط لا يلام الإنسان عليه فى العادة لقهره صاحبه وغلبته ، وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التى يقدر أن يدفعها عن نفسه ٠

ومنها أن تدل العادة على الحذف والتعيين ، كقوله تعالى[9] : ﴿ لوْ نعلمُ قتالاً لاتَّبعناكم ﴾ مع أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب ، فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها ، فلا بد من حذف قدّره مجاهد رحمه الله ؛ مكان قتال ، أى إنكم تقاتلون فى موضع

---

(١) آية ٣ سورة المائدة ٠

(٢) آية ٢٣ سورة النساء ٠

(٣) من أن التحريم يتعلق بالأفعال لا بالذوات ٠

(٤) آية ٢٢ سورة الفجر ٠ (٥) آية ٢١٠ سورة البقرة ٠

(٦) المراد بالعادة الأمر المقرر فى نفسه من غير نظر إلى دلالة الكلام عليه عرفًا ، كتقرر كون الحب المفرط لا يلام عليه ، وبهذا تفترق دلالة العادة على التعيين عن دلالة المقصود الأظهر عليه ٠

(٧) آية ٣٢ سورة يوسف ٠

(٨) آية ٣٠ سورة يوسف وكذلك ما بعده ٠

(٩) آية ١٦٧ سورة آل عمران ٠

لا يصلح للقتال ويُخشى عليكم منه ، ويدلُّ عليه أنهم أشاروا(١) على رسول الله ﷺ ألاَّ يخرج من المدينة وأنَّ الحزم البقاء فيها .

ومنها الشروع فى الفعل ، كقول المؤمن « بسم الله الرحمن الرحيم » كما إذا قلت عند الشروع فى القراءة « بسم الله » فإنه يفيد أن المراد « بسم الله أقرأ » ، وكذا عند الشروع فى القيام أو القعود أو أىّ فعل كان ، فإن المحذوف يقدّر ما جُعلتْ التسميةُ مبدأ له(٢) .

ومنها اقتران الكلام بالفعل(٣) فإنه يفيد تقديره ، كقولك لمن أعرس : « بالرَّفاء والبنين » فإنه يفيد : بالرفاء والبنين أعرست .

* * *

(١) الضمير فى هذا وفيما قبله للمنافقين المتخلفين عن غزوة أُحُد .

(٢) الحق أن الشروع فى الفعل يدل على تعيين المحذوف فقط ، والذى يدل على الحذف هو أن الجار والمجرور لا بد لهما من متعلَّق ، وهذا يرجع إلى العقل لا إلى الشروع فى الفعل .

(٣) هو كالشروع فى الفعل يدل على تعيين المحذوف فقط ، والعقل هو الذى يدل على الحذف كما دل عليه فى الشروع الفعل .

هذا وكل ما ذكره من الأدلة يدخل فى نوع القرائن الحالية ، وهناك أدلة أخرى منها القرائن اللفظية ، وهى أكثر وقوعًا من غيرها ، وقد سبقت أمثلتها فى أقسام الإيجاز بالحذف .

وهذه أمثله شعرية لبعض ما سبق من الإيجاز :

أرى بصرى قد خاننى بعد صحـــــة ... وحسبك داءً أنْ تصحَّ وتَسلَـــــما
وإنْ هو لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس إلى حســـــن الثناء سبيلُ
الأمُّ مدرسة إذا أعددتهـــــــا ... أعددتَ شعـــــبًا طَّب الأعراقِ

القسم الثالث : الإطناب

أقسام الإطناب : الإيضاح بعد الإبهام وفروعه : وهو إما بالإيضـــاح بعد الإبهام ، ليُرى المعنى فى صورتين مختلفتين ، أو ليتمكن فى النفس فضلَ تمكن فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام ، تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ، فتتوجه إلى ما يَرِد بعد ذلك ، فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن ، وكان شعورها به أتم ، أو لتكمل اللذة بالعلم به ، فإن الشىء إذا حصل كمالُ العلم به دفعةً لم يتقدم حصولَ اللذة به ألمٌ ، وإذا حصل الشعور به من وجهٍ تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول ، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة ، وبسبب حرمانها من الباقى ألم ، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى ، واللذة عَقِيب الألم أقوى من اللذة التى لم يتقدمها ألم ، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه ، كقوله تعالى[1] : ﴿ قال ربِّ اشرحْ لى صدرى * ويسرْ لى أمرِى ﴾ فإن قوله : ﴿ اشرح لى ﴾ يفيد طلب شرحٍ لشىءٍ ما له[2] وقوله ﴿ صدرى ﴾ يفيد تفسيره وبيانه[3] وكذلك قوله : ﴿ ويسِّرْ لى أمرى ﴾ والمقام مقتضٍ للتأكيد ، للإرسال[4] المؤذن بتلقى المكاره والشدائد ، وكقولِه تعالى[5] : ﴿ وَقضيْنا إليه ذلك الأمرَ أن دابرَ هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ ففى إبهامه[6] وتفسيره تفخيم الأمر وتعظيم له .

---

(١) آية ٢٥ ، ٢٦ سورة طه .

(٢) لأن قوله ﴿ اشرح لى ﴾ فى تقدير : اشرح شيئًا لى ، ويجـــوز تعليق « لى » باسرح ، فلا يكون فيه شاهد ، وهو الظاهر .

(٣) لو لم يطنب بهذا لقال « اشرح صدرى » ، والإطناب فى الآية يفيد ما سبق من الأغراض بقطع النظر عن كونه المخاطب به الله .

(٤) أى فى قوله قبله : ﴿ اذهب إلى فرعونَ إنه طغى ﴾ واللام فى « الإرسال » للتعليل .

(٥) آية ٦٦ سورة الحجر .

(٦) أى إبهام الأمر ، وتفسيره بالمصدر المنسبك من « أن » واسمها وخبرها لأنه عطف بيان أو بدل ، ولو لم يطنب لقال : « وقضينا إليه أن دابر الخ » .

ومن الإيضاح بعد الإبهام باب « نعم وبئس » على أحد القولين[1] إذ لو لم يقصَد الإطناب لقيل : « نعم زيد وبئس عمرو » [2] ووجهُ حسنه سوى الإيضاح بعد الإبهام أمران آخران :

أحدهما : إبراز الكلام فى معرض الاعتدال نظرًا إلى إطنابه من وجه وإلى اختصاره من آخر ، وهو حذف المبتدأ فى الجواب[3] .

والثانى : إبهام الجمع بين المتنافيين[4] .

ومنه التوشيع ، وهو أن يؤتَى فى عَجُز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر[5] كما جاء فى الخبر : « يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل » ، وقول الشاعر :

سقتْنىَ فى ليلٍ شبيهٍ بشعـــــرها ... شبيهةَ خدّيهـــــا بغير رقيب

فما زلتُ فى ليلين : شعرٍ وظلمــةٍ ... وشمسين : من خمر ووجه حبيب[6]

وقول البحترى :

لمَّا مشينَ بِذِى الأراك تشـــابهتْ ... أعطافُ قضبـــانٍ به وقدود

---

(١) هو قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ، ومثله قول من يجعله مبتدأ محذوف الخبر ، أما قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره فلا يكون عليه من الإيضاح بعد الإبهام ، لأن المخصوص فيه مقدم فى التقدير .

(٢) الصواب « نعم الرجل وبئس الرجل » لأن فاعلهما يجب أن يكون بأل أو مضافًا إلى ما فيه « أل » أو ضميرًا مفسرًا بتمييز .

(٣) لأنها جملة استئنافية واقعة فى جواب سؤال مقدر كما سبق فى الوصل والفصل .

(٤) هما الإيجاز بحذف المبتدأ والإطناب بالإيضاح بعد الإبهام ، وإنما كان ذلك إبهامًا لأنه لا تنافى بينهما فى الحقيقة لعدم اتحادهما من كل وجه .

(٥) تقييد الإتيان بكونه فى عجز الكلام وكونه بمثنى غير صحيح ؛ لأن التوشيع قد يأتى فى أول الكلام وفى وسطه ، وقد يكون فى الجمع ، هذا والتوشيع مأخوذ من الوشيعة وهى الطريقة فى البُرْد . فكأن الشاعر أهمل البيت كله إلا آخره فأتى فيه بطريقة تعد من المحاسن ، ولهذا يعدّه بعضهم من أنواع البديع .

(٦) هما لعبد الله بن المعتز ، وشبيهة خديها : الخمر فى إشراقها ، والرقيب هو الذى يرقبهما ليكدر صفوهما ، والشاهد فى قوله : (فى ليلين) وفى قوله : (وشمسين) .

فى حلَّتَىْ حِبرٍ وروض فالتقــــى   وشيان : وَشْىُ رُبًى ووشْىُ بُرُود

وسفرنَ فامتلأت عيونٌ رافهــــــا   وَرْدان : ورد جنى وورد خدود[1]

ذكر الخاص بعد العام : وإما بذكر الخاص بعد العام[2] للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلاً للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات كقوله تعالى : ﴿ من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ ولتكنْ منكم أمة يدعونَ إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾[4] وقوله: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾[5] .

التكرير : وإما بالتكرير ، لنكتة ، كتأكيد الإنذار فى قوله تعالى[6] : ﴿ كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون ﴾ وفى « ثم » دلالة على أن الإنذار الثانى أبلغ وأشد[7] وكزيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول فى قوله تعالى[8] : ﴿ وقال الذى آمن يا قومِ اتبعونِ أهدكم سبيل الرَّشاد . يا قومِ إنما هذه .

---

(١) هى للوليد بن عبيد المعروف بالبحترى ، وذو الأراك موضع ، والأعطاف جمع عطف وهو الجنب ، والقضبان: الأغصان ، والقدود : القامات ، قوله « فى حلتى » متعلق بمحذوف تقديره « مشين » بدليل ما قبله ، والحلة كل ثوب جديد أو الثوب عمومًا ، والحبر : ضرب من برود اليمن ، والوشى: النقش ، والربى : جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض ، ووشيها : نبتها ، والبرود جمع برد وهو ثوب مخطط وقوله « سفرن » بمعنى أظهرن الوجوه معطوف على مشين المحذوف فى البيت قبله ، والجنى مصدر « جنى الثمر » تناوله من شجرته ، وورد خدود من إضافة المشبه به للمشبه ، والشاهد فى قوله (وشيان) فى البيت الثانى وفى قوله (وردان) فى البيت الثالث .

(٢) يجب أن يكون هذا بطريق العطف ، وإلا كان من باب الإيضاح بعد الإبهام .

(٣) آية ٩٨ سورة البقرة .   (٤) آية ١٠٤ سورة آل عمران .

(٥) آية ٢٣٨ سورة البقرة .

(٦) آية ٣ و ٤ سورة التكاثر .

(٧) سبق فى الوصل والفصل أن الزمخشرى جعله تأسيسًا لا تأكيدًا ليصح عطفه على ما قبله ، ولكن هذا لا يمنع أنه مع مغايرته له يفيد تأكيده ؛ لأنه يكفى فيه التكرير فى اللفظ ، والتغاير بينهما ليس إلا بأن الثانى أبلغ فى الإنذار ، وقــد نزل فى ذلك بعد المرتبة منزلة بعد الزمان ، واستعملت فيه « ثم » للدلالة على التدرج فى الارتقاء .

(٨) آية ٣٨ و ٣٩ سورة غافر .

الحياة الدنيا متاعٌ ﴾ وقد يكرر اللفظ لطول فى الكلام كما فى قوله تعالى[1] : ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا منْ بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ وفى قوله تعالى[2] : ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ وقد يكرر لتعدد المتعلق ، كما كرره الله تعالى من[3] قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾[4] لأنه تعالى ذكر نعمةً بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول[5] ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى ، فإن قيل : قد عقب بها القول ما ليس بنعمة ، كما فى قوله : ﴿ يُرسَل عليكما شواظ من نار ونحاسٍ فلا تنتصران ﴾[6] وقوله : ﴿ هذه جهنم التى يُكذبُ بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آنٍ ﴾[7] قلنا : العذاب وجهنم وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى فإن ذكرهما ووصفهما على طريق الزجر عن المعاصى والترغيب فى الطاعات من آلائه تعالى[8] . ونحوه قوله : ﴿ ويلٌ يومئذ للمكذبين ﴾[9] لأنه تعالى ذكر قصصًا مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول ، فصار كأنه قال عقب كل قصة : ويل يؤمئذٍ للمكذبين بهذه القصة .

(والإيغال) : وإنما الإيغال ، واختُلف فى معناه ، فقيل : هو ختم البيت بما يد نكتة يتم المعنى بدونها ، كزيادة المبالغة فى قول الخنساء :

وإن صخرًا لتأتَمُّ الهداةُ به كأنه علمٌ فى رأسه نارُ[10]

(١) آية ١١٩ سورة النحل .
(٢) آية ١١٠ سورة النحل .
(٣) من : بيان لما فىْ قوله « كما كرره » لأنها اسم موصول .
(٤) آية ١٣ سورة الرحمن .
(٥) أى قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ .
(٦) آية ٣٥ سورة الرحمن .
(٧) آية ٤٣ ، ٤٤ سورة الرحمن .
(٨) يمكن أن يجاب أيضًا بأن الاستفهام فى قوله ﴿ فبأى آلاء ﴾ ليس استفهامًا حقيقيًا عن نعمة سابقة ، وإنما هو تهديد على جهة نعمه مطلقًا ، فتكون مناسبته لما قبله من ترهيبٍ أقوى من غيره .
(٩) آية ١٥ سورة المرسلات .
(١٠) هو لتماضر بنت عمرو المعروفة بالخنساء ، وقولها « لَتأتم » بمعنى لتقتدى ، والهداة: الذين يهدون الناس ، وإذا اقتدت الهداة به فالمهتدون بهم من باب أولى . وهذا البيت من قصيدة لها فى رثاء أخيها صخر .

لم ترض أن تشبهه بالعلَم الذى هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت فى رأسه ناراً[1] وقول ذى الرُّمَّة :

قفِ العيس فى أطلال ميَّةَ واسأل   رسومًا كأخلاق الرِّداء المسلسل[2]

أظن الذين يُجدى عليك سؤالها   دموعًا كتبذير الجمـان المفصَّل[3]

وكتحقيق التشبيه[4] فى قول امرىء القيس :

كأن عيون الوحش حول خبـائنا   وأرحلنا الجَزْعُ الذى لم يثقَّبِ[5]

فإنه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة فى قوله « لم يثقب » لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون . ومثله قول زهير :

كأن فُتاتَ العِهن فى كل مَنـزل   نزلن به حَبُّ الفَنـا لم يحطمِ[6]

فإن حب الفنا أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فهو لا يشبه الصوف الأحمر إلا ما لم يحطم . وكذا قول امرىء القيس :

---

(١) فقولها « فى رأسه نار » محل الشاهد ، لأن قوله « كأنه علم » واف بالمقصود وهو تمثيل المعقول بالمحسوس ، فزيد عليه ذلك لزيادة المبالغة فى التشبيه .

(٢) هو لغَيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة ، والعيس : الإبل يخالط بياضها سواد خفيف جمع أعْيس ، والأطلال : جمع طَلَل وهو الشاخص من الآثار بخلاف الرسوم ، والأخلاق : جمع خَلَق وهو البالى ، والمسلسل : الردىء النسج .

(٣) قوله « يجدى » بمعنى يعطى ويفيد ، وعائد الموصول محذوف والتقدير : يجديه ، والتبذير: التفريق ، والجمان المفصل : اللؤلؤ المنظم . يعنى أنها لا تجيب سؤاله ، فيبكى لأنه لم يعلم مكان محبوبته ، وزيادة المبالغة بالوصفين (المسلسل والمفصل) .

(٤) المراد به إثبات التساوى بين الطرفين ، وبهذا يختلف عن زيادة المبالغة فى بيت الخنساء؛ لأن الغرض منها بيان علو المشبه به فى وجه الشبه ليعلو المشبه الملحق به .

(٥) هو لحندج بن حُجر المعروف بامرىء القيس ، والمراد بالوحش الظباء وبقر الوحش التى يصيدونها ويرمون عيونها حول خبائهم ، والخباء ما كان من وبر أو صوف لا شَعرٍ وقام على على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق هذا يقال له بيت ، والأرحـل : جمع رحل وهو المنزل والمأوى . والجزع : خرز فيه سواد وبياض على شكل دوائر .

(٦) سبق هذا البيت فى ص ١٠٢ من هذا الجزء .

حملتُ رُدينيًا كأن سنانه سَنا لهبٍ لم يتصل بدخان[1]

كما سيأتى[2] .

وقيل : لا يختص بالنظم ، ومُثل بقوله تعالى[3] ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ .

(**التذييل**) : وإما بالتذييل وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها[4] للتوكيد[5] وهو ضربان :

ضرب لا يخرج مخرج المثَل لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله ، كقوله تعالى : ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نُجازى إلا الكفور ﴾[6] إن قلنا : إن المعنى وهل نجازى ذلك الجزاء[7] وقال الزمخشرى : وفيه وجه آخر وهو أن الجزاء عامّ لكل مكافأة ، ويستعمل تارة فى معنى المعاقبة ، وأخرى فى معنى الإثابة ، فلما استعمل فى معنى المعاقبة فى قوله : ﴿ جزيناهم بما كفروا ﴾ بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل : ﴿ وهل نجازى إلا الكفور ﴾ بمعنى وهل نعاقب[8] ، فعلى هذا يكون من الضرب الثانى[9] .

---

(١) هو لحندج بن حُجر المعروف بامرىء القيس ، والردينى: رمح منسوب إلى رُدَينة وهى امرأة كانت تقوّم الرماح ، وسنا اللهب : ضوءه ، والشاهد فى قوله « لم يتصل بدخان » .

(٢) فى التشبيه من علم البيان .

(٣) آية ٢١ سورة يس فقوله ﴿ وهم مهتدون ﴾ إيغال لأنه يتم المعنى بدونه لاهتداء بالرسل قطعًا ،والغرض منه زيادة الحث على اتباعهم .

(٤) المراد باشتمالها على معناها افادتها بفحواها لما هو مقصود من الأولى لا دلالتها عليه بالمطابقة ، إن هذا هو التكرير السابق،ويشترط فى الجملة الثانية ألاّ يكون لها محل من الإعراب ، وقيل : إن هذا غير شرط ، والفرق بين التذييل والإيغال : أن التذييل لا يكون إلا بجملة ويقصد منه التوكيد خاصة ، بخلاف الإيغال.

(٥) المراد بالتوكيد هنا معناه اللغوى وهو التقوية ، أما التوكيد فى التكرير السابق فهو بمعناه الاصطلاحى .

(٦) آية ١٧ سورة سبأ .

(٧) أى السابق وهو جزاء الاستئصال لوروده فى أهل سبأ الذين استؤصلوا بالعقوبة ، فهو جزاء خاص بخلافه على ما سينقله عن الزمخشرى .

(٨) فالجزاء بمعنى العقاب عام هنا بخلافه على الوجه الأول .

(٩) لاستقلاله عما قبله . وقيل : إنه على هذا من الضرب الأول أيضًا .

وقول الحماسى :

فدعوا : نـــزال ، فكنتُ أولَ نازل   وعلى مَ أركبـــه إذا لم أنزلِ(١)

وقول أبى الطيب :

وما حاجةُ الأظعان حولك فى الدجى   إلى قمر ما واجـــد لك عادمُهْ(٢)

وقوله أيضًا :

تُمسِى الأمانى صَـــرْعَى دون مبلغهِ   فما يقول لشىء : ليت ذلك لى(٣)

وقول ابن نباتة السعدى :

لم يُبق جودك لى شيئـــًا أؤملهُ   تركتنى أصحبُ الدنيـا بلا أمل(٤)

قيل : نظر فيه إلى قول أبى الطيب ، وقد أربى عليه فى المدح والأدب مع الممدوح حيث لم يجعله فى حيز من تمنى شيئًا (٥) .

---

(١) هو لربيعة بن مقروم الضبى ، وقوله « نزال » اسم فعل أمر بمعنى أنزل ، والمراد النزول إلى الحرب ، والتذييل بقوله : « وعلى م الخ » .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، و « ما » نافية ، والأظعان جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج ، والدجى جمع دجية وهى الظلمة ، وعادمة فاقده ، والمعنى أنهن لا يحتجن فى الدجى إلى قمرٌ مع وجودها لأنها تقوم مقامه ، والتذييل بقول : « ما واجد لك عادمه » و « ما » فيه مصدرية ظرفية ، وواجد خبر مقدم ، وعادمه مبتدأ مؤخر .

(٣) الأمانى جمع أمنية وهى ما يتمنى ويطلب ، وصرعى جمع صريع من « صرعه » بمعنى طرحه على الأرض ، وقوله « دون مبلغه » بمعنى دون بلوغها له يعنى أن ممدوحه سيف الدولة لا يحتاج أن يتمنى شيئًا لأنه لاينقصه شىء . والتذييل بقوله (فما يقول) الخ .

(٤) هو لعبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباته التميمى السعدى. وهذا هو نسبه فى « وفيات الأعيان » وفى « اليتيمة » أنه عبد العزيز بن محمد بن نباتة ، ووفيات الأعيان أدق فى باب النسب ، وقوله « أصحب الدنيا » بمعنى أعيش فيها ، أو هى استعارة بالكناية بتشبيه الدنيا برجل يصاحب .

(٥) فهو لم يجعل لمدوحه أمانى ، أما أبو الطيب فقد جعل لمدوحه أمانى وإن جعلها غير متعذرة عليه ، ويجوز أن تكون الأمانى فى بيته بمعناها المصدرى وأن يكون قــوله « دون مبلغه » بمعنى دون بلوغها له ، فلا يكون ممدوحه أيضًا فى حيز من تمنى شيئًا .

وضربٌ يخرج مخرج المثل ، كقوله تعالى : ﴿ وقل جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقًا ﴾ [1] وقول الذبيانى :

ولســـتَ بمستبْقٍ أخًا لا تَلُمْهُ ... على شَعَثٍ أىُّ الرجال المهذبُ [2]

وقول الحُطيئة :

تزور فَتى يعطى على الحمد مالَهُ ... ومَن يعطِ أثمان المكارم يحمد [3]

وقد اجتمع الضربان فى قوله تعالى [4] : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلكَ الخلدَ أفإن مِتَّ فهمُ الخالدون * كل نفسٍ ذائقةُ الموتِ ﴾ فإن قوله : ﴿ أفإن مِتَّ فهم الخالدونَ ﴾ من الأول ، وما بعده [5] من الثانى ، وكل منهما تذييل على ما قبله .

وهو أيضاً إما لتأكيد منطوق كلام [6] كقوله تعالى : ﴿ وقل جاء الحق ﴾ الآية [7] .

وإما لتأكيد مفهومه [8] كبيت النابغة [9] ؛ فإنَّ صدره دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال ، فحقق ذلك وقرره بعجزُه .

---

(١) آية ٨١ سورة الإسراء .

(٢) هو لزيادة بن عمرو المعروف بالنابغة الذبيانى يخاطب النعمان بن المنذر ، وقوله « لا نلمه » بمعنى لا تصمه . والشعث : فى انتشار شعر الرأس وتغيره فتكثر أوساخه ، والمراد به هنا العيب على سبيل الاستعارة ، والشاهد فى قوله « أى الرجال المهذب » وهو استفهام إنكارى .

(٣) هو لجرول بن أوس المعروف بالحطيئة ، وضمير « تزور » لناقته ، فى قوله قبله :

فما زالت العوجاء تجرى ضفورُها ... إليك ابن شماس تروح وتغتدى

ويريد بالحمد الثناء عليه ، وبالمكارم المحامد من الشعراء له ، وهو من قصيدة له فى مدح بغيض بن عامر بن شماس ، ومطلعها :

أثرتُ آدلاجى على ليل حرَّةٍ ... مَضيمِ الحشا حُسَّانةِ المتجرّدِ

(٤) آية ٣٤ ، ٣٥ سورة الأنبياء . (٥) هو ﴿ كل نفسٍ ذائقة الموت ﴾ .

(٦) المراد بالمنطوق المعنى الذى نطق بلفظه ، بأن تشترك ألفاظ الجملتين مع اختلاف النسبة فيهما حتى لا يكون من التكرير السابق . (٧) آية ٨١ سورة الإسراء .

(٨) المراد بالمفهوم المعنى الذى لُم يُنطَق بلفظه ، وهذا اصطلاح فى المنطوق والمفهوم غير اصطلاح الأصوليين . (٩) هو قوله السابق :

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تلمه ... على شَعثٍ أىُّ الرجال المهذَبُ

(**التكميل**) : وإما بالتكميل ويسمى **الاحتراس** أيضًا ، وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه ، **وهو ضربان** :

ضرب يتوسط الكلام ، كقول طرفه :

فسقى ديارَكَ غيرَ مفسدها   صوبُ الربيع وديمةٌ تَهْمِى[(١)]

وقول الآخر :

لو أن عَزَّة خاصمت شمسَ الضحى   فى الحسن عند موفَّق لقضى لها[(٢)]

إذ التقدير : « عند حاكم موفق » ، فقوله « موفَّق » تكميل[(٣)]

وقول ابن المعتز :

صَبَبْنا عليها ظالمينَ ســــيـاطنا   فصارتْ بها أيد سراعٌ وأرجل[(٤)]

وضربٌ يقع فى آخر الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبُّونه أذلَّةٍ على المؤمنين أعزَّة على الكافرين ﴾[(٥)] فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة

---

(١) هو لعمرو بن العبد المعروف بطرفة ، والخطاب فى قوله « ديارك » لممدوحه وهو قتادة بن مَسْلمة الحنفى ، والصوب : المطر ، والديمة : المطر المسترسل ، وقوله « تهمى » بمعنى تسيل . والاحتراس فى قوله « غير مفسدها » لأن المطر المسترسل قد يخرب الديار ، ومن أجل هذا عيب قول الشاعر :

ألا يا اسلمى يا دار مَىّ على البِلَى   ولا زال منهــلاً بجرعائكِ القطرُ

وقيل : إنه لا عيب فيه لأن الدعاء قرينة على إرادة ما لا يضر ، وللشاعر أن يكتفى بذلك فلا يحترس وألاَّ يكتفى به فيضم إليه الاحتراس .

(٢) هو لكثَير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزَّة ، وقوله « لقضى لها » بمعنى حكم لها بأنها أحسن من الشمس .   (٣) إذ ليس كل من يحاكم إليه موفقا .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والضمير فى « عليها » للخيل فى قولهِ قبله :

وخيل طواها السير حتى كأنها   أنابيب سمرٌ من قنَا الخطِّ ذُبَّل

والسياط جمع سوط وصبها عليها استعارة لضربها بها ، والاحتراس فى قوله « ظالمين » لأن ضربها يكون غالبًا من تثاقل فى السير فدفعه بذلك . وقوله « وأرجل » أى سريعة ، فحذف من الثانى لدلالة الأول على سبيل الاكتفاء .

(٥) آية ٥٤ سورة المائدة .

على المؤمنين لتَوهم أن ذلتهم لضعفهم، فلما قيل ﴿أعزة على الكافرين﴾ عُلم أنها منهم تواضع لهم، ولذا عدى الذل بعلى[١] لتضمينه معنى العطف ، كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، ويجوز أن تكون التعدية بعلى لأن المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم[٢] .

ومنه قول ابن الرومى فيما كتب به إلى صديق له : « إنى وليك الذى لا يزال تنقاد إليك مودته عن غير طمع ولا جزع ، وإن كنت لذى الرغبة مطلبا ، ولذى الرهبة مهربًا » .

وكذلك قول الحماسى :

رهنتُ يدى بالعجز عن شكـــر برّه وما فوقَ شكرى للشكور مزيد[٣]

وكذا قول كعب بن مسعد الغَنَوى :

حليمٌ إذا ما الحلمُ زين أهـــــلَه مع الحلم فى عين العدو مهيب[٤]

فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن حلمه عن عجز فلم يكن صفة مدح، فقال « إذا ما الحلم زين أهله » فأزال هذا الوهم ، وأما بقية البيت فتأكيد للازم ما يفهم من قوله « إذا ما الحلم زين أهله » من كونه غير حليم حين لا يكون الحلم

---

(١) مع أنه يتعدى باللام ، فيقال « ذلَّ له » .

(٢) على هذا لا يكون فى « أذلة » تضمين كما فى الأول ، وإنما يكون التجوز فى استعمال « على » موضع اللام ، للإشارة إلى أن لهم رفعة واستعلاء على غيرهم من المؤمنين ، وأن تذللهم تواضع منهم لا عجز .

(٣) هو من أبيات « الحماسة » ولا يعلم قائله وبعده :

ولو كان مما يستطاع استطعتُه ولكنَّ ما لا يستطاع شديد

والرهن بمعنى الحبس . والمراد أنه حبس نفسه من إطلاق الجزء وإرادة الكل . والبر : الإحسان ، والاحتراس فى قوله « وما فوق شكرى الخ » لأنه دفع به ما يوهم عجزه عن شكره من أنه لم يقم بشىء منه ، فأفاد أن شكره مع هذا ليس للمبالغة فى الشكر زيادة فوقه .

(٤) حليم : خبر مبتدأ تقديره هو . وقوله « إذا ما الحلم زين أهله » يريد به أنه لا يحلم إلا فى موطن الحلم ، ومهيب خبر ثان ، وما قبله متعلق به . والتقدير : « مهيب مع الحلم ، فى عين العدو » والبيت من قصيدة له فى رثاء أخيه أبى المغوار . وفيها يقول :

فقلتُ ادعُ أخرى وارفع الصوت جهرة لعـــــل أبا المغوار منك قريب

زينًا لأهله ، فإنه مَن لا يكون حليمًا حين لا يحسن الحلم لأهله يكون مهيبا فى عين العدو لا محالة ، فعلم أن بقية البيت ليست تكميلا كما زعم بعض الناس[1] .

ومنه قول الحماسى :

وما ماتَ منّا سيدٌ فى فـــراشهِ   ولا طُلَّ منا حيث كان قتيلُ[2]

فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم لأوهم أن ذلك لضعفهم وقلتهم ، فأزال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتلهم .

وكذا قول أبى الطيب :

أشد من الرياح الهُوج بطشًا   وأسرعُ فى الندى منها هبوبا[3]

فإنه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش لأوهم ذلك أنه عنف كله ولا لُطفَ عنده ، فأزال هذا الوهم بوصفه بالسماحة ، ولم يتجاوز فى ذلك كل صفة الريح التى شبهه بها ، وقوله« وأسرع فى الندى منها هبوبًا ، كأنه من قول ابن عباس ﷺ: كان ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان كان.كالريح المرسَلة »[4] .

(التتميم) : وإما بالتتميم ، وهو أن يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصو

---

(١) على هذا تكون من التذييل ، ولعله يعنى ببعض الناس صاحب « حسن التوسل » فقد ذكر أنه رأى أن مدحه بالحلم وحده غير كامل ، لأنه إذا لم يعرف منه إلا الحلم طمع فيه عدوه ، فقال « مع الحلم فى عين العدو مهيب » .

(٢) هو للسموْءل بن عادَياء ، وقوله « وما مات منا سيد فى فراشه » كنآية عن كونه لم يمت إلا مَقتولا فى الحرب ، وقوله « طل » : بمعنى أهدر دمه ولم يقتص له ، وقد كمل حسن ما أتى به فى ذلك بقوله « حيث كان » لأنه أبلغ فى الشجاعة .

(٣) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، وأشد خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أى الممدوح ، والهوج : جمع هوجاء وهى الريح التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت من شدتها .

والبيت من قصيدة له فى مدح على بن محمد بن سيار ومطلعها :

ضروبُ الناس عشاق ضروبا   فأعذرُهم أشفُّهمُ حبيبـــــا

(٤) على هذا يكون فى البيت اقتباس ، وهو من المحسنات الآتية فى علم البديع .

بفضلة تفيد نكتة[1] كالمبالغة في قوله تعالى : ﴿ ويطعمونَ الطعام على حُبِّه ﴾[2] أى مع حبه ، والضمير للطعام أى مع اشتهائه والحاجة إليه ، ونحوه : ﴿ وآتى المالَ على حبّه ﴾ [3] وكذا: ﴿ لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [4]وعن فضيل بن عياض : « على حب الله[5] فلا يكون مما نحن فيه[6].

وفى قول الشاعر :

إنى على ما تَرَيْنَ مِـــــنْ كِبَرى أعرفَ من أين تؤكل الكتفُ[7]

وفى قول زهير :

من يَلْق يومًا علــــى عِلاَّتِه هَرِماً يَلْقَ السماحةَ منه والندَى خُلُقًا [8]

---

(١) المراد بالفضلة المفعول ونحوه لا يتم أصل المعنى بدونه ؛ لأنه هذا لا بد منه فى كلُ أنواع الإطناب ولا يختص بالتتميم ، وبهذا يكون التتميم أخص من الإيغال من هذه الناحية لأنه لا يتقيد بها ،ويكون أعمَّ منه من ناحية أنه قد يكون فى غير الأخِر بخلاف الإيغال ، ويسمى التتميم التمام أيضًا .

(٢) آية ٨ سورة الانسان

(٣) آية ١٧٧ سورة البقرة .

(٤) آية ٩٢ سورة آل عمران .

(٥) فيكون الضمير لله لا للطعام .

(٦) لأن معناه على هذا يدخل فى أصل المراد فلا يكون إطنابًا ، وإنما دخل في أصل المراد لأن الإنفاق لا يمدح شرعًا إلا إذا كان لله لا لرياء ونحوه ، ولا يردِ مثل هذا فى الآية الثالثة ، لأن أصل المعنى يتم عند قوله : ﴿ حتى تنفقوا ﴾ .

(٧) لا يعلم قائله ، وقوله « أعرف من أين تؤكل الكتف » خبر « إن » وهو كناية عن أنه داهية ؛ لأن الكتف تؤكل من أسفلها ويشق أكلهـــا من أعلاها ، وقوله « على ما ترين من كبر» . تتميم يقصد منه المبالغة أيضًا .

(٨) هو من قصيدة له فى مدح هرِم بن سنان ، والشاهد فى قوله « على علاته » والعلات جمع علة ، هى ما ينوبه من قلة ذات يد وعوز ، وعطف الندى على السماحة عطف تفسير ، ومن ينكر عطف التفسير يجعل ذلك حشواً ، وقوله « خلقًا » بمعنى الطبع الذى لا تكلف فيه .

بغية الإيضاح

لتلخيص المفتاح

في علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعيدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الثالث في علم البيان

الطبعة الخامسة : $\frac{١٤٠٥}{١٩٨٥}$ وتمتاز بكثير من الزيادات والتنقيحات .

تنبيه — قد وضعنا الإيضاح بأعلى الصفحة ، ووضعنا شرحه « بغية الإيضاح » بأسفلها

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميزت ٩١٩٣٧٧

٤٢ ميدان الأوبرا - ت : ٩٢٠٨٦٨

المطبعة النموذجية

٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن الثانى علم البيان

تعريف علم البيان : وهو علم يعرّف به إيراد المعنى الواحد[1] بطرق مختلفة

(١) قيده السعد بأن يكون مدلولا عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال ، وإنما قيده بهذا لأن اعتبار علم البيان إنما يكون بعد اعتبار علم المعانى، فلا بد من مراعاة علم المعانى فى علم البيان فإذا أنكر شخص كرم زيد مثلا قلت له بطريق الكناية — إن زيداً كثير الرماد — فإذا لم تأت بالتأكيد لم يعتد بهذه الكناية ، وقيل المراد جنس المعنى من غير تقييد بشىء ، لأن وظيفة علم البيان غير وظيفة علم المعانى ، فوظيفة الأول ترجع إلى البلاغة ، و وظيفة الثانى ترجع إلى الفصاحة ، وقد سبق فى المقدمة أنه لا بد من اعتبار الفصاحة فى البلاغة ، فإذا نظر إلى هذا كان الأمر فى العلمين بعكس ماذكره السعد فيهما ، والحق أن علم البيان لا ينظر فى قول امرىء القيس مثلا :

ألم تسأل الرّبع القديم بعَسعَسا كأنى أنادى إذ أكلم أخرسا

من جهة مطابقته لمقتضى الحال أو عدمها، وإنما ينظر إليه من جهة فساد التشبيه، لأنه لا يقال : كلمت حجراً فلم يجب فكأنه كان حجراً وإنما الجيد فى ذلك قول كثير :

فقلت لها يا عَزّ كلّ مُصيبةٍ إذا وطّنَتْ يوما لها النفس ذلّتِ

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصُّم لو تمشى بها العُصمُ زلّتِ

وهذا لا يمنع مراعاة الأحوال والظروف فى أبواب علم البيان ، كما أن القدماء بتشبيهات رغب المحدثون عنها استبشاعا لها ، كقول امرىء القيس :

فى وضوح الدلالة عليه(١).

أقسام الدلالة : ودلالة اللفظ إما على ما وُضِعَ له ، أو على غيره ، والثانى إما داخل فى الأول دخول السقف فى مفهوم البيت أو الحيوان فى مفهوم الإنسان ، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف أو الضاحك عن مفهوم الإنسان، وتسمى الأولى دلالة وضعية ، وكل واحدة من الأخيرتين دلالة عقلية وتختص الأولى بدلالة المطابقة، والثانية بالتضمن ، والثالثة بدلالة الالتزام . وشرط الثالثة اللزوم الذهنى أن يكون حصول

= وتعطو برَخص غير شَثْن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل

فشبه البنان بالأسروعة وهى دودة تسكون فى الرمل ، وقال ابن المعتز :

أشرن على خوف بأغصان فضة مُقوَّمة أثمارهن عقيق

وهذا أحب من تشبيه امرىء القيس وإن كان أشد إصابة ولكن يجب أن تقبل من هذا ما لا يمنعه الذوق ، مثل قولهم — أعطى القوس باريها — كما يقال فى الإنجليزية الآن لمن يبالغ فى كلامه — ينزع فى القوس الطويلة — وفى الفرنسية لمن يتوسل إلى غايته بكل وسيلة — يبرى سهاماً من كل خشب .

(١) بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة عليه وبعضها أوضح ، وبهذا يكون الاختلاف بينها فى حدود وضوح الدلالة ، لأن علم البيان يقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوى فلا يطلب فيه إلا وضوح الدلالة ، وقيل : إنه يريد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة وخفائها ، فحذف الثانى على سبيل الاكتفاء، وقد رجح هذا بأن المطلوب فى علم البيان هو خفاء الدلالة لا وضوحها ، لأنه كلما كان خفى الدلالة كانت منزلته أعلى ، ولا شك أن المراد بهذا الخفاء ما يكون بسبب دقة المعنى لا بسبب التعقيد ، واختلاف تلك الطرق فى ذلك يكون باعتبار قرب المعنى المجازى وبعده من المعنى الحقيقى ، وباعتبار اختلاف القرينة المنسوبة فى دلالتها على المراد .

وضع اللفظ له في الذهن ملزوماً لحصول الخارج فيه[1] لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، لكون نسبة الخارج إليه حينئذ كنسبة سائر المعانى الخارجية ، ولا يشترط في هذا اللزوم أن يكون مما يثبته العقل[2] بل يكفى أن يكون مما يثبته اعتقاد المخاطب إما لعرف عام أو لغيره[3] لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصلى إلى الخارجى ، وقد وقع في كلام بعض العلماء[4] ما يشعر بالخلاف في اشتراط اللزوم الذهنى ، في دلالة

= وقد خرج بذلك عن تعريف علم البيان إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في اللفظ والعبارة ، كقولك — زيد أسد . زيد ليث .

ومن الاختلاف طرق الدلالة أن يقال في الكناية عن الجود — مهزول الفصيل . جبان الكلب كثير الرماد — وفي إيراده بطريق التشبيه — وهو كالبحر في السخاء . أو بحر في السخاء . أو بحر من غير ذكر وجه الشبه — وفي إيراده بطريق الاستعارة — رأيت بحراً في دارنا . رأيت بحراً طم بأنعامه جميع الأنام .

(١) يعنى بالخارج المعنى الخارجى وهو اللازم ، وقد يكون حصول ذلك فوراً أو بعد التأمل في القرائن والأمارات .

(٢) هو اللزوم البين المعتبر في علم المنطق ، وإنما لم يعتبر هنا لأن اعتباره يخرج كثيراً من المعانى المجازية عن أن تكون مدلولات التزامية ، ولا يتأتى معه الاختلاف في وضوح الدلالة ، لأنه لا يمكن فيه انفكاك تعقل اللازم عن تعقل الملزوم في الذهن أصلا .

(٣) يعنى بغير العرف العام العرف الخاص ودلالة المقام والتأمل في القرينة ، ومثال العرف العام لزوم الشجاعة للأسد ، ومثال الخاص لزوم عدم قبول النجاسة لبلوغ الماء قلتين .

(٤) هو ابن الحاجب .

الالتزام وهو بعيد جداً ، وإن صح فلعل السبب فيه توهم أن المراد باللزوم الذهنى اللزوم العقلى(١) ، لإمكان الفهم بدون اللزوم الذهنى بهذا المعنى حينئذ كما سبق .

ثم إيراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية(٢) لأن السامع إن كان عالماً بوضع الألفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض ، وإلا لم يكن كل واحد منها دالا ، وإنما يتأتى بالدلالات العقلية ، لجواز أن يكون للشىء لوازم بعضها أوضح لزوما من بعض(٣) .

---

(١) هو اللزوم البين المعتبر فى علم المنطق .

(٢) أى فى دلالتها على معنى واحد بطرق متعددة كما فى الألفاظ المترادفة ، وقد يتأتى فيها الاختلاف فى الوضوح بالتعقيدات اللفظية ، ولكن هذا ليس من الاختلاف فى طرق الدلالة ، واعترض على ذلك بأنه يلزم عليه خروج التشبيه من علم البيان لأن دلالته وضعية ، وقد أجاب بعضهم بالتزام خروج التشبيه من علم البيان وأنه إنما يذكر فيه من أجل بناء الاستعارة عليه ، والحق أن الإيراد المذكور يأتى فى التشبيه أيضاً كما سبق ، فلا يصح إخراجه من علم البيان ، وإنما أتى فيه الإيراد المذكور لأن التشبيه فى نحو — زيد كالبدر — له دلالتان : إحداهما وضعية فى دلالته على تشبيه وجهه بالبدر فى الاستدارة والاستنارة ، والثانية التزامية فى دلالته على أنه غاية فى الحسن ، بهذه الثانية يأتى فيه الإيراد المذكور ، وقيل : إن المراد بإتيان ذلك فى العقلية ما يشمل إتيانه فيها وحدها أو مع الوضعية ، لأن الدلالة الوضعية فيه إحدى الدلالات المتفاوتة .

(٣) يكون هذا باعتبار قلة الوسائط وكثرتها بين اللازم والملزوم ونحو ذلك مما يختلف به وضوح الدلالة ، وكذلك دلالة التضمن لأنها قد تدل على جزء الشىء أو جزء جزئه ، ودلالتها على الأول كدلالة الحيوان على الجسم أوضح من دلالتها على الثانى كدلالة الإنسان على الجسم .

هذا وإنما ذكر هنا مبحث الدلالة ليرتب عليه بيان أبواب علم البيان ، ولأن علم =

أبواب علم البيان : ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز ، وإلا فهو كناية ، ثم المجاز منه الاستعارة ، وهى ما تبتنى على التشبيه ، فيتعين التعرض له[1] .

فانحصر المقصود فى التشبيه والمجاز والكناية ، وقدم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التى هى مجاز على التشبيه ، وقدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل[2] .

القول فى التشبيه

تعريف التشبيه : التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر فى

= البيان ترجع مباحثه إلى دلالة اللفظ ، أما علم المعانى فترجع مباحثه إلى نظم الكلام وأسلوبه .

(١) هذا ظاهر فى أن التشبيه لا يدخل فى البيان إلا تبعا للاستعارة ، وقد سبق بيان الحق فى ذلك ، على أن ابن الأثير قد ذكر أن الجمهور على أن التشبيه مجاز ، لأن المتشابهين كما ذكر ابن رشيق إنما يتشابهان بالمقاربة وعلى المسامحة ، وقد نازعه بعضهم فى صحة هذا النقل عن الجمهور .

(٢) إنما لم يكن جزءاً حقيقة لأن الكناية ليس معناها مجموع اللازم والملزوم ، وإنما هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم كما سيأتى .

هذا وقد ذكر السعد أن الأولى أن يعرّف البيان بأنه علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث ، فلا يكون هناك حاجة إلى تفصيل الكلام فى الدلالة وما ترتب عليه ، وفى نفسى شىء من هذا التعريف ، ويجب أن يعلم أن هذه الأبواب كانت تعد قديما من البديع ، وكان يجرى عليها حكم أبوابه ، فلا يصح أن يزدحم الكلام بها ، لأنها لا تطلب لذاتها كما سبق ، وإنما تحسن عند اقتضاء المقام لها .

معنى(1)، والمراد بالتشبيه ههنا(2) مالم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد(3) فدخل فيه ما يسمى تشبيهاً بلا خلاف، وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه، كقولنا ـ زيد كالأسد، أو كالأسد ـ بحذف زيد لقيام قرينة، وما يسمى تشبيها على المجاز كما سيأتي(4) وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه وكان اسم المشبه به خبراً للمشبه أو فى حكم الخبر(5) كقولنا ـ زيد أسد ـ وكقوله تعالى(6) « صمٌّ بكمٌ عميٌ » أى هم، ونحوه قول من يخاطب الحجاج :

أسدٌ عليَّ وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر(7)

وكقولنا ـ رأيت زيداً بحراً

---

(1) يرد على هذا أنه يشمل نحو : قاتل زيد عمراً، وجاءنى زيد وعمرو = فالأحسن أن يقال فى معناه لغة : إنه مصدر ـ شبهته بكذا ـ إذا جمعت بينهما بوصف جامع، وهذا لا يرد عليه ذلك لأن الجمع فيه بصيغة المشاركة وواو العطف لا بذلك الوصف الجامع . (2) يعنى التشبيه الاصطلاحى

(3) فهو فى الاصطلاح الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بالكاف ونحوها، لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد، وإنما لم يذكر الإستعارة التخييلية مع الثلاثة لأنها عنده فى الإثبات كما سيأتى، فهى خارجة عن جنس التعريف، وخروج التجريد من التشبيه إذا لم يكن على وجه ينبىء عن التشبيه كقولك ـ لى من فلان صديق حميم ـ فإذا كان على وجه ينبىء عنه فالأقرب جعله منه، كقولك ـ لئن سألت فلانا لتسألن به البحر .

(4) فى تعريف الإستعارة .

(5) كالحال ونحوه، كقولك ـ رأيت زيداً بحراً .

(6) آية ـ18ـ سورة البقرة .

(7) نسب فى الأغانى لعمران بن حطان، ونسب فى حماسة البحترى لأسامة بن =

تأثير التشبيه : وإذ قد عرفت معنى التشبيه فى الاصطلاح ، فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره فى فن البلاغة ، وأن تعقيب المعانى به لاسيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها فى تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك ، وإن أردت تحقيق هذا فانظر إلى قول البحترى :

دانٍ على أيدى العفاة وشاسع ... عن كل نِدٍ فى النَّدى وضريبِ (١)
كالبدر أفرط فى العلو وضوؤه ... للعصبة السَّارين جدُّ قريب (٢)

أو قول ابن لنكك :

إذا أخو الحسن أضحى فعله سمجاً ... رأيت صورته من أقبح الصُّور (٣)
وهبْه كالشمس فى حسنٍ ألم ترنا ... نفر منها إذا مالت إلى الضَّرر (٤)

أو قول ابن الرومى :

بذل الوعد للأخلاء سمْحاً ... وأبى بعد ذاك بذل العطاء

= سفيان البجلي ، وفيه ـ ربداء ـ بدل فتخاء .

(١) العفاة جمع عاف وهو طالب الفضل أو الرزق ، والند المثيل والنظير ، وعطف ضريب عليه عطف تفسير .

(٢) السارون السائرون ليلا ، وقوله ـ جد قريب ـ صفة لمحذوف أى قريب ، جد قريب بمعنى بالغ الغاية فى القرب ، وهو مصدر جدَّ أى اجتهد وبالغ فى أمره ، شبه هيئة رفعة الممدوح مع قرب نفعه للسائلين بهيئة ارتفاع البدر مع قرب ضوئه والانتفاع به ، والجامع الهيئة الحاصلة من بعد المنال مع قرب النوال .

(٣) السمج القبيح .

(٤) قوله ـ هبه ـ بمعنى أحسبه واعدده ينصب مفعولين ولم يأت منه إلا الأمر ، وروي ـ وهبك ـ : شبه حال من حسنت صورته وقبح فعله فكرهه الناس بحال الشمس =

فغدا كالخلاف يُورِقُ للعيـ ـن ويأبى الإثمار كل الإباء(١)

أو قول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشرَ فضيلة طُويتْ أتاح الله لها لسان حسود(٢)

لولا اشتعالُ النار فيما جاورتْ ما كان يعرفُ طيبُ عرْف العود(٣)

وقوله أيضاً :

وطولُ مُقامِ المرء في الحيِّ مُخلقٌ لديباجتيه فاغتربْ تتجـدّد(٤)

فإني رأيتُ الشمس زيدَت محبّةً إلى الناس أن ليستْ عليهم بسرْمد(٥)

وقس حالك وأنت فى البيت الأول ولم تنته إلى الثانى على حالك وأنت قد انتهيت

= نفر منها إذا اشتد حرها ، والجامع أن كلاًّ يكره لأذاه وإن حسن منظره ، وابن لنكك هو محمد بن محمد بن لنكك .

(١) الخلاف صنف من الصفصاف وليس به ، سمى خلافاً لأن السيل يأتى به سبيًّا فينبت من خلاف أصله ، شبه حال من وعد شخصاً بقضاء حاجة ثم أخلف بحال الخلاف فى ذلك ، والجامع ما فى كل من اليأس بعد الطمع .

(٢) قوله — طويت — بمعنى أخفيت ، وقوله — أتاح — بمعنى هيأ .

(٣) العرف الرائحة ، والعود ضرب من الطيب يتبخر به ، والمراد تشبيه هيئة الفضيلة مع الحسود بهيئة العود مع النار على سبيل التمثيل ، والجامع ما فى كل من ترتب النفع على محاولة الضرر .

(٤) المخلق : المبلى ، والديباجة الوجه والمراد بديباجتيه صفحتاه ، ولهذا أعاد الضمير عليهما فى — يتجدد — مفرداً . وفى رواية — تتجدد — بالتاء .

(٥) السرمد : الدائم ، والمراد تشبيه هيئة المرء فى اكتسابه المحبة بالاغتراب بهيئة الشمس فى اكتسابها المحبة بطلوعها وغروبها .

إليه ووقفت عليه ، تعلم بُعْدَ ما بين حالتيك فى تمكن المعنى لديك ، وكذا تمهد الفرق بين أن تقول — الدنيا لا تدوم — وتسكت وأنت تذكر عقيبَهُ ما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ فى الدنيا ضيف ، وما فى يده عارية ، والضيف مرتحل والعارية مؤداة » . أو تنشد قول لبيد :

وما المالُ والأهلون إلا ودائعُ ولا بُدَّ يوماً أن تردَّ الودائع(١)

وبين أن تقول — أرى قوماً لهم منظر ، وليس لهم مخبر — وتقطع الكلام ، وأن تتبعه نحو قول ابن لنكك :

فى شجر السَّرْو منهم مثلٌ له رُواءٌ وما له ثَمرُ(٢)

وانظر فى جميع ذلك إلى المعنى فى الحالة الثانية كيف يتزايد شرفه عليه فى الحالة الأولى .

أسباب تأثير التشبيه : ولذلك أسباب : منها ما يحصل للنفس من الأنس بإخراجها من خفيّ إلى جليّ . كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يعلم بالفطرة، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته . كما قيل :

ما الحب إلا للحبيب الأول(٣)

أو مما تعلمه إلى ما هى به أعلم ، كالانتقال من المعقول إلى المحسوس ، فإنك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقصر :

---

(١) يعنى أن ذلك ودائع الله عندنا .

(٢) الرواء المنظر الحسن ، والمراد أنهم مثله فى حسن المنظر وقبح المخبر .

(٣) هو من قول أبى تمام :

كم منزلٍ فى الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل
نقّل فؤادك ما استطعتَ من الهوى ما الحُبُّ إلا للحبيب الأوّل

يريد أن الفؤاد لا يميل إلا للحبيب الأول لإلفه له ، وهذا هو محل الشاهد ؛

ـ يوم كأقصر ما يتصوّر ـ فلا يجد السامع له من الأنس ما يجده لنحو قولهم ـ أيام كأباهيم القطا(١) وقول الشاعر :

ظللنا عند باب أبي نعيمٍ بيومٍ مثل سالفة الذّباب(٢)

وكذا تقول — فلان إذا همّ بالشيء لم يزل عن ذكره ، وقصر خواطره على إمضاء عزمه فيه ، ولم يشغله عنه شيء — فلا يصادف السامع له أريحية ، حتى إذا قلت :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه(٣)

امتلأت نفسه سرورا ، وأدركته هزة لا يمكن دفعها عنه ، ومن الدليل على أن للإحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره أنك إذا كنت أنت وصاحب

---

(١) الأباهيم جمع إبهام وهو الإصبع المعروف .

(٢) سالفة الذباب مقدم عنقه ، والمراد أنه مثلها في القصر ، وقد قال ثعلب : كنا عند ابن الأعرابي فأنشد قول جرير :

ويوم كإبهام القطاة تخايلت ضحاه وطابت - بالمشى أصائله

فعجبنا من تشبيهه قصر النهار بإبهام القطاة ، فقال ابن الأعرابي : أحسن منه ـ وهو الذي أخذ منه جرير ـ قول الآخر :

ويوم عند دار أبي نعيم قصير مثل سالفة الذباب

وقد قال الزجاج : إن هذا نهاية في الإفراط ، وخروج عن حدود التشبيه المصيب وأنشد في ديوان المعاني لعون بن محمد بن إسحاق الموصلي :

ظللنا في جوار أبي الجناب بيوم مثل سالفة الذباب

(٣) هو من قول سعد بن ناشب :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه ونكّب عن ذكر العواقب جانبا

والشاهد في تشبيه العزم بشيء محسوس يلقى أمام العينين بجامع العناية التامة بكل ، لكن هذا من الاستعارة بالكناية لحذف المشبه به فيه وإثبات لازمة للمشبه .

لك يسعى في أمر على طرف نهر ، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل ، فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له - أنظر هل حصل في كفي من الماء شيء ؟ فكذلك أنت في أمرك — كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب زائد على القول المجرد .

ومنها الاستطراف كما سيأتي(١) .

ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشباه عدة(٢) نحو أن يعطيك من الزند بإيرائه شبه الجواد والذكي والنجح في الأمور ، وبإصلاده شبه البخيل والبليد والخيبة في السعي ، ومن القمر الكمال عن النقصان ، كما قال أبو تمام :

لهفي على تلك الشواهد فيهما ... لو أمهلت حتى تصير شمائلا(٣)
لغدا سكونهما حجى وصباهما ... حلماً وتلك الأريحية نائلا(٤)
ولأعقب النجم المرذ بديمة ... ولعاد ذاك الطل جوداً وابلا(٥)

---

(١) في بيان الغرض من التشبيه .

(٢) هذا يدخل في سبب من أسباب تأثير التشبيه هو جمعه بين الأمور المتنافرة والمختلفة ، لأنه فيما ذكره يشبه أشياء مختلفة بشيء واحد .

(٣) اللهف : الحسرة ، والشواهد أمارات الفضائل فيهما ، وكان يرثي ولدين لعبد الله ابن طاهر ماتا في يوم واحد ، والشمائل السجايا .

(٤) الحجى العقل ، والصبا الفتوة ، والأريحية خصلة تجعل صاحبها يرتاح إلى الأفعال الحميدة ، والنائل العطاء ، ويروى — وصباهما كرماً — ولكنه يتكرر مع قوله — نائلا .

(٥) المرذ اسم فاعل من أرذ بمعنى أمطر رذاذاً وهو المطر الخفيف ، والديمة المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق والطل المطر الضعيف ، والجود المطر الغزير ، والوابل المطر الشديد .

إنّ الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أنْ سيصير بدراً كاملا(١)

والنقصان عن الكمال ، كقول أبي العلاء المعرّي :

وإن كنت تبغي العيش فابْغ توسُّطاً فعند التناهي يقْصر المتطاول(٢)
توقّ البدور النقصَ وهْي أهلة ويدركها النقصان وهْي كوامل(٣)

وتتفرع من حالتي كماله ونقصه فروع لطيفة ، كقول ابن بابك في الأستاذ أبي عليٍّ وقد استوزره وأبا العباس الضبّيّ فخر الدولة بعد وفاة ابن عباد :

وأعرت ثوب الملْك شطْر كماله والبدر في شطْر المسافة يكْمل(٤)

وقول أبي بكر الخوارزمي :

أراك إذا أيسرْت خيَّمْت عندنا مقيماً وإنْ أعسرت زُرْت لماما
فما أنت إلا البدر إن قلّ ضوْؤه أغبّ وإن زاد الضياء أقاما(٥)

---

(١) هذا البيت محل الشاهد ، لأنه يشبه ما كانا سيصيران إليه بحال الهلال فيما يصير إليه من الكمال بعد النقصان .

(٢) التناهي بلوغ النهاية ، والمتطاول اسم فاعل من تطاول بمعنى تمدد .

(٣) هذا البيت محل الشاهد ، لأنه يشبه حال الشخص في أمنه من النقص عند التوسط في العيش وعدم أمنه منه إذا بلغ نهايته بحال البدور في أمنها من النقص وهي أهلة وإدراكه لها بعد كمالها .

(٤) قوله — أعرت — بمعنى أعطيت ، والشطر النصف ، يعني بذلك تدبيره نصف المملكة مع أبي العباس الضبي ، والمراد تشبيه حال الملك في كماله بذلك بحال البدر في كماله عند بلوغه نصف مسافته ، وقيل : المراد تشبيه حال الممدوح نفسه في كماله بتدبير نصف المملكة ، وابن بابك هو عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك .

(٥) قوله — خيمت — بمعنى أقمت ، وأصل خيم نصب الخيمة أو أقام فيها ، ==

المعنى لطيف وإن لم تساعده العبارة على ما يجب ، لأن الإغباب أن يتخلل بين وقتى الحضور وقت يخلو منه ، فإنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا نقص نوره لم يوال الطلوع فى كل ليلة ، بل يظهر فى بعض الليالى دون بعض ، وليس الأمر كذلك لأنه على نقصانه يطلع كل ليلة حتى تكون السِّرار .

وكذا ينظر إلى بعده وارتفاعه وقرب ضوئه وشعاعه فى نحو ما مضى من بيتى البحترى(1) وإلى ظهوره فى كل مكان ، كما فى قول أبى الطيب :

كالبدر من حيث التفتّ وجدته يهدى إلى عينيك نوراً ثاقبا(2)

إلى غير ذلك(3) .

أركان التشبيه : ثم النظر فى أركان التشبيه، وهى أربعة : طرفاه ووجهه ، وأداته، وفى الغرض منه . وفى تقسيمه بهذه الاعتبارات :

طرفا التشبيه : أما طرفاه فهما إما حسيّان ، كما فى تشبيه الخد بالورد والقدّ

= وقوله — زرت لماما — بمعنى وقتاً بعد وقت ، وذلك لإظهار التعفف عند العسر ، ووجه الشبه إطالة المكث عند كثرة النفع وإقلاله عند قلته .

(1) قد سبقا فى ص ٧ .

(2) الثاقب المضىء أو النافذ فى كل مكان ، وقوله — كالبدر — يتعلق بالبيت قبله :

هذا الذى أبصرت منه حاضراً مثل الذى أبصرت منه غائباً

(3) أى مما ينظر فيه إلى حالات القمر ، هذا ومن فضائل التشبيه الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز ، كقولك — زيد أسد — تريد أنه متصف بالشجاعة وشهامة النفس وقوة البطش وغير ذلك مما يجمعه هذا التشبيه على إيجازه .

=

والفيل بالجبل في المبصرات ، والصوت الضعيف بالهمس في المسموعات ، والنكهة بالعنبر في المشمومات ، والريق بالخمر في المذوقات ، والجلد الناعم بالحرير في الملموسات(١) .

وإما عقليان ، كما في تشبيه العلم بالحياة(٢)

وإما مختلفان والمعقول هو المشبه ، كما في تشبيه المنية بالسبع(٣) .

أو بالعكس ، كما في تشبيه العطر بخلق كريم(٤)

= وقد قال ابن الأثير : إن التشبيه يجمع صفات ثلاثة : المبالغة والبيان والإيجاز . ويجب أن يراعى فيما سبق أن التشبيه كغيره من أبواب البيان لا يحسن مع فضله إلا عند اقتضاء المقام له ، وأنه في هذا يتأثر بحال الزمان والمكان ، ويتسع فيه المجال للتهذيب والتجديد ، وقد كان القدماء يشبهون الخدود بالورود ، فخالفهم المحدثون وشبهوا الورود بالخدود ، كما في قول بعضهم :

عشيةَ حيّاني بوردٍ كأنه   خدودٌ أضيفتْ بعضهنَّ إلى بعض

(١) هذه أمثلة من الشعر لتشبيه الحسي بالحسي :

الخدُّ وردٌ والصدغُ غاليةٌ   والرِّيق خمرٌ والثغر كالدُّرر

هززنَ من القدود لنا رماحا   فخاين القلوب لها درايا

لها بشرٌ مثل الحرير ومنطقٌ   رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

(٢) من ذلك قول الشاعر :

تشرق أعراضهم وأوجههم   كأنها في نفوسهم شيم

في تشبيه الأعراض بالشيم ، أما تشبيه الوجوه بها فمن الحسي بالعقلي .

(٣) من ذلك قول الشاعر :

الرأي كالليل مسودٌ جوانبه   والليل لا ينجلي إلا بإصباح

(٤) سيأتي في قول الصاحب : =

والمراد بالحسى المُدْرَكُ هو أو مادّتهُ بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ، فدخل فيه الخيالى(١) كما فى قوله :

وكأنّ مُحمرَّ الشقيــ ق إذا تصوّب أو تصعدْ
أعـــلامُ ياقوتٍ نُشــرْ ن على رماح من زبرْجدْ(٢)

وقوله :

كـأنّنا باسطٌ السيد نحــو نيلوفرٍ نسدٌ

= أهديتُ عطراً مثل طيب ثنائه فـكأنما أهدى له أخلاقهْ

وقد تشبه الأرض بذلك أيضاً ، كما فى قول الشاعر :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحّـل الليلُ السماكَ فأبصرا

ومن العلماء من ينكر تشبيه المحسوس بالمعقول ، لأن المشبه به يجب أن يكون أظهر من المشبه ، وقد حمل ما جاء منه على المبالغة فيكون من التشبيه المقلوب الآتى ، ومن العلماء من يستحسنه لما فيه من اللطافة والرقة ، هذا وكان من الواجب أن يعنى ببيان منزلة تلك الأقسام فى التشبيه ، لأن سردها من غير بيان ذلك ليس فيه فائدة ، والمقرر فى ذلك أن التشبيه كلما كان أدخل فى باب المعنويات كان أكمل .

(١) هو المركب الذى توجد أجزاؤه فى الخارج دون صورته المركبة ، فتكون مادته مدركة بالحس دون صورته لعدم وجودها .

(٢) هما لأبى بكر أحمد بن محمد بن الحسن الضّبّىّ المعروف بالصنبورى ، والشقيق نبات أحمر الزهر يسمى شقائق النعمان ، وقد أفرده لضرورة الشعر ، وقوله — تصوب أو تصعد — بمعنى مال إلى أسفل وإلى أعلى فـ«أو» فيه بمعنى الواو ، والياقوت حجر نفيس تختلف ألوانه والمراد هنا الأحمر ، والزبرجد حجر نفيس أشهره الأخضر وهو المراد هنا ، والخيالى فى ذلك هو المشبه به .

كدبابيس عسجد قضبُها من زبرجدِ[1]

والمراد بالعقلى ما عدا ذلك ، فدخل فيه الوهمى ، وهو ما ليس مُدْرَكاً بشىء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أُدْرِك لم يدرَكْ إلا بها[2] كما فى قول امرىء القيس:

ومسنونة زرق كأنياب أغوال[3]

وعليه قوله[4] تعالى (طلعُها كأنه رؤوسُ الشَّياطين) وكذا ما يدْرَكُ بالوجدان[5] كاللذة والألم والشبع والجوع .

وجه التشبيه : وأما وجهه فهو المعنى الذى يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخييلا ، والمراد بالتخييل ألا يمكن وجوده فى المشبه به إلا على تأويل[6] كما فى قول القاضى التَّنوخىّ :

وكأنَّ النجُوم بين دُجاها سنَنٌ لاح بينهنّ ابْتداعُ[7]

---

(1) هما للصنوبرى أيضاً ، والنيلوفر هو البشنين، وهو نبات ذو رائحة ينبت فى الماء الراكد أصله كالجزر وساقه أملس أخضر فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر وزهره أحمر مشوب بصفرة ، والدبابيس جمع دبوس وهو عصا فى رأسها كالكرة ويسمى مقمعة ، والعسجد الذهب أو جوهر كالدر والياقوت ، والخيالى هو المشبه به أيضاً .

(2) فعدم إدراكه بها إنما هو لعدم وجوده ، وبهذا يمتاز عن العقلى الخالص .

(3) هو من قوله :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وقد مضى فى الكلام على الإستفهام فى باب الإنشاء ، والوهمى فى ذلك هو المشبه به .

(4) آية 65 — سورة 37 — والشاهد فى الآية على أن المراد بالشياطين الجن ، وقيل إن رؤوس الشياطين ثمر شجر منكر الصورة يسمى الأستن .

(5) هو ما يدرك بالحواس الباطنة من المعانى الجزئية .

(6) التأويل بمعنى التخييل وهو جعله غير المحقق محققاً ، ولم يقيد السعد ذلك بالمشبه به بل جعله عاماً فى أحد الطرفين أو كليهما .

(7) الدجى جمع دجية وهى الظلمة ، والضمير المضاف إليه يعود إلى النجوم ، وفى الشطر الثانى قلب والأصل سنن لاحت بين ابتداع ، لأن هذا هو الموافق لوجود النجوم بين الدجى ، والقاضى التنوخى هو على بن محمد بن داود بن فهم .

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود ، فهي غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخييل ، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة ، فلا يهتدي إلى الطريق ولا يفصل الشيء من غيره ، فلا يأمن أن يتردى في مهواة أو يعثر على عدو قاتل أو آفة مهلكة ، شبهت بالظلمة ، ولزم على عكس ذلك أن يشبه السنة والهدى وكل ماهو علم بالنور ، وعليهما قوله[1] تعالى (يخرجهم من الظلمات إلى النور) وشاع ذلك حق وصف الصنف الأول بالسواد ، كما في قول القائل — شاهدت سواد الكفر من جبين فلان — والصنف الثاني بالبياض ، كما في قول النبي ﷺ « أتيتكم بالحنيفية البيضاء » وذلك لتخييل أن السنن ونحوها من الجنس الذي هو إشراق أو ابيضاض في العين ، وأن البدعة ونحوها على خلاف ذلك ، فصار تشبيه النجوم ما بين الدياجي بالسنن مابين الابتداع كتشبيه النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب ، وبالأنوار[2] مؤتلقة بين النبات الشديد الخضرة ، فالتأويل فيه أنه تخيل ما ليس بمتلون متلوناً ، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يتأول بأنه أراد معنى قولهم — إن سواد الظلام يزيد النجوم حسناً — فإنه لما كان وقوف العاقل على عوار الباطل يزيد الحق نبلا في نفسه وحسناً في مرآة عقله ، جعل هذا الأصل من المعقول مثالا للشاهد المبصر هناك ، غير أنه لا يخرج مع هذا عن كونه على خلاف الظاهر ، لأن الظاهر أن يمثل المعقول في ذلك بالمحسوس[3] كما فعل البحتري في قوله :

وقد زادها إفراط حسن جوارها خلائق أصفار من المجد خيب[4]

---

(١) ى — ٢٥٧ — س ٢

(٢) جمع نور بفتح النون وهو الزهر الأبيض أو الزهر مطلقا .

(٣) المعقول هو زيادة حسن الحق ، والمحسوس هو زيادة حسن النجوم .

(٤) تقدير البيت وقد زادها جوارها خلائق أصفار من المجد خيب إفراط حسن ، فإفراط مفعول لزاد مقدم على فاعله وهو جوارها ، وخلائق مفعول لجوارها ، ومن المجد متعلق بأصفار لأنها بمعنى خالية جمع صفر .

وحسنُ دراريّ الكواكب أن تُرى طوالع فى داج من الليل غيهب(١)

ومن التشبيه التخييلى قول أبى طالب الرّقّى :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النّوى وفؤادُ من لم يعشق(٢)

فإنه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسعاً ، فيقال — اسودّ النهار فى عينى وأظلمت الدنيا علىّ — وكان الغزلُ يدعى القسوة على من لم يعشق ، والقلب القاسى يوصف بالسواد توسعاً ، تخيل يوم النوى وفؤاد من لم يعشق شيئين لهما سواد ، وجعلهما أعرف وأشهر من الظلام فشبهه بهما . وكذا قول ابن بابك :

وأرضٍ كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحّل الليل السّماكَ فأبصرا(٣)

فإن الأخلاق لما كانت توصفُ بالسّعة والضيق تشبيهاً لها بالأماكن الواسعة والضيقة تخيّل أخلاق الكرام شيئاً له سعة وجُعل أصلا فيها فشبّه الأرض الواسعة بها وكذا قول التّنوخىّ :

فانهضْ بنارٍ إلى فحم كأنهما فى العين ظلمٌ وإنصافٌ قد اتّفقا(٤)

فإنه لما كان يقال فى الحق — إنه منير واضح — فيستعار له صفة الأجسام المنيرة، وفى الظلم خلاف ذلك ، تخيلهما شيئين لهما إنارة وإظلام فشبه النار والفحم مجتمعين

---

(١) الدرارى جمع درى وهو الكوكب الثاقب المضىء كالدر ، والداجى المظلم ، والغيهب الشديد السواد ، والمراد تشبيه هيئة وجود خلائق لها مجد بين خلائق خالية منه بهيئة وجود درارى الكواكب فى ليل غيهب ، فشبه المعقول فى هذا بالمحسوس .

(٢) هو من تشبيه المحسوس بالمعقول ، وأبو طالب الرقى من شعراء اليتيمة .

(٣) السماك الأعزل والرامح نجمان نيّران ، وضمير أبصر يعود إليه ، يعنى أنه فتح ، وظهر ، وفى البيت تشبيه محسوس بمعقول ، وابن بابك هو عبد الصمد ابن منصور .

(٤) هو من قطعة له فى وصف البرد . و فيه تشبيه محسوس بمعقول ، وقد سبق التعريف بالقاضى التنوخى .

بهما مجتمعين وكذا ما كتب به الصاحب إلى القاضي أبي الحسن[1] وقد أهدى له صاحب عطر الفطر :

يا أيها القاضي الذي نفسي له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

فإنه لما كان الثناء يشبه بالعطر ويشتق له منه، تخيله شيئاً له رائحة طيبة، وشبه العطر به ليوهم أنه أصل في الطيب وأحق به منه. وكذا قول الآخر :

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه نجاء من البأساء بعد وقوع[2]

فإنه لما رأى الخلاص من شدة يشبه بخروج البدر من تحت الغيم بانحساره عنه، قلب التشبيه ليرى أن صورة النجاء من البأساء لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب أعرف من صورة انتضاء البدر من تحت غيمه .

وإذا علم أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان علم فساد جعله في قول القائل — النحو في الكلام كالملح في الطعام — كون القليل مصلحاً والكثير مفسداً ؛ لأن القلة والكثرة إنما يتصور جريانهما في الملح — وذلك بأن يجعل منه في الطعام القدر المصلح أو أكثر منه — دون النحو ، فإنه إذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلا فإن وجد ذلك في الكلام فقد حصل النحو فيه وانتفى الفساد عنه وصار منتفعاً به في فهم المراد منه ، وإلا لم يحصل وكان فاسداً لا ينتفع به ، فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحاً والإهمال مفسداً لاشتراكهما في ذلك .

ومما يتصل بهذا ما حكي أن ابن شرف القيرواني أنشد ابن رشيق قوله :

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم فكأنني سبابة المتندم[3]

---

(١) يعني الصاحب إسماعيل بن عباد والقاضي علي بن عبد العزيز .

(٢) نسبه ابن المعتز في البديع للعلوي الأصفهاني وهو المعروف بابن طباطبا ، والانتضاء الانكشاف ، والنجاء الخلاص ، والبأساء الشدة ، وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول أيضاً .

(٣) السبابة إصبع معروف ، يعني أن الشخص يعضها إذا ندم على شيء فاته ولا ذنب لها في ذلك ، وابن رشيق اسمه الحسن ، وابن شرف اسمه محمد .

وقال له : هل سمعت هذا المعنى ؟ فقال ابن رشيق : سمعته وأخذته أنت وأفسدته ، أما الأخذ فمن النابغة الذُّبياني حيث يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً وهل يأثمنْ ذو إمّةٍ وهْو طائع(١)

لكلّفتنى ذنب امرىءٍ وتركته كذى العُرّ يكوى غيره وهْو راتع(٢)

وأما الإفساد فلأن سبابة المتندم أول شيء يتألم منه فلا يكون المعاقب غير الجانى ، وهذا بخلاف بيت النابغة ، فإن المكْوىّ من الإبل يألم وما به عر النّبتة ، وصاحب العر لا يألم جملة(٣) .

الوجه الداخل فى الطرفين والخارج عنهما : وهو إما غير خارج عن حقيقة الطرفين أو خارج ، والأول إما تمام حقيقتهما كما فى تشبيه إنسان بإنسان فى كونه إنساناً ، أو جزؤها ، كما فى تشبيه بعض الحيوانات العجْم بالانسان فى كونه حيواناً ، والثانى صفة إما حقيقية أو إضافية(٤) والحقيقية إما حسية ، وهى الكيفيات الجسمية مما يدْرك بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحسن والقبح وغير ذلك ، أو بالسمع من الأصوات القوية والضعيفة والتى بيْن بين ، أو بالذوق من أنواع الطعوم ، أو بالشم من أنواع الروائح ، أو باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقل وما ينضاف إليها ، وإما عقلية كالكيفيات النفسية من الذكاء والتيقظ والمعرفة والعلم

---

(١) الإمة الدّين أو النعمة أى ذو نعمة أسديت إليه ، وقد تضم همزته .

(٢) العر بضم العين وفتحها الجرب ، وقيل : إنه بالفتح الجرب ، وبالضم قروح مثل القوباء ، وهى التى يكوى منها لذلك لا الجرب ، وقد كان العرب يفعلون ذلك قديما لجهلهم ثم تركوه ، وقيل : إنه مثل لا حقيقة . والراتع اسم فاعل من رتع بالمكان — إذا أقام فيه وأكل وشرب .

(٣) الحق أن هذا النقد يقوم على تعمق فى التدقيق لا يحتمله مقام الأدب ، وكلام العرب يقوم كثير منه على التوسع والتجوز .

(٤) الصفة الحقيقية كل هيئة متمكنة فى الذات متقررة فيها ، والصفة الإضافية كل معنى يتعلق بشيئين بحيث يتوقف تعقله على تعقلهما .

والقدرة والكرم والسخاء والغضب والحلم وما جرى مجراها من الغرائز والأخلاق ، والإضافية كإزالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس[1] .

الوجه الواحد وغيره والحسي والعقلي : تقسيم آخر باعتبار آخر : وجه الشبه إما واحد أو غير واحد ، والواحد إما حسي أو عقلي ، وغير الواحد إما بمنزلة الواحد لكونه مركباً من أمرين أو أمور ، أو متعدد غير مركب ، والمركب إما حسي أو عقلي ، والمتعدد إما حسي أو عقلي أو مختلف .

والحسي لا يكون طرفاه إلا حسيين ، لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسي شيء ، والعقلي طرفاه إما عقليان أو حسيان أو مختلفان ، لجواز أن يدرك بالعقل من الحسي شيء ، ولذلك يقال : التشبيه بالوجه العقلي أعم من التشبيه بالوجه الحسي .

قال الشيخ صاحب المفتاح[2] : وهاهنا نكتة لابد من التنبه لها ، وهي أن التحقيق في وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلي ، وذلك أنه متى كان حسياً — وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً في الطرفين ، وكل موجود فله تعين — فوجه الشبه مع المشبه متعين ، فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به ، لامتناع حصول المحسوس المعين ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة ، وبحكم التنبيه على امتناعه إن شئت ، وهو استلزامه إذا عدمت حمرة الخد دون حمرة الورد أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة معاً ، وهكذا في أخواتها ، بل يكون[3] مثله مع المشبه به ، لكن المثلين لا يكونان شيئاً واحداً ، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحد،

---

(١) فإزالة الحجاب أمر نسبي يتعلق بالمزيل والمزال ، والأول هو الشمس أو الحجة والثاني هو الحجاب الحسي أو المعنوي .

ولهذا التقسيم فائدة في الفرق بين التشبيه والتمثيل عند عبد القاهر ، كما سيأتي في تقسيم التشبيه إلى تمثيل وغير تمثيل .

(٢) ١٧٩ — المفتاح — المطبعة الأدبية .

(٣) معطوف على قوله — فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به .

فيلزم أن يكون أمراً كلياً مأخوذاً من المثلين بتجريدهما عن التعين ، لكن ما هذا شأنه فهو عقلي ، ويمتنع أن يقال : فالمراد بوجه الشبه حصول المثلين في الطرفين[1] فإن المثلين متشابهان فمهما جه تشبيه ، فإن كان عقلياً كان المرجع في وجه الشبه العقل في المآل ، وإن كان حسياً استلزم أن يكون مع المثلين مثلان آخران ، وكان الكلام فيهما كالكلام فيما سواهما ويلزم التسلسل — هذا لفظه ، ويمكن أن يقال : المراد بكونه حسياً أن تكون أفراده مُدْرَكةً بالحس[2] كالسواد ، فإن أفراده مدركة بالبصر وإن كان هو نفسه غير مدرك به ولا بغيره من الحواس .

الواحد الحسى : الواحد الحسى كالحمرة والخفاء وطيب الرائحة ولذة الطعم ولين اللمس في تشبيه الخد بالورد والصوت الضعيف بالهمس والنكهة بالعنبر والريق بالخمر والجلد الناعم بالحرير ، كما سبق[3] .

الواحد العقلي : والواحد العقلى كالعراء عن الفائدة في تشبيه وجود الشيء العديم النفع بعدمه ، وجهة الإدراك في تشبيه العلم بالحياة — فيما طرفاه معقولان — والجراءة في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، ومطلق الاهتداء في تشبيه أصحاب النبي ﷺ ورضى عنهم بالنجوم[4] فيما طرفاه محسوسان — والهداية في تشبيه العلم بالنور[5] وتحصيل

---

(١) أى من غير أن يكون هناك وجه مشترك بينهما .

(٢) اعترض على هذا بأنه في الحقيقة اعتراف بأن وجه الشبه عقلي كما قال السكاكي، وإني أرى أن هذا البحث كله مماحكة لفظية لا يحتمل مثلها هذا العلم .

(٣) فيما طرفاه محسوسان ، ومن ذلك قول الشاعر :

فوجهكِ كالنار في ضوئها ... وقلبي كالنار في حرها

(٤) في قوله ﷺ « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »

(٥) كما قال الشاعر :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي

ما بين الزيادة والنقصان فى تشبيه العدل بالقسطاس — فيا المشبه فيه معقول والمشبه به محسوس — واستطابة النفس فى تشبيه العطر بخلق كريم(1) وعدم الخفاء فى تشبيه النجوم بالسنن(2) فيا المشبه فيه محسوس والمشبه به معقول — قال الشيخ صاحب المفتاح(3) : وفى أكثر هذه الأمثلة فى معنى وحدتها تسامح(4) .

المركب الحسى : والمركب الحسى طرفاه إما مفردان ، كالهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكرى والمقدار المخصوص فى قول ذى الرُّمة :

وسقْطٍ كعين الديك عاورت صاحبى أباها وهيَّأنا لموقعها وكْرا(5)

وكالهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير فى المرأى على كيفية مخصوصة إلى مقدار مخصوص فى قول أحيحة بن الجلاح أو أبى قيس ابن الأسلت :

وقد لاح فى الصبح الثُّريَّا كما ترى كعنقود ملاحيَّةٍ حين نوَّرا(6)

---

(1) أى فى قول الشاعر فيا سبق :

أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

(2) أى فى قول الشاعر فيا سبق :

وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتـــداع

(3) ١٨٠ — المفتاح .

(4) لأن فيه نوع تركيب إضافى ، وهذا كخفاء الصوت ولذة الطعم واستطابة النفس ، وأجيب عن ذلك بأن الكلام فى مطلق المفرد لا فى المفرد المحض .

(5) السقط النار الساقطة من الزند ، وهى تنزل منه ووسطها أسود وحافتها حمراء كعين الديك ، وقوله — عاورت — بمعنى ناوبت ، وكان من عادتهم عند استخراج النار أن يأتوا بعودين فيضموا أحدهما أسفل ويسمونه أنثى ، ثم يفرضوا فيه فرضاً ويجروا فيه عوداً آخر يسمونه أبا ، فإذا طال الزمن ولم تخرج النار تناوبوه ، والوكر ما تودع فيه النار بعد خروجها ، وذو الرمة هو غيلان بن عقبة بن مسعود .

(6) الملاحية عنب أبيض فى حبه طول . وقوله — نور — بمعنى أدرك نضجه ، وكاف التشبيه هى التى فى قوله — كعنقود — أما الكاف قبلها فبمعنى على ، وتقييد =

وإما مركبان ، كالهيئة الحاصلة من هوىٍّ أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم فى قول بشار :

كأنَّ مثار النقـع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه(١)

وكالهيئة الحاصلة من تفرق أجرام متلألئة مستديرة صغار المقادير فى المرأى على سطح جسم أزرق صافى الزرقة فى قول أبى طالب الرَّقِّـىِّ :

وكأنَّ أجرام النجوم لوامعاً دررٌ نثرْن على بساط أزرق(٢)

وإما مختلفان، كما فى تشبيه الشاة الْجبلىِّ(٣) بحمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر نابت على رأسه شجرتا غضا ، وكما مر فى تشبيه الشقيق والنَّيْلوفر(٤).

ومن بديع هذا النوع — أعنى المركب الحسى — ما يجىء فى الهيئات التى تقع عليها الحركة ، ويكون على وجهين : أحدهما أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون ، كما فى قوله :

= كل من المشبه والمشبه به بما قيد به لا ينافى كونه مفرداً ، لأن المراد بالمفرد ماليس هيئة منتزعة من متعدد ، وأبو قيس هو صيفى ابن عامر ، والأسلت لقب أبيه ، وقيل: إن البيت لقيس بن الخطيم .

(١) هو لبشار بن برد ، ومثار اسم مفعول من أثاره بمعنى هيجه ، والنقع الغبار ، وقوله — تهاوى — بمعنى تتساقط أصله تتهاوى ، والواو فى قوله — وأسيافنا — إما واو المعية أو عاطفة متضمنة معنى مع ، لأن الواو التى لخالص العطف لا تكون فى المركب ، وإنما تكون فى المتعدد .

(٢) يريد لوامعاً فى السماء حتى يكون هناك زرقة فى المشبه أيضاً ، وقد حذف للعلم به ، وقد سبق التعريف بأبى طالب الرقى .

(٣) هو الثور الوحشى .

(٤) أنظر ص ١٦

والشمس كالمرآة فى كف الأشل[1]

من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة ، وما يحصل من الإشراق بسبب تلك الحركة من التموج والاضطراب، حتى يرى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ، ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذى بدا له إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط ، فإن الشمس إذا أحدّ الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها ، وجدها مؤدية لهذه الهيئة ، وكذا المرآة إذا كانت فى يد الأشل .

ومثله قول المُهلّبىّ الوزير :

والشمس من مشرقها قد بدتْ ... مشرقةً ليس لها حاجب[2]

كأنها بوتقةٌ أُحْميتْ ... يجول فيها ذهبٌ ذائبْ[3]

فإن البوتقة إذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكل بشكلها فى الاستدارة ، وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة ، كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها لما فى طبعة من النعومة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التى تكون فى الماء ونحوه مما يتخلله الهواء . وكما فى قول الصَّنوبَرىّ :

---

(1) قيل : إنه من قول عبد الله بن المعتز أو أبى النجم ،

والشمس كالمرآة فى كف الأشل ... لمّا رأيتها بدت فوق الجبلْ

وقد ورد فى الخزانة ـ شاهد ٢٩١ ـ منسوبا إلى جبار بن جزء ، والمراد بالأشل المرتعش اليد ، لأن المرآة إنما تؤدى هذه الحركة فى كفه ، والشلل فى الأصل يبس اليد أو ذهابها وقد يطلق على ارتعاشها ، وهو يشبه الشمس بذلك عند طلوعها .

(2) المراد بالحاجب السحاب لأنه يمنع الشمس من الإشراق .

(3) البوتقة ما يذيب فيه الصائغ الذهب والفضة ، والمهلبى الوزير هو الحسن بن محمد ، ينتهى نسبه إلى المهلب بن أبى صفرة .

كأنّ في غـدْرانها حواجباً ظلّت تمطّ(١)

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار ، ثم تمتد امتداداً ينقص من انحنائها فينقلها من التقوس إلى الاستواء ، وذلك أشبه شيء بالحواجب إذا امتدت ، لأن للحاجب كما لا يخفى تقويساً ومده ينقص من تقويسه .

والوجه الثاني أن تجرد هيئة الحركة عن كل وصف غيرها للجسم ، فهناك أيضاً لا بد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له ، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفل ، فحركة الرحا والدولاب والسهم لا تركيب فيها لاتحاد الحركة ، وحركة المصحف في قول ابن المعتز :

وكأن البرق مصحفُ قارٍ فانطباقاً مرّةً وانفتاحاً(٢)

فيها تركيب لأنه يتحرك في الحالتين إلى جهتين(٣) في كل حالة إلى جهة .

وكلما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك أبعاض الجسم إليها أشد كان التركيب في هيئة المتحرك أكثر ، ومن لطيف ذلك قول الأعشى(٤) يصف السفينة في البحر وتقاذف الأمواج بها :

تقص السّفين بجـانبيه كما ينزو الرباح خلاله كرع(٥)

(١) الغدران الأنهار ، وقوله — تمط — بمعنى تمد ، يصف أرضا بأن أنهارها تهب عليها الرياح فيظهر على صفحاتها أشكال كأنها حواجب لهـا تقوس وامتداد ، والصنوبري هو أبو بكر أحمد بن محمد السابق .

(٢) هو لعبد الله بن المعتز ، وقار مخفف قارىء قلبت همزته ياء ثم أعل إعلال قاض ، والفاء في قوله — فانطباقا — للتفريع ، وتحرك المصحف في حالة الانطباق إلى جهة العلو وفي حالة الانفتاح إلى جهة السفل ، ووجه الشبه تقارن هذه الحركات مع تكررها .

(٣) جهة العلو في حالة الانطباق وجهة السفل في حالة الانفتاح .

(٤) هو الأعشى الكبير ميمون بن قيس .

(٥) قوله — تقص — بمعنى تثب ، والسفين اسم جنس واحده سفينة ، وكرع فاعل خلا ، وقيل إنه بكسر الخاء والأصل خلال الكرع ، فيكون في البيت قلب .

قال الشيخ عبد القاهر(١) : الرياح الفصيل ، والكرع ماء السماء ، شبّه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل في نزوّه ، فإنه يكون له حينئذ حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة ، ويكون هناك تسفّلٌ وتصعّدٌ على غير ترتيب وبحيث يدخل أحدها في الآخر ، فلا يتبينه الطّرْف مرتفعاً حتى يراه متسفلا ، وذلك أشبه شيء بحال السفينة وهيئة حركتها حين تتدافعها الأمواج . ومنه قول الآخر :

حفّتْ بسرْوٍ كالقْيان تلحّفتْ ... خُضْرَ الحرير على قوام معتدلْ

فكأنّها والريح جاء يميلهـا ... تبغى التّعانق ثم يمنعها الخجل(٢)

فإن فيه تفصيلا دقيقا ، وذلك أنه راعى الحركتين : حركة التهيؤ للدنو والعناق ، وحركة الرجوع إلى أصل الافتراق، وأدى ما يكون في الثانية من سرعة زائدة تأدية لطيفة ، لأن حركة الشجرة المعتدلة في حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع لا محاله من حركتها في حال خروجها عن مكانها من الاعتدال ، وكذلك حركة من يدركه الخجل فيرتدع أسرع من حركة من يهم بالدنو ، لأن إزعاج الخوف أقوى أبداً من إزعاج الرجاء .

ومما مذهبه السهل الممتنع من هذا الضرب قول امرىء القيس :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً ... كجلمود صخر حطّه السّيْل من عل(٣)

يقول : إن هذا الفرس لفرط ما فيه من لين الرأس وسرعة الانحراف ترى كفله في الحال التي ترى فيها لببه ، فهو كجلمود صخر دفعه السيل من مكان عال ، فإن الحجر

---

(١) ٢١ — أسرار البلاغة — مطبعة الاستقامة .

(٢) هما للأُخيطل الاهوازي الملقب ببرقوقا ، وقيل إنهما لأحمد بن سليمان بن وهب. وقيل : إنهما لابن المعتز ، والضمير في حفت لروضة يصفها ، والقيان جمع قينة وهى الجارية وهن يشبهن في اعتدال القد بالسرو ، وقد يشبه السرو بهن في ذلك فيكون من التشبيه المقلوب ، وقوله — تلحفت — بمعنى اتخذت لحافا ، والخجل الحياء .

(٣) المكر سريع الكرّ يقال — كر الفارس على العدو — بمعنى حمل وانقض ، والمفر السريع الفرّ ، وعلي : بمعنى فوق .

بطبعه يطلب جهة السفل لأنها مركزه ، فكيف إذا أعانته قوة دفع السيل من عل، فهو لسرعة تقلبه يرى أحد وجهيه حين يرى الآخر .

وكما يقع التركيب فى هيئة الحركة قد يقع فى هيئة السكون ، فمن لطيف ذلك قول أبى الطيب فى صفة الكلب :

يقعى جلوس البدوى المصطلى(١)

إنما لطف من حيث كان لكل عضو من الكلب فى إقعائه موقع خاص ، وللمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع .

ومنه البيت الثانى من قول الآخر فى صفة مصلوب :

كأنه عاشقٌ قد مدّ صفْحته   يومْ الوداع إلى توديع مرتحل
أو قائمٌ من نعاس فيه لوثتهُ   مواصلٌ لتمطّيه من الكسل(٢)

والتفصيل فيه أنه شبهه بالمتمطى إذا واصل تمطيه مع التمرض لسببه وهو اللوثة والكسل فيه ، فنظر إلى هذه الجهات الثلاث(٣) ولو اقتصر على أنه كالمتمطى كان قريب التناول ، لأن هذا القدر يقع فى نفس الرائى للمصلوب ابتداء لأنه من باب الجملة .

وشبيه بهذا القول قول الآخر :

---

(١) هو من قوله :

يقْعى جلوس البدوىّ الشمصْطلى   بأربع مجدولة لم تجْدلِ

وقوله — يقعى — بمعنى يجلس على أليته ، والمصطلى المستدفىء ، والمجدولة المحكمة الخلق ، وقوله — لم تجدل — بمعنى لم تجمع كما يكون فى غير صورة الإقعاء ، يقال — جدل الشعر — بمعنى ضفره ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من وقوع كل عضو منهما فى موقع خاص .

(٢) هما للأخيطل الأهوازى الملقب ببرقوقا ، والصفحة باطن الكف ، واللوثة الاسترخاء ، وهذا مثال لهيئة السكون المضاف إليها غيرها من أوصاف الجسم .

(٣) هى التمطى ، ومواصلته ، والتعرض لسببه .

لم أر صفاً مثل صف الزُّطِّ ... تسعين منهم صُلبوا فى خطِّ

من كل عالٍ جذْعهُ بالشطِّ ... كأنه فى جذعه المُشتطِّ

أخو نعاسٍ جدَّ فى التمطى ... قد خامر النومُ ولم يغطِّ[1]

والفرق بين هذا والأول[2] أن الأول صريح فى الاستمرار على الهيئة والاستدامة لها دون بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها، والثانى بالعكس .

قال الشيخ عبد القاهر[3] : وشبيه بالأول فى الاستقصاء قول ابن الرومى فى المصلوب أيضا :

كأن له فى الجو حبلا يبوعه ... إذا ماانقضى حبلٌ أتيح له حبلُ[4]

فقوله — إذا ماانقضى حبل أتيح له حبل — كقوله — مواصل لتمطيه من الكسل — فى التنبيه على استدامة الشبه ، لأنه إذا كان لايزال يبوع حبلا لم يقبض باعه ولم يرسل يده ، وفى ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال .

<u>المركب العقلى</u> : والمركب العقلى كالمنظر المُطْمِع مع المَخبر المؤيس الذى هو على عكس ما قدِّر فى قوله[5] تعالى ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبهُ

---

(١) الأبيات لدعبل بن على الخزاعى ، والزط طائفة من الهند صلب منهم هذا العدد فى خط مؤلف من أشجار عالية الجذوع ، وكانوا قد خرجوا على المعتصم فشردهم ، ويعرفون بالنَّور أو بالغجر ، فقوله — من كل عال — صفة لخط ، — وقوله — جذعه — فاعل عال ، وقوله — بالشط — صفة له ، والضمير فى قوله — كأنه — للواحد من المصلوبين ، والمشتط الخارج فى طوله عن الحد ، وقوله — خامر — بمعنى خالط أى خالطه النوم ، وقوله — لم يغط — بمعنى لم ينخر ويتردد نفسه صاعدا إلى حلقه حتى يسمعه من حوله .

(٢) يعنى بهذا قول دعبل وبالأول قول الأخيطل (٣) ٢١٦ — أسرار البلاغة .

(٤) هو لعلى ابن العباس المعروف بابن الرومى وقوله «تبوعه» يقيسه بالباع ، وقوله «أتيح» بمعنى هيىء . (٥) آية ٣٩ سورة ٢٤

الظمآنُ ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه ﴾ شبّه ما يعمله من لا يقرن الإيمان المُعتبرَ بالأعمال التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدّر بسراب يراه الكافر بالساهرة (١) وقد غلبه عطاش يوم القيامة فيحسبه ماء ، فيأتيه فلا يجد ما رجاه، ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيعتلونه(٢) إلى جهنم فيسقونه الحميم والغسّاقَ ، فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعى من الكافر فعل مخصوص وهو حسبان الأعمال نافعة له ، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة وهى صورة الأعمال الصالحة التى وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الإيمان به وبرسله عليهم السلام ، وأنها لا تفيدهم فى العاقبة شيئاً ، وأنهم يلقون فيها عكس ما أملوه وهو العذاب الأليم ، وكذا فى جانب المشبه به(٣) .

وكحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه ، كما فى قوله(٤) تعالى ﴿ مثلُ الذينَ حُملوا التَّوْراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ فإنه أيضاً منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض، وذلك أنه روعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهى الأسفار التى هى أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا فى جانب المشبه .

دقيقة فى الوجه المركب : واعلم أنه قد تقع بعد أداة التشبيه أمور يُظن أن المقصود أمر مُنتزعٌ من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعاً من جميعها ، كقوله :

---

(١) الساهرة : الأرض البيضاء المستوية ، سميت بذلك لأن السراب يجرى فيها ، من قولهم — عين ساهرة — جارية الماء .

(٢) يقودونه بعنف وغلظة ، وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل .

(٣) فالجامع كون الشىء على صفة توهم نفعه وهو فى الباطن غير نافع بل ضار .

(٤) — آية — ٥ — سورة — ٦٢

كما أبرقتْ قوماً عطاشاً غمامةٌ فلمـا رأوْها أقشعتْ وتجلت[1]

فإنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به إلى الثانى ، على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه[2] ولـكن بالتأمل يظهر أن مغزى الشاعر فى التشبيه أن يثبت ابتداء مُطمعاً متصلا بانتهاء مؤْيس ، وذلك يتوقف على البيت كله . فإن قيل : هذا يقضى أن يكون بعض التشبيهات المجتمعة كقولنا ـ زيد يصفو ويكدر ـ تشبيهاً واحداً[3] لأن الاقتصار على أحد الخبرين يبطل الغرض من الـكلام ، لأن الغرض منه وصف المُخبر عنه بأنه يجمع بين الصفتين ، وأن إحداهما لا تدوم ، قلنا : الفرق بينهما أن الغرض فى البيت أن يُثبت ابتداءٌ مطمع متصل بانتهاء مؤْيس كما مر ، وكون الشىء ابتداء لآخر زائد على الجمع بينهما ، وليس فى قولنا ـ يصفو ويكدر ـ أكثر من الجمع بين الصفتين ، ونظير البيت قولنا ـ يصفو ثم يكدر لإفادة ، ثم الترتيب المقتضى ربط أحد الوصفين بالآخر ، وقد ظهر مما ذكرنا أن

---

(١) قبله :

لقد أطمعتنى بالوصـال تبسما وبعد رجائى أعرضت وتولت

وقوله ـ أبرقت ـ بمعنى تحسنت وتعرضت لهم ، فما بعده منصوب بنزع الخافض ، والغمامة السحابة ، وقوله ـ أقشعت وتجلت ـ بمعنى تفرقت وانـكشفت ، وقد نسب بعضهم البيت إلى كثير ، ولـكنه لا يوجد فى تائيته .

(٢) فيكون وجه الشبه غير مركب مع أنه مركب . وبهذا يعلم أن الغرض من التعقيب بقوله ـ واعلم أنه قد تقع الخ ـ التنبيه على هذا الاشتباه بين الوجه المركب وغير المركب .

(٣) أى مركبا وبهذا لا يكون هناك فرق بين التشبيهات المجتمعة أى المتعددة والتشبيه المركب مع ظهور الفرق بينهما ، لأن التشبيه المركب وجهه واحد وإن كان منتزعا من متعدد ، والمراد فى المثال تشبيهه فى حال رضاه بالماء الصافى ، وفى حال غضبه بالماء الـكدر ، وهذا استعارة لا تشبيه ، فهو يقصد من التشبيه فى هذا ما هو أعم من الاصطلاحى ، لأن الاستعارة كالتشبيه تـكون مفردة ومركبة ومتعددة أيضا .

التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب في مثل ما ذكرنا بأمرين أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب ، والثاني أنه إذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيده قبل الحذف ، فإذا قلنا ـ زيد كالأسد بأسا والبحر جودا والسيف مضاء ـ لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات نسق مخصوص ، بل لو قدم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ، ولو أسقط واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره في إفادة معناه(١) .

المتعدد الحسي : والمتعدد الحسي كاللون والطعم والرائحة في تشبيه فاكهة بأخرى .

المتعدد العقلي : والمتعدد العقلي كحدة النظر وكمال الحذر وإخفاء الفساد في تشبيه طائر بالغراب .

المتعدد المختلف : والمتعدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن في تشبيه إنسان بالشمس .

واعلم أن الطريق في اكتساب وجه الشبه أن يُميَّز عما عداه ، فإذا أردت أن تشبه جسما بجسم في هيئة حركة وجب أن تطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة مجردتين عن الجسم وسائر أوصافه من اللون وغيره ، كما فعل ابن المعتز في تشبيه البرق(٢) فإنه لم ينظر إلى شيء من أوصافه سوى الهيئة التي تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض .

أداة التشبيه : وأما أداته فالكاف في نحو قولك ـ زيد كالأسد ـ وكأن(٣)

---

(١) من وجوه الفرق أيضا بين التشبيه المتعدد والمركب أن المتعدد يعطف فيه كل تشبيه على الآخر عطف المستقل على المستقل ، أما المركب فإنه في الغالب يذكر فيه أحد أجزائه على وجه التبع للآخر ، كأن يكون في صفته أو صلته أو حالا منه أو معطوفا عليه بالفاء أو ثم ، فإذا توسطته الواو كانت للمعية أو عاطفة متضمنة لها أو للحال .

(٢) أنظر ص ٢٥ .

(٣) قد تستعمل ـ كأن ـ لإفادة الظن إذا كان خبرها مشتقاً فلا تفيد التشبيه ، =

في نحو قولك ـ زيد كأنه أسد ـ ومثلٌ في نحو قولك ـ زيد مثل الأسد ـ وما في معنى مثل كلفظة نحو وما يشتق من لفظه مثل وشبهٍ ونحوهما(١) .

والأصل في الكاف ونحوها(٢) أن يليها المشبه به(٣) وقد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به(٤) .

= كقولك ــ كأن زيداً أخوك ، وكأنه قائم ــ وقد تفيد التشبيه الضِّمْني ، كما في قول الشاعر :

كأنَّ دنانيراً على قسماتهمْ ... وإن كان قد شفَّ الوجوه لقاء

فإنه لا تكون الدنانير على قسماتهم إلا إذا كانت تشبهها .

(١) كالمشتق من المضاهاة والمقاربة والموازنة والمعادلة والمحاكاة ، ومن ذلك قول الشاعر :

وصبغ شقائق النعمان يحكى ... يواقيتاً نظمن على اقتران

وقول الآخر :

تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى ... فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب

(٢) نحو الكاف كل ما يدخل على المفرد كلفظ مشابه ومماثل ، أما غير الكاف ونحوها وهو ما يدخل على الجملة أو يكون جملة بنفسه فالأصل فيه أن يدخل على المشبه ، كلفظ كأن مما يدخل على الجملة ، وكلفظ يشابه مما يكون جملة بنفسه ، والمشبه في نحو ـ زيد يشابه عمراً ـ هو الضمير العائد على زيد لا زيد .

(٣) إما لفظا نحو ـ زيد كأسد ـ أو تقديرا نحو قوله تعالى (أو كصيِّبٍ من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصَّواعق حذر الموت والله محيطٌ بالكافرين) ى ـ ١٩ ـ س ـ ٢ ـ تقديره أو كمثل ذوي صيب ، بدليل قوله بعده (يجعلون) .

(٤) لكن لا بد أن يكون له اتصال بالمشبه به كالماء فى الآية ، فإنه بعض ما تنتزع منه هيئة المشبه به

وذلك إذا كان المشبه به مركباً ، كقوله(١) تعالى ﴿ واضْرِب لهم مثلَ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناهُ منَ السَّماءِ فاختلطَ به نباتُ الأرضِ فأصْبحَ هشيماً تذْروه الرِّياح ﴾ إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحَّل لتقديره(٢) بل المراد تشبيه حالها فى نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن وأما قوله(٣) عز وجل ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا كونوا أنصارَ اللهِ كما قال عيسى ابن مريم للحواريِّين من أنصارى إلى الله ﴾ فليس منه ، لأن المعنى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم ﴿ من أنصارى إلى الله ﴾(٤)

وقد يذكر فعل(٥) ينبىء عن التشبيه ، كعلمت فى قولك — علمت زيداً أسدا — ونحوه(٦) هذا إذا قرب التشبيه ، فإن بعد أدنى تبعيد قيل — خلته وحسبته ونحوهما (٧)

---

(١) آية — ٤٥ — س — ١٨

(٢) بأن يقدر كنبات ماء ، لأن المعتبر هو الهيئة الحاصلة من مضمون الكلام المذكور بعد الكاف ، فيكون تقدير ذلك تمحلا.

(٣) ى — ١٤ — س — ٦١

(٤) فهو مما يلي المشبه به الأداة تقديرا

(٥) يعنى فعلا غير الأفعال السابقة الموضوعة من أصلها للدلالة على التشبيه ، فأداة التشبيه هنا مقدرة والفعل إنما يدل على قرب التشبيه أو بعده ، ومن ذلك قول أبى نواس فى تشبيه الحبيب :

فإذا ما اعترضته العيـ ـن من حيث استدارا
خلته فى جنبات الـ ـكأس واوات صغارا

أى كواوات صغيرة

(٦) من كل ما يفيد اليقين

(٧) من كل ما يفيد الظن

الغرض من التشبيه : وأما الغرض من التشبيه فيعود فى الأغلب إلى المشبه ، وقد يعود إلى المشبه به .

ما يعود الى المشبه من أغراض التشبيه : أما الأول فيرجع إلى وجوه مختلفة : منها بيان أن وجود المشبه ممكن ، وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدّعى امتناعه ، كما فى قول أبى الطيب :

فإنْ تفقِ الأنام وأنت منهم ۞ فانّ المسك بعض دم الغزال(١)

أراد أنه فاق الأنام فى الأوصاف الفاضلة إلى حد بطل معه أن يكون واحدا منهم ، بل صار نوعا آخر برأسه أشرف من الإنسان ، وهذا - أعنى أن يتناهى بعض أفراد النوع فى الفضائل إلى أن يصير كأنه ليس منها - أمر غريب يفتقر من يدعيه إلى إثبات جواز وجوده على الجملة ، حتى يجىء إثبات وجوده فى الممدوح ، فقال - فان المسك بعض دم الغزال - أى ولا يعدّ فى الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التى لا يوجد منها شىء فى الدم ، وخلوّه من الأوصاف التى لها كان الدم دماً ، فأبان أنّ لما ادعاه أصلا فى الوجود على الجملة

ومنها بيان حاله ، كما فى تشبيه ثوب بثوب آخر فى السواد إذا علم لون المشبه به دون المشبه(٢)

ومنها بيان مقدار حاله فى القوة والضعف والزيادة والنقصان ، كما فى قوله :

---

(١) الفاء فى قوله - فإن المسك - للتعليل ، والجواب محذوف تقديره فلا غرابة فى ذلك ، والتشبيه فى البيت يسمى معنويا وضمنيا ومكنيا عنه ، لأنه ذكر فى الكلام لازم التشبيه وهو وجه الشبه - فوقان الأصل - وأريد الملزوم وهو التشبيه ، ومن ذلك قول ابن الرومى :

قالوا أبو الصقر من شيبانَ قلت لهم ۞ كلا لعمرى ولكن منه شيبانُ
كم من أبٍ قد علا بابن ذرَى شرف ۞ كما علا برسول الله عدنانُ

(٢) مما جاء لبيان حال المشبه قول الشاعر :

كأن سهيلا والنجوم وراءه ۞ صفوف صلاة قام فيها إمامها

مداد مثل خافية الغراب(١)

وعليه قول الآخر :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانته فروج الأصابع(٢)

أى بلغت فى بوار سعي فى الوصول إليها وأن أمتع بها أقصى الغايات، حتى لم أحظ منها بما قل ولا بما كثر .

ومنها تقرير حاله فى نفس السامع ، كما فى تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء(٣) . وعليه قوله(٤) عز وجل ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾ فإنه بيّن ما لم تجر به العادة بما جرت به العادة(٥)

---

(١) هو من قول الحسن بن وهب :

مداد مثل خافية الغراب وأقلام كرهفة الحداد

والخافية إحدى ريشات عشر فى مقدم الجناح يقال لها خواف ، والرهفة المدقة ، والحداد جمع حديد وهو القاطع يعنى السيوف القواطع ، وروى الحراب بدل الحداد جمع حربة وهى آلة قصيرة محددة ، وربما استعملت للرمح ، وروى لأبى تمام :

مداد مثل خافية الغراب وقرطاس كرقراق السحاب

(٢) قيل : إنه للمجنون ، والفروج جمع فرج وهو الخلل بين الشيئين ؛ وقيل : إن التشبيه فى البيت يقصد منه تقرير حال المشبه ؛ وروى الشطر الأخير — على الماء لا يدرى بما هو قابض .

(٣) من قول الشاعر :

إذا أنا عاتبت الملول كأنما أخط بأقلامى على الماء أرقما

(٤) ى — ١٧١ — س ٧

(٥) قيل : إن هذا يفيد أنه لبيان حال المشبه أو لبيان إمكانه لا لتقرير حاله فى نفس السامع كما ذكر

وهذه الوجوه تقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم وهو به أشهر(١) ولهذا ضعِّف قول البحتري :

على باب قنَّسْرين والليلُ لاطخٌ جوانبه من ظلمة بمِداد(٢)

فإنه رُبَّ مداد فاقد اللون والليلُ بالسواد وشدته أحقُّ وأحرى، ولهذا قال ابن الرومي :

حبر أبي حفص لعاب الليل يسيل للاخوان أيَّ سيل(٣)

---

(١) يريد بكونه أتم أن يكون أقوى وأكمل وبكونه أشهر أن يكون أعرف ، واقتضاء تلك الوجوه للأعرفية ظاهر لأن المشبه به كالمبين المعرف للمشبه ، فيجب أن يكون أعرف بوجه الشبه ، لأن التعريف إنما يكون بالأوضح ، أما اقتضاؤها للأتمية فإنما يظهر في غرض التقرير دون غيره ولا سيما بيان المقدار ، لأنه يقتضي أن يكون المشبه به على حد مقدار المشبه لا أزيد ولا أنقص ، ومن التشبيه ما يكون المشبه فيه أتم من المشبه به ، كقوله تعالى : (الله نورُ السموات والأرض مَثَل نُوره كمشكاة فيها مصباحُ) ى - ٣٥ - س - ٢٤ - لأن الغرض منه بيان الحال لا تقريره ، ومن ذلك قول أبي تمام في أحمد بن المعتصم :

إقدامُ عمرو في سماحة حاتمٍ في حلم أحنف في ذكاء إياس

وقد أخذ عليه أن الأمير أكبر من أن يشبه في ذلك بالثلاثة فقال :

لا تنكروا ضربي له من دونهُ مثلاً شرُوداً في النَّدى والباس

فاللهُ قد ضرب الأقلَّ لنوره مثلا من المشكاة والنِّبْراس

والحق أن اقتضاء التشبيه للأعرفية لا يختص بهذه الوجوه الأربعة كما هو ظاهر من تعليله .

(٢) الجار والمجرور في أول البيت متعلق بقوله قبله :

وما بلغ النوم المسامح لذة سوى أرق في جنبها وسهادي

وقنسرين كورة مشهورة بالشام قرب حلب، والشاهد في قوله - من ظلمة بمداد - إذ بين فيه المشبه به شبه والتقدير بمداد من ظلمة .

(٣) هو لعلي بن العباس المعروف بابن الرومي من قوله في مدح عمر بن حفص الوراق وكان الأدباء يستهدون منه حبرا .

فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ، فكأنه(١) نظر إلى قول العامة فى الشىء الأسود هو كالنقس(٢) ثم تركه للقافية إلى المداد .

ومنها تزيينه للترغيب فيه ، كما فى تشبيه وجه أسود بمقلة الظبى .

ومنها تشويهه للتنفير عنه ، كما فى تشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة ، وقد أشار إلى هذين الغرضين ابن الرومى فى قوله :

تقول هذا مجاجُ النحل تمدحهُ ... وإن تعبْ قلت ذا قىْءُ الزّنابير(٣)

ومنها استطرافه(٤) كما فى تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب لإبرازه فى صورة الممتنع عادة ، وللاستطراف وجه آخر وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور إمّا مطلقاً كما مر(٥) وإما عند حضور المشبه ، كما فى قوله :

ولازورْدية تزهُو بزُرقتها ... بين الرِّياض على حُمر اليواقيت
كأنها فوقْ قاماتٍ ضعُفنَ بها ... أوائلُ النار فى أطراف كبريت(٦)

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها فى الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج فإذا أحضر مع صحة الشبه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراهما ومما يؤيد هذا ما يحكى أن جريراً قال : أنشدنى عدى :

عرف الديار توهما فاعتدادها

حبر أبى حفص لعاب الليل ... كأنه ألوانُ دُهم الخيل
يسيل للاخوان أى سيل ... بغير وزْن وبغير كيل

والمراد بلعاب الليل ظلمته ، ودهم الخيل سوادها .

(١) الضمير للبحترى (٢) أى الحبر .

(٣) المجاج الريق ترمى به من فمك ، ومجاج النحل العسل ، والزنابير جمع زنبور وهو ذباب أليم اللسع من النحل وغيره .

(٤) أى جعله طريفا بعيداً جداً ويجوز أن يكون بالظاء أى جعله ظريفا جميلا .

(٥) فى تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب فهو مستطرف من ناحية امتناعه فى الخارج ومن ناحية ندرة حضوره فى الذهن .

(٦) هما لعبد الله بن المعتز وقيل لغيره واللازوردية البنفسج وهى نسبة تشبيهية إلى حجر يسمى اللازورد ، والمراد تشبيه أزهارها ، وقوله — تزهو — بمعنى تتكبر ، وقوله =

فلما بلغ إلى قوله :

تزجى أغنّ كأن إبرة روقه ،

رحمته وقلت : قد وقع ، ما عساه يقول وهو أعرابى جلف جاف ؟ فلما قال :

قلم أصاب من الدّواة مدادها(١)

استحالت الرحمة حسداً . فهل كانت رحمته فى الأولى والحسد فى الثانية إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له فى أول الفكر شبه ، وحين أتمه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف .

وذكر الشيخ عبد القاهر رحمه الله للاستطراف فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر(٢) وهو أنه أراك شبهاً لنبات غض يرف وأوراق رطبة من لهب نار فى جسم مستول عليه اليبس ؟ ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يشهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت صبابة النفوس به أكثر ، وكان الشغف به أجدر .

ما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه : وأما الثانى فيكون فى الغالب إيهام أن المشبه به أتم من المشبه فى وجه الشبه ، وذلك فى التشبيه المقلوب ، وهو أن يكون الأمر بالعكس(٣) كقول محمد بن وهيب .

= حمر اليواقيت — من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وإنما جعل التشبية بأوائل النار فى أطراف كبريت لأنها فى أعلاها تكون حمراء صافية لا زرقاء .

(١) هذا البيت من قصيدة لعدى بن الرّقاع مطلعها :

عرف الديار توهماً فاعتادها ... من بعد ما شمل البلى أبلادها

والأبلاد قطع الأرض عامرة أو غامرة وقيل هى الآثار ، وقوله ـ تزجى ـ بمعنى تسوق والضمير للظبية ، والأغن الذى فى صوته غنة وهو ولدها ، ويقال طير أغن أى يتكلم من قبل خياشيمه ، والروق القرن وإبرته طرفه ، ورواية الكامل أن عديا كان ينشد القصيدة أمام الوليد بن عبد الملك وجرير حاضر . (٢) ١٤٧ ـ أسرار البلاغة .

(٣) بأن يجعل فيه المشبه مشبهاً به قصداً إلى ادعاء أنه أكمل منه فى وجه الشبه ، وبهذا لا يدخل فيه تشبيه المحسوس بالمعقول كما قيل فيما سبق ، لأن كلا من المشبه والمشبه به فيه كذلك فى الحقيقة ولا قلب فيهما .

وبدا الصباحُ كأنَّ غرَّته وجه الخليفة حين يُمتدحُ(١)

فإنه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء، واعلم أن هذا وإن كان فى الظاهر يشبه قولهم - لا أدرى أوجهه أنور أم الصبح، وغرته أضوأ أم البدر؟ وقولهم إذا أفرطوا - نور الصباح يخفى فى ضوء وجهه، أو نور الشمس مسروق من نور جبينه - ونحو ذلك من وجوه المبالغة، فإن فى الأول خلابة وشيئاً من السحر ليس فى الثانى، وهو أنه كأنه يستكثر للصباح أن يشبهه بوجه الخليفة ويوهم أنه احتشد له واجتهد فى تشبيه يفخم به أمره، فيوقع المبالغة فى نفسك من حيث لا تشعر، ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها، لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل مُتَّفق عليه، لا يشفق من خلاف مخالف وتهكم متهكم، والمعانى إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب، فكانت كالنعمة التى لا يكدرها المنّة، وكالغنيمة من حيث لا تحتسب، وفى قوله - حين يمتدح فائدة شريفة، وهى الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد إلا فيمن هو كامل فى الكرم، من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه وماقصده من تفخيم شأنه فى عيون الناس، بالإصغاء إليه والارتياح له والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده

ومنه قوله(٢) تعالى حكاية عن مستحل الربا ﴿ إنَّما البيْعُ مثْل الرِّبا ﴾ فإن مقتضى الظاهر أن يقال: إنما الربا مثل البيع - إذ الكلام فى الربا لا فى البيع، فخالفوا لجعلهم الربا فى الحل أقوى حالا من البيع وأعرف به.

ومنه قوله(٣) عز وجل (أفمن يخلقُ كمنْ لا يخلقُ) فإن مقتضى الظاهر العكس، لأن الخطاب للذين عبدوا الأوثان وسمَّوْها آلهة تشبيها بالله سبحانه وتعالى فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق، فخولف فى خطابهم لأنهم بالغوا فى عبادتها وغلوْا

---

(١) الغرة فى الأصل البياض فى جبهة الفرس، وقد استعيرت لبياض الصبح والمراد تشبيه وجه الخليفة بها، ولهذا كان التشبيه مقلوبا.

(٢) ى - ١٧٥ - س - ٣

(٣) ى - ١٧ - س - ١٦.

حتى صارت عندهم أصلاً فى العبادة(١) والخالق سبحانه وتعالى فرعاً ، فجاء الإنكار على وفق ذلك ، وقال السكاكى(٢) عندى أن المراد بمن لا يخلق الحى العالم القادر من الخلق(٣) تعريضا بإنكار تشبيه الأصنام بالله عز وجل ، وقوله (أفلا تذكّرون) تنبيه توبيخ عليه ، ونحوه(٤) قوله تعالى (أرأيت من اتخذ إلهه(٥)) بدل أرأيت من اتخذ هواه إلهه .

وقد يكون الغرض العائد إلى المشبه به بيان الاهتمام به ، كتشبيه الجائع وجها كالبدر فى الإشراق والاستدارة بالرغيف إظهاراً للاهتمام بشأن الرغيف لا غير ، وهذا(٦) يسمى إظهار المطلوب، قال السكاكى(٧) ولا يحسن المصير إليه إلا فى مقام الطمع فى تسنى المطلوب ، كما يحكى عن الصاحب أن قاضى سجستان دخل عليه فوجده الصاحب متفننا ، فأخذ يمدحه حتى قال :

وعالم يُعرف بالسَّجْزى(٨)

---

(١) اعترض على هذا بأنه يخالف قولهم (ما نعبُدُهم إلا ليقرّبونا إلى الله زُلفى) فيكون الأحسن فى توجيه ذلك أنهم حين جعلوهم مثل الله فى العبادة قد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوق وشبيها به ، فأنكر ذلك بقوله (أفمن يخلق كمن لا يخلق وعلى هذا لا يكون من التشبيه المقلوب ، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن الشرك مختلف المذاهب ، فيجوز أن يكون من المشركين من يعبد الأصنام لا لتقربه إلى الله زلفى .

(٢) ١٨٤ — المفتاح .

(٣) لأن من موضوعه للعاقل ، وغير السكاكى يحملها على الأوثان تشبيها لها بالعاقل لعبادتهم لها والفرق بين القولين أن إنكار تشبيه الأصنام بالله يكون مستفادا من ذلك على سبيل التعريض عند السكاكى وعلى سبيل التصريح عند غيره .

(٤) أى نحو (أفمن يخلق كمن لا يخلق) .

(٥) — ى — ٤٣ — س — ٢٥

(٦) يعنى بيان الاهتمام بالمشبه به .

(٧) ١٨٥ — المفتاح

(٨) نسبة غير قياسية إلى سجستان ، وهو أبو الحسن عمر السجزى ،

وأشار للندماء أن ينظموا على أسلوبه ، ففعلوا واحدا بعد واحد إلى أن انتهت النوبة إلى شريف فى البيت ، فقال :

أشهى إلى النفس من الخبز(١)

فأمر الصاحب أن تقدَّم له مائدة

هذا(٢) كله إذا أريد إلحاق الناقص فى وجه الشبه حقيقة أو ادعاء(٣) بالزائد ، فإن أريد مجرد الجمع بين شيئين فى أمر(٤) فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه(٥) ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به احترازا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، كقول أبى إسحاق الصابى :

تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى

فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب(٦)

---

(١) اعترض على التمثيل بهذا للتشبيه بأنه أفعل تفضيل لا تشبيه ، وأجيب عنه بأنه لا يقصد به التمثيل للتشبيه بل لإظهار المطلوب مطلقا ، وقد قيل : إن أفعل التفضيل كله من التشبيه وهو بعيد .

(٢) اسم الإشارة يعود إلى ما مضى عليه الكلام فى التشبيه من جعل أحد الطرفين مشبها والآخر مشبها به على التعيين وما تفرع على ذلك من الكلام .

(٣) هذا فى التشبيه المقلوب لأنه يدعى فيه ذلك

(٤) هذا إما لأن المقام يقتضى المبالغة فى ادعاء التساوى ، وإما لأن الغرض إفادة أصل الاشتراك ، فيكون المقصود إفادة التساوى ادعاء أو حقيقة .

(٥) مثله الحكم بالتساوى ونحوه ، وليس من ذلك نحو — شابه زيد عمرا — إن كان من صيغ المشاركة ، لأن صيغة — تفاعل — تدل على إسناد الفعل ابتداء لاثنين .

أما صيغة — فاعل — فتدل على الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل على المفعول ، ولا يفهم منها وقوعه من المفعول على الفاعل إلا بالالتزام .

(٦) المدامة الخمر سميت بذلك لأنه لا شراب يستطاع إدامة شربه غيرها .

فوالله ما أدرى أبالخمر أسبلت
جفونى أم من عبرتى كنت أشرب(١)

وكقول الآخر :

رقّ الزجاجُ وراقت الخمرُ فتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

ويجوز التشبيه أيضا(٢) كتشبيه غرة الفرس بالصبح وتشبيه الصبح بغرة الفرس ، متى أريد ظهور منير فى مظلم أكثر منه(٤) وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوّة أو الدينار الخارج من السكة ، كما قال :

وكأنّ الشمس المنيرة دينا رٌ جلته حدائدُ الضرّاب(٥)

وتشبيه المرآة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة بالشمس ، متى أريد استدارة متلألىء ، متضمن لخصوص فى اللون ، وإن عظم التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغرة ونور الشمس ونور المرآة والدينار وبين الجرمين ، فإنه ليس شىء من ذلك بمنظور إليه فى التشبيه ، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح فى الظلام بعَلَم أبيض على ديباج أسود فى قول ابن المعتز :

---

(١) العبرة الدمع . والتساوى فى قوله — تشابه دمعى ومدامى — ادعائى إذا كان المراد تشابههما فى الحمرة ، ويجوز أن يكون المراد أنهما تشابها فى الصفاء وأبو إسحاق الصابى هو إبراهيم بن هلال .

(٢) هما للصاحب إسماعيل بن عباد ، والقدح الكأس والمراد تشابههما فى الصفاء ، وقوله — فكأنما خمر الخ — لتأكيد ادعاء التساوى ، وكأنما فيه للشك لا للتشبيه ، لأن التقدير فكأنما خمر موجود .

(٣) لأنه يجوز مع قصد التساوى أن يجعل أحد الطرفين مشبها لغرض من الأغراض كأن يكون الكلام فيه ، فيقدم لهذا الغرض وتدخل أداة التشبيه على الطرف الآخر فيكون مشبها به .

(٤) فلا يكون هناك قصد إلى المبالغة فى وصف غرة الفرس بالضياء لأنه مع هذا يكون ذلك من التشبيه الذى يراد به إلحاق الناقص بالكامل .

(٥) هو لعبد الله بن المعتز ، والمراد بحدائد الضراب آلات السّكّة .

واللَّيلُ كالحلَّة السوداء لاح به ‌ ‌ ‌ من الصباح طرازٌ غيرُ مرقُومِ(١)

فإنه تشبيه حسن مقبول وإن كان التفاوت فى المقدار بين الصبح والطراز فى الامتداد والانبساط شديداً .

<u>أقسام التشبيه باعتبار طرفيه — تشبيه المفرد بالمفرد</u> : وأما تقسيم التشبيه فباعتبار طرفيه أربعة أقسام : الأول تشبيه المفرد بالمفرد ، وهو ما طرفاه مفردان : إما غير مُقيَّدين ، كتشبيه الخد بالورد ونحوه ، وعليه قوله(٢) تعالى ﴿هن لباس لـكُمْ وأنتُمْ لباسٌ لهُنّ﴾ فإن قلت : ما وجة الشبه فى الآية ؟ قلت : جعله الزمخشرى حسياً ، فإنه قال : لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شُبِّه باللباس المشتمل عليه ، قال الجعدى :

إذا ما الضَّجيعُ ثنى عطفها ‌ ‌ ‌ تثنَّتْ فكانتْ عليه لباساً(٣) .

وقيل : شُبِّه كل واحد منهما باللباس للآخر، لأنه يصونه من الوقوع فى فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة(٤)

وإما مقيدان(٥) كقولهم لمن لم يحصل من سعيه على شىء — هو كالقابض على الماء ،

---

(١) الحلة كل ثوب جديد أو الثوب مطلقاً ، والطراز علم الثوب ، والمرقوم المخطط .

(٢) ى – ١٨٧ – س – ٢

(٣) هو للنابغة الجعدى ، والضجيع المضاجع من ضجع بمعنى وضع جنبه على الأرض وتمدد ، وقوله – ثنى عطفها – بمعنى رد جنبها إليه .

(٤) على هذا يكون وجة الشبة عقليا .

(٥) أى بجار ومجرور أو مفعول أو نحوهما بشرط أن يكون القيد معتبراً فى التشبيه ، وبهذا لا يكون من ذلك قوله تعالى ﴿هن لباس لكم﴾ لأن الجار والمجرور غير معتبر فى تشبيههن باللباس ، والفرق بين الطرف المقيد والطرف المركب أن المركب يكون كل واحد من أجزائه جزءاً من الطرف ، أما المقيد فقيده شرط فى الطرف لا جزء منه ، وإنى أرى أن مثل هذا لا يصح مراعاته فى علم البيان ، والأحسن إدخال القيد فى المركب .

وكالراقم فى الماء — فإن المشبه هو الساعى لا مطلقاً بل مقيداً بكون سعيه كذلك . والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقا بل مقيداً بكون قبضه على الماء أو رقمه فيه ، لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه فى عدم الفائدة ، والقبض على الماء والرقم فيه كذلك ، لأن فائدة قبض اليد على الشىء أن يحصل فيها ، فإذا كان مما لا يتماسك فقبضها عليه وعدمه سواء ، وكذلك القصد بالرقم فى الشىء أن يبقى أثره فيه ، فإذا فعل فيما لا يقبله كان فعله كعدمه ، فالقيد فى هاتين الصورتين هو الجار والمجرور ، ونحوهما قولهم — هو كمن يجمع سيفين فى غمد[1] وقولهم — كمبتغى الصيد فى عرِّيسة الأسد[2] وقد يكون حالا ، كقولهم — هو كالحادي وليس له بعير[3] .

ومما طرفاه مقيدان قول الشاعر :

إنى وتزيينى بمدحى معشراً كمعلِّق دُرًّا على خنزير[4]

فإن المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشراً ، فمتعلَّقُ التزيين أعنى قوله — بمدحى — داخل فى المشبه ، والمشبه به من يعلق دراً بقيد أن يكون تعليقه إياه على خنزير ، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما فى صلته ، وهو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ، لأن الشىء غير قابل للتزيين ، فالواو فى قوله

---

(١) يضرب مثلا للمستحيل

(٢) يضرب مثلا لمن يطلب الشىء من غير موضعه

(٣) يضرب مثلا للرجل ينتفخ بما لا يملك

(٤) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى ، والواو فى قوله — إنى وتزيينى — للمعية وما بعدها مفعول معه كما ذهب إليه الخطيب فى تحقيق التشبيه فى البيت ، وقيل : إنه يجوز أن تكون عاطفة مع إفادتها المعية ، لأنه ليس من شرط العاطفة ألاّ تفيد هذا المعنى ، وعلى كونها عاطفة يكون الطرف مركبا لا مقيداً

- وتزيني - بمعنى مع ، إذ لا يمكن أن يقال إني كذا وإن تزيني كذا[1] لأنه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبرا عن ضمير المتكلم والآخر عن تزيني ، لا يقال : تقديره إني كمعلق درا على خنزير وإن تزييني بمدحي معشرا كتعليق در على خنزير . لأنه لا يُتصوَّر أن يشبه المتكلم نفسه من حيث هو هو بمعلق درا على خنزير ، بل لا بُدَّ أن يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشرا .

وإما مختلفان والمقيد هو المشبه به ، كقوله :

والشمسُ كالمرآة في كفِّ الأشلْ[2]

فإن المشبه هو الشمس على الإطلاق ، والمشبه به هو المرآة لا على الإطلاق بل بقيد كونها في يد الأشل .

أو على عكس ذلك ، كتشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس .

تشبيه المركب بالمركب : الثاني تشبيه المركب بالمركب ، وهو ما طرفاه كثرتان مجتمعتان ، كما في قول البحتري :

ترى أحْجالهُ يصَّعَدْن فيه صُعُود البرق في الغيْم الجهامِ[3]

لا يريد به تشبيه بياض الحُجُول على الانفراد بالبرق بل مقصوده الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين[4] بالآخر ، وكذلك المقصود في بيت بشار[5] ولذلك وجب الحكم بأن أسيافنا في حكم الصلة للمصدر[6] ونصب الأسياف لا يمنع من تقدير

«١» يريد بهذا أن يثبت أن الواو ليست عاطفة ، وقد عرفت أن إفادتها للمعية لا يمنع أن تكون للعطف .

«٢» أنظر ص ٢٧

«٣» الأحجال جمع حجْل وهو البياض في رجل الفرس ويجمع أيضا على حجول ، والجهام السحاب الذي لا ماء فيه ، يشبه الفرس أثناء عدْوه بذلك .

«٤» البياض والسواد .

«٥» أنظر ص ٢٦

«٦» هو - مثار - لأنه مصدر ميمي .

الاتصال لأن الواو فيها بمعنى مع (١) كقولهم ـ لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها ـ ومما يلبه على ذلك أن قوله ـ تهاوى كواكبه ـ جملة وقعت صفة لليل ، فإن الكواكب مذكورة على سبيل التبع لليل ، ولو كانت مستبدة بشأنها لقال ـ ليل وكواكب .

وأما بيت امرىء القيس :

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رطْباً ويابساً
لدى وكْرِها العُنابُ والحشفُ البالي(٢)

فهو على خلاف هذا ، فإن أحد الشيئين فيه في الطرفين معطوف على الآخر، أما في طرف المشبه به فبيِّنٌ ، وأما في طرف المشبه فلأن الجمع(٣) في المتفق كالعطف في المختلف ، فاجتماع شيئين أو أشياء في لفظ تثنية أو جمع لا يوجب أن أحدهما أو أحدها في حكم التابع للآخر، كما يكون ذلك إذا جرى الثاني صفة للأول أو حالا منه أو ما أشبه ذلك ، وقد صرح بالعطف فيما أجراه بياناً له من قوله ـ رطباً ويابساً(٤) .

وهذا القسم ضربان : أحدهما ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر ، كقوله :

غدا والصُّبحُ تحت اللَّيلِ باد كطرْفِ أشهبٍ مُلْقي الجلال(٥)

«١» يجوز جر الأسياف عطفا على قوله ـ رؤوسنا .

«٢» يصف عقاباً بكثرة الصيد ، والوكر عش الطائر ، والعناب شجر حبه كحب الزيتون أحمر ، والحشف أردأ التمر ، شبه الرطب من القلوب بالعناب ، واليابس بالحشف البالي .

«٣» يعنى الجمع في قوله ـ قلوب .

«٤» فالتشبيه في البيت ليس من تشبيه المركب بالمركب ، وإنما هو من التشبيه المتعدد الطرف كما سيأتي .

«٥» هو لعبد الله بن المعتز ، والضمير في قوله ـ غدا ـ يرجع إلى الساقي في قوله قبله :

وساق يجعل المنديل منه مكان حمائل السيف الطوال

فإن الجلال فيه فى مقابلة الليل ولو شبهه به لم يكن شيئاً . وكقول الآخر :

كأنما المرِّيخُ والمُشْتَرى ... قُدَّامهُ فى شامخ الرِّفْعهْ
مُنْصرفٌ بالليل عن دعوة ... قدأُسْرِجتْ قُدَّامه شمْعهْ(١)

فإن المريخ فى مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل : كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة كان خلْفاً من القول(٢) .

والثانى ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر غير أن الحال تتغير ومثاله قوله :

وكأن أجرام النجوم لوامعاً ... دُررٌ نُثرْن على بساط أزْرق(٣)

فإنه لو قيل : كأن النجوم درر وكأن السماء بساط أزرق كان تشبيهاً صحيحاً ، لكن أين يقع من التشبيه الذى يريك الهيئة التى تملأ القلوب سروراً وعجباً من طلوع النجوم مؤتلقة متفرقة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقتها الصافية .

تشبيه المفرد بالمركب : الثالث تشبيه المفرد بالمركب ، كما مر من تشبيه الشقائق

الشَّجَبلى والشَّقيق والنَّيْلوفر(٤) .

= والبادى الظاهر ، والطرف الفرس الكريم ، والأشهب الأبيض ، والجلال جمع جلّ وهو للدابة كالثوب للانسان ، والمراد أنه أدير عن ظهره حتى تكشف أكثر جسده ، لا أنه رمى به جملة حتى انفصل منه لأنه مع هذا لا يأتى ذلك التشبيه ، لأن المراد تشبيه هيئة حاصلة من اختلاط بياض بسواد ، وقد أخذ ابن المعتز ذلك من قول ذى الرمة فى وصف الصبح :

وقد لاح للسارى الذى كمّل السُّرى ... على أخريات الليل فتق مُشهَّرُ
كمثل الحصان الأنبط البطن قائماً ... تمايل عنه الجلُّ واللون أشقر

«١» هما لعلى بن محمد المعروف بالقاضى التنوخى ، والمريخ من النجوم السيارة وهو أقربها إلى الشمس ، والمشترى من النجوم السيارة أيضاً .

«٢» الخلف الردىء من القول .

«٣» أنظر ص ١٦

«٤» انظر ص ١٦ ، ١٧

تشبيه المركب بالمفرد : الرابع تشبيه المركب بالمفرد ، كقول أبي تمام :

يا صاحبيّ تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصوّرُ(١)

تريا نهاراً مشمساً قد شابهُ ... زهر الرُّبا فكأنما هو مقمرُ(٢)

يعني أن النبات من شدة خضرته مع كثرته وتكاثفه قد صار لونه إلى الاسوداد ، فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر .

التشبيه الملفوف والمفروق : وأيضا إن تعدد طرفاه فهو إما ملفوف أو مفروق ، فالملفوف ما أُتي فيه بالمشبَّهين ثم بالمشبه بهما ، كقول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العُنّابُ والحشفُ البالي(٣)

وغير الملفوف بخلاف ذلك(٤) كقول المرقّش الأكبر :

النّشرُ مسكٌ والوجوهُ دنا ... نيرٌ وأطرافُ الأكفِّ عنمْ(٥)

ومنه قول أبي الطيب :

«١» قوله ـ تقصيا نظريكما ـ بمعنى أبلغاه أقصاه، وقوله ـ تصور ـ أصله تتصور ـ أصله تتصور بمعنى تتشكل ، والمراد ترياها قائلين ذلك على وجه التعجب ، فالاستفهام مقول لقول محذوف .

«٢» النهار المشمس الذي لا غيم فيه ، وقوله ـ شابه ـ بمعنى خالطه : والربا جمع ربوة وهي الأرض المرتفعة ، ومقمر صفة لمحذوف تقديره ليل مقمر ، وإني أرى أنه لا حاجة إلى تقدير هذا المحذوف ، والمراد أن نبات الربا مع زهره قد خالطا النهار المشمس ، لأن خضرة النبات داخلة أيضا في ذلك التشبيه .

«٣» أنظر ص ٥٢

«٤» هو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم بمشبه ومشبه به أو بأكثر من ذلك .

«٥» النشر الرائحة الطيبة أو الرائحة عموما ، والعنم شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ، وقد قيل : إن مثل هذا في الحقيقة تشبيهات متعددة ، وليس تشبيهاً واحداً متعدد الطرفين، ومثله كل ما يقال له تشبيه مفروق، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن مثل هذه التشبيهات تكون متعلقة بشيء واحد كالنسوة في هذا البيت ، فيمكن جعلها تشبيهاً واحداً من هذه الجهة .

بدتْ قمراً ومالت خُوطَ بانٍ وفاحتْ عنبراً ورنتْ غزالا(١)

تشبيه التسوية والجمع : وإن تعدد طرفه الأول أعني المشبه دون الثاني سُمِّي تشبيه التسوية ، كقول الآخر :

صُدْغُ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى
وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى(٢)

وإن تعدد طرفه الثاني أعني المشبه به دون الأول سمي تشبيه الجمع ، كقول البحترى :

كأنما يبسم عن لؤلؤٍ مُنضَّدٍ أو بردٍ أو أقاح(٣)

ومثله قول امرىء القيس :

كأنَّ المُدام وصوْب الغمام وريح الخزامى ونشر القُطُر(٤)
يُعلُّ به بَرْدُ أنيابها إذا طرب الطائر المستحر(٥)

---

(١) الخوط الغصن الناعم ، والبان شجر معتدل القوام ليِّن ورقه كورق الصفصاف وقوله — رنت — بمعنى نظرت ، والمراد أنها بدت بوجه كقمر ، ومالت بقوام كخوط بان ، وفاحت برائحة كعنبر ونظرت بعين كعين غزال .

(٢) الصدغ ما بين الأذن والعين ، ويطلق على الشعر المتدلى من الرأس على هذا الموضع وهو المراد هنا ، والثغر الفم أو مقدم الأسنان ، والثاني هو المراد هنا ، وتشبيه أدمعه بذلك يدل على كثرتها ، لأنه إذا كثر ماء النبع صفا عما فيه من الكدر .

(٣) المنضد المنظم ، والبرد حبُّ الغمام ، والأقاح جمع أقحوان وهو ورد له نور أوراقه فى شكلها أشبه شيء بالأسنان ، والمشبه محذوف تقديره كأنما يبسم عن ثغر كاللؤلؤ ، وهذا استعارة لا تشبيه .

(٤) المدام الخمر ، وصوب الغمام مطره ، والخزامى نبت زهره من أطيب الزهر ، والقطر عود يتبخر به .

(٥) قوله — يعل به — بمعنى يسقى مرة بعد مرة والضمير فى — به — للمذكور من المدام وما عطف عليه والجملة حال منه ، وقوله — برد أنيابها — خبر كأن .

إلا أن فيه شوباً من القصد إلى هيئة الاجتماع(١)

أقسام التشبيه باعتبار وجهه : وأما باعتبار وجهه فله ثلاث تقسيمات : تمثيل وغير تمثيل، ومجمل ومفصل ، وقريب وبعيد .

التمثيل : التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور(٢) ، وقيده السكاكي بكونه غير حقيقي(٣) ومثّل بصور مثّل بها غيره أيضاً ، منها قول ابن المعتز :

اصبرْ على مضض الحسو ... د فإنّ صبرك قاتلُهْ
فالنّارُ تأكل نفسها ... إن لم تجدْ ماتأكله(٤)

فإن تشبيه الحسود المتروك مقاولتهُ مع تطلبه إليها لينال بها نفثة مصدور بالنار التي

= والطائر المستحر هو الديك الذي يصوت بالسحر ، يعني أنها طيبة الفم في الوقت الذي تتغير فيه الأفواه بعد النوم ، والمراد تشبيه برد أنيابها بالمدام وما عطف عليه ، فالمتعدد هو المشبه به ، ولكنه قلب التشبيه للمبالغة ، وقيل : إن برد نائب فاعل يعل ، على معنى أنه يظن أن برد أنيابها مزج بالمدام وماعطف عليه لأنه يشبهها، فيكون تشبيها ضمنيا .

هذا واللف والتفريق والتسوية والجمع في تلك الأقسام الأربعة من المحسنات البديعية ، وبهذا تظهر تلك الأقسام في ذلك الشكل البديع .

(١) فيكون بهذا قريباً من التشبيه المركب .

(٢) يعني أن يكون وجهه مركبا مطلقاً، وهذا هو مذهب الخطيب والجمهور ، فلا فرق عندهم بين الوجه الحقيقي وغيره .

(٣) أي مع كونه مركبا، وهوعند عبد القاهر ماكان وجهه غير حقيقي ولو كان مفرداً ، وعندالزمخشري يرادف التشبيه، والمراد بالحقيقي الحسي كالحمرة والعقلي الغريزي كالشجاعة ونحوها من الغرائز ،ولا بدّ عند عبد القاهر من التأول في التمثيل كما وضحه في أسرار البلاغة ، فلا يكفي فيه مجرد كونه غير حقيقي .

(٤) هما لعبد الله بن المعتز ، والمضض مصدر مضّ من الشيء بمعنى شق عليه وآلمه ، والتشبيه في البيتين ضمني .

لا تصدّ بالحطب فى أمر غير حقيقى(١) منتزع من متعدد ، وهو إسراع الفناء لانقطاع ما فيه مدد البقاء .

ومنها قول صالح بن عبد القدوس :

وإنّ مَن أدّبته فى الصّبا كالعود يُسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مونقاً ناضراً بعد الذى أبصرت من يبسه(٢)

فان تشبيه المؤدَّب فى صباه بالعود المسقىّ أوان غرسه فيما يلزم كل واحد من كون المؤدب فى صباه مهذَّب الأخلاق حميد الفعال لتأديبه المصادف وقته وكون العود المسقى أوان غرسه مونقاً بأوراقه ونضرته لسقيه المصادف وقته من تمام الميل(٣) وكمال الاستحسان بعد خلاف ذلك .

ومنها قوله(٤) تعالى ﴿ مثلهمْ كمثل الذى استوْقد ناراً فلمّا أضاءتْ ما حوْلهُ ذهب اللهُ بنُورهمْ وتركهُمْ فى ظلمات لا يُبْصرُونَ ﴾ فإن تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول فى الآية فى أمر غير حقيقى منتزع من متعدد ، وهو الطمع فى حصول مطلوب لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب .

غير التمثيل : وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك . كما سبق فى الأمثلة المذكورة(٥)

المجمل : والمجمل ما لم يذكر وجهه ، فمنه ماهو ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامّة ،

---

(١) فى نسخة شروح التلخيص ـ فى أمر حقيقى ـ وكذلك فيما سيأتى ، ولعله فهم من قوله ـ غير حقيقى ـ أنه يريد به ما كان وهميا كما توهمه بعض عبارات المفتاح ، فاعترض عليه بذلك .

(٢) المونق تخفيف مؤنق ، يقال ـ أنق أنقاً ـ إذا كان حسناً مُعجباً ، وفى رواية مورقا ، والناضر اسم فاعل من ـ نضر ـ بمعنى نعم وحسن وكان جميلا .

(٣) هذا بيان لما فى قوله ـ فيما يلزم كل واحد ـ ومن قوله ـ من كون المؤدب إلخ ـ بيان لكل واحد ، وعبارة السكاكى فى ذلك أوضح من هذه العبارة .

(٤) آية ١٧ ـ سورة ٢

(٥) أى للتشبيه قبل التمثيل .

كقولنا — زيد أسد — إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه فى الشجاعة دون غيرها .

ومنه ما هو خفى لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة ، كقول من وصف[1] بنى المُهلَّب للحجاج لما سأله عنهم وأن أيّهم أنجدُ : كانوا كالحلقة المفْرغةِ[2] لا يُدْرى أين طرفاها . أى لتناسب أصولهم وفروعهم فى الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منهم كما أن الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا[3] هكذا نسبه الشيخ عبد القاهر إلى من وصف بنى المهلب[4] ونسبه الشيخ جارُ الله العلامة[5] إلى الأنمارية ، قيل : هى فاطمة بنت الخُرشُب سئلت عن بنيها أيُّهم أفضل ؟ فقالت : عُمارةُ لا بل فلانٌ ، لا بل فلانٌ ، ثم قالت : ثكلتهم إن كنت أعلم أيُّهمْ أفضلُ[6] هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها .

وأيضاً منه ما لم يُذْكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه به[7] كالمثال الأول[8] ومنه ما ذُكر فيه وصف المشبه به وحده كالمثال الثانى[9] ونحوه قول زياد الأعجم :

---

(١) هو كعب الأشقرى .

(٢) أى التى أذيب معدنها وأفرغ فى قالب .

(٣) ما ذكره من الأمرين يتضمن وجه الشبه وليس به ، لأن الأول مختص بالمشبه والثانى مختص بالمشبه به ، وإنما وجه الشبه هو الأمر الكلى الخالى عن التفاوت ، ولا شك أن الانتقال من تناسب أجزاء الحلقة إلى تناسبهم فى الشرف غاية فى الدقة ، فالوجه بين الطرفين لا يدركه إلا الخاصة ، أما العامة فيتبادر إليهم تناسبهم فى الصورة .

(٤) ١٠٦ — أسرار البلاغة .

(٥) هو الزمخشرى ، وعلى هذا يكون كعب الأشقرى قد أخذه منها .

(٦) أىّ فى قولها ـ أيهم ـ يجوز أن تكون استفهامية علقت ـ أعلم ـ عن العمل فى معموليها ، وأن تكون موصولة فى محل نصب مفعول أول ، وأفضل خبر مبتدإ محذوف والجملة صلة ، والمفعول الثانى محذوف تقديره كائناً منهم .

(٧) يعنى وصفهما الذى يكون فيه إيماء إلى وجه الشبه لا مطلق وصف .

(٨) هو — زيد أسد .

(٩) هم — هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها .

وإنّا وما تُلقى لنا إن تهجوتنا   لكالبحر مهما تلق في البحر يغرق(١)

وكذا قول النابغة الذبياني :

فإنك شمس والملوك كواكب   إذا طلعت لم يبدُ منهنّ كوكب(٢)

ومنه ما ذُكر فيه وصف كل واحد منهما ، كقول أبي تمام :

صدفتُ عنه ولم تصدف مواهبُه   عني وعاوده ظني فلم يخب(٣)

كالغيث إنْ جئته وافاك ريّقه   وإن ترحلت عنه لجّ في الطلب(٤)

المفصل : والمفصل ما ذكر وجهه(٥) ، كقول ابن الرومي :

يا شبيه البدر في الحسْـ   ـن وفي بعْد المنال(٦)

جدْ فقدْ تنفجر الصّخْـ   ـرة بالماء الزُلال(٧)

وقول أبي بكر الخالدي :

يا شبيه البدر حسناً   وضياءً ومنالاً

(١) فالمشبه به البحر والجملة بعده حال منه فهي صفة له ، ووجه الشبه عدم ظهور الأثر في كل منهما ، وفي وصف البحر بذلك إشارة إليه ، وفي رواية — مهما يلق .

(٢) هو لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني ، والخطاب فيه للنعمان بن المنذر ، والمشبه به فيه الشمس والكواكب ، وجملة — إذا طلعت لم يبد منهن كوكب — صفه تنبىء عن وجه الشبه .

(٣) قوله — صدفت — بمعنى أعرضت ، والمواهب الهبات .

(٤) قوله — وافاك — بمعنى أتاك ، وريقه أوله أو أفضله ، وقوله — لج — بمعنى ألح وصفة المشبه به يتضمنها البيت الثاني ، وفيهما إشارة إلى وجه الشبه وهو الإفاضة في حال الإعراض وفي حال الطلب .

(٥) أي بنفسه أو بما يستتبعه كما سيأتي .

(٦) هما لعلي بن العباس المعروف بابن الرومي ، والمنال مصدر ميمي بمعنى التناول أو اسم مكان ؛ يعني بذلك بعد وصاله وأنه كالبدر في بعد مناله .

(٧) قوله — جد — يعني بالوصال ، والماء الزلال هو العذب الصافي الذي يمر سريعاً في الحلق .

وشبيه الغصن ليناً وقواماً واعتدالا
أنت مثل الورد لوناً ونسيماً وبلالاً(١)
زارنا حتى إذا ما سرنا بالقرب زالا

وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه(٢) كقولهم في وصف الألفاظ إذا وجدوها لا تثقل على اللسان لتنافر حروفها أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تستنكره لكونها غير مألوفة ، ولا مما تبعد دلالتها على معانيها ـ هي كالعسل في الحلاوة ، وكالماء في السلاسة ، وكالنسيم في الرقة ـ وقولهم في الحجة إذا كانت معلومة الأجزاء يقينيّة التأليف بيّنة الاستلزام للمطلوب ـ هي كالشمس في الظهور ـ والجامع في الحقيقة لازم الحلاوة وهو ميل الطبع ، ولازم السلاسة والرقة وهو إفادة النفس نشاطاً وروْحاً(٣) ولازم الظهور وهو إزالة الحجاب(٤) فإن شأن النفس مع الألفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الذي يلذ طعمه فتهش النفس له ، ويميل الطبع إليه ويحب وروده عليه ، أو كشأنها مع الماء الذي يسوغ في الحلق ، ومع النسيم الذي يسري في البدن فيتخلل المسالك اللطيفة منه ، فيفيدان النفس نشاطاً وروْحاً ، وشأنها مع الشُّبهة التي تمنع القلب إدراك ما هي شبهة فيه كشأنها مع الحجاب الحسي الذي يمنع أن يرى ما يكون من ورائه ، ولذلك توصف بأنها اعترضت دون الذي يروم القلب إدراكه .

قال الشيخ صاحب المفتاح(٥) : وتسامحهم هذا لا يقع إلا حيث يكون التشبيه

---

(١) البلال بتثليث الباء النَّدْوة ، ويروى ـ ملالا ـ فيكون من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم وهو سرعة الزوال والمفارقة وأبو بكر الخالدي هو محمد بن هاشم .

(٢) ذهب السبكي إلى أن المذكور هو وجه الشبه ولا داعي إلى ذلك التأول لأنه إذا لم يكن موجوداً في المشبه حقيقة فهو موجود بالتخييل ، ولكن هذا التأول لابدّ منه عند عبد القاهر ، لأنه هو المعول عليه عنده في الفرق بين التمثيل والتشبيه .

(٣) أي راحة .

(٤) أي المانع حسيا كان أو عقليا ، وإنما كان وجه الشبه لازم ذلك لأنه هو المشترك بين الطرفين .

(٥) ص ١٨٢ ـ المفتاح .

فى وصف اعتبارىٍّ كالذى نحن فيه(١) وأقول : يشبه أن يكون تركهم التحقيق فى وجه التشبيه على ما سبق التنبيه عليه من تسامحهم هذا(٢) انتهى كلامه .

القريب المبتذل : والقريب المبتذل ، وهو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر ، لظهور وجه فى بادىء الرأى ، وسبب ظهوره أمران :

الأول كون الشبه أمراً جملياً(٣) فإن الجملة أسبق أبداً إلى النفس من التفصيل ، ألا ترى أن الرؤية لا تصل فى أول أمرها إلى الوصف على التفصيل لكن على الجملة ثم على التفصيل ، ولذلك قيل – النظرة الأولى حمقاء ، وفلان لم ينعم النظر – وكذا سائر الحواسِّ ، فإنه يُدْرك من تفاصيل الصوت والذوق فى المرة الثانية ما لم يدرك فى الأولى فمن يروم التفصيل كمن يبتغى الشىء من بين جملة يريد تمييزه مما اختلط به ، ومن يروم الإجمال كمن يريد أخذ الشىء جُزافا ، وكذا حكم ما يدرك بالعقل ، ترى الجمل أبداً تسبق إلى الذهن ، والتفاصيل مغمورة فيها لا تحضر إلا بعد إعمال الرَّوية .

والثانى كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به الذهن إما عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما ، كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء بالإجاصة(٤) فى الشكل وفى المقدار والجرة الصغيرة بالكوز كذلك ، وإما مطلقا لتكرره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة فى الاستدارة والاستنارة ، فإن قرب المناسبة والتكرر كلٌّ واحد منهما يعارض التفصيل لاقتضائه سرعة الانتقال .

---

(١) هو كل من ميل الطبع وإفادة النفس نشاطاً وروحاً وإزالة الحجاب .

(٢) يعنى بذلك أن ما سبق من تقسيمهم وجه الشبه إلى حسى وعقلى وهو فى التحقيق عنده لا يكون إلا عقليا مبنى على هذا التسامح ، لأنهم لما جعلوا ملزوم وجه الشبه من وجه الشبه جاز أن يكون وجه الشبه حسيا ، لأن ملزوم العقلى قد يكون حسيا .

(٣) بأن يكون أمراً واحداً لا تركيب فيه ، كتشبيه الخد بالورد فى الحمرة ، أو يكون مركبا لم ينظر إلى أجزائه ، كتشبيه رجل بالفرس فى الحيوانيـــة . والقرب والابتذال وكذا البعد والغرابة يرجع كل منها فيما ذكر إلى أمور ذاتية لا تتأثر بكثرة الاستعمال أو قلته ، فالقريب قريب وإن قل استعماله ، والبعيد بعيد وإن كثر استعماله .

(٤) الإجاصة واحدة الإجاص ، وهو شجر ثمره لذيذ حلو .

البعيد الغريب : والبعيد الغريب ، وهو مالا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لخفاء وجهه فى بادىء الرأى ، وسبب خفائه أمران :

أحدهما كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل(١) فإن ما ذكرناه من الهيئة(٢) لا يقوم فى نفس الرائى للمرآة الدائمة الاضطراب إلا أن يستأنف تأملا ، ويكون فى نظرة متمهلا .

والثانى ندور حضور المشبه به فى الذهن إمّا عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما ، كما تقدم من تشبيه البنفسج بنار الكبريت(٣) وإما مطلقاً لكونه وهمياً أو مركباً خياليا أو مركبا عقلياً ، كما مضى من تشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال(٤) وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من الزبرجد(٥) وتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفاراً(٦) فإن كلاً سبب لندرة حضور المشبه فى الذهن . أو لقلة تكرره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل(٧) فإنه ربما يقضى الرجل دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة فى يد الأشل ، فالغرابة فى هذا التشبيه من وجهين(٨) .

والمراد بالتفصيل أن يُنظر فى أكثر من وصف واحد لشىء أو أكثر ، وذلك يقع على وجوه كثيرة ، والأغلب الأعرف منها وجهان :

أحدها أن تأخذ بعضاً(٩) وتدع بعضاً ، كما فعل امرؤ القيس فى قوله :

---

(١) أنظر ص ٢٧ .

(٢) يعنى وجه الشبه فيه .

(٣) انظر ص ٤٢

(٤) انظر ص ١٧ ، وهو مثال للوهمى .

(٥) انظر ص ١٦ ، وهو مثال للمركب الخيالى .

(٦) انظر ص ٣٣ ، وهو مثال للمركب العقلى .

(٧) انظر ص ٢٧

(٨) هما كثرة التفصيل وندرة الحضور فى الذهن .

(٩) أى من الأوصاف .

حملتْ رُدَينياً كأنَّ سنانَهُ ... سَنا لهب لم يتصل بدُخان[1]

ففصل السَّنا عن الدخان وأثبته مفرداً[2].

والثانى أن يعتبر الجميع، كما فعل الآخر فى قوله :

وقد لاح فى الثُّريَّا كما ترى ... كعُنقودِ مُلاَّحيَّةٍ حين نوَّرا[3]

فإنه اعتبر من الأنجم الشكل والمقدار واللون واجتماعها على المسافة المخصوصة فى القرب، ثم اعتبر مثل ذلك فى العنقود المنوِّر من الملاحية .

وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ، كقوله[4] تعالى (إنما مثل الحياة الدُّنيا كماء أنزلْناه من السَّماء فاختلط به نبات الأرْض ممَّا يأكل النَّاس والأنْعام حتَّى إذا أخذت الأرض زخْرفها وازّيَّنتْ وظنَّ أهْلها أنهم قادرون عليْها أتاها أمْرنا ليْلا أوْ نهاراً فجعلناها حصيداً كأنْ لمْ تغْن بالأمْس) فإنها عشر جمل إذا فصِّلت[5] وهى وإن دخل بعضها فى بعض حتى صارت كلها كأنها جملة واحدة، فإن ذلك لا يمنع من أن تشير إليها واحدة واحدة، ثم إن الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض، حتى لو حذف منها جملة أخلَّ ذلك بالمغزى من التشبيه .

ومن تمام القول فى هذه الآية ونحوها أن الجملة إذا وقعت فى جانب المشبه به تكون على وجوه : أحدها أن تلى نكرة فتكون صفة لها، كما فى هذه الآية، وعليه قول النبى ﷺ « الناس كإبل مائةٍ لا تجد فيها راحلة[6] » والثانى أن تلى معرفة هى اسم

---

(١) قد سبق هذا البيت فى الكلام على الإيغال من الإطناب فى الجزء الثانى .

(٢) فزاد السنا بهذا تألقا وضياء

(٣) انظر ص ٢٦

(٤) آية ٢٤ سورة ١٠

(٥) وتفصيلها — أنزلناه . فاختلط . مما يأكل . حتى إذا أخذت . وازينت وظن أنهم قادرون . أتاها . فجعلناها . كأن لم تغن .

(٦) الإبل فى اللغة اسم جمع لا واحد له من لفظه، والراحلة الناقة الكريمة، فالناس كهذه الإبل لا يكاد يوجد فى كل مائة منهم رجل كريم، ويجوز رفع مائة على أنه مبتدأ، أى مائة منها، فتكون جملة مستأنفة .

موصول فتكون صلة له ، كقوله[١] تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذي اسْتَوْقَدَ نارًا) الآية ، والثالث أن تلى معرفة ليست باسم موصول فتقع استئنافا[٢] كقوله[٣] عز وعلا (مثل الذين اتَّخذوا منْ دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً) .

ومن أبلغ الاستقصاء فى التفصيل وعجيبه قول ابن المعتز :

كأَنَّا وضوْء الصبح يستعجل الدُّجى نطير غرابا ذا قوادم جون[٤]

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن يكون قوادم ريشها بيضاء ، لأن تلك الفرقَ من الظلمة تقع فى حواشيها من حيث يلى معظم الصبح وعموده لمع نور[٥] يتخيل منها فى العين كشكل قوادم بيض ، وتمام التدقيق فى هذا التشبيه أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ولا يرضى منها بأن تتمهل فى حركتها ، ثم لما راعى ذلك فى التشبيه ابتداء راعاه آخرا حيث قال — نطير غرابا — ولم يقل — غراب يطير ونحوه — لأن الطائر إذا كان واقعاً فى مكان فأزْعج وأطير منه أو كان قد حبس فى يد أو قفص فأرْسل كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه ، وأدعى له أن يستمر على الطيران حتى يصير إلى حيث لا تراه العيون ، بخلاف ما إذا طار على اختيار فإنه حينئذ يجوز ألا يسرع فى طيرانه ، وأن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول .

وكذا قول أبى نواس فى صفة منقار البازى :

---

(١) آية ١٧ سورة ٢

(٢) لأن قوله (كمثل العنكبوت) يشير إلى سؤال تقديره ما مثله ؟ فيكون قوله (اتخذت بيتا) جوابه .

(٣) آية ٤١ سورة ٢٩

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والدجى جمع دجية وهى الظلمة والقوادم أوائل ريش الطائر ، والجون جمع جوْن وهو الأبيض أو الأسود والمراد هنا الأبيض .

(٥) لمع نور فاعل — تقع — ومعظم الصبح فاعل — يلى — يعنى أن هذه اللمع تكون قبل ظهور معظم الصبح ، وفى بعض النسخ — تلى — ففاعله يعود على الفرق ، ومعظم الصبح مفعوله .

كعطفة الجيم بكف أعسرا(١)

غير خاف أن الجيم خطان : أولهما الذى هو مبدؤه وهو الأعلى ، والثانى الذى يذهب إلى اليسار ، وإذا لم يوصلْ بها(٢) فلها تعريق(٣) والمنقار إنما يشبه الخط الأعلى فقط ، فلهذا قال – كعطفة الجيم – ولم يقل كالجيم ، ثم دقق بأن جعلها بكف أعسر، لأن جيم الأعسر يقال إنه أشبه بالمنقار من جيم الأيمن(٤) ثم أراد أن يؤكد أن الشبه مقصور على الخط الأعلى من الجيم ، فقال :

يقول منْ فيها بعقل فكّرا

لو زادها عيناً إلى فاء ورا فاتصلتْ بالجيم صارتْ جعفرا(٥)

---

(١) قبله :

كأن عينيه إذا ما أثأرا فصّان قيضا من عقيقٍ أحمرا

فى هامة غلباء تهدى منسرا ... ...

وقوله – أثأر – بمعنى أدرك ثأره ، وقوله – قيضا – بمعنى شقّا ، والهامة رأس كل شيء وتطلق على الجثة ، والغلباء القوية ، ويروى – علياء – وقوله – تهدى – بمعنى تتقدم ، والمنسر كمجلس ومنبر منقار الطـير الجارح ، وعطفة الجيم خطها الأعلى ، والأعسر الذى يعمل بشماله .

(٢) يعنى إذا لم يوصل بها حرف آخر بأن كانت مفردة أو آخر كلة .

(٣) التعريق هو أن يعطف بالخط الأسفل إلى اليمين على هيئة قوس كما هو الشأن دائماً فى الجيم المفردة .

(٤) لأن الحركة فى جيم الأعسر أكثر انحرافا .

(٥) را مقصور راء ، وفاعل – اتصلت – يعود إلى العين ، وقوله – صارت جعفراً – يعنى صارت كلة جعفر ، ولو أنه اقتصر على ما قبل قوله – يقول من فيها بعقل فكرا – لكان أجود وأرشق وأدخل فى مذاهب الفصحاء، لأنه لا يجهل أحد أن الجيم إذا أضيفت إليها العين والفاء والراء تصير جعفراً ، ثم إن هذا لا يدخل فى صفة البازى، وقد اعتذر له بأنه أراد أنها تشبه الجيم لا تغادر من شبهها شيئاً ، حتى إنها لو زيدت عليها هذه الأحرف صارت جعفراً لشدة شبهها بها .

فأبان أنه لم يدخل التعريق فى التشبيه لأن الوصل يسقطه أصلا، ولا الخط(١) الأسفل وإن كان لابد منه مع الوصل ، لأنه قال — فاتصات بالجيم — أى بالعطفة المذكورة ولم يقتصر على قوله — لو زادها عينا إلى فاء ورا — ولأجل هذا التدقيق قال — يقول من فيها بعقل فكرا — فنبه على أن بالمشبه حاجة إلى فضل فكر ، وأن يكون فكره فكر من يراجع عقله .

وإذ قد تحققت ما ذكرنا من التفصيل علمت أن قول امرىء القيس فى وصف السِّنانِ(٢) أعلى طبقة من قول الآخر :

يُتابعُ لا يبتغى غـيرَهُ بأبيضَ كالقبَس الملتهبْ(٣)

لخلو الثانى عن التفضيل الذى تضمنه الأول ، وهو قصر التشبيه على مجرد السنا وتصويره مقطوعا عن الدخان ، ومعلوم أن هذا لا يقع فى الخاطر أول وهلة ، بل لابد فيه من أن يتثبت وينظر فى حال كل من الفرع والأصل ، حتى يقع فى النفس أن فى الأصل شيئا يقدح فى حقيقة التشبيه وهو الدخان الذى يعلو رأس الشعلة .

وكذا قوله :

وكأن أجرامَ النجوم لوامِعاً دُررٌ نثرن على بساط أزرق(٤)

أفضل من قول ذى الرُّمَّة :

كأنها فضة قد مسها ذهبُ(٥)

---

(١) فلو كان الخط الأسفل داخلا فى التشبيه لم يقل ذلك ، لأن العطفة مع ذلك الخط لا تحتاج فى اتصالها بغيرها إلى واسطة .

(٢) انظر ص ٦٥ .

(٣) هو لعنترة العبسى ، والضمير فى قوله — يتابع — لورد بن حابس، وفى قوله — غيره — لنضلة الأسدى ، وكان لورد ثأر عنده ، والقبس الملتهب هو النار الموقدة فالمشبه به واحد فى البيتين .

(٤) أنظر ص ٢٦ .

(٥) هو من قوله :

لأن الأول مما يندر وجوده دون الثاني ، فإن الناس أبدا يرون في الصياغات فضة قد موّهتْ بذهب ، ولا يكاد يتفق أن يوجد درر قد نثرن على بساط أزرق .

وكذا بيت بشار[1] أعلى طبقة من قول أبي الطيب :

يزورُ الأعادي في سمـــاء عجاجة أسنتُه في جانبيها الـكواكبُ[2]

وكذا من قول الآخر :

تبنى سنابـكها من فوق أرؤسهم سقفاً كواكبُه البيض المباتير[3]

لأن كل واحد منهما وإن راعى التفصيل في التشبيه فإنه اقتصر على أن أراك لمان الأسنة والسيوف في أثناء العجاجة ، بخلاف بشار فإنه لم يقتصر على ذلك ، بل عبر عن هيئة السيوف وقد سُلتْ من أغمادها وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب ، وهذه الزيادة زادت التفصيل تفصيلا ، لأنها لا تقع في النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن للسيوف عند احتدام الحرب واختلاف الأيدي بها في الضرب اضطرابا شديدا وحركات سريعة ، ثم لتلك الحركات جهاتٌ مختلفة تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، ثم هي باختلاف هذه الأمور تتلاقى ويصدم بعضها بعضا ، ثم أشكالها مستطيلةٌ ، فنبّه على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهي قوله – تهاوى – لأن

= كحلاءُ في برجٍ صفراء في نعج كأنها فضـــة قد مسها ذهبُ

والبرج أن يكون بياض العين محدقا بالسواد كله لا يغيب من سوادها شيء ، أو نجل العين وسعتها ، والنعج البياض الخالص ، والمراد أن صفرتها يشوبها بياض خالص وهو محمود عندهم .

(١) أنظر ص ٢٦

(٢) العجاجة الغبار ، والأسنة جمع سنان وهو نصل الرمح .

(٣) هو لـكلثوم بن عمرو العتّابي ، وفي أسرار البلاغة أنه لعمرو بن كلثوم ، ولعله تحريف من الناسخ ، والسنابك جمع سنْبكٍ وهو طرف الحافر ، وقوله – سقفاً – بمعنى غبار كالسقف فهو استعارة ، والبيض المباتير هي السيوف القواطع ، والمباتير جمع مبتار صيغة مبالغة من – بتر – بمعنى قطع .

الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركتها ثم كان لها فى التهاوى تواقعٌ وتداخلٌ، ثم استطالت أشكالها .

وكذا قول الآخر فى الآذريون :

مـداهنٌ من ذهبٍ فيها بقايا غاليـه(١)

أعلى وأفضل من قوله فيه :

كـكأس عقيقٍ فى قراراتها مسك(٢)

لأن السواد الذى فى باطن الآذريونة الموضوعة بإزائه الغالية والمسك فيه أمران : أحدهما أنه ليس بشامل لها ، والثانى أنه لم يستدر فى قعرها بل ارتفع منه حتى أخذ شيئاً من سمكها من كل الجهات ، وله فى منقطعه هيئة تشبه آثار الغالية فى جوانب الدهن إذا كانت بقية بقيت عن الأصابع ، وقوله ـ فى قراراتها مسك ـ يبين الأمر الأول ويؤمن من دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال ـ فيها مسك ـ ولم يشترط أن يكون فى القرارة ، وأما الثانى فلا يدل عليه كما يدل قوله ـ بقايا غالية ـ لأن من شأن المسك والشىء اليابس إذا حصل فى شىء مستدير له قعر أن يستدير فى القعر ولا يرتفع فى الجوانب الارتفاع الذى فى سواد الآذريونة ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ، ثم تؤخذ

---

(١) هو لعبد الله بن المعتز ، وقد جاء قبله :

سقياً لروضاتٍ لنـا من كل نوْرٍ حاليـه

عيونُ آذريونهـا للشمس فيهـا كاليه

والنور الزهر ، والآذريون ورد له أوراق حمر فى وسطه سواد له نبوٌّ وارتفاع وقد يكون أصفر ، وهو معرب آذرجون أى لون النار ، وكالية اسم فاعل من ـ كلأ ـ ومعنى كلاءتها للشمس أنها تدور معها حيث دارت ، والمداهن جمع مدْهن وهو حقٌّ الدهن ، والغالية أخلاط من الطيب .

(٢) هو من قول عبد الله بن المعتز أيضاً :

وطاف بها ساقٍ أديبٌ بمبْزلٍ كخنجر عيَّارٍ صناعته الفتْك

وحمَّل آذريونةً فوق أذْنه ككأس عقيقٍ فى قراراتها مسك =

بالأصابع فلابد في البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هي لنعومتها ترق فتكون كالصبغ الذي لا يظهر له جرم وذلك أصدق للشبه .

التشبيه البعيد هو التشبيه البليغ : والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع - أعني البعيد - لغرابته[1] ولأن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيله أحلى ، وموقعه من النفس ألطف وبالمسرة أولى ، ولهذا ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ ، كما قال :

وهنّ ينبذْنَ من قول يصبْن به مواقع الماء من ذى الغلّة الصادى[2]

لا يقال : عدم الظهور ضرب من التعقيد والتعقيد مذموم ، لأنا نقول : التعقيد كما سبق له سببان : سوء ترتيب الألفاظ، واختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذى هو المراد باللفظ، والمراد بعدم الظهور فى التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته أو ترتيب بعض المعاني على بعض ، كما يشعر بذلك قولنا[3] فى بادىء الرأى، فإن المعاني الشريفة لابدّ فيها فى غالب الأمر من بناء ثانٍ على أول وردّ تالٍ إلى سابق، كما فى قول البحترى

= والمبزل ما يصفى به الشراب وهو شبه حلمة الضرع فى الدن ونحوه يسيل الشراب منه ، والعيار الكثير التجول والطواف أو الذي يتردد بلا عمل ، ووجه الشبه بين المبزل والخنجر الاعوجاج فيهما ، وقد روى - وجوّل آذريونة - يعنى أنه أدار هذا الورد فوق أذنه ، وهذه عادة الفرس يحملون الورد فوق آذانهم ، والعقيق خرز أحمر .

(١) يريد بهذا أن البليغ من التشبيه هو هذا النوع ، وهذه التسمية مأخوذة من البلاغة بمعنى اللطف والحسن لا من البلاغة بمعنى المطابقة لمقتضى الحال ، لأن التشبيه لا يتفاوت هذا التفاوت من هذه الناحية ، وهذه طريقة بعض علماء البيان فى التشبيه البليغ ، والمشهور أنه هو التشبيه المحذوف الأداة .

(٢) هو لعمير بن شييم القطامى ، وقوله - ينبذن - بمعنى يرمين ويطرحن ومن تبعيضية ، والغلة الحرقة ، والصادى الشديد العطش ، ومواقع مفعول يصبن .

(٣) أى فى تعريف البعيد الغريب فيما سبق .

ـ دان على أيدى العفاة ـ البيتين(١) فإنك تحتاج فى تعريف معنى البيت الأول إلى معرفة وجه المجاز فى كونه دانياً وشاسعاً، ثم تعود إلى ما يعرض البيت الثانى عليك من حال البدر، ثم تقابل إحدى الصورتين بالأخرى، وتنظر كيف شرط فى العلو الإفراط ليشاكل قوله ـ شاسع ـ لأن الشسوع هو الشديد من البعد، ثم قابله بما يشاكله من مراعاة التناهى فى القرب، فقال ـ جد قريب ـ فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة إلى الفكر، وهل شىء أحلى من الفكر إذا صادف نهجاً قويماً إلى المراد، قال الجاحظ فى أثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر من الفضيلة: وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السبع بلطع الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه.

تحول القريب إلى بعيد: وقد يتصرف فى القريب المبتذل بما يخرجه من الابتذال إلى الغرابة، وهو على وجوه: منها أن يكون كقوله:

لم نلقَ هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء(٢)

وقوله:

فردَّت علينا الشمس والليل راغمٌ بشمس لهم من جانب الخدْر تطلُع
فوالله ما أدرى أأحْلام نائم ألمَّتْ بنا أم كان فى الركب يوشع(٣)

(١) انظر ص ٨

(٢) هو لأبى الطيب فى مدح هارون بن عبد العزيز، والتشبيه فيه ضمنى، لأن وجه الممدوح إذا كان أعظم من الشمس فى الضياء لزم اشتراكهما فى أصله، فيثبت التشبيه ضمنا، وكأنه قال هذا الوجه كالشمس فى أصل الحسن فقط.

(٣) هما لأبى تمام، والرغم اسم فاعل من ـ رغم ـ كفرح وكرم بمعنى ذل وإنما حصل هذا لليل لزواله بطلوعها، والضمير فى ـ لهم ـ للخليط فى البيت قبلهما وهو يطلق على الواحد والجمع، والخدر الستر الذى يمد للجارية أو ما يفرد لها من السكن أو كل ما يتوارى به، وقوله ـ ألمت ـ بمعنى نزلت، وهو يشير بقوله ـ أم كان فى الركب يوشع ـ إلى قصة يوشع مع الشمس، وسيأتى تفصيلها فى الكلام على التلميح فى علم البديع، والشاهد فى قوله ـ بشمس لهم ـ لأن تقديره بجارية لهم كالشمس، وهذا استعارة لا تشبيه.

فإن تشبيه وجوه الحسان بالشمس مبتذل ، لكن كل واحد من حديث الحياء فى الأول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام فى الثانى أخرجه من الابتذال إلى الغرابة. وشبيه بالأول قول الآخر :

إنّ السحاب لتستحي إذا نظرتْ . إلى نداك فقاستْه بما فيها(١)

ومنها أن يكون كقوله :

عزماتُه مثلُ النجوم ثواقباً لو لم يكن للثاقبات أفُول(٢)

وقوله :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانسٌ قنا الخط إلا أن تلك ذوابلُ(٣)

وقوله :

يكادُ يحكيك صوبُ الغيث منسكباً لو كان طلْق المحيَّا يمطر الذهبا
والبدْرُ لو لم يغبْ والشمْس لو نطقتْ والأسْد لو لم تصدْ والبحر لو عذبا(٤)

وهذا يسمى التشبيه المشروط(٥)

---

(١) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس، والندى الكرم ، ورواية الديوان ـ نداه ـ وما فى السحاب هو المطر ، يعنى أنها تستحي إذا شبهت نداك بمطرها لأنه أعظم منه ، وفى هذا تشبيه ضمنى أيضاً .

(٢) هو لمحمد بن إبراهيم المعروف برشيد الدين الوطواط ، والثواقب النوافذ ، والأفول الغروب .

(٣) هو لأبى تمام ، والمها بقر الوحش واحده مهاة ، واسم الإشارة ـ هاتا ـ يعود إلى النسوة المشبهات ، والقنا الرماح واحده قناة ، والخط اسم بلد تصنع فيها ، والذوابل الجافة ، واسم الاشارة ـ تلك ـ يعنى أن قدودهن تفضلها بالطراوة والنضارة .

(٤) هما لأحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذانى ، والغيث المطر وصوبه عطاؤه ، والمحيا الوجه ، وطلق الوجه ضاحكه .

(٥) إنما سمى هذا الوجه بذلك لما فيه من الشرط ، والغرابة فيه ناشئة من كونه مشروطا ، والشرط قد يكون فى المشبه أو المشبه به أو فيهما .

ومنها أن يكون كقوله :

في طلعة البدر شيءٌ من محاسنها ... وللقضيب نصيبٌ من تثنّيها(١)

وقول ابن بابك :

ألا يا رياضَ الحزْنِ من أبْرق الحمى ... نسيمك مسروقٌ ووصفك منتحَلُ(٢)

حكيْت أبا سعد فنشرُك نشرُهُ ... ولكنْ له صدْقُ الهوى ولك الملل(٣)

وقد يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات ، كقوله :

كأنما يبسم عن لؤلؤ ... منضَّدٍ أو بردٍ أو أقاحْ(٤)

كما يزداد بذلك لطفاً وغرابة ، كقوله :

لهُ أيْطلا ظبْيٍ وساقا نعامةٍ ... وإرخاءُ سرْحان وتقريبُ تتفل(٥)

أقسام التشبيه باعتبار أداته : المؤكد : وأما باعتبار أداته فإما مؤكَّدٌ أو مرسلٌ ،

---

(١) هو للبحتري ، والمحاسن جمع حسْن على غير قياس لأنه لا واحد له من لفظه ، والقضيب الغصن ، والغرابة في التشبيهين ناشئة من قلب التشبيه فيهما ، ويريد بتثنيها تمايلها وتبخترها .

(٢) الحزن الأرض الغليظة ، وأبرق الحمى موضع ، ونسيمها رائحتها ، ووصفها نضارتها وبهجتها ، والمنتحل اسم مفعول من — انتحل كذا — بمعنى ادعاه لنفسه وهو لغيره . وابن بابك هو عبد الصمد بن منصور .

(٣) النشر الرائحة ، وصدق الهوى ثباته ، والملل السأم يريد به سرعة زوال نضرتها من إطلاق السبب وإرادة المسبب ، والغرابة فيه ناشئة من قلب التشبيه أيضاً ، وأبو سعد هو علي بن محمد بن خلف الهمذاني .

(٤) انظر ص ٥١

(٥) هو لامرىء القيس في وصف فرسه ، والأيطلا الظبي خاصرتاه ، والسرحان الذئب ، وإرخاؤه جريه في سهولة ، والتتفل ولد الثعلب ، وتقريبه عدوه ، وإنما زاد التشبيه هنا لطفاً لتعدد المشبه والمشبه به فيه ، أما التشبيه قبله فلم يتعدد فيه إلا المشبه به .

والمؤكد ما حذفت أداته ، كقوله(١) تعالى (وهى تمرّ مرّ السحاب) وقوله (يا أيها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومُبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا مُنيراً)(٢) وقول الحماسى :

هم البحور عطاءً حين تسألهم ... وفى اللقاء إذا تلقى بهم بُهَمُ(٣)

إلى غير ذلك كما سبق(٤) ومنه نحو قول الشاعر :

والريحُ تعبثُ بالغصون وقد جرى ... ذهبُ الأصيل على لجين الماءِ(٥)

وقول الآخر يصف القمر لآخر الشهر قبل السّرار :

كأنما أدهمُ الإظلام حين نجا ... من أشهب الصبح ألقى نعل حافره(٦)

---

(١) آية ٨٨ سورة ٢٧

(٢) آية ٤٥ ، ٤٦ سورة ٣٣

(٣) هو لزياد بن حمل ، والبهم واحده بهمة وهو الشجاع الذى لا يدرى كيف يؤتى لاستبهار شأنه .

(٣) فى أمثلة التشبيه من أول بابه إلى هنا ، فقد ورد فيها كثير من التشبيه المؤكد .

(٥) هو لابراهيم بن أبى الفتح المعروف بابن خفاجة الأندلسى ، والأصيل ما بين العصر والمغرب ، واللجين الفضة ، وقد جرى التشبيه المؤكد هنا على طريقة مخالفة لما سبق من أمثلة ، وهى إضافة المشبه به إلى المشبه فى قوله — لجين الماء — أما قوله — ذهب الأصيل — فهو استعارة لا تشبيه .

(٦) هو لعبد الجبار بن حمديس الصقلى ، والأدهم الفرس الأسود ، والأشهب الفرس الأبيض ، والمراد تشبيه الليل بالفرس الأدهم والصبح بالفرس الأشهب والقمر قبل السرار بالنعل الذى يكون فى رجل الفرس لمشابهته له فى الدقة والانعطاف ، وقد جرى فى التشبيهين الأولين على إضافة المشبه به إلى المشبه أيضا ، أما قوله — نعل حافره — فهو استعارة لحذف المشبه فيه .

وقول الشريف الرضى :

أرْسى النسيمَ بواديكم ولا برحتْ حواملُ المزْن فى أجداثكم تضع
ولا يزال جنين النبْت ترْضعه على قبوركم العراضة الهمع[1]

المرسل : والمرسل ما ذكرتْ أداته ، كقوله[2] تعالى (مثلهمْ كمثل الذى استوْقد ناراً) وقوله[3] عز وجل (عرْضها كعرض السماء والأرض) وقول امرىء القيس :

وتعْطو برخْص غير شثْن كأنّه أساريع ظبي أو مساويك إسحل[4]

وقول البحترى :

وإذا الأسنّة خالطتْها خلْتها فيها خيال كواكب فى الماء[5]

إلى غير ذلك كما تقدم[6]

---

(١) هما لعلى بن موسى المعروف بالشريف الرضى ؛ وقوله — أرسى — بمعنى ثبت وهى جملة دعائية ؛ والمزن السحاب ذو الماء ، والأجداث القبور . والعراضة السحاب العريض ، والهمع الماطر ، والشاهد فى قوله — حوامل المزن ، وجنين النبت — فهو من إضافة المشبه به إلى المشبه على حد لجين الماء .

(٢) آية ١٧ سورة ٢

(٣) آية ٢١ سورة ٥٧

(٤) قوله — تعطو — بمعنى تتناول ، والرخص اللين وصف لإصبعها ، والشثن الغليظ ، والأساريع جمع أسْروع وهو دود يكون فى البقل والأماكن النّديّة تشبه به أنامل النساء فى عهدهم ، وظبى اسم موضع ، والإسحل شجر له غصون يستاك بها .

(٥) الضمير فى — خالطتها — يعود إلى الدروع ، وفى — خلتها للأسنة ، والأسنة الرماح ، يريد تشبيه الرماح إذا خالطات الدروع بخيال الكواكب حين يبدو فى الماء ، لأن الأسنة تكون لامعة كالكواكب والدروع تكون صافية كالماء .

(٦) فى أمثلة التشبيه فيما مضى إلى أول الباب ، لأن فيها كثيراً من أمثلة التشبيه المرسل .

أقسام التشبيه باعتبار الغرض : المقبول : وأما باعتبار الغرض فإما مقبول أو مردود — المقبول الوافى بإفادة الغرض ، كأن يكون المشبه به أعرف شيء بوجه الشبه[1] إذا كان الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشبه أو بيان المقدار ، ثم الطرفان فى الثانى[2] إن تساويا فى وجه الشبه فالتشبيه كامل فى القبول ، وإلا فكلما كان المشبه به أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب إلى الكمال . أو كأن يكون المشبه به أتم شيء[3] فى وجه الشبه إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل ، أو كأن يكون المشبه به مسلم الحكم معروفه عند المخاطب فى وجه الشبه إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود .

المردود : والمردود بخلاف ذلك ، أى القاصر عن إفادة الغرض[4] .

---

(١) الحق أنه لا يشترط إلا أن يكون المشبه به أعرف الطرفين بذلك ، ويكفى أن يكون أعرفهما به عند السامع وإن لم يكن كذلك عند غيره ، ولا يشترط فى وجه الشبه أن يكون صفة ظاهرة فى المشبه به كما ذهب إليه بعضهم ، لأنه يصح أن يكون صفة خفية ولكن يجب بيانها فى التشبيه ، كقولك — رأيت رجلا كالأسد فى البخر .

(٢) أى بيان المقدار .

(٣) الحق أنه لا يشترط أيضاً إلا أن يكون المشبه به أتم الطرفين فقط فى ذلك .

(٤) من التشبيه المردود قول الفرزدق :

يمشون فى حلق الحديد عليهمُ ... جُرْبُ الجمال بها الكحيْلُ المشعلُ

شبه الرجال فى دروع الزرد بالجمال الجرب ، وهو مردود لأنه إن أراد السواد فلا مقاربة بينهما فى اللون لأن لون حديد الدروع أبيض ، وإن أراد شيئا آخر فهو غير واضح مع ما فيه من السخف .

ومن ذلك قول الآخر فى وصف السهام :

كساها رطيب الرِّيش فاعتدلت له ... قداحٌ كأعناق الظباء الفوارق

لأن ما هذا حاله لا ملاءمة بين الطرفين فيه .

وقد قيل : إن جماعة جعلوا الابتذال مما يردُّ به التشبيه ، فيكون التشبيه القريب المبتذل من المردود ، والحق أنه تشبيه مقبول وإن لم يبلغ مرتبة التشبيه البعيد الغريب .

خاتمة

مراتب التشبيه : قد سبق أن أركان التشبيه أربعة . المشبه ، والمشبه به ، وأداة التشبيه ، ووجهه . فالحاصل من مراتب التشبيه فى القوة والضعف فى المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلها أو بعضها ثمان : إحداها ذكر الأربعة ، كقولك — زيد كالأسد فى الشجاعة — ولا قوة لهذه المرتبة(١) وثانيتها ترك المشبه كقولك — كالأسد فى الشجاعة — أى زيد ، وهى كالأولى فى عدم القوة(٢) وثالثها ترك كلمة التشبيه ، كقولك — زيد أسد فى الشجاعة — وفيها نوع قوة(٣) . ورابعتها ترك المشبه وكلمة التشبيه ، كقولك — أسد فى الشجاعة — أى زيد ، وهى كالثالثة فى القوة . وخامستها ترك وجه الشبه — كقولك زيد كالأسد — وفيها نوع قوة لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر وسادستها ترك المشبه ووجه التشبيه ، كقولك — كالأسد — أى زيد ، وهى كالخامسة . وسابعتها ترك كلمة التشبيه ووجهه ، كقولك — زيد أسد — وهى أقوى الجميع ، وثامنتها إفراد المشبه به بالذكر ، كقولك — أسد — أى زيد ، وهى كالسابعة(٤) .

---

(١) لعدم المبالغة فيها بذكر الأداة وتخصيص وجه الشبه .

(٢) لأن حذف المشبه لا تأثير له فى إفادة المبالغة التى تعلو بها مرتبة التشبيه .

(٣) لأن حذف الأداة يفيد أن المشبه عين المشبه به ادعاء ، لأن الخبر عين المبتدإ فى المعنى .

(٤) هذا وللتشبيه مراتب أيضا باعتبار أدواته ، فنحو — كأن زيد أسد — أبلغ من نحو — زيد كالأسد — لأن كأن تفيد الظن مع التشبيه ، والظن قريب من العلم فيفيد شدة المشابهة .

وكذلك له مراتب باعتبار أقسامه السابقة من كون وجه الشبه فيه مفردا ، أو مركبا حسيا أو عقليا إلى غير ذلك من أقسامه ، ولو أنه رتب الكلام فى التشبيه على بيان تلك المراتب وجعل تلك الأقسام تابعة لها لكانت الفائدة أتم ، لأن عنايته بالتقسيم لذاته جعلته يستقصى فيه إلى ذلك الحد الممل ، ويهمل بيان تلك المراتب مع أنه هو الأهم ،

واعلم أن الشبه(١) قد يُنتزعُ من نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه ، ثم ينزَّل منزلة التناسب(٢) بواسطة تمليح أو تهكم(٣) فيقال للجبان — ما أشبهه بالأسد ، وللبخيل هو حاتم

---

(١) يعنى به وجه التشبيه .

(٢) كان الأحسن تقديم هذا على ما قبله ، لأن الذى يحصل أولا تنزيل التضاد منزلة التناسب ، ثم ينتزع الشبه منه بعد هذا التنزيل ، والمراد بالتضاد مطلق التقابل .

(٣) التمليح هو الإتيان بما فيه ملاحة وظرافة ، والتهكم الاستهزاء ، والنسبة بينهما العموم والخصوص الوجهى ، وقيل : إن التمليح إيراد القبيح فى صورة شىء مليح للاستظراف . ومما جاء من ذلك قول أبى نواس :

أصبح الحسن منك يا أحسن الأمـ ... ـة يحكى سماجة ابن حبيش

وقول عمرو بن معد يكرب :

أتوعدنى كأنك ذو رعين ... بأنعم عيشة أو ذو نواس

فلا تفخر بملكك كل ملك ... يصير لذلة بعد الشماس

تمرينات على التشبيه

تمرين — ١

١ — من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار الطرفين قول الشاعر :

تحطّمنا الأيامُ حتى كأننا زجاجٌ ولكن لا يعاد لنا سبْك

٢ — بين التشبيه الضمنى فى قول الشاعر :

إنّ السلاح جميعُ الناس تحمله وليس كلُّ ذوات المخلبِ السبُع

تمرين — ٢

١ — من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه قول الشاعر :

أيهجرنى قــومى عفا اللهُ عنهــم إلى لغةٍ لم تتصــل بلغات

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعى فى مسيل فرات

٢ — ما الفرق بين التشبيه المؤكد والتشبيه البليغ عند الخطيب وعند غيره ؟

تمرين — ٣

١ — من أى أقسام التشبيه باعتبار الأداة قول الشاعر :

وتراكضوا خيل الشباب وبادروا أن تستردَّ فإنهن عوارى

٢ — ما هو الغرض من التشبيه فى قول الشاعر :

ويا وطنى لقيتك بعد يأس كأنى قد لقيت بك الشبابا

تمرين — ٤

١ — لماذا فضل عبد الملك بن مروان قول ابن قيس الرُّقيات فى مصعب بن الزبير :

إنما مصعبٌ شهابٌ من الله ه تجلت عن وجهه الظلْماء

على قوله فيه :

يأتلق التّاج فوق مفرقه على جبين كأنّه الذهب

(٢) لماذا قبح التشبيه فى قول أبى نواس فى وصف الخمر :

وإذا ما الماء واقعها أظهرتْ شكلاً من الغزل

لؤلؤاتٍ يتحدّرْن بها كانحدار الذّرِّ من جبل

تمرين — ٥

أى التشبيهين أبلغ فى هذين البيتين :

يا شبيه البدر حسناً وضياء ومنالا

فى ظلمة البدر شىءٌ من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنّيها

(٢) ما الفرق بين التشبيه والتمثيل ؟ وأيهما أعلى منزلة فى التشبيه ؟

تمرين — ٦

بين أركان التشبيه وأقسامه باعتبارها فيما يأتى :

(١) والنّفس كالطّفل إنْ تهمله شبّ على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

(٢) الأمّ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيّب الأعراق

(٣) والبدْر فى أفق السّماء كغادة بيضاء لاحتْ فى ثياب حداد

(٤) أبابل رأى العين أم هذه مصْر فإنى أرى فيها عيوناً هى السّحر

(٥) ومكلّف الأيام ضدّ طباعها متطلّبٌ فى الماء جذْوة نار

تمرين — ٧

وازن بين التشبيه فى هذين البيتين :

(١) ألا إنما ليلى عصا خيزرانة متى غمزوها بالأكفّ تلين

(٢) إذا قامتْ لحاجتها تثنّتْ كأنّ عظامها من خيزران

وقد يقيدان باللغويين(١)

تعريف الحقيقة : الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح به التخاطب(٢) فقولنا ـ المستعملة ـ احتراز عما لم يستعمل ، فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى حقيقة ، وقولنا — فيما وضعت له — احتراز عن شيئين : أحدهما ما استعمل فى غير ما وضعت له غلطا ، كما إذا أردت أن تقول لصاحبك — خذ هذا الكتاب — مشيراً إلى كتاب بين يديك ، فغلطت فقلت — خذ هذا الفرس — والثانى أحد قسمى المجاز — وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعاً له لا فى اصطلاح به التخاطب ولا فى غيره ، كلفظة الأسد فى الرجل الشجاع ، وقولنا — فى اصطلاح به التخاطب — احتراز عن القسم الآخر من المجاز ، وهو ما استعمل فيما وضع له لا فى اصطلاح به التخاطب ، كلفظ الصلاة يستعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازاً(٣) .

تعريف الوضع : والوضع تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه(٤) فقولنا ـ بنفسه ـ

---

(١) إنما يقيدان بذلك ليخرج عنهما الحقيقة والمجاز العقليان ، وقد سبقا فى باب الإسناد الخبرى من علم المعانى ، وبهذا يكون المراد باللغوى منهما ما قابل العقلى فيدخل فيه الشرعى والعرفى الآتيان .

(٢) الأحسن أن يذكر فى التعريف اللفظ بدل الكلمة ليشمل الحقيقة المركبة أيضاً ، كقولك — الصدق حسن — باعتبار الهيئة التركيبية لا باعتبار الإسناد ، وقيل : إن المركب لا يطلق عليه حقيقة لغوية .

(٣) لأنها فى عرف الشرع حقيقة فى الأقوال والأفعال المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم ، أما فى عرف اللغة فهى حقيقة فى الدعاء لا مجاز ، وقد سكت عن خروج الكناية من تعريف الحقيقة للخلاف فى خروجها منه ، فقد قيل : إنها مستعملة فى غير ما وضعت له فتكون مجازاً . وقيل : إنها مستعملة فيما وضعت له فتكون حقيقة . وقيل : إنها ليست بحقيقة ولا مجاز .

(٤) أى بغير وساطة قرينة ، وبهذا يدخل فيه وضع الحروف لأن معانيها تفهم منها بغير قرينة وإن كانت غير مستقلة بنفسها .

احتراز من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة — أعنى المجاز — فإن ذلك التعيين لا يسمى وضعاً ، ودخل المشترك فى الحد لأن عدم دلالته على أحد معنييه بلا قرينة لعارض — أعنى الاشتراك — لا ينافى تعيينه للدلالة عليه بنفسه(١) وذهب السكاكى إلى أن المشترك كالقرء معناه الحقيقى هو مالا يتجاوز معنييه كالطهر والحيض غير مجموع بينهما(٢) قال : فهذا ما يدل عليه بنفسه ما دام منتسباً إلى الوضعين ، أما إذا خصصته بواحد إما صريحا مثل أن تقول — القرء بمعنى الطهر — وإما استلزاما مثل أن تقول — القرء لا بمعنى الحيض — فإنه حينئذ ينتصب دليلا دالا بنفسه على الطهر بالتعيين كما كان الوضع عينه بإزائه بنفسه ، ثم قال فى موضع آخر(٣): وأما ما يظن بالمشترك من الاحتياج إلى القرينة فى دلالته على ما هو معناه فقد عرفت أن منشأ هذا الظن عدم تحصيل معنى المشترك الدائر بين الوضعين — وفيما ذكره نظر ، لأنا لا نسلم أن معناه الحقيقى ذلك ، وما الدليل على أنه عند الإطلاق يدل عليه ؟ ثم قوله — إذا قيل القرء بمعنى الطهر أولا بمعنى الحيض فهو دال بنفسه على الطهر بالتعيين — سهو ظاهر ، فإن القرينة كما تكون معنوية تكون لفظية ، وكل من قوله — بمعنى الطهر — وقوله — لا بمعنى — الحيض — قرينة(٤) .

---

(١) فقرينة المشترك إنما هى لتعيين المراد منه ، ولا يحتاج فهم أحد المعنيين منه على الإطلاق إلى قرينة ، أما قرينة المجاز فيحتاج إليها فى نفس الدلالة على المعنى المجازى .

(٢) ١٩١ — المفتاح ، ويريد بذلك أن المشترك عند الإطلاق صالح لكل من المعنيين ، فهو عند الإطلاق يدل بنفسه على معناه الذى هو أحدهما لا بعينه ، وحينئذ لا يكون هناك خلاف بينه وبين الخطيب فى معنى المشترك ، ولا يكون هناك وجه لاعتراض الخطيب عليه بما يأتى .

(٣) ١٩٢ — المفتاح

(٤) هذا الاعتراض ساقط لأن السكاكى لا يريد إلا أن ذلك ليس قرينة لدلالة اللفظ على المعنى ، بل لتعيين دلالته على أحد معنييه كما سبق ، وما كان أغنى الخطيب عن الاشتغال بهذه المماحكات اللفظية .

إنكار الوضع : وقيل : دلالة اللفظ على معناه لذاته[1] وهو ظاهر الفساد لاقتضائه أن يمتنع نقله إلى المجاز وجعله علما ووضعه للمضادين كالجون للأسود والأبيض ، فإن ما بالذات لا يزول بالغير ، ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم وتأوله السكاكي رحمه الله[2] على أنه تنبيه على ما عليه أئمة علمي الاشتقاق والتصريف ، من أن للحروف في أنفسها خواص بها تختلف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينها وغير ذلك مستدعية أن العالم بها إذا أخذ في تعيين شيء منها لمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة[3] كالفصم بالفاء الذي هو حرف رخو لكسر الشيء من غير أن يبين[4] والقصم بالقاف الذي هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين ، وأن للتركيبات[5] كالفعلان والفعلى بالتحريك كالنزوان والحيدى وفعل مثل شرف وغير ذلك خواص أيضاً[6] فيلزم فيها ما يلزم في الحروف ، وفي ذلك نوع تأثير لأنفس الكلم في اختصاصها بالمعاني .

تعريف المجاز وأقسامه : المفرد : والمجاز مفرد ومركب . أما المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته ، فقولنا — المستعملة — احتراز عما لم يستعمل ، لأن الكلمة قبل الاستعمال

---

(1) أي لا بالوضع ، وهو قول عباد الصيمري من المعتزلة .

(2) ١٩٠ — المفتاح .

(3) لأن الواضع حكيم وحينئذ لا يكون في هذا القول إنكار للوضع ، ولكن هذا إنما يظهر في بعض الألفاظ دون جميعها لتعذره ، والحق أن هذا التأويل خلاف ما صح نقله عن عباد من أنه يقصد ظاهر ما روى عنه ، وكان بعض أتباعه يدعي أنه يعرف جميع المسميات من أسمائها ، فقيل له : ما مسمى — آدغاغ — وهو من لغة البربر ؟ فقال : أجد فيها يبساً شديداً وأراه اسم الحجر . فظهر أنه اسمه في تلك اللغة.

(4) ينفصل .

(5) معطوف على قوله — من أن للحروف .

(6) فالفعلان والفعلى يدلان على ما فيه حركة ، وفعل تدل على أفعال الطبائع والسجايا .

لا تسمى مجازاً كما لا تسمى حقيقة ، وقولنا — فى اصطلاح به التخاطب — ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازاً فإنه وإن كان مستعملا فيما وضع له فى الجملة(١) فليس بمستعمل فيما وضع له فى الاصطلاح الذى به وقع التخاطب ، وقولنا — على وجه يصح — احتراز عن الغلط كما سبق(٢) وقولنا — مع قرينة عدم إرادته — احتراز عن الكناية كما تقدم(٣) .

والحقيقة لُغويّة وشرعية وعرفية خاصّة أو عامة ، لأن واضعها إن كان واضع اللغة فلغوية ، وإن كان الشارع فشرعية ، وإلا فعرفية والعرفية إن تعين صاحبها نسبت إليه ، كقولنا كلامية ونحوية ، وإلا بقيت مطلقة ، مثال اللغوية لفظ أسد إذا استعمله المخاطِبُ بعرف اللغة فى السبع المخصوص ، ومثال الشرعية لفظ صلاة إذا استعمله المخاطبُ بعرف الشرع فى العبادة المخصوصة، ومثال العرفية الخاصة لفظ فعل إذا استعمله المُخاطِبُ بعرف النحو فى الكلمة المخصوصة ، ومثال العرفية العامة لفظ دابّة إذا استعمله المخاطبُ بالعرف العام فى ذى الأربع(٤)

---

(١) لأنها موضوعة فى اللغة للدعاء ، فاستعمالها فيه استعمال فيما وضع له فى الجملة

(٢) أى فى تعريف الحقيقة ، فهو خارج عن التعريفين ولا يقال له حقيقة ولا مجاز، وإنما خرج بذلك عن تعريف المجاز لأن الوجه الذى يصح به استعمال الكلمة فى غير ما وضعت له هو وجود العلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى مع ملاحظتها، والغلط لا يكون عن ملاحظة علاقة .

(٣) أى فى حصر أبواب علم البيان ، لأن قرينة الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقى ، وأما نحو قولهم — القلم أحد اللسانين — مما قيل إنه من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز فمذهب علماء البيان فيه أنه من باب عموم المجاز، والمعنى عليه القلم أحد المبيّنين ، ولا شك فى أن هذا إطلاق مجازى .

(٤) هى فى اللغة اسم لكل ما يدب على الأرض من ذى الأربع وغيره ، والمراد ذو الأربع المعهود وهو الحمار والبغل والفرس ، فلا يدخل فى استعماله العرفى الشاة ونحوها من ذى الأربع .

وكذلك المجاز المفرد لغوى وشرعى وعرفى ، مثال اللغوى لفظ أسد إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة فى الرجل الشجاع، ومثال الشرعى لفظ صلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء ، ومثال العرف الخاص لفظ فعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو فى الحدث، ومثال العرفى العام لفظ دابة إذا استعمله المخاطب بالعرف العام فى الشاة(١)

والحقيقة إما فعيل بمعنى مفعول من قولك ـ حققتُ الشىء أحقّه ـ إذا أثبتّه ، أو فعيل بمعنى فاعل من قولك ـ حقّ الشىء يحقّ إذا ثبت ـ أى المثبتة أو الثابتة فى موضعها الأصلى ، فأما التاء فقال صاحب المفتاح(٢) : هى عندى للتأنيث فى الوجهين، لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجراة على الموصوف وهو الكلمة(٣) وفيه نظر(٤) وقيل : هى لنقل اللفظ من الوصفية إلى الإسمية الصرفة ، كما قيل فى أكيلة ونطيحة إن التاء فيهما لنقلهما من الوصفية إلى الإسمية(٥) ولذلك لا يوصف بهما فلا يقال شاة أكيلة أو نطيحة .

والمجاز قيل مفعلٌ من ـ جاز المكان يجوزه ـ إذا تعداه ، أى تعدت موضعها الأصلى(٦) وفيه نظر(٧) والظاهر أنه من قولهم ـ جعلت كذا مجازا إلى حاجتى ـ

---

(١) لأنه فى العرف العام موضوع للحمار والبغل والفرس فقط كما سبق .

(٢) ١٩٢ ـ المفتاح

(٣) إنما قيدها بهذا لئلا يمتنع إلحاق التاء بها إذا كانت من فعيل بمعنى مفعول ، كما قال ابن مالك :

ومنْ فعيل كقتيل إن تبعْ موصوفه غالبـاً التّا تمتنع

(٤) لأنه يجوز أن يقال هذا اللفظ حقيقة ، ولو كانت التاء للتأنيث لم يجز!

(٥) لأنهما قبل التاء وصف لكل مأكول ومنطوح من الإبل والبقر والغنم ثم كثر استعمالها فى الغنم ، فجعلت التاء فيهما للنقل من الوصفية للإسمية

(٦) الضمير فى ـ تعدت ـ للمجاز باعتبار أنه كلمة ، فهى على هذا مجاز بمعنى جائزة من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل ، أو بمعنى مجوزٌ بها من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول .

(٧) لأن استعمال المصدر الميمى بمعنى اسم الفاعل أو المفعول مجاز فلا يصار إليه مع إمكان غيره .

أى طريقاً له(١) على أن معنى جاز المكان سلكه على ما فسره الجوهرى وغيره ، فإن المجاز طريق إلى تصــور معناه ، واعتبار التناسب فى التسمية يغاير اعتبار المعنى فى الوصف(٢) كتسمية إنسان له حمرة بأحمر ووصفه بأحمر، فإن الأول لترجيح الاسم على غيره حال وضعه له ، والثانى لصحة إطلاقه ، فلا يصح نقض الأول بوجود المعنى فى غير المسمّى كما يلهج به بعض الضعفاء .

تقسيم المفرد إلى مرسل واستعارة : والمجاز ضربان : مُرْسَلٌ واستعارة ، لأن العلاقة المصحِّحة إن كان تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة ، وإلا فهو مرسل ، وكثيراً ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به فى المشبه(٣) فيسمى المشبه به مستعاراً منه ، والمشبه مستعاراً له ، واللفظ مستعاراً(٤) وعلى الأول لا يشتق منه لكونه اسماً للفظ لا للحدث(٥) .

المرسل وعلاقاته — علاقة السببية والمجاورة : الضرب الأول المرسل ، وهو

---

(١) على هذا يكون فى الأصل اسم مكان لا مصدراً ميميا ، ولا يحتاج فى إطلاقه على الكلمة إلى تأويل كالسابق .

(٢) يريد بهذا أن يدفع الاعتراض على ما اختاره فى لفظ المجاز بأنه يؤدى إلى صحة تسمية الحقيقة مجازا ، لأنها طريق إلى تصور معناها أيضا ، وقد دفعه بأن ذلك لبيان علة لتسمية المجاز باسمه لا لوصفه به ، وعلة التسمية لا توجب التسمية بخلاف علة الوصف .

(٣) هذا يقابل إطلاقها على الكلمة بحكم أنها قسم من المجاز ، والحق أن هــذا الإطلاق غير خاص بها ، لأن المجاز كما يطلق على الكلمة يطلق على استعمالها .

(٤) يعنى لفظ المشبه به ، أما المستعار منه فهو معناه لا لفظه .

(٥) فلا يشتق منه مستعار منه ولا مستعار له ولا مستعار ، وبهذا يكون المعنى الثانى هو الأنسب ، لأنه يؤدى إلى معرفة هذه المشتقات التى تدور كثيراً فى الكلام على الاستعارة .

ما كانت العلاقة بين ما استُعمِل فيه وما وضع له مُلابسةً غيرَ التشبيه(1) كاليد إذا استُعمِلت في النعمة ، لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها(2) ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المُولي لها(3) فلا يقال — اتسعت اليد

---

(1) الذي يعتبر من العلاقة في المجاز مطلقاً نوعها لا شخصها كما ذهب إليه بعض المشددين في استعمال المجاز ، فإذا عرفنا أن العرب استعملوا لفظاً في سبب معناه أو مشابهه جاز لنا أن نستعمل لفظاً آخر غير الذي استعملوه لمثل هذه العلاقة ، ولا يجب أن نقتصر على اللفظ الذي استعملوه خاصة ، وقيل : إن المجازات اللغوية المفردة يجب إقرارها حيث وردت ، ولا يجوز التصرف فيها إلا بتوقيف وإذن من جهة اللغة ، فلا يقال في مجاز الحذف مثلا - سل الدار — كما قيل (واسأل القرية) آية — ٨٢ — س ١٢ — ولا يستعار لفظ الأسد للرجل الأبخر كما استعير للرجل الشجاع ، وهكذا ، أما غير المجازات المفردة فيجوز فيها ذلك ، فيصح أن تقول — تكاثرت أشواقي ، وأسقمني فقدك — كما ورد من قولهم أخذتِ الأرض وأنبتت الأرض والحق أنه لا فرق في ذلك بين المجازات المفردة وغيرها ، وأنه يجوز القياس في المجاز مطلقاً ، وأن ما يقبل من المجاز يقبل من العرب وغيرهم ، وأن ما يقبل منه لا يقبل من الفريقين أيضاً ، لأن العرب تصيب في ذلك وتخطىء كالمحدثين ، وقد أخذ على امرىء القيس قوله :

وهرٌّ تصيد قلوب الرجال وأفلت منها ابْن عمْرٍ وحُجرْ

لأن لفظة — هر — واستعارة الصيد منها مضحكة هجينة ، ولو أن أباه حجراً من فارات بيته ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف ، وأين قوله من قول زهير :

ليثٌ بعثَّر يصطاد الرجال إذا ما كذَّب اللَّيْثُ عن أقرانه صدقا

لا على أن امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ، ولكن للكلام قرائن تحسنه وقرائن تقبحه كذكر الصيد في البيتين .

(2) هذا مثال لعلاقة السببية ، وتكون بإطلاق اسم السبب على المسبب ، وكذلك ما يأتي من استعمال اليد في القدرة والإصبع والسوط في أثرها .

(3) ليكون قرينة على إرادتها من اليد ، وقد اعترض على هذا بأن القرينة شرط في كل مجاز فلا حاجة إلى تقييد هذا النوع بها ، وبأن القرينة قد توجد في ذلك من غير إشارة إلى المولي للنعمة ، كقولك — رأيت يداً عمت الوجوه — ونحو ذلك .

فى البلد» أو اقتنيت يداً — كما يقال — اقتنيت النعمة فى البلد ، أو اقتليت نعمة — وإنما يقال — جلّت يده عندى ، وكثرت أياديه لدىّ — ونحو ذلك .

ونظير هذا قولهم فى صفة راعى الإبل — إن له عليها إصبعاً[1] أرادوا أن يقولوا — له عليها أثرُ حذقٍ — فدلوا عليه بإصبع ، لأنه ما من حذق فى عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تصريف الأصابع واللطف فى رفعها ووضعها كما فى الخط والنقش ، وعلى ذلك قيل فى تفسير قوله[2] تعالى (بلىَ قادرين على أنْ نسوِّىَ بنانَهُ) أى نجعلها كخف البعير فلا يتمكن من الأعمال اللطيفة ، فأرادوا بالإصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حذق فى الصنعة لا مطلقاً حتى يقال[3] رأيت أصابع الدار ، وله إصبع حسنة وإصبع قبيحة — على معنى أثر حسن وأثر قبيح ، ونحو ذلك .

وينظرُ إلى هذا قولُهم — ضربته سوطاً — لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط بإسم السوط فجعلوا أثر السوط سوطاً . وتفسيرهم له بقولهم — المعنى ضربته ضربة بالسوط — بيان لما كان الكلام عليه فى أصله .

ونظير قولنا — له علىّ يد — قول النبى ﷺ لأزواجه « أسرعكنّ لحوقاً ويروى — لحاقاً — بى أطولكن يداً » وقوله — أطولكن نظير ترشيح الاستعارة ولا بأس أن يسمى ترشيح المجاز ، والمعنى[4] بسط اليد بالعطاء ، وقيل قوله — أطولكن — من الطَّوْل بمعنى الفضل ، يقال — لفلان على فلان طَوْلٌ — أى فضل ، فاليد على هذين الوجهين[5] بمعنى النعمة ، ويحتمل أن يريد أطولكن يداً بالعطاء أى أمدُّكنَّ ، فحذف قوله بالعطاء للعلم[6] .

---

(١) من هذا قول الشاعر :

ضعيفُ العصا بادى العرُوق ترى له عليها إذا ما أجدب الناسُ إصْبعا

(٢) آية ٤ سورة ٧٥

(٣) هذا تفريع على المنفى فهو مما لا يصح أن يقال فى ذلك .

(٤) يعنى المعنى المجازى .

(٥) أى على أن يكون — أطولكن — بمعنى بسط اليد بالعطاء أو من الطول بمعنى الفضل .

(٦) على هذا الوجه تكون اليد فى الحديث حقيقة لا مجاز .

وكاليد أيضاً إذا استعملت فى القدرة ، لأن أكثر ما يظهر سلطانها فى اليد ، وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوضع والرفع وغير ذلك من الأفعال التى تنبىء عن وجوه القدرة ومكانها ، وأما اليد فى قول النبى ﷺ « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » فهو استعارة[1] والمعنى أن مثلهمْ مع كثرتهم فى وجوب الاتفاق بينهم مثلُ اليد الواحدة ، فكما لا يتصوَّر أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضاً وأن تختلف بها الجهة فى التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين فى تعاضدهم على المشركين لأن كلمة التوحيد جامعة لهم .

وكالرَّواية للمزادة مع كونها للبعير الحامل لها لحمله إياها[2] وكالحفض فى البعير مع كونه لمتاع البيت لحمله إياه ، وكالسماء فى الغيث ، كقوله ــ أصابتنا السماء ــ لكونه من جهة المظلة ، وكالإكاف فى قول الشاعر :

يأكلن كل ليلة إكافا[3]

«١» يريد بها التشبيه توسعاً لذكر الطرفين فى قوله ــ وهم يد ــ وقيل : إن المعنى وهم عون على من سواهم فيكون مجازاً .

«٢» مأخوذة من روى الماء حمله وتاؤها للمبالغة ، وهذا مثال لعلاقة المجاورة ، والمزادة سقاء من ثلاثة جلود تجمع أطرافها ليكثر ما تحمله من الماء . وكذلك العلاقة فى إطلاق الحفض على البعير ، فى إطلاق السماء على الغيث ، وقد يجعل هذا من علاقة السببية ، والحفض اسم لمتاع البيت الحقير . ولا يكاد يطلق إلا على البعير المهزول .

«٣» هو من قول أبى نُخَيلة الوليد بن حنيفة يمدح طلحة الطلحات :

يا طلح يا بن مجدك الإخلافا والبخل لا يعترف اعترافا

إن لنا أحمرة عجافا يأكلن كلَّ ليلة إكافا

والأحمرة جمع حمار ، والعجاف الهزيلة جمع عجفاء على غير قياس ، والإكاف البرذعة أطلق على العلف للمجاورة لأنه يحمل عليه ، أو للسببية لأن ثمنه سبب فى الحصول عليه .

أي علفاً بثمن الأكاف(١) .

علاقة الجزئية : وهذا الضرب من المجاز يقع على وجوه كثيرة غير ما ذكرنا(٢) منها تسمية الشيء باسم جزئه(٣) كالعين في الربيئة(٤) لكون الجارحة المخصوصة هي المقصود في كون الرجل ربيئة ، إذ ما عداها لا يغني شيئاً مع فقدها فصارت كأنها الشخص كله(٥) وعليه قوله(٦) تعالى ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي صلِّ ، ونحوه(٧) ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ أي لا تصلّ ، وقول النبي عليه السلام « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » أي من صلّى(٨) .

علاقة الكلية : ومنها عكس ذلك(٩) نحو ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ

---

(١) فهو على حذف مضاف ، ويجوز أن يكون مجازاً عن ثمنه ، ثم صار مجازاً عن العلف ، فيكون مجازاً على مجاز .

(٢) أي من علاقة السببية والمجاورة ، وظاهر هذا أنه لا يذكر فيما يأتي علاقة منهما مع أنه سيذكر فيه علاقة السببية .

(٣) هذه تسمى علاقة الجزئية .

(٤) تطلق الربيئة على الرقيب والجاسوس ، من ربأ القوم استطلع حركاتهم وتاؤها للمبالغة .

(٥) لأنه يجب في كل جزء يطلق على كله أن يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعنى الذي يقصد بكله ، فلا يجوز إطلاق اليد ونحوها على الربيئة .

(٦) آية ٢ سورة ٧٣ .

(٧) آية ١٠٨ سورة ٩

(٨) من ذلك أيضاً قول الشاعر :

وكنت إذا كفٌّ أتتك عديمةً ترجّي نوالاً من سحابك بلّتِ

وقول الآخر :

وإن حلفتْ لا ينقضُ النأيُ عهدها فليس لمخضوب البنان يمينْ

(٩) هو تسمية الجزء باسم كله ، وهذه تسمى علاقة الكلية ، أما استعمال الكلي في جزئيه فهو حقيقة ، كقولك ــ جاءني إنسان ــ تريد زيداً .

في آذانهم ﴾(1) أي أناملهم ، وعليه قولهم – قطعتُ السارق – وإنما قطعتْ يده(2)

علاقة السببية أيضاً : ومنها تسمية المسَبَّب باسم السبب ، كقولهم – رعينا الغيث – أى النبات الذى سببه الغيث ، وعليه قوله(3) عز وجل ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ سمى جزاء الاعتداء اعتداء لأنه مسبب عن الاعتداء ، وقوله(4) تعالى ﴿ ونبلوا أخباركم ﴾ تجوز بالبلاء عن العرفان لأنه مسبب عنه ، كأنه قيل – ونعرف أخباركم – وعليه قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلنْ أحــدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا(5)

الجهل الأول حقيقة والثانى مجاز عبر به عن مكافأة الجهل(6) وكذا قوله(7) تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ تجوز بلفظ السيئة(8) عن الاقتصاص لأنه مسبب عنها ، وقيل : إن عبر بها عما ساء أى أحزن لم يكن مجازاً ، لأن الاقتصاص محزن فى الحقيقة كالجناية وكذا قوله(9) تعالى ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سببها ، قيل : ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة ، لأن المكر التدبير فيما يضر الخصم ، وهذا محقق من الله تعالى استدراجه إياهم بنعمه مع ما أعد لهم من نقمه .

«1» آية 19 سورة 2

«2» من ذلك أيضاً قول الشاعر :

تسيل على حد الظبــاة نفوسنا وليست على غير الظباة تسيل

«3» آية 194 سورة 2

«4» آية 31 سورة 47

«5» قال الزوزنى فى شرحه : أى لا يسفهن أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم أى نجازيهم بسفههم جزاء يربو عليه .

«6» ومكافأة الجهل ليست جهلا وإن كانت فوقه .

«7» آية 40 سورة 42

«8» يعنى لفظها الثانى لا الأول .

«9» آية 54 سورة 3

علاقة المسببية : ومنها تسمية السبب باسم المسبب كقولهم — أمطرت السماء نباتاً — وعليه قولهم — كما تدينُ تُدانُ — أى كما تفعل تجازى(١) وكذا لفظ الأسنمة فى قوله يصف غيثاً :

أقبل فى المُستَنِّ من ربابه أسنمةُ الآبال فى سحابه(٢)

وكذا تفسير إنزال أزواج الأنعام فى قوله(٣) تعالى : ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ بإنزال الماء على وجه(٤) لأنها لا تعيش إلا بالنبات ، والنباتُ لا يقوم إلا بالماء ، وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها ، ويؤيده ما ورد أن كل ما فى الأرض من السماء ينزله الله تعالى إلى الصخرة ثم يقسمه ، قيل : وهذا(٥) معنى قوله(٦) تعالى: ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكهُ ينابيع فى الأرض ، وقيل : معناه وقضى لكم ، لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح كل كائن يكون ، وقيل : : خلقها فى الجنة ثم أنزلها ، وكذا قوله(٧) تعالى : ﴿ وينزّل من

«١» فالمجاز فى قولهم — تدين .

«٢» المستن موضع جريان الغيث من قولهم — استنّ الفرسُ — إذا جرى على سننه فى جهة واحدة ، وقوله — من ربابه — متعلق بأقبل ، والرباب السحاب الأبيض ، والآبال الجمال جمع إبل ، وأسنمتها جمع سنام وهو الحدبة المعروفة فى ظهرها ، والشاهد فى إطلاقها على المطر لأنه سبب فى نموها ، ويجوز حمل ذلك على المجاز العقلى فيكون المراد من الأسنمة حقيقتها .

«٣» ى — ٦ — س ٣٩

«٤» هو أن المراد بالإنزال الحركة من أعلى إلى أسفل ، وسيذكر مقابل هذا الوجه فى قوله — وقيل : معناه وقضى لكم إلخ .

«٥» أى التفسير بما سبق .

«٦» ى — ٢١ — س — ٣٩

(٧) ى — ١٣ — س — ٤٠

السماء رزقاً ﴾ أى مطرا هو سبب الرزق ، وقوله[1] تعالى : ﴿ إنما يأكلون فى بطونهم ناراً ﴾ وقولهم ـ فلان أكل الدم ـ أى الدية التى هى مسببة عن الدم[2] قال :

أكلتُ دماً إنْ لم أرُعْــك بضرّةٍ بعيدة مهْـوى القرط طيّبة النشر[3]

وقوله[4] تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ﴾ أى أردت القراءة بقرينة الفاء[5] مع استفاضة السُّنة بتقديم الاستعاذة ، وقوله[6] تعالى ﴿ ونادى نوح ربّـه ﴾ أى أراد بقرينة ﴿ فقال ربِّ ﴾ وقوله[7] تعالى : ﴿ وكم من قرية أهلكناها ﴾ أى أردنا إهلاكها بقرينة ﴿ فجاءها بأسُنا ﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿ ما آمنتْ قبلهم من قرية أهلكناها ﴾ بقرينة ﴿ أفهُم يؤمنون ﴾ وفيه دلالة واضحة على الوعيد بالإهلاك

«١» ى ـ ٢٠ ـ س ـ ٤

«٢» لا يخفى أنه حينئذ يكون من تسمية المسبب باسم السبب ، فيكون ذكره هنا فى غير محله .

«٣» هو لأعرابى تزوج امرأة فلم توافقه ، فقيل له : إن حمى دمشق سريعة فى موت النساء . فحملها إليها وقال قبل هذا البيت :

دمشق خذيها واعلمى أنّ ليلةً تمرُّ بعودىْ نعشها ليلة القدْر

وقوله ـ أكلت دما ـ أجراه مجرى اليمين ، فكأنه يريد أن يقتل له قتيل ويعجز عن ثأره فيرضى بديته ، وقيل : إنهم كانوا فى سنى الجدب يفصدون نوقهم ويشربون دمها . فدعا على نفسه بذلك . وقوله ـ أرعك ـ بمعنى أفزعك ، وقوله ـ بعيدة مهوى القرط ـ كناية عن طول العنق ، والنشر الرائحة .

«٤» ى ـ ٩٨ ـ س ـ ١٦

«٥» فى قوله (فاستعذ) لأنها للترتيب .

«٦» ى ـ ٤٥ ـ ص ١١

«٧» ى ـ ٤ س ـ ٧

«٨» ى ـ ٦ س ـ ٢١

إذ لا يقع الإنكار (١) ن ﴿ أنهم يؤمنون ﴾ في الحذ إلا بتقدير — ونحن على أن نهلكهم (٢) .

علاقة اعتبار ما كان : ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه (٣) كقوله (٤) عز وجل ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ أي الذين كانوا يتامى ، إذ لا يُتم بعد البلوغ ، وقوله ﴿ إنه من يأت ربه مجرماً (٥) ﴾ سماه مجرما باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجرام .

علاقة اعتبار ما يكون : ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه (٦) كقوله (٧) تعالى ﴿ إني أراني أعصر خمراً ﴾ .

علاقة المحلية : ومنها تسمية الحالّ باسم محله (٨) كقوله (٩) تعالى ﴿ فليدع ناديه ﴾ أي أهل ناديه .

علاقة الحالية : ومنها عكس ذلك (١٠) نحو ﴿ وأمّا الذين ابيضت وجوههم

---

(١) لأن الاستفهام فيه إنكاري .

(٢) أي ونحن على إرادة إهلاكهم . وإنما وجب هذا التقدير على ذلك لأن إنكار إيمانهم لا يكون بعد هلاكهم ، وقيل : إن المعنى أهلكناها بالفعل لعدم إيمانها بما اقترحت من الآيات ، فلا نعطي هؤلاء ما اقترحوا لأنهم لا يؤمنون به أيضاً .

(٣) هذه تسمى علاقة اعتبار ما كان .

(٤) آية ٢ سورة ٤ .

(٥) آية ٧٤ سورة ٢٠

(٦) هذه تسمى علاقة اعتبار ما يكون ، فالمراد في الآية إني أراني أعصر عنباً يؤول إلى أن يكون خمراً ، فسماه خمراً باعتبار ما يؤول إليه .

(٧) آية ٣٦ سورة ١٢

(٨) هذه تسمى علاقة المحلية .

(٩) آية ١٨ سورة ٩٦

(١٠) أي تسمية المحل باسم الحالّ ، وهذه تسمى علاقة الحاليّة ، ومن علاقة المحلية قول الشاعر :

=

ففى رحمة الله)(١) أى فى الجنة .

علاقة الآلية : ومنها تسمية الشىء باسم آلته(٢) كقوله(٣) تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) أى بلغة قومه ، وقوله(٤) تعالى (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى ذكراً جميلا وثناء حسناً .

وكذا غير ذلك مما يشن معنى اللفظ وما هو موضوع له تعلق سوى التشبيه(٥)

قال صاحب المفتاح(٦) وللتعلق بين الصارف عن فعل الشىء والداعى إلى تركه(٧) يحتمل عندى أن يكون المراد بمنعك فى قوله ٨) تعالى (ما منعك ألا تسجد إذ

= إن العدو وإن تقادم عهده   فالحقد باق فى الصدور مغيب

ومن علاقة الحالية قول الآخر :

المبا على معن وقولا لقبره   سقتك الغوادى مربعاً بعد مربع

(١) آية ١٠٧ سورة ٣

(٢) هذه تسمى علاقة الآلية ، والفرق بين الآلة والسبب أن الآلة هى مابه يفعل الشىء ، أما السبب فما به وجود الشىء ، فاللسان فى الآية يقال إنه آلة اللغة ، ولا يقال إنه سببها ، وهكذا .

(٣) آية ٤ سورة ١٤

(٤) آية ٨٤ سورة ٢٦

(٥) من ذلك علاقة اللزوم وعلاقة الإطلاق والتقييد وعلاقة العموم والخصوص وغير ذلك من العلاقات ، وقد تكون العلاقة الضدية ، كما فى تسمية الصحراء المهلكة مفازة وتسمية الجريح واللديغ سليما ، ومن ذلك قول الشاعر :

يشكو إذا شد له حزامه   شكوى سليم ذربت كلامه

(٦) ١٩٦ — المفتاح .

(٧) التعلق بينهما هو تعلق الضدية ، لأن الصارف هو المانع والداعى هو السبب وكل من المانع والسبب يضاد الآخر ، وعلى هذا يكون إطلاق — منعك — على — دعك — علاقته الضدية .

(٨) آية ١٢ سورة ٧

أمرتك } دعاك ، و ـ لا ـ غير صلة قرينة المجاز(١) وكذا { ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن(٢) } وقال الراغب رحمه الله : قال بعض المفسرين : إن معنى ما منعك ما حماك وجعلك في منعة منى في ترك السجود أى في معاقبة تركه ، وقد استبعد ذلك بعضهم بأن قال : لو كان كذا لم يكن يجيب بأن يقول { أنا خير منه } فإن ذلك ليس بجواب السؤال على ذلك الوجه ، وإنما هو جواب من قيل له : ما منعك أن تسجد ؟ ويمكن أن يقال في جواب ذلك : إن إبليس لما كان ألزم مالم يجد سبيلا إلى الجواب عنه ـ إذ لم يكن له من كالىء يحرسه ويحميه ـ عدل عما كان جوابا ، كما يفعل المأخوذ بكظمه في المناظرة ـ انتهى كلامه(٣) .

المرسل الخالى عن الفائدة والمفيد : يقسم الشيخ صاحب المفتاح(٤) المجاز المرسل إلى خال عن الفائدة ومفيد ، وجعل الخالى عن الفائدة ما استعمل في أعم مما هو موضوع له ، كالمرسل في قول العجاج :

وفاحما ومرسنا مسرجا(٥)

فإنه مستعمل في الأنف لابقيد كونه المرسون(٧) مع كونه موضوعاً له بهذا القيد

---

(١) يعنى أن ـ لا ـ على هذا تكون غير زائدة ، وتكون قرينة على أن المراد يمنعك دعاك .

(٢) آية ٩٢ سورة ٢٠

(٣) الأظهر عندى أن يكون تقدير الآية ما منعك فى ألا تسجد ، أى فى تركك السجود ، فتكون الآية على تقدير فى لا من . وعلى هذا يبقى منعك على ظاهره ، وتكون ـ لا ـ أصلية لا زائدة . والمعنى ما سبب امتناعك فى تركك السجود .

(٤) ١٩٤ ـ المفتاح .

(٥) قد سبق هذا البيت فى الكلام على الغرابة فى الكلمة من المقدمة فى الجزء الأول

(٦) المرسون اسم مفعول من ـ رسن الدابة ـ بمعنى جعل رأسها فى الرسن وهو الحبل المعروف .

لا مطلقاً ، وكالمشفر(١) في نحو قولنا ـ فلان غليظ المشافر ـ إذا قامت قرينة على أن المراد هو الشفة لا غير ، وقال : سُمِّيَ هذا الضرب غير مفيد لقيامه مقام أحد المترادفين من نحو — ليث وأسد وحبس ومنع — عند المصير إلى المراد منه(٢) ويُراد بالمفيد ما عدا الخالى عن الفائدة والاستعارة كما مر .

والشيخ عبد القاهر رحمه الله(٣) جعل الخالى عن الفائدة ما استعمل في شيء بقيد مع كونه موضوعا لذلك الشيء بقيد آخر من غير قصد التشبيه ، ومثّله ببعض ما مثله الشيخ صاحب المفتاح؛ ونحوه مصرحاً بأن الشفة والأنف موضوعان للعضوين المخصوصين من الإنسان(٤) فإن قصد التشبيه صار اللفظ استعارة(٥) كقولهم في مواضع الذم — غليظ المشفر - فإنه بمنزلة أن يقال — كأن شفته في الغلظ مشفر البعير — وعليه قول الفرزدق :

فلو كنت ضبِّياً عرفتَ قرابتى ولـكنَّ زنجيٌّ غليظ المشافر(٦)

أى ولـكنك زنجى كأنه جمل لا يهتدى لشرف .

---

(١) فهو موضوع لشفة البعير لا مطلقاً .

(٢) فيكون استعماله كاستعمال الحقيقة في خلوها عن مزية البلاغة .

(٣) ٣٦ : أسرار البلاغة .

(٤) أما السكاكى فيجعلهما موضوعين لهذين العضوين من الإنسان وغيره ، وبهذا يكون استعمال الرسن والمشفر فيهما من استعمال القيد في المطلق عند السكاكى ، ومن استعمال المقيد في مقيد آخر من جانسه عند عبد القاهر ، والخطب في ذلك سهل ، ويمكن جعل الخالى عن الفائدة بحيث يشمل كلا من الاستعمالين .

(٥) وإذا صار استعارة كان مفيداً ، لأن المجاز غير المقيد خاص بالمرسل .

(٦) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق يخاطب أيوب بن عيسى الضبى ، وكان قد حبسه فقال ذلك يهجوه ويطعن في نسبه من جهة أمه بنت يسار مولى عبد الله بن كريز وقد روى — ولـكن زنجيا — على حذف الخبر أى لا يعرف قرابتى ، أو ولـكن بك زنجيا أى يشبهك ، وقد حذف على الأول اسم لـكن وهو قليل ، وصواب الرواية — غليظاً مشافره .

وكذا قول الحطيئة يخاطب الزِّبْرِقان :

قرَوْا جارك العيْمانَ لما جفوتهُ وقلّص عن بَرْدِ الشراب مشافره(١)

فإنه وإن عنى نفسه بالجار جاز أن يقصد إلى وصف نفسه بنوع من سوء الحال ليزيد في التهكم بالزبرقان ، ويؤكد ما قصده من رميه بإضاعة الضيف وإسلامه للضر والبؤس وكذا قول الآخر :

سأمْنَعُها أو سوف أجعل أمرَها إلى ملكٍ أظلافه لم تشقّق(٢)

الاستعارة التصريحية : الضرب الثاني من المجاز الاستعارة ، وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له(٣) وقد تُقيَّدُ بالتحقيقية(٤) لتحقّق معناها(٥) حساً أو

---

(١) هو جرول بن أوس المعروف بالحطيئة ، وقوله — قروا — بمعنى أضافوا ، لأن القرى طعام الضيف ، والعيمان العطشان إلى اللبن ، وقوله ـ قلص ـ بمعنى انقبض وانكمش من تأثير البرد ، يعني أنه لم يجد عنده إلا الماء .

(٢) هو لعقفان بن قيس بن عاصم ، وقيل للأخطل ، والأظلاف جمع ظلف وهو لما اجترّ من الحيوان كالظفر للإنسان ، وهذا في حد التشبيه والاستعارة أيضاً ، لأن المعنى على أن الأظلاف لمن تزيا بالملك عن مشابهة ، كأنه قال : أجعل أمرها إلى ملك لا إلى عبد جاف مشقق الأظلاف .

(٣) المراد بمعناه المعنى المجازي ، وهي مدلول المشبه . وإنما اكتفى بهذا القدر في تعريف الاستعارة التصريحية مع أنه يشمل الاستعارة المكنية والتخييلية عند غيره ، لأن — ما — في التعريف واقعة على لفظ ، وكل من المكنية والتخييلية عنده ليس بلفظ كما سيأتي ، فهما خارجان عن جنس التعريف عنده ، والتصريحية يحذف فيها لفظ المشبه ويستعار له لفظ المشبه به .

(٤) لتتميز بهذا عن المكنية والتخييلية ، لأن كلا منهما عنده ليس بلفظ فلا يكون محقق المعنى ، وعلى مذهب غيره تكون المكنية من التحقيقية ، وسيأتي تفصيل خلافهم في ذلك .

(٥) يعني به المعنى المجازي كما سبق ، والمراد بالحسي هنا الحقيقي فلا يدخل فيه الخيالي =

عقلا ، أى التى تتناول أمراً معلوماً يمكن أن يُنص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال: إن اللفظ نُقل من مسماه الأصلي فجعل اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة فى التشبيه .

أما الحسى فقولك — رأيت أسداً — وأنت تريد رجلا شجاعا ، وعليه قول زُهير :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف(١)

أى لدى رجل شجاع

ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه فيه فى الحركات ، كقول أبى دلامة يصف بغلته :

أرى الشهباء تعجن إذ غدونا برجليها وتخبز باليدين(٢)

شبَّه حركة رجليها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه وهوتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدى العاجن ، فإنهما لا تثبتان فى موضع ، بل تزلاّن إلى قدّام لرخاوة العجين ، وشبه حركة يديها بحركة يد الخابز فإنه يثنى يده نحو بطنه ويحدث فيها ضربا

= بل يدخل فى الوهمى ويكون من قسم الاستعارة التخييليه ، والمراد بالعقلى ما يشمل الوجدانى كما سيأتى فى قوله تعالى ﴿ فأذاقها اللهُ لباس الجوع والخوف ﴾ آية ١١٢ سورة ١٦

(١) هو من قول زهير بن أبى سُلمى فى معلقته :

فشدَّ فلم يفزعْ بيوتاً كثيرةً لدى حيثُ ألقتْ رحلها أمُّ قشعم
لدى أسدٍ شاكى السلاحِ مقذَّفٍ له لبدٌ أظفارُهُ لم تُقلَّمِ

والضمير فى قوله — فشد — لحصين بن ضمضم ، وأم قشعم كنية المنية ، وشاكى السلاح تامة وقوية من الشوكة وهى القوة وفيه قلب مكانى ، والمقذف الذى يرمى به كثيراً فى الوقائع أو الذى قذف باللحم ، واللبد الشعر المجتمع بين كتفى الأسد .

(٢) هو لزيد بن الجون المعروف بأبى دلامة ، وقوله — غدونا — بمعنى دخلنا الغداة وهى أول النهار ، وهو يصف بغلته بالرداءة ، ورواية كتاب أسرار البلاغة — باليمين — بدل اليدين .

من التقويس ، كما تجد في يد الدابة إذا اضطربت في سيرها ولم تقو على ضبط يدها وأن ترمي بها إلى قدام ، وأن تشد اعتمادها حتى تثبت في الموضع الذي تقع عليه فلا تزل عنه ولا تنثنى .

وأما العقلي فكقولك — أبديت نوراً — وأنت تريد حجة ، فإن الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس ، إذ المفهوم من الألفاظ هو الذي ينور القلب ويكشف عن الحق لا الألفاظ أنفسها ، وعليه قوله[1] عز وجل ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أي الدين الحق ، وأما قوله[2] تعالى : ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾ فعلى ظاهر قول الشيخ جار الله العلامة[3] استعارة عقلية ، لأنه قال : شبه باللباس لاشتماله على اللابس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث . وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح : حسية ، لأنه جعل اللباس استعارة لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون ورثاثة الهيئة[4] .

فالاستعارة ما تضمن تشبيه معناه بما وضع له[5] والمراد بمعناه ما عنى به أي ما استعمل فيه[6] فلم يتناول ما استعمل فيما وضع له وإن تضمن التشبيه به ، نحو — زيد أسد ، ورأيته أسداً —

---

(١) آية ٦ سورة ١

(٢) آية ١١٢ سورة ١٦

(٣) هو الزمخشري ، وإنما جعل ذلك ظاهرة لا صريحة لأنه جعل المشبه ما غشي الإنسان من بعض الحوادث ، فيجوز أن يكون مراده ما يحصل من الجوع والخوف من الضرر ويجوز أن يكون مراده ما يحصل من امتقاع اللون ورثاثة الهيئة كما ذهب إليه السكاكي ، وقد شبه ما يلبس الإنسان من ذلك بطعوم مكروه وأسند إليه الإذاقة ، ويجوز أن يكون — لباس الجوع والخوف — من إضافة المشبه به إلى المشبه .

(٤) ٢٠١ — المفتاح

(٥) إنما أعاد تعريف الاستعارة ليرتب عليه الفرق بينها وبين التشبيه المحذوف الأداة .

(٦) هو المعنى المجازي للرجل الشجاع في قولك « رأيت أسداً يحارب » .

ونحو — رأيت به أسدا(١) لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه(٢) على أن المراد بقولنا — ما تضمن — مجاز تضمن ، بقرينة تقسيم المجاز إلى الاستعارة وغيرها ، والمجاز لا يكون مستعملا فيما وضع له .

الفرق بين الاستعارة والتشبيه المؤكد : وها هنا شيء لابدّ من التنبيه عليه ، وهو أنه إذا أجْرِيَ في الكلام لفظ دلت القرينة(٣) على تشبيه شيء بمعناه فيكون ذلك على وجهين :

أحدها ألاّ يكونَ المشبه مذكوراً ولا مُقدّراً ، كقولك — عنّتْ لناظبية — وأنت تريد امرأة ، و — لقيت أسدا — وأنت تريد رجلا شجاعا ، ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه وأن الاسم فيه استعارة .

والثاني أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدراً(٤) فاسم المشبه به إن كان خبرا أو في حكم الخبر كخبر — كان وإن والمفعول الثاني لباب علمت والحال — فالأصح أنه يسمى تشبيها وأن الاسم فيه لا يسمى استعارة ، لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع فالكلام موضوع لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه . فإذا قلت — زيد أسد — فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه ، فيكون خليقا بأن يسمى تشبيها إذ كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى ، فإن الاسم فيها لم يجتلب لإثبات معناه للشيء ، كما إذا قلت — جاءني أسد ، ورأيت أسدا — فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء وانما من الأسد والرؤية واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد لشيء، فلم يكن

---

(١) هذا المثال يفترق عن سابقيه بأنه من التجريد الذى ينبيء عن التشبيه .

(٢) لأن المعنى المستعمل فيه اللفظ هنا هو المعنى الموضوع له لا المعنى المجازي ، فلو تناوله تعريف الاستعارة لزوم تشبيه الشيء بنفسه لاتحاد المعنى الاستعمالى والمعنى الوضعى فيه.

(٣) المراد بالقرينة هنا السياق لا قرينة المجاز لأنه سيدخل فيه التشبيه المؤكد .

(٤) كقوله تعالى (صمٌّ بكمٌ عميٌ) آية ١٨ سورة ٢ . أي هم صم الخ .

ذكر المشبه به لإثبات التشبيه ، وصار قصد التشبيه مكنوناً فى الضمير ، لا يعلمُ إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر . ووجه آخر فى كون التشبيه مكنوناً فى الضمير ، وهو أنه إذا لم يكن المشبه مذكوراً جاز أن يتوهم السامع فى ظاهر الحال أن المراد بإسم المشبه به ما هو موضوع له ، فلا يعلمُ قصد التشبيه فيه إلا بعد شيء من التأمل ، بخلاف الحالة الثانية ، فإنه يمتنع ذلك فيه مع كون المشبه مذكوراً أو مقدراً .

ومن الناس[1] من ذهب إلى أن الاسم فى الحالة الثانية استعارة لإجرائه على المشبه مع حذف كلمة التشبيه[2] وهذا الخلاف لفظى راجع إلى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه فى الاصطلاح[3] وما اخترناه هو الأقرب لما أوضحناه من المناسبة ، وهو اختيار المحققين كالقاضى أبى الحسن الجرجانى والشيخ عبد القادر والشيخ جار الله العلامة والشيخ صاحب المفتاح[4] رحمهم الله ، غير أن الشيخ عبد القاهر قال : بعد تقرير ما ذكرناه[5] فإن أبيت إلا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة ، كقولك ـ زيد الأسد ، وهو شمس النهار ـ فإنه يحسن أن يقال ـ زيد كالأسد ، وخلته شمس النهار ـ وإ ، حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب فى إطلاقه ، وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك ـ زيد أسد ـ فإنه لا يحسن أن يقال زيد

---

(1) كأبى هلال العسكرى والآمدى والخفاجى

(2) أى أداته

(3) فإذا عرفت الاستعارة بما تضمن تشبيه معناه بما وضع له لم يدخل فيها الاسم فى الحالة الثانية ، وإذا عرفت بأنها ما بنى التشبيه فيها على حذف الأداة ودعوى الاتحاد دخل فيها الاسم فى الحالة الثانية ، لأن هذا المعنى يشمله ، وكذلك يقال نظير هذا فى تعريف التشبيه . وما كان أغنى علماء البيان عن التطويل فى مثل هذا الخلاف اللفظى .

(4) ٨٩ المفتاح

(5) ٢٧٣ ـ أسرار البلاغة

كأسد(١) ويحسن أن يقال ـ كأن زيداً أسد ، ووجدته أسداً(٢) . وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير لصورة الكلام كان إطلاقه أقرب ، لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ، كقولك ـ فلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب ـ وكقوله :

شمسٌ تألقُ والفراقُ غروبُها عنا وبدرٌ والصدودُ كسوفُهُ(٣)

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة ونحوها إلا بتغيير صورته(٤) كقولك ـ هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنه لا يغيب ، وكالشمس المتألقة إلا أن الفراق غروبها ، وكالبدر إلا أن الصدود كسوفه ـ وقد يكون في الصفات والصلات التي تجيء في هذا النحو ما يحيل تقدير أداة التشبيه فيه فيقرب إطلاقه أكثر ، وذلك مثل قول أبي الطيب :

---

(١) لأن معناه تشبيه زيد بفرد من أفراد الأسد ، وهذا غير مقصود في تشبيهه به ، وإنما المقصود تشبيهه بحقيقة الأسد وجنسه ، ولهذا يحسن في حال التعريف دخول الأداة ليكون المقصود التشبيه لادعوى الاتحاد لبعدها حينئذ ، ويحسن في حال التنكير عدم دخولها ليكون المقصود أنه فرد من أفراد الأسد لا تشبيهه بفرد منه .

(٢) لأن ـ كأن ونحوها ـ ليست نصاً في التشبيه كالكاف ، وهذه كلها فروق متكلفة ، ولهذا كان الحق أن كل هذا من التشبيه بلا فرق بين كون اسم المشبه به معرفة أو نكرة .

(٣) هو للبحتري في مدح الفتح بن خاقان ، وقوله ـ تألق ـ أصله تتألق بمعنى تلمع ، والصدود الإعراض ، والكسوف قد يطلق على احتجاب القمر كما يطلق على احتجاب الشمس .

(٤) اعترض عليه بأنه يجوز في ذلك أن يقال هو ـ كبدر يسكن الأرض ـ من غير تغيير ، ويكون المشبه خياليا كما سبق في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب ، ويمكن أن يجاب عنه بأن عبد القاهر لم يدع إلا أنه لا يحسن دخول الأداة إلا مع التغيير ولم يمنع جواز دخولها بغير تغيير .

أسدٌ دمُ الأسدِ الهِزَبْرِ خضابُهُ   موتٌ فريصُ الموتِ منه يُرْعَدُ(١)

فإنه لا سبيل إلى أن يقال — المعنى هو كالأسد وكالموت لما في ذلك من التناقض ، لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم الهزبر الذى هو أقوى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لايصح أن يشبَّه بالموت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه(٢) . وكذا قول البحترى :

وبدرٌ أضاء الأرض شرقاً ومغرباً   وموْضعُ رجلى منه أسودُ مظلمُ(٣)

إن رُجع فيه إلى التشبيه الساذج — حتى يكون المعنى هو كالبدر — لزم أن يكون قد جعل البدر المعروف موصوفاً بما ليس فيه(٤) فظهر أنه إنما أراد أن يثبت من الممدوح بدراً له هذه الصفة العجيبة التى لم تعرف للبدر ، فهو مبنىٌّ على تخيل أنه زاد فى جنس البدر واحداً له تلك الصفة ، فالكلام موضوع لا لإثبات الشبه بينهما ولكن لإثبات تلك الصفة ، فهو كقولك — زيد رجل كيت وكيت — لم تقصد إثبات كونه رجلا لكن إثبات كونه متصفاً بما ذكرت ، فإذا لم يكن اسم المشبه به

(١) أسد خبر لمبتدأ محذوف أى هو أسد ، يعنى ممدوحه شجاع بن محمد الطائى ، والهزبر الشديد الصلب ، والخضاب الحناء ، والفريص واحده فريصة وهى لحمة بين الثدى والكتف أو بين الجنب والكتف .

(٢) قد يقال إنه يجوز ان يقال ذلك بعد التصريح بالأداة فى الموضعين على أنه إضراب عما يفيده التشبيه من أنه أنقص من المشبه به ، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن عبد القاهر لا يدعى الاستحالة العقلية حتى يمتنع معها هذا التقدير أو نحوه .

(٣) البيت معطوف على قوله قبله فى مدح الفتح بن خاقان :

وما منع الفتحُ بن خاقان نيلهُ   ولكنها الأقدار تعطى وتحرمُ

سحابٌ خطانى جودُه وهو مسبل   وبحر عدانى فيضه وهو مفعم

ورجلى بالجيم ، وروى — رحلى — بالحاء : وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج ، وهذا كناية عن حرمانه منه مع عموم نفعه للناس .

(٤) هو عدم إضاءة موضع رجله .

فى البيت مجتلباً لإثبات الشبه تبين أنه خارج عن الأصل الذى تقدم[1] من كون الاسم مجتلباً لإثبات الشبه ، فالكلام فيه مبنى على أن كون الممدوح بدراً أمر قد استقر وثبت ، وإنما العمل فى إثبات الصفة الغريبة[2] .

وكما يمنع دخول الكاف فى هذا ونحوه[3] يمتنع دخول - كأن - ونحوه - تحسب - لاقتضائهما[4] أن يكون الخبر والمفعول الثانى أمراً ثابتاً فى الجملة[5] إلا أن كونه متعلقاً بالاسم والمفعول الأول مشكوك فيه كقولنا - كأن زيداً منطلق - أو خلاف الظاهر ، كقولنا - كأن زيداً أسد[6] والنكرة بما نحن فيه غير ثابتة[7] فدخول - كأن وتحسب - عليها كالقياس على المجهول وأيضاً هذا الجنس إذا فليت عن سره وجدت محصوله أنك تدعى حدوث شىء هو من الجنس المذكور

---

(١) أى فى الوجه الأول من الوجهين اللذين فرق بهما بين الاستعارة والتشبيه المؤكد .

(٢) اعترض عليه بأن كل هذا لايمنع أن يقال - هو كبدر بهذه الصفة - على نحو ما سبق فى تشبيه الفحم ، وقد عرفت أن عبد القاهر لا يدعى الاستحالة التى يمتنع معها مثل هذا التقدير . ولكنك قد عرفت أن الحق أن كل هذا تشبيه لا استعارة .

(٣) اسم الإشارة عائد إلى ما يقترن بالصفات والصلات التى تحيل تقدير أداة التشبيه .

(٤) أى كأن وتحسب .

(٥) يعنى بهذا كونه معروفا غير مجهول .

(٦) إنما اقتضت - كأن - فى المثال الأول الشك وفى الثانى خلاف الظاهر لأن خبرها فى الأول مشتق دون الثانى .

(٧) يريد بما نحن فيه ما يقترن بالصفات والصلات السابقة ، ويعنى بكونها غير ثابتة أنها غير معلومة .

إلا أنه اختص بصلة عجيبة لم يتوهم جوازها على ذلك الجنس[1] ، فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى[2] .

التجريد ليس استعارة ولا تشبيها : وإن لم يكن اسم المشبه به خبراً للمشبه ولا في حكم الخبر[3] كقولهم ـ رأيت بفلان أسداً ، ولقيني منه أسد ـ سمي تجريداً ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى[4] ولم يسم استعارة ، لأنه إنما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى بوجه على ما يدعى أنه مستعار له إما باستعماله فيه أو بإثبات معناه له[5] والاسم في مثل هذا غير جار على المشبه بوجه ولأنه يجيء على هذه الطريقة[6] ما لا يتصور فيه التشبيه فيظن أنه استعارة[7] كقوله[8] تعالى: ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد إذ هي نفسها دار الخلد[9] وقول الشاعر :

يا خير من يركب المطي ولا يشرب كأساً بكف من بخلا[10]

فإنه لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس ببخيل .

---

(1) فكأنك في بيت البحتري مثلا تقول ما كنا نتوهم أن هنا بدراً يضيء شرقاً وغرباً دون موضع رجلي .

(2) لأنه خارج على قاعدة التشبيه ، لأنك في بيت البحتري مثلا كأنك تقول ـ أشبهه ببدر حدث مخالفاً للبدور ماكان يعرف ـ وليس لمثل هذا معنى ، ولا يخفى أن عبد القاهر يتكلف هذا كله مجاراة لمن يأبى إلا أن يطلق على ذلك القسم اسم الاستعارة ، فهو عنده في الحقيقة من التشبيه .

(3) هذا معطوف على قوله فيما سبق في ص ـ ١٠٧ ـ فاسم المشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر ـ فهو مقابل له (4) في علم البديع

(5) يعني باستعماله فيه نحو قولك ـ رأيت أسداً يحارب ـ ويعني بإثباته له نحو قولك زيد أسد ـ على القول بأنه استعارة (6) يعني طريقة التجريد .

(7) الفاء في قوله ـ فيظن ـ للتفريع على النفي لا على المنفي

(8) آية ٢٨ سورة ٤١ .

(9) فلا يكون من التشبيه لأن مبناه على المغايرة بين المشبه والمشبه به ، فلا يصح تشبيه الشيء بنفسه .

(10) سيأتي هذا البيت في الكلام على التجريد في علم البديع .

ولا يسمى[1] تشبيها أيضا ، لأن اسم المشبه به لم يجتلب فيه لإثبات التشبيه كما سبق ، وعده الشيخ صاحب المفتاح تشبيها[2] والخلاف أيضا لفظي[3]

الاستعارة مجاز لغوى لا عقلى : والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوى كونها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لأمر أعمّ منهما، كالأسد فإنه موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا للشجاع مطلقا ، لأنه لو كان موضوعاً لأحدهما لكان استعماله فى الرجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه ، وأيضا لو كان موضوعا للشجاع مطلقا لكان وصفا لا اسم جنس .

وقيل : الاستعارة مجاز عقلى بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى لا لغوى[4] لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به ، لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة — كيزيد ويشكر — استعارة ، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة فى إطلاق الإسم المجرد عاريا عن معناه ، ولما صح أن يقال لمن قال — رأيت أسداً — يعنى زيدا إنه جعله أسداً ، كما لا يقال لمن يسمى ولده أسدا إنه جعله أسدا ، لأن — جعل — إذا تعدى إلى مفعولين كان بمعنى صيّر فأفاد إثبات صفة للشيء ، فلا تقول — جعلته أميراً — إلا على معنى أنك أثبتّ له صفة الإمارة ،

---

(١) أى ما قيل إنه تجريد .

(٢) ١٨٩ — المفتاح — ويجب أن يقيد ذلك بما يمكن أن يُعدّ تشبيها ، فلا يدخل فيه نحو (لهم فيها دار الخلد)

(٣) لأنه ينبنى على تقييد تعريف التشبيه بما لا يكون على سبيل التجريد وعدم تقييده بذلك ، والأقرب كما سبق فى تعريف التشبيه أن يعد منه ما ينبىء عن التشبيه من التجريد ، ويكون من التشبيه المؤكد .

(٤) هذا أيضا خلاف لفظى كالخلاف السابق فى التشبيه المؤكد أنه استعارة أولا ، ولا معنى للاشتغال بمثل ذلك فى علم البيان ، ويريد بقوله — بمعنى أن التصرف الخ — أن المجاز العقلى هنا غير المجاز العقلى السابق فى باب الإسناد الخبرى من علم المعانى .

وعليه قوله(١) تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ﴾ المعنى أنهم أثبتوا صفة الأنوثة ، واعتقدوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم للملائكة إطلاق اسم الإناث عليهم ، لا أنهم أطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم ، بدليل قوله تعالى ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾

وإذا كان نقل الاسم تبعا لنقل المعنى كان الاسم مستعملا فيما وضع له . ولهذا صح التعجب في قول ابن العميد :

قامت تظللني من الشمس ... نفسٌ أعز عليَّ من نفسي
قامت تظللني ومن عجبٍ ... شمسٌ تظللني من الشمس(٢)

والنهي عنه في قول الآخر :

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زرَّ أزرارهُ على القمر(٣)

وقوله :

ترى الثياب من الكتان تلمحها ... نورٌ من البدر أحياناً فيُبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها ... والبدرُ في كلِّ وقت طالعٌ فيها(٤)

---

(١) آية ١٩ سورة ٤٣

(٢) هما لأبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد يصف غلاماً جميلاقام على رأسه يظلله من الشمس ، وإنما أنث الضمير فى ـ قامت ـ لإسناده إلى نفس

(٣) هو لأبى الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوى الخراسانى ، والبلى الفساد ، والغلالة ثوب صغير يلاقى البدن يلبس تحت ثوب أوسع منه ، وقوله ـ زر ـ بمعنى شد ، والاستعارة فى إطلاق القمر على محبوبه ، ولا ينافى الاستعارة ذكر المشبه فى البيت ، لأن الذى ينافيها ذكره على وجه ينبىء عن التشبيه بأن يكون المشبه به خبراً عن المشبه أو نحوه مما سبق ، وجملة ـ قد زر الخ ـ مسوقة للتعليل . لأنهم يزعمون أن ثياب الكتان يسرع اليها البلى عند بروزها للقمر كما سيأتى فى البيتين بعده .

(٤) هما لأبى المطاع ذى القرنين بن ناصر الدولة الحمدانى ، وقوله ـ يبليها ـ بمعنى يُخلقها . والمعاجر جمع معجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها ، والاستعارة فى إطلاق البدر على صاحبة المعاجر .

والجواب عنه أن ادعاء دخول المشبه فى جلس المشبه به لا يخرج اللفظ عن كونه مستعملا فى غير ما وضع له ، وأما التعجب والنهى عنه فيما ذكر فلبناء الاستعارة على تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة .

التوفيق بين الادعاء فى الاستعارة والقرينة المانعة : فإن قيل إصرار المتكلم على ادعاء الأسدية للرجل ينافى نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، قلنا : لا منافاة ، ووجه التوفيق هو ما ذكره السكاكى(١) وهو أن تبنى دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الأسد قسمان بطريق التأويل : متعارف وهو الذى له غاية الجرأة ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة(٢) . وغير متعارف وهو الذى له تلك الجرأة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى(٣) على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء فى عدّ نفسه وجماعته من جنس الجن وعدّ جماله من جنس الطير للتبنى حين قال :

نحن قومٌ ملجنّ فى زىّ ناس ... فوق طير لها شخوصُ الجمالِ(٤)

مستشهداً لدعواك هاتيك(٥) بالمخيلات العرفية . وأن تخصّص(٦) القرينة بنفيها

---

(١) ١٩٨ — المفتاح

(٢) هى صورة الحيوان المفترس .

(٣) هى صورة الأسد غير المفترس .

(٤) قوله — ملجن — جار ومجرور أى من الجن ، والاستعارة فى إطلاق الطير على الجمال . أما قوله — نحن قوم ملجن — فتشبيه لا استعارة ، وقيل : إن فى البيت قلباً . والأصل نحن قوم من الإنس فى زى الجن فوق جمال لها شخوص الطير ، والحق أنه لا قلب وأنه يريد المبالغة .

(٥) يعنى دعواك الأسدية للرجل ، فقوله — مستشهداً — حال من فاعل تبنى فى قول السكاكى — وهو أن تبنى دعوى الأسدية الخ وعبارته فى المفتاح — مستشهداً لدعواك هاتيك بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة ، من نحو حكمهم إذا رأوا أسداً هرب من ذئب أنه ليس بأسد ، وإذا رأوا إنساناً لا يقاومه أحد أنه ليس بإنسان وإنما هو أسد .

(٦) معطوف على قوله « أن تبنى دعوى الأسدية » .

المتعارفَ الذي يسبق إلى الفهم(١) ليتعين الآخر(٢) .

ومن البناء على هذا التنويع(٣) قوله :

تحية بينهم ضرب وجيع(٤)

وقولهم — عتابُكَ السيفُ — وقوله(٥) تعالى ﴿ يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون، إلاّ منْ أتى اللهَ بقلبٍ سليم ﴾ ومنه قوله :

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ(٦)

---

(١) هو صورة الحيوان المفترس .

(٢) هو صورة الأسد غير المفترس، وحينئذ لا يكون هناك منافاة بين الإصرار على دعوى الأسدية ونصب القرينة على عدم إرادتها، لأن ما يُصِرُّ عليه غير ما تمنعُ إرادته .

(٣) يعنى تنويع الشيء إلى متعارف وغير متعارف .

(٤) هو من قول عمرو بن معد يكرب :

وخيلٍ قدْ دلفتُ لها بخيلٍ تحيَّةُ بينِهمْ ضربٌ وجيعُ

والمراد بالخيل أصحابها على طريق المجاز المرسل ، وقوله — دلفت — بمعنى نهضت ، والشاهد فى جعله للتحية نوعا آخر غير المتعارف فيها وهو الضرب الوجيع ، ووصف الضرب بالوجيع مجاز ، ويجوز أن يكون بمعنى موجع ، وقد قيل : إن هذا من التشبيه المقلوب على معنى أن ضربهم الوجيع كتحية لهم ، والحق أنه من باب التنويع ، وهو ادعاء أن مسمى اللفظ نوعان : متعارف وغير متعارف على طريق التخييل بأن ينزل ما يقع فى موقع شيء بدلا عن منزلته . فالمقصود نفى ما صدر به ، يعنى لا تحية بينهم ، والتشبيه لا يفيد هذا المعنى ، بل يعكسه ويفسده .

(٥) آية ٨٨ ، ٨٩ سورة ٢٦

(٦) هو لجران العود عامر بن الحارث النميرى ، واليعافير جمع يعفور وهو ولد البقرة . والعيس جمع أعيس وهى الإبل التى يخالط بياضها صفرة ، والشاهد فى جعله للأنيس نوعا غير متعارف وهو اليعافير والعيس ، وقد اعترض على هذا بأنه استثناء منقطع لا يقدر فيه دخول المستثنى فى المستثنى منه ، وكذلك الآية قبله ، فلا يدخلان فى ذلك التنويع . ورواية الديوان :

بسابساً ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

الفرق بين الاستعارة والكذب : وإذ قد عرفت معنى الاستعارة وأنها مجاز لغوى ، فاعلم أن الاستعارة تفارق الكذب من وجهين : بناء الدعوى فيها على التأويل[1] ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها . فإن الكذب يتبرأ من التأويل ، ولا ينصب دليلا خلاف زعمه .

الاستعارة لا تدخل فى الأعلام . وأنها لا تدخل فى الأعلام[2] لما سبق من أنها تعتمد إدخال المشبه فى جنس المشبه به والعلمية تنافى الجنسية ، وأيضاً لأن العلم لا يدل إلا على تعين شىء من غير إشعار بأنه إنسان أو فرس أو غيرهما ، فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا فى مجرد التعيين ونحوه من العوارض العامة التى لا يكفى شىء منها جامعاً فى الاستعارة ، اللهم إلا إذا تضمن نوع وصفية لسبب خارج ، كتضمن اسم حاتم الجود ومادر البخيل وما جرى مجراهما[3] .

قرينة الاستعارة : وقرينة الاستعارة إما معنى واحد ، كقولك — رأيت أسداً يرمى — أو أكثر[4] كقول بعض العرب :

فإن تعافوا العدل والإيمانا فإن فى أيماننا نيرانا[5]

---

(1) يعنى بالتأويل التجوز واعتبار العلاقة والكذب ليس فيه هذا التأويل ، فهو يدخل فى تعريف الحقيقة .

(2) المراد الأعلام الشخصية ، لأن الأعلام الجنسية فيها عموم كأسماء الأجناس فتصح الاستعارة فيها ، وهذا كقولك — رأيت أسامة له لبد يحارب .

(3) فإذا قلت عند رؤيتك جواداً مثلا — رأيت اليوم حاتما — كنت كأنك جعلت حاتماً موضوعا للجواد وجعلت من رأيته فرداً منه ، وعلى هذا تكون الاستعارة أصلية لأنها لم تجر فى مشتق بالفعل ، وقيل إنها تبعية .

(4) هذا مبنى على الراجح من جواز تعدد قرينة الاستعارة ، وقيل : إنها لا تكون إلا واحدة وما عداها ترشيح أو تجريد كما سيأتى .

(5) قوله — تعافوا — بمعنى تكرهوا ، والإيمان يراد به الإسلام .

أى بجيوفا تتلمع كأنها تشعل نيران، كما قال الآخر :

ناهضتهم والبارقات كأنها شعل على أيديهم تتلهب(١)

فقوله — تمافوا — باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل وتعلقه بالإيمان قرينة لذلك(٢) لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف، أو معان مربوط بعضها ببعض(٣) كما فى قول البحترى :

وصاعقة من نصله تنكفى بها على أرؤس الأقران خمس سحائب(٤)

عنى بخمس سحائب أنامل الممدوح، فذكر أن هناك صاعقة، ثم قال — من نصله — فبيّن أنها من نصل سيفه. ثم قال — على أرؤس الأقران — ثم قال — خمس — فذكر عدد أصابع اليد، فبان من مجموع ذلك غرضه(٥).

---

(١) هو للبحترى فى مدح إسحاق بن إبراهيم، والتاء فى — ناهضتهم — لخطاب ممدوحه، والبارقات السيوف، وقوله — تتلهب — بمعنى تتوقد، والشاهد فى جعله السيوف شعلا كما جعلها الأول نيرانا، وإن كان ما هنا تشبيها وما هناك استعارة.

(٢) الأولى أن يجعل كل من العدل والإيمان باعتبار تعلق تمافوا به هو القرينة، لأن القرينة المتعددة لا تكون إلا لفظية والتعلق معنوى.

(٣) فيكون مجموعها قرينة واحدة، وبهذا يخالف ما قرينته معنى واحد أو أكثر.

(٤) يروى — وصاعقة — بالجر على أنها واو رب، ويروى بالرفع على أنه مبتدأ خبره جملة تنكفى، والنصل حد السيف شبهه بالصاعقة لأن من بيانية، وقوله — تنكفى — بمعنى تنقلب، والأقران جمع قرن وهو النظير المكافىء، وقد ضمن مدحه بالشجاعة مدحه بالسخاء إذ جعله فى عموم العطاء كالسحائب، وهذا من الاستتباع الآتى فى علم البديع.

(٥) فلا يكفى فيه بعضه، واعترض على هذا بأنه لو أسقط لفظ الخمس أو غيره لكفى الباقى فى بيان غرضه، وقد قسم السكاكى قرينة الاستعارة إلى القسمين الأولين فقط، وإنى أرى أن هذا التقسيم ليس له كبير فائدة.

تقسيمات الاستعارة : ثم الاستعارة تنقسم باعتبار الطرفين ، وباعتبار الجامع ، وباعتبار الثلاثة، وباعتبار اللفظ ، وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين : أما باعتبار الطرفين فهي قسمان : لأن اجتماعهما في شيء إمّا ممكن أو ممتنع ، واسم الأولى وفاقية ، والثانية عنادية .

الوفاقية : أما الوفاقية فكقوله[1] تعالى ﴿أحييناه﴾ في قوله ﴿أو من كان ميتاً فأحييناهُ﴾ فإن المراد بأحييناه هديناه أى أو من كان ضالا فهديناه والهداية والحياة لا شك في جواز اجتماعهما في شيء[2]

العنادية : وأما العنادية فمنها ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة ، لخلوها مما هو ثمرتها والمقصود منها وما إذا خلت منه لم تستحق الشرف ، كاستعارة اسم المعدوم للموجود إذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله ، فيكون مشاركا للمعدوم في ذلك[3] أو اسم الموجود للمعدوم إذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه ، فيكون مشاركا للموجود في ذلك . أو اسم الميت للحى الجاهل ، لأنه عدم فائدة الحياة والمقصود بها أعنى العلم ، فيكون مشاركا للميت في ذلك ، ولذلك جعل النوم موتاً لأن النائم لا يشعر بما بحضرته كما لا يشعر الميت ، أو للحى العاجز ، لأن العجز كالجهل يحط من

---

(١) آية ١٢٢ سورة ٦

(٢) أما استعارة ميتاً للضال فمن العنادية الآتية . لأن الميت لا يوصف بالضلال إلا باعتبار ما كان لاقتضائه الحياة ، ومن الوفاقية استعارة الحياة لبقاء الذكر في قول الشاعر :

ولقد سموتُ بهمّتى وسَما بها ... طلبى المكارم بالفعال الأفضل
لأنال مكرمة الحياة وربما ... عثر الزمانُ بذى لدهاءِ الأحول

(٣) من هذا قول أبي تمام :

أشبتتُ عتْبة يعوى كى أشاتمهُ ... اللهُ أكبرُ أنيّ استأسد الأسدُ
ما كنتُ أحسب أن الدهر يُمهلنى ... حتى أرى أحداً يهجوه لا أحدُ

الدر الحي[1]

ثم الضدان إن كانا قابلين للشدة والضعف كأن استعارة اسم الأشد للأضعف أولى[2] وكلّ من كان أقل علما وأضعف قوة كان أولى بأن يستعار له اسم الميت ، ولما كان الإدراك أقدم من الفعل فى كونه خاصة للحيوان كان الأقل علماً أولى باسم الميت أو الجماد من الأقل قوة ، وكذا فى جانب الأشد ، فكل من كان أكثر علما كان أولى بأن يقال له إنه حى ، وكذا من كان أشرف علماً ، وعليه قوله[3] تعالى : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه ﴾ فإن العلم بوحدة الله تعالى وما أنزله على نبيه ﷺ أشرف العلوم .

المنادية التهكمية والتمليحية ومنها ما استعمل فى ضد معناه أو نقيضه بتنزيل التضاد أو التناقض[4] منزلة التناسب بواسطة تهكم أو تمليح[5] على ما سبق فى التشبيه كقوله[6] تعالى ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ ويخص هذا النوع باسم التهكمية أو

---

(١) قد يستعار اسم الميت لمن أسقمه الحب ، كقول المتنبى :

فلم أر بدراً ضاحكا قبل وجهها ولم تر قبلي ميتاً يتكلمُ

(٢) أى من استعارته للضعيف ، لأن بعد الأضعف من الأشد أكثر فتكون المبالغة فيه أظهر .

(٣) آية ١٢٢ سورة ٦ والشاهد هنا فى استعارة (أحييناه)

(٤) التضاد هو تقابل الأمرين الوجوديين اللذين لا يجتمعان وقد يرتفعان كالبياض والسواد ، والتناقض تقابل الأمرين اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان وأحدهما وجودى والآخر عدمى كحيوان ولا حيوان .

(٥) قد سبق تعريف التهكم والتمليح فى ص ٨١

(٦) آية ٢١ سورة ٣ — فقد استعيرت فيه البشارة وهى الإخبار بما يسر للإنذار وهو ضدها بإدخاله فى جنسها على سبيل التهكم . ثم اشتق من البشارة بشّر بمعنى أنذرْ .

التمليحية(١) .

أقسام الاستعارة باعتبار الجامع : ما يدخل جامعها فى مفهوم الطرفين :

وأما باعتبار الجامع فهى قسمان أحدهما ما يكون الجامع فيه داخلا فى مفهوم الطرفين(٢) كاستعارة الطيران للعدو ، كما فى قول امرأة من بنى الحارث ترثى قتيلا :

لو يشا طار به ذو ميعة لاحق الآطال نهد ذو خصل(٣)

وكما جاء فى الخبر « كلما سمع هيعة طار إليها(٤) » فإن الطيران والعدو يشتركان فى أمر داخل فى مفهومهما وهو قطع المسافة بسرعة(٥) ولكن الطيران أسرع من العدو ونحوها قول بعض العرب :

فطرت بمنصلي فى يعملات دوامي الأيد يخبطن السريحا(٦)

---

(١) منه قول الشاعر :

سليمان ميمون النقيبة حازم ولكنه وقف عليه الهزائم

وقول أبى تمام :

أنبئت عتبة يعوى كى أشاتمه الله أكبر أنى استأسد الأسد

وفى رواية — النقد بدل الأسد ، وهو جنس من الغنم قبيح .

(٢) بأن يكون جنساً أو فصلا لمفهومهما .

(٣) قوله — يشا — أصله يشاء والضمير فيه لمن ترثيه ، والميعة النشاط ، والآطال جمع إطل وهو الخاصرة ولاحقها ضامرها ، والنهد القوى ، والخصل جمع خصلة وهى الشعر المجتمع ، تعنى أنه لو شاء لأنجاه ذلك الفرس ، وقد نسب العينى فى الشواهد الكبرى هذا البيت لعلقمة .

(٤) هو من قوله ﷺ « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ، كلما سمع هيعة طار إليها » الحديث ، والهيعة الصيحة .

(٥) لا يخفى أن السرعة فى الطيران لازمة له وليست داخلة فى مفهومه

(٦) هو لمضرس بن ربعى الفقعسى . والمنصل السيف ، واليعملات النوق المطبوعة على العمل ، والأيد مخفف الأيدى ، والسريح السير الذى يشد على أرجلها .

يقول: إنه قام بسيمة مبتدرعا إلى نزق فمقـرهن ودميت أيديهن بخبطن السيور المشدودة على أرجلهن . وكاستعارة الفيض لانبساط الفجر فى قوله :

كالفجر فاض على نجوم الغيهب(١)

فإن الفيض موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص ، وذلك أن يفارق مكانه دفعة فينبسط ، وللفجر انبساط شبيه بذلك ، وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعض فى قوله(٢) تعالى ﴿ وقطّعناهم فى الأرض أمماً ﴾ فإن القطع موضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام التى بعضها ملتزق ببعض ، فالجامع بينهما إزالة الاجتماع التى هى داخلة فى مفهومها ، وهى فى القطع أشد . وكاستعارة الخياطة لسرد الدرع فى قول القطامى :

لم تلق قوماً همُ شرٌّ لاخوتهمْ منّا عشيّة يجرى بالدّم الوادى
نقريهمُ لهذميّاتٍ نقدُّ بها ما كان خاط عليهم كلُّ زرّاد(٣)

فإن الخياطة لضم خرق القميص والسرد يضم حلق الدرع ، فالجامع بينهما الضم الذى هو داخل فى مفهومها ، وهو فى الأول أشد ، وكاستعارة النثر لإسقاط المنهزمين وتفريقهم فى قول أبى الطيب :

---

(١) هو من قول البحترى :

يتراكمون على الأسنّة فى الوغى كالفجر فاض على نجوم الغيهب

وقوله — يتراكمون — يعنى يجتمعون بكثرة وازدحام والأسنة الرماح ، والوغى الحرب ، والغيهب الظلمة . وإنما جعلهم كالفجر بالنظر إلى ما عليهم من الدروع اللامعة .

(٢) آية ١٦٨ سورة ٧ .

(٣) هما لعمير بن شييم المعروف بالقطامى ، وضمير الغيبة فى — نقريهم — لإخوتهم فى البيت قبله وكانوا أعداءهم ، والقرى فى الأصل طعام الضيف فاستعير لضربهم باللهذميات على سبيل الاستعارة التهكمية ، واللهذميات جمع لهذم وهو السيف القاطع والنسبة فيها للمبالغة ، والزراد صانع الزرد وهو الدرع ، وإسناد الجرى إلى الوادى مجاز عقلى .

نثرتهمُ فوق الأحيدب نثرةً ... كما نثرتْ فوق العروس الدّراهمُ(١)

لأن النثر أن يجمعُ أشياء فى كف أو وعاء ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة من غير ترتيب ونظام ، وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص ، وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين فى الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام ، ونسبه إلى الممدوح لأنه سببه(٢)

ما يخرج جامعها عن مفهوم الطرفين : والثانى ما يكون الجامع فيه غير داخل فى مفهوم الطرفين ، كقولك — رأيت شمسا — وتريد إنساناً يتهلل وجهه ، فالجامع بينهما التلألؤ وهو غير داخل فى مفهومهما(٣)

الاستعارة العامية والخاصية : وتنقسم باعتبار الجامع أيضاً إلى عامية وخاصية(٤) فالعامية المبتذلة لظهور الجامع فيها ، كقولك — رأيت أسداً ووردت بحراً — والخاصية الغريبة التى لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة ، كما سيأتى فى الاستعارات الواردة فى التنزيل . وكقول طُفيل الغنوى :

وجعلتُ كورى فوق ناجيةٍ ... يقتاتُ شحم سنامها الرّحلُ(٥)

---

(١) الخطاب فى — نثرتهم — لسيف الدولة ، والأحيدب جبل ببلاد الروم .

(٢) فهو مجاز عقلى .

(٣) من ذلك أيضاً قول الشاعر :

فى الخدّ إن عزم الخليط رحيلا ... مطرٌ تزيد به الخدود محولاً

وقول الآخر :

أثمرتْ أغصانُ راحته ... لجناة الحسنِ عُنّاباً

وإنى أرى أنه ليس لتقسيم الاستعارة بهذا الاعتبار كبير فائدة .

(٤) الخاصية أبلغ من العامية ، والمقبول منهما ما لا يبعد جداً حتى لا يغيب عن الفهم ، وما لا يقرب جداً فيستبرد ، ولكل منهما مقامات تليق به .

(٥) هو لطفيل بن عوف الغنوى ، والكور رحل البعير ، والناجية الناقة السريعة ، وإنما أفاد اقتيات الشحم الغرابة لأن فيه تخييل أن ذلك حقيقة .

وموضع اللطف والغرابة منه أنه استعار الاقتيات لإذهاب الرحل شحم السنام ، مع أن الشحم مما يقتتات . وقول ابن المعتز :

حتى إذا ما عرف الصَّيْدَ الضَّارْ وأذن الصُّبح لنا في الإبصارْ(١)

لما كان تعذر الإبصار منعا من الليل جعل إمكانه عند ظهور الصبح إذناً منه ، وقول الآخر :

بعرْض تنوفة للريح فيـــه نسيم لا يروعُ في التراب(٢)

وقوله :

يناجيني الإخلاف من تحت مطْله فتختصم الآمال واليأس في صدري(٣)

ثم الغرابة قد تكون في الشبه نفسه(٤) . كما في تشبيه هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج بهيئة الثوب في موقعه من ركبة المحتبي في قول يزيد بن مسلمة ابن عبد الملك يصف فرساً له بأنه مؤدَّب :

---

(١) هو لعبد الله بن المعتز ، والضار تخفيف الضاري وهو المتعود للصيد فاعل مؤخر والصيد مفعول مقدم ، يعني أنه عرف ما يصيده بذهاب الظلمة ، وفي رواية — حتى إذا ما عرف الصيد انصار — أي انضم واجتمع أو مال ، يصف بذلك باري الصيد.

(٢) هو لسوَّار بن المضرَّب السعدي ، وقيل : إنه لجحدر بن مالك الحنفي ، ويروى الشطر الثاني — نسيم لا يروعُ الترب وإن — وقبله :

سقى الله اليمامة من بلاد نوافحها كأرواح الغواني

والتنوفة الصحراء أو الأرض الواسعة ، وعرضها جانبها . ويروى — فيها — بدل به والشاهد في استعارة الروع وهو الفزع لإثارة الريح للتراب بجامع التحريك ، ولا شك أن معرفة هذا الجامع فيهما إنما يدركها الخاصة .

(٣) هو لعبد الله بن المعتز ، والإخلاف عدم الوفاء ، والمطل التأخير في إجابة المطلوب ، والشاهد في استعارة المناجاة وهي المسارّة بالحديث للخطور في الذهن .

(٤) يعني بالشبه التشبيه أي في التشبيه نفسه لا في الجامع ، بأن يكون تشبيها نادراً لبعد ما بين الطرفين ، كما في البيت ، فإن أحدهما من وادي القعود والآخر من وادي الركوب مع ما في ذلك من كثرة التفصيل .

وإذا احتبى قربوسه بعنانه علك الشكيم إلى انصراف الزائر(١)

وقد يحصل بتصرف في العامية ، كما في قول الآخر :

وسالت بأعناق المطيّ الأباطحُ(٢)

أراد أنها سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة ، وكانت سرعةً في لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح فجرت بها .

ومثلها في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز :

سالت عليه شعابُ الحيّ حين دعا أنصارُه بوجوهٍ كالدنانير(٣)

أراد أنه مطاع في الحي ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لخطب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من هنا وههنا ، وتنصبُّ من هذا المسيل وذاك ، حتى يغصّ بها الوادي ويطفح منها ، وهذا شبه معروف ظاهر ولكن حسن التصرف فيه أفاد اللطف والغرابة ، وذلك أن أسند الفعل إلى الأباطح والشعاب(٤) دون المطي أو أعناقها والأنصار أو وجوههم ، حتى أفاد أنه امتلأت

---

(١) الحق أنه لمحمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، والقربوس السرج وقيل مقدمه حقيقة أو مجازاً ، والعنان سير اللجام ، وقوله ، علك — بمعنى مضغ ، والشكيم الحديدة المعترضة في فم الفرس ، يصف فرسه بأنه مؤدب إذا نزل عنه وقف مكانه إلى عودته ، فهو يعني بالزائر نفسه على الالتفات ، والشاهد في استعارة الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه لإيقاع العنان بالقربوس ، ويجوز رفع — قربوسه — على أنه فاعل احتبى .

(٢) هو من ثلاثة أبيات سبقت في الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة في الجزء الثاني ، والشاهد في استعارة سيل السيول في الأباطح لسير الإبل بسرعة في لين وسلاسة .

(٣) هو لعبد الله بن المعتز ، والشعاب جمع شعب وهو الطريق في الجبل والناحية ، والحي القوم أو مكانهم ، ووجه الشبه في قوله — بوجوه كالدنانير — الاستدارة والإشراق .

(٤) هذا مجاز عقلي من إسناد الحالّ للمحلّ .

الأباطح من الإبل والشباب من الرجال على ما تقدم (١) فى قوله (٢) تعالى ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ وفى كل واحد منهما شيء غير الذى فى الآخر يؤكد أمر الدقة والغرابة ، أما الذى فى الأول فهو أنه أدخل الأعناق فى السير ، فإن السرعة والبطء فى سير الإبل يظهران غالباً فى أعناقها على ما مر ، وأما الذى فى الثانى فهو أنه قال — عليه — فعدّى الفعل إلى ضمير الممدوح بعلى ، فأكد مقصوده من كونه مطاعاً فى الحى .

وكما فى قوله :

فرْعاء إنْ نهضتْ لحاجتها عجل القضيب وأبطأ الدِّعْص (٣)

إذ وصف القضيب بالعجلة والدعص بالبطء (٤)

وقد تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لإلحاق الشكل بالشكل ، كقول امرىء القيس :

فقلت له لما تمطّى بصلْبه وأرْدف أعجازاً وناء بكلكل (٥)

أراد وصف الليل بالطول فاستعار له صلبا يتمطى به ، إذ كان كل ذى صلب يزيد فى طوله عند تمطّيه شيء ، وبالغ فى ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً ،

---

(١) فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة فى الجزء الثانى من أنه آثر ذلك على — اشتعل شيب الرأس — ليفيد عمومه للرأس .

(٢) آية ٤ سورة ١٩

(٣) الفرعاء الطويلة ، والقضيب الغصن استعير لقامتها ، والدعص كثيب الرمل المجتمع ، استعير لردفها .

(٤) فغرابتها نشأت من المجاز العقلى أيضاً مع ما فيها من الطباق بين — عجل وأبطأ

(٥) قوله — تمطى — بمعنى تمدد ، والصلب عظم فى الظهر ذو فقار يمتد من الكاهل إلى أسفل الظهر ، والأعجاز جمع عجز وهو مؤخر الشيء أو الجسم . والكلكل مستعار لمقدمه ، والأعجاز مستعارة للأجزاء الأخيرة منه ، وهذه هى الاستعارات التى جمع بينها وجعل من مجموعها استعارة واحدة .

ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمكابده ، فاستعار له كلكلا ينوء به أى يثقل به . وقال الشيخ عبد القاهر(١) لما جعل لليل صلباً قد تمطى به ، ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى مايراه الناظر من سواده إذا نظر قدامه وإذا نظر خلفه وإذا رفع البصر ومده فى عرض الجو(٢) .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع : وأما باعتبار الثلاثة — أعنى الطرفين والجامع — فستة أقسام : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى ، أو بوجه عقلى ، أو بما بعضه حسى وبعضه عقلى ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس ، كل ذلك بوجه عقلى لما مر(٣) .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى : أما استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى فكقوله(٤) تعالى ﴿ فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار ﴾ فإن المستعار منه ولد البقرة ، والمستعار له الحيوان الذى خلقه الله تعالى من حلى القبط التى سبكتها نار السامرى عند إلقائه فيها التربة التى أخذها من موطىء حيزوم فرس جبريل عليه السلام ، والجامع لهما الشكل(٥) والجميع حسى(٦) وكقوله تعالى ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض(٧) ﴾ فإن المستعار منه حركة الماء على الوجه المخصوص ، والمستعار له حركة الإنس والجن أو يأجوج ومأجوج ، وهما حسيان ، والجامع لهما

---

(١) ٥٤ — دلائل الاعجاز — المطبعة العربية .

(٢) فقابل هذا بالكلكل والأعجاز والصلب على الترتيب .

(٣) فى الكلام على وجه الشبه من استحالة قيام الحسى بالعقلى .

(٤) آية ٨٨ سورة ٢٠

(٥) أى مع الخوار .

(٦) الحق أن ما فى الآية تشبيه لا استعارة ، لأن جسداً بدل من — عجلا — فيكون التقدير فأخرج لهم مثل عجل جسداً له خوار .

(٧) آية ١٠٠ سورة ١٨

ما يشاهد من شدة الحركة والاضطراب ، وأما قوله[1] تعالى ﴿ واشتعل الرأس شيبا ﴾ فليس مما نحن فيه وإن عدّ منه ، لأن فيه تشبيهين : تشبيه الشيب بشواظ النار فى بياضه وإنارته ، وتشبيه انتشاره فى الشعر باشتمالها فى سرعة الانبساط مع تعذر تلافيه ، والأول استعارة بالكناية والجامع فى الثانى عقلى[2] وكلامنا فى غيرها[3] .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى : وأما استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى فكقوله[4] تعالى ﴿ وآيةٌ لهمُ الليلُ نسلخُ منه النهارَ ﴾ فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ؛ والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وملقى ظله ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر[5] وقيل : المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل ، وليس بسديد لأنه لو كان ذلك لقال — فإذا هم مبصرون — ونحوه ولم يقل ﴿ فإذا همْ مظلمون ﴾ أى داخلون فى الظلام[6]

---

(١) آية ٤ سورة ١٩

(٢) قيل : إنه مركب من حسى وعقلى ، لأن سرعة الانبساط حسية وتعذر التلافى عقلى .

(٣) أى فى غير الاستعارة بالكناية وفى غير الوجه العقلى ، لأن الكلام فى استعارة المحسوس للمحسوس استعارة تصريحية بوجه حسى ، وهو يقصد السكاكى بهذا الاعتراض ، والحق أنه لا يرد عليه لأنه جعل هذه الأقسام للاستعارة مطلقاً ولم يخصها بالتصريحية حتى يعترض عليه بذلك .

(٤) آية ٣٧ سورة ٣٦

(٥) الحق أن هذا الترتب حسى لتعلقه بأمور محسوسة ، وإنما يكون الترتب عقليا فى مثل ترتب النتيجة على العلم بالمقدمات .

(٦) أجيب عن ذلك بأن المراد بظهور النهار من ظلمة الليل زواله وبقاء الظلمة ، فيكون المعنى فى الوجهين واحداً ، وإن كان مبنى الأول على أن النهار ظرف للظلمة ، ومبنى الثانى على أن الظلمة ظرف للنور .

قيل : ومنه قوله(١) تعالى ﴿ إذ أرسلنا عليهم الريحَ العقيمَ ﴾ فإن المستعار منه المرأة ، والمستعار له الريح والجامع المنع من ظهور النتيجة والأثر ، فالطرفان حسيان والجامع عقلى ، وفيه نظر ، لأن العقيم صفة للمرأة لا اسم لها ، وكذلك جعلت صفة للريح لا اسما(٢) والحق أن المستعار منه ما فى المرأة من الصفة التى تمنع من الحمل(٣) والمستعار له ما فى الريح من الصفة التى تمنع من إنشاء مطر وإلقاح شجر والجامع ما ذكر(٤) .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه مختلف : وأما استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسى وبعضه عقلى فكقولك — رأيت شمساً — وأنت تريد إنساناً شبيهاً بالشمس فى حسن الطلعة ونباهة الشأن ، وأهمل السكاكى هذا القسم(٥) .

---

(١) آية ٤١ سورة ٥١

(٢) يريد بهذا أن العقيم هو المستعار منه وهو صفة فهو عقلى لا حسى .

(٣) هى صفة العقم ، ثم اشتق منها عقيم بعد استعارتها لصفة الريح .

(٤) على هذا يكون ما فى الآية من استعارة المعقول للمعقول استعارة تصريحية تبعية ، وقد أجيب عن أصل النظر بأن من يجعل المستعار منه المرأة والمستعار له الريح يذهب إلى أن ذلك استعارة بالكناية ، ويجعل العقيم قرينة لهذه الاستعارة ، ورد بأن استعارة المرأة للريح معناها ادعاء أن الريح فرد من أفراد النساء وهذا غير مقصود ، لأن ثبوت ذلك للريح لا يفيد أنها عقيم ، وذلك لأن العقم ليس صفة للنساء مطلقا ولا غالبا .

ومن استعارة المحسوس للمحسوس بوجه عقلى قول الشاعر :

قولا لِدُودان عبيد العصا ... ما غرَّكم بالأسد الباسل

ومنها أيضاً ما جاء فى المثل : إن البغاث بأرضنا يستنسر .

(٥) من استعارة المحسوس للمحسوس بوجه مختلف قول الشاعر فى رثاء ولد له :

وهلال أيامٍ مضى لم يستدرْ ... بدْراً ولم يمهلْ لوقت سرارِ

عجل الكسوف عليه قبل أوانه ... فمحاه قبل مظنّة الإبدار

استعارة معقول لمقول : وأما استعارة معقول لمقول فكقوله[1] تعالى ﴿ مَنْ بعثنا من مرقدنا ﴾ فإن المستعار منه الرقاد[2] والمستعار له الموت ، والجامع لهما عدم ظهور الأفعال[3] والجميع عقلي[4] .

استعارة محسوس لمقول : وأما استعارة محسوس لمقول فكقوله[5] تعالى ﴿ فاصْدعْ بما تؤمَرُ ﴾ فإن المستعار منه صدع الزجاجة وهو كسرها ، وهو حسى[6] والمستعار له تبليغ الرسالة[7] والجامع لهما التأثير ، وهما عقليان ، كأنه قيل : أبن الأمر إبانةً لا تنمحى كما لا يلتئم صدع الزجاجة . وكقوله[8] تعالى ﴿ ضُربتْ عليهمُ الذِّلَّةُ ﴾ جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم ، فهم فيها كما يكون فى القبة من ضربت عليه ، أو ملصقة بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضربُ الطين على الحائط ، فيلزمه ،

---

(١) آية ٥٢ سورة ٣٦

(٢) ظاهر هذا أن مرقدنا فى الآية مصدر ميمى ، ويجوز أن يكون اسم مكان فيكون المستعار منه الرقاد أيضاً ، يشتق منه اسم المكان بعد استعارته للموت .

(٣) أو البعث ، وقد رجّح بأنه فى النوم أظهر وأقوى لكونه مما لا شبهة فيه لأحد ، وعدم ظهور الأفعال بالعكس ، والجامع لابد أن يكون أقوى فى المستعار منه .

(٤) من استعارة المعقول للمعقول قول الشاعر :

وإذا تباعُ كريمةٌ أو تشترى فسواك بائعها وأنت المشترى

شبه الترك بالبيع والحصول بالاشتراء بجامع الحرمان فى الأول والتحقق فى الثانى ، ثم استعار المشبه به للمشبه فيهما واشتق منه تباع بمعنى تترك وتشترى بمعنى تحصل عليها .

(٥) آية ٤ سورة ١٥

(٦) لتعلقه بحسى .

(٧) اعترض على هذا بأنه حسى يدرك بالسمع ، فالأولى أن يجعل المستعار له إظهار الدين لأنه لا يلزم أن يكون بطريق حسى .

(٨) آية ١١٢ سورة ٣

فالمستعار منه إمّا ضرب القبة على الشخص وإما ضرب الطين على الحائط ، وكلاهما حسيّ ، والمستعار له حالهم مع الذلة ، والجامع الإحاطة أو اللزوم ، وهما عقليان[١].

استعارة معقول لمحسوس : وأما استعارة معقول لمحسوس فكقوله[٢] تعالى ﴿ إنّا لمّا طغى الماءُ ﴾ فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسي ، والمستعار منه التكبر ، والجامع الاستعلاء المفرط ، وهما عقليان[٣] .

أقسام الاستعارة باعتبار المستعار : الأصلية والتبعية : وأما باعتبار اللفظ[٤] فقسمان : لأنه إن كان اسم جنس فأصلية كأسد وقتل[٥] وإلا فتبعية ، كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف ، لأن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيهُ يعتمد كون المشبه موصوفا[٦] وإنما يصلح للموصوفية الحقائق[٧] كما في قولك — جسم أبيض وبياض صاف — دون معاني الأفعال والصفات المشتقة منها والحروف[٨]. فإن قلت : فقد قيل في

---

(١) يجوز جعل ذلك من المكنية بتشبيه الذلة بالقبة ، ومن استعارة المحسوس للمعقول قول أبي تمام :

ويصعدُ حتى يظنَّ الجهولُ بأنَّ له حاجةً في السَّماء

(٢) آية ١١ سورة ٩.

(٣) من استعارة المعقول للمحسوس قوله تعالى ﴿ وأمّا عادٌ فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية ﴾ آية ٦ سورة ٩٦ — وقوله أيضاً ﴿ تكاد تميزُ من الغيظ كلّما ألقيَ فيها فوجٌ سألهمْ خزنتها ألمْ يأتكم نذيرٌ ﴾ آية ٨ سورة ٦٧

(٤) يعني لفظ المشبه به ، وقد ذكروا أن هذا التقسيم يجري في المكنية أيضا .

(٥) يشير بالمثالين إلى أن اسم الجنس قد يكون اسم ذات كأسد ، وقد يكون اسم معنى كقتل .

(٦) أي بوجه الشبه بحيث يصلح الحكم به عليه ، وكذلك يقتضي التشبيه مثل هذا في المشبه به ، ولو ذكر هذا لكان أنسب باستدلاله .

(٧) يعني بها الأمور المتقررة الثابتة في نفسها من الجواهر والأعراض كأسد وقتل ونحوهما .

(٨) لأن الأفعال والمشتقات غير متقررة ، والحروف غير ثابتة في نفسها .

نحو – شجاع باسل ، وجواد فيّاض ، وعالم نحرير – إن باسلا وصف لشجاع وفياضاً وصف لجواد ونحريراً وصف لعالم(١) قلت : ذلك متأوّل بأن الثوانى لا تقع صفات إلا لما يكون موصوفا بالأول(٢) .

فالتشبيه فى الأفعال والصفات المشتقة منها لمعانى مصادرها(٣)، وفى الحروف لمتعلّقات معانيها ، كالمجرور(٤) فى قولنا – زيد فى نعمة ورفاهية – فيقدّر التشبيه فى قولنا – نطقت الحال بكذا ، والحال ناطقة بكذا – للدلالة بمعنى النطق(٥)

---

(١) فقد وصفت الصفات المشتقة الثلاث بهذه الصفات كما وصف الجسم والبياض بما سبق ، فلا يكون هناك فرق بينهما فى ذلك .

(٢) فقولك – شجاع باسل – مثلا إنما هو على تقدير – زيد شجاع باسل – فكل منهما فى الحقيقه صفة لزيد .

(٣) أى المحققة أو المقدرة كما فى الأفعال التى لا مصادر لها .

(٤) هذه طريقة الخطيب فى إجراء الاستعارة التبعية فى الحروف ، فهى تابعة عنده للتشبيه فى متعلقاتها من مجروراتها ونحوها وتعلقها بها بمعنى ارتباطها بها ، وليس هو التعلق النحوى المعروف ، وعلى هذا يقال فى المثال المذكور : شبهت النعمة على زيد بدار مشتملة عليه ، ثم استعمل فى النعمة لفظ – فى – كما يستعمل فى الدار ونحوها ، والجمهور على أن متعلقات الحروف هى معانيها الكلية ، فيجرى التشبيه فيها أولا ثم تبنى عليه الاستعارة فيها ، وعلى هذا يقال فى المثال المذكور : شبهت ملابسة النعمة لصاحبها بملابسة الظرف للمظروف ، ثم استعير للمشبه اللفظ الموضوع للمشبه به وهو – فى – وبعض الجمهور لا يكتفى بإجراء التشبيه فى متعلقات الحروف بل يوجب إجراءه فى جزئياتها بعدها ، وبهذا يجعل الاستعارة فى جزئياتها دونها ، والخطب فى ذلك سهل وطريقة الخطيب أظهر .

(٥) ثم يستعار النطق للدلالة ثم يشتق من النطق – نطقت أو ناطقة – بمعنى – دلت أو دالة – والجامع إيصال المعنى إلى الذهن ، وهكذا كل الاستعارات فى الأفعال والمشتقات فتكون الاستعارة فيها تابعة للاستعارة فى مصادرها ، ولا خلاف هنا بينهم فى ذلك

وعليه فى التهكمية قوله[1] تعالى ﴿ فبشِّرهم بعذاب أليم ﴾ بدل فأنذرهم ، وقوله[2] تعالى ﴿ إنك لأنت الحليمُ الرشيدُ ﴾ بدل السفيه الغوىّ ، وفى لام التعليل[3] كقوله[4] تعالى ﴿ فالتقطهُ آلُ فرْعونَ ليكون لهمْ عدُوًّا وحزَناً ﴾ للعداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط[5]

ومما يتصل بهذا أن ـ يا ـ حرف وضع فى أصله لنداء البعيد استُعمل فى مناداة القريب لتشبيهه بالبعيد باعتبار أمر راجع إليه أو إلى المُنادى ، أما الأول فكقولك لمن سها وغفل وإن قرب ـ يا فلان ـ وأما الثانى فكقول الداعى فى جُؤاره ـ يا رب يا الله ـ وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، فإنه استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظانّ الزُّلفى وما يقرِّبه إلى رضوان الله تعالى ومنازل المقرَّبين هضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط فى جنب الله تعالى ، مع فرط التهالك على استجابة دعوته والأذْن[6] لندائه وابتهاله .

واعلم أن مدار[7] قرينة التبعية فى الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل ، كما مر فى قولك ـ نطقت الحال ـ أو إلى المفعول ، كقول ابن المعتز :

---

(١) آية ٢١ سورة ٣

(٢) آية ٨٧ سورة ١١

(٣) عطف على قوله ـ فى قولنا نطقت الحال إلخ

(٤) آية ٨ سورة ٢٨

(٥) هذا على طريقته السابقة ، وأما على طريقة الجمهور فيقال ـ شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علته الغائية كالمحبة والتبنىّ عليه ، ثم استعير للمشبه اللفظ الموضوع للمشبه به ، وهو لام التعليل .

(٦) أى الاستماع .

(٧) يعنى بهذا أن الأكثر فى قرينتها أن تكون على ما سيذكره ، وقد تكون قرينتها حالية ، كقوله تعالى ﴿ أو منْ كان ميْتاً فأحييْناه ﴾ آيه ٢٢ سورة ٦ وقوله ﴿ ونادوْا يا مالكُ ليقْض علينا ربُّك قال إنكمْ ماكثُون ﴾ آية ٧٧ سورة ٤٣

جمع الحق لنا في إمامٍ قتل البخل وأحيا السماحا(١)

وقول كعب بن زهير :

صبحنا الخزرجية مرهفات أباد ذوى أرومتها ذووها(٢)

والفرق بينهما أن الثاني مفعول ثان دون الأول . ونظير الثاني قوله :

نقريهم لهذميات نقد بها ما كان خاط عليهم كل زراد(٣)

أو إلى المفعولين : الأول والثاني ، كقول الحريري :

وأقرى المسامع إما نطقت بياناً يقود الحرون الشموسا(٤)

---

(١) هو لعبد الله بن المعتز يمدح به والده المعتز بالله ، شبه إزالة البخل بالقتل وإذاعة السماح بالإحياء ، ثم استعير القتل لإزالة البخل واشتق منه — قتل بمعنى أزال ، واستعير الإحياء لإذاعة السماح واشتق منه — أحيا — بمعنى أذاع ، وقرينه ذلك نسبة — قتل — إلى البخل ونسبة — أحيا — إلى السماح .

(٢) الخزرجية هم الخزرج من الأنصار ، والمرهفات السيوف المرققة ، والأرومة الأصل والضمير المضاف إليه يعود إلى الخزرجية ، والضمير في — ذووها — يعود إلى مرهفات ، وفي رواية — أبان ذوى أرومتها ذووها — فيكون المراد السيوف التي كتب عليها صانعوها أسماء أصحابها كما هي عادة ملوكهم ، والشاهد في قوله — صبحنا الخ — لأنه في الأصل بمعنى التحية بالسلام صباحا ، فاستعير لضربهم بالمرهفات على سبيل التهكم ، والقرينة نسبة — صبحنا — إلى مرهفات .

(٣) انظر ص ١٢٥ ، والشاهد في قوله — نقريهم لهذميات — وهي استعارة تهكمية أيضا .

(٤) هو للقاسم بن علي المعروف بالحريري ، وقوله — أقرى — مأخوذ من القرى وهو طعام الضيف ، وروى — وأقر — على أنه فعل أمر ، والحرون والشموس بمعنى واحد وهو الذي لا ينقاد ، والشاهد في قوله — وأقرى المسامع — استعير القرى لإلقاء البيان في الآذان بقرينة نسبته إلى مفعوليه .

أو إلى المجرور كقوله(١) تعالى ﴿فبشّرهم بعذاب أليم﴾ قال السكاكي(٢): إلى الجميع كقول الآخر :

تقرى الرياحُ رياض الحزْن مزهرةً
إذا سرى النَّومُ فى الأجفان إيقاظا(٣)

وفيه نظر(٤) .

أقسام الاستعارة باعتبار الخارج : المطلقة : وأما باعتبار الخارج فثلاثة أقسام : أحدها المطلقة ، وهى التى لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام(٥) والمراد المعنوية لا النعت .

المجردة : وثانيها المجردة ، وهى التى قرنت بما يلائم المستعار له(٦) كقول كثيِّر :

---

(١) آية ٢١ سورة ٣

(٢) ٢٠٤ — المفتاح

(٣) الحزن الأرض الغليظة ، وإيقاظا مفعول ثان لتقرى . استعار القرى لإحداث الرياح الإيقاظ فى الرياض بقرينة نسبته إلى الفاعل والمفعولين والمجرور جميعا ، والمعنى أنها تهزها عند هبوبها عليها إذا نامت أجفان الناس .

(٤) لأن المجرور وهو الأجفان لا يدخل فى القرينة لتعلقه مع جارّه بقوله — سرى — لا بقوله — تقرى .

(٥) يعنى أنها لم تقترن بصفة ولا تفريع يلائمان المستعار له أو المستعار منه لا مطلق صفة وتفريع ، والفرق بين الصفة والتفريع أن الملائم إن كان من بقية جملة الاستعارة فهو صفة ، وإن كان كلاما مستقلا عنها فهو تفريع ، ومن الاستعارة المطلقة قول الشاعر :

فرعاءُ إنْ نهضتْ لحاجتها عجلَ القضيبُ وأبدأ الدعْصُ

(٦) يعنى أنها قرنت بصفة أو تفريع يلائمه ، ولابد أن يكون ذلك زائدا على قرينتها ، لأن القرينة من جملة الاستعارة وهى مما يلائم المستعار له ، فإذا لم يكن فيها مما يلائمها إلا القرينة فهى مطلقة ، والأول أولى بالقرينة وما بعده تجريد .

غمر الرّداء إذا تبسّم ضاحكاً غلقتْ لضحكته رقاب المال[1]

فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرْض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف لا الرّداء[2] فنظر إلى المستعار له ، وعليه قوله[3] تعالى ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوْف﴾ حيث قال ﴿أذاقها﴾ ولم يقل كساها ، فإن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس[4] كأنه قال : فأصابها الله بلباس الجـوع والخوف[5] قال الزمخشري : الإذاقة جرت عنـدهم مجرى الحقيقـة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمسُّ الناس منها ، فيقولون — ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذاب — شبه ما يدركُ من أثر الضر والألم بما يدْركُ من طعم المرُ والبشع[6] فإن قيل الترشيح أبلغ من التجريد فهلاّ قيل — فكساها الله لباس الجوع والخوف — قلنا : الإزاقة لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس ، فكان في الإذاقة إشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة ، فإن قيل : لم لمْ يقلْ — فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ؟ قلنا : لأن الطعم وإن لاءم الإذاقة فهو مفوّت لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عمّ أثرهما جميع البدن عموم الملابس .

---

(١) هو لكثير بن عبد الرحمان المعروف بكثير عزة ، والغمر الكثير وهو إما مأخوذ من — غمر الماء — إذا كثر ، أو من قولهم — ثوب غامر — أي واسع ، فيكون تجريداً على الأول وترشيحاً على الثاني ، وقوله — غلقت الخ — بمعنى تمكنت من أيدي السائلين ، يقال — غلق الرهن في يد المرتهن — إذا لم يقدر الراهن على انفكاكه . وقوله — تبسم ضاحكا — قرينة الاستعارة . وفي رقاب المال استعارة بالكناية .

(٢) هذا على أنه مأخوذ من — غمر الماء — كما سبق ، لأن المعروف يوصف بالكثير دون الرداء .

(٣) آية ١١٢ سورة ١٦

(٤) يريد عما استعير له اللباس ما يغشى الإنسان من بعض الحوادث كالعذاب ونحوه

(٥) على هذا تكون الإذاقة تجريداً .

(٦) يجوز أن يشبه ما يغشى الانسان من ذلك بمطعوم مرٍّ على طريق الاستعارة المكنية .

المرشحة : وثالثها المرشحة . وهى التى قُرِنتْ بما يلائم المستعار منه(١) كقوله :

يُنازِعُنى ردائى عبدُ عمْرو رُوَيْدك يا أخا عمرو بن بكر
لِىَ الشطْرُ الذى ملكتْ يمينى ودونك فاعتجرْ منه بشطر(٢)

فإنه استعار الرداء للسيف لنحو ما سبق، ووصفه بالاعتجار الذى هو وصف الرداء فنظر إلى المستعار منه ، وعليه قوله(٣) تعالى ﴿ أولئك الذين اشترَوُا الضلالة بالهدى فما ربحتْ تجارتهمْ ﴾ فإنه استعار الاشتراء للاختيار وقفّاه بالربح والتجارة اللذين هما من متعلّقاتِ الاشتراء ، فنظر إلى المستعار منه .

وقد يجتمع التجريد والترشيح ، كما فى قول زهير :

لدى أسدٍ شاكى السلاح مقذّف له لبدٌ أظفارُه لم تُقلّم(٤)

والترشيح أبلغ من التجريد(٥) لاشتماله على تحقيق المبالغة ، ولهذا كان مبناه على

---

(١) هذا قد يكون صفة وقد يكون تفريعاً كما سبق فى المجردة ، ولا بد أن يكون فى الاستعارة بالكناية الآتية زائداً على قرينتها ، لأن الأقسام الثلاثة تأتى فيها كما تأتى فى الاستعارة التصريحية .

(٢) رويد مصدر نائب عن فعله بمعنى أمْهِلْ ، والشطر النصف وقوله ـ اعتجر ـ أمر من الاعتجار وهو الاهتمام ، ويقال ـ اعتجرت المرأة ـ إذا لبست المعْجر وهو ثوب تشده على رأسها والمراد بالشطر الذى ملكت يمينه قائم السيف وبالشطر الآخر صدره ، يعنى أنه سيضربه على رأسه بصدر سيفه

(٣) آية ١٦ سورة ٢

(٤) أنظر ص ١٠٥ ، والاستعارة فى قوله ـ أسد ـ وشاكى السلاح تجريد ، ومقذف تجريد إن كان بمعنى مقذف فى الحروف وإلا فليس بتجريد ولا ترشيح ، وما بعده إلى آخر البيت ترشيح .

(٥) هو أيضا أبلغ من الإطلاق ، ومن الجمع بين التجريد والترشيح لأنه فى حكم الإطلاق ، والإطلاق وما فى حكمه أبلغ من التجريد .

تناسى التشبيه(١) حتى إنه يوضعُ الكلام فى عـلو المنزلة وضعه فى علو المكان ، كما قال أبو تمام :

ويصعدُ حتى يظنَّ الجهـولُ … إنَّ له حاجةً فى السماء(٢)

فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصمم على إنكاره فيجعله صاعداً فى السماء من حيث المسافةُ المكانية لما كان لهذا الكلام وجه ، وكما قال ابن الرومى :

يا آل نوْبخْت لا عدمْتكمُ … ولا تبدَّلت بعدكم بدلا(٣)

إنْ صحَّ علمُ النجوم كان لكم … حقاً إذا ما سواكُمُ انتحلا(٤)

كم عالم فيكمُ وليس بأنْ … قاس ولكن بأن رقى فعلا(٥)

---

(١) أى على كمال تناسيه لأن الاستعارة كلها مبنية على تناسيه لا الترشيح وحده ولو جعل الترشيح مبنيا على تناسى الاستعارة لكان أوْلى .

(٢) هو فى رثاء خالد بن يزيد الشيبانى ، وقبله :

فقد مات جدك جد الملوك … ونجم أبيك حديث الضياء

فما زال يقرع تلك العـلا … مع النجم مرتديا بالعماء

شبه ارتقاء منزلته بالصعود الحسى ، ثم اشتق من الصعود يصعد بمعنى ترتقى منزلته . والجهول مبالغة فى الجاهل ، ولو ترك المبالغـة فى ذلك لكان أليق بما يقصد من المبالغة فى المدح ، ولعله يعنى أن الجهول هو الذى يظن ذلك ، أما غـيره فيعرف أنه لا حاجة فيها لكمال غناه .

(٣) الأبيات لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى فى مدح أبى سهل النوبختى ، ولآل نوبخت شهرة بالفلك والنجوم والحكمة ، وكان جدهم نوبخت منجما للمنصور .

(٤) قوله — انتحل بمعنى ادعى لنفسه شيئاً هو لغيره .

(٥) يعنى بقوله — قاس — أخذ علم النجوم بطريق القياس والمضاهاة والتخمين وقوله — فعل — معطوف على رقى ، والشاهد فى قوله — رقى — وما بعده من قوله — أعلاكم فى السماء الخ — فقد استعار فيه العلو الحسى للارتفاع فى المجد ، ثم تناسى التشبيه وبنى عليه أنهم أخذوا علم النجوم عن الكواكب بالمشافهة .

أعلاكم في السماء مجدكم فلستم تجهلون ما جهلا
شافهتم البدر بالسؤال عن الأ أمر إلى أن بلغتم زحلا[1]

وكما قال بشار :

أتتني الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا[2]

وكما قال أبو الطيب :

كبّرت حول ديارهم لمّا بدت منها الشموس وليس فيها المشرق[3]

وكما قال غيره :

ولم أر قبلي مَن مشى البدر نحوه ولا رجلاً قامت تعانقه الأسد[4]

ومن هذا الفن[5] ما سبق من التعجب والنهي عنه[6] غير أن مذهب التعجب على عكس مذهب النهي عنه فإن مذهبه إثبات وصف ممتنع ثبوته للمستعار منه[7]

---

(١) زحل أعلى الكواكب السيارة .

(٢) هو لبشار بن برد ، وقوله – تبرح – بمعنى تفارق ، وقد استعار الشمس لمحبوبته ثم تناسى التشبيه فبنى عليه قوله – ولم تك تبرح الفلكا .

(٣) يعني بقوله – كبرت قوله الله أكبر تعجباً ، والشاهد في أنه استعار الشموس لممدوحيه ثم تناسى التشبيه فتعجب من طلوعها من ديارهم بالمغرب مع أنها إنما تطلع من المشرق .

(٤) الحق أن هذا البيت لأبي الطيب أيضاً لا لغيره كما ذكر الخطيب ، وهو من قصيدة له في مدح محمد بن سيّار التميمي، ورواية الديوان البحر بدل البدر ، وقبله :

فلما رآني مقبلا هزّ نفسه إليّ حسامٌ كلُّ صفح له حدٌّ

والشاهد في أنه استعار البدر والأسد لممدوحه ، ثم تناسى التشبيه فذكر أنه لم ير قبله من مشى البدر إليه وعانقته الأسد .

(٥) يريد بهذا الفن أسلوب البناء على تناسي التشبيه .

(٦) انظر ص ١١٥

(٧) كإثبات التظليل للشمس في البيتين السابقين هناك .

ومذهب النهي عنه إثبات خاصة من خواص المستعار منه(١) .

وإذا جاز البناء على المشبه به(٢) مع الاعتراف بالمشبه — كما في قول العباس ابن الأحنف :

هي الشمسُ مسكنُها في السماء فعزِّ الفؤادَ عزاء جميلاً(٣)
فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولا

وقول سعيد بن حُميد :

قلتُ زوري فأرسلتْ أنا آتيك سحرهْ(٤)
قلتُ فالليلُ كان أخـ ـفى وأدنى مسرّه
فأجابت بحجّة زادت القلب حسْره
أنا شمس وإنما تطلع الشمس بكره(٥)

فلأن يجوز مع جحده في الاستعارة أولى .

---

(١) كإثبات بلى الغلالة للقمر في البيت السابق هناك ، فإنه من خواصه فلا يصح التعجب منه .

(٢) المراد بالبناء على المشبه به ذكر ما يلائمه ، وبالاعتراف بالمشبه ذكره وعدم ادعاء دخوله في المشبه به ، والمقصود من هذا زيادة تقرير ما سبق من البناء على تناسي التشبيه .

(٣) قوله — فعز — بمعنى احمله على العزاء وهو الصبر ، والعزاء الجميل هو الذي لا قلق معه ، يعني أنها إذا كانت كذلك فلا فائدة في طلبها ، والشاهد في أنه شبه محبوبته بالشمس ثم بنى على هذا ما يلائم المشبه به وهو أن مسكنها في السماء الخ .

(٤) السحرة هي السحر الأعلى ويكون قبيل الصبح .

(٥) البكرة أول النهار وهي ملابسة للسحرة التي وعدته بأنها تأتيه فيها ، ويجوز أن يكون مرادها أنها تبتدىء الذهاب إليه سحرة وتنتهي إليه بكرة ، والشاهد في أنها شبهت نفسها بالشمس ثم بنت على هذا ما يلائم المشبه به وهي أنها إنما تطلع بكرة .

ومن هذا الباب(١) قول الفرزق :

أبي أحمدُ الغيثين صعصعةُ الذى متى تخلف الجوزاء والدلوُ يمطر
أجار بنات الوائدين ومن يجرْ على الموت فاعلم أنه غير مخفر(٢)

ادّعى لأبيه اسم الغيث ادّعاء من سلم له ذلك ، ومن لا يخطر بباله أنه متناولٌ له من طريق التشبيه . وكذا قول عدىّ بن الرقاع يصف حمارين وحشيين :

يتعاوران من الغبار ملاءةً بيضاء محكمةً هما نسجاها(٣)
تطوى إذا و...ا مكاناً حزناً وإذا السنابك أسهلت نشراها(٤)

المجاز المركب أو التمثيل :

وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى لتشبيه

---

(١) أى باب البناء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه .

(٢) هما لهمّام بن غالب المعروف بالفرزدق ، وأحمد الغيثين أحقهما بالحمد وهو خبر أبى ، وصعصعه بدل أو بيان وهو جد الفرزدق ، والجوزاء والدلو برجان فى السماء يكثر فيهما المطر ، وكان العرب إذا وافق سقوط النجم مطرا نسبوه إليه ، وقالوا : سقينا بالنجم . وإذا أخطأهم المطر قالوا : أخطأنا النجم . والوائدون اسم فاعل من الوأد وهو ما كانوا يفعلونه من قتل بناتهم خوف العار أو الفقر ، وكان صعصعة جد الفرزدق يشتريهن ويحميهن من الموت ، والمخفر اسم فاعل من أخفر بمعنى أزال الخفارة وهى اسم من خفره بمعنى منعه وحماه ، والشاهد فى قوله — أبى أحمد الغيثين — لأنه يتضمن تشبيهه بالغيث ، وقد بنى على ذلك ما يلائم المشبه به وهو أنه يمطر إذا أخلفت الجوزاء والدلو .

(٣) قوله — يتعاوران — يتناوبان .

(٤) قوله — تطوى — بمعنى تلفّ فتزول عنهما ، والمكان الحزن هو الذى تغلظ أرضه فلا يكون فيها غبار ، والسنابك جمع سنبك وهو طرف الحافر ، وقوله — أسهلت بمعنى وردت المكان السهل ، والشاهد فى أنه شبه الغبار بالملاءة وهى ثوب معروف ، ثم بنى على ذلك ما يلائمها من النسج والطى والنشر .

التمثيل[1] للمبالغة فى التشبيه[2] أى تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى[3] ثم تدخل المشبهة فى جنس المشبه بها مبالغة فى التشبيه ، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه ، كما كتب به الوليد بن يزيد[4] لمَّا بويع إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف فى البيعة له : أما بعد فإنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى[5] فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام — شبه

(١) هذا يفيد أن المجاز المركب لا يكون فى المجاز المرسل كما يكون فى الاستعارة ، والحق أنه يكون فى المرسل أيضاً ، ومن ذلك استعمال الخبر فى الإنشاء وبالعكس ، والعلاقة فيهما الضدية أو اللزوم ، كقول الشاعر :

ألا يا اسلمى يادار مىَّ على البلى ولا زال منْهلاً بجرْعائك القطْـر

وقول الآخر :

ومن ذا الذى تُرْضى سجاياه كلُّها كفى المرء نبلاً أن تعدَّ معايبهْ

(٢) يشير بهذا إلى اتحاد الغاية فى المجاز المفرد والمركب وهى المبالغة فى التشبيه ، ولا يقصد به الاحتراز عن شىء .

(٣) إنما فسر التعريف بهذا لدفع ما يوهمه قوله فيه — تشبيه التمثيل — من أن طرفى المجاز المركب قد يكونان مفردين ، لأن تشبيه التمثيل ما كان وجهه منتزعا من متعدد ولو كان طرفاه مفردين ، كقول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريَّا لمنْ رأى كعنْقود ملاَّحيَّة حين نوَّرا

فإذا قيل فيه على طريق الاستعارة — رأيت عنقود ملاحية فى السماء — كان هذا مجازاً مفرداً لا مركباً وإن كان أصله تشبيه تمثيل ، ولا وجه عندى للتفريق فى هذا بين التشبيه والاستعارة .

(٤) ذكر الجاحظ فى البيان والبيتين أن هذا كان مع يزيد ابن الوليد وهو الظاهر من تاريخ مروان معهما .

(٥) لم يرضوا هنا أن تجرى هذه العبارة على ظاهرها وهو أنه يقدم رجلا ويؤخر رجلا أخرى ، لأنهم فهموا ذلك على أنه يقدم رجلا إلى الأمام ويؤخر أخرى إلى الخلف ، وهذا لا يفعله المتردد ، فتقديرها عندهم أنه يقدم رجلا تارة ويؤخرها تارة أخرى ، وهذا عندى تقدير فاسد لأن المتردد لا يفعله أيضاً ، والحق هو التقدير الأول الذى يفيده ظاهر العبارة ، ولا يراد فيه بتأخير الأخرى إرجاعها إلى الوراء ، وإنما يراد بذلك أنه يؤخرها عن الأولى فلا يقدمها معها .

صورة تردده فى المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب فى أمر، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى[1] ، وكما يقال لمن يعمل فى غير مَعْمل — أراك تنفخ فى غير فحمٍ[2] وتخطُّ على الماء — والمعنى أنك فى فعلك كمن يفعل ذلك . وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه — ما زال يفتل منه فى الذِّرْوة والغارب حتى بلغ منه ما أراد — والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقاً يشبه حاله فيه حال من يجيء إلى البعير الصعب فيحكه ، ويفتل الشعر فى ذروته وغاربه[3] حتى يسكن ويستأنس . وهذا فى المعنى نظير قولهم — فلان يقرِّدُ فلاناً — أى يتلطف به فعل من ينزع القُراد[4] من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت فى مكانه حتى يتمكن من أخذه . وكذا قوله[5] تعالى ﴿ يأيها الّذين آمنوا لا تُقدِّموا بيْن يدى الله ورسوله ﴾ فإنه لما كان التقدم بين يدى الرجل خارجاً عن صفة المتابع له صار النهى عن التقدم متعلقا باليدين مثلا للنهى عن ترك الاتباع . وكذا قوله[6] تعالى ﴿ والأرضُ جميعاً قبضتهُ يوْم القيامة ﴾ إذ المعنى والله أعلم أن مثل الأرض فى تصرفها تحت أمر الله تعالى وقدرته مثل الشيء يكون فى قبضة الآخذ له منا والجامع يده عليه . وكذا قوله[7] تعالى ﴿ والسماواتُ مطْويات بيمينه ﴾ أى يخلق فيها صفة الطى حتى ترى كالكتاب المطْوى بيمين الواحد منا ، وخص اليمين ليكون أعلى وأفخم للمثل ، لأنها أشرف اليدين وأقواها والتى لا غناء للأخرى دونها ، فلا يهش إنسان لشيء إلا بدأ بيمينه فهيأها لنيله ، ومتى قُصد جعل الشيء فى جهة العناية جعل فى اليد اليمنى ، ومتى قصد خلاف ذلك جُعل فى اليسرى ، كما قال ابن ميادة :

---

(١) ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية ، وهكذا يقال فى سائر الأمثلة .

(٢) أى تنفخ نارا فى غير فحم ، وهو بفتح الحاء الجمر الطافىء .

(٣) الذروة أعلى السنام ، والغارب ما بين السنام والعنق ، وقد يطلق على الذروة .

(٤) هو دُويبة كالقمل تتعلق بالبعير ونحوه .

(٥) آية ١ سورة ٤٩

(٦) آية ٦٧ سورة ٣٩

(٧) آية ٦٧ سورة ٣٩

ألمْ تكُ في يمنى يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا[1]

أي كنت مكرماً عندك فلا تجعلني مهاناً ، وكنت في المكان الشريف منك فلا تحطني في المنزل الوضيع . وكذا إذا قلت للمخلوق — الأمر بيدك — أردت التمثيل أي الأمر كالشيء يحصل في يدك فلا يمتنع عليك ، وكذا قوله[2] تعالى ﴿ ولما سكتَ عنْ موسى الغضبُ ﴾ قال الزمخشري : كأن الغضب كان يغرية على ما فعل ويقول له : قلْ لقومك كذا وألـق الألواح وجرّ برأس أخيك إليك ، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء[3] ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ، ولأنه من قبيل شعب البلاغة[4] وإلا فما لقراءة معاوية بن قرّة ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب ﴾ لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة : وطرفاً من تلك الروعة[5] وما قولهم — اعتصمت بحبله — فقال الزمخشري أيضاً : يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه ، وأن يكون الحبلُ استعارة لعهده والاعتصامُ لوثوقه بالعهد أو ترشيحاً لاستعارة الحبل بما يناسبه[6]. وكذا قول الشمّاخ :

(1) هو للرمّاح بن ميادة ، والاستفهام في قوله — ألم تك للتقرير ، والشاهد في تشبيه صورة إكرامه له بصورة من يجعل الشيء في يمينه لإكرامه وفي تشبيه صورة إهانته له بصورة من يجعل الشيء في شماله لإهانته .

(2) آية ١٥٤ سورة ٧

(3) فشبهت الحالة الناشئة عن الغضب بالحالة الناشئة عن إغراء مغْر ، واستعيرت الحالة الثانية للأولى على طريق التمثيل ويجوز إجراء الاستعارة في — سكت — بتشبيه سكون الغضب بالسكوت ، أو في الغضب بتشبيهه بإنسان يسكت ، فتكون تصريحية تبعية أو مكنية .

(4) يعني أن حسن هذه الكلمة إنما أتى من كونها على طريق التمثيل ومن كون التمثيل من فروع البلاغة ، لأنه من الاستعارة وهي أبلغ من الحقيقة .

(5) فالسبب في هذا هو خلوها من التمثيل ، لأن إسناد السكون إلى الغضب لا تمثيل فيه .

(6) يعني أن الاعتصام على أن الحبل استعارة للعهد إما أن يكون استعارة للوثوق أو ترشيحا لاستعارة الحبل للعهد ، وكل ذلك من المجاز المفرد لا المركب .

إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجـــدٍ تلقّاها عرابةُ باليمــين(١)

الشبه فيه مأخوذ من مجموع التلقى واليمين على حد قولهم — تلقيته بكلتا اليدين — ولهذا لا تصلح حيث يقصد التجوز فيها وحدها ، فلايقال — هو عظيم اليمين — بمعنى عظيم القدرة ، ولا — عرفت يمينك على هـذا — بمعنى عرفت قدرتك عليه .

ومثله قول الآخر :

هوّنْ عليك فإنّ الأمور بكفّ الإله مقـــاديرها(٢)

وكذا ما روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « إن أحدكم إذا تصدق بالتمرة من الطـّيب — ولا يقبل الله إلا الطيب — جعل الله ذلك فى كفه فيربّيها كما يربى أحدكم فلوه(٣) حتى يبلغ بالتمرة مثل أُحد » والمعنى فيهما(٤) على انتزاع الشبه من المجموع .

وكل هذا(٥) يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة ، وقد يسمى التمثيل مطلقاً ، ومتى فشا استعماله كذلك(٦) .

«١» هو للشماخ بن ضرار يمدح به عرابة الأوسى المذكور فى قوله قبله :

رأيت عرابة الأوسىّ يسمو الى الخـــيرات منقطع القرين

استعيرت هيئة تلقى الشيء باليمين لهيئة اقتداره على نيل المجد .

«٢» هو للأعور الشّـنّى واسمه بشر بن منـْقذ، والمقادير جمع مقدار الأمر أى مبلغه أو تقديره بخـير أو شر ، والشاهد فى قوله — بكف الإله مقاديرها — فإنه تمثيل أيضا .

«٣» الفلو الجحش والمهر فطما أو بلغا السنـَة ، وقد استعير فى ذلك وضع الشيء فى الـكف وتنميته لإجزال الله الثواب للمتصدق .

«٤» أى فى البيت والحديث .

«٥» أى ما سبق من أمثلة المجاز المركب .

«٦» الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال أى فشا استعماله باقياً على هيئته فى حال موْرده من غير تغيير .

سمى مثلا ، ولذلك لا تُغيَّرُ الأمثال(١)

ومما يُبنَى على التمثيل نحو قوله(٢) تعالى ﴿ إنَّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ ﴾ معناه لمن كان له قلب ناظرٌ فيما ينبغى أن يُنظر فيه واعٍ لما يجب وعيه ، ولكن عُدِل عن هذه العبارة ونحوها إلى ما عليه التلاوة(٣) بقصد البناء على التمثيل ليفيد ضربا من التخييل ، وذلك أنه لمّا كان الإنسان حين لا ينتفع بقلبه فلا ينظر فيما ينبغى أن ينظر فيه ولا يفهم ولا يعى جُعل كأنه قد عدم القلب جملة ، كما جعل من لا ينتفع بسمعه وبصره فلا يفكر فيما يؤديان إليه بمنزلة العادم لهما ، ولزم على هذا ألاَّ يقال — فلان له قلب — إلا إذا كان ينتفع بقلبه فينظر فيما ينبغى أن ينظر فيه ويعى ما يجب وعيه ، فكان فى قوله تعالى (لمن كان له قلب) تخييل أن من لم ينتفع بقلبه كالعادم للقلب جملة ، بخلاف نحو قولنا — لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغى أن ينظر فيه واع لما يجب وعيه(٤) وفى نظم الآية فائدة أخرى شريفة وهى تقليل اللفظ مع تكثير المعنى . ونقل الشيخ عبد القاهر(٥) عن بعض المفسرين أنه قال : المراد بالقلب العقل . ثم شدَّد عليه النكير فى هذا التفسير، وقال : وإن كان المرجع فيما ذكرناه عند

---

(١) لأنها تستعمل على سبيل الاستعارة فيجب أن يبقى لفظها على حاله من غير تغيير ، وتجرى الاستعارة فيها بأن تشبه صورة مضربها بصورة موردها ثم يستعار لفظها لها ، وعلى هذا يكون كل مثل استعارة ولا عكس ، ومن أمثالهم — أحشفاً وسوء كيلةٍ — يُضرب لمن يُظلم من جهتين ، وتشبه فيه هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل اشترى من آخر حشفاً بتطفيف فى الكيل فقال له - أحشفاً وسوء كيلة — ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

(٢) آية ٣٧ سورة ٥٠

(٣) بالاقتصار على قوله (لمن كان له قلب) دون وصفه بما ذكر .

(٤) فهو لا يفيد فقد القلب من أصله ولا يخيله ، لأن الفقد فيه ينصب على القيد دون المقيد وهو القلب .

(٥) ٤٠٩ — أسرار البلاغة

التحصيل إلى ما ذكره ، ولكن ذهب عليه أن الكلام مبنىّ على تخييل أن من لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعى بمنزلة من عدم قلبه جملة[1] كما تقول فى قول الرجل إذا قال - قد غاب عنى قلبى أو ليس يحضرنى قلبى - إنه يريد أن يخيل إلى السامع أنه غاب عنه قلبه بجملته ، دون أن يريد الإخبار أن عقله لم يكن هناك ، وإن كان المرجع عند التحصيل إلى ذلك ، وكذا إذا قال — لم أكن ههنا ، يريد غفلته عن الشيء ، فهو يضع كلامه على التخييل — هذا معنى كلام الشيخ ، وهو حق لأن المراد بالآية الحث على النظر والتقريع على تركه ، فإن أراد هذا المفسر بتفسيره أن المعنى لمن كان له عقل مطلقاً فهو ظاهر الفساد[2] وإن أراد أن المعنى لمن كان له عقل ينتفع به ويعمله فيما خلق له من النظر فتفسير القلب بالعقل ثم تقييد العقل بما قيده عرىٌّ من الفائدة لصحة وصف القلب بذلك[3] بدليل قوله تعالى[4] ﴿ لهمْ قلوبٌ لا يفقهون بها ﴾ .

واعلم أن المثل السائر لمّا كان فيه غرابة استُعير لفظة المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة[5] وهو فى القرآن كثير كقوله[6] تعالى ﴿ مثلهُمْ كمثل الذى اسْتوقد ناراً ﴾ أى حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد ناراً . وكقوله[7] تعالى ﴿ ولله المثلُ الأعلى ﴾ أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة

---

(١) فيفيد نفى العقل وآلته فى الجسم وهى القلب الذى هو محل الإدراك فى عرف الناس ، أما حمله على العقل فيفيد نفيه وحده دون آلته ، والأول أبلغ .

(٢) لأن المقصودين بذلك فى الآية ومن على شاكلتهم كانت لهم عقول ، ومع هذا لم يكن فى ذلك ذكرى لهم

(٣) والكلام إذا أمكن حمله على ظاهره لم يجز العدول عنه إلا لفائدة .

(٤) آية ١٧٩ سورة ٧ .

(٥) استعارة لفظ المثل لذلك استعارة تصريحية مفردة وليست من التمثيل وقد توجد مع هذا ضمن تمثيل كما فى الآية الأولى ، وإنما ذكر هنا استعارة لفظ المثل لمناسبة الكلام على استعارته فيما سبق ، على أنه مع هذا لم يخرج عن كونه كلاماً فى الاستعارة.

(٦) آية ١٧ سورة ٢

(٧) آية ٦٠ سورة ١٦

وكقوله(١) تعالى ﴿ مثلهم في التوراة ﴾ أي صفتهم وشأنهم المستعجب منه(٢) وكقوله(٣) تعالى ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ في بيان عجائبها(٤) إلى ذلك غير .

﴿ فصل ﴾

الاستعارة المكنية والتخييلية : قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ويدل عليه(٥) بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلا أجرى عليه اسم ذلك الأمر(٦) فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا منها ، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة

---

(١) آية ٢٩ سورة ٤٨

(٢) هو ما بينه بقوله ﴿ كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ الآية .

(٣) آية ٥ سورة ٤٧

(٤) أي في قوله بعد هذا ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ﴾ الآية ، هذا وكل كلام الخطيب في هذا الفصل يدور على الاستعارة التصريحية ، أما الاستعارة المكنية والتخييلية فسيذكرها في الفصل الآتي ، ولا شك أن ما مضى من الأقسام والأحكام لا يختص كله بالاستعارة التصريحية ، ولهذا جعل غيره تلك الأقسام للاستعارة من غير تقييد بتصريحية أو غيرها .

(٥) أي على ذلك التشبيه المضمر في النفس ، ويمتاز هـــذا التشبيه على التشبيه الاصطلاحي بما تمتاز به الاستعارة من المبالغة في التشبيه .

(٦) يعني بهذا ألا يكون في المشبه أمر حسي أو عقلي يطلق عليه اسم الأمر المختص بالمشبه به ، وهذا على مذهبه في أن قرينة المكنية لا تكون إلا تخييلية ، وسيأتي بيان الخلاف في ذلك .

تخييلية[1] . والعلم[2] فى ذلك قول لبيد :

وغداة ريح قد كشفتُ وقرَّة   إذ أصبحتْ بيد الشمال زمامها[3]

فإنه جعل للشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حساً أو عقلا تجرى اليد عليه ، كإجراء الأسد على الرجل الشجاع والصراط على ملة الإسلام فيما سبق[4] ولـكن لما شبه الشمال لتصريفها القرة على حكم طبيعتها فى التصريف بالإنسان المصرِّف لما زمامه بيده أثبت لها يداً على سبيل التخييل مبالغة فى تشبيهها به ، وحكم الزمام

---

(١) على هذا يـكون الاستعارتان عنده أمرين معنويين غير داخلين فى تعريف المجاز ، وقد أفردهما فى هذا الفصل ليستوفى المعانى التى يطلق عليها اسم الاستعارة بطريق الاشتراك اللفظى ، والمذاهب فى الاستعارتين ثلاثة : مذهب الخطيب السابق . ومذهب القدماء ، وهو أن المـكنية هى اسم الشبه به المستعار فى النفس للمشبه ، وأن التخييلية هى إثبات لازم الشبه به للمشبه . ومذهب السكاكى ، وهو أن المـكنية هى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادّعاء ، وأن التخييلية هى اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى أثبتتْ للمشبه والمـكنية على مذهب القدماء والسكاكى داخلة فى المجاز اللغوى ، وكذلك التخييلية على مذهب السكاكى ، وقد قيل : إن التخييلية على مذهب القدماء والخطيب داخلة فى المجاز العقلى ، ولا يخفى أن هذا إنما يصح عند الخطيب إذا كان لازم المشبه به فعلا أو فى معناه ، كقولك — نطقت الحال بكذا — بخلاف نحو — أنشبت المنية أظفارها بفلان — على أنه قد سبق أن المجاز العقلى لا يقوم على أساس التشبيه ، والتخييلية عند القدماء والخطيب تقوم على أساسه ، لأنها إثبات لازم المشبه به للمشبه ، فلا توجد إلا ومعها تشبيه قطعا . وإنى أرى هذا الخلاف قليل الثمرة ، لأن الأمر فيه يرجع إلى توجيه الاستعارتين فقط وكلها توجيهات محتملة .

(٢) أى المثال المشهور شهرة العلم .

(٣) هو لبيد بن ربيعة العامرى ، والواو فى قوله — وغداة — واو رُبّ ، والقرة البرد ، والشمال أبرد الرياح ، يفتخر بأنه يمنع عادية البرد عن الناس بإطعامهم وإيقاد النار لهم ، لأن ذلك وقت الجدب عندهم .

(٤) فى الاستعارة التحقيقية وهى التصريحية .

فى استعارته للقرة(١) حكم اليد فى استعارتها الشمال ، لجعل للقرة زماماً ليكون أتم فى إثباتها مصرّفة كما جعل للشمال يدا ليكون أبلغ فى إثباتها مصرّفة ، فوفى المبالغة حقها من الطرفين ، فالضمير فى — أصبحت وزمامها — للقرة وهو قول الزمخشرى ، والشيخ عبد القاهر جعله للغداة(٢) والأول أظهر .

واعلم أن الأمر المختص بالمشبه به الثبت للمشبه منه ما لا يكمل وجه الشبه فى المشبه به بدونه ، كما فى قول أبى ذؤيب الهذلىّ :

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لاتنفع(٣)

فإنه شبه المنية بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفّاع وضرّار ولا رقّة لمرحوم ولابقيا على ذى فضيلة ، فأثبت للمنية الأظفار التى لا يكمل ذلك فى السبع بدونها تحقيقاً للمبالغة فى التشبيه(٤) .

ومنه ما به يكون قوام وجه الشبه فى المشبه به ، كما فى قول الآخر .

ولئن نطقت بشكر برّك مفصحاً فلسان حالى بالشكاية أنطق(٥)

فإنه شبه الحال الدالة على المقصود بإنسان متكلم فى الدلالة ، فأثبت لها اللسان الذى

---

(١) أى بعد تشبيهها بالمطيّة وحذف المشبه به ، ففى هذا استعارة مكنية وتخييلية أيضا .

(٢) ٥٢ — أسرار البلاغة .

(٣) المنية الموت ، وقوله — أنشبت — بمعنى علقت ، وقوله — ألفيت — بمعنى وجدت ، والتميمة خرزة يجعلونها معاذة من العين والجن ، وأبو ذؤيب هو خويلد ابن خالد .

(٤) إنما كانت الأظفار مكملة لذلك لأنه يمكن حصوله بالأنياب ونحوها .

(٥) هو محمد بن عبد الله العتبى ، والبر المعروف ، وقوله — فلسان حالى الخ — قائم مقام جواب الشرط ، وتقديره فإن لسان مقالى لا يكون أقوى من لسان حالى ، وهذا لأن ضره أكثر من بره .

به قوام الدلالة في الإنسان(١) .

وأما قول زهير :

صحا القلبُ عن سلمى وأقصر باطلهْ وعرّى أفراسُ الصِّبا ورواحلهْ(٢)

فيحتمل أن يكون استعارة تخييلية وأن يكون استعارة تحقيقية ، أما التخييل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أوان المحبة من الجهل والغي وأعرض عن معاودته فتعطلت آلاته كأيِّ أمر وطنت النفس على تركه ، فإنه تهمل آلاته فتتعطل ، فشبه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها الوطر فأهملت آلاتها فتعطلت(٣) فأثبت له الأفراس والرواحل(٤) فالصبا على هذا من الصَّبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوَّة لا بمعنى الفتاء(٥) وأما التحقيق فأن يكون أراد بالأفراس والرواحل دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات ، أو الأسباب التي قلَّما تتأخذ في اتباع الغي إلا أوان الصبا(٦) .

---

(١) يجوز أن يكون قوله — لسان حالي — من إضافة المشبه به إلى المشبه فيكون تشبيها لا استعارة .

(٢) هو لزهير بن أبي سلمى ، وقوله — صحا — هو في الأصل بمعنى الإفاقة من سكر ونحوه ، وهو مستعار هنا للسلو وزوال العشق ، وقوله — أقصر — بمعنى امتنع عن قدرة وفي العبارة قلب والأصل وأقصر عن باطله ، ويجوز أن يكون معناه مطلق الامتناع فلا يكون في العبارة قلب ، والرواحل جمع راحلة وهي القوية من الإبل على الأحمال والأسفار .

(٣) هذا التشبيه استعارة مكنية .

(٤) إثبات ذلك له استعارة تخييلية .

(٥) المراد بالفتوة استيفاء اللذات وبالفتاء زمن الشباب .

(٦) هذه الأسباب كالمال والأعوان ، والتحقيق على إرادتها حسي وعلى إرادة دواعي النفوس عقلي ، والاستعارة عليهما تحقيقية تصريحية ، والصبا فيهما من الصباء بمعنى الفتاء لا من الصبوة ، لأنها هي الدواعي المرادة من الأفراس فلا تصح إضافته إليها ، وعلى هذا لا يكون في ذلك استعارة مكنية ولا تخييلية لأنهما متلازمتان =

﴿ فصل ﴾

اعتراضات على السكاكى : إعلم أن كلام السكاكى فى هذا الباب — أعنى باب الحقيقة والمجاز والفصل الذى يليه — مخالف لواضع مما ذكرنا ، فلا بدّ من التعرض لها ولبيان ما فيها .

اعتراض عليه فى تعريف الحقيقة والمجاز : منها أنه عرّف الحقيقة اللغوية بالكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له من غير تأويل فى الوضع(1) وقال : إنما ذكرت هذا القيد يعنى قوله — من غير تأويل فى الوضع — ليحترز به عن الاستعارة ، ففى الاستعارة تعدُّ الكلمة مستعملة فيما هى موضوعة له على أصح القولين(2) ولا نسميها حقيقة ، بل نسميها مجازاً لغوياً ، لبناء دعوى المستعار موضوعاً للمستعار له على ضرب من التأويل كما مر(3) .

= عند الخطيب ، وقد جوز الزمخشرى أن تكون قرينة المكنية استعارة تحقيقية ، كما فى قوله تعالى ﴿ الذين ينقضون عهد الله ﴾ ى ٢٨ – س ٢ – فقد شبه العهد بالحبل على طريق الاستعارة المكنية ، ثم استعير النقض وهو قرينتها لإبطال العهد على طريق الاستعارة التحقيقية التصريحية ، وعلى هذا يصح اجتماع المكنية والتصريحية فى أفراس الصبا .

هذا ولا يفوتنى فى هذا الفصل أن أشير إلى أن عبد القاهر فى شرح بيت لبيد « وغداة ريح – البيت » لم يذكر إلا إثبات اليد للشمال تخييل ، ولم يتعرض بعده لاستعارة بالكناية ولا غيرها ، وإنى أرى أن تقدير التخييل فى ذلك ونحوه يغنى عن تقدير الاستعارة المكنية .

(1) ١٩١ – المفتاح

(2) هو القول بأنها مجاز لغوى ، فيجب عليه الاحتراز عنها لكونها مستعملة فى غير معناها الحقيقى وأما على القول بأنها مجاز عقلى فلفظها يكون مستعملاً فى معناه الحقيقى ، فلا يصح الاحتراز عنها ، وعلى هذا يكون قوله – على أصح القولين – متعلقاً بقوله ليحترز أو باستعارة ، وكان الأولى ذكره بعدها كما جاء فى التلخيص .

(3) يريد بالتأويل دعوى دخول المشبه فى جنس المشبه به .

ثم عرف المجاز اللغوى بالكلمة المستعملة فى غير ما هى موضوعة له بالتحقيق استعمالا فى الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها(١) مع قرينة مانعة عن إرادة معناها فى ذلك النوع(٢) وقال : قولى — بالتحقيق — احترازٌ ألاّ تخرج الاستعارة(٣) التى هى من باب المجاز نظراً إلى دعوى استعمالها فيما هى موضوعة له على ما مر ، وقوله — استعمالا فى الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها — بمنزلة قولنا فى تعريف المجاز — فى اصطلاح به التخاطب — على ما مر ، وقوله — مع قرينة الخ — احتراز عن الكناية كما تقدم .

وفيهما نظر ، لأن لفظ الوضع وما يشتق منه إذا أطلقَ لا يُفهمُ منه الوضع بتأويل ، وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق لما سبق من تفسير الوضع ، فلا حاجة إلى تقييد الوضع فى تعريف الحقيقة بعدم التأويل وفى تعريف المجاز بالتحقيق ، اللهم إلا أن يراد زيادة البيان لاتتميم الحد ، ثم تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه إذا كان لابدّ منه فى تعريف المجاز ليدخل فيه نحو — لفظ الصلاة — إذا استعملها المُخاطبُ بعرف الشرع فى الدعاء مجازاً ، فلا بد منه فى تعريف الحقيقة أيضاً ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق ، وقد أهمله فى تعريفها ، لايقال . قوله فى تعريفها — من غير تأويل فى الوضع — أغنى عن هذا القيد ، فإن استعمال اللفظ فيما وضع له فى غير اصطلاح التخاطب إنما يكون بتأويل فى وضعه ، لأن التأويل(٤) فى الوضع يكون فى الاستعارة على أحد القولين(٥)

---

(١) فإذا كانت الحقيقة لغوية تكون الكلمة مستعملة فى غير معناها اللغوى فتكون مجازاً لغوياً ، وإذا كانت شرعية تكون الكلمة مستعملة فى غير معناها الشرعى فتكون مجازاً شرعياً ، وهكذا .

(٢) ١٩٢ — المفتاح .

(٣) هذه العبارة فاسدة لأن الاحتراز بذلك عن خروج الاستعارة لا عن عدم خروجها ، فقوله بالتحقيق — قيد للإدخال لا للإخراج ، ويجوز تقدير اللام أى لئلا تخرج فتصبح العبارة .

(٤) تعليل للنفى فى قوله — لا يقال الخ .

(٥) هو القول بأنها مجاز لغوى ، والتأويل عليه بمعنى دعوى دخول المشبه فى جنس المشبه به .

دون سائر أقسام المجاز[1] ولذلك قال - وإنما ذكرت هذا القيد ليحترز به عن الاستعارة . ثم تعريفه للمجاز يدخل فيه الغلط كما تقدم[2] .

الاعتراض عليه في جعل التمثيل من المجاز المفرد : ومنها أنه قسّمَ المجاز إلى الاستعارة وغيرها[3] وعرّف الاستعارة بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مُدَّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به[4] وقسم الاستعارة إلى المُصرح بها والمكنيّ عنها ، وعنى بالمصرح بها أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه[5] وجعلها ثلاثة أضرب : تحقيقية وتخييلية ومحتملة للتحقيق والتخييل[6] وفسر التحقيقية بما مر[7] وعدّ التمثيل على سبيل الاستعارة منها . وفيه نظر ، لأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا مركباً كما سبق ، فكيف يكون قسما من المجاز المفرد ؟ ولو لم يقيد الاستعارة بالإفراد وعرّفها بالمجاز الذي أريد به ما شُبِّهَ بمعناه الأصلي مبالغةً في التشبيه دخل كل من التحقيقية والتمثيل في تعريف الاستعارة[8] .

---

(١) فالذي يخرج به عن تعريف الحقيقة هو الاستعارة دون غيرها من أقسام المجاز، فلابدّ حينئذ من ذلك القيد معه .

(٢) لأنه لم يذكر فيه قيد - على وجه يصح - وهو الذي يخرج به الغلط كما سبق في تعريف الخطيب للمجاز .

(٣) ١٩٤ - المفتاح .

(٤) ١٩٦ - المفتاح .

(٥) ١٩٨ - المفتاح .

(٦) يعني بالمحتملة للتحقيق والتخييل نحو ما سبق من بيت زهير في ص ١٥٦

(٧) في ص ١٠٤

(٨) أي ولم يعترض عليه بذلك ، وقد أجيب عن ذلك الاعتراض بأن القسم قد يكون أعم من مقسمه ، كما في تقسيم الأبيض إلى حيوان وغيره .

الاعتراض عليه فى تعريف التخييلية : ومنها أنه فسر التخييلية بما استعمل فى صورة وهمية قدرت مشابهة لصورة محققة هى معناه ، كلفظ الأظفار فى قول الهذلى[1] فإنه لما شبه المنية بالسبع فى الاغتيال على ما تقدم أخذ الوهم فى تصويرها بصورته واختراع مثل ما يلائم صورته ويتم به شكله لها من الهيئات والجوارح ، وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتياله للنفوس به. فاخترع للمنية صورة مشابهة لصورة الأظفار المحققة فأطلق عليها اسمها[2] وفيه نظر ، لأن تفسير التخييلية بما ذكره بعيد لما فيه من التعسف[3] وأيضاً فظاهر تفسير غيره لها بقولهم — جعل الشىء للشىء كجعل لبيد[4] للشمال يداً - يخالفه، لاقتضاء تفسيره أن يجعل للشمال صورة متوهمة مثل صورة اليد لا أن يجعل لها يداً ، فإطلاق اسم اليد على تفسيره استعارة، وعلى تفسير غيره حقيقة والاستعارة إثباتها للشمال ، كما قلنا فى المجاز العقلى الذى فيه المسند حقيقة لغوية[5] وأيضاً فيلزمه أن يقول بمثل ذلك — أعنى بإثبات صورة متوهمة — فى ترشيح الاستعارة[6] لأن كل واحدة من التخييلية والترشيح فيه إثبات بعض لوازم المشبه به المختصة به للمشبه، غير أن التعبير عن المشبه فى التخييلية بلفظه الموضوع له وفى الترشيح بغير لفظه[7] وهذا

---

(1) قد سبق فى ص ١٥٥

(2) ٢٠٠ — المفتاح

(3) باشتماله على تلك الاعتبارات الكثيرة من تقدير الصورة الخيالية ، ثم تشبيهها بالمحققة ، ثم استعارة لفظها لها ، وهى اعتبارات لا دليل فى الكلام عليها ولا تدعو حاجة إليها .

(4) أنظر ص ١٥٥

(5) نحو — أنبت الربيع البقل .

(6) كما فى قولك — رأيت أسداً يحارب له لبد — فهو يعنى ترشيح الاستعارة التصريحية .

(7) هو لفظ المشبه به كما هو شأن الاستعارة التصريحية .

لا يفيد فرقا ، والقول بهذا يقتضى أن يكون الترشيح ضرباً من التخييلية وليس كذلك[1]
وأيضاً فتفسيره للتخييلية أعم من أن تكون تابعة للاستعارة بالكناية كما فى بيت الهذلى[2] أو غير تابعة بأن يُتخيَّل ابتداء صورة وهمية مشابهة لصورة محققة فيستعار لها اسم الصورة المحققة ، والثانية بعيدة جداً ، ويدل على إرادته دخول الثانية فى تفسير التخييلية أنه قال : حسنُها بحسب حسن المكنىّ عنها متى كانت تابعة لها ، كما فى قولك — فلان بين أنياب المنية ومخالبها — وقلّما تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها ، ولذلك استُهجنتْ فى قول الطائى :

لا تسقنى ماء الملام فإننى صبٌّ قد استعذبت ماء بكائى[4]

فإن قيل : لِم لا يجوز أن يريد بغير التابعة للمكنى عنها التابعة لغير المكنى عنها ؟ قلنا : غير المكنى عنها هى المصرح بها، فتكون التابعة لها ترشيح الاستعارة، وهو من أحسن

«1» لأن التخييل خاص بالمكنية والترشيح خاص بالتصريحية والمجاز المرسل ، ويمكن أن يجاب عن هذا بأن الترشيح للمبالغة فى الاستعارة والتخييل لحصولها، ولا شك أن ما يقوى الشىء الحاصل يجدر به أن يسمى ترشيحاً ، وأن ما لا تتم الاستعارة إلا به يجدر به أن يسمى استعارة ، وقد قيل : إن الترشيح يأتى فى المكنية أيضاً ، كقولك — أظفار المنية نشبت بفلان فافترسته — فالافتراس ترشيح فى هذه الاستعارة وهى مكنية لا تصريحية .

«2» قد سبق فى ص ١٥٥

«3» ٢٠٦ — المفتاح

«4» هو لأبى تمام ، والملام اللوم والعتاب ، والصب العاشق وذو الولع الشديد ، وقوله — استعذبت — من استعذب الشىء بمعنى وجده عذبا ، والشاهد فى قوله — ماء الملام — لأنه تخييلية غير تابعة للمكنية ، وسيوجهه الخطيب بعدُ . وقد حكى أن رجلا جاء أبا تمام بقصعة وقال : أعطنى قليلا من ماء الملام . فقال أبو تمام : لا أعطيكه حتى تأتينى بريشة من جناح الذل . فأفحم الرجل ، والحق أنه ليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام ، لأن الطائر إذا وهن بسط جناحه وخفضه وألقى نفسه على الأرض ، وبهذا حسن جعل الجناح للذل لما بينهما من المناسبة .

وجوه البلاغة ، فكيف يصح استهجانه ؟ وأما قول أبى تمام فليس له فيه دليل ، لجواز أن يكون أبو تمام شبه الملام بظرف الشراب لاشتماله على ما يكرهه الملوم ، كما أن الظرف قد يشتمل على ما يكرهه الشارب لبشاعته أو مرارته ، فتكون التخييلية فى قوله تابعة للمكنى عنها ، أو بالماء نفسه[1] لأن اللوم قد يسكِّن حرارة الغرام كما أن الماء يسكن غليلَ الأوام ، فيكون تشبيهاً على حد — لجين الماء — فيما مر[2] لا استعارة ، والاستهجان على الوجهين[3] لأنه كان ينبغى له أن يشبهه بظرف شراب مكروه أو بشراب مكروه[4] ولهذا لم يستهجن نحو قولهم — أغلظت لفلان القول ، وجرعته منه كأساً مُرَّةً ، أو سقيته أمرَّ من العلقم[5] .

الاعتراض عليه فى تعريف المكنية : ومنها أنه عنى بالاستعارة المكنى عنها أن يكون المذكور من طرف التشبيه هو المشبه[6] على أن المراد بالمنيَّة فى قول الهذلى[7] السَّبعُ بادعاء السَّبُعية لها وإنكار أن تكون شيئاً غير السبع بقرينة إضافة الأظفار إليها[8] وفيه نظر ، للقطع بأن المراد بالمنية فى البيت هو الموت لا الحيوان المفترس ،

(1) معطوف على قوله — بظرف الشراب .

(2) انظر ص ٧٧

(3) يعنى أن قول أبى تمام مستهجن على هذين الوجهين أيضاً ، وهما أن يكون تخييلية تابعة للمكنية وأن يكون تشبيهاً لا استعارة .

(4) أى لا بظرف شراب مطلقاً ، كما فى الوجه الأول ، ولا بالماء كما فى الوجه الثانى ، لأن الملام مكروه فيجب فى استعارة شىء له أو تشبيهه به أن يكون مكروها ، لوجوب المناسبة بين الطرفين فى الاستعارة والتشبيه .

(5) لأنه شبه فيه القول المكروه بظرف شراب مكروه أو بمشروب مكروه .

(6) فى هذه العبارة تساهل ، لأن المكنية عند السكاكى هى لفظ المشبه لا كونه هو المذكور من طرفى التشبيه .

(7) قد سبق فى ص ١٥٥

(8) ٢٠١ — المفتاح .

فهو مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق ، وكذا كل ما هو نحوه ، ولا شيء من الاستعارات مستعملا كذلك ، وأما ما ذكره فى تفسير قوله — من أنا ندعى ههنا أن اسم المنية اسمٌ للسبع مُرادفٌ للفظ السبع بارتكاب تأويل ، وهو أن تدخل المنية فى جنس السبع للمبالغة فى التشبيه ، ثم نذهب على سبيل التخييل إلى أن الواضع كيف يصح منه أن يضع اسمين لحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين ، فيتهيأ لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح[1] بلفظ المنية — فلا يفيده ، لأن ذلك لا يقتضى كون اسم المنية غير مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق من غير تأويل ، فيدخل فى تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للمجاز[2] وكأنه لما رأى علماء البيان يطلقون لفظ الاستعارة على نحو ما نحن فيه[3] وعلى أحد نوعى المجاز اللغوى الذى هو اللفظ المستعمل فيما شُبِّه بمعناه الأصلى[4] ويقولون : الاستعارة تنافى ذكر طرفى التشبيه — ظن أن مرادهم بلفظ الاستعارة عند الإطلاق وفى قولهم استعارة بالكناية معنى واحد[5] فبنى على ذلك ما تقدم[6] .

الاعتراض عليه فى رد التبعية إلى المكنية : ومنها أنه قال فى آخر فصل الاستعارة التبعيّة : هذا ما أمكن من تلخيص كلام الأصحاب فى هذا الفصل ، ولو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية ، بأن قلبوا فجعلوا

---

(١) يعنى أن التصريح بلفظها ينافى دعوى دخولها فى جنس السبع ، لأن الذى يناسبه عدم التصريح بها وإطلاق لفظ السبع عليها ، ولكن بعد تخييل تلك المرادفة تزول تلك المنافاة لأن لفظ المنية يصير كلفظ السبع .

(٢) لأن ادعاء السبعية لا يخرجها عن حقيقتها كما هو شأن الادعاء فى كل شيء ، وحينئذ يكون لفظها لا يزال مستعملا فى حقيقته مع ذلك الادعاء .

(٣) هو الاستعارة المكنية .

(٤) هو الاستعارة التصريحية .

(٥) هو اللفظ المستعمل فى غير معناه الأصلى لعلاقة التشبيه .

(٦) من تعريفه الاستعارة بالكناية بأنها لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به بادعاء دخوله فيه .

فى قولهم — نطقت الحال بكذا — الحال التى ذِكرُها عندهم قرينةُ الاستعارة بالتصريح[1] استعارةٌ بالكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة فى التشبيه على مُقتضى المقام وجعلوا نسبة النطق إليه قرينة الاستعارة ، كما تراهم فى قوله :

وإذا المنيَّة أنشبت أظفارَها[2]

يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع، ويجعلون إثبات الأظفار لها قرينة الاستعارة وهكذا لو جعلوا البخل[3] استعارة بالكناية عن حى أبطلتْ حياته بسيف أو غير سيف فالتحق بالعدم، وجعلوا نسبة القتل إليه قرينة الاستعارة، ولو جعلوا أيضاً اللَّهذَميَّات[4] استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة الشهية على سبيل التهكم ، وجعلوا نسبة لفظ القرَى إليها قرينة الاستعارة — لكان أقرب إلى الضبط[5] . هذا لفظه[6] وفيه نظر ، لأن التبعية التى جعلها قرينة لقرينتها التى جعلها استعارة بالكناية ، كنطقت فى قولنا — نطقت الحال بكذا — لا يجوز أن يقدرها حقيقة حينئذ ، لأنه لو قدرها حقيقة لم تكن استعارة تخييلية لأن الاستعارة التخييلية عنده مجاز كما مر ، ولو لم تكن تخييلية لم تكن الاستعارة بالكناية مستلزمة للتخييلية ، واللازم باطل بالاتفاق[7] فيتعين أن يقدِّرها مجازاً ، وإذا قدرها مجازاً لزمه أن يقدرها من قبيل الاستعارة لتكون العلاقة بين المعنيين هى المشابهة ، فلا يكون ما ذهب إليه مغنيا عن قسمة الاستعارة إلى

---

(١) هى الاستعارة التصريحية التبعية فى — نطقت .

(٢) قد سبق هذا البيت فى ص ١٥٥ .

(٣) أى فى البيت السابق فى ص ١٣٨ .

(٤) أى فى البيت السابق فى ص ١٣٨ .

(٥) يعنى بالضبط أن تكون أقسام الاستعارة قليلة غير منتشرة :

(٦) ٢٠٤ — المفتاح

(٧) دعوى الاتفاق فى هذا غير صحيحة ، لأن الزمخشرى كما سبق يجوز أن تكون قرينة المكنية استعارة تحقيقية ، والسكاكى أيضاً لم يرد عنه نص قاطع فى استلزام المكنية للتخييلية ، بل اضطرب فى هذا كلامه هنا وفى المجاز العقلى .

أصلية وتبعية ، ولكن يستفاد مما ذكر ردُّ التركيب فى التبعية(١) إلى تركيب الاستعارة بالكناية على ما فسرناها(٢) وتصير التبعية حقيقة واستعارة تخييلية ، لما سبق أن التخييلية على ما فسرناها(٣) حقيقة لا مجاز .

فصل

شروط حسن الاستعارة : وإذْ قد عرفت معنى الاستعارة التحقيقية والاستعارة التخييلية والاستعارة بالكناية والتمثيل على سبيل الاستعارة ، فاعلم أن لحسنها شروطا إن لم تصادفها عريتْ عن الحسن ، وربما تكتسب قبحا ، وهى فى كل من التحقيقية والتمثيل(٤) رعاية ماسبق ذكره من جهات حسن التشبيه(٥) وألا يُشمّ من جهة اللفظ

---

(١) يعنى بالتبعية التصريحية التبعية فى نحو نطقت من قولهم — نطقت الحال بكذا — ويعنى بالتركيب فيها تركيبها مع قرينتها وهى الحال ، ويعنى برد ذلك إلى تركيب الاستعارة بالكناية أن يجعل استعارة بالكناية وقرينة لها .

(٢) من أنها التشبيه المضمر فى النفس .

(٣) من أنها إثبات لازم المشبه به للمشبه ، ومراده من كل هذا على تعقيده أن السكاكى لو كان يرى فى المكنية والتخييلية ما يراه الخطيب لأمكنه رد التبعية إليهما ولم يرد عليه ذلك الاعتراض لأن التخييلية على قول الخطيب حقيقة لا مجاز ، ولكن يبقى أن رد التبعية إلى المكنيه إنما يمكن فيما قرينتها لفظية لا حالية كما فى قوله تعالى ﴿ لعلكم تتقون ﴾ آية ٢١ سورة ٢

(٤) يريد بالتحقيقية الاستعارة التصريحية وبالتمثيل المجاز المركب على ما سبق له .

(٥) هو أن يكون وجه الشبه ظاهر الشمول للطرفين وافياً بإفادة ماعلق عليه من الغرض ونحو ذلك ، وإنما اعتبر فى ذلك ظهور الشمول لأن أصله شرط فى صحة التشبيه لا فى حسنه ، ومن الاستعارة القبيحة لفقد ذلك الشرط قول الشاعر :

وذات هِدْمٍ عارٍ نواشرُها ... تُصْمت بالماء تَوْلبا جدعاً =

رائحته[1] ولذلك يُوصَّى فيه أن يكون الشبه بين طرفيها جلياً بنفسه أو بعرف أو غيره[2] وإلا صار تعمية وإلغازاً لا استعارة وتمثيلا ، كما إذا قيل ـ رأيت أسداً ـ وأريد إنسان أبخر ، وكما إذا قيل ـ رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة ـ وأريد الناس[3] أو قيل ـ رأيت عوداً مستقيما أوان الغرس ـ وأريد إنسان مؤدبٌ في صباه ، وبهذا ظهر أنهما لا يجيئان في كل ما يجيء فيه التشبيه

= سمى الصبي تولبا وهو ولد الحمار ، فهى استعارة بعيدة فاحشة .

(١) هذا يكون بذكر الشبه على وجه لا ينبيء عن التشبيه ، فلا تبطل به الاستعارة ولكنها تكون قبيحة ، كما في قول الشاعر :

لا تعجبوا من بِلى غِلالته قد زرَّ أزْرارهُ على القمر

فإنه ذكر فيه ضميرَ المشبه وهو المحبوب على وجه لا ينبيء عن التشبيه ، وإنما قيد شم ذلك بأن يكونَ من جهة اللفظ لأن الاستعارة يشم منها ذلك في المعنى قطعاً . ويجب أن يراعى في الاستعارة مناسبتها لحال الزمان والمكان ، ولهذا يقول العرب إذا فسد ما بين الصديقين ـ يبس الثرى ما بين الصديقين ـ ويقول غيرهم ـ جمد الثلج بين الصديقين ـ فيراعى كل منهما حال مكانهما .

(٢) جلاؤه بنفسه كما في تشبيه القدّ بالغصن في الاعتدال ، لأنه يدرك بالحس ، وجلاؤه بالعرف كما في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، لأن الاسد معروف بالشجاعة وإنما كان هذا الشرط مترتبا على ما قبله لأنه إذا لم تشم رائحة التشبيه من جهة اللفظ كان في ذلك نوع خفاء فيه ، فلا يصح أن يضم إليه خفاء وجه الشبه ، ولكن استحسان جلاء الشبه يجب أن يكون بحيث لا يصير به إلى حد الابتذال ، لما سبق من تفضيل الشبه الغريب على المبتذل .

(٣) هذا المثال مأخوذ من حديث سبق في ص ٦٦ ، ولكن الخفاء فيه من جهة عدم ذكر القرينة لا من جهة خفاء الشبه .

ومما يتصل بهذا[1] أنه إذا قوى الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كأنه الأصل لم يحسن التشبيه وتعينت الاستعارة[2] ، وذلك كالنور إذا شُبِّه العلم به والظلمة إذا شُبِّهت بها ، فإنه لذلك يقول الرجل إذا فهم المسألة — حصل في قلبي نور — ولا يقول كأن نوراً حصل في قلبي[3] ويقول لمن أوقعه في شبهة ـ أوقعتني في ظلمة ـ ولا يقول كأنك أوقعتني في ظلمة .

وكذا المكنيُّ عنها حسنها برعاية جهات حسن التشبيه[4] وأما التخييلية فحسنها بحسب حسن المكنى عنها ، لما بيَّنا أنها لا تكون إلا تابعة لها .

---

(١) أي المذكور من أنه إذا خفي الشبه لم يحسن الاستعارة ، والاتصال بينهما على وجه التقابل ، وقيل أيضاً : إن هذا كالاستثناء من الشرط الأول لعدم حسن التشبيه فيما سيذكره مع حسن الاستعارة فيه .

(٢) يعني بتعينها استحسانها ، لأن التشبيه يجوز في هذا مع حسن الاستعارة فيه .

(٣) مثل هذا قد يقبل ، وإنما الذي لا يقبل أن يقال — حصل في قلبي علم كالنور وكذا ما بعده .

(٤) مما استهجن من أجل هذا قول أبي نواس :

بحَّ صوتُ المالِ ممَّا منك يشكو ويصيحُ

لأنه لا مناسبة بين طرفي الاستعارة ، وهو يريد أن المال يتظلم من إهانته له بالتمزيق والعطاء ، فالمعنى حسن والتعبير عنه قبيح ، والمقبول في ذلك قول مسلم بن الوليد :

تظلَّم المال والأعداءُ من يده لا زال للمال والأعداءِ ظلاَّما

وإنما لم يشترط في المكنية ألا يشم رائحة التشبيه لفظا لأن من لوازمها ذكر لازم المشبه به فيشم به رائحة التشبيه لفظا .

فصـــل

المجاز بالحذف والزيادة : واعلم أن الكلمة كما توصفُ بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي كما مضى ، توصف به أيضاً لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره لحذف لفظ أو زيادة لفظ ، أما الحذف فكقوله(١) تعالى ﴿ واسأل القرْية ﴾ أى أهل القرية (٢) فإعراب القرية فى الأصل هو الجر ، فحُذف المضاف وأعطى المضاف إليه إعرابه ، ونحوه قوله(٣) تعالى ﴿ وجاء ربُّك ﴾ أى أمر ربك(٤) وكذا قولهم — بنو فلان يطؤهم الطريق — أى أهل الطريق .

وأما الزيادة فكقوله(٥) تعالى ﴿ ليس كمثله شيءٌ ﴾ على القول بزيادة الكاف(٦) أى ليس مثله شيء ، فإعراب (مثله) فى الأصل هو النصب فزيدت الكاف فصار جرًّا .

فإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الإعراب — كما فى قوله(٧) تعالى ﴿ أو كصيِّبٍ من السماء ﴾ إذ أصله أو كمثل ذوى صيب ، لحذفَ — ذوى — لدلالة (يجعلون أصابعهُمْ فى آذانهمْ) عليه . وحذف مثل لما دل عليه عطفه على قوله (كمثل الذى

(١) آية ٨٢ سورة ١٢

(٢) لأن السؤال إنما يتوجه إليهم ، وإذا جعلت القرية مجازاً عن أهلها كان مجازاً مرسلا من إطلاق اسم المحلّ على الحالّ .

(٣) آية ٢٢ سورة ٨٩

(٤) لأن المجيء مستحيل عليه تعالى بخلاف أمره ، لأنه يجوز إسناد المجيء إلى الأمر على سبيل المجاز العقلي ، بل قيل : إنه صار فى مثل هذا حقيقة عرفية ، كقولهم — جاء أمرُ السلطان — ونحوه .

(٥) آية ١١ سورة ٤٢

(٦) قيل : إنها أصلية لأن لفظ مثل قد يكنى به عما يضاف إليه ، كقولهم — مثلك لا يبخل .

(٧) آية ١٧ سورة ٢ .

استوقد ناراً) إذ لا يخفى أن التشبيه ليس بين صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوى صيب[1] ، وكقوله ﴿ فبما رحمةٍ من الله لنت لهم [2] ﴾ وقوله ﴿ لئلا يعلم أهلُ الكتاب[3] ﴾ فلا توصف الكلمة بالمجاز .

إنكار المجاز بالحذف والزيادة : وقد بالغ الشيخ عبد القاهر فى النكير على من أطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة[4]

---

(١) وإنما هو بين صفة المنافقين العجيبة أى مثلهم ومثل ذوى صيب .

(٢) آية ١٥٩ سورة ٣ ، وقد قسم الغزالى المجاز إلى أربعة عشر قسما ، وجعل هذا من قسم الزيادة فى الكلام بغير فائدة ، وقد رد عليه ابن الأثير بأنه لا مجاز فيه ، وبأن — ما — ليست بزائدة ، لأنها لتفخيم الأمر ، وهى محض الفصاحة .

(٣) آية ٢٩ سورة ٥٧ .

(٤) ٤٥٠ — ٤٦٣ — أسرار البلاغة ، فالمجاز عنده خاص بنقل الكلمة عن معناها الأصلى إلى غيره ، وقال السكاكى : رأيى أن يقال هو مشبه للمجاز وملحق به لاشتراكهما فى التعدى عن الأصل ، وقد جعله ابن الأثير من المجاز بمعنى التوسع فى الكلام .

تمرينات على المجاز المرسل والاستعارة

تمرين — ١

(١) بين ما فيه مجاز مرسل وما فيه استعارة من هذين البيتين :

من يزرع الشرّ يحصد في عواقبه ندامة ولحصد الزرع إبّانُ
ولم يبْق سوى العُدْوا نِ دنّاهُم كما دانُوا

(٢) ما نوع الاستعارة وما قرينتها في قول الشاعر :

إذا ما الدّهرُ جرّ على أناسٍ كلاكلهُ أناخ بآخرينا

تمرين — ٢

(١) وردت — دما — فيما يأتي مجازا مرسلا واستعارة فبينهما :

فتىً كلّما فاضت عيونُ قبيلةٍ دماً ضحكتْ عنه الأحاديثُ والذِّكرُ
أكلتُ دماً إن لم أرُعْك بضرّةٍ بعيدة مهْوى القُرط طيبة النّشر

(٢) كيف تجرى الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية في قول الشاعر :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفتْ لهُ عن عدوٍّ في ثياب صديق

تمرين — ٣

(١) كيف جرت الاستعارة في العَلَم من قول الشاعر :

لقد حان توديعُ العميد وإنّهُ حقيقٌ بتشييع المحبّين والمدا
فلمْ لا نرى الأهرام يا نيلُ ميّدا وفرعونُ عن واديك مرتحلُ غدا

(٢) كيف تجرى الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى ﴿ إنّا عرضْنا الأمانة على السّماوات والأرْض والجبال فأبيْن أنْ يحْملْنها وأشفقْن منْها ﴾ ى ٧٢ س ٣٣

تمرين — ٤

بين الاستعارة المطلقة والمرشحة والمجردة فى الأبيات الآتية :

(١) رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلد وهو للقلب جارح

(٢) إنَّ التباعد لا يضرُّ إذا تقاربت القلوبْ

(٣) إذا انتضل القوم الأحاديث لم يكنْ عييًّا ولا ربًّا على من يقاعد

تمرين — ٥

(١) لماذا قبحت الاستعارة فى قول الشاعر :

بلبناك أمّا كعب عرضك فى العلا فعال وأمّا خدُّ مالك أسفل

(٢) لماذا كان المجاز المرسل فى هذا البيت غير مفيد :

فبتنا جلوساً لدى مهرنا تنزع من شفتيه الصفارا

(٣) لماذا استحسنت الاستعارة التخييلية فى قوله تعالى ﴿ واخفضْ لهما جناح الذلِّ ﴾ آية ٢٤ سورة ١٧ ، واستهجنت فى قول أبى تمام :

لا تسقنى ماء الملام فإنّنى صب قد استعذبت ماء بكائى

تمرين — ٦

(١) وازن بين الاستعارتين فى قول الشاعر :

سالتْ عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدّنانير

وقول الآخر :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالتْ بأعناق المطىّ الأباطح

(٢) ماهى علاقة المجاز المرسل فى قول الشاعر :

فهمْتُ الكتاب أبرّ الكتبْ فسمعاً لأمر أمير العربْ

(٣) لماذا عيب على أبى تمام قوله :

يا دهر قوّمْ من أخدعيك فقدْ أضججت هذا الأنام من خرقكْ

القول فى الكناية

تعريف الكناية : الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ[1] كقولك — فلان طويل النجاد — أى طويل القامة ، و — فلانة نؤوم الضحى — أى مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعى بنفسها فى إصلاح المهمات ، وذلك أن وقت الضحى وقت سعى نساء العرب فى أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه فى تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها ، فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها فى السعى لذلك ، ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم فى الضحى من غير تأويل[2] فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه ، أى من جهة إرادة المعنى[3] مع إرادة لازمه ، فإن المجاز ينافى ذلك ، فلا يصح فى نحو قولك — فى الحمام أسد — أن تريد معنى الأسد من غير تأول ، لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت ، وملزوم معاند الشىء معاند لذلك الشىء[4] ، وفرّق السكاكى

---

(١) لازم المعنى وهو المقصود يقال له معنى كنائى ، وملزومه يقال له معنى حقيقى ، وجواز إرادة المعنى الحقيقى فى الكناية بالنظر إلى ذاتها ، وقد تمتنع إرادته فيها لعارض يمنع منه إرادته ، كقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾ آية ١١ سورة ٤٢ على القول بأن الكاف أصلية وأنه يفيد نفى المثلية بطريق الكناية ، فلا يصح إرادة المعنى الحقيقى فيه لأنه يفيد ثبوت المثل له تعالى .

(٢) يريد بالتأويل صرف اللفظ عن حقيقته .

(٣) أى جواز إرادته لأنه يجوز عدم إرادته .

(٤) جرى الخطيب فى هذا على المشهور من أن الكناية قسم آخر غير الحقيقة والمجاز ، وقيل : إن الكناية لفظ مستعمل فى معناه الحقيقى لينتقل منه إلى المعنى المجازى ، وعلى هذا تكون الكناية قسما من الحقيقة ، وقيل : إن الكناية تارة يراد بها المعنى المجازى لدلالة المعنى الحقيقى عليه فتكون مجازاً ، =

وغيره بينهما بوجه آخر أيضاً(١) وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزم إلى اللازم ، وفيه نظر، لأن اللازم ما لم يكن ملزوماً يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم(٢) فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم ولو قيل : اللزوم من الطرفين من خواصّ الكناية دون المجاز أو شرط لها دونه اندفع هذا الاعتراض ، لكن اتجه منع الاختصاص والاشتراط(٣) .

أقسام الكناية : ثم الكناية ثلاثة أقسام : لأن المطلوب بها إمّا غير صفة ولا نسبة أو صفة أو نسبة ، والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت .

المطلوب بها غير صفة ولا نسبة : الأولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة(٤) فمنها ما هو معنى واحد ، كقولنا ــ المضياف ــ كناية عن زيد، ومنه قوله كناية عن القلب:

= وتارة يراد بها المعنى الحقيقي ليدل به على المعنى المجازى فتكون حقيقة ، والخلاف في مثل هذا لا طائل تحته .

(١) ٢١٣ — المفتاح

(٢) لأن اللازم قد يكون أعم من الملزوم كلزوم الحيوان للانسان ، ولا دلالة للعام على الخاصّ .

(٣) أى منع اختصاص الكناية بكون اللزوم فيها من الطرفين واشتراط ذلك فيها دون المجاز ، لأنه لا يشترط ذلك فيها كما لا يشترط فيه، لأن لازم المعنى الحقيقي فيهما قد يكون أعم منه، وقد قيل : إنه لا خلاف بين الخطيب والسكاكى إلا فى التسمية ، لأنهما متفقان على أن ذهن السامع لقولنا ــ كثير الرماد ــ ينتقل من كثرة الرماد إلى الكرم ولكن السكاكى يسمى كثرة الرماد لازما والخطيب يسميه ملزوما ، وإنى أرى أن مثل هذا الخلاف لا يصح الاشتغال به فى علم البيان .

هذا ومن أغراض الكناية أنها تقدم لك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، وأنها تبرز المعقول فى صورة المحسوس ، وأنه يحترز بها عما لا يليق التعبير به، إلى غير هذا من أغراضها

(٤) أى ولا نسبة صفة لموصوف بأن يكون المطلوب بها موصوفا ، ولو قال الأولى المطلوب بها الموصوف لكان أحسن .

الضار بين بكلّ أبيضَ مخذم والطاعنين مجامع الأضغان(١)

ونحوه قول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها قتله الذئب :

فأتبعتُها أخرى فأضللتُ نصلها بحيث يكون اللبُّ والرُّعبُ والحقدُ(٢)

فقوله — بحيث يكون اللب والرعب والحقد — ثلاث كنايات لا كناية واحدة ، لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود(٣) .

ومنها ما هو مجموع معان ، كقولنا كناية عن الإنسان — حى مستوى القامة عريض الأظفار(٤) .

وشرط كل واحدة منهما(٥) أن تكون مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه ، ليحصل

---

(١) هو لعمر بن معديكرب ، ورواية الموازنة — والضاربين — والمخذم القاطع من السيوف ، والأضغان جمع ضِغْن وهو الحقد ، ومجامع الأضغان القلوب وبهذا تكون كناية عن موصوف ، وقد قيل : إن المجامع جمع مجمع وهو اسم مكان مشتق من الجمع ، فيكون إطلاقه على القلب حقيقة لا كناية . وأجيب بأن هذا اللفظ لم يرد منه الذات الموصوفة بالصفة كسائر المشتقات ، وإنما أريد منه الذات فقط على سبيل الكناية ، لأن الطعن لا يكون إلا فيها وحدها .

(٢) قوله — أضللت — بمعنى غيبت ، والنصل حديدة الرمح والسهم .

(٣) لأن تقدير الكلام بحيث يكون اللب ، وبحيث يكون الرعب ، وبحيث يكون الحقد ، والمكنى عنه واحد فيها كلها وهو القلب ، وهو قريب من قول عمرو — والطاعنين مجامع الأضغان — ولكن قول عمرو فى غاية الجودة ، لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فإذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب .

(٤) لا داعى إلى تقسيم هذا القسم إلى قسمين إلا الرغبة فى تكثير الأقسام .

(٥) أى من هاتين الكنايتين ، ولا وجه لاشتراط ذلك فيهما بخصوصهما لوجوب ذلك فى كل كناية ، لأنه لا دلالة للأعم على الأخص ، على أن هذا الشرط مستغنى عنه بما سبق فى تعريف الكناية من أن الانتقال فيها من الملزوم إلى اللازم لأن الملزوم لا بد أن يكون مختصاً باللازم المكنى عنه .

الانتقال منها إليه ، وجعل السكاكى الأولى قريبة والثانية بعيدة[1] وفيه نظر[2] .

الثانية المطلوب بها صفة[3] وهى ضربان : قريبة وبعيدة .

القريبة ما ينتقلُ منها إلى المطلوب بها لا بواسطة ، وهى إمّا واضحة ، كقولهم كناية عن طويل القامة - طويلٌ نجادُه ، وطويلُ النّجاد - والفرق بينهما أن الأول كناية ساذجةٌ ، والثانى كناية مشتملة على تصريح ما لتضمن الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف الأول[4] ومنها قول الحماسى :

أبت الرّوادفُ والثّدىُّ لقمُصها مسّ البطون وأن تمسّ ظهُورا[5]

---

(١) ٢١٤ - المفتاح .

(٢) لأن دلالة الوصف الواحد على الشيء ليست أقرب من دلالة مجموع أوصاف عليه ، بل ربما يكون الأمر بالعكس لأن التفصيل أوضح من الإجمال .

ومن الكناية عن الموصوف قوله تعالى ﴿ وحمَلناهُ على ذات ألواح ودسر ﴾ آية ١٣ سورة ٥٤ - وقول الشاعر :

تقول التى من بينها خفّ محملى عزيزٌ علينا أنْ نراك تسيرُ

(٣) بأن تكون نسبة الصفة إلى موصوفها معلومة ، فتكون الصفة نفسها هى المطلوبة من صفة أخرى يكنى بها عنها للاعتناء بها والمبالغة فيها .

(٤) لأن - نجاده - فاعل فيه ، أما فاعل طويل فى الثانى فهو ضمير الموصوف ، ولهذا تقول - الزيدان طويلا النجاد ، والزيدون طوال النجاد ، وهند طويلة النجاد - بالتثنية والجمع والتأنيث لأجل تحمله ذلك الضمير ، ولا شك أن هذا فيه نوع تصريح بثبوت الطول له ، وإنما لم يجعل تصريحاً خالصاً للقطع بأن الصفة فى المعنى صفه للمضاف إليه وهو النجاد ، واعتبار الضمير إنما هو لأجل أمر لفظى ، وهو امتناع خلو الصفة عن معمول مرفوع بها ، وإنى أرى أنه لا فرق من جهة الكناية بين المثالين ، لأنه لا يصح أن يكون لهذا الاعتبار اللفظى تأثير فى معنى الكناية .

(٥) الروادف جمع رادفة وهى الكفلُ والعجزُ ، والثدى جمع ثدْى ؛ وإباء الروادف لقمصها مس الظهور كناية عن كبرها وضمور خصرها ، وكذا إباء الثدى لها مس البطون .

وإمّا خفيّة ، كقولهم كناية عن الأبله ـ عريض القفا ـ فإن عُرْض القفا وعظم الرأس إذا أفرط فيما يقال دليل الغباوة(١) ألا ترى إلى قول طرفة بن العبد :

أنا الرجل الضَّرْبُ الذي تعرفونهُ خشاشٌ كرأس الحيّة المتوقِّد(٢)

والبعيدة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ، كقولهم كناية عن الأبله ـ عريض الوسادة ـ فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا ، ومنه إلى المقصود، وقد جعله السكاكى من القريبة على أنه كناية عن عرض القفا ، وفيه نظر(٣) وكقولهم ـ كثير الرماد ـ كناية عن المضياف ، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور ، ومنها إلى كثرة الطبائخ ، ومنها إلى كثرة الأكلة ، ومنها إلى كثرة الضيفان ، ومنها إلى المقصود . وكقوله :

وما يكُ فيّ من عيب فإنى جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل(٤)

فإنه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير فى وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لأن يعس دونها مع كون الهرير فى وجه من لا يعرفه طبيعيا له إلى استمرار تأديبه ، لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ومن ذلك إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوها إثر وجوه ، ومن ذلك إلى كونه مقصد أدان وأقاص،

---

(١) خفاء الكناية فى ذلك بالنظر إلى أول سماعها ، ولا يؤثر فى ذلك ظهورها بعده ، ومن ذلك قول بعضهم فى الكناية عن المذرة .

أراد أبوك أمّك يوم زُفّت فلم يوجد لأمك بنتُ سعد

(٢) الضرب الخفيف اللحم ، والخشاش الصغير الرأس وهو كناية عن ذكائه ، والشاهد فى جملة ذلك دليل الذكاء ، فيكون مقابله وهو عرض القفا وعظم الرأس دليل الغباوة .

(٣) لأنه لا يقصد من ذلك الكناية عن عرض القفا ، وإنما يقصد منه الكناية عن البله .

(٤) الفصيل ولد الناقة وهزاله بحرمانه من لبنها بنحرها أو بإيثار الضيفان به ، يعنى أنه لا عيب فيه إلا ذلك ، فهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم .

ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قِرَى الأضياف . وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأمِّ ، ومنه إلى قوة الداعى إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لا سيما المُتْليات ، ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ ، ومنها إلى أنه مضياف . ومن هذا النوع قول نُصيب :

لعبْد العزيز على قوْمه — وغيرهمُ منَنٌ ظاهره(١)

فبــابُكَ أسهل أبوابهم — ودارك مأهولة عامره(٢)

وكلبك آنسُ بالزائرين — من الأمِّ بالإبنة الزّائره

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر إلى أن الزائرين معارف عنده ، ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلا ونهارا ، ومنه إلى لزومهم سدّتهُ ، ومنه إلى تسنِّى مباغيهمْ لديه من غير انقطاع ، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاصِّ والعامْ وهو المقصود .

ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر :

يـكادُ إذا ما أبْصر الضّيفَ مقبلا — يكلّمه من حبه وهو أعجم(٣)

ومنه قوله :

لا أمْتعُ العوذَ بالفصال ولا — أبتــاع إلاّ قريبــة الأجل(٤)

فإنه ينتقل من عدم أمتاعها إلى أنه لا يُبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح

---

(١) الأبيات لنصيب بن رباح فى مدح عبد العزيز بن مروان ، والمنن جمع منة وهى النعمة .

(٢) المأهولة الدار التى فيها أهلها .

(٣) هو لابراهيم بن هرمة ورواية ـ البيان والتبيين ـ تراه إذا ما أبصر الضيف كلبهُ ـ والضمير فى ـ يكاد ـ للكلب ، والأعجم الذى لا يتكلم ، والشاهد فى كنايته بحب الكلب للضيف عن جود صاحبه ، وزيادة اللطف فيه ناشئة من المبالغة فى محاولة الكلب أن يكلمه .

(٤) هو لإبراهيم بن هرمة أيضاً ، والعوذ جمع عائذ وهى الناقة الحديثة النتاج ، والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة .

الطبيعي بالنظر إليها ، ومن ذلك إلى نحرها ، أو لا يُبقى العوذ إبقاء على فصالها[1] وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها ، ومن نحرها إلى أنه مضياف .

ومن لطيف هذا القسم[2] قوله[3] تعالى ﴿ ولمَّا سقط فى أيديهم ﴾ أى ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل ، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعضَّ يده غماً ، فتصير يده مسقوطاً فيها لأن فاهُ قد وقع فيها .

وكذا قول أبى الطيب كناية عن الكذب :

تشتكى ما اشتكيتُ من ألم الشَّوْ ... ق إليها والشوقُ حيثُ النُّحولُ[4]

وكذا قوله :

إلى كمْ تردُّ الرُّسْل عمَّا أتوْا له ... كأنهمُ فيما وهبْت ملامُ[5]

فإن أوله كناية عن الشجاعة وآخره كناية عن السماحة .

وكذا قول أبى تمام :

فإنْ أنا لم يحمدك عنِّىَ صاغراً ... عدوُّك فاعلمْ أننى غيرُ حامد[6]

---

(1) الفرق بين التقديرين أن النحر فى الأول للفصال وفى الثانى للنوق .

(2) قسم الكناية المطلوب بها صفة ، ووجه اللطف فيما سيذكره ما فيه من الدقة والغرابة ، سواء أكان بعيدا أم قريبا .

(3) آية ١٤٩ سورة ٧

(4) الضمير فى — تشتكى — لمحبوبته ، والنحولة دقة الجسم من مرض ونحوه ، يقول : إنها تشتكى من ألم الشوق مثل شكواه ، ولكنها كاذبة فى شكواها لأنه لا نحول فيها . فقوله — والشوق حيث النحول — كناية عن كذبها .

(5) هو لأبى الطيب أيضاً فى مدح سيف الدولة ، والمراد بالرسل رسل ملك الروم فى طلب الصلح ، يقول . إنه يردهم كما يرد الملام عنه بما يهب من ماله ، وقد انتقل من ردهم إلى عدم اعتداده بهم ، ومن عدم اعتداده بهم إلى شجاعته ، وهذا من الاستتباع الآتى فى علم البديع ، وقوله — فيما وهبت — متعلق بملام .

(6) الصاغر اسم فاعل من الصغار وهو الذلة .

يريد بجمده عنه حفظه مدحه فيه وإنشاده، أى إن لم أكن أجيد القول فى مدحك حتى يدعو حسنُه عدوّك أن يحفظه ويلهج به صاغراً فلا تعدنى حامداً لك بما أقول فيك ، ووصفه بالصغار لأن من يحفظ مديح عدوه وينشده فقد أذل نفسه ، فكنى بحفظ عدو الممدوح مدحه له عن إجادته القول فى مدحه(١) .

وكذا قول من يصف راعى إبل أو غنم :

ضعيفُ العصا بادى العروق ترى لهُ عليها إذا ما أجدب النَّاسُ إصبعا(٢)

وقول الآخر :

صلبُ العصا بالضَّرب قد دمَّاها(٣)

أى جعلها كالدُّمى فى الحسن ، والغرض(٤) من قول الأول — ضعيف العصا — وقول الثانى — صلب العصا — وهما وإن كانا فى الظاهر متضادَّين فإنهما كنايتان عن شىء واحد ، وهو حسن الرِّعْية والعمل بما يصلحها ويحسن أثره عليها ، فأراد الأول أنه

---

(١) قد كنى قبل هذا بجمده له عن حفظه لمدحه له ، فالكناية فيه بواسطة .

(٢) هو لعبيد بن حصين المعروف بالراعى من قصيدة له مطلعها :

بنى وابش إنا هوينا جواركم وما جمعتنا نيــة قبلها معا

وبادى العروق ظاهرها لقلة اللحم فى جسمه ، والمراد بالإصبع الأثر الحسن على سبيل المجاز المرسل .

(٣) هو من قول أبى العلاء بن سليمان فى الإبل :

صُلْبُ العصا بالضَّرْب قد دمَّاها تودُّ أنَّ الله قد أفناها

إذا أرادتْ رَشداً أغْواها محــالهُ من رقبِّه إيَّاها

والضرب يطلق على الضرب بالعصا وعلى السير فى الأرض ، وقوله — أفناها — بمعنى أهلكها من شدته عليها ، والرشد نبت تأكله الإبل ، وقوله — أغواها — بمعنى أطعمها الغوى وهو نبات آخر تأكله ، ومحاله فاعل أغوى واحده محالة وهى الحذق والقدرة فى التصرف .

(٤) مبتدأ بمعنى المقصود وخبره ضعيف العصا ، يعنى أن ذلك محل الشاهد .

رفيق مشفق عليها لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة، فهو يتخير ما لان من العصا، وأراد الثانى أنه جيد الضبط لها عارف بسياستها فى الرعى، يزجرها عن المراعى التى لا تحمد ويتوخى بها ما تسمن عليه، ويتضمن أيضاً أنه يمنعها عن التشرد والتبدد، وأنها لما عرفت من شدة شكيمته وقوة عزيمته تنساق فى الجهة التى يريدها، وقوله — بالضرب قد دماها — تورية حسنة(١) ويؤكد أمرها قوله — صلب العصا.

المطلوب بها نسبة : الثالثة المطلوب بها نسبة(٢) كقول زياد الأعجم :

إنّ السَّماحة والمروءةَ والنَّدى   فى قُبة ضُربتْ على ابن الحشرج(٣)

فإنه حين أراد ألا يُصرح بإثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها فى قبة تنبيها بذلك على أن محلها ذو قبة، وجعلها مضروبة عليه لوجود ذوى قباب فى الدنيا كثيرين، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية(٤) ونظيره قولهم — المجد بين ثوبيه، والكرم بين بُرْدَيه — قال السكاكى(٥) وقد يظن هذا من قسم — زيد طويل

---

(١) لأنه يحتمل معنى قريباً وهو أن يضربها فيسيل دمها، ومعنى بعيداً وهو جعلها كالدمى، والمراد هو المعنى البعيد كما سبق، والتورية من المحسنات البديعية الآتية فى علم البديع، وإنما أكد أمرها قوله — صلب العصا — لأنه يناسب المعنى القريب كما سيأتى فى الكلام عليها.

(٢) بأن يصرح بالصفة ويقصد بإثباتها لشىء الكناية عن إثباتها للموصوف بها.

(٣) هو لزياد بن سليمان مولى عبد القيس، وكان ألكن فلقب بالأعجم، والسماحة الجود، والمروءة النخوة وكمال الرجولة، والندى الجود والفضل والخير، والقبة ما كان فوق الخيمة فى العظم والاتساع وهى خاصة بالرؤساء، وابن الحشرج هو عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور.

(٤) لأن هذه الصفات لا تقوم بنفسها ولا بتلك القبة من حيث ذاتها فتعين أن تقوم به.

(٥) ٢١٦ — المفتاح.

نجاده[1] وليس بذاك ، فطويل نجاده بإسناد الطويل إلى النجاد تصريح بإثبات الطول للنجاد ، وطول النجاد كما نعرف قائم مقام طول القامة ، فإذا صرح من بعد بإثبات النجاد لزيد بالإضافة كان ذلك تصريحاً بإثبات الطول لزيد[2] فتأمل .

وكقول الآخر :

والمجد يدعو أن يدوم لجيده عقدٌ مساعى ابن العميد نظامه[3]

فإنه شبه المجد بانسان بديع الجمال فى ميل النفوس إليه وأثبت له جيداً على سبيل الاستعارة التخييلية ، ثم أثبت لجيده عقداً ترشيحاً للاستعارة ، ثم خص مساعى ابن العميد بأنها نظامه فنبه بذلك على اعتنائه خاصة بتزيينه ، وبذلك على محبته وحده له ، وبها على اختصاصه به ونبه بدعاء المجد أن يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد ، وبذلك على اختصاصه به[4] .

وكقول أبى نواس :

فما جازهُ جودٌ ولا حلّ دونه ولكنْ يصير الجود حيث يصير[5]

فانه كنى عن جميع الجود بأن نكّره[6] ونفى أن يجوز ممدوحه ويحل دونه فيكون متوزعاً يقوم منه شىء بهذا وشىء بهذا ، وعن إثباته له بتخصيصه بجهته بعد

---

(1) فيكون من الكناية المطلوب بها صفة مثله .

(2) فتكون الصفة هى المكنى عنها فيه لا النسبة ، أما قولهم — المجد بين ثوبيه — فهو عكسه فى ذلك فلا يكون مثله .

(3) الجيد العنق ، والمساعى جمع مساعة وهى المكرمة ، ونظام العقد ما به يكون منتظما وهو سلكه ، وابن العميد هو محمد بن الحسين .

(4) فيكون فى البيت كنايتان والمكنى عنه بهما واحد وهو اختصاص المجد بابن العميد .

(5) قوله — جازه — بمعنى تعداه ، وقوله — ولا حل دونه — بمعنى أنه لم يستقر فى غير مكانه .

(6) لأن النكرة فى سياق النفى تدل على العموم .

تعريفه باللام التي تفيد العموم(١) ونظيره قولهم ـ مجلس فلان مَظِنَّةُ الجود والكرم ـ هذا قول السكاكي(٢) وقيل : كنى بالشطر الأول عن اتصافه بالجود ، وبالثاني عن لزوم الجود له ، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون كل منهما كناية عن اختصاصه به ، وعدم الاقتصار على أحدهما للتأكيد والتقرير ، وذكرها على الترتيب المذكور لأن الأولى بواسطة(٣) بخلاف الثانية .

وكقولهم — مثلك لا يبخل — قال الزمخشري : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية ، لأنهم إذا نفوه عن من يسدُّ مسدَّهُ وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي — العرب لا تخفر الذمم — فإنه أبلغ من قولك — أنت لا تخفر — ومنه قولهم — أيفعتْ لداتهُ ، وبلغت أترابه — يريدون إيفاعه وبلوغه ، وعليه قوله تعالى(٤) ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ على أحد الوجهين وهو ألا تجعل الكاف زائدة ، قيل : وهذا غاية لنفي التشبيه إذ لو كان له مثل لكان كمثله شيء وهو ذاته تعالى ، فلما قال ﴿ ليس كمثله ﴾ دل على أنه ليس له مثل(٥) وأورد أنه يلزم منه نفيه تعالى لأنه مثل مثله ، ورُدَّ بمنع أنه تعالى مثل مثله ، لأن صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله تعالى عن ذلك .

وكقول الشنفرى الأزديِّ في وصف امرأة بالعفة :

---

(١) فيكون صدر البيت كناية عن عدم توزعه وتقسيمه ، وهذه كناية عن صفة ، ويكون عجزه كناية عن إثباته له ، وهذه كناية عن نسبة ، والكناية الثانية كأنها مترتبة على الأولى .

(٢) ٢٢٧ — المفتاح .

(٣) لأن الذهن ينتقل فيها من عدم توزع الجود إلى تجمعه ، ومن ذلك إلى اختصاصه به ، وعلى هذا الوجه والذى قبله يكون كل من الكنايتين كناية عن نسبة .

(٤) آية ١١ سورة ٤٢

(٥) هذه طريقة المتكلمين في تقرير الكناية في الآية ، وتوضيحها أن الله تعالى موجود ، فإذا نفي مثل مثله لزم نفي مثله ، لأنه لو كان له مثل لكان هو — أعني الله تعالى — مثل مثله ، فلم يصح نفي مثل مثله لئلا يلزم نفيه تعالى مع ثبوت وجوده ، =

يبيتُ بمنجاة من اللوم بيتُها إذا ما بيوتٌ بالملامة حُلت(١)

فإنه نبه بنفي اللوم عن بيتها على انتفاء أنواع الفجور عنه ، وبه على براءتها منها ، وقال — يبيت — دون يظل لمزيد اختصاص الليل بالفواحش ، هذا على ما رواه الشيخ عبد القاهر والسكاكي(٢) وفي الأغاني الكبير — يحل بمنجاة .

وقد يظن أن هنا قسما رابعاً وهو أن يكون المطلوب بالكناية الوصف والنسبة معاً ، كما يقال — يكثر الرماد في ساحة عمرو — في الكناية عن أن عمراً مضياف ، وليس بذاك ، إذ ليس ما ذكر بكناية واحدة بل هو كنايتان : إحداهما عن المضيافية ، والثانية عن إثباتها لعمرو ، وقد ظهر بهذا أن طرف النسبة المثبتة بطريق الكناية يجوز أن يكون مكنياً عنه أيضاً كما في هذا المثال ، ونحوه بيت الشنفرى المتقدم ، فإن حاول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه ، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة(٣) .

= وهذا كما تقول — ليس لأخ زيد أخ — أي ليس لزيد أخ نفياً للملزوم بنفي لازمه وطريقة البلغاء أن لفظ مثل في الآية كلفظ مثل في قولك — مثلك لا يبخل — فالمراد منها نفي المثل عن ذاته بطريق نفي المثل عمن يكون مثله في صفاته ، لأنه إذا نفي المثل عمن يكون مثله في صفاته لزم نفيه عنه لعدم الفرق بينهما ، وتقرير الكناية على هذا الوجه واضح لا تعقيد فيه كما في طريقة المتكلمين .

(١) هو لعمرو بن مالك المعروف بالشنفرى ، والمنجاة الباعث على النجاة وهي الخلاص ، واللوم العتاب والذم .

(٢) ٢٠٣ — دلائل الإعجاز ، ٢٠٧ — المفتاح .

(٣) هذا وأهم أقسام الكناية الثلاثة القسم الثاني والثالث ، لأن الكناية تتفاوت مراتبها فيهما قرباً وبعداً وظهوراً وخفاء ، وقد بين الخطيب ذلك في القسم الثاني لأنه أظهر منه في الثالث ، والحق أن الثالث تتفاوت مراتب الكناية فيه أيضاً ، وقد أشار الخطيب إلى أن الكناية قد تكون بعيدة فيه ، وذلك في قول الشاعر :

والمجد يدعو أن يدوم لجيده عقد مساعي ابن العميد نظامه

الكناية العرضية : واعلم أن الموصوف فى القسم الثانى والثالث(١) قد يكون مذكوراً كما مر، وقد يكون غير مذكور ، كما تقول فى عُرْض(٢) من يؤذى المسلمين — المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده — أى ليس المؤذى مسلماً(٣) وعليه قوله تعالى(٤) فى عُرْض المنافقين ﴿ هدًى للمتقينَ ، الذين يؤمنونَ بالغيْبِ ﴾ إذا فُسِّرَ الغيب بالغيْبةِ ، أى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبى ﷺ أو أصحابه رضى الله عنهم ، أى هدى للمؤمنين عن إخلاص لا للمؤمنين عن نفاق .

التعريض والتلويح والرمز والإيماء والإشارة : وقال السكاكى(٥) : الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة ، فإن كانت عُرْضيّة فالمناسب أن تسمى تعريضاً(٦) وإلا فإن كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما فى — كثير الرماد — وأشباهه فالمناسب أن تسمى تلويحاً ، لأن التلويح

(١) بخلاف القسم الأول لأن التعريض لا يأتى إلا فى هذين القسمين

(٢) العرض الناحية والجانب والمراد التعريض به

(٣) فهو كناية عن نفى الإسلام عنه ، لأن حصر الإسلام فى غير المؤذى يلزمه نفيه عن المؤذى وهو منه ، وبهذا تكون الكناية فيه من القسم الثالث

(٤) آية ٢ ، ٣ سورة ٢

(٥) ٢١٧ — المفتاح

(٦) الحق أن الكناية العرضية غير التعريض وإن سميت به ، فالكناية العرضية هى التى يكون الموصوف فيها غير مذكور ، والتعريض إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود ، تقول — عرّضت لفلان وبه — إذا قلت قولا لغيره وأنت تعنيه، ولهذا لا يختص التعريض بالكناية بل يأتى أيضاً فى الحقيقة والمجاز ، ودلالته غير لفظية بخلاف دلالة الثلاثة ، فإذا أتى فى الكناية كقولك — المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده — فالمعنى الكنائى فيه نفى الإسلام عن المؤذى مطلقاً ، والمعنى التعريضى نفى الإسلام عن المؤذى المعين ، وإذا أتى فى الحقيقة كقولك تعرض بشخص ممقوت — لست أتكلم بسوء فيمقتنى الناس — فالمعنى الحقيقى فيه غير التعريضى أيضاً ، وكذلك إذا أتى فى المجاز كما سيذكره الخطيب .

هو أن تشير إلى غيرك عن بُعْدٍ ، وإلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزاً ، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك علي سبيل الخفية قال :

رمزتْ إليّ مخافةً من بعلها   من غير أن تُبدى هناك كلامها(١)

وإلا فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة ، كقول أبى تمام يصف إبلا :

أبيْن فما يزُرْن سوى كريم   وحسْبُك أن يزرن أبا سعيد(٢)

فإنه فى إفادة أن أبا سعيد كريم غير خافٍ .

وكقول البحترى :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله   فى آل طلْحة ثم لم يتحوّل(٣)

فإنه فى إفادة أن آل طلحة أماجدُ ظاهرٍ .

وكقول الآخر :

إذا الله لم يُسْق إلا الكرام   فسقّى وُجوه بنى حنبل
وسقّى ديارهُمُ باكراً   من الغيْث فى الزمن المُمْحل(٤)

وكقول الاخر :

متى تخلو تميمٌ من كريمٍ   ومسْلمةُ بن عمْرو من تميم(٥)

---

(١) قوله — رمزت — بمعنى أشارت بخفية وهو محل الشاهد ، والبعل الزوج .

(٢) قوله — أبين — بمعنى امتنعن، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغرى الطائى ولقب بالثغرى لعمله بالثغور ، والشاهد فى الشطر الثانى بضميمة الشطر الأول .

(٣) الرحل ما يجعل على ظهر البعير كالسرج للفرس ، شبه المجد برجل له رحل على سبيل الاستعارة المكنية ، ثم جعل إلقاؤه رحله فى آل طلحة كناية عن ثبوته لهم .

(٤) هما لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، والباكر البكرة وهى أول النهار ، تقول — أتيته بكرة — أى باكرا ، والممحل المجدب . والشاهد فى قوله — فسقى وجوه بنى حنبل — بضميمة ما قبله ، فهو كناية عن ثبوت الكرم لهم .

(٥) الاستفهام فى قوله — متى تخلو — للانكار فيكون معناه النفى ، أى لا تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو منهم ، وهذا كناية عن ثبوت الكرم له .

ثم قال(١) : والتعريض كما يكون كناية قد يكون مجازاً ، كقولك - آذيتنى فستعرف - وأنت لا تريد المخاطب بل تريد إنساناً معه(٢) وإن أردتهما جميعاً كان كناية(٣) .

---

(١) ٢١٨ - المفتاح

(٢) هذا مجاز مرسل علاقته اللزوم، لأنه يلزم من تهديد المخاطب لإيذائه تهديد كل مؤذ ، وهو يشمل من مع المخاطب، ولا بدّ له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى .

(٣) لا بد لها من قرينة تدل إرادتهما جميعاً ، لأن الكناية لا بد لها من قرينة أيضاً ، والحق أنهما إذا أريدا جميعا لا يكون ذلك كناية بل يكون من استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه وذلك ممنوع ، وأنه إذا أريد غير المخاطب يكون تعريضاً لا مجازاً ، وإنما يجتمع التعريض والمجاز فى نحو قولك تعرض بمن كشف عورته فى حمام — رأيت أسودا فى حمام غير كاشفين عوراتهم ، فلم يعب ذلك عليهم .

تمرينات على الكناية

١ — تمرين

وازن بين قول المتنبي فى الكناية عن العفة :

إنى على شغفى بما فى خمرها   لأعفّ عمّا فى سراويلاتها

وقول الشريف الرضى فى الكناية عنها :

أحنّ إلى ما يضمن الخمر والحلي   وأصدف عما فى ضمان المآزر

٢ — تمرين

(١) بين ما يطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة فى قول الشاعر :

أفاضل الناس أغراضٌ لذا الزّمن   يخلو من الهمّ أخلاهم من الفطن

(٢) وقفت امرأة على قيس بن سعد فقالت : أشكو إليك قلة الفأر . فقال : ما أحسن ما ورّت ! املؤوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً — فهل قول هذه المرأة كناية أو تعريض أو كناية وتعريض معاً ؟

٣ — تمرين

(١) من أى الكنايتين القريبة والبعيدة قول الشاعر :

أريد بسطة كفٍ أستعين بها   على قضاء حقوقٍ للعلى قِبلى

(٢) بين الكناية ونوعها فى قوله تعالى ﴿ فإذا تطهّرْنَ فأتوهن منْ حيث أمركم الله ﴾ آية ٢٢٢ سورة ٢ .

٤ — تمرين

(١) من أى أقسام الكناية قوله تعالى ﴿ وراودته التى هو فى بيتها عنْ نفسه ﴾

آية ٢٣ سورة ١٢ ، ولماذا أوثرت على التصريح باسمها أو بأمرأة العزيز ؟

(٢) وازن بين الكناية السابقة والكناية فى قول الشاعر :

تقول التى من بيتها خفَّ مركبى عزيزٌ علينا أن نراك تسير

٥ — تمرين

(١) ما المكنى عنه وما نوع كنايته فى قوله تعالى ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فى الحِلْيةِ وهُو فى الخصامِ غيرُ مبين﴾ آية ١٨ سورة ٤٣

(٢) بين الكناية ونوعها فى قول الشاعر :

أخو لحمٍ أعارك منه ثوباً هنيئاً بالقميص المُستجدِّ

وقد روى — أخو لحم بالحاء المهملة .

(٣) بين ما يطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة فى قول الشاعر :

أبينى أفى يُمْنى يديْك جعلْتنى فأفرح أمْ صيَّرْتنى فى شمالكِ

٦ — تمرين

(١) ما هو المطلوب من الكناية فى قول الشاعر :

قومٌ ترى أرماحهم يوم الوغى مشغوفةً بمواطن الكتمان

(٢) ما هو المطلوب من الكناية فى قول الشاعر :

ولازال بيتُ المُلْك فوقك عالياً تشيَّدُ أطنابٌ له وعمودُ

٧ — تمرين

(١) ما هى فائدة تقسيم الكناية إلى ما يطلب بها موصوف وما يطلب بها صفة وما يطلب بها نسبة ؟

(٢) ما الفرق بين دلالة الحقيقة والمجاز والكناية ودلالة التعريض ؟ وأيهما ألطف دلالة التعريض أم دلالة الكناية ؟

(٣) هل الكناية العُرضيةُ عين التعريض أو غيره ؟ وإذا كانت غيره فما الفرق بينهما مع توضيحه فى مثال يجمعهما ؟

تنبيه

الموازنة بين المجاز والحقيقة والكناية والتصريح : أطبق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة(١) وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه ، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وأن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر(٢) .

---

(١) أبلغ أفعل تفضيل يجوز أن يكون مأخوذا من البلاغة بمعناها اللغوى أى أفضل وأحسن ، ويجوز أن يكون مأخوذا من المبالغة على مذهب الأخفش فى جواز بناء أفعل التفضيل من الرباعى ، وهو الظاهر من كلام عبد القاهر وقد قيل : إن المجاز المرسل لا مبالغة فيه فلا يكون أبلغ من الحقيقة . والحق أن المجاز المرسل فيه مبالغة أيضاً إلا ما كان منه خاليا عن الفائدة .

(٢) بقيت موازنات أخرى : منها الموازنة بين المجاز والكناية ، وقد قيل : إن الكناية أبلغ من المجاز المرسل ، ويحتمل أن تكون أبلغ من الاستعارة أيضاً . وقيل : إن الاستعارة أبلغ من الكناية لأنها كالجامعة بين الاستعارة والكناية . وقيل : إن الاستعارة المكنية أبلغ من الكناية وإن الكناية أبلغ من التصريحية . ومنها الموازنة بين الاستعارة المكنية والتصريحية ، وقد قيل : إن الأولى أبلغ من الثانية ، لأن الأولى كالجامعة بين الاستعارة والكناية والتصريحية محمولة على التشبيه فهى قريبة ، ورد عليه بأنهم إنما يستحسنون الاستعارة القريبة ، لأنه إذا استعير للشىء ما يقرب منه كان أولى مما ليس منه فى شىء ، ولو كان البعيد أحسن لما استهجنوا قول أبى نواس :

بحّ صوتُ المال مما منك يشكو ويصيحْ

ومنها الموازنة بين الاستعارة التمثيلية والمفردة ، وقد قيل : إن الأولى أبلغ من الثانية .

قال الشيخ عبد القاهر(١) : وليس ذلك(٢) لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيدها خلافه ، بل لأنه يفيد تأكيداً لإثبات المعنى لا يفيده خلافه ، فليست فضيلة قولنا — رأيت أسداً — على قولنا — رأيت رجلا هو والأسد سواء في الشجاعة — أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة لم يفده الثاني وليست فضيلة قولنا — كثير الرماد — على قولنا — كثير القرى — أن الأول أفاد زيادة لقراه لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني .

والسبب في ذلك أن الانتقال في الجميع(٣) من الملزوم إلى اللازم ، فيكون إثبات المعنى به كدعوى الشيء ببينة ، ولا شك أن دعوى الشيء ببينة أبلغ في إثباته من دعواه بلا بينة .

ولقائل أن يقول : قد تقدم أن الاستعارة أصلها التشبيه ، وأن الأصل في وجه الشبه أن يكون في المشبه به أتم منه في المشبه وأظهر ، فقولنا — رأيت أسداً — يفيد للمرئي شجاعة أتم مما يفيده قولنا — رأيت رجلا كالأسد — لأن الأول يفيد شجاعة الأسد والثاني شجاعة دون شجاعة الأسد . ويمكن أن يجاب عنه بحمل كلام الشيخ على أن السبب في كل صورة ليس هو ذلك ، لا أن ذلك ليس بسبب في شيء من الصور أصلا(٤) .

هذا آخر الكلام في الفن الثاني .

---

(١) ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ دلائل الإعجاز .

(٢) أي كون الواحد من هذه الأمور أبلغ من الآخر .

(٣) أي في المجاز بأقسامه والكناية .

(٤) يعني بهذا أن قول عبد القاهر — ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور الخ — محمول على رفع الإيجاب الكلي فلا ينافي ثبوت الإيجاب الجزئي ، وحينئذ لا يدخل في دعواه من الاستعارة والتشبيه إلا ما كان نحو — رأيت أسداً ورأيت رجلا هو والأسد سواء — ولا يدخل فيها منهما ما كان نحو — رأيت أسداً — ورأيت رجلا كالأسد — ولكن كلام عبد القاهر في — دلائل الإعجاز — ظاهر في أنه يعني السلب الكلي ،

البلاغة والفصاحة عند السكاكي : وذكر السكاكي(1) بعد الفراغ منه(2) تفسير البلاغة بما نقلناه عنه في صدر الكتاب(3) ثم قسم الفصاحة إلى معنوية ولفظية ، وفسر المعنوية بخلوص المعنى عن التعقيد ، وعنَى بالتعقيد اللفظيّ على ما سبق تفسيره(4) وفسر اللفظية بأن تكون الكلمة عربية أصلية ، وقال : وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدْوَرَ واستعمالهم لها أكثر. لا مما أحدثه المولدون ولا مما أخطأت فيه العامة ، وأن تكون أجْرى على قوانين اللغة ، وأن تكون سليمة عن التنافر . فجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة(5) وحصر مرجع البلاغة

= فيدخل فيه كل صور الاستعارة والتشبيه ، فالأحسن أن يجاب عن ذلك أن الاستعارة لم تخرج في المعنى عن كونها تشبيهاً ، فوجه الشبه فيها لابد أن يكون في المشبه به أتم منه في المشبه أيضا ، وحينئذ لا يكون هناك فرق بينهما إلا فيما ذكره عبد القاهر من تأكيد الإثبات وعدمه ، ولكني أرى مع هذا أن الرجال ليسوا سواء في مشابهة الأسد في الشجاعة ، وأن الاستعارة تستعمل فيمن تكون مشابهته أقوى ، والتشبيه فيمن تكون مشابهته أضعف ، وبهذا يكون الفرق بينهما في الدلالة على زيادة المعنى وضعفه أيضا .

(1) ٢٢٠ — المفتاح ، وكان الأحسن تقديم هذا في الكلام على الفصاحة والبلاغة في المقدمة من الجزء الأول .

(2) أي من الفن الثاني ، وقد أحسن الخطيب بتقديم الكلام على الفصاحة والبلاغة في المقدمة من الجزء الأول .

(3) يعني كتاب — الإيضاح — وقد نقله عنه في تعريفه علم المعاني .

(4) أي في المقدمة من الجزء الأول ، أما التعقيد المعنوي فالخلوص عنه لا يدخل عنده في تعريف الفصاحة ، بل يدخل في قوله في تعريف البلاغة — وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها .

(5) لأنه لم يقيد تعريف البلاغة بفصاحة الكلام كما قيده الخطيب ، والخلاف في ذلك لا طائل تحته ، لأن كلا منهما مطلوب في الكلام ولو لم يكن أحدهما لازما للآخر .

فى الفنين(١) ولم يجعل الفصاحة مرجعاً لشىء منهما(٢) .

ثم قال : وإذ قد وقفت على البلاغة والفصاحة المعنوية واللفظية فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يسترها عنك ، وذكر ما أورده الزمخشرى فى تفسير قوله(٣) تعالى ﴿ وقيل يا أرضُ ابْلَعى ماءك ويا سماءُ أقْلِعى وغيض الماءُ وقُضىَ الأمرُ واستَوتْ على الجُودىِّ وقيلَ بُعداً للقوم الظالمين ﴾ وزاد عليه نُكتاً لا بأس بها ، فرأيت أن أورد تلخيص ما ذكره جارياً على اصطلاحه فى معنى البلاغة والفصاحة :

قال : أما النظر فيها من جهة علم البيان فهو أنه تعالى لمَّا أراد أن يبين معنى — أردنا أن نَرُدَّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع ، وأن يغيض الماء النازل من السماء فغاض ، وأن يُقضى أمر نوح وهو إنجاز ما كنا وعدناه من إغراق قومه فقُضى ، وأن نُسوِّىَ السفينة على الجُودى فاستوت وأبقينا الظَّلَمةَ غرْقى — بنى الكلام على تشبيه المراد منه(٤) بالمأمور الذى لا يأتى منه لكمال هيبته العصيان ، وتشبيه تكوين المراد(٥) بالأمر الجزْم النافذ فى تكون المقصود ، تصويراً لاقتداره تعالى وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته ، وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لأمره ، وتحتم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ، ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال

---

(١) يعنى فن المعانى وفن البيان .

(٢) إنما لم يرجع فن البيان عنده إلى الفصاحة لأن الخلوص من التعقيد المعنوى لا يدخل عنده فى تعريفها ، وفن البيان إنما يقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوى .

(٣) آية ٤٤ سورة ١١

(٤) هو الأرض والسماء لأنه أريد منهما بلع الماء والإقلاع عن المطر .

(٥) هو بلع الماء وما بعده .

تعالى ﴿ قيل ﴾ على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل[1] وجعل قرينة المجاز خطاب الجماد وهو يا أرض ويا سماء ، ثم قال ﴿ يا أرض ويا سماء ﴾ مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور[2] ثم استعار لغور الماء في الأرض البلع الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم بجامع الذهاب إلى مقر خفي[3] واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على طريق الاستعارة بالكناية ، لتقوّى الأرض بالماء في الإنبات للزروع والأشجار ، وجعل قرينة الاستعارة لفظ (ابلعي)[4] لكونه موضوعا للاستعمال في الغذاء دون الماء ، ثم أمر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره[5] ثم قال ماءك بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز تشبيهاً لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك ، واستعار لحبس المطر الإقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ، وخاطب في الأمرين[6] ترشيحاً للاستعارة ، ثم قال ﴿ وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾ لم يصرح بالغائض والقاضي والمسوي والقائل كما لم يصرح بقائل ﴿ يا أرض ويا سماء ﴾ سلوكا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية أن تلك الأمور العظام[7] لا تتأتى إلا من ذي قدرة لا تكتنه ، قهار لا يغالب ، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون الفاعل لشيء من ذلك غيره ، ثم ختم الكلام بالتعريض لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل[8] . ظلماً

---

(١) فهو مجاز مرسل من إطلاق المسبب وإرادة السبب .

(٢) هي استعارة مكنية ، والشبه المذكور هو تشبيه المراد منه بالمأمور .

(٣) هي استعارة تصريحية تبعية اشتق فيها من البلع — ابلعي — بمعنى غوّري .

(٤) ففيه استعارة تخييلية من جهة إثبات البلع للماء وهو من لوازم الغذاء ، أو من جهة استعارة البلع لغور الماء في الأرض على ما سبق من الخلاف في الاستعارة التخييلية

(٥) يريد أمر (ابلعي) والشبه هو تشبيه المراد منه بالمأمور .

(٦) أي ﴿ ابلعي — أقلعي ﴾ فالخطاب فيهما ترشيح لاستعارة البلع للتغوير والإقلاع للحبس .

(٧) أنْ وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بحرف محذوف أي سبيل الكناية عن أن تلك الأمور الخ ، والظاهر أن الكناية هنا لغوية لا اصطلاحية .

(٨) يعني بسالكي مسلكهم كفار قريش ومن إليهم .

لأنفسهم ختم إظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إياه[1] .

وأما النظر فيها من حيث علم المعاني — وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها ، وجهة كل تقديم وتأخير بين جملها — فذلك أنه اختير — يا — دون سائر أخواتها لكونها أكثر استعمالا ، ولدلالتها على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام إظهار العظمة ويؤذن بالتهاون به ، ولم يقل — يا أرض — بالكسر تجنبا لإضافة التشريف تأكيداً للتهاون ، ولم يقل — يا أيتها الأرض — للاختصار مع الاحتراز عما فى — أيتها — من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام ، لكون المخاطب غير صالح للتنبيه على الحقيقة[2] واختير لفظ الأرض دون سائر أسمائها لكونه أخفّ وأدْور ، واختير لفظ السماء لمثل ذلك مع قصد المطابقة[3] واختير ﴿ ابلعى ﴾ على — ابتلعى — لكونه أخصر ، ولمجيء حظ التجانس بينه وبين ﴿ أقلعى ﴾ أوفر[4] وقيل ﴿ ماءك ﴾ بالإفراد دون الجمع لدلالة الجمع على الاستكثار الذى يأباه مقام إظهار الكبرياء ، وهو الوجه فى إفراد الأرض والسماء ، ولم يحذف مفعول ﴿ ابلعى ﴾ لئلا يفهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وغيرها ، نظراً إلى مقام ورود الأمر الذى هو مقام عظمة وكبرياء ، ثم إذ بيّن المراد اختصر الكلام على ﴿ أقلعى ﴾ فلم يقل — أقلعى عن إرسال الماء — احترازاً عن الحشو المستغنى عنه من حيث الظاهر[5] وهو الوجه فى أنه لم يقل — يا أرض ابلعى ماءك فبلعت ويا سماء أقلعى فأقلعت — واختير ﴿ غيض الماء ﴾ على — غُيِّض — المشددة لكونه أخصر وأخفّ وأوفق لقيل[6] وقيل ﴿ الماء ﴾ دون أن يقال — ماء طوفان السماء — وكذا ﴿ الأمر ﴾ دون أن يقال — أمر نوح — للاختصار ،

---

(١) هى جهة ظلمهم أنفسهم بتكذيب الرسل .

(٢) لأن المخاطب هو الأرض وهى لا تعقل حتى تصلح للتنبيه .

(٣) هى من المحسنات الآتية فى علم البديع .

(٤) لتشابههما فى الوزن العروضى وعدد الحروف .

(٥) أى من حيث ظاهر الكلام لاشتماله على ما يدل عليه .

(٦) لتشابههما فى الوزن .

ولم يقل ـ سوِّيتْ على الجوديّ ـ بمعنى أقرّتْ على نحو « قيـــل وغيض وقضى » في البناء للمفعول اعتباراً لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله ﴿ وهي تجْرى بهم ﴾ مع قصد الاختصار[1] ثم قيل ﴿ بعداً للقوم ﴾ دون أن يقال ـــ ليبعد القومُ ـــ طلباً للتوكيد مع الاختصار ، وهو نزول بعداً منزلة ـ ليبعدوا بُعداً ـ مع إفادة أخرى وهي استعمال اللام[2] مع بُعد الدالّ على معنى أن البعد حقٌّ لهم ، ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم لأنفسهم بتكذيب الرسل .

هذا من حيث النظر إلى الكلم[3] وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك أنه قدّم النـداء على الأمر فقيل ﴿ يا أرض ابلعى ويا سماء أقلعى ﴾ دون أن يقال ـ ابلعى يا أرض وأقلعى يا سماء ـ جريا على مقتضى اللازم فيمن كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ، ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح[4] ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك في القصة منزلة الأصل ، ثم أتبعها قوله ﴿ وغيض الماء ﴾ لاتصاله بقصة الماء ، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله ﴿ وقضى الأمر ﴾ أى أنجز الوعد من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في السفينة ، ثم أتبعه حديث السفينة ، ثم ختمت القصة بما ختمتْ .

هذا كله نظرٌ في الآية من جانب البلاغة ، وأما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهى كما ترى نظم للمعانى لطيف ، وتأدية لها ملخّصة مبينة ، لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ، ولا التواء يشيك الطريق إلى المرْتاد ، بل ألفاظها تسابق معانيها ، ومعانيها تسابق ألفاظها .

---

(١) لأن همزة ـ استوت ـ تسقط في الدْرج فتكون أخصر من سويت .

(٢) يعنى لام الجر في قوله ﴿ بعداً للقوم ﴾ لأنها تسقط إذا قيل ليبعد القوم .

(٣) يعنى الكلمات المفردة في الآية .

(٤) يريد بالترشيح التهيئة للأمر ، أو ترشيح الاستعارة على ماسبق .

وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فألفاظها على ما نرى غريبة مستعملة جارية على قوانين اللغة ، سليمة عن التنافر ، بعيدة عن البشاعة ، عذبة على العذبات[1] سلسة على الأسلات[2] كلٌّ منها كالماء فى السلاسة ، وكالعسل فى الحلاوة ، وكالنسيم فى الرقة — والله أعلم .

---

(١) جمع عذبة وهى الطرف من كل شىء والمراد بها هنا رأس اللسان .

(٢) جمع أسلة وهى رأس اللسان أيضاً ، أو الطرف المستدق من جانبيه .

مباحث الجزء الثالث

بُغْيَةُ الإيضَاح

لتلخيص المفتاح

في علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعيدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الرابع

في علم البديع

طبعة جديدة مشكولة مفهرسة

تنبيه : قد وضعنا كتاب الإيضاح بأعلى الصفحة .

ووضعنا شرحه - بغية الإيضاح - بأسفلها

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الآداب

42 ميدان الأوبرا ت : 3900868

الطبعة السابعة

ذو الحجة ١٤١٠ هـ - يوليه ١٩٩٠ م

ضبطها وأعدّ فهارسها مدير مكتبة الآداب (على حسن)

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن الثالث / علم البديع

تعريف علم البديع : وهو علم يُعْرَفُ به وجوه تحسين الكلام (١) بعد رعاية تطبيقه على مُقْتَضَى الحال ووضوح الدلالة (٢) .

---

(١) يعنى بمعرفتها تصور معانيها والعلم بأعدادها وتفاصيلها ومنشأ الحسن فيها ، وهذه الوجوه هى المحسنات المعنوية واللفظية الآتية ، وإنما سميت محسنات لأنها ليست من مُقَوِّماتِ البلاغة ولا الفصاحة ، فالحسن الذى تحدثه فى الكلام عَرَضى لا ذاتى .

(٢) قيل إن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ووضوح الدلالة ووجوه التحسين قد يوجد دون الآخر ، فلا يكون الأول واجبا فى الثانى ولا كل من الأول والثانى واجباً فى الثالث ، والحق أنهما يجبان فيه لأنه لا قيمة له إلا معهما ، ولهذا لا تستحسن هذه الوجوه إذا تُكلفت ، كالمطابقة فى قول الأُخَيْطل :

قلتُ الْمُقَامُ وناعِبٌ قال النَّوىَ فَعصيتُ قولى والْمُطاعُ غُرابُ

لأن هذا من غَثِّ الكلام وبارده . ولكن هذا لا يقتضى التقييد بذلك فى تعريف علم البديع ، لأنه يبحث عن وجوه الحسن بقطع النظر عن اشتراط ذلك فيها ، كما يبحث علم المعانى عن المطابقة بقطع النظر عن غيرها ، ويبحث علم البيان عن وضوح الدلالة بقطع النظر عن غيره ، فالأولى أن يجعل ذلك شرطاً لا ركناً فى التعريف ، وأن يقتصر فى التعريف على أنه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام من جهة لفظه ومعناه .

هذا ومن القدماء من ذهب إلى أن علم البديع هو ما تحصل به المطابقة مع الفصاحة ، فالحسن عنده سواء كان عرضياً أم ذاتياً لفظياً أم معنويا من مقومات البلاغة ، وليس هناك شىء يقتضيه الحال وشىء لا يقتضيه الحال ، فيكون علم البديع شاملا للعلوم الثلاثة ، وهذا قول ضعيف ، لأن المحسنات البديعية تحسن فى الكلام ولو لم يكن هناك حال يقتضيها ، ولا تجب فيه كما يجب التأكيد ونحوه مما يرجع إلى النظم لأنه من مقومات البلاغة ، وكما يجب وضوح الدلالة لأنه من مقومات الفصاحة ، ولهذا يجب الفصل بين العلوم الثلاثة ، وقد يكون لبعض وجوه التحسين نكتة كما سيأتى ، ولكنها لا تقتضى وجوبها فى البلاغة ، وإنما تكون شرطا لكونها محسناً بديعياً ، وبهذا يعلم خطأ ما شاع من أن المحسن البديعى إذا كان له نكتة يكون من علم المعانى .

تقسيم المحسنات إلى معنوية ولفظية : وهذه الوجوه ضربان : ضرب يرجع إلى المعنى (١)،وضرب يرجع إلى اللفظ (٢) .

أقسام المحسِّنْ المعنَوى

المطابقة أو الطباق : أما المعنوى فمنه المُطابقة (٣) وتسمَّى الطِّباق والتَّضَادُّ أيضاً ، وهى الجمع بين المتضاديْن أى معنيين متقابلين فى الجملة (٤) ، ويكون ذلك إمَّا

---

(١) أى أوَّلا وبالذات وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين اللفظ أيضاً ، كما فى المشاكلة لما فيها من إيهام المجانسة اللفظية .

(٢) أى أولا وبالذات وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين المعنى أيضاً ، وقد ذهب عبد القاهر إلى أن الحسن لا يمكن أن يكون فى اللفظ فى ذاته من غير نظر إلى المعنى ، حتى ما يتوهم فى بدء الفكرة أن الحسن لايتعدى فيه اللفظ والجرْسَ كالتجنيس ، لأنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً،ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً ، ولهذا استقبح فى قول أبى تمام :

ذهَبَتْ بمذهبه السماحةُ فالتَوتْ ... فيه الظُّنُونُ أَمَذْهَبٌ أم مُذْهِبٌ

واستحسن فى قول أبى الفتح البُسْتى :

نَاظِرَاهُ فيما جَنتْ ناظِراهُ ... أَوْ دَعَانِى أَمُتْ بما أوْدَعانى

لأنه فى الأولَ لم يزدك على أن أسمعك حروفا مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة ، وفى الثانى أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنه لم يزدك ، وقد أحسن الزيادة وَوَفَّاهَا .

وإنما قدم المعنوى على اللفظى لأنه أتم منه حسناً ، وقد رأى بعض مؤلفى عصرنا إلحاقه بعلم المعانى ، والحق أنه لا فرق بينه وبين اللفظى ، لأنهما سواء فى أن الحسن فيهما عرضى لا ذاتى ، وفى أنهما يحسنان فى الكلام ولا يجبان .

(٣) المطابقة فى اللغة الموافقة ، ووجه المناسبة بينه وبين المعنى الاصطلاحى أن المتكلم فيه يوافق بين المعنيين المتقابلين .

(٤) أى سواء أكان التقابل حقيقيا أم اعتباريا ، كتقابل القدم والحدوث وتقابل الإحياء والإماتة ، وسواء أكان تقابل التضاد أم تقابل غيره ، كتقابل البياض والسواد وتقابل العمى والبصر ، ومثل التقابل بين الاثنين والتقابل بين الجمع ، هذا وقد ذكر التنوخى فى المطابقة أنها تحسن ما لم تكثر ، فتسمج . ولا يخفى أن هذا شأن المحسنات البديعية كلها لا المطابقة وحدها .

بلفظين من نوع واحد : اسمين ، كقوله (١) تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وهُمْ رُقُودٌ ﴾ أو فعلين ، كقوله (٢) تعالى : ﴿ تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تشاءُ وتَنْزِعُ الملك ممن تشَاء وتُعِزِ مَن تَشَاء وتُذِلُّ مَنْ تَشَاء ﴾ وقول النبى عليه السلام للأنصار « إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » ، وقول أبى صخر الهُذلىّ :

أما والذى أبْكى وأضحك والذى ... أمات وأحيا والذى أمْرُهُ الأمْرُ (٣)

وقول بشار :

إذا أيْقَظتْكَ حرُوبُ العِدَى ... فَنَبِّهْ لها عُمراً ثمَّ نَمْ (٤)

أو حرفين كقوله (٥) تعالى : ﴿ لها ما كَسبَتْ وعَلَيْهَا مَا اكْتسَبَتْ ﴾

وقول الشاعر :

على أننى راضٍ بأن أحْمِلَ الهَوَى ... وَأخْلُصَ منْهُ لا عَلىَّ وَلا لِيَا (٦)

وإمَّا بلفظين من نوعين ، كقوله (٧) تعالى : ﴿ أوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فأَحْيَيْنَاهُ ﴾ أى ضالا فهديناه ، وقول طُفَيْلٍ :

بِساهَمِ الوجه لم تُقْطَع أباجلهُ ... يُصان وهو ليوم الرَّوْع مَبذُولُ (٨)

---

(١) الكهف : ١٨ (٢) آل عمران : ٢٦

(٣) قوله « أمره الأمر » بمعنى شأنه الأمر أى حاله أن يكون آمراً وغيره مأموراً ، أو أمره الأمر النافذ . والشاهد فى قوله « أبكى وأضحك وأمات وأحيا » وجواب القسم فى قوله بعده :

لقد تركتنى أحسد الوحشَ أنْ أرى ... أليفين منها لا يُروِّعُهما الذُّعرُ

(٤) يريد عمر بن قواد المهدى ، وفى رواية « إذا دهمتك عظام الأمور » . والشاهد فى قوله « فنبه ثم نم » وفيه تقابل أيضاً بين قوله « أيقظتك » و « نم » .

(٥) النور : ٢٨٦ ، والمطابقة فيه بين اللام وعلى ، لأن اللام للملك المؤذن بالانتفاع وعلى للاستعلاء المؤذن بالتحمل والتضرر .

(٦) هو لمجنون ليلى ، والشاهد فى « على » الثانية مع اللام فى قوله « ليا » لأن على الأولى بمعنى مع ، والمعنى أنه تحمل ما يوجب مدحه ، ولكنه يرضى بأن يخلص منه وليس عليه ذم ولا له مدح .

(٧) الأنعام : ٢٢

(٨) هو لطفيل بن عوف الغنوى ، وساهم الوجه متغيره من كثرة الجرى صفة لفرس ، والأباجل جمع أبجل وهو عرقٌ فى الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الإنسان ، والروع : الفزع ، والشاهد فى قوله « يصان ومبذول » .

ومن لطيف الطباق قول ابن رَشِيق :

وقَد أطفَؤُوا شمسَ النهارِ وأوْقَدُوا … نجومَ العوالى فى سماء عَجاجِ [1]

وكذا قول القاضى الأرجانى :

ولقد نزلتُ من الملوك بِماجِدِ … فَقْرُ الرجالِ إليه مِفتاحُ الغِنَى [2]

وكذا قول الفرزدق :

لعن الإلهُ بنى كُلَيْبٍ إنهم … لا يَغْدِرُونَ ولا يَفونَ لِجَارِ

يستيقظون إلى نهيق حمارهم … وتنام أعينهم عن الأوْتار [3]

وفى البيت الأول تكميل حسن [4] إذ لو اقتصر على قوله « لا يغدرون » لاحتمل الكلام ضرباً من المدح ، إذ تجنب الغدر قد يكون عن عفة ، فقال « لا يفون» ليفيد أنه للعجز ، كما أن ترك الوفاء لِلؤم ، وحصل مع ذلك إيغال حسن [5] لأنه لو اقتصر على قوله « لا يغدرون ولا يفون » تم المعنى الذى قصده ، ولكنه لمّا احتاج إلى القافية أفاد بها معنى زائداً حيث قال « لجار » لأن ترك الوفاء للجار أشد قبحاً من ترك الوفاء لغيره .

الطباق الظاهر والخفى : والطباق قد يكون ظاهراً كما ذكرنا ، وقد يكون

---

(١) هو لأبى على الحسن بن رشيق القَيْرَوانىّ ، والعوالى : جمع عالية وهى أعلى الرمح أو النصف الذى يلى السِّنَانَ ، والعجاج : الغبار ، والشاهد فى قوله « أطفؤوا وأوقدوا » .

(٢) هو لأبى بكر أحمد بن محمد القاضى الأرجانى من قصيدة له فى مدح على بن جهير وزير المستظهر بالله ، ومعناه أن فقرهم إليه مفتاح الغنى لهم بما يعطيهم ، والشاهد فى التقابل بين الفقر والغنى .

(٣) هما من قصيدة له فى هجاء جرير ، وقوله « لا يغدرون » بمعنى لا يخونون عدوهم لعجزهم عنه ، وَهذا ذم لهم ، والأوتار : هو جمع وتر وَهو الثأر ، يعنى أنهم لا يهمهم أمر أوتارهم ويهمهم أمر حمارهم ، فيستيقظون عند نهيقه ليعرفوا ما حمله عليه ويدفعوا المكروه عنه ، والشاهد فى قوله « لا يغدرون ولا يفون ، ويستيقظون وتنام أعينهم » .

(٤) التكميل من أنواع الإطناب ، وقد سبق فى الجزء الثانى .

(٥) الإيغال من أنواع الاطناب ، وقد سبق فى الجزء الثانى .

خفياً نوع خفاء ، كقوله [١] تعالى : ﴿ ممَّا خَطيآتِهِمْ أغْرِقوا فأُدْخِلوا نَاراً ﴾ طابق بين (أغرقوا) و (أدخلوا ناراً) . وقولَ أبي تمّام :

مهَا الوحشِ إلا أنَّ هاتَا أوانِسٌ قنَا الخطِّ إلا أن تلك ذَوَابِلُ [٢]

طابق بين هاتا وتلك [٣] .

طباق الايجاب وطباق السلب : والطباق ينقسم إلى طباق الإيجاب ، كما تقدم ، وإلى طباق السلب ، وهو الجمع بين فعلَيْ مصدر واحد مُثبَت ومَنْفِيّ أو أمر ونهي ، كقوله [٤] تعالى : ﴿ وَلَكنَّ أكثرَ النَاسِ لا يعلمُونَ ، يعلمونَ ظَاهراً مِنْ الحَياة الدنيا ﴾ وقوله ﴿ فَلا تَخْشَوُا الناسَ واخشَوْنِ ﴾ [٥] . وقول الشاعر :

وَنُنْكِرُ إنْ شئنا على الناس قولَهُمْ ولا ينكرون القول حين نقولُ [٦]

وقول البحتري :

يُقَيِّضُ لى من حيث لا أعلم النَّوَى ويَسْرِى إلىَّ الشَّوْقُ من حيث أعلمُ [٧]

وقول أبي الطيب :

ولقد عُرِفتَ وما عُرِفتَ حقيقةً ولقد جُهِلتَ وما جُهِلتَ خُمولا [٨]

---

(١) نوح : ٢٥

(٢) المها : واحده مهاة وهى البقرة الوحشية ، يعنى أنهن كبقر الوحش فى سعة العيون ، قنا : واحده قناة وهى الرمح ، والخط : بلد تصنع فيها ، يعنى أنهن كقنا الخط فى اعتدال القامة ، والذوابل . الأغصان الجافة ، يعنى أن تلك الرماح ذوابل أما هن فنواضر .

(٣) لأن « هاتا » اسم إشارة للقريب و « تلك » اسم إشارة للبعيد .

(٤) الروم ٦ ، ٧ (٥) المائدة : ٤٤

(٦) قد سبق هذا البيت فى آخر الكلام على الإيجاز والاطناب والمساواة من الجزء الثانى ، والشاهد فى قوله « وننكر ولا ينكرون » .

(٧) قوله « يقيض » بمعنى يهيأ ، والنوى : الفراق ، والمراد أنه يقيض له من حيث لا يعلم أسبابه لأن محبوبته تهجره بلا سبب ، أما الشوق فهو يعلم سببه وهو حبه لها ، والشاهد فى قوله « لا أعلم وأعلم » .

(٨) هو من قصيدة له فى مدح ابن عمار مطلعها :

أمعفِّرَ الليث الهِزَبْر بسوطه لمن ادَّخرتَ الصارمَ المصقولا

ومعنى البيت أنه عرف بسَخَائه وكريم صفاته ، ولكنه لم يعرف حقيقةً لعلو قدره ، فلا يمكن الوصول إلى حقيقته ، والشاهد فى قوله « عرفت وما عرفت وجهلت وما جهلت » .

وقول الآخر :

خُلِقوا وما خُلِقوا لمكْرُمَةٍ ... فكأنهم خُلِقوا وما خُلِقوا

رُزِقوا وما رُزِقوا سماح يَدٍ ... فكأنهم رُزِقوا وما رُزِقوا (١)

قيل : ومنه (٢) قوله (٣) تعالى : ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيفعلونَ ما يُؤْمَرُونَ ﴾ .

أى لا يعصون اللّه فى الحال ويفعلون ما يؤمرون فى المستقبل ، وفيه نظر ، لأن العصيان يُضَادُّ فعل المأمور به ، فكيف يكون الجمع بين نفيه وفعل المأمور به تَضاداً (٤) .

الطباق المسمى تدبيجا :

ومن الطباق (٥) قول أبى تمام :

تَرَدَّى ثيابَ الموتِ حُمراً فما أتى ... لها الليلُ إلا وهىَ من سُنْدُس خُضْرُ (٦)

وقول ابن حيّوس :

طالما قلتُ للمُسائل عَنكُمْ ... واعتمادى هِدايةُ الضُّلاَّلِ

إن تُرِدْ علمَ ما لهم عن يقين ... فالقَهُمْ يوم نائلٍ أو نِزَالِ

(١) لا يعلم قائلهما ، والواوفى قوله « وما خلقوا » للحال ، والمعنى أنهم خلقوا غير مستعدين لفعل المكارم فكأنهم لم يخلقوا ، لأن من يكون مثلهم فوجوده كعدمه ، وكذلك المعنى فى البيت الثانى ، والشاهد فى قوله « خلقوا وما خلقوا ، ورزقوا وما رزقوا » .

(٢) أى من طباق الإيجاب والسلب . (٣) التحريم : ٦

(٤) على أنه ليس فيه جمع بين فعلى مصدر واحد كما هو طباق الإيجاب والسلب .

(٥) أى مطلقاً ، وهذا توطئة لقوله فيما سيأتى « ومن الناس من يسمى نحو ما ذكرناه تدبيجا » .

(٦) هو من قصيدته فى رثاء محمد بن حُمَيد ، وقوله « تردى ثياب الموت » بمعنى اتخذها رداء ، والمراد بثياب الموت ما كان يلبسها وقت الحرب ، وقوله « حمراً » حال مقدرة أى حمرا بعد القتال لا حين لبسها لأنها لم تحمر إلا بدم القتلى ، والسندس : رقيق الحرير ، والأول كناية عن القتل والثانى كناية عن دخول الجنة ، والطباق فى قوله - حمراً وخضرُ .

تَلقَ بيضَ الوجوهِ سُودَ مُثارِ النَّقْـ ـعِ خُضرَ الأكنافِ حُمْرَ النِّصالِ (١)

وقول الحريرى : « فَمُذ ازْوَرَّ المحبوب الأصفر (٢) ، واغبرَّ العيش الأخضر (٣) ، اسودَّ يومى الأبيض ، وابيض فَوْدِى الأسود ، حتى رَثَى لى العدو الأزرق (٤) فياحبذا الموت الأحمر (٥) » .

ومن الناس من سمّى نحو ما ذكرناه تدبيجاً ، وفسره بأن يُذكَرَ في معنى من المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية (٦) . أما تدبيج الكناية فكبيت أبى تمام وبيتى ابن حيُّوسٍ ، وأما تدبيج التورية فكلفظ الأصفر فى قول الحريرى (٧) .

---

(١) ابن حيوس هو أبو الفتيان محمد بن سلطان ، وقوله « طالما » بمعنى طال وكثر وما كافة ، اعتمادى : مصدر بمعنى اسم المفعول مبتدأ وما بعده خبر ، وهى جملة معترضة بين القول ومقوله ، والنائل : العطاء ، والنزال : مصدر نازله فى الحرب بمعنى نزل فى مقابلته وقاتله ، ومثار النقع : منتشر الغبار يعنى غبار الحرب ، والأكناف : جمع كَنَف وهو الجانب ، وخضرتها كناية عن سواد دروعها ، لأن العرب تسمى الضارب إلى السواد أخضر ، والنصال : جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسكين وربما سمى السيف نصلا ، وحمرتها : كناية عن قتل الأعداء بها ، هذا وقوله « بيض الوجوه » يرجع إلى يوم نائلهم ، وما بعده يرجع إلى يوم نزالهم ، والشاهد فى التقابل بين بيض وسود وخضر وحمر ، والأول كناية عن كرمهم وما بعده كناية عن شجاعتهم .

(٢) تورية بالذهب . (٣) خضرة العيش كناية عن طيبه .

(٤) هو الخالص العداوة . (٥) كناية عن الموت الطرىّ أى الجديد .

(٦) المراد بالألوان ما فوق الواحد فيشمل الاثنين ، واحترز بذكرها بقصد ذلك عن ذكرها بقصد الحقيقة أو المجاز ، لأن ذكرها بقصد الحقيقة ليس من المحسنات البديعية ، وذكرها بقصد المجاز المانع من إرادة الألوان من المحسنات اللفظية ، وقيل إن ذكرها بقصد الحقيقة لا يمنع من كونها تدبيجا ، كقول الشاعر :

ومَنْثورُ دمعى غَدَا أحْمراً على آسِ عارضك الأخْضَرِ

وإنما لم يجعل التدبيج قسما خاصاً من المعنوى لأنه يدخل فى الطباق ، لما بين الألوان من التقابل .

(٧) لأن له معنى قريبا وهو محبوب أصفر من البشر ومعنى بعيد وهو الذهب ، والبعيد هو المراد هنا ، وفى كلام الحريرى تدبيج الكناية أيضا ، لأن خضرة العيش كناية عن طيبه ونعومته ، واغبراره كناية عن ضيقه ونقصانه ، وسواد يومه كناية عن حزنه ، وبياض فوده كناية عن ضعف حاله .

ما يلحق بالطباق : ويُلحَقُ بالطباق شيئان :

* أحدهما [١] نحو قوله [٢] تعالى : ﴿ أشدَّاءُ على الكفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ فإن الرحمة مسببة عن اللين [٣] الذى هو ضد الشدة ، وعليه قوله [٤] تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمته جعل لكم الليل والنهار لِتَسْكنوا فيه ولِتَبْتَغوا من فَضله ﴾ فإن ابتغاء الفضل يستلزِم الحركة المضادة للسكون ، والعدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل؛ لأن الحركة ضربان : حركة لمصلحة وحركة لمفسدة ، والمراد الأولى لا الثانية .

ومن فاسد هذا الضرب قول أبى الطيب :

لِمَن تطلبُ الدنيا إذا لم تُرِد بها سُرُورَ مُحِبٍّ أو إساءةَ مجرمِ [٥]

فإن ضد المحب هو المبغض ، والمجرم قد لا يكون مبغضاً ، وله وجه بعيد [٦] .

* والثانى ما يُسمَّى إيهام التضاد [٧] كقول دِعْبِل :

لا تعجبى يا سلْمُ من رَجُلٍ ضحك المَشيبُ برأسه فبكى [٨]

وقول أبى تمام :

ما إنْ ترَى الأحسابَ بِيضاً وُضَّحاً إلا بحيثُ ترَى المَنَايا سُودَا [٩]

---

(١) هو أن يجمع بين معنيين لا يتنافيان فى ذاتهما ولكن يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر بسببه أو لزومه أو نحوهما .

(٢) الفتح : ٢٩

(٣) اعترض عليه بأن اللين هو رقة القلب ورحمته وانعطافه ، فتكون الرحمة داخلة فيه لا مسببة عنه . (٤) القصص : ٧٣

(٥) يخاطب بهذا كافوراً حين أخر عطاءه عنه ، والاستفهام يراد به النفى .

(٦) هو أن بين الإجرام والبغض تلازماً ادعائيا ، كأنه يشير إلى أن المجرم لا يكون إلا مبغضا له لمنافاة حاله لحاله .

(٧) هو أن يجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان .

(٨) هو لدعبل بن على الخزاعى ، وسلم : ترخيم سلمى ، وقوله « ضحك المشيب » استعارة تبعية لظهوره التام برأسه لأن كلا منهما يشبه الآخر فى لونه ، والشاهد فى أن المراد بالضحك فى البيت لا يضاد البكاء ولكن معنييهما الحقيقيين متضادان . والفرق بينه وبين التدبيج أنه يكون بطريق المجاز ، أما التدبيج فيكون بطريق الكناية أو التورية .

(٩) بيض : جمع أبيض ، ووضح : جمع واضح ، وهما استعارتان لنقاء الأحساب من =

وقوله أيضاً فى الشيب :

له منظرٌ فى العين أبيضُ ناصعٌ ولكنه فى القلب أسْود أسفعْ (١)

وقوله :

وتنَظَّرِي خَبب الرِّكاب يَنُصُّها مُحيِ القَريض إلى مُميت المال (٢)

ما يُخَصُّ من الطباق باسم المقابلة : ودخل فى المطابقة ما يُخَصُّ باسم المقابلة ، وهو أن يُؤتى بمعنيين متوَافقين أو مَعان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب ، والمراد بالتوافق خلاف التقابل (٣) . وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به ، مثال مقابلة اثنين باثنين قوله (٤) تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكوا قليلا وَلْيبْكوا كثيراً ﴾ وقول النبى عليه السلام : « إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ، ولا يُنزع من شىء إلا شانه » . وقول الذُّبيانى :

فَتَى تَمَّ فيه ما يَسُرُّ صَدِيَقهُ على أنَّ فيه ما يسوء الأعَادِيَا (٥)

= الدنس ، والمنايا جمع منية وهى الموت ، والمنايا السود كناية عن القتل فى الحرب ، والشاهد فى أن المراد من البيض والمراد من السود فى البيت لا تضاد بينهما ، ولكن معنييهما الحقيقيين متضادان .

(١) الأبيض : الناصع: هو الشديد البياض ، والأسود الأسفع : هو الأسود إلى حمرة ، والشاهد فى هذا أنه استعار الأسود الأسفع لما يحدثه منظره فى نفسه من الهم والحزن ، فمعناه الحقيقى هو الذى يقابل ما قبله لا المجازى .

(٢) هو لأبى تمام أيضا ، وقوله « تنظرى » بمعنى انتظرى ، الخبب : أن يتراوح الفرس فى عَدْوه بين يديه ورجليه بأن يقوم على إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة ، والركاب : الإبل وقوله « يَنصها » بمعنى يستحثها شديدا ، و« محيى القريض » كناية عن نفسه ، و « مميت المال » كناية عن ممدوحه ، والشاهد أن المراد من المحيى والمراد من المميت فى البيت غير متضادين ولكن معنييهما الحقيقيين متضادان ، وقبل البيت :

لا تنكرى عَطلَ الكريم من الغنى فالسيلُ حربٌ للمكَان العالى

(٣) فلا يشترط فيه أن يكونا متناسبين كما سيأتى فى مراعاة النظير ، فإن كانا كذلك سمى مراعاة نظير أيضاً .

(٤) التوبة : ٨٢

(٥) هو للنابغة الذبيانى ، وقد نُسب فى الحماسة للنابغة الجعدى ، وروايتها « فتى كان فيه » وفتى : منصوب بفعل محذوف تقديره اذكر فتى ، والمراد مايسر صديقه من نفعه له ، وما يسوء أعاديه من إيقاع الضرر بهم ، والشاهد فى قوله « يسر صديقه ويسوء الأعاديا » .

وقول الآخر :

فَوَا عَجباً كيف اتفقنا فَنَاصِحٌ وفِيٌّ وَمَطوِيٌّ على الغِلِّ غَادِرُ (١)

فإن الغل ضد النصح والغدر ضد الوفاء .

ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبى دُلامَةَ :

مَا أحْسنَ الدِّينَ والدنيا إذا اجْتمعَا وأقْبح الكفر والافلاس بالرَّجُلِ (٢)

وقول أبى الطيب :

فلا الجودُ يُفْنى المالَ والجَدُّ مَقْبِلٌ ولا البخلُ يُبقى المالَ والجَدُّ مُدْبِرُ (٣)

ومثال مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى (٤) : ﴿ فَأمَّا من أعْطى وَاتقىٰ وَصَدَّقَ بالحُسْنى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرَى ، وَأمَّا مَنْ بَخَلَ وَاسْتَغنى ، وكَذَّبَ بالحسْنى ، فَسَنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى ﴾ فإن المراد باستغنى أنه زهد فيما عند اللّه كأنه مستغن عنه فلم يَتَّقِ ، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق (٥) .

قيل : وفى قول أبى الطيب :

أزُورُ هُمُ وسوادُ الليل يَشْفَعُ لى وأنثِنى وبياضُ الصبح يُغْرى بى (٦)

---

(١) لا يعلم قائله ، والغل : الحقد ، والفاء فى قوله « فناصح » تعليل للتعجب من اتفاقهما ، وكل من ناصح وَمطوى خبر مبتدأ محذوف تقديره فأنا ناصح وفى وأنت مطوى على الغل غادر .

(٢) فأقبح يقابل أحسن ، والكفر يقابل الدين ، والإفلاس يقابل الدنيا ، وأبو دلامة هو زند بن الجون ، وقد سأله المنصور عن أشعر بيت قالته العرب فى المقابلة ، فأنشده هذا البيت .

(٣) الجد : الحظ ، والشاهد فى أن كلا من البخل ويبقى ومدبر يقابل كلاً من الجود ويفنى ومقبل .

(٤) الليل : ٥ ، ٦

(٥) حينئذ يكون مقابلا لقوله (اتقى) بما يستلزمه من عدم الاتقاء ، والاستغناء كما يطلق على هذا يطلق على كثرة المال وليس مرادا .

(٦) قوله « يشفع لى » بمعنى يعينه على اجتماعه بهم لأنه يستره عن الرقباء ، وقوله « يغرى بى » بمعنى يحضهم عليه لئلا يراه رقباؤهم ، وبهذا قابل يغرى يشفع .

مقابلة خمسة بخمسة : على أن المقابلة الخامسة بين « لى و بى » وفيه نظر ، لأن اللام والباء فيهما صلتا الفعلين فهما من تمامهما ، وقد رُجِّحَ بيت أبى الطيب على بيت أبى دُلامةَ بكثرة المقابلة مع سهولة النظم . وبأن قافية هذا ممْكنة وقافية ذاك مُستَدْعاةٌ ، فإن ما ذكره غير مختص بالرجال [1] ، وبيتُ أبى دلامة على بيت أبى الطيب بجودة المقابلة ، فإن ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح .

ومن لطيف المقابلة ما حكىَ عن محمد بن عِمْرَانَ الطَّلْحىَّ إذ قال له المنصور : بلغنى أنك بخيل . فقال : « يا أمير المؤمنين ، ما أجمدُ فى حق ، ولا أذوب فى باطل » .

وقال السكاكى [2] : المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ، ثم إذا شرطتَ هنا شرطا شرطت هناك ضده [3] كقوله تعالى : ﴿ فأما من أعطى ﴾ الآيتين [*] ، لمّا جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والابقاء والتصديق ، جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين أضداد تلك وَهى المنع والاستغناء والتكذيب .

مراعاة النظير أو التناسب : ومنه مراعاة النظير وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضاً ، وهى أن يُجْمَعَ فى الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد [4] كقوله [5] تعالى : ﴿ الشمسُ وَالقمرُ بحُسْبان ﴾ ، وقول بعضهم للمُهلّبىّ الوزير :

---

(١) يريد بالقافية الممكنة ما كانت متمكنة فى مقامها ، وبالمستدعاة ما كانت مجلوبة لأجل الوزن والقافية لا لمقام يقتضيها ، والمقام فى بيت أبى دلامة يقتضى لفظا أعم من الرجل .

(٢) ٢٢٥ - المفتاح .

(٣) المراد بالشرط الاجتماع فى أمر لا الشرط المعروف ، وبهذا لا يكون فى بيت أبى دلامة مقابلة عند السكاكى ، لأنه اشترط فى الدين والدنيا الاجتماع ولم يشترط فى الكفر والافلاس ضده ، بل شرط فيهما الاجتماع أيضاً .

هذا وقد تكون المقابلة بين ستة وستة وهو آخر ما وجد منها فى كلامهم ، كقوله عنترة:

على رأس عبدٍ تَاجُ عزٍّ يَزِينهُ ... وفى رِجْل حُرٍّ قَيْد ذُلٍّ يشينهُ

(٤) قيد بذلك ليخرج الطباق لأن المناسبة فيه بالتضاد .

(٥) الرحمن : ٥

(*) ٥ ، ٦ سورة الليل .

« أنت أيها الوزير إسمَاعِيليُّ الوعد ، شُعَيبى التوفيق ، يُوسُفِّى العفو ، محمدِيُّ الخُلق [١] ».وقول أُسَيْد بن عَنْقاء [٢] الفزارى :

كأن الثُّرَيا عُلِّقَتْ فى جبينه ... وفى خدِّه الشِّعْرَى وفى وجهه البدْرُ [٣]

وقول الآخر فى فرس :

مِنْ جُلَّنَارٍ ناضرٍ خَدُّهُ ... وأُذْنُهُ من وَرَقِ الآسِ [٤]

وقول البحترى فى صفة الإبل الأنضاء :

كالقِسِىِّ المُعَطَّفاتِ بل الأسْـ ... ـهمُ مَبْرِيةً بَلِ الأوْتَارُ [٥]

وقول ابن رشيق :

أصَحُّ وأقوى ما سمعناه فى الندى ... مِنَ الخبر المأثور مُنْذُ قديم

أحاديثُ ترويها السُّيولُ عن الحيا ... عن البحر عن كفِّ الأمير تَميمِ [٦]

---

(١) التناسب بين إسماعيل وشعيب ومحمد لأنهم أنبياء ، وبين الوعد والتوفيق والعفو والخلق لأنها أخلاق .

(٢) هى أمه وقد اشتهر بنسبته إليها ، واسم أبيه بجرة .

(٣) رواية الحماسة « القمر » بدل « البدر » ، وهى المناسبة لباقى الأبيات . ومطلعها :

رآنى على ما بى عُمَيْلةُ فاشتكى ... إلى حاله حالى أسَرَّ كما جَهَرْ

والثريا : كواكب فى عنق الثور ، والشعرى : كوكب فى الجوزاء ، والشاهد فى جمع الثريا والشعرى والقمر لتناسبها فى أنها كوكب ، وفى جمع الجبين والخد والوجه أيضاً .

(٤) هو لإبراهيم بن أبى الفتح المعروف بابن خفاجة فى وصف فرس أشقر ، والجلنار : زهر الرُّمان ، والآس : الريحان ، والمراد تشبيه خده بالجلنار فى طراوته ، وأذنه بورق الآس فى انتصابها ، والشاهد فى تناسب الجلنار والآس وفى تناسب الخد والأذن .

(٥) القسى : جمع قوس ، والمبرية : المنحوتة ، والأوتار : جمع وتر وهو الخيط الجامع بين طرفى القوس ، والإضراب فى ذلك للترقى ، لأن السهام أرق من القسى والأوتار أرق من السهام ، والمراد تشبيه الإبل الأنضاء - وهى المهازيل جمع نضو - بذلك فى الرقة ، والشاهد فى تناسب القسى والسهام والأوتار .

(٦) هما لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى ، والندى : الكرم ، وقوله « من الخبر » بيان لما فى قوله « ما سمعناه » ، والمأثور : المروى ، والحيا : المطر ، والأمير تميم : هو أبو على تميم بن المعز بن باديس .

فإنه ناسب فيه بين الصحة والقوة ، والسماع والخبر المأثور ، والأحاديث والرواية ، ثم بين السيل والحيا ، والبحر وكف تميم ، مع ما في البيت الثاني من صحة الترتيب في الْعَنْعنة ، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع في سند الأحاديث ، فإن السيول أصلها المطر ، والمطر أصله البحر على ما يقال [١] ؛ ولهذا جعل كف الممدوح أصلا للبحر مبالغة.

ما يُسمَّى من التناسب تشابه الأطراف : ومن مراعاة النظير ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف ، وهو أن يُخْتَم الكلام بما يناسب أوله في المعنى ، كقوله[٢] تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكِ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ فإن اللطف يناسب ما لا يُدْرَكْ بالبصر [٣] ، والخبرة تناسب من يُدْرِكُ شيئاً ، فإن من يدرك شيئاً يكون خبيراً به ، وقوله [٤] تعالى : ﴿ لَهُ ما فِيَ السَّمَاوَاتِ وَما في الأرض وإن اللَّهَ لَهُوَ الغنيُّ الحميدُ ﴾ قال ﴿ الغنى الحميد ﴾ لينبه على أن ما له ليس لحاجة ، بل هو غنى عنه جواد به ، فإذا جاد به حمده الْمُنْعَمُ عليه .

ومن خفى هذا الضرب [٥] قوله [٦] تعالى : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهم عبَادُكَ وإِنْ تَغفرْ لَهُمْ فإنَّكَ أَنْتَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ فإنَّ قوله ﴿ وإن تغفر لهم ﴾ يوهم أَن الفاصلة « الغفور الرحيم » ، ولكن إذا أَنْعمَ النظر عَلِمَ أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة ، لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يردُّ عليه حكمه ، فهو العزيز لأن العزيز في صفات الله هو الغالب ، من قولهم « عَزَّهُ يَعُزُّهُ عَزًّا » إذا غلبه، ومنه المثل « مَن عزَّ بَزّ » أي مَن غلب سلب [٧] ، ووجب أن يوصف بالحكيم

---

(١) لأنه يحدث من تكاثف البخار المتصاعد منه بتأثير البرد .

(٢) الأنعام : ١٠٣

(٣) لأن اللطف في الأصل دقة الشيء ، ولكن المراد باللطف هنا ما لا تدركه الأبصار مطلقاً لاستحالة الأول على الله تعالى ، ويجوز أن يكون من اللطف بمعنى الرأفة فيكون من إيهام التناسب الآتي لا من التناسب .

(٤) الحج : ٦٤

(٥) يعني هذا الضرب من مراعاة النظير وهو تشابه الأطراف .

(٦) المائدة : ١١٨

(٧) يضرب لمن يتغلب على غيره فلا يقدر على منع شيء منه .

أيضاً ، لأن الحكيم مَن يضع الشيء في محله ، والله تعالى كذلك ، إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن [١] ، أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا مُعترَضَ عليك لأحد في ذلك ، والحكمة فيما فعلته .

إيهام التناسب : ومما يلحق بالتناسب نحو قوله [٢] تعالى : ﴿ الشَّمْسُ وَالقمرُ بِحُسْبان ، وَالنجمُ وَالشجرُ يَسْجُدَانِ ﴾ ويسمى إيهام التناسب [٣] .

إرجاع التفويف إلى التناسب والمطابقة : وأمّا ما يسميه بعض الناس التفويف ، وهو أن يُؤتَى في الكلام بمعَانٍ متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها ، كقول من يصف سحاباً :

تسَرْبَلَ وَشيـاً من خُزُوزٍ تَطَرَّزَتْ ... مطارِفُهَا طَـرْزاً مِـن البرقِ كالتبرِ
فَوَشْيٌ بلا رقمٍ وَنَقْـشٌ بـلا يَدِ ... وَدَمْعٌ بلا عين وضحكٌ بلا ثَغْرِ [٤]

وكقول عنترة :

إنْ يلْحَقوا أكرُرْ وإن يَسْتَلِحقوا ... أشْدُدْ وإن نزلوا بَضَنْكٍ أنْزِلِ [٥]

---

(١) الاحتراس نوع من الإطناب السابق في الجزء الثاني .

(٢) الرحمن : ٥ ، ٦

(٣) هو أن يجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان ولكنهما مقصودين ، فالمراد من النجم في الآية النبات الذى لا ساق له ، ولا مناسبة بينه وبين الشمس والقمر بهذا المعنى ، ولكنه يناسبهما إذا كان بمعنى الكوكب .

(٤) هما لأبي العباس الناشيء كما في « زهر الآداب » وقيل : إنهما لغيره . والضمير في « تسربل » للسحاب ، والوشي : نوع من الثياب منقوش ، والخزوز : جمع خزٍّ وهو الحرير ، والمطارف : جمع مِطْرَف وهو رداء من خز ذو أعلام ، وطرز : جمع طِرازٍ وهو عَلَمُ الثوب ، والمراد « تطرزت بطرز » فهو من باب الحذف والإيصال ، والرقم: مصدر رقم الثوب بمعنى خَطَّطه ، والدمع : استعارة للمطر ، والضحك : استعارة للبرق . والشاهد في البيت الثاني لأنه أربع جمل متساوية معانيها متلائمة .

(٥) هو لعنترة بن شداد العبسي . والضمير في « يلحقوا » لقومه أي يلحقوا عدوهم، وقوله « أكرر » بمعنى أحمل عليه ، وقوله « يستلحقوا » بمعنى يطلبون لحوقهم لنجدتهم، وقوله « أشدد » بمعنى أركض ، والشاهد في اجتماع الجمل الثلاث .

وكقول ابن زيدون :

تِهْ أحْتَمِلْ واحْتَكِمْ أصبِرْ وَعِزَّ أهُنْ ... وَدِلَّ أخْضَعْ وقُلْ أسْمَعْ وَمُرْ أطِعَ [1]

وكقول ديك الجن :

أحْلُ وامْرُرْ وَضُرَّ وَانْفَعْ ولِنْ وَاخْـ ... شُنْ وَرِشْ وَابْرِ وانْتَدِبْ لِلمَعَالى [2]

فبعضه من مراعاة النظير [3] ، وبعضه من المطابقة [4] .

الإرصاد أو التسهيم : ومنه الإرصاد ، ويُسَمَّى التسهيم أيضاً [5] . وهو أن يُجْعَلَ قبل العَجُزِ من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عُرِفَ الرَّوِيُّ [6] . كقوله [7] تعالى : ﴿ وَمَا كانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانوا أنْفُسَهُمْ يَظلِمُونَ ﴾ . وقولـه ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إلا أمَّةً وَاحِدَةً فاخْتَلَفُوا وَلولا كلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فيما فيه يخْتَلِفُونَ ﴾ [8] . وقولَ زهير :

---

(١) هو لأبى الوليد أحمد بن عبد الله المعروف بابن زيدون . وقوله « ته » بمعنى تكبر ، وقوله « عز » بمعنى صر عزيزاً ، وقوله « دل » أمر من الدلال وهو إظهار المرأة الخلاف فى تلطف كأنها تخالف وما بها من خلاف ، والشاهد فى اجتماع هذه الجمل الست ولكن اجتماع هذا كله فى بيت واحد لا يخلو من تكلف وثقل .

(٢) هو لعبد السلام بن زغبان الحمصى المعروف بديك الجن . وقوله « رش » أمر من راش بمعنى أصلح . والمراد أعنْ وأغْنِ ، وقوله « ابر » أمر من برى السهم نحته والمراد أفقر ، وقوله « انتدب » أمر مَن انْتدَبَ . يقال « ندبه لأمر فانتدب » أى دعاه فأجاب ، والشاهد فى اجتماع هذه الجمل الخمس ، ويرِد عليها ما ورد على البيت السابق .

(٣) كما فى الشاهد الأول فى وصف السحاب .

(٤) كما فى الشاهد الرابع ، ولا يخفى ما فى الشاهد الثانى والثالث منهما أيضاً .

(٥) يسميه قدامة والعسكرى « التوشيح » وهو ما يكسب الشـعر حلاوة والنثر طـلاوة ، ولهذا افتخر به ابن نُباته السعدى فى قوله :

خذها إذا أنشدتْ فى القوم من طرب ... صدورُها عُرِفتْ منها قوافيها

(٦) المراد بالعجز آخر كلمة من الفقرة أو البيت .

(٧) العنكبوت : ٤٠ . والإرصاد فى هذه الآية قوله « ليظلمهم » لأنه يدل على أن مادة العجزُ من مادة الظلم ، ويعينُ كونَ المادة من الظلم مختومة بنون بعد واوٍ معرفةُ الروى فى الآية قبلها وهو النون ، والإرصاد فى الآية بعدها قوله « فاختلفوا » .

(٨) يونس : ١٩

سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ وَمَنْ يَعِشْ ثمانينَ حَوْلاً لاَ أبَالَكَ يَسْأَمِ (١)

وقول الآخر :

إذا لم تستطع شيئاً فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إلى ما تستطيعُ (٢)

وقول البحترى :

أبكيكمُا دمعاً ولو أنّى على قدرِ الجوَى أبكِى بكيتُكُما دماً (٣)

وقوله :

أحَلّتْ دمى من غير جُرْم وحرَّمتْ بلا سببٍ يوم اللقاء كلامـى

فليـس الـذى حلّلتِه بمُحَلَّلٍ وليس الذى حرَّمْتِه بحرامِ (٤)

المشاكلة : ومنه المشاكلة ، وهى ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته (٥) تحقيقاً ، أو تقديراً .

أما الأول فكقوله :

قالوا : اقترِحْ شيئاً نُجِدْ لك طبخَهُ قلتُ : اطبخوا لى جُبَّةً وقميصاً (٦)

---

(١) التكاليف : جمع تكليف وهو الأمر الشاق ، وقوله « لا أبالك » جملة دعائية معترضة بين الشرط والجواب ، والإرصاد قوله « سئمت » .

(٢) هو لعمرو بن معديكرب ، وقوله « دعه » بمعنى اتركه ، والإرصاد قوله « إذا لم تستطع »

(٣) الجوى : الحرقة من عشق أو حزن ، والإرصاد قوله « أبكيكما دمعاً » لأنه لا يبقى عندهم بعده إلا بكاء الدم ، أو قوله « ولو أنى على قدر الجوى أبكى » .

(٤) هما للبحترى أيضاً ، والجرم : الذنب ، والإضافة فى قوله « كلامى » من إضافة المصدر إلى مفعوله ، والمراد كلامها له ، والإرصاد قوله « حرمته » .

(٥) مثل ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته ذكره بلفظ مضاد للمصاحب له أو مناسب له كما سيأتى .

(٦) هو لأبى الرُّقَعمق أحمد بن محمد الأنْطَاكِيّ ، وقوله « اقترح » أمر من « اقترح عليه شيئاً » إذا سأله من غير روية وطلبه على سبيل التكليف ، وقوله « نجد » بمعنى نحسن .

كأنه قال : خيطوا لى . وعليه قوله تعالى [١] : ﴿ تعلمُ ما فى نفسى ولا أعلمُ ما فى نفسِكَ ﴾ وقوله : ﴿ وجزاءُ سيئة سيئة مثلُها ﴾ [٢] . ومنه قول أبى تمام :

مَن مُبْلِغٌ أفْنَاءَ يَعْرُبَ كلَّها ... أنى بَنيتُ الجارَ قبل المنزل [٣]

وشهد رجل عند شُرَيح فقال : « إنك لَسَبْطُ الشهادة » [٤] فقال الرجل : « إنها لم تُجَعَّدْ عنى » [٥] . فالذى سوَّغ بناءَ الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ، ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار ، ولولا سبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها .

ومنه قول بعض العراقيين فى قاض شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته :

أتُرَى القاضى أعمى ... أم تُــــرَاهُ يتعـــامَى

سرقَ العيدَ كأنَّ الـــ ... ـعيدَ أموالُ اليتامى [٦]

---

(١) المائدة : ١١٦ ، والحق أن ما فى الآية ليس من المشاكلة ، لأن إطلاق النفس على ذات الله ورد فى قوله تعالى سورة آل عمران الآية : ٣٠ ﴿ وَيحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾ . فيكون إطلاقه على معناه لا على معنى غيره .

(٢) الشورى : ٤٠ ، والمشاكلة فى إطلاق لفظ سيئة الثانى على جزاء السيئة .

(٣) الأفناء : جمع فنء وهو الجماعة ، والشاهد فى قوله « بنيت الجار » لأنه لا يبنى وإنما شاكل به « قبل المنزل » لأن تقديره : قبل بناء المنزل ، والمقدر كالمذكور ، وقيل : إن هذا من القسم الثانى وهو ظاهر الضعف .

(٤) أى مستمر فى حفظها أو قبولها دائماً ، لأن السبوط فى الأصل انطلاق الشعر وامتداده .

(٥) يعنى أنها لم تقصر عن إدراكه وحفظه ، والتجعد فى الأصل ضد السبوطة ، وهذا من المشاكلة بلفظ مضاد للمذكور معه .

ومن المشاكلة بلفظ مناسب للمذكور معه ما ورد أن رجلا قال لوهب : أليس قد ورد أن « لا إله إلا الله » مفتاح الجنة ؟ فقال له وهب : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإذا جئتَ بالأسنان فتح لك ، وإلا لم يفتح لك . فقد عبر عن « لا إله إلا الله » بالمفتاح، وعبر عن الأعمال بالأسنان مشاكلة بالمناسب .

(٦) هما كما جاء فى « اليتيمة » للصاحب بن عباد . وقوله « ترى » على صورة المبنى للمفعول بمعنى تظن ، والشاهد فى جعل العيد مسروقاً لوقوعه فى صحبة أموال اليتامى .

وأما الثانى فكقوله [1] تعالى ﴿ صِبْغَةَ اللّه ﴾ وهو مصدر مؤكّد [2] منتصب عن قوله ﴿ آمنا باللّه ﴾ والمعنى « تطهيرَ اللّه » لأن الإيمان يطهر النفوس ، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماءٍ أصفر يسمونه المَعْمُوديَّة ويقولون: هو تطهير لهم . فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم : قولوا آمنا باللّه وصبغنا اللّه بالإيمان صبغةً لا مثلَ صبغتنا ، وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا . أو يقول المسلمون : صبغنا اللّه بالإيمان صبغته ولم يصبغ صبغتكم . وجىء بلفظ الصبغة [3] للمشاكلة وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ ؛ لأن قرينة الحال التى هى سبب النزول من غمس النصارى أولادهم فى الماء الأصفر دلت على ذلك ، كما تقول لمن يغرس الأشَجار : « إغرس كما يغرس فلان » تريد رجلا يصطنع الكرام [4] .

الاستطراد : ومنه الاستطراد ، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يُقصدْ بذكر الأول التوصلُ إلى ذكر الثانى [5] كقول الحماسى :

وإنَّا لقومٌ ما نَرى القتلَ سُبَّةً إذا ما رأته عامرٌ وَسَلُولُ [6]

---

(١) البقرة : ١٣٨

(٢) لأنه اسم هيئة على وزن فعلة ، وإنما قال « منتصب عن قوله الخ » لأن ناصبه محذوف دل عليه قوله ﴿ آمنا ﴾ تقديره صبغنا اللّه بالإيمان صبغة .

(٣) أى بدل لفظ التطهير .

(٤) يقال « اصطنعه لنفسه اختاره لنفسه » ولكن هذا من القسم الأول كما هو ظاهر ، وإنما يعدّ من الثانى أن ترى إنساناً يغرس شجراً فتقول لآخر : إغرس إلى الكرام . هذا وإنما عدت المشاكلة من المحسنات البديعية لأنها تنقل المعنى إلى لباس له غير مألوف ، فيحدث عجباً أو طرباً . وقد قيل : إن المشاكلة مجاز مرسل علاقته المجاورة ، والحق أنها ليست منه ، لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلول اللفظين لا بين اللفظين كما فى المشاكلة ، فهى تصح بمجرد وقوع اللفظ فى صحبة آخر ولو لم توجد علاقة بين مدلوليهما كما فى قوله « قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه » البيت . وقد توجد علاقة بين مدلوليهما كما فى قوله تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ فإن السيئة الأولى المعصية،والثانية جزاؤها وبينهما علاقة السببية .

(٥) احترز بقوله « لم يقصد الخ » عن إيهام الاستطراد الآتى .

(٦) هو للسّموءل بن عاديَاء ، والسبة : العيب . والشاهد فى أنه أراد مدح قبيلته فاستطرد إلى ذم قبيلتى عامر وسلول .

وقول الآخر :

إذا ما اتقى اللَّهَ الفتى وأطاعَهُ ... فليس به بأسٌ وإن كان من جَرْمِ (١)

وعليه قوله (٢) تعالى : ﴿ يَا بني آدمَ قَدْ أنزَلنا عليكم لباساً يُوَارِى سَوْآتكم وَرِيشاً وَلِبَاسُ التقوَى ذلكَ خيرٌ ذلك منْ آيات اللّه لعلهُمْ يَذكّرُونَ ﴾ . قال الزمخشرى : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عَقِيبَ ذِكر السوْات وخصف الورق عليها إظهاراً للمِنّة فيما خلق اللّه من اللباس ، ولما فى العُرْى وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى .

إيهام الاستطراد : هذا أصله (٣) ، وقد يكون الثانى هو المقصود فَيُذكَرُ الأول قبله لِيَتَوَصَّلَ إليه ، كقول أبى إسحاق الصابى :

إنْ كنتُ خُنْتُكَ فى المودة ساعةً ... فَذَمَمْتُ سيفَ الدولة المحمُودا

وزعمتُ أنَّ له شريكا فى العُلَى ... وجحدتُه فى فضله التَّوْحيدا

قَسَماً لَوَ آنِّى حالفٌ بِغَموسَها ... لِغَريم دَيْنٍ ما أراد مَزيدًا (٤)

ولا بأس بأن يسمى هذا إيهام الاستطراد (٥) .

---

(١) هو لزياد الأعجم ، والبأس : الشدة والخوف ، والشاهد فى أنه أراد الوعظ فاستطرد إلى ذم قبيلة جرم .

(٢) الأعراف : ٢٦

(٣) يعنى أن هذا أصل الاستطراد ؛ اسم الإشارة يعود إلى كون الأول لم يقصد بذكره التوصل إلى ذكر الثانى .

(٤) هى لإبراهيم بن هلال المعروف بأبى إسحاق الصابى . وقوله « ذممت » جملة دعائية . وقيل إنه يعنى بسيف الدولة السلطان محمود بن سُبُكتكين ، وكان يلقب بذلك ثم لقب يمين الدولة ، والتوحيد : مفعول ثان لقوله « جحدته » ، يعنى توحيد الناس إياه فى الفضل . والغموس : اليمين الكاذبة التى يتعمدها صاحبها ، يعنى أنه أقسم له على عدم خيانته بيمين لو حلف بها لصاحب دين على براءة ذمته لاكتفى بها ، لأن عظم شأنها وإثمها يقوم عنده مقام دينه ، والشاهد فى ذكره حديث خيانته ليتوصل به إلى مدح سيف الدولة .

(٥) هو حسن التخلص الآتى فى الخاتمة .

المزاوجة : ومنه المُزَاوجَةُ ، وهى أن يُزَاوِجَ بين معنيين (١) فى الشرط والجزاء (٢) كقول البحترى :

إذا ما نهَى الناهى فلجَّ بِىَ الهَوى   أصاختْ إلى الواشى فلجَّ بها الهجرُ (٣)

وقوله أيضاً :

إذا احتربتْ يوما ففاضتْ دماؤها   تذكرتِ القربَى ففاضتْ دموعها (٤)

العكس والتبديل : ومنه العكس والتبديل ، وهو أن يُقدَّمَ فى الكلام جُزْءٌ ثم يؤخر (٥) . ويقع على وجوه :

منها أن يقع بين أحد طرفَىْ جملة وما أُضيفَ إليه ، كقوله بعضهم : « عادات السادات ساداتُ العادات »

---

(١) أى توقع المزاوجة بينهما على أن الفعل « يزاوج » مسند إلى ضمير المصدر أو إلى « بين » على أنه ظرف متصرف .

(٢) أى معنيين واقعين فى الشرط والجزاء ، وظرفية المعنيين فى الشرط والجزاء من ظرفية المدلول فى الدال ، فالمعنيان هما معنى الشرط ومعنى الجزاء ، والمزاوجة بينهما هى أن يرتب على كل منهما معنى مرتب على الآخر .

(٣) قوله « لج » بمعنى ألح عليه واشتد ، وفى العبارة قلب ، والأصل فلجحت بالهوى ولجت بالهجر ، وقوله « أصاخت » بمعنى استمعت ، والواشى : النمام ، والشاهد فى ترتيبه اللجاج على نهى الناهى وهو الشرط ، وعلى الإصاخة إلى الواشى وهى الجزاء .

(٤) هو للبحترى أيضاً ، وقوله « احتربت » بمعنى حاربت ، وقوله فاضت بمعنى سالت . والشاهد فى ترتيبه فيض ذلك على الاحتراب وهو الشرط ، وعلى تذكر القربى وهو الجزاء . والبيت من قصيدة له فى مدح المتوكل حين أصلح بين بنى تغلب ، والضمير فى قوله « احتربت » يعود إلى فرسان هيجاء فى قوله قبله :

وفرسانِ هيجاءِ تجيش صدورُها   بأحقادها حتى تضيقُ دروعُها

تقتّل من وِتر أعزّ نفوسها   عليها بأيد ما تكاد تطيعها

(٥) أى على ماقدم عليه فلا يكون من العكس والتبديل قوله تعالى ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تخشاهُ ﴾ (الأحزاب : ٣٧) . بل هو من ردّ العجزِ على الصدر كما سيأتى ولا بد أن يكون الجزء كلمة ، فيخرج تقديم الحروف الآتى أيضاً .

ومنها أن يقع بين متعلَّقَىْ فعلين فى جملتين ، كقوله (١) تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الحىَّ مِنَ الميتِ وَيخرجُ الميتَ من الحىِّ ﴾ . وكقول الحماسى :

فَرَدَّ شعورَهُنَّ السودَ بِيضاً ورَدَّ وجوههن البيضَ سوداً (٢)

ومنها أن يقع بين لفظين فى طرفى جملتين ، كقوله (٣) تعالى : ﴿ هُنَّ لباسٌ لكُم وأنتمْ لباسٌ لهَنَّ ﴾ . وقوله : ﴿ لا هُنَّ حِلٌ لهُمْ ولا هُمْ يَحِلُّونَ لهُنَّ ﴾ (٤) . وقوله : ﴿ ما عليكَ مِنْ حسَابِهِمْ مِنْ شىءٍ وما مِنْ حِسابِكَ عليهِمْ مِنْ شىءٍ ﴾ (٥) . وقول الحسن البصرى : « إن مَنْ خَوَّفَك حتى تلقى الأمن خير ممن أمَّنك حتى تلقى الخوف » . وقول أبى الطيب :

فلا مجدَ فى الدنيا لمن قلَّ ماله ولا مالَ فى الدنيا لمن قلَّ مجدُهُ (٦)

وقول الآخر :

إنَّ الليالى لِلأنامِ مَنَاهِلٌ تُطْوَى وَتُنْشَرُ دونها الأعمارُ
فقِصارُهُنَّ مع الهمومِ طويلةٌ وطِوالهن مع السرور قِصَارُ (٧)

---

(١) يونس : ٣١

(٢) قيل : إنه لعبد الله بن الزُّبير الأسدى أو لفضالة بن شريك فى رثاء يزيد بن معاوية ، والضمير فى « شعورهن » لنسوة آل حرب فى قوله قبله :

رَمَى الحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدَارٍ سَمَدْنَ له سُمُوداً

وحرب : جد معاوية بن أبى سفيان ، والحدثان : الدهر ، والمقدار : القدر ، وقوله «سمدن » بمعنى ذهلن .

(٣) البقرة : ١٨٧ (٤) الممتحنة : ١٠

(٥) الأنعام : ٥٢

(٦) يعنى أن المجد والمال متلازمان ؛ لأن الناس يحتقرون من لا مال له ، ولا مجد لمن يحتقره الناس ، لأن صاحب المجد هو الذى يمكنه بقوته وأعوانه أن يحصل على المال .

(٧) الأنام : الخلق ، والمناهل : الموارد ، وقوله « تطوى وتنشر » بمعنى تقصر وتطول على الاستعارة التبعية . وقد نسب البيتان فى « نفحات الأزهار » للمتنبى ، ولم أجدهما فى ديوانه ، وقد نُسبا فى « الأقصى القريب » لعتَّاب بن ورقاء .

الرجوع : ومنه الرجوع ، وهو العوْد على الكلام السابق بالنقض لِنُكتةٍ (١) كقول زهير :

قِفْ بالديار التى لم يَعْفُها القِدَمُ ... بَلَى وغَيَّرَها الأرْوَاحُ والدِّيَمُ (٢)

قيل : لمَّا وقف على الديار تسلطت عليه كآبة أذهلته فأخبر بما لم يتحقق ، فقال: « لم يعفها القدم » ثم ثاب عليه عقله فتدارك كلامه فقال : « بلى وغيرها الأرواحُ والديمُ » . وعلى هذا بيت الحماسة :

أليسَ قليلاً نظرةٌ إنْ نظرتُهَا ... إليكِ وكلاًّ ليس منك قليل (٣)

ونحوه : * فأفٍّ لهذا الدهر لا بَلْ لأهْلِه (٤) *

التورية أو الإيهام : ومنه التورية وتسمى الإيهام أيضاً ، وهى أن يُطْلَقَ لفظ له معنيان (٥) : قريب وبعيد (٦) ، ويُرداً به البعيد منهما (٧) .

---

(١) احترز بهذا عن العود بنقضه لمجرد كونه غلطاً فلا يكون من البديع ، لا حسنَ فيه، ونكتة الرجوع إما إظهار التحير أو التحسر أو نحوهما ، ولكن هذه النكتة لا توجبه فى البلاغة ، وإنما هى شرط فى كونه محسنا ، فيكون من علم البديع لا علم المعانى .

(٢) قوله « لم يعفها » بمعنى لم يبلها ولم يغيرها ، وقوله « وغيرها » عطف على محذوف دل عليه « بلى » والتقدير : بلى عفاها القدم وغيرها الأرواح ، وهى جمع ريح بردَّ ياءها فى الجمع إلى أصلها وهو روْح بكسر الراء وسكون الواو . والديم : جمع ديمة وهى السحابة الكثيرة المطر ، والنكتة فى الرجوع هنا إظهار التحير أو التحسر .

(٣) هو ليزيد بن الصمَّة المعروف بابن الطَّثَرية . والاستفهام فى قوله « أليس » للإنكار . المنفى ، ونفى النفى إثبات ، و « كلا » حرف ردع لنفسه عن عدِّ نظرتها قليلا، وهو على تقدير « أقول كلا » والنكتة هنا إظهار التدله والتحير .

(٤) لا يعرف قائله . قوله « أف » اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر ، والشاهد فى أنه جعل التضجر من الدهر ثم رجع عنه وجعله من أهله ، والنكتة هنا إظهار التحير ، وقوله « لا بل لأهله » على تقدير : لا أف للدهر بل أف لأهله .

(٥) ليس بقيد ؛ لأنها قد تكون بأكثر من معنيين ، ولا فرق فيهما بين أن يكونا حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين .

(٦) فلو كانا مستويين لم يكن هذا تورية بل يكون إجمالا .

(٧) لا بد فى التورية من قرينة خفية تدل على إرادة المعنى البعيد ، فإذا كانت القرينة ظاهرة لم يكن اللفظ تورية ، وبهذا تمتاز عن المجاز والكناية ، كما تمتاز بأن كل واحد من معنييها يفهم من اللفظ من غير وساطة الآخر أو احتياج إلى علاقة بينهما ، =

وهى ضربان : مُجرَّدَةٌ وَمُرَشَّحَةٌ .

أما المجردة : فهى التى لا تجامع شيئا مما يلائم الْمُوَرَّى به - أعنى المعنى القريب [١] - كقوله [٢] تعالى : ﴿ الرَّحْمَانُ على الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ .

وأما المرَشَّحَة : فهى التى قرنَ بها ما يلائم المورى به : إمّا قبلها : كقوله [٣] تعالى : ﴿ والسماءَ بَنَيْناهَا بأيد ﴾ أى بِقُوَّةٍ [٤] . ﴿ وَإِنَّا لَموسِعُونَ ﴾ .

قيل : ومنه قول الحماسي :

فلما نأتْ عَنّا العشيرةُ كلُّها أنخْنَا فَحَالَفْنا السيوفَ على الدهْرِ
فما أسلَمتنا عند يوم كريهةٍ ولا نحن أغضيْنا الجفونَ على وَتْرِ [٥]

= وهذا هو السبب فى أن التورية ليست من علم البيان كالمجاز والكناية ، وإنى أرى أنها تدخل فى إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة ، فيقال فى معنى الاستيلاء مثلا : الرحمان استوى على العرش واستولى عليه . وهكذا - وبهذا يمكن إدخالها فى علم البيان كالمجاز والكناية ، ومَن عدَّها من البدَيع نظر إلى أن المعنى القريب لسرعة إدراكه قبل البعيد يكون له كالحجاب ، فيظهر من ورائه للطفه بصورة الوجه المبرقع الجميل .

(١) أى فقط ، فيدخل فيها ثلاث صور: أن تكون مجردة مما يلائم القريب والبعيد ، وأن تكون مجردة مما يلائم القريب مقترنة بما يلائم البعيد ، وأن تكون مقترنة بما يلائمها معاً .

(٢) طه : ٥ ، والمراد من « استوى » استولى ، ومعناه القريب استقرَّ ، ولم يقرن به ما يلائمه ، والقرينة استحالة الاستقرار الحسى على الله تعالى ، وإنما كانت خفية لأنها تتوقف على أدلة نفى الجرمية عنه تعالى ، وهى مما لا يفهمه كل الناس ، وقيل : إن التورية فى ذلك مرشحة ، لأن قوله ﴿ على العرش ﴾ يلائم المعنى القريب .

(٣) الذاريات : ٤٧

(٤) هذا ظاهر فى حمل (أيد) على الإفراد ، فيكون مصدر - آدَ أيدا - بمعنى اشتد ، ولكنه على هذا لا يكون من التورية لأنه لا يحتمل إلا هذا المعنى ، وإنما يكون من التورية إذا جعلت (أيد ، جمع يد) ، وحينئذ تفسر بالقُوَى جمع قوة ، وقيل : إن ذلك لا تورية فيه ، وإنما هو استعارة تمثيلية شبهت فيها هيئة إيجاد الله السماء بقدرته بهيئة البناء الذى هو وضع لبنة على أخرى باليد ، وكذلك قيل فى الآية السابقة .

(٥) هما ليحيى بن منصور الحنفى ، وقيل : إنهما لموسى بن جابر الحنفى ، وقد غلط أبو تمام فى نسبته يحيى بن منصور إلى بنى حنيفة ، لأنه من بنى ذهْل ، وقوله « نأت » بمعنى بعدت ، وقوله « أنخنا » كناية عن إقامتهم بدارهم واكتفائهم بأنفسهم ، والكريهة : الحرب . والموز : الثأر .

فإن الإغضاء مما يلائم جفن العين لا السيف وإن كان المراد به إغماد السيوف ، لأن السيف إذا أُغمدَ انطبق الجفن عليه ، وإذا جُرِّدَ انفتح للخلاء الذى بين الدَّفَّتين .

وإما بعدها : كلفظ « الغزالة » فى قول القاضى الإمام أبى الفضل عياض فى صَيْفيَّة باردة :

كأنَّ كانونَ أهدَى من ملابِسِهِ لشهر تَمُّوزَ أنواعاً من الْحُللِ
أو الغزالةَ مِن طول المدَى خَرِفَتْ فما تُفَرِّقُ بين الْجَدْيِ والْحَمَلِ (١)

(١) البيتان للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى السَّبْتى . وكانون : من أشهر السنة الشمسية يقع فى زمن البرد ، وتموز : شهر منها يقع فى زمن الدفء . والحلل : جمع حلة هى كل ثوب جديد أو الثوب عموما ، والغزالة : الشمس معطوف على كانون ، وقوله : « خرفت » بمعنى قلَّ عقلها على المجاز . والجدى : برج ملاصق للدلو ، والحمل : أول بروج الربيع ، يعنى أنها خرفت فنزلت فى برج الجدى فى وقت الحلول ببرج الحمل ، والجدى برج البرد ، والحمل برج الدفء . والتورية المرشحة فى « الغزالة » فإن معناها القريب الظبية والمراد منها الشمس ، وقد قرنت بما يلائم القريب وهو قوله « خرفت » وكذلك ذكر الجدى والحمل ، وفى كل من الحمل والجدى تورية أيضاً ولكنها مجردة ، وقيل : إنها مرشحة بالتورية السابقة .

هذا وقد تقترن التورية بما يلائم المعنى البعيد أو بما يلائم المعنيين فتكون مجردة كما سبق ، ومن الأول قول عماد الدين :

أرى العِقْدَ فى ثَغْرِهِ مُحْكَماً يُرِينَا الصِّحاحَ من الجَوْهَرِ

فالتورية فى « الصحاح » لأن معناها القريب كتاب الجوهَرى فى اللغة ، والمراد منها أسنان محبوبه ، وقد قرنت بما يلائم البعيد وهو قوله « فى ثغره » . ومن الثانى قول الشاعر :

وَمُــولَعٍ بِفِخَـــاخٍ يَمُدُّهَا وَشِـبَاكِ
قالتْ لِىَ العينُ ماذا يصيد قُلْتُ كَرَاكِى

فالتورية فى « كراكى » لأن معناها القريب أنه جمع كُرْكى وهو طائر رمادى اللون يأوى إلى الماء ، والمراد منه النوم ، وقوله « يصيد » يلائم القريب ، وكلمة العين تلائم البعيد .

هذا والتورية التى قرنت بما يلائم المعنى القريب قبله أو بعده تسمى مهيَّأة ، والتى قرنت بما يلائم المعنى البعيد قبله أو بعده تسمى مبيِّنة .

واعلم أن التوهم (١) ضربان : ضرب يستحكم حتى يصير اعتقاداً (٢) ، كما فى قوله :

حَملناهُمُ طُراً على الدُّهْمِ بَعْدَمَا ... خَلَعْنا عليهم بِالطعانِ مَلَابِساً (٣)

وضرب لا يبلغ ذلك المبلغ ولكنه شىء يجرى فى الخاطر وأنت تعرف حاله (٤) كما فى قول ابن الربيع :

لولا التَّطَيُّرُ بالخلافِ وأنهم ... قالوا : مريضٌ لا يعودُ مَريضَا

لقضيتُ نَحْبى فى فِنائِكَ خدمةً ... لأكونَ مندوباً قضى مَفْروضَا (٥)

ولابُدَّ من اعتبار هذا الأصل (٦) فى كل شىء بُنِيَ على التوهم – فاعلم .

وقال السكاكى (٧) : « أكثر متشابهات القرآن (٨) مِن التورية » .

---

(١) أي الإيهام وهو التورية .

(٢) فلا يدرَك عدم إرادة المعنى القريب منه إلا بتأمل وطول نظر .

(٣) لا يعرف قائله . وقوله « طرا » حال بمعنى جميعاً ، والدهم : جمع أدهم ومعناه القريب الفرس الأسود ، ومعناه البعيد القيد من الحديد ، وهو المراد بقرينة ما ذكره من خلع الدماء عليهم بالطعان حتى صارت لهم كالملابس ، لأنه لا يصح مع هذا أن يكون المراد حملهم على الأفراس ، والشاهد فى أن قوله « حملناهم » يفيد استحكام التوهم فى البيت حتى لا يدرك عدم إرادة القريب إلا بتأمل وطول نظر .

(٤) فلا يحتاج عدم إرادة المعنى القريب فيه إلى تأمل وطول نظر .

(٥) هما لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع . والتطير : التشاؤم ، والخلاف : مخالفة العرف والعادة ، والنحب : الأجل . والمندوب : اسم مفعول من الندب ومعناه القريب : المسنون ، ومعناه البعيد : المرثى ، وهو المراد هنا . لأن المعنى لأ كون ميتاً مرثياً قضى مفروضا عليه وهو الموت حزناً على ذلك المريض ، والشاهد فى أن عدم إرادة المعنى القريب ظاهر لا يحتاج إلى تأمل وطول نظر .

(٦) هو الاكتفاء بمجرد خطور المعنى بالبال وإن لم يكن مستحكما ، وإنما وجب اعتباره لأن كثيراً من مطالب علوم البلاغة مبنى على الإيهام ، ولو قصر على الضرب الأول تعذر طرده فى جميع هذه المطالب .

(٧) ص ٢٢٦ – المفتاح .

(٨) يريد بها الآيات التى يفيد ظاهرها إثبات شىء لا يليق بالله تعالى ، كالاستقرار واليد فى الآيتين السابقتين .

الاستخدام : ومنه الاستخدام ، وهو أن يُرادَ بلفظٍ له معنيان أحدُهما ، ثم بضميره مِعناه الآخر . أو يُرادَ بأحد ضميريه أحدُهما وبالآخر الآخرُ (١) .

فالأول كقوله :

إذا نزل السَّماءُ بأرض قَوْمٍ ... رعيناه وإنْ كانُوا غِضَابًا (٢)

---

(١) لا فرق فى المعنيين بين أن يكونا حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين ، وقد يأتى الاستخدام فى لفظ له أكثر من معنيين كما فى قول ابن الوردى :

وَرُبَّ غزالـةٍ طلعتْ ... بقلبى وَهْوَ مَرْعَاهَا

نصبتْ لها شِبَاكا منْ ... لُجَيْن ثم صِدنَاهَا

فقالتْ لى وقـد صِرنَا ... إلى عَيْنٍ قصدناها

بَذَلْتَ العينَ فاكحلْـها ... بطلعتها وَمَجْرَاهَـا

ففيه استخدامان : أولهما فى لفظ ذى معان وهو لفظ « غزالة » ، لأنه قال « ورب غزالة » بمعنى ورب شمس على الاستعارة ،ثم قال « وهو مرعاها الخ » فأعاد الضمير عليها بمعنى الظبية على الاستعارة أيضاً ، ثم قال « فقالت لى » فأعاد عليها الضمير مجردة عن الاستعارة . وثانيهما فى لفظ ذى معنيين وهو لفظ « العين » فى قوله « بذلت العين » أى اللجين ، ثم أعاد الضميرعليه بمعنى الناظرة فى قوله « فاكحلها » .

وقد يكون الاستخدام بالاستثناء ، كقول البهاء زهير :

أبَداً حديثى ليس بِالْـ ... منسُوخِ إلاَّ فى الدّفاترْ

فإنه أراد بالنسخ الأول الإزالة ، وفى الاستثناء النقل .

وقد يكون باسم الإشارة ، كما فى قوله :

رأى الْعَقِيقَ فأجرى ذاك نَاظِرُهُ ... مُتَيَّمٌ لَجَّ فى الأشواق خَاطِرُهُ

فإنه أراد بالعقيق المكان ، ثم عاد اسم الإشارة عليه بمعنى الدم .

وقد يكون بالتمييز ، كما فى قوله :

حَكَى الغزالَ طلعةً وَلَفْتَةْ ... مَنْ ذَا رَآهُ مُقْبِلاً ولا افْتَتَنْ

فإن قوله « طلعة » يفيد أن المراد بالغزال الشمس ، وقوله « لفتة » يفيد أن المراد به الظبى .

(٢) هو لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء ، أو لجرير وهو المشهور ولكنه لا يوجد فى ديوانه ، والمراد منه وصفهم بالغلبة لغيرهم .

أراد بالسماء الغيثَ ، وبضميرها النبَت [١] .

والثانى كقول البحترى :

فَسقَى الْغَضَا وَالسَّاكِنِيه وإنْ هُمُ ... شَبُّوهُ بين جَوَانحٍ وَضُلُوعِ [٢]

أراد بضمير الغضا فى قوله « والساكنيه » المكان ، وفى قوله « شبوه » الشجر [٣] .

اللف والنشر : ومنه اللَّفُّ وَالنَّشْرُ ، وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال [٤] ، ثم ما لكل واحد من غير تعيين [٥] ثقةً بأن السامع يردُّه إليه .

فالأول [٦] ضربان : لأن النشر إمَّا على ترتيب اللف ، كقوله [٧] تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ [٨] وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .

وقول ابن حَيُّوس :

فِعْلُ الْمُدَامِ وَلَوْنُها وَمَذَاقُها ... فى مُقْلَتَيْهِ ووَجْنَتَيْه وَرِيقِهِ [٩]

---

(١) كل من المعنيين مجازى كما هو ظاهر .

(٢) الغضا : شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمناً طويلا ، وقوله « شبوه » بمعنى أوقدوه أى أوقدوا مثل ناره وهى نار الحطب . والرواية الصحيحة «بين جوانح وقلوب » لأنه من قصيدة له مطلعها :

كَمْ بالْكَثِيبِ من اعتراض كَثِيب ... وَقَوَامِ غُصْنٍ فى الثياب رَطِيب

(٣) أى ناره كما سبقَ ، فكل من المَعنيَين مجازى . (٤) هذا هو اللف .

(٥) هذا هو النشر ، فلو عين كان من التقسيم الآتى لا من اللف والنشر .

(٦) هو ذكر متعدد على جهة التفصيل ثم ما لكل واحد الخ ...

(٧) القصص : ٧٣

(٨) قيل : إن ضمير « فيه » عائد إلى الليل بالتعيين ، ومع هذا لا تكون الآية من اللف والنشر ، وأجيب بأنه يحتمل أن يعود إلى كل من الليل والنهار وإن كان ظاهراً فى العود إلى الليل ، وهذا الاحتمال يكفى فى عدم التعيين .

(٩) هو لأبى الفتيان محمد بن سلطان المعروف بابن حيوس . والمدام : الخمر ، وفعلها : سلب العقل ، ولونها : الحمرة المشربة بسواد ، ومذاقها : حلو عند من يعتادها ، وإلى الأول يرجع قوله « فى مقلتيه » وإلى الثانى قوله « ووجنتيه » ، وإلى الثالث قوله « وريقه » . وقبل البيت :

ومقرطق يُغْنِي النديمَ بوجهه ... عن كأسه الملأى وعن إبريقه

وقول ابن الرومى :

آراؤكُمْ ووجوهكم وسيوفكم　　فى الحـادثات إذا دَجَـوْنَ نُجُومُ
فيها مَعَالِمُ للهدى وَمصَابِحٌ　　تجلو الدُّجَى والأخْرَيَاتُ رُجُومُ (١)

وإمَّا على غير ترتيبه ، كقول ابن حيوس :

كيف أسلو وأنْتِ حِقْفٌ وغُصْنٌ　　وغزالٌ لَحْظاً وقَدّاً ورِدْفاً (٢)

وقول الفرزدق :

لَقَدْ خُنْتَ قوماً لو لجـأتَ إلَيْهِمُ　　طَرِيد دَمٍ أو حاملاً ثِقْلَ مَغْرَمِ (٣)
لألْفَيْتَ فيهم مُعْطِياً أو مُطاعِناً　　وراءكَ شَزْراً بِالْوَشِيجِ الْمُقَـوَّمِ (٤)

والثانى (٥) كقوله (٦) تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدخُلَ الْجنَّةَ إلا مَنْ كان هُوداً أوْ نَصَارَى ﴾ فإن الضمير فى (قالوا) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والمعنى :

---

(١) هما لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى . وقوله « دجون » بمعنى أظلمن على سبيل الاستعارة ، وضمير « دجون » للحادثات ، والمعالم : جمع مَعْلمٍ وهو ما يستدل به على الطريق ، وهذا يرجع إلى الآراء ، والمصابح : جمع مصباح ، والدجى : جمع دُجْيَة وهى الظلمة ، وهذا يرجع إلى الوجوه ، والرجوم : الشهب ، وهذا يرجع إلى السيوف ، وقيل : إن هذا ليس من اللف والنشر لأنه قال « والأخريات » أى السيوف بالتعيين ، فيكون من التقسيم الآتى ، وقد يجاب بأن التعيين هنا فى بعضها دون بعض .

(٢) الحقف : مجتمع الرمل إذا عظم واستدار ، والردف : العجيزة وهو يرجع إلى تشبيهها بالحقف ، والقد : يرجع إلى تشبيهها بالغصن ، واللحظ يرجع إلى تشبيهها بالغزال ، وهذا على غير ترتيب اللف . وقد سبق التعريف بابن حيوس فى هذه الصفحة السابقة .

(٣) الخطاب فى قوله « لقد خنت » لهبيرة بن ضمضم ، وهو يهجوه لقتله القعقاع ابن عوف بن زرارة ، وقوله « طريد دم » كناية عن كونه قاتلا ، والثقل : الحمل الثقيل ، والمغرم : مصدر ميمى ، والمراد أنه يحمل مالاً فوق طاقته فى صلح أو نحوه .

(٤) قوله « لألفيت » بمعنى لوجدت ، والشزر : مصدر شَزَر بمعنى طعنه عن يمينه وشماله ، والوشيج : شجر الرماح ، والمقوم : المثقف ، والشاهد فى أن « معطيا » يرجع إلى كونه حاملا ، وأن « مطاعنا » يرجع إلى كونه طريداً ، على غير ترتيب اللف .

(٥) هو ذكر متعدد على جهة الإجمال ثم ما لكل إليه الخ .

(٦) البقرة : ١١١

وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، والنصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، فَلَفَّ بين القولين (١) ثِقَةً بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله ، وأمناً من الإلباس ، لِمَا عُلِمَ من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه .

الجمع : ومنه الجمع ، وهو أن يُجْمَعَ بين شيئين أو أشياء فى حكم واحد (٢) كقوله (٣) تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

وقول الشاعر :

إنَّ الشَّبَابَ والْفَرَاغَ والْجِدَه ... مَفْسَدَةٌ للمرءِ أىُّ مَفْسَدَهْ (٤)

ومنه قول محمد بن وُهَيْبٍ :

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدنيا بِبَهْجَتِهَا ... شَمْسُ الضُّحَى وأبو إسحاق والْقَمَرُ (٥)

التفريق : ومنه التفريق ، وهو إيقاع تَبَايُنٍ (٦) بين أمرين من نوع واحد فى المدح أو غيره ، كقوله :

مَا نَوَالُ الغمامِ وقت رَبِيعٍ ... كَنَوَالِ الأميـر يوم سَـخَاءِ

فَنَوَالُ الأميـــر بَدْرَةُ عَيْنٍ ... ونوالُ الغمامِ قَطْرَةُ مَاءِ (٧)

---

(١) أى بقوله « وقالوا » والأصل وقالت اليهود وقالت النصارى ، وأما النشر فبقوله ﴿ إلا من كان هودا أو نصارى ﴾ .

(٢) لابد أن يكون فى الجمع بينها لطافة وغرابة ، لأن مجرد الجمع فى ذلك لا حسن فيه .

(٣) الكهف : ٤٧

(٤) هو لأبى العتاهية إسماعيل بن القاسم ، والجدة : الاستغناء يقال فى المال « وجْدٌ » بتثليث الواو ، و « جِدَةٌ » كعِدَةٍ بحذف الواو وتعويض التاء . وقوله « أىُّ مفسدة » بمعنى كاملة الفساد ، والشاهد فى جمع الثلاثة فى كونها مفسدة أى مفسدة .

(٥) سبق هذا البيت فى الكلام على تقديم المسند فى الجزء الأول ، والشاهد فى جمع شمس الضحى وأبى إسحاق والقمر فى كونها تشرق الدنيا ببهجتها .

(٦) أى : افتراق وعدم تشابه .

(٧) هما لمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوطواط ، والنوال : العطاء ، والبدرة : كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم ، والمراد من العين المال ، والشاهد فى التفريق بين النوالين .

ونحو قوله :

مَنْ قاسَ جَدْوَاكَ بِالْغَمامِ فَما ... أنْصَفَ فى الحكم بين شَكْلَيْنِ

أنتَ إذا جُدْتَ ضاحِكٌ أبَـداً ... وَهْوَ إذا جاد دَامِعُ العَيْنِ (١)

التقسيم : ومنه التقسيم ، وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لِكلٍّ إليه على التعيين(٢) كقول أبي تمام :

فمَا هو إلا الْوَحْىُ أو حَدُّ مُرْهَفٍ ... تُميلُ ظُبَاهُ أخْدَعَىْ كُـلِّ مَائلِ (٣)

فهذا دواءُ الدَّاءِ من كُـلِّ عـالمٍ ... وهذا دواء الداء من كل جَاهِلِ (٤)

وقول الآخر :

ولا يُقيِم على ضَيْم يُـرَادُ بِهِ ... إلا الأذَلاَّنِ غَيْـرُ الحَىِّ وَالْوَتَدُ

هذا على الخَسْفِ مربوطٌ بِرُمَّتِه ... وذا يُشَجُّ فلا يَرْثِى له أحَدُ (٥)

وقال السكاكي (٦) : « هو أن تذكر شيئا ذا جُزأيْنِ أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك ، كقوله :

---

(١) هما لمحمد بن أحمد المعروف بالوَأْوَاءِ الدِّمَشْقى ، والجدوى : العطية ، والشكلان تثنية شكل بمعنى مثل ، وقوله « جدتَ » بمعنى أعطيت ، والشاهد فى التفريق بين الجدويين .

(٢) يخرج بهذا القيد اللف والنشر لوجوب عدم التعيين فيه كما سبق .

(٣) قبله : * وعادات نصرٍ لم تزل تستعيدُها ... عصابةُ حقٍ فى عصابة باطل *
وضمير « هو » يعود إلى حقٍ ، يعنى أنه لا يتم أمره إلا بما ذكره ، والمرهفَ : السيف المرقق الحد ، والظبى : جمع ظُبَة وهي حد السيف ، والأخدعان : عرقان فى صفحتي العنق ، وقد روى « تقيم ظباه » وهو أصح .

(٤) اسم الإشارة الأول للوحى ، والثانى للسيف ، والحق أن هذا من اللف والنشر لعدم التعيين .

(٥) سبق هذان البيتان فى الكلام على تعريف المسند إليه بالإشارة فى الجزء الأول والحق أن ما هنا أيضاً من اللف النشر لعدم التعيين ، وقيل : إن حرف التنبيه فى «هذا» فيه إيماء إلى أن القرب فيه أقل فيكون للقريب ، وهو العير ، ويكون « ذا » للأقرب وهو الوتد ، ولا يخفى أن مثل هذا لا يعول عليه فى التعيين .

(٦) ٢٢٥ ، ٢٢٦ - المفتاح .

أديبَانِ فى بَلْخَ لا يأكلانِ إذا صَحِبَا المـرءَ غير الكَبِدْ
فهـــذا طويل كظلِّ القَنَاةِ وهذا قصيرٌ كظل الوَتدْ [١]

وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر [٢] .

الجمع مع التفريق : ومنه الجمع مع التفريق ، وهو أن يَدخل شيئان فى معنىً واحد ويفرق بين جهتى الإدخال ، كقوله :

فَوَجْهُكَ كالنَّارِ فى ضَوْئِهَا وَقَلْبِىَ كالنار فى حَرِّهَا [٣]

شبه وجهَ الحبيب وقلبَ نفسه ، وفرق بين وجهى المشابهة . ومنه قوله [٤] تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَار مُبْصِرَةً ﴾ .

الجمع مع التقسيم : ومنه الجمع مع التقسيم ، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه ، أو تقسيمه ثم جمعه . فالأول كقول أبى الطيب :

حَتَّى أقام على أرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ تَشْــقَى بِهِ الـرُّومُ والصُّلْبَانُ والبِيَــعُ [٥]
للسَّبْىِ ما نَكحوا والقتلِ ما وَلَدُوا والنَّهْبِ ما جمعوا والنارِ ما زَرَعُوا [٦]

---

(١) هما لبعض شعراء الفُرْس ، والكبد : عضو معروف فى البدن ، والمراد به كبد صاحبهما فيكون كناية عن سوء عشرتهما له ، أو الكبد المأكول فيكون كناية عن خستهما ، والقناة : الرمح ، ويردُ على التمثيل بهذا للتقسيم ما سبق فيما قبله .

(٢) ذكر السعد أن قول السكاكى فى التعريف « ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك » يغنى عن ذكر قيد التعيين ، وبهذا يباين التقسيم اللف والنشر عنده أيضاً . ومن التقسيم قول الشاعر :

وَرَاحُوا فريق فى الإسار ومِثْلُهُ قَتيلٌ وَمِثْلٌ لاذَ بالبحر هَارِبُهْ

(٣) هو لمحمد بن محمد بن عبدا لجليل المعروفُ برشيد الدين الوَطْوَاطِ ، وحرارة قلبه ناشئة من شدة شوقه إلى محبوبه .

(٤) الإسراء : ١٢

(٥) يتعلق « حتى » بقوله قبله :

قاد المقانبَ أقصى شربِها نَهَلٌ على الشكيم وأدنى سيرها سرَعُ

والضمير فى « أقام » لسيف الدولة ، والأرباض : جمع رَبَضَ وهو ما حول المدينة ، وخرشنة : بلد بالروم تسمى أماضية ، والبيع : جمع بيعَة وهى معبد النصارى .

(٦) إنما قال « ما نكحوا وما ولدوا » مع أن « ما » لغير العاقل إهانة لهم وملاءمة لما بعده .

جمع فى البيت الأول شقاءَ الروم بالممدوح على سبيل الاجمال حيث قال « تشقى به الروم » ، ثم قسَّم فى الثانى وفصَّله .

والثانى كقول حَسَّان :

قَوْمٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أوْ حاولوا النفع فى أشياعهم نَفَعوا

سَجِيَّةٌ تلك منهم غَيْـرُ مُحْدَثَةٍ ... إنَّ الخلائق فَاعْلَمْ شَـرُّهَا الْبِدَعِ [١]

قسم فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء ونفع الأولياء ، ثم جمعها فى البيت الثانى حيث قال « سجية تلك » . ومن لطيف هذا الضرب قول الآخر :

لَوْ أنَّ مَا أنْتمُ فيه يـدوم لكُمْ ... ظننتُ مـا أنا فيـه دائمـاً أبَداً

لكنْ رأيتُ الليالى غَيْرَ تاركةٍ ... ما سرَّ مِنْ حادثٍ أو سـاء مُطَّرِداَ

فقـد سـكنتُ إلى أنِّى وأنَّكُمْ ... سَنَسْتَجِدُّ خلاف الحالتين غَدَاَ [٢]

فقوله « خلاف الحالتين » جمع لِمَا قُسِّم لطيف ، وقد ازداد لطفاً بحسن ما بناه عليه من قوله « فقد سكنت إلى أنى وأنكم » .

الجمع مع التفريق والتقسيم : ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم [٣] كقوله [٤] تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِيَ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بإذْنِه فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ شَقوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إلاَّ مَا

---

(١) هما لحسان بن ثابت الأنصارى ، و « قوم » خبر مبتدأ محذوف تقديره هم قوم ، والمراد بهم قوم النبى ﷺ ، والأشياع : الأتباع والأنصار ، وسجية : طبيعة وغريزة خبر مقدم ، واسم الإشارة « تلك » مبتدأ مؤخر ، وغير محدثة : صفة سجية ، والخلائق : جمع خليقة وهى الخُلُق ، والبدع : جمع بدعة وهى الأمر المستحدث ، يعنى أن الخلائق شرها ما كان مستحدثاً فى الأبناء ، ولم يكن موروثا عن الآباء .

(٢) هى لإبراهيم بن العباس الصولى ، ويريد بما هم فيه حسن حالهم وبما هو فيه سوء حاله ، والمطرد : المستمر ، وإنما كان قوله « خلاف الحالتين » جمعا لطيفا لحسن اختصاره لهما .

(٣) تأتى الثلاثة فى الكلام على هذا الترتيب ، فيكون أولها الجمع وثانيها التفريق وثالثها التقسيم .

(٤) سورة هود : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ -

شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ، وأمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (*) أما الجمع ففى قوله ﴿ يوم يأتِ لا تَكلم نفس إلا بإذنه ﴾ فإن قوله (نفس) متعددة معنًى لأن النكرة فى سياق النفى تعمّ ، وأما التفريق ففى قوله ﴿ فمنهم شقى وسعيد ﴾ ، وأما التقسيم ففى قوله ﴿ فأما الذين شقوا ﴾ إلى آخر الآية الثانية . وقول ابن شرف القَيْرَوَانىٍّ :

لِمُخْتَلِفِى الحاجاتِ جَمْعٌ بِبَابِهِ　　فهذا لــه فَـنٌّ وهــذا له فَنُّ
فَلِلْخَامِلِ الْعَلْيا وللمعدم الْغَنِى　　وللمذنب الْعُتْبَى وللخائف الأَمْنُ (١)

التقسيم بمعنيين آخرين : وقد يطلق التقسيم على أمرين : أحدهما أن يُذكَرَ أحوال الشىء مضافا (٢) إلى كل حال ما يليق بها (٣) كقول أبى الطيب :

سـأطلب حَقِّى بِالْقَنَا وَمَشَـايِخٍ　　كأنَّهُمْ مِـن طُـولِ مَا الْتَثَمُوا مُرْدُ (٤)
ثِقَالٍ إذا لاَقَوْا خِفَافٍ إذا دُعُوا　　كثيرٍ إذا شَـدُّوا قليـلٍ إذا عُدُّوا (٥)

وقوله أيضاً :

بَدَتْ قَمَراً ومالتْ خُوطَ بَانٍ　　وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزَالاً (٦)

(*) سورة هود : ١٠٥ ـ ١٠٨

(١) هما لمحمد بن سعيد بن أحمد بن شرف القيروانى الجذامى ، والفن : النوع والحال ، والمعدم : الفقير ، والعتبى : الإرضاء . والشاهد فى أنه جمع بقوله « لمختلفى الحاجات » ثم فرق بقوله « فهذا له فن وهذا له فن » ثم قسم فى البيت الثانى .

(٢) أى منسوبا .

(٣) هذا يغاير التقسيم السابق بأنه لا يذكر فيه المتعدد أولاً بل يذكر كل واحد من المتعدد ومعه ما يناسبه .

(٤) القنا : واحده قناة وهى الرمح ، وقوله « التثموا » بمعنى لبسوا لثام الحرب على عاداتهم فيها ، والمرد : جمع أمرد وهو الشاب الذى لم تنبت لحيته .

(٥) الثقال : الذين تشتد وطأتهم على الأعداء فى الحرب ، وقوله « شدوا » بمعنى حملوا على عدوهم ، والشاهد فى أنه ذكر أحوال المشايخ فى البيت الثانى مضافا إلى كل حال ما يناسبها .

(٦) سبق هذا البيت فى الكلام على التشبيه من الجزء الثالث ، والشاهد فى أنه ذكر أحوالها مضافاً إلى كل حال ما يناسبه .

ونحوه قول لآخر :

سَفَرْنَ بُدُوراً وَانتَقَبْنَ أَهِلَّةً ... وَمِسْنَ غُصُوناً والتفتْنَ جَآذِراً [١]

والثانى استيفاء أقسام الشيء بالذكر ، كقوله [٢] تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وقوله [٣] ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيما ﴾ .

ومنه ما حُكِى عن أعرابى وقف على حلقة الحَسَن [٤] فقال : « رحم اللّه من تصدق من فضلٍ ، أو آسَى من كَفَافٍ ، أو آثر من قُوتٍ » . فقال الحسن : « ما ترك لأحدٍ عذراً » . ومن الشعر قول زهير :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ اليوم وَالأَمْسِ قَبْلَهُ ... ولكننى عن علمِ ما فى غَدٍ عَمِى [٥]

وقول طُرَيْحٍ :

إن يعلموا الخير يُخْفوهُ وإنْ عَلِمُوا ... شَرّاً أذاعوا وإن لم يعلموا كَذَبُوا [٦]

وقول أبى تمام فى الأَفْشِينِ [٧] لما أُحْرِقَ :

---

(١) هو لأبى القاسم على بن إسحاق الزاهى ، وقيل : إنه لأبى هلال العسكرى ، وقوله « سفرن » بمعنى كشفن وجوههن ، وقوله « انتقبن » بمعنى لبسن النقاب ، وإنما أشبهن الأهلة عند لبسه لظهور حواجبهن مقوسات فوق مثلها ، وقوله « مسن » بمعنى تبخترن ، والجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية أى كعيون جآذر . والشاهد فيه كالبيت قبله .

(٢) فاطر : ٣٢ (٣) الشورى : ٤٢ (٤) يعنى الحسن البصرى .

(٥) سبق هذا البيت فى الكلام على الحشو من الجزء الثانى ، والشاهد فى استيفائه أقسام ما يتوجه إليه العلم وهى اليوم والأمس والغد ، ولا يخفى أنه لا قيمة للمحسن البديعى مع عيب الحشو .

(٦) هو لطريح بن إسماعيل الثقفى ، يريد أن أعداءه إن يعلموا خيراً منه يخفوه ، أو شراً يذيعوه ، وإن لم يعلموا منه شراً نسبوه إليه كذباً ، وقد استوفى بهذا أقسام أحوالهم معه .

(٧) كان تركيا من أكبر قواد المعتصم .

صَلّى لها حَيًّا وكان وَقُودَها   مَيْتًا ويَدخُلها مع الفُجَّارِ (١)

وقول نُصَيْبٍ :

فقال فَرِيقُ القوم : لا ، وَفَرِيقُهمْ   نعم ، وفريقٌ : لَيْمُنُ اللّهِ مَا نَدْرِى (٢)

فإنه ليس فى أقسام الإجابة غير ما ذكر .

وقول آخر :

فَهَبْهَا كشىءٍ لم يكن أو كَنَازِحٍ   به الدَّارُ أو مَن غَيَّبَتْهُ المَقَابِرُ (٣)

التجريد : ومنه التجريد ، وهو أن يُنْتَزَعَ من أمْرٍ ذى صفة أمْرٌ آخَرُ مثله فى تلك الصفة مُبَالَغَةً فى كمالها فيه (٤) . وهو أقسام :

---

(١) الضمير فى « لها » للنار ، والوقود : ما توقد النار به ، والفجار : العصاة ، وكان الأفشين متهما بعبادة النار كالمجوس . والشاهد فى استيفائه أقسام أحواله معها .

(٢) هو لنصيب بن رباح ، وقوله « ليمن » حذفت فيه ألف « أيمن » فى الدرج ، وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره « قسمى » .

(٣) هو لعمرو بن أبى ربيعة ، وقوله « هب » فعل أمر بمعنى احسب ، وقوله « لم يكن » بمعنى لم يوجد ، والنازح : البعيد . والشاهد فى أنه ليس فى أقسام الغائب غيرُ ما ذكره .

(٤) اعترض على هذا التعريف بأنه لا يشمل ما كان من التجريد نحو « لا خيل عندك تهديها ولا مال » لأنه لم يجرد شيئاً مثل نفسه فى صفة من الصفات ، وإنما جرد من ذاته ذاتاً أخرى من غير اعتبار صفة ، فالأحسن تعريف التجريد بأنه انتزاع أمر من آخر مطلقاً ، والأحسن أيضاً أن تجعل نكتته العامّة التفنُّن فى الأسلوب كالالتفات لتقاربهما ، وإن كان مبنى الالتفات على اتحاد المعنى ومبنى التجريد على التغاير بينهما بحسب الاعتبار ، وقد يجتمعان كما فى المثال الآتى « فلئن بقيتَ لأرحلن بغزوة » البيت ، وقد ينفرد الالتفات كما فى قوله تعالى سورة الكوثر : ١ ، ٢ ﴿ إنَّا أعطيْنَاكَ الكَوْثَر ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ ﴾ ، وقد ينفرد التجريد كما فى قولك « لى من فلان صديق حميم » .

وفى التجريد فائدتان : طلب التوسع فى الكلام ، وتمكين المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه ، إذ يكون مخاطبا بها غيره ، فيكون أعذر له .

منها نحو قولهم (١) « لى من فلان صديق حميم » أى بلغ من الصداقة مبلغاً صح معه أن يستخلص منه صديق آخر .

ومنها نحو قولهم (٢) « لئن سألتَ فلاناً لتسألن به البحرَ » .

ومنها نحو قول (٣) الشاعر :

وَشَوْهَاءَ تَعْدُوبى إلى صَارِخِ الْوَغَى ... بِمُسْتَلئِمٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُرَحَّلِ (٤)

أى تعدو بى ومعى من نفسى لكمال استعدادها للحرب مستلئم أى لابس لأمَةٌ .

ومنها نحو قوله (٥) تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ فإن جهنم - أعاذنا الله منها - هى دار الخلد ، لكن انتُزِعَ منها مثلها وجعل مُعَدّاً فيها للكفار تهويلا لأمرها .

ومنها نحو قول (٦) الحماسى :

فلئن بَقِيتُ لأرحلنَّ بِغَزْوَةٍ ... تحوى الغنائم أو يَمُوتَ كَرِيمٌ (٧)

---

(١) نحوه كل ما تكون « من » فيه أداة التجريد ، وتفيد فيه معنى الابتداء ، وهذا القسم لا يقصد منه تشبيه .

(٢) نحوه كل ما تكون باء التجريد فيه داخلة على المنتزع منه ، وتفيد فيه معنى المصاحبة ، وهذا القسم يدل على التشبيه .

(٣) نحوه كل ما تكون الباء فيه داخلة على المنتزَع ، وتفيد معنى المصاحبة ، وهذا القسم لا يدل عى التشبيه .

(٤) لا يعرف قائله . والشوهاء : الفرس القبيحة المنظر لسعة أشداقها أو لتغيرها بالحرب ، وصارخ الوغى : المستغيث فى الحرب ، والمستلئم : لابس اللأمة وهى الدرع ، والفنيق : الفحل المكرم من الإبل بترك ركوبه ، والمرحل : المرسل غير المربوط ، والمراد تشبيه الفرس به أو المستلئم ، والباء فى « بى » للتعدية ، وفى « بمستلئم » للمصاحبة لأنها باء التجريد .

(٥) فصلت : ٢٨ . ونحوه كل ما يكون التجريد فيه بدخول « فى » على المنتزع منه، وهذا القسم لا يقصد فيه تشبيه .

(٦) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بالقرينة لا بحرف من حروف التجريد ، وهذا القسم لا يدل على التشبيه .

(٧) هو لقتادة بن مسلمة الحنفى ، و « أو » فى قوله « أو يموت » بمعنى « إلا » والفعل بعدها منصوب بها،ويجوز رفعه عطفاً على تحوى ، والتجريد فى قوله « أو يموت كريم » بقرينة أنه عادل بين احتوائه على الغنيمة وموت كريم ، والجارى على الألسنة أن يقال لا بدَّ لى من الغنيمة أو الموت ، فيفهم منه أن المراد من الكريم نفسه .

وعليه قراءة من قرأ ﴿ فإذَا انشَقَّت السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةٌ كالدِّهَانِ ﴾ (١) بالرفع بمعنى : فحصلت سماء وردةٌ . وقيلَ تقدير الأول « أو يموت منى كريم » (٢) ، والثانى « فكانت منه (٣) وردة كالدهان » ، وفيه نظر (٤) .

ومنها نحو قوله (٥) :

يَا خَيْرَ مَن يركبُ المَطىَ وَلاَ ... يشرب كأساً بِكَفِّ مَن بَخِلاَ (٦)

ونحوه قول الآخر :

إنْ تَلْقَنِى لا ترى غيرى بِنَاظِرَةٍ ... تَنْسَ السِّلاَحَ وتعرفْ جَبْهَةَ الأسَدِ (٧)

ومنها مخاطبة الإنسان نفسه ، كقول الأعشى :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنّ الركبَ مُرْتَحِلُ ... وهل تُطِيقُ وَدَاعا أيُّها الرَّجُلُ (٨)

وقول أبى الطيب :

---

(١) الرحمن : ٣٧

(٢) فيكون التجريد فيه بحرف « من » لا من هذا القسم .

(٣) أى من الانشقاق ، فيكون التجريد فيه بحرف أيضاً .

(٤) لحصول التجريد من غير تقدير أداة فلا يكون هناك حاجة إليه .

(٥) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بطريق الكناية .

(٦) هو لأعشى قيس ، والمطى : جمع مطية وهى المركوب من الإبل ، والشاهد فى قوله « ولا يشرب كأساً بكف من بخلا » فإنه كناية عن شربه بكف كريم ، والشأن أن الشخص يشرب بكف نفسه ، ولكنه انتزع من الممدوح شخصاً كريماً يشرب الممدوح من كفه مبالغة فى كرمه .

(٧) هو لإرطاة بن سُهَيّة ، وقوله « بناظرة » صفة لمحذوف أى بعين ناظرة ، وقوله : « تنس السلاح » بمعنى تنسى حمله دهشا ، والشاهد فى قوله « وتعرف جبهة الأسد » لأنه كنى بذلك عن معرفة الأسد نفسه ، فكأنه قال « وتعرف الأسد » وذلك تجريد لأنه على تقدير : وتعرفه مني .

(٨) هو لأعشى قيس ، والركب : ركبان الإبل أو الخيل ويجمع على أركب وركوب ، وهو أيضاً جمع راكب ، والمرتحل : المسافر ، والشاهد فى مخاطبته نفسه فى قوله « ودع وتطيق ، وأيها الرجل » .

لاَ خَيْلَ عندك تُهْدِيهَا ولا مَالُ ... فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إن لم يسْعِدِ الحالُ (١)

المبالغة المقبولة : ومنه المبالغة المقبولة (٢) . والمبالغة أن يُدَّعَى لوصف بلوغه فى الشدة أو الضعف حداً مستحيلا أو مُسْتَبْعَداً لئلا يُظن أنه غير مُتَنَاهٍ فى الشدة أو الضعف ، وتنحصر فى : التبليغ ، والإغراق ، والغلو . لأن المُدَّعَى للوصف من الشدة أو الضعف إمَّا أن يكون ممكناً فى نفسه (٣) أوْ لاَ . الثانى الغلو (٤) . والأول إمَّا أن يكون ممكناً فى العادة أيضاً (٥) أوْ لاَ ، الأول التبليغ (٦) والثانى الاغراق (٧) .

أما التبليغ فكقول امرىء القيس :

فَعَادَى عِدَاءً بين ثورٍ ونعجةٍ ... دِرَاكاً فلم يَنْضَحْ بماءٍ فيُغْسَلِ (٨)

---

(١) هو من قصيدة له يمدح بها فاتكا حين أهداه ألف دينار وهو بمصر ، ويعنى بالنطق نطقه بالشعر فى مدحه ، وبالحال حاله من فقد الخيل والمال ، والشاهد فى مخاطبته نفسه فى قوله « عندك » .

(٢) يحترز عن المبالغة غير المقبولة ، وهذا مذهب من مذاهب ثلاثة فى المبالغة . والثانى أنها مقبولة مطلقاً ، لأن خير الكلام ما بولغ فيه ، وأعذب الحديث أكذبه مع إيهام الصحة وظهور المراد ، فلا يدخل فى ذلك الكذب المحض الذى قصد ترويج ظاهره مع فساده للاتفاق على قبحه . والثالث : أنها مردودة مطلقاً ، لأن خير الكلام ما خرج مخرج الحق ، كما قال الشاعر :

وَإنَّ أشعرَ بيتٍ أنت قائلُهُ ... بيتٌ يقال إذا أنشدتَهُ صدَقَا

(٣) الممكن فى نفسه هو الممكن عقلاً .

(٤) هو غير الممكن فى نفسه أى غير الممكن عقلا ، وكل ما لا يمكن عقلاً لا يمكن عادة .

(٥) أى كما هو ممكن فى نفسه ، فيكون ممكناً عقلاً وعادة .

(٦) هو الممكن عقلاً وعادة . (٧) هو الممكن عقلاً لا عادة .

(٨) قوله « عادى إلخ » بمعنى والى بينهما بأن صرع الثانى إثر الأول فى شوط واحد ، والثور : ذكر بقر الوحش ، والنعجة : أنثاه . وقوله « دراكا » بمعنى متتابع تأكيداً لقوله « عداء » أو لإفادة التكثير وأن ذلك كان بين ثيران ونعاج لا اثنين فقط . وقوله « لم ينضح » بمعنى لم يرشح بعرق فيغسل به جسمه أو يغسل منه جسمه لما يصحبه من الوسخ .

وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق ، وذلك غير ممتنع عقلا ولا عادة . ومثله قول أبى الطيب :

وَأُصْرِعُ أيَّ الوحش قَفَّيْتُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عنه مِثْلَهُ حين أرْكَبُ (١)

وأما الإغراق فكقول الآخر :

وَنُكْرِمُ جارَنا ما دام فِينَا وَنُتْبِعُهُ الكرامةَ حيث مَالاَ (٢)

فإذا ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جهة إلا وهو يُتبعه الكرامة ، وهذا ممتنع عادة وإن كان غير ممتنع عقلا .

وهما (٣) مقبولان .

وأما الغلوّ فكقول أبى نُوَاس :

وأَخَفْتَ أهل الشِّرْكِ حتى إنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطَفُ التى لم تُخْلَقِ (٤)

والمقبول منه أصناف :

أحدها : ما أدخل عليه ما يُقرِّبه إلى الصحة ، نحو لفظة « يكاد » فى قوله (٥)

---

(١) قوله « أصرع » بمعنى أطرح علي الأرض ، وقوله « قفيته » بمعنى أتبعته ، والضمير المفعول للوحش ، والضمير فى « به » للفرس ، والشاهد فى قوله « وأنزل عنه مثله حين أركب » يعنى أنه يكون فى مثل نشاطه حين ركبه ، وهذا ممكن عقلاً وعادة .

(٢) هو لعمرو أوعُمَير بن الأيْهَم التغلبى ، وقد حرّف « الأيهم » بالأهتم من بعض النساخ ، وهو خطأ ، لأن عمرو بن الأهتم تَميمى لا تغلبى ، وقوله « مال » بمعنى رحل عنهم إلى غيرهم ، والظاهر أن الإغراق فى هذا يكون عند إرادة أنهم يرسلون ذلك إليه فى مكان ارتحاله لا إرادة أنهم عند ارتحاله يزودونه به .

(٣) أى التبليغ والإغراق .

(٤) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس ، والنطف : جمع نطفة وهى الماء الذى يتخلق منه الإنسان فى الرَّحِم ، وقوله « لم تخلق » بمعنى لم يخلق منها الإنسان أو بمعنى لم توجد فيكون أبعد فى الغلو من الأول لأن عدم خلق الإنسان منها يقتضى وجودها ، وهذا من الغلو غير المقبول .

(٥) النور : ٣٥ ، ونحوها لفظ « لو ، ولولا ، وحرف التشبيه ، ويخيل ، وما أشبه ذلك .

تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ . وفى قول الشاعر يصف فرساً :

وَيكادُ يَخْرُج سرعةً من ظِلّهِ لَوْ كان يُرْغَبُ فى فِرَاقِ رَفِيقِ (١)

والثانى : ما تضَمَنَ نوعاً حسناً من التخييل (٢) كقول أبى الطيب :

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عليها عِثْيَرًا لو تبتغِى عَنَقاً عليه لأَمْكَنا (٣)

وقد جمع القاضى الأرّجَانِيُّ بينهما فى قوله يصف الليل بالطول :

يُخَيّلُ لى أن سُمِّرَالشهْبُ فى الدُّجَى وَشُدَّتْ بأهدابى إليهنّ أجْفَانِى (٤)

والثالث:ما أُخْرِجَ مُخرَجَ الهذل والخلاعة (٥) ، كقول الآخر :

أسْكَرُ بالأمسِ إن عزمتُ على الـ شربِ غَداً إنّ ذا من العَجَبِ (٦)

---

(١) هو لأبى محمد عبد الجبار بن أبى بكر المعروف بابن حمديس الصقلى ، جعل ظله رفيقاً له لأنه يلازمه ملازمة الرفيق . وقد أخذه من قول المعرى :

ولمّا لم يسابقْهنّ شىءٌ من الحيوان سابقنَ الظِّلالا

(٢) لأن حسن التخييل يقربه من الإمكان .

(٣) السنابك : جمع سنبك وهو طرف الحافر ، والعثير : الغبار ، والعنق : السير السريع ، وقد نشأ التخييل الحسن من ادعاء كثرة الغبار وجعله كالأرض فى الهواء ، ولا يخفى أن وجود « لو » فيه يجعله من الأول أيضاً . وقبله :

أقبلت تبسم والجيادُ عوابسٌ يخببن بالحلق المضاعَف والقنا

(٤) هو لأحمد بن محمد المعروف بالقاضى الأرجاني ، وقوله « سمر الخ » بمعنى أحكمت فيها بالمسامير ، والدجى : جمع دجية وهى الظلمة ، والأهداب : جمع هدب وهو شعر أشفار العينين ، والشاهد فى اجتماع لفظ « يخيل » فيه من الأول مع ذلك التخييل الحسن الناشىء من ادعاء أن هناك مسامير وحبالا كانت سبباً فى وقوف الشهب وشد الأجفان إليها .

(٥) لأن صاحبهما لا يعد موصوفاً بنقيصة الكذب كما يعد فى الجِد .

(٦) لا يعرف قائله ، وقبله :

أَمُرُّ بالكَرْمِ إن عبرتُ بِهِ تأخذنى نشوةٌ من الطربِ

واسم الإشارة « ذا » يعود إلى سكره بالأمس عند العزم على الشرب فى الغد ، وامتناعه فى العقل لما فيه من تقدم المعلول على علته ، وأل فى « الأمس » للجنس ، =

المذهب الكلامى : ومنه المذهب الكلامى [1] وهو أن يُوردَ المتكلم حُجَّةً لِمَا يَدَّعيه على طريق أهل الكلام [2] كقوله [3] تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ . وقوله ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [4] . أى والإعادة أهون عليه من البدء ، والأهون من البدء أدخل فى الإمكان من البدء ، وهو المطلوب [5] . وقوله [6] تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾ أى القمر آفِلٌ وربى ليس بآفل ؛ فالقمر ليس بربى [7] . وقوله [8] تعالى : ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ أى أنتم تُعَذَّبُونَ والبنون لا يُعَذَّبُون فلستم بِبَنِين له [9] .

ومنه قول النابغة يعتذر إلى النعمان :

حَلَفْتُ فلم أترك لنفسك رِيبَةً ... وليس وراء اللَّه لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ
لَئِنْ كُنْتَ قد بُلِّغْتَ عَنِّى خيانةً ... لَمُبْلِغُكَ الْوَاشِى أَغَشُّ وأَكْذَبُ
وَلَكِنَّنِى كنتُ امْرَءًا لِىَ جَانِبٌ ... مِنَ الأرض فيه مُسْتَرادٌ ومَذْهَبُ [10]

= فيشمل أفراده المقدرة فى المستقبل ، وكذلك المراد بغد ، وبهذا صح قوله « أسكر بالأمس » بالمضارع مع أمس ، وقوله « إن عزمت » بإن التى تقلب الماضى إلى المستقبل ، والمراد سكره من مروره بالكرم ، ولهذا فصله عنه .

(١) إنما كان محسناً لأنه لا يجب فى المحاورة أن تكون على طريق أهل الكلام ويعضهم يرى أنه تكلف ، والحق أنه لا تكلف فيه .

(٢) بأن تكون على صورة قياس اقترانى أو استثنائى بالفعل أو بالقوة ، ومن الأول الآية الأولى وبيت النابغة ، ومن الثانى ما عداهما من الأمثلة .

(٣) الأنبياء : ٢٢ ، وفيها قياس استثنائى حذفت استثنائيته ونتيجته لظهورهما .

(٤) الروم : ٢٧

(٥) هذا قياس اقترانى من الشكل الأول حذفت مقدمته الثانية والمطلوب .

(٦) الأنعام : ٧٦

(٧) هذا قياس اقترانى من الشكل الثانى حذفت مقدمته الأولى اكتفاء عنها بلازم الثانية (لا أحب الآفلين) وحذف أيضاً فيه المطلوب .

(٨) المائدة : ١٨

(٩) هذا أيضاً قياس اقترانى من الشكل الثانى مثل الآية السابقة .

(١٠) المستراد : موضع طلب الرزق مأخوذ من « رادَ الكلأ » بمعنى طلبه . والمذهب: موضع الذهاب إلى الحاجات ، والمراد منهما فى البيت مجرد طلب الرزق والذهاب إلى الحاجات .

مُلُوكٌ وإخوانٌ إذا ما مَدَحْتُهُمْ أَحَكَّمُ في أموالهم وأُقَرَّبُ (١)
كَفِعْلِكَ في قوم أراكَ اصْطَفيْتَهمْ فَلَمْ تَرَهُمْ في مدحهم لَكَ أَذْنَبُوا

يقول : أنت أحسنتَ إلى قوم فمدحوك وأنا أحسن إليَّ قومٌ فمدحتهم ، فكما أن مدح أولئك لك لايُعَدُّ ذنباً فكذلك مدحى لمن أحسن إليَّ لا يعد ذنباً (٢) .

حسن التعليل : ومنه حسن التعليل ، وهو أن يُدَّعَى لوصف علةٌ مناسبة له باعتبار لطيف (٣) غير حقيقى . وهو أربعة أقسام : لأن الوصف إمَّا ثابت قُصدَ بيان علته ، أو غير ثابت أُريدَ إثباته ، والأول إمَّا ألاَّ يَظْهَرَ له فى العادة علة ، أو يظهر له علة غير المذكورة ، والثانى إمَّا ممكن ، أو غير ممكن .

● أما الأول (٤) فكقول أبى الطيب :

لم تَحْكِ نَائلَكَ السحابُ وإنما حُمَّتْ به فَصَبِيْبُهَا الرُّحَضَاءُ (٥)

فإن نزول المطر لا يظهر له فى العادة علة (٦) . وكقول أبى تمام :

---

(١) يعنى بهم آل جفنة من الغساسنة الذين قصدهم بعد غضب النعمان بن المنذر عليه ويشير بقوله « إخوان » إلى تواضعهم . والأبيات لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبيانى .

(٢) هذا من قياس التمثيل ، ويمكن رده إلى قياس استثنائى تقديره : لو كان مدحى لآل جفنة ذنباً لكان مدح أولئك القوم لك ذنباً ، لكن مدح أولئك القوم لك ليس بذنب ، فمدحى لآل جفنة ليس بذنب .

(٣) أى دقيق لا يدركه إلا من له تصرف فى دقائق المعانى ، ووجه حسنه إظهار ما ليس بواقع متخيَّلا كالصحيح الواقع ، وهذا شرط لكونه محسناً لا اعتبار موجب له .

(٤) هو حسن التعليل فى الوصف الثابت الذى لا تظهر له فى العادة علة غير المذكورة .

(٥) قوله « لم تحك » بمعنى لم تشابه ، والنائل : العطاء ، والسحاب : اسم جنس جمعى ولهذا أنث فعله ، وهو على حذف مضاف أى مطر السحاب ، وقوله « حمت » بمعنى أصيبت بالحمى ، والصبيب : ما صب من المطر ، والرحضاء : عَرَق الحمى ، والبيت من قصيدة فى مدح هارون بن عبد العزيز مطلعها :

أمِنَ ازديارك فى الدجى الرقباء إذ حيث أنت من الظلام ضياء

(٦) قيد بالعادة لأنَ له فى الحقيقة علة ولكن الناس لا ينظرون عادة إليها ، وقد جعل أبو الطيب علة نزول المطر من الصحاب ما حصل له من الحمى بسبب عدم محاكاته لعطاء الممدوح ، وهى علة ناشئة عن لطف فى النظر وليست علة حقيقية .

لا تُنْكِرِي عَطَلَ الكريم من الْغِنَى   فَالسَّيْلُ حَرْبٌ للمكان العالِي (١)

عَلَّل عدمَ إصابة الغنى الكريمَ بالقياس على عدم إصابة السيل المكانَ العالى كالطَّوْد العظيم ، من جهة أن الكريم لاتصافه بعلو القدر كالمكان العالى ، والغنى لحاجة الخلق إليه كالسيل . ومن لطيف هذا الضرب قول أبى هلال العسكرى :

زعم الْبَنَفْسَجُ أنه كَعِذَارِهِ   حُسْناً فَسَلُّوا مِن قَفَاهُ لِسَانَهُ (٢)

وقول ابن نَبَاتَةَ فى صفة فرس :

وَأَدْهَمَ يَسْـتَمِدُّ اللَّيْلَ مِنْهُ   وَتَطْلُعُ بين عينيه الثُّرَيَّا

سَرَى خلف الصباح يطير مَشْياً   وَيَطْوِى خلفه الأفلاك طَيَّا

فَلَمَّا خاف وَشْـكَ الفوت مِنْهُ   تَشَبَّثَ بالْقَوَائِمِ والْمُحَيَّا (٣)

● وأما الثانى (٤) فكقول أبى الطيب :

---

(١) العطل : مصدر « عَطِلَ الرجل من المال ونحوه » خلا منه ، وقوله « حرب للمكان العالى » بمعنى أنه عدو له لا يجامعه .

(٢) هو للحسن بن عبد الله المعروف بأبى هلال العسكرى ، والضمير فى قوله «كعذاره » يعود إلى مغنج فى قوله قبل هذا البيت :

ومغنّج قال الكمالُ لخلْقه   كن مجمعاً للطيبات فكانَهُ

والبنفسج : نبات بستانى ورقه دون السفرجل طيب الرائحة وله هَنَةٌ تحت ورقه جعلها الشاعر كلسان له سل من قفاه ، والعذار : أول ما يبدو على الخد من الشعر ، والشاهد فى أن خروج هنة ورقة البنفسج إلى الخلف مما لا تظهر علته ، لكنه جعلها افتراءه على محبوبه أنه كعذاره .

(٣) هى لأبى نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدى . والأدهم : الفرس الأسود ، والثريا : سبعة كواكب فى عنق الثور ، استعارها لغرته أو لما يكون فوق الرأس من الحلية ، وقوله « سري » بمعنى مشى ليلاً ، والضمير للأدهم . وقوله « يطوى » بمعنى يقطع ، والأفلاك : جمع فلك وهو مدار النجوم ، والضمير فى قوله « خاف » للصباح ، والوشك : السرعة والقرب ، والقوائم : جمع قائمة وهى الرجل أو اليد ، والمحيا : الوجه ، يعنى أنه تعلق بذلك فأصابه أثر بياضه ، وهذه علة غير حقيقية له .

(٤) هو حسن التعليل فى الوصف الثابت الذى تظهر له فى العادة علة غير المذكورة .

مَا بِهِ قَتْلُ أعادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِى إِخْلاَفَ ما ترجو الذِّئَابُ (١)

فإنّ قتل الملوك أعداءهم فى العادة لإرادة هلاكهم ، وأن يدفعوا مضارهم عن أنفسهم ، حتى يصفو لهم ملكهم من منازعتهم ، لا لِمَا ادّعَاهُ من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبته أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه ، لَمّا علم أنه لَمّا غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم ، وهذا مبالغة فى وصفه بالجود ، ويتضمن المبالغة فى وصفه بالشجاعة على وجه تخييلى(٢) ، أى تناهى فى الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العُجْم ، فإذا غدا للحرب رجت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه ، وفيه نوع آخر من المدح وهو أنه ليس ممن يسرف فى القتل طاعةً للغيظ والحنق – وكقول أبى طالب المأمونى فى بعض الوزراء ببُخَارَى :

مُغْرَمٌ بالثناء صَبٌّ بكسب المَجْدِ يهتــز للسّــماحِ ارْتِيَاحَــا
لا يذوق الإغْفَــاءَ إلا رَجَاءً أنْ يَرَى طَيْفَ مُسْتَمِيحٍ رَوَاحَا (٣)

وكأن تقييده بالرواحِ ليشير إلى أن العفاة إنما يحضرونه فى صدر النهار على عادة الملوك ، فإذا كان الرواح قلّوا ، فهو يشتاق إليهم فينام ليأنس برؤية طيفهم . وأصله من نحو قول الآخر :

وإنِّى لأسْتَغشى وما بِىَ نَعْسَةٌ لَعَلّ خيالاً مِنْكِ يَلْقَى خَيَالِيَا (٤)

---

(١) هو من قصيدة له فى مدح بدر بن عمار ، وقوله « ما به قتل أعاديه » بمعنى أنه لا يقتل أعداءه خوفاً من أذاهم لعجزهم عنه ، فالباء فى « به » للسببية ، والإخلاف : عدم الوفاء .

(٢) ففيه مثال للاستتباع الآتى .

(٣) هما لعبد السلام بن الحسين المأمونى ، ينتهى نسبه إلى المأمون بن هارون الرشيد و « المغرم » اسم مفعول من « أغْرِمَ بالشىء » بمعنى أولعَ به ، والصب : ذو الولع الشديد ، والسماح : الجود ، والإغفاء : النوم الخفيف ، والمستميح : طالب العطاء ، والرواح : العشى ، والشاهد فى تعليله الإغفاء بما علله به مع أن له علة حقيقية غيرها .

(٤) هو لقيس بن الملوح المعروف بالمجنون ، وقوله « أستغشى » بمعنى أطلب النعاس ، وقوله « وما بى نعسة » بمعنى : وما بى إرادتها .

وهذا غير بعيد أن يكون أيضا من هذا الضرب ، إلا إنه لا يبلغ فى الغرابة والبعد عن العادة ذلك المبلغ ، فإنه قد يُتَصَوَّرُ أن يريد الْمُغرَمُ الْمتيَّمُ إذا بعد عهده بحبيبه أن يراه فى المنام ، فيريد النوم لذلك خاصة .

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

قالوا : اشْتَكَتْ عينه ، فقلتُ لَهُمْ : من كثرة القتـل نالها الوَصَبُ
حُمْرَتُهَا مِن دمــاء مَن قَتَلَتْ والدَّمُ فى النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجبُ (١)

وقول الآخر :

أَتَتْنِـى تُؤَنِّبُنِـى بالبكاء فأهْــلاً بها وَبِتـأنيبِهَا
تقــول وفــى قولها حِشْمَةٌ : أتبكـى بعينٍ تَرَانــى بهَا
فقلتُ : إذا استحسنتْ غَيْرَكُم أمـرتُ الدموعَ بتأديبِهَا (٢)

وذلك أن العادة فى دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب ، لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب .

● وأما الثالث (٣) فكقول مسلم بن الوليد :

يَا وَاشِياً حَسُنَتْ فينا إسَاءَتُهُ نَجَّى حِذَارُكَ إنسانى من الْغَرَقِ (٤)

فإن استحسان إساءة الواشى ممكن ، لكن لَمَّا خَالف الناسَ فيه عَقَّبَهُ بذكر سببه ، وهو أن حذاره من الواشى منعه من البكاء ، فسلم إنسان عينيه من الغرق فى الدموع ، وما حَصَّلَ ذلك فهو حسن .

---

(١) هما لعبد الله ابن المعتز ، وقوله « اشتكت » بمعنى مرضت ، والمراد بالقتل قتل محبيها ، والوصب : المرض ، والنصل يطلق على السيف وقد استعير للعين لقتلها مثله ، والشاهد فى أن العلة الحقيقية لحمرة العين الرمد لا دماء من قتلته من العشاق .

(٢) هى لأحمد بن محمد المعروف بابن ثوابة ، وقوله « تؤنبنى » بمعنى تلومنى وتعنفنى ، والحشمة : الغضب أو الاستحياء ، والأول أظهر هنا .

(٣) هو حسن التعليل فى الوصف غير الثابت الذى أريد إثباته وهو ممكن .

(٤) الواشى : الساعى بالفساد ، والحذار : مصدر « حاذَرَ » مضاف إلى مفعوله ، وقوله « إنسانى » يعنى به إنسان عينه وهو ما يرى فى سوادها أو هو سوادها.

● وأما الرابع (١) فكمعنى بيت فارسى ترجَمَتهُ :

لَوْ لَمْ تكُنْ نيَّةُ الجوزاء خِدْمَتَه   لمَا رأيتَ عليها عِقْدَ مُنْتَطَقِ (٢)

فإن نية الجوزاء خدمته ممتنعة (٣) .

ما يلحق بحسن التعليل : ومما يُلْحَق بالتعليل وليس به لبناء الأمر فيه على الشك (٤) نحو قول أبى تمام :

رُبّى شفعتْ رِيحُ الصَّبَا لرياضِها   إلى المُزْنِ حتى جَادَهَا وَهو هامِعْ (٥)

كَأنَّ السحابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تحتها   حبيبا فما تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعْ (٦)

وقول أبى الطيب :

رحل الْعَزَاءُ بِرِحْلَتِي فَكأنّنى   أتْبَعْتُهُ الأنْفاسَ لِلتشْيِيعِ (٧)

---

(١) هو حسن التعليل فى الوصف غير الثابت الذى أُريد إثباته وهو غير ممكن .

(٢) هو لعبد القاهر الجرجاني ترجم به أصله الفارسى . والجوزاء : برج فلكى حوله نجوم تسمى نطاق الجوزاء ، والمنتطق : ذو النطاق وهو ما يُشد فى الوسط وقد يكون مرصعاً بالجواهر كالعقد .

(٣) لكنه ادعى ثبوتها بتلك العلة ، وعلى هذا لا تكون « لو » فى البيت لامتناع الجواب لامتناع الشرط ، بل للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط ، لأن حملها على الأول يجعل نية خدمته علة لانتطاق الجوزاء ، فيكون من الضرب الأول لا من هذا الضرب .

(٤) أما حسن التعليل ففيه ادعاء وإصرار .

(٥) الربى : جمع ربوة وهى التل المرتفع من الأرض ، والصبا : ريح من الشرق ، والمزن : واحده مزنة وهى السحاب الأبيض ، وقوله « جادَها » بمعني أمطرها ، والهامع : السائل بكثرة .

(٦) الغر : جمع غراء وهى السحاب الماطرة الغزيرة الماء ، والضمير فى « تحتها » للربى ، وقوله « ترقا » مخفف ترقأ بمعنى تسكن ، والشاهد فى تعليل إمطار السحاب بما ذكره مبنياً على الشك المستفاد من « كأن » لأنها هنا للشك .

(٧) العزاء : الصبر ، والتشييع : التوديع . وقبله :

ما زلتُ أحذر مِن وداعك جاهداً   حتى اغتدَى أسفى على التوديع

علة تصعيد الأنفاس فى العادة هى التحسر والتأسف لا ما جَوّز أن يكون إياه ، والمعنى : رحل عنى العزاء بارتحالى عنك ، أى معه بسببه [1] ، فكأنه لما كان الصدر محل الصبر وكانت الأنفاسُ تتصعد منه أيضا صار العزاء والنَّفَس الصُّعَداءُ كأنهما نزيلان ، فلما رحل ذلك كان حقاً على هذا أن يشيعه قضاءً لحق الصحبة .

التفريع : ومنه التفريع ، هو أن يُثْبَتَ لِمُتَعَلِّقٍ أمر حكمٍ بعد إثباته لِمُتَعَلِّقٍ له آخرَ [2] كقول الْكُمَيْت :

أَحْلاَمُكُمْ لِسَقَامِ الجهل شافيةٌ ... كما دِمَاؤكُم تشفِى من الْكَلَبِ [3]

فَرَّعَ مِن وصْفِهِمْ بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصْفَهم بشفاء دمائهم من داء الكلبْ .

تأكيد المدح بما يشبه الذم : منه تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وهو ضربان :

● أفضلهما أن يُسْتَثْنى من صفة ذمٍّ منفية عن الشىء صفة مدح بتقدير دخولها فيها ، كقول النابغة الذبيانى :

ولاَ عَيْبَ فيهم غير أنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ من قِراعِ الْكَتَائبِ [4]

أى إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قَبِيل العيب ، فأثبت شيئا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه ، وذلك محال ، فهو فى المعنى تعليق بالمحال ، كقوله « حتى يَبْيَضَ الْقَارُ » فالتأكيد فيه [5] من وجهين : أحدهما أنه

---

(١) فالباء فى قوله « برحلتى » للمصاحبة أو للسببية .

(٢) المراد بالتعلق النسبة والارتباط ، ولا بد أن يكون ذلك على وجه يشعر بالتفريع ، ليخرج نحو : غلام زيد راكب وأبوه راكب .

(٣) للكميت بن زيد الأسدى من قصيدة له فى مدح بنى هاشم . والأحلام : العقول ، والكلب : شبه جنون يحدث للشخص من عض الكلب المصاب به ، ولم يكن له دواء فى زعمهم أشفي من شرب دماء الملوك ، فهو كناية عن أنهم ملوك كما أنهم علماء .

(٤) هو لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبيانى . والفلول : جمع فَلّ وهى الثلمة فى حد السيف ، والقراع : المضاربة ، والكتائب : جمع كتيبة وهى القطعة من الجيش .

(٥) أى فى هذا الضرب مطلقاً .

كدعوى الشيء ببَينة [١] ، والثاني أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا [٢] ، فإذا نطق المتكلم بإلاّ أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أنّ ما يأتي بعدها مُخْرَجٌ مما قبلها ، فيكون شيء من صفة الذم ثابتا ، وهذا ذَمٌّ ، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح ، لكونه مدحا على مدح ، وإن كان فيه نوع من الخِلابة [٣] .

● والثاني [٤] أن يُثبت لشيءٍ صفةَ مدح ويُعقّبَ بأداة استثناء تليها صفةُ مدح أخرى له ، كقوله ﷺ : « أنا أفصح العرب بَيْدَ أني من قريش » .

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضاً أن يكون منقطعاً ، لكنه باقٍ على حاله لم يُقدَّرْ متصلا [٥] فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين [٦] ولهذا قلنا : الأول أفضل . ومنه قول النابغة الجعدي :

فتىً كملتْ أخلاقُه غير أنه   جوادٌ فما يُبقي من المال باقيا [٧]

وأما قوله [٨] تعالى : ﴿ لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً ، إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً ﴾ فيحتمل الوجهين [٩] . وأما قوله [١٠] تعالى : ﴿ لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاَماً ﴾ فيحتملهما [١١] ، ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أن يكون الاستثناء من

---

(١) لأنه علق نقيض الدعوى وهو إثبات شيء من العيب بالمحال ، والمعلق بالمحال محال ، فيكون عدم العيب محققاً .

(٢) يعني أن أصل الاستثناء مطلقاً ذلك ، لا في هذا الباب ، لأنه فيه منقطع في كل من ضربيه .

(٣) أي خداع الكلام .

(٤) أي الضرب الثاني من تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٥) أي كما قدِّر في الضرب الأول ، لأن الاستثناء فيه منقطع ولكنه يقدر متصلا ، وإنما لم يقدر هنا متصلا لأنه ليس فيه صفه ذم عامة منفية يمكن تقدير صفة المدح فيها .

(٦) بخلاف الوجه الأول لأنه مبني على التعليق بالمحال المبني على تقدير الاستثناء متصلا .

(٧) نسب في « الصناعتين » لجندل بن جابر الفزاري ، ونسب في « الحماسة » لحسان بن قيس المعروف بالنابغة الجعدي ، وروي فيه : « كملت خيراته » .

(٨) الواقعة : ٢٥ ، ٢٦

(٩) لأنه من الضرب الأول لا الثاني .

(١٠) مريم : ٦٢

(١١) لأنه من الضرب الأول أيضا

أصله متصلا [١] لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ، وأهل الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء ، فكان ظاهره من قَبِيل اللغو وفضول الكلام ، لولا ما فيه من فائدة الإكرام .

● ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربٌ ثالث ، وهو أن يأتى الاستثناء فيه مُفَرَّغاً [٢] كقوله [٣] تعالى : ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّآ إلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ﴾ أى وما تعيب منا إلا أصلَ المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله ، ونحوه قوله [٤] ﴿ قُلْ يأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إلَيْنَا ﴾ فإن الاستفهام فيه للإنكار .

واعلم أن الاستدراك فى هذا الباب يجرى مجرى الاستثناء ، كما فى قول أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى :

هو البدرُ إلا أنه البحر زاخِراً ... سِوىَ أنه الضِّرْغَامُ لكنه الْوَبْلُ [٥]

تأكيد الذم بما يشبه المدح : ومنه تأكيد الذم بما يشبه المدح ، وهو ضربان :

---

(١) إنما لم تحتمل الآية السابقة هذا الوجه لأنه زيد على المستثنى منه فيها قوله ﴿ ولا تأثيما ﴾ فلا يمكن أن يدخلَ فيه ﴿ إلا قيلا سلاما سلاما ﴾ وعلى هذا الوجه لا تكون الآية الثانية من تأكيد المدح بما يُشبِهُ الذمّ ، لأن الاستثناء فيه يجب أن يكون منقطعاً ، وقيل : إن هذا الوجه غير محتمل فيها لا ظاهراً ولا حقيقة ، لأن السلام فى الجنة إذا كان لفائدة الإكرام لايكون لغوا .

(٢) بأن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمول لفعل فيه معنى الذم ، فيتفرغ للعمل فيه ويكون الاستثناء مفرغاً ، ولا يرجع هذا إلى الضرب الأول لأن الاستثناء هنا متصل لا منقطع .

(٣) الأعراف : ١٢٦ (٤) المائده : ٥٩

(٥) هو لأبى الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذانى يمدح خلف بن أحمد . والزاخر : المرتفع من تلاطم الأمواج ، والضرغام : الأسد ، والوبل : المطر الشديد . ووجه الشبه فى الأول : الرفعة ، وفى الثانى : الكرم ، وفى الثالث : الشجاعة ، وفى الرابع : الكرم أيضا لكنه أتم من الأول . والشاهد فى قوله « لكنه الوبل » .

● أحدهما أن يَستَثنَى من صفة مدح منفية عن الشيء صفةَ ذم بتقدير دخولها فيها ، كقولك : فلان لا خَيْرَ فيه إلا أنه يسيء إلى مَن يحسن إليه (١) .

● وثانيهما أن يُثْبَتَ للشيء صفة ذَمّ ويُعَقّبَ بأداة استثناء تليهاصفة ذم أخرى له كقولك : فلان فاسق إلا أنه جاهل (٢) .

وتحقيق القول فيهما على قياس ما تقدم (٣) .

الاستتباع : ومنه الاستتباع ، وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدحَ بشيء آخر (٤) كقول أبي الطيب :

نَهَبْتَ من الأعمار مَا لَوْ حَوَيْتَهُ   لَهُنِّئَت الدُّنْيَا بأنك خَالدُ (٥)

فإنه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لَخُلِّدَ في الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها ، حيث جعل الدنيا مُهَنَّأَةً بخلوده ، قال علي بن عيسى الربعي : وفيه وجهان آخران من المدح : أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال (٦) ، الثاني أنه لم يكن ظالما في قتل أحد من مقتوليه ، لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها ؛ فهم مسرورون ببقائه .

---

(١) من ذلك قول الشاعر :

فإنَّ مَن لامَنِي لا خيرَ فيه سِوى   وَصْفِي له بأخَسِّ الناس كلِّهِمُ

(٢) من ذلك قول الشاعر :

يا حبيبَ الإله جُدْ لي بقُرْبٍ   منك يَا صَفْـوَةَ العزيز الرّحيم

يا رسولاً أعداؤه أراذِلَ النَّا   سِ جميعاً لكنْهُم في الْجَحِيمِ

(٣) في تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٤) على هذا يكون أخص من الإدماج الآتي . وقيل : هو الوصف بشيء على وجه يستتبع وصفاً آخر ، فلا يختص بالمدح ويكون مساوياً للإدماج ، وإذا كان هذا شأنه مع الإدماج فلا بد أن يُشترط فيه شرطاه الآتيان أيضاً ، سواء كان أخص منه أم كان مساوياً له .

(٥) هو من قصيدة في مدح سيف الدولة .

(٦) لتخصيصه الأعمار بالذكر دون الأموال مع أن النهب بها أليق ، والبلغاء يعتبرون مفهومَ اللقب في مثل هذا من المحاورات والخطابيات .

الإدماج : ومنه الإدماج ، وهو أن يُضَمَّنَ كلامٌ سِيقَ لمعنى معنىً آخر [١] ، فهو أعم من الاستتباع [٢] .

ومثاله قول أبي الطيب :

أُقَلِّبُ فيه أجفاني كَأَنِّي ... أَعُدُّ بها على الدهر الذُّنُوبَا [٣]

فإنه ضمَّن وصفَ الليل بالطول الشكايةَ من الدهر .

وقول ابن المعتز في الْخِيرِيِّ :

قدْ نَفضَ العاشقون ما صنع الْـ ... ـهَجْرُ بألوانهم على وَرَقِه [٤]

فإن الغرض وصف الخيري بالصفرة فأدمج الغزل في الوصف ، وفيه وجه آخر من الحسن وهو إيهام الجمع بين متنافيين : أعني الإيجاز والإطناب ، أما الإيجاز فمن جهة الإدماج ، وأما الإطناب فلأن أصل المعنى أنه أصفر فاللفظ زائد عليه لفائدة [٥] .

ومنه قول ابن نُباتة :

وَلا بُدَّ لي من جَهْلَةٍ في وِصالِه ... فَمنْ لي بخِلٍّ أودِعُ الحلمَ عِندَهُ [٦]

---

(١) المراد به ما يشمل المعنى الواحد والاثنين والأكثر من ذلك ، ويقال لهذا المعنى مُضَمَّنٌ ، ويشترط فيه شرطان : ألاَّ يكونَ مصرحًا به ، وألا يكون في الكلام ما يُشعر بأنه مسوق لأجله ، وسيأتي محترز هذا في بعض الشواهد الآتية .

(٢) لأنه يشمل المدح وغيره ، وقيل : إن الاستتباع مساو له كما سبق .

(٣) الضمير في « فيه » يعود على الليل في قوله قبله :

أَعَزْمِيَ طال هذا الليل فانْظُرْ ... أمنكَ الصبح يَفْرَقُ أن يَؤُوبا

وقوله « أقلب فيه أجفاني » كناية عن طولَه ، وقوله « كأني أعد بها على الدهر الذنوبا » كناية عن الشكاية منه ، وبهذا تكون هذه الشكاية غير مصرح بها في البيت ، كماأنه ليس مسوقاً لأجلها .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، وقوله « نفض » بمعنى أسقط ، ويعني بماصنع الهجر بألوانهم صفرتها ، والضمير في « ورقه » للخيري وهو ورد أصفر ، وقيل : إن البيت لعلي بن محمد التغلبي .

(٥) هي الإدماج .

(٦) هو لأبي نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدي ، والخل : الصديق والحلم : الصبر والأناة ضدُّ الطيش والجهل والسفه .

فإنه ضمن الغزل الفخرَ بكونه حليما المكْنىّ عنه بالاستفهام عن وجود خل صالح لأن يودعه حلمه ، وضمن الفخرَ بذلك بإخراج الاستفهام مخرج الإنكار شكوى الزمان لتغير الإخوان حتى لم يبق فيهم من يصلح لهذا الشأن ، ونَبَّهَ بذلك على أنه لم يعزم على مفارقة حلمه جملةً أبداً ، ولكن إذا كان مريداً لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المنافى للحلم عزم على أنه إن وجد من يصلح لأن يودعه حلمه أودعه إياه ، فإن الودائع تستعاد .

قيل : ومنه قول الآخر يهنىء بعض الوزراء لَمَّا استُوزِرَ :

أَبَى دَهْرُنَا إِسعافَنا فى نفوسنا   وأسـعَفَنا فيمن نحِبُّ وَنُكرِمُ
فقلت له : نُعماكَ فيهـم أتِمَّها   وَدَعْ أمرنا إنّ المُهمَّ المُقَدَّمُ (١)

فإنه أدمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال الأحوال فى التهنئة ، وفيه نظر ، لأن شكوى الزمان مُصرَّح بها فى صدره فكيف تكون مُدْمَجَةً ، ولو عكس فجعل التهنئة مدمجة فى الشكوى أصاب (٢) .

التوجيه : ومنه التوجيه ، وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين (٣) كقول من قال لأعور يسمَّى عمرا :

خاطَ لى عَمروٌ قِباءً   ليت عينيه سَواءُ (٤)

---

(١) هما لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكان قد اختل حاله ، فكتب بهما إلى عبيد الله ابن سليمان بن وهب لما استوزره المعتضد ، ففطن لمراده ووصله واستعمله ، وقيل : إن هذا كان مع أبيه سليمان بن وهب ، والإسعاف : المساعدة ، وقوله « دع » بمعنى أترك .

(٢) لاينافى هذا أن التهنئة هى المقصودة بالذات ، لأن القصد الذاتى لا ينافى إفادة المقصود بطريق الإدماج بأن يؤتى به بعد التصريح بغيره ، وفى البيتين أيضاً إدماج المدح في الشكوى لأنه جعله مستحقاً لالتفات الدهر له وتقديمه على غيره .

(٣) أى متضادين كالمدح والذم ، فلا يكون منه ما يحتمل غير ذلك كاحتمال العين للجارية والجاسوس لجواز اجتماعهما ، كقولك « رأيتُ عينا » ، ولا بد فيه أيضاً من احتمال المعنيين على السواء ، لأنه إذا كان أحدهما متبادراً يكون تورية لا توجيهاً .

(٤) هو لبشّار بن بُرْد من مجزوء الرمل ، وكان قد دفع إلى ذلك الرجل ثوباً ليخيطه له فقال : لأخيطنه بحيث لا يعلم أقباء هو أم غيره ؟ فقال بشار : لئن فعلت ذلك لأقولن فيك شعراً لا يدرى أهجاء أم غيره ؟ ولهذا قال بعد ذلك البيت : =

وعليه قوله [1] تعالى ﴿ وَاسْمَعْ غَيرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا ﴾ قال الزمخشرى : غير مسمع حال من المخاطَب ، أى اسمع وأنت غير مسمع ، وهو قولٌ ذو وجهين :

يحتمل الذم ، أى اسمع منا مَدْعُواً عليك بلا سمعتَ ، لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مُسْمَعٍ ، قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم « لاسمعت» دعوة مستجابة ، أو اسمع غير مَجابٍ ما تدعو إليه ، ومعناه غير مُسْمَعٍ جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئاً ، أو اسمع غير مُسْمعٍ كلاماً ترضاه ، فسمعك عنه نابٍ ، ويجوز على هذا [2] أن يكون « غير مسمع » مفعول « اسمع » أى اسمع كلاماً غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نُبُواً عنه .

ويحتمل المدح ، أى اسمع غير مسمع مكروها ، من قولك « أسْمَعَ فلان فلانا » إذا سَبَّه .

وكذلك قوله « رَاعِنَا » يحتملَ راعنا نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا ، ويحتمل شبه كلمة عِبْرَانِيَّةٍ أوْ سُرْيَانِيَّةٍ كانوا يَتَسَابُّونَ بها وهى « راعينا » [3] فكانوا سخرية بالدين وهزؤاً برسول الله ﷺ يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والاحترام [4] .

ثم قال : فإن قلتَ : كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالو

= فَسأل الناسَ جميعاً أمديحٌ أم هِجَاءُ ؟ .

والقباء ثوب يلبس فوق الثياب ، والشاهد فى أنه يحتمل أن يكون دعاء بصحة العوراء فيكون مدحا ، أو بتعوير الصحيحة فيكون هجاء .

ومن التوجيه قول محمد بن حازم فى زواج المأمون ببوران :

بارك الله للحسَــنْ ولبُورانَ فى الخَتَنْ
يا ابن هارون قد ظفرْ تَ ولكن ببنت مَنْ

فقال المأمون : والله ماندرى خيراً أراد أم شراً ؟

(١) النساء : ٤٦ (٢) أى على التأويل الأخير .

(٣) الحق أنها عربية وهى فعل أمر من المراعاة ، وهى تقتضى المشاركة ، أى ارعنا نرعك ، وهذا فيه سوء أدب .

(٤) لأنهم كانوا يلوون بها لسانهم حتى تشبه فى الظاهر « راعنا » العربية .

سمعنا وعصينا ؟ قلتُ : جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسبِّ ودعاء السوء ، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ، ويجوز ألاَّ ينطقوا بذلك.ولكنهم لما لم يؤمنوا به جُعلوا كأنهم نطقوا به .

قال السكاكى (١) : ومنه متشابهات القرآن باعتبار (٢) .

الهَزْلُ الذى يراد به الجدُّ : ومنه الهزل الذى يراد به الجِدُّ ، فترجمته تغنى عن تفسيره (٣) ومثاله قول الشاعر :

إذا ما تَميمىٌّ أتاك مُفاخِراً ... فَقُلْ عَدِّ عَنْ ذا كيف أَكْلُكَ لِلضَّبِّ (٤)

ومنه قول امرىء القيس :

وقد علمتْ سَلْمَى وإنْ كان بَعْلَها ... بأنَّ الفتى يَهْذِى وليس بِفَعَّالِ (٥)

---

(١) ٢٢٦ - المفتاح .

(٢) لعله بذلك تجويز حملها على ظاهرها على وجه لائق بالله تعالى ، وتأويلها بحملها على ما سبق فى التورية ، فتكون محتملة للوجهين على السواء ، ولا تكون من التورية كما سبق بل من التوجيه ، وإنما قال « باعتبار » لأنه من المعتزلة الذين لا يرون حملها على ظاهرها ، وقيل : إنه يريد بذلك أنها من التوجيه بناء على عدم اشتراط استواء الاحتمالين فيه ، وعلى هذا يكون أعَمّ من التورية .

(٣) هو أن يُذكر الشيء على سبيل اللعب والمباسطة ويُقصد به أمر صحيح فى الحقيقة ، والفرق بينه وبين التهكم أن التهكم بعكسه ظاهره جد وباطنه هزل ، كما فى قوله تعالى : سورة الدخان : ٤٩ ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ .

(٤) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس ، وقوله « عد عن ذا » بمعنى تجاوز عن هذا الافتخار ، والضب حيوان صغير على هيئة فرخ التمساح ذَنَبُهُ كثير العُقَد ، والشاهد فى أن هذا القول للتميمى عند افتخاره هزل ظاهر ولكنه يراد به الجد ، وهو ذمه بأكل الضب ، لأن أشراف الناس يَعَافُونَ أكله .

(٥) قوله « وإن كان بعلها » جملة معترضة بين « علمت » ومفعولها ، والبعل : الزوج ، وقوله « يهذى » بمعنى يقول كلاما غير معقول ، وهو زعمه أنه يقتله كما قال قبل هذا البيت :

أيقتلنى والمشرفُّى مُضاجعى ... ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال

والشاهد فى قوله « أن الفتى يهذى وليس بفعال » لأن ظاهره هزل ولكنه يراد به الجد وهو هجو بعلها .

تَجاهُل العارف : ومنه تجاهل العارف ، وهو كما سمّاه السكاكى [(١)] : « سَوْقُ المعلوم مَسَاقَ غيره لِنكْتةٍ » [(٢)] كالتوبيخ فى قول الخارجية :

أيا شجرَ الْخَابُورِ مَالَكَ مُورِقاً　　　كَأَنَّك لم تجزعْ على ابن طَرِيفِ [(٣)]

والمبالغة فى المدح فى قول البحترى :

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أَمْ ضوءُ مِصْبَاحِ　　　أم ابْتِسَامَتُهَا بالمنظر الضَاحِي [(٤)]

أو فى الذم فى قول زهير :

وَمَا أَدْرِي وسوف إِخَالُ أدرى　　　أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أم نِسَاءُ [(٥)]

---

(١) ٢٢٦ ، ٢٢٧ - المفتاح ، وإنما عدل عن تسميته « تجاهل العارف » لوروده فى كلام اللّٰه تعالى ، كقوله فى سورة طه : ١٧ ﴿ وما تلكَ بيمينك يا موسَى ؟ ﴾ .

(٢) فلو عبر عن المعلوم بعبارة المجهول لا لنكتة لم يكن من تجاهل العارف ، كقولك « أقام زيد أم لم يقم ؟ » وأنت تعلم أنه قام ، فالنكتة فيه شرط لصحته وليست حالا يقتضى وجوبه فى البلاغة كنكتة علم المعانى .

(٣) هو لليلى بنت طريف فى رثاء أخيها الوليد وكان من الخوارج . والمورق : ما كان ذا ورق ناضر غير ذابل ، والخابور : نهر بديار بكر ، والشاهد فى قولها « كأنك لم تجزع الخ » لأنها تعلم أنه لا يجزع ولكنها تجاهلت ذلك وشكت فيه ووبخته عليه ، وإذا كان مثله يوبخ على عدم جزعه فغيره ممن شأنه الجزع أجدر به ، وقد خرج الوليد فى عهد هارون الرشيد ، فأرسل إليه يزيد بن مَزْيَد الشيبانى فقتله ، وقد ذكر الدسوقى أن قاتله يزيد بن معاوية ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) قوله « سرى » بمعنى ظهر ليلا ، والمراد بالمنظر الوجه أو الفم ، والضاحى : الظاهر ، والشاهد فى أنه يعلم أن الذى ظهر ابتسامتها ، ولكنه تجاهل ذلك للمبالغة فى مدحها ، وإفادة أنها بلغت فى الحسن مبلغاً يحصل معه ذلك اللبس .

(٥) هو لزهير بن أبى سُلمى ، وقوله « وسوف إخال أدرى » جملة معترضة بين « أدرى » الأولى ومعمولها ، وقوله « إخال » بمعنى أظن معترض بين سوف وأدرى . القوم : يطلق على الرجال خاصة وعلى ما يعم الرجال والنساء والمراد هنا الأول . والشاهد فى أنه يعلم أنهم رجال ، ولكنه تجاهل ذلك للمبالغة فى ذمهم وإفادة أنهم بلغوا فى الضعف مبلغاً يحصل معه ذلك اللبس .

والتَّدَلُّه في الحب : في قول الحسين بن عبد الله الغزيّ (١) :

بِاللهِ يَا ظَبْيَاتِ القَاعِ قُلْنَ لنَا لَيْلاَى مِنْكُنَّ أم لَيْلَى مِن الْبَشَرِ (٢)

وقول ذي الرمة :

أيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاء بين جُلاَجِلٍ وبين النَّقَا أأَنْتِ أم أُمُّ سَالِمِ (٣)

والتحقير : في قوله تعالى (٤) حكايةً عن الكفار في حق النبي ﷺ ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رجل يُنَبِّئكُمْ إذَا مُزِّقْتُمْ كلَّ مُمَزَّقٍ إنَكُم لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ كأن لم يكونوا يعرفون منه إلا أنه رَجُلٌ مَا .

والتعريض (٥) : في قوله (٦) تعالى : ﴿ وَإنَّا أو إيَّا كُم لَعَلَى هُدًى أوْ في ضَلاَلٍ مُبِين ﴾ . وفي مجيء هذا اللفظ على الإبهام فائدة أخرى ، وهي أنه يبعث المشركين على الفكر في حال أنفسهم وحال النبي ﷺ والمؤمنين ، وإذا فكروا فيما هم عليه من إغارات بعضهم على بعض وسبي ذراريهم واستباحة أموالهم ، وقطع الأرحام ، وإتيان الفروج الحرام ، وقتل النفوس التي حرم الله قتلها ، وشرب الخمر التي تُذْهِبُ العقول وتحسِّن ارتكاب الفواحش ، وفكروا فيما النبي عليه السلام والمؤمنون عليه من صلة الأرحام واجتناب الآثام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإطعام المساكين وبِرِّ الوالدين والمواظبة على عبادة الله تعالى - علموا (٧) أن النبي عليه السلام

(١) في بعض النسخ « الغريبي » ، ورجحت بأن الغزي اسمه إبراهيم بن عثمان ، ولكن صاحب « الخزانة » نسبه للحسين بن عبد الرحمان العريني ، ونسبه السخاوي لعلي بن محمد العريني ، وقيل : إنه للعرجي ، وقيل : إنه لذي الرُّمَّة .

(٢) القاع : المستوى من الأرض . والشاهد في أنه يعلم أنها من البشر ، ولكنه تجاهل ذلك إظهاراً للتدله في حبها .

(٣) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذي الرمة . والوعساء : الرابية اللينة من الرمل تُنبت أحرار البقول ، وجلاجل والنقا : موضعان ، والشاهد في قوله « أأنت أم أم سالم » والتقدير أأنت المرئية أم أم سالم ، على نحو ما سبق في البيت قبله .

(٤) سبأ : ٧

(٥) هو إمالة الكلام إلى عُرْض يدل على المقصود كما سبق في الكلام على الكناية في الجزء الثالث .

(٦) سبأ : ٢٤

(٧) جواب « إذا » .

والمسلمين على هدى ، وأنهم على الضلالة ، فبعثهم ذلك على الإسلام ، وهذه فائدة عظيمة .

القول بالموجب : ومنه القول بالموجب (١) . وهو ضربان :

● أحدهما : أن تقع صفةٌ فى كلام الغير كنايةً عن شىء (٢) أُثبِتَ له حكم ، فَتُثْبِتَ فى كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشىء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه ، كقوله (٣) تعالى ﴿ يقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ وَلِلّه العِزَّةُ وَلِرَسُوله وَلِلْمؤْمنينَ ﴾ فإنهم كَنَوا بالأعز عن فريقهم (٤) وبالأذل عن فريق المؤمنين ، وأثبتوا للأعز الإخراج ، فأثبت اللّه تعالى فى الرد عليهم صفة العزة للّه ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم .

● والثانى : حملُ لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر مُتَعَلَّقه (٥) كقوله :

قُلْتُ : ثَقَّلْتُ إذْ أتيتُ مِراراً ... قال : ثَقَّلْتَ كاهلى بالأيَادِى

---

(١) بكسر الجيم إن أريد به الصفة الموجبة للحكم ، وبفتحها إن أريد به الحكم الذى أوجبته .

(٢) أى عبارة عنه ، فليس المراد بها الكناية الإصطلاحية ، وقيل : إن المراد بها الكناية الإصطلاحية السابقة فى علم البيان ، والحق أنها لا تلتزم فى القول الموجب .

(٣) المنافقون : ٨

(٤) إذا كان هذا كناية اصطلاحية يكون من الكناية عن الموصوف .

(٥) هذا الضرب هو الذى يسمى الأسلوب الحكيم ، وقد سبق الكلام عليه فى علم المعانى فى آخر باب المسند إليه ، والمراد بالمتعلق ما يناسب المعنى الذى يُحمل اللفظ عليه وإن لم يكن متعلقاً اصطلاحياً كالمفعول والجار والمجرور ، فيدخل فيه نحو قول الشاعر :

لقد بُهِتُوا لمّا رَأَوْنِىَ شاحباً ... فقالوا : به عَيْنٌ ، فقلتُ : وَعَارِضُ

أرادوا بالعين إصابة العائن ، فحمله على إصابة عين المعشوق بذكر مناسبها وهو العارض ، لأنه السنُّ التىَ فى عرض الفم .

قُلْتُ : طَوَّلْتُ ، قال : لا بلْ تطَوَّلْتَ   وأبْرَمْتُ ، قال : حَبْلَ وِدَادِى (١)

والاستشهاد بقوله « ثقلت وأبرمت » دون قوله « طولت » (٢)

ومنه قول القاضى الأرّجانيِّ :

غَالَطَتنى إذْ كَسَتْ جِسمِى الضّنَى   كسوةً عَرَّتْ مِن اللحــمِ الْعِظَامَا

ثم قالت : أنت عِندى فى الهوَى   مِثْلُ عينى ، صَدَقَتْ لكنْ سَقامَا (٣)

وكذا قول ابن دُوَيْدَةَ المغربى من أبيات يخاطب بها رجلا أودع بعضَ القضاة مالاً فادّعى القاضى ضياعه :

إن قَالَ : قد ضاعت ، فَيصْدُقُ إنَّهَا   ضاعتْ ولَكن منك يَعْنِى لَوْ تَعِى (٤)

أو قــال : قد وقعتْ ، فيصدقُ إنهــا   وقعتْ ولكن منه أحْسَــنَ موقِــعِ (٥)

وقريب من هذا قول الآخر :

وَإخْــوَانٍ حَسِـبْتُهُمُ دُرُوعاً   فكانُوهَا وَلَكِــن لِلأعَــادِى

---

(١) هما للحسن بن أحمد المعروف بابن حجاج أو لمحمد بن إبراهيم الأسدى . والكاهل: ما بين الكتفين ، والأيادى : النعم ، وقوله « تطولت » بمعنى تفضلت ، وقوله « أبرمت » بمعنى أسأمت ، والشاهد فى أنه قال « ثقلت » بمعنى حملتك المؤونة ، فحمله على تثقيل كاهله بالنعم ، ثم قال « أبرمت » بمعنى أسأمت فحمله على إبرام حبل وداده أى عقد عهده .

(٢) فليس من القول بالموجب لأنه رد عليه بقوله « لا » وأثبت شيئاً غيره وهو التطول .

(٣) هما لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضى الأرجانى . والضنى : الهزال ، وقوله « عرت » بمعنى نزعت ، وفى العبارة قلب الأصل « عرت اللحم من العظام » والهوى : الحب . والشاهد فى قوله « صدقت لكن سقاما » لأنه أثبت أنه مثل عينها كما قالت ، ولكن فى ضعفها وفتورها ، وهو صفة ممدوحة فى العين .

(٤) قوله « يعنى » بمعنى يقصد ، وقوله « ولكن منك » على تقدير« ولكن ضاعت منك » وقوله « تعى » بمعنى تفهم ، والشاهد فى قوله « ضاعت ولكن منك » لأن القاضى يقصد أنها ضاعت منه ، فأثبت أنها ضاعت من صاحبها لا منه . وفى رواية «فصدق » فعل أمر وهو الأنسب بالفاء ، لأنه يقرن بها فى جواب الشرط .

(٥) الشاهد فى قوله « ولكن منه أحسن موقع » وتقديره « ولكن وقعت منه أحسن موقع بأخذه لها » ، وهو يقصد فى الأول أنها وقعت أى سقطت منه .

وَخلتُهُمُ سِهَاماً صَائبَات فكَانُوهَا ولَكنْ فـي فؤادي
وَقَالُوا : قد صَفَتْ منّا قُلوبٌ لقد صدقوا ولكنْ منْ ودَادي [1]

والمراد البيتان الأولانَ [2] ولك أن تجعل نحوهما ضرباً ثالثاً [3] .

الاطّراد : ومنه الاطّرَادُ [4] وهو أن يأتي بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه [5] على ترتيب الولادة من غير تكلُّف في السبك ، حتى تكون الأسماء في تَحَدُّرِهَا كالماء الجارى فى اطراده وسهولة انسجامه ، كقول الشاعر :

إنْ يَقْتُلوكَ فقد ثَلَلْتَ عُرُوشَهمْ بعُتَيبةَ بن الحارثِ بن شِهَابِ [6]

وقول دُرَيْد بن الصِّمَّة :

قَتَلْنَا بعبد الله خَيْرَ لدَاته ذُؤَابَ بنَ أَسْماءَ بن زيد بن قارب [7]

وفيه تَعَرُّضٌ للمقتول بهِ ولشرف المقتول [8] . قيل : لمّا سمعه عبد الملك بن مروان قال : « لولا القافية لبلغ به آدم » [9] .

ومنه قول النبى ﷺ : « الكريم ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم يُوسُفُ بنُ يعقوب بنِ إسْحَاق بن إبْرَاهيمَ » .

---

(١) هى لعلى بن فضالة القيروانى ، أو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى . والدروع : جمع درع وهو قميص من زَرَد الحديد يلبس فى الحرب ، وقوله « خلتهم » بمعنى ظننتهم ، وقوله « صفت » بمعنى خلت مما يكدر الصحبة .

(٢) أما الثالث فهو من القول بالموجب لا قريب منه .

(٣) أى من القول بالموجب غير الضربين السابقين ، وهذا لأنه لم يحمل فيه أمر وقع فى كلام الغير على غير مراده ، وإنما ذكر فيه أمر ظُن على وجه فإذا هو على خلافه .

(٤) قيل : إن الاطراد من المحسنات اللفظية ، مرجعه إلى حسن السبك ، والحق أنه يرجع إلى حسن السبك فى معنى مخصوص هو النسب ، وبهذا يكون من المحسن المعنوى

(٥) أما ذكر الأمهات والجدات فقبيح عند البلغاء .

(٦) هو لرُبيعة بن سعد من بنى نصر بن قعين فى رثاء ابنه ذؤاب أو لداود بن ربيعة الأسدي . وقوله « ثللتَ » بمعنى هدمت ، وهو كناية عن إذهاب عزهم ومجدهم ، وتتابع الإضافة مغتفر فى البيت لسلامته من الثقل .

(٧) عبد الله : أخو دريد ، ولداته : أترابه الذين ولدوا معه جمع لدة .

(٨) المقتول به : عبد الله ، والمقتول : هو ذؤاب ، وتعرضه لشرفه بقوله « خير لداته » .

(٩) يعنى أن البيت لابد أن ينتهى بقافيته ، ولولا هذا لوصل بنسبه إلى هذا الحد ، لسهولة سبكه لما أتى به منه ، فيسهل عليه ذلك أيضا .

تمرينات على المحسنات المعنوية

تمرين - ١

بين نوع المحسن المعنوى ووجه حسنه فيما يأتى :

١) فلا كَمَدِى يَفنَى ولا فـيكِ رِقّةٌ ولا عنكِ إقصَـارٌ ولا فيـكِ مَطْمَعُ

٢) تَشابَـه دَمْعَانَا غداةَ افتــراقنا مُشـــابَهةً فــى قصّـــةٍ دون قصّةِ

فَوجنَتُها تكسـو المدامـع حُمْرةً ودمْعِىَ يكســو حُمْرةَ اللون وَجْنتِى

٣) فَتًى قسَّــمَ الأيــام بين سُيُوفِهِ وبين طَرِيفــاتِ المكـــارم والتُّلْـد

فَسَــوَّدَ يوماً بالعَجَاج وبالرّدى وَبَيَّضَ يومـــاً بالفضـــائل والمَجْد

٤) أباحتْ بنو مَرْوَانَ ظلماً دماءَنا وفــى اللّه إنْ لم يُنْصِفُوا حَكَمٌ عَدْلُ

٥) إذا مــا ركبنا قال وِلْدَانُ بَيْتِنَا : تَعالَوا إلى أن يأتىَ الصيدُ نحْطِبُ

٦) يقولون : لم يورَثْ ، ولولا تُراثُهُ لقــد شَــرِكتْ فِيـهِ بَكِيلٌ وأَرْحَبُ

٧) خُذهَا إذا أُنشِدت فى القوم من طَرب صُــدُورُها عُــرِفتْ منهــا قَوافيهَا

٨) وَمن لا يَذُدْ عن حوضه بِسلاحِهِ يُهَــدَّمْ وَمَن لا يَظلِــم الناسَ يُظْلَم

٩) إنّ البخيل مَلُومٌ حيث كـانَ وَلَــ ـــكِنَّ الجــوَادَ علــى عِلاَّتِهِ هَـرِمُ

١٠) وإذا ما بَــدَا فأخْجَـلَ بَـدْراً لمعتْ كأسُـــه فأخجـــل شـمْسَـا

١١) إذا أمطرتْ منهم ومنك سحابةٌ فـــوابِلُهُمْ طَـــلٌّ وطلُّـــكَ وابِـــلُ

١٢) لِجَنِّيَّةٍ أَمْ غَــادَةٍ رُفِعَ السَّجْفُ لِوَحْشِـــيةٍ لاَ مَـا لِوَحْشِـــيَّةٍ شَنْفُ

١٣) وصــاحِبٍ لَمَّا أتــاه الغِـنَى تَــاهُ وَنَفْــسُ المـــرءِ طَمَّـــاحَهْ

وقيلَ : هــل أبصرتَ منه يداً تشــكرُها ، قـــلتُ : ولا رَاحَــهْ

١٤) العَقْــلُ أنت عَقَلْتَهُ وَسَـرَحْتَهُ وَأَجَــزْتَ فيـــك دليلَـــه وَأَرَحْتَهُ

آتَيْتَهُ الحجــرَ الأَصَـمَّ وَنَحتَّهُ والنَّجْـــمُ يُعبَـــدُ فَـــوقَهُ أو تحتَـهُ

١٥) وَلَحْظُـهُ وَمُحَيَّـاهُ وَقَـامتُهُ   بَدْرُ الدُّجَـى وَقَضِيبُ الْبَانِ والرَّاحُ
١٦) حَيَاتِى وموتى فـى يديه وَجَنَّتى   وَنَارى وَرِيِّى فـى الهوى وأُوَامِـى
١٧) رأى الْمُزْنُ ما تُعطى فَضمَّ على الأسَى   فـؤاداً كـأنَّ البَرْقَ فيـه لهَيبُ
١٨) أتَوْنِىَ فعابـوا مَن أحِبُّ جهالةً   وذاك علـى سـمعِ المحب خَفِيفُ
١٩) فما فيه عيب غيـر أنَّ جفونَهُ   مِـرَاضٌ وأنَّ الخصـر منه ضعيفُ
٢٠) إلى كمْ تَرُدُّ الرُّسلَ عَمَّا أتَوْا بِهِ   كَأنَّهُـمُ فيمـا وَهَبْـتَ مَـلاَمُ
٢١) إن أكن مُهْدِياً لك الشعرِ إنِّى   لابْـنُ بيتٍ تُـهدَى له الأشـعَارُ
٢٢) وَلِلّهِ سِـرٌّ فـى عُلاَكَ وإنمـا   كـلامُ الْعِـدَا ضَرْبٌ من الْهذَيَانِ
٢٣) تَزعُـمُ يا ظَـبىُ مُسَـاواتَهَا   ولسـتُ أبْـدِى لـك تَفنيـداً
إنْ كان ما تزعـمُ عَـارِضْ لنا   مُقْلَتهَـا واحْـكِ لنـا الجِـيدَا
٢٤) أتراهـا لكثْـرَةِ العُشَّـاقِ   تحسَـبُ الدَّمْـعَ خِـلقةً فى المآقِ
٢٥) تُثنِّى عِطفَـهُ خَطَـراتُ دَلّ   إذا لـم تُثنِـهِ نَشَـواتُ رَاحِ
يميل مع الْوُشَـاةِ وأىُّ غُصْنٍ   رَطِـيبٍ لا يَمِيلُ مـع الرِّيَـاحِ
٢٦) أقَيسُ بن مسعودِ بنِ قـيس بنِ خالدٍ   وأنت امـرؤ يرجـو شَـبابكَ وَائلُ
٢٧) ما أبصرتْ عيناك أحْسَـنَ مَنْظرٍ   فيما يُـرَى مـن سـائر الأشياءِ
كالشَّامَةِ الخضراءِ فوق الوَجنةِ الـ   ـحَمْـراءِ تحت المُقْلَةِ السَّوْداءِ

تمرينات - ٢

من أى أقسام الطباق مايأتى :

١) يجزُونَ مِن ظُلمِ أهـلِ الظلـمِ مغفرةً   ومن إساءة أهل الشرِّ إحْسَـاناً
٢) ثِقَالٌ إذا لاقَوْا خِفَافٌ إذا دُعُـوا   كثيرٌ إذا شَـدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا
٣) لهم جُلُّ مالى إنْ تَتابَعَ لى غِنًى   وإنْ قَلَّ مالـى لـم أكلِّفْهم رِفْدا
٤) وقد كان يُدعى لابسُ الصبرِ حَازِماً   فأصبح يُدْعَى حازماً حين يجْزَعُ

تمرين – ٣

بين المحسن المعنوى ووجهُ حسنه فى قول الشاعر :

تَنَزَّهَ طرْفِى فــى تعــابيرك الْغُــرِّ وَجَالَ بها فكرى من السّطرِ لِلسَّطْرِ
فما خِلْتُها إلا حَـدائِقَ بهجةٍ مكلّلة الأرجاءِ بالزهرِ والزهر
ولكنها – أستغفر الله – نُسْخةٌ مزينَّةُ الأرقــام بالــدُّرِّ والتبْرِ
طَرِبْتُ بها لما فهمتُ نُقُوشَها كما يطْرَبُ النّشْوان مِــن لذةِ الْخَمْرِ

تمرين – ٤

بين المحسن المعنوى ووجه حسنه فى قوله الشاعر :

قاسُوكَ بالْغُصْنِ فى التّثَنِّى قياسَ جَهْلٍ بلا انتصافِ
فذاك غُصْنَ الخلافِ يُدعــى وأنت غصنٌ بلا خِــلافِ

تمرين – ٥

من أى أقسام المبالغة ما يأتى :

١) كأنِى هلالُ الشّكِّ لولا تأوُّهِـى خَفِيتُ فلم تُهْدَ العُيُونُ لرؤْيَتــى
٢) منعتْ مَهابَتُك القُلوبَ كَلامَها بالأمــر تكرهــه وإنْ لم تَعْلَم
٣) كأنّ غلامى إذ علاَ حالَ متْنِه على ظهر طَيْرٍ فى السماء مُحَلِّقِ

تمرين – ٦

بين المحسن المعنوى فى قول الشاعر :

يا ذا الذى بصُرُوفِ الدهر عَيَّرنا هل عانَدَ الدَّهْرُ إلا مَن له خَطرُ
أما ترى البحر تطفو فَوقه جِيَفٌ وتسْتقِرُّ بأقصــى قعرِه الدُّرَرُ
وفى السماء نجومٌ لا عِـدَادَ لها وليس يُكْسَفُ إلا الشمسُ والقمرُ

تمرين – ٧

من أى أقسام حسن التعليل ما يأتى :

١) ما زُلْزِلَتْ مِصرٌ مِن كيدٍ أُلِمَّ بها ... لكنَّها رقصتْ من عَدلِكم طربا

٢) علَّمتْنِى بهجرها الصَّبْرَ عنها ... فَهْىَ مشكورةٌ على التقْبيحِ

٣) قد طيب الأفواهَ طيبُ ثَنائه ... مِن أجْلِ ذا تَجِدُ الثغور عِذَابا

تمرين – ٨

١) من أى ضربَىْ القول بالموجب قول الشاعر :

شَكَى رَمَدا فقلتُ : عساهُ كلَّتْ ... لَوَاحِظُهُ من الفَتَكاتِ فينَا

وقالوا : سيف مُقْلَتِه تصَدَّى ... فقلتُ : نعَمْ لِقَتْلِ العاشقينَا

٢) هل أحسن أبو نواس أو أساء بذكر أم الأمين فى مدحه بقوله :

أصبحتَ يابن زُبَيْدَةَ ابنةِ جعْفَر ... أمَلاً لِعَقْدِ حِبالِه اسْتِحْكامُ

* * *

أقسام المحسِّن اللفظى

الجناس التام وأقسامه : وأما اللفظى فمنه الجِناسُ بين اللفظين ، وهو تَشَابُهِهُمَا فى اللفظ (١) .

وَالتَّامُّ منه أن يتفقا فى أنواع الحروف (٢) ، وأعدادها ، وهيئاتها (٣) ، وترتيبها ، فإن كانا من نوع واحد كاسمين سُمِّىَ مُمَاثلاً ، كقوله (٤) تعالى ﴿ وَيَوْمَ تقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ وقول الشاعر :

حَدَقُ الآجَالِ آجَالٌ وَالْهَوَى للمرء قَتَّالٌ (٥)

الأول جمع إجْلٍ بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش ، والثانى جمع أجَل والمراد به مُنْتَهَى الأعمار. وقول أبى تمام :

إذا الْخَيْلُ جَابَتْ قَسْطَلَ الحرب صَدَّعُوا صُدُورَ العَوالى فى صُدُورِالْكَتَائبِ (٦)

وإن كانا من نوعين كاسمٍ وفعلٍ سمى مُسْتَوفىً ، كقول أبى تمام أيضا :

---

(١) أى مع الاختلاف فى المعنى ، ويجب فى الجناس أن يكون سهلا لا كلفة فيه وإلا كان قبيحاً ، ومن الجناس القبيح لما فيه من التكلف قول عبد الله بن مالك القرطبى :

حَيَّيتُ إذ حييتُ حاديَ عيسِهمْ فكأن عيسى من حُداة العِيس

فحمله تكلف التجنيس على أن يجعل عيسى عليه السلام من حداة عيسهم .

(٢) كل حرف من حروف الهجاء نوع .

(٣) هيئاتها حركاتها وسكناتها .

(٤) الروم : ٥٥ . والساعة الأولى : القيامة ، والثانية : الساعة الزمانية .

(٥) هو لأبى سعد عيسى بن خالد المخزومى . وبعده :

والهوى صعبٌ مراكبُهُ وركوبُ الصعب أهوالُ

والحدق : واحده حدقة وهى سواد العين ، والمراد أن حدق النساء الشبيهة بحدق الآجال فى سعتها وحسنها تقتل من ترميه بسهامها .

(٦) قوله « جابت » بمعنى خرقت ، والقسطل : الغبار الساطع فى الحرب ، وقوله «صدعوا » بمعنى أمالوا ، والعوالى : جمع عالية وهى الرمح . والشاهد فى صدور العوالى وهى أعاليها وصدور الكتائب وهى نحورها .

مَا مَاتَ مِن كرم الزمان فإِنَّهُ   يَحْيَا لدى يَحيىَ بن عَبْدِ اللَّهِ (١)

ونحوه قول الآخر :

وَسَمَّيْتُهُ يحيى ليَحْيَا فلم يكُنْ   إلى رَدِّ أمر اللَّهِ فيه سَبِيلُ (٢)

والتام أيضا إن كان أحد لفظيه مركبا (٣) سمي جناس التركيب ، ثم إن كان المركب منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة سمى مَرْفُوًّا (٤) ، كقول الحريرى :

وَلاَ تَلْهُ عن تَذْكار ذنبك وَابْكه   بدمع يُحاكى الْوَبْلَ حَال مَصَابِه

وَمَثِّلْ لعينيـك الحِمَـامَ ووقعَه   وروعةَ مَلقاه ومَطعم صابِه (٥)

وإلا (٦) فإن اتفقا فى الخط سُمِي مُتَشَابِهًا ، كقول أبى الفتح البُستىِّ :

---

(١) هو من قصيدة له فى مدح أبى الغريب يحيى بن عبد اللّه ، والمراد بكرم الزمان كرم أهله ، والشاهد فى قوله « يحيا لدى يحيى » والأول فعل والثانى اسم ، وبين قوله « مات ويحيا » طباق .

(٢) هو لمحمد بن عبد اللّه بن كُناسة الأسدى فى رثاء ابنه يحيى . والمراد بأمر اللّه الموت ، والشاهد فى قوله « يحيى ليحيا » وهو كشاهد البيت السابق .

(٣) أى سواء أكان الآخر مركباً أم لا ، وقد ذكر السعد أن المراد أن يكون أحدهما مركبا والآخر مفرداً ، لأنه إذا كان كل منهما مركباً كان نوعاً آخر يسمى جناس التلفيق ، كقول البُستىِّ .

إلى حَتْفِى سَعى قَدَمى   أرى قدمى أراقَ دَمِى

والظاهر أن المراد هو الأول ، لأنه سيذكر فى الأمثلة ما يكون فيه كل من المتجانسين مركباً .

(٤) ذكر ابن حجة أن هذا النوع لا يخلو من تكلف فى التركيب .

(٥) هما لأبى محمد القاسم بن عبد اللّه المعروف بالحريرى . والوبل : المطر الشديد ، والمصاب مصدر « صاب المطر صَوْبا ومصابا » أى انصبَّ . والحمام : الموت ، والصاب : شجرٌ مرٌّ واحده صابة ، وإضافته إلى ضمير الحمام من إضافة المشبه به إلى المشبه . والشاهد فى قوله « مصابه ومطعم صابه » .

(٦) أى وإن لم يكن المركب منهما مركباً من كلمة وبعض أخرى بأن كان مركباً من كلمتين أو أكثر .

إذا مَلِكٌ لم يكن ذا هِبَهْ   فَدَعْهُ فدولته ذَاهِبَهْ (١)

وإن اختلفا سمى مفروقا ، كقول أبى الفتح أيضاً :

كُلُّكُمْ قد أخـذ الْجاَ   مَ ولَا جَامَ لَنا (٢)

ما الذى ضَرَّ مُدِيرَ الجَامِ   لَـــوْ جَـــامَلَنَا (٣)

وقول الآخر :

لا تَعْرِضَنَّ علـــى الرُّوَاةِ قصيدةً   ما لم تُبَالِغْ قَبْـــلُ فـــى تَهْذِيبها

فَمتَى عَرضْتَ الشعر غير مُهَذَّبٍ   عَدُّوهُ منك وَسَاوِساً تَهْذِى بها (٤)

ووجه حسن هذا القسم – أعنى التام – حسنُ الإفادة مع أن الصورةَ صورةُ الإعادة (٥) .

الجناس المُحرَّف : وإن اختلفا فى هيآت الحروف (٦) سُمِّى مُحرَّفا .

---

(١) هو لعلى بن محمد المعروف بأبى الفتح البستي ، وقوله « ذا هبة » فى الأول بمعنى صاحب هبة أى عطاء ، وقوله « ذاهبه » بعده بمعنى فانية ، وهو مفرد ، والأول مركب مع اتفاقهما فى الخط .

(٢) الجام : الكأس .

(٣) مدير الجام : الساقى ، وقوله « جاملنا » بمعنى عاملنا بالجميل فأداره علينا أيضاً ، والشاهد فى قوله « جام لنا وجاملنا » فقد تجانسا.وكل منهما مركب مع اختلافهما فى الخط ، ومن يجعل جناس التركيب خاصاً بما يكون أحد المتجانسين فيه مركباً والآخر مفرداً يجعل قوله « جاملنا » مفرداً لاتصال الضمير فيه بالفعل ، ولا يخفى أن هذا تكلف لا داعى إليه .

(٤) هما لأبى حفص عمر بن على المطوعى . والمراد بالرواة حفاظ الشعر ونُقَّاده ، والوساوس : جمع وسواس وهو ما يخطر بالقلب من شر أو مما لا خير فيه ، وقوله «تهذى» بمعنى تتكلم بما لا يعقل ، والشاهد فى قوله « تهذيبها ، تهذى بها » .

(٥) ذكر عبد القاهر فى « أسرار البلاغة » هذه الفائدة للتجنيس مطلقاً ، وإن كانت لا تظهر الظهور التام إلا فى المستوى المتفق الصورة منه .

(٦) أى دون أنواعها وأعدادها وترتيبها .

ثم الاختلاف قد يكون فى الحركة ، كالبُرد والبَرد فى قولهم : « جُبَّةُ الْبُرْدِ جُنَّةُ الْبَرْدِ » وعليه قوله (١) تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ قال السكاكى (٢) : وكقولك « الجهول إمَّا مُفْرِطٌ أو مُفَرِّطٌ » والمُشَدَّدُ فى هذا الباب يقوم مقام المُخَفَّفِ نظراً إلى الصورة ، فاعلم (٣) .

وقد يكون فى الحركة والسكون ، كقوله « البدعة شَرَكُ الشِّرْك » .

وقول أبى العلاء :

وَالْحسْنُ يظهر فى بيتين رَوْنَقُهُ   بَيْتٍ من الشَّعْر أو بيتٌ من الشِّعَرِ (٤)

الجناس الناقص : وإن اختلفا فى أعداد الحروف فقط (٥) سمى ناقصا ، ويكون ذلك على وجهين :

* أحدهما أن يختلفا بزيادة حرف واحد فى الأول ، كقوله (٦) تعالى : ﴿ والتفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ ، إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ أو فى الوسط ؛ كقولهم « جَدِّى جَهْدِى » (٧) أو فى الآخر كقول أبى تمام :

يَمُدُّون من أيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمَ   تَصُولُ بأسيافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ (٨)

---

(١) الصافات : ٧٢ ، ٧٣   (٢) ٢٢٧ - المفتاح .

(٣) اختلاف الهيئة فى « مفرط ومفرط » نوع آخر غير ما قبله وما بعده ، لأن اختلاف الهيئة فيه باختلاف الحركة والسكون المقابل لها ، واختلاف الهيئة فيما قبله باختلاف الحركة فقط ، وفيما بعده باختلاف الحركة والسكون معاً .

(٤) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، والرونق : الصفاء . والشاهد فى تجانس الشِّعر بمعنى النظم والشَّعر المقابل للصوف والوبر ، وظهور الحسن فى الأول بجمال لفظه ومعناه ، وفى الثانى بجمال الساكنين فيه .

(٥) أى دون أنواعها وهيئاتها وترتيبها .   (٦) الحديد : ٢٩ ، ٣٠

(٧) الجد : الحظ ، والجهد : المشقة ، والمعنى أن حظه فى الدنيا بمشقته فيها .

(٨) عواص : جمع عاصية اسم فاعل من « عصى » بمعنى لم يطع أو من « عصاه » إذا ضربه بالعصا ، وعلى الأول يكون المعنى يمدون من أيد عواص على الأعداء ، وعلى الثانى يكون المراد : ضاربات بالعصى أى السيوف على التجوز ، والعواصم : جمع عاصمة أى حافظة لأوليائها ، وقوله « تصول » بمعنى تسطو ، والقواضى : القاتلات ، والقواضب : القواطع ، والشاهد فى قوله « عواص وعواصم » وقواض وقواضب » .

وقول البحترى :

لئن صَدَفَتْ عَنَّا فَرُبَّتَ أَنْفُسٍ   صَوَادٍ إلى تلك الوجوه الصَّوَادِف (١)

ومنه ما كتب به بعض ملوك المغرب إلى صاحب له (٢) يدعوه إلى مجلس أنس له :

أَيُّهَا الصاحب الذى فَارَقَتْ عَيْـ   ـنِي ونفسى منه السَّنا والسَّنَاءُ (٣)

نحن فى المجلس الذى يَهَبُ الرَّا   حةَ والمِسْمعَ الغِنَـى والغِنَاءُ (٤)

نَتَعاطَـى التى تُنْسِـى من اللَّذْ   ةِ والرِّقَّةِ الهَـوَى والهَوَاءُ (٥)

فـأتِهِ تُلْـفِ راحـةً ومُحَيًّا   قد أعدَّا لك الحَيَـا والحَيَاءَ (٦)

وربما يسمى هذا القسم ، أعنى الثالث (٧) ، مُطَرَّفاً ، ووجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من « عواصم » أنها هى التى مضت ، وإنما أتى بها للتأكيد حتى إذا تمكن آخرها فى نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك التوهم ، وفى هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها .

الوجه الثانى أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد ، كقول الخنساء :

---

(١) قوله « صدفت » بمعنى انصرفت ، والصوادى : جمع صادية اسم فاعل من الصدى وهو العطش الشديد ، شبه به شدة الشوق إليهن ثم استعير إليه استعارة تبعية ، والشاهد فى قوله « صواد وصوادف » .

(٢) الملك الكاتب هو المعتمد بن عباد ، وصاحبه هو محمد بن الطبيب المصرى .

(٣) السنا : النور ، والسناء : الرفعة ، والأول راجع إلى العين والثانى إلى النفس على اللف والنشر المرتب ، والشاهد فى قوله « السنا والسناء » .

(٤) الراحة : باطن الكف ، والمسمع : الأذن ، والغنى : راجع إلى الراحة ، والغناء : راجع إلى الأذن على اللف والنشر المرتب أيضاً ، وفى قوله « الغنى والغناء » شاهد ثان

(٥) المراد من التى تنسى الهوى والهواء الخمر ، وفى قوله « الهوى والهواء » شاهد ثالث ، وكذلك لف ونشر مرتب .

(٦) قوله « تلف » بمعنى تجد ، والراحة : باطن الكف ، والمحيا : الوجه ، والحيا : المطر والمراد به العطاء على سبيل الاستعارة ، وفى قوله « الحيا والحياء » شاهد رابع ، وكذلك لف ونشر مرتب .

(٧) هو ما يكون بزيادة حرف الآخر .

إنَّ البكاءَ هو الشِّفَا ءُ مِنْ الجَوَى بين الجوَانِحِ [1]

وربما سمى هذا الضرب مُذَيَّلاً .

الجناس المضارع واللاحق : وإن اختلفا فى أنواع الحروف اشْتُرِطَ ألاَّ يَقعَ الاختلاف بأكثر من حرف .

ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين [2] سمى الجناس مضارعاً ، ويكونان إما فى الأول ، كقول الحريرى : « بينى وبين كِنِّى ليلٌ دامس ، وطريق طامس » وإما فى الوسط ؛ كقوله [3] تعالى : ﴿ وَهُم يَنْهَونَ عَنْهُ وَيَنأَونَ عَنْه ﴾ وقول بعضهم : «البرايا أهداف البلايا » . وإما فى الآخر ، كقوله النبى ﷺ : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

وإن كانا غير متقاربين سمى لاحقاً ، ويكون أيضاً إما فى الأول ، كقوله [4] تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَة لُمَزَة ﴾ وقول بعضهم : « رُبَّ وَضِيٍّ غير رَضِيّ » . وقول الحريرى : « لا أُعطِى زِمَامِى لمن يخفر ذِمَامِى » . وإمَّا فى الوسط ، كقوله [5] تعالى: ﴿ ذلكُمْ بما كُنْتُمْ تَفْرَحونَ فى الأرْضِ بغَيْرِ الْحَقِّ وبَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ وقوله [6] تعالى: ﴿ وَإنهُ عَلَى ذَلكَ لَشَهيدٌ ، وَإنهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَديدٌ ﴾ وإما فى الآخِر ، كقوله [7] تعالى : ﴿ وَإذَا جَاءَهُم أمْرٌ مِن الأَمْنِ ﴾ وقول البحترى :

---

(١) هو لتماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء . والجوى : حرقة القلب ، والجوانح : جمع جانحة وهى الضلوع التى تحت الترائب مما يلى الصدر ، والشاهد فى قولها « الجوى والجوانح » .

(٢) المراد بهما ما يشمل المتحدين فى المخرج كالهمزة والهاء فى قوله ﴿ ينهون وينأون ﴾ .

(٣) الأنعام : ٢٦

(٤) الهمزة : ١

(٥) غافر : ٧٥ ، والحق أن هذا من المضارع لا من اللاحق لتقارب الفاء والميم لأنهما شفويان .

(٦) العاديات : ٧ ، ٨

(٧) النساء : ٨٣ . والحق أن هذا أيضاً من المضارع لأن الراء والنون من حروف الذلاقة التى تخرج من طرف اللسان .

هلْ لِما فاتَ من تَلاقٍ تَلافِى أمْ لِشاكٍ من الصَّبَابةِ شَافِى [1]

جناس القلب : وإن اختلفا فى ترتيب الحروف سمى جناس القلب ، وهو ضربان : قلب الكل ، كقولهم « حسامه فتحٌ لأوليائه حتفٌ لأعدائه » . وقلب البعض : كما جاء فى الخبر « اللهمَّ استر عوراتنا وآمنْ رَوْعَاتنا » وقول بعضهم : « رحم اللّه امرءاً أمسك ما بين فَكَّيْهِ ، وأطلق ما بين كفَّيْهِ » . وعليه قول أبى الطيب :

مُمَنَّعَةٌ مُنَعَمَةٌ رَدَاحٌ يُكلِّفُ لَفْظَهَا الطيْرَ الْوُقُوعَا [2]

الجناس المقلوب المجنَّح والجناس المزدَوج : وإذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب فى أول البيت والآخر فى آخره سمى مقلوباً مُجَنَّحاً [3] .

وإذا ولى أحد المتجانسين الآخرَ سُمى مُزْدَوجاً وَمُكَرَّراً وَمُرَدَّداً [4] كقوله [5] تعالى : ﴿ وَجِئْتُكَ من سَبَأ بِنَبَأ يَقِين ﴾ ، وما جاء فى الخبر « المؤمنون هَيْنونَ لَيِّنُونَ » وقولهم : « من طَلَبَ وَجَدَّ وَجَدَ » . وقولهم : « من قرع باباً ولَجَّ وَلَجَ » وقولهم : « النبيذ بغير النَّغَم غَمٌّ ، وبغير الدَّسَم سمٌّ » . وقوله :

يَمُدُّون من أيدٍ عواصٍ عواصمَ تصول بأسياف قواضٍ قواضبِ [6]

ما يلحق بالجناس : واعلم أنه يُلحَقُ بالجناس شيئان :

---

(١) التلافى : مصدر « تلافى الأمر » بمعنى تداركه ، والصبابة : الشوق والولع الشديد ، والشاهد فى قوله « تلاق ، تلافى » .

(٢) الممنعة : التى يمنعها أهلها ويحمونها ، والرداح : الضخمة الألية أو الثقيلة الأوراك ، والشاهد فى قوله « ممنعة منعمة » .

(٣) كقول الشاعر :

لاحَ أنوار الهُدى من كَفه فى كل حالِ

ولا يخفى ما فى هذا من التكلف ، ومثله كل جناس مقلوب مجنح .

(٤) هذا عام فى كل جناس وليس خاصاً بجناس القلب كالمقلوب المجنح .

(٥) النمل : ٢٢

(٦) سبق هذا البيت فى الجناس الناقص ، والشاهد فى « عواص عواصم » وفى «قواض قواضب » .

أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاقُ [١] كقوله [٢] تعالى : ﴿ فأَقِمْ وَجْهَكَ للدينِ القَيِّمِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ ﴾ [٣] وقول النبى ﷺ : « الظلمُ ظُلُماتٌ يوم القيامة » وقول الشافعى رضى الله عنه [٤] وقد سُئل عن النبيذ : « أجمع أهل الحرمين على تحريمه » . وقول أبى تمام :

* فَيا دمعُ أَنجِدنى على ساكِنِى نجد * [٥]

وقول البحترى :

يَعشَى عن المجد الغبىُّ ولن ترى — فى سُودُدٍ أرَباً لغير أرِيبِ [٦]

وقول محمد بن وُهَيْب :

قسَمْتَ صروفَ الدهر بأساً ونَائلاً — فمالُكَ موتور وسيفك واترُ [٧]

والثانى أن يجمعهما المشابَهةُ ، وهى ما يُشبهُ الاشتقاق وليس به [٨] ،

---

(١) هو أخذ لفظ من آخر لمناسبة بينهما فى المعنى ، وإنما لم يكن من الجناس لوجوب اختلاف المعنى فيه كما سبق فى تعريفه .

(٢) الروم : ٤٣ — (٣) الواقعة : ٨٩

(٤) نسبه ابن المعتز فى « البديع » لعبد الله بن إدريس ، وهو غير الشافعى الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس .

(٥) هو من قوله :

وأَنجدْتمُ من بعد إتهامِ دارِكُمْ — فَيا دَمْعُ أنجدنى على ساكنى نجد

وقوله « أنجدتم » بمعنى سكنتم نجدا ، والإتهام : سكنى تهامة ، والشاهد فى قوله «أنجدنى ونجد » . والحق أن هذا ليس من الاشتقاق بل من شبه الاشتقاق الآتى ، وكذلك ما أشبهه من الأمثلة الآتية .

(٦) قوله « يعشى » بمعنى يعمى وأصله أن يسوء البصر بالليل دون النهار أو بهما معاً ، والأرب : الحاجة ، والأريب : الماهر ، والشاهد فى قوله « أربا وأريب » .

(٧) هو من قصيدة له فى مدح الحسن بن سهل مطلعها :

ودائعُ أسرارٍ طوتها السرائرُ — وباحتْ بمكنوناتهنَّ النواظرُ

والبأس : الشجاعة ، والنائل : العطاء ، والموتور والواتر : مأخوذان من « وَتَرَهُ » إذا أصابه بظلم أو مكروه ، وفى ذلك لف ونشر غير مرتب ، لأن موتورا يرجع إلى « نائلا » وواتر يرجع إلى « بأساً » . والشاهد فى قوله « موتور وواتر » .

(٨) لاختلاف أصل اللفظين فيما يشبه الاشتقاق دون الاشتقاق ، ولهذا يجعل بعضهم ما يشبه الاشتقاق من الجناس ، ولا يجعله ملحقاً به .

كقوله [١] تعالى : ﴿ اثَّاقلتمْ إلى الأرضِ أرَضيتُمْ بالحَيَاة الدُّنْيا مِنَ الآخرَة ﴾ وقوله[٢] تعالى : ﴿ قالَ إنى لعَمَلِكُمْ مِنَ القَالينَ ﴾ ، وقوله [٣] تعالى : ﴿ وَجَنَى الجَنَّتيْنِ دَانٍ ﴾

وقول البحترى :

وإذا مَا رِيَاحُ جُودِكَ هَبَّتْ ... صَارَ قَوْلُ العذول فيها هَبَاءَ [٤]

رَدُّ العَجُزِ على الصدر : ومنه رَدّ العَجُزِ على الصدر ، وهو فى النثر أن يُجعَلَ أحد اللفظين المُكرَّرَيْن أو المتَجَانسَيْن أو المُلْحَقَيْن بهما فى أول الفقرة ، والآخَرُ فى آخرها [٥] ، كقوله [٦] تعالى : ﴿ وتَخْشَى الناسَ واللّهُ أحَقُّ أنْ تَخشَاهُ ﴾ وقولهم : « الحيلةُ تركُ الحيلة » [٧] ، وكقولهم : « سائلُ اللئيم يرجع ودمعه سائل » . وكقوله [٨] تعالى : ﴿ استَغْفرُوا ربَّكُمْ إنهُ كانَ غفَّاراً ﴾ ، وكقوله [٩] تعالى : ﴿ قالَ إنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ القَالِينَ ﴾ .

وفى الشعر أن يكون أحدهما [١٠] فى آخر البيت والآخرُ فى صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثانى ، فالأول كقوله :

---

(١) التوبة : ٣٨ (٢) الشعراء : ١٦٨ (٣) الرحمن : ٥٤

(٤) هو من قصيدة له فى مدح محمد بن يوسف ، وقبله :

خلق اللّهُ يا محمد أخلا ... قَك مجداً فى طىء وسناء

وقوله « هبت » بمعنى ثارت وهاجت ، والهباء : الغبار أو دقائق التراب ساطعة ومنثورة على وجه الأرض ، والشاهد فى قوله « هبت وهباء » ، وإنما لم يكونا من الاشتقاق لأن الهباء مأخوذ من « هَبَا يهبُو » لا من « هَبَّ يهب » .

(٥) المكرران هما المتفقان لفظاً ومعنى بخلاف المتجانسين والملحقين بهما .

(٦) الأحزاب : ٣٧

(٧) هذا المثال وما قبله من رد العجز على الصدر فى المكررين ، والمثال الثالث من رد العجز على الصدر فى المتجانسين ، والرابع من رد العجز على الصدر فى الاشتقاق ، والخامس من رد العجز على الصدر فيما يشبه الاشتقاق .

(٨) نوح : ١٠ (٩) الشعراء : ١٦٨

(١٠) أى أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما ، وهى أقسام ثلاثة فى الأربعة بعدها فيكون المجموع اثنى عشر قسما .

سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهَهُ وليس إلى داعى النَّدَى بسريعِ (١)

ونحوه قول الآخر :

سُكْرَان سُكْرُ هَوًى وسُكْرُ مُدَامَةٍ أنّى يُفيقُ فتًى به سُكْرَانِ (٢)

والثانى كقول الحماسى :

تَمتَّع من شميم عَرَارِ نجدٍ فما بعد العَشيَّةِ من عَرارِ (٣)

ونحوه قول أبى تمام :

ولم يَحفظْ مُضَاعَ المجدِ شيءٌ من الأشياءَ كالمال المُضاعِ (٤)

والثالث كقوله أيضاً :

ومَنْ كان بالبِيض الكواعب مُغْرَمَا فما زلتُ بالبيض القواضب مُغْرَما (٥)

والرابع كقول الحماسى :

---

(١) سبق هذا البيت فى الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول ، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الأول .

(٢) هو للخليع الدمشقى ، وقد ذكر الثعالبى فى « يتيمة الدهر » أن كنيته أبو عبد الله وأن اسمه ذهب عنه ، وقوله « سكران » مبتدأ خبره محذوف تقديره « بى سكران » والهوى : الحب ، والمدامة : الخمر ، و « أنى » اسم استفهام بمعنى كيف .

(٣) هو للصمة بن عبد الله القُشَيْرىّ ، أو لجعدة بن معاوية بن حزم العُقَيلى ، وشميم مصدر – شمَّ – ، والعرار : بهار ناعم أصفر طيب الرائحة ، أو النرجس البرى ، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى حشو المصراع الأول .

(٤) مضاع المجد : إضاعته مصدر ميمى منصوب بتقدير من الخافضة ، أى لم يحفظ من إضاعة المجد ، والمال المضاع : الذاهب فى السخاء .

(٥) هو لأبى تمام كما يفيده قول الخطيب (أيضاً) . والكواعب : جمع كاعب وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهود ، والبيض القواضب : هى السيوف القواطع ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما بعد الفاء وتقديره « فلا شأن لى به » . وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى آخر المصراع الأول ، والبيت من قصيدة له مطلعها :

عَسَى وطنٌ يدنو بهم ولعلما وأن تُعتبَ الأيام فيهم فربما

وإن لم يكن إلا مُعَرَّجَ ساعةٍ ... قليلاً فإنّى نافع لى قَليلُها (١)

والخامس كقول القاضى الأرَّجَانىّ :

دَعَانِي مِن مَلامِكما سِفَاهًا ... فَدَاعِي الشوق قبلكما دَعَانِي (٢)

وقول الآخر :

سَلْ سَبيلاً إلى رَاحةِ النَّفـ ... سِ بِرَاحٍ كأنها سَلْسبِيلُ (٣)

وقول الآخر :

ذَوَائبُ سُودٌ كالعناقيد أُرسِلَتْ ... فمِنْ أجلها منها النفوسُ ذَوائبُ (٤)

والسادس كقول آخر :

وإذا البَلاَبِلُ أفصحت بِلغاتها ... فانْفِ البلابلَ باحْتِسَاءِ بَلاَبِلِ (٥)

---

(١) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة . واسم « يكن » يعود على الإلمام المفهوم من قوله قبله :

ألِما على الدار التى لو وجَدْتُها ... بها أهلهَا ما كان وَحشاً مَقيلها

ومعرَّج : مصدر ميمى بمعنى الوقوف واللبث ، وقوله « قليلا » صفةً له ، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الثانى .

(٢) هو لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضى الأرجانى من قصيدة له مطلعها قبل هذا البيت :

إذا لم تقدرا أن تسعدانى ... على شَجَنِى فسيرا واتركانى

وقوله « دعانى » فى صدر البيت بمعنى اتركانى ، فى آخره بمعنى نادانى . والسفاه : الخفة وقلة العقل . وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى صدر المصراع الأول .

(٣) لا يعرف قائله . والضمير فى قوله « فيها » لروضة يصفها ، والراح : الخمر ، والسلسبيل : الماء العذب ، والشاهد فى قوله « سل سبيلا وسلسبيل » .

(٤) هو لأبى الحسن نصر المرغينانى . والشاهد فى ذوائب الأولى جمع ذؤابه وهى أعلى شعر الرأس ، وذوائب الثانية جمع ذائبة بمعنى سائلة .

(٥) هو لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل المعروف بأبى منصور الثَّعَالبى . وقد وردت البلابل فيه جمع بُلْبل وهو طائر يضرب به المثل فى طلاقة اللسان ، ثم جمع بلْبال وهو الهم ، ثم جمع بُلبل وهو قناة الإبريق التى يصب منها الخمر ونحوه . وقوله « أفصحت بلغاتها » بمعنى أخلصت نغماتها ، والاحتساء : الشرب . وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى حشو المصراع الأول .

والسابع كقوله الحريرى :

فَمشغُوفٌ بآيات المثانِى وَمَفْتُونٌ برَنَّاتِ المثَانِى (١)

والثامن كقول القاضى الأرجانى :

أَمَّلْتُهمْ ثمَّ تأمَّلْتُهُمْ فَلاَحَ لى أنْ ليس فيهم فَلاحُ (٢)

والتاسع كقول البحترى :

ضَرَائبَ أبدَعتها فى السَّمَاحِ فَلَسْنا نرى لك فيها ضَرِيبا (٣)

والعاشر كقول امرىء القيس :

إذا المرءُ لم يَخْزُن عليه لِسانَهُ فليس على شىءٍ سواهُ بِخَزَّانِ (٤)

---

(١) هو للقاسم بن على المعروف بالحريرى ، وقبله :

بها ما شئتَ من دين ودنيا وجيرانٌ تنافَوا فى المعانى

والضمير فى قوله « بها » للبصرة ، وقوله « تنافوا » بمعنى اختلفوا ، والمشغوف : المولع ، والمراد بالثانى فى الأول : القرآن ، وفى آخر البيت : أوتار المزامير ، ورناتها نغماتها ، وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى آخر المصراع الأول .

(٢) قوله « أملتهم » بمعنى رجوتَ خيرهم ، وقوله « تأملتهم » بمعنى فكرت فى أحوالهم . وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى صدر المصراع فى الثانى ، وقد سبق بيان اسم القاضى الأرجانى فى شاهد القسم الخامس ، والبيت من قصيدة له فى مدح شمس الملك بن نظام الملك ، وقبله :

يفديك قوم حاولـوا ضلةً تناولَ المجـدِ بأيـدٍ شِـحاح

معاشرٌ أموالهم فى حِمًى وعرضهم منْ لؤمهمْ مُستباح

(٣) الحق أن هذا البيت للسرىّ بن أحمد المعروفَ بالسرى الرَّفاء فى مدح أبى الفوارس سلامة بن فهد ، وقد أخذه من قول البحترى فى مدح الفتح بن خاقان :

بلَوْنا ضَرَائبَ مَن قد نَرى فما إنْ رأينا لفَتْح ضَريبًا

والضرائب : جمع ضريبة وهى الطبيعة التى ضربت للرجل وطبع عليها ، والضريب : المثيل ، وهو فى الأصل المثيل من القداح المضروبة فى الميسر ، فهو متفق فى الاشتقاق مع ضرائب ، وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين فى صدر المصراع الأول .

(٤) قوله « لم يخزن » بمعنى لم يحفظ ، والمراد من اللسان السر على المجاز المرسل ، والمعنى : أنه إذا لم يحفظ سر نفسه لم يحفظ سر غيره من باب أولى . وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين فى حشو المصراع الأول ، وهو من الاشتقاق كما هو ظاهر .

وقول أبي العلاء المعرِّى :

لو اخْتَصَرْتمُ من الإحسان زُرتُكمُ وَالْعَذْبَ يُهْجَرُ للإفْرَاطِ فِى الْخَصْرِ (١)

والحادى عشر كقول الآخر :

فَدَعِ الوعيدَ فَمَا وعيدُك ضَائرِى أطَنِينُ أجنحة الذُّباب يَضِيرُ (٢)

والثانى عشر كقول أبى تمام :

وقد كانت البيضُ القوَاضِبُ فى الوَغَى بَوَاتِرَ فهى الآن مِن بعده بُتْرُ (٣)

السجع وأقسامه : ومنه السجع ، وهو تواطؤ الفاصلتين (٤) من النثر على

---

(١) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى من قصيدة له فى مدح أبى الرضاء المصيصى ، وقوله « اختصرتم » بمعنى أقللتم ، والعذب = الطيب المستساغ من الشراب ونحوه والمراد به الماء العذب ، والخصر : البرودة ، والظاهر أنه يمدحهم بذلك ، ويجوز أن يراد ذمهم بالتبذير ، ولهذا يشبه أن يكون من التوجيه ، وفيه أيضاً حسن التعليل ، والشاهد فى قوله « اختصرتم والخصر » وهو ما يشبه الاشتقاق ، لأن الأول مأخوذ من الاختصار ، والثانى من « خصر » بمعنى برد .

(٢) هو لعبد الله بن محمد بن عُيينة المهلبى فى على بن محمد العلوى ، وكان قد دعاه إلى نصرته فلم يجبه فتوعده ، وقبل البيت :

أعليُّ إنك جاهلٌ مغرور لا ظلمةً لك لا ولا لكَ نورُ

والوعيد : التهديد بالشر ، والضائر : اسم فاعل من الضير وهو الضرر ، وهذا الشاهد فيما يكون الملحق الآخِر بالمتجانسين فى آخر المصراع الأول . وهو من الاشتقاق كما هو ظاهر .

(٣) هو من قصيدته فى رثاء محمد بن حميد ، وضمير « بعده » له ، والبيض القواضب : السيوف القواطع ، والوغى : الحرب ، والبواتر : القواطع ، والبتر : جمع أبتر وهو المقطوع أو مقطوع الذنب والمراد أنها مقطوعة الفائدة على الاستعارة ، يعنى أنها كانت قواطع فى عهده لحسن استعماله لها ، فلما مات لم تجد من يحسن استعمالها فصارت مقطوعة الفائدة . وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين فى صدر المصراع الثانى ، وهو من الاشتقاق أيضاً .

(٤) هما الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين ، والمراد تواطؤهما على حرف واحد فى آخرهما .

حرف واحد ، وهذا معنى قول السكاكى [1] : « الأسجاع فى النثر كالقوافى فى الشعر » وهو ثلاثة أضراب : مُطَرَّفٌ ، ومُتَوَازٍ ، وترصيع .

* السجع المطرَّف : لأن الفاصلتين إن اختلفتا فى الوزن [2] فهو السجع المطرَّف [3]. كقوله [4] تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ .

* الترصيع : وإلاَّ فإنْ كان ما فى إحدى القرينتين [5] من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى فى الوزن والتقفية فهو الترصيع ، كقول الحريرى : « فهو يطبع الأسجاعَ بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماعَ بزواجر وعظه » وكقول أبى الفضل الهَمَذَانىِّ : « إنَّ بعد الكدَر صفواً ، وبعد المطر صحواً » . وقول أبى الفتح البُسْتىِّ : « ليكن إقدامُك توكلا ، وإحجامُك تأمُّلا » .

* السجع المتوازى : وإلا فهو السجع المتوازى ، كقوله [6] تعالى : ﴿ فيها سُرُرٌ مَرْفُوعَة ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَة ﴾ وفى دعاء النبى ﷺ : « اللّهُمَّ إنى أدرأ بك فى نحورهم ، وأعوذ بك من شرورهم » .

شروط حسن السجع : وشرط حسن السجع اختلاف قرينتيه فى المعنى كما مر [7] ، لا كقول ابن عبَّادٍ فى مهزومين : « طاروا واقينَ بظهورهم صدورهم ، وبأصلابهم نحورهم » .

---

(١) ٢٢٨ - المفتاح ، وما ذكره تعريف بالمثال .

(٢) أى العَروضى لا الصرفى .

(٣) سمى بهذا لبلوغه طرف الحسن ونهايته بالنسبة إلى غيره .

(٤) نوح ١٣ ، ١٤

(٥) هما الفقرتان سميتا بذلك لتقارنهما .

(٦) الغاشية : ١٣ ، ١٤

(٧) أى من الأمثلة ، وقيل : إن هذا ليس بشرط ، لأن السجعة الثانية تؤكد الأولى ، والتأكيد عمدة البيان والكتابة ، وقد وقع هذا فى القرآن ، كقوله سورة الناس ١ ، ٢ ، ٣ : ﴿ قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس إله الناس ﴾ لكن التأكيد له مقام يقتضيه ، فلا يصح أن يكون تكرار المعنى لأجل السجع فقط ، ويشترط فيه أيضاً أن تكون ألفاظه فى تركبها تابعة لمعناها لا عكسه ، وأن يقع فيما يليق به من خطابة ونحوها ، لا كما قال =

قيل : وأحسن السجع ما تساوت قرائنه [1] كقوله [2] تعالى : ﴿ فى سِدْرٍ مَخْضُود ، وَطَلْحٍ مَنْضُود ، وَظِلٍّ مَمْدُود ﴾ . ثم ما طالت [3] قرينته الثانية ، كقوله : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَاضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَى ﴾ [4] ، أو الثالثة ، كقوله [5] تعالى : ﴿ خُذُوهُ ، فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ وقول أبى الفضل الميكالى : له الأمر المطاع ، والشرف اليَفَاع ، والعِرْضُ المصون ، والمال المضاع . وقد اجتمعا فى قوله [6] تعالى : ﴿ وَالعَصْرِ ، إنَّ الإنسانَ لَفى خُسْرٍ ، إلاَّ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات وَتَواصَوا بالحقِّ وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ ﴾ ولا يحسن أن تُولَى قَرِينَةٌ قَرِينَةً أقصرَ منها كثيراً [7] لأن السجع إذا استوفى أَمَدَهُ من الأولى لطولها ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيراً يكون كالشيء المبتور ، ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها ، والذوق يشهد بذلك ويقضى بصحته .

* السجع القصير والطويل والمتوسط : ثم السجع إمّا قصير ، كقوله [8] تعالى : ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً ، فَالْعَاصِفاتِ عصْفاً ﴾ .

= الصاحب بن عباد للقاضى : « قم أيها القاضى بقم ، قد عزلناك فقم » . فقال القاضى : « والله ما عزلنى إلا هذه السجعة » . وقد ورد أن النبى ﷺ قضى فى جنين امرأة ضربتها أخرى – فسقط ميتاً – بغرة ، فقال رجل : « كيف نَدى من لاشرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، ومثله دَمه يطلّ !؟ » . فقال ﷺ : « إياكمَ وسجع الكهان » وكانوا يتكهنون ويحكون بالأسجاع ، فيتكلفونها فى موضع لا يليق بها .

(١) أى فى عدد الكلمات وإن كانت إحدى الكلمات أكثر حروفا من كلمة القرينة الأخرى .

(٢) الواقعة : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) لكن يجب أن يكون الطول غير فاحش بأن تكون الزيادة ثلثاً فأقل ، فإن كانت أكثر من ذلك كانت قبيحة ، إلا إذا كانت بعد فقرتين فأكثر ، لأن الأوليين يكونان حينئذ بمنزلة فقرة واحدة .

(٤) النجم : ١ ، ٢

(٥) الحاقة : ٣٠ ، ٣١ ، والفقرة الأولى فى الآية ﴿ خذوه ﴾ والثانى ﴿ فغلوه ﴾ والثالثة ﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾ ولا تأثر الفاء مساواة الثانية للأولى فى كون كل منهما كلمة واحدة .

(٦) العصر : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٧) بخلاف القصر القليل كقوله تعالى سورة الفيل ١ ، ٢ ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ﴾ .

(٨) المرسلات : ١ ، ٢

أو طويل (١) : كقوله (٢) تعالى : ﴿ إذ يُريكَهُم اللّهُ فى مَنَامكَ قَليلاً وَلَوْ أَرَاكهُمْ كثيراً لَفَشلتُمْ وَلَتنَازَعْتمْ فى الأمْرِ ولكنْ اللّهَ سَلّمَ إنّهُ عَليمٌ بذَاتِ الصُّدُورِ ، وَإذْ يُريكُمُوهمْ إذ التَقيْتم فى أعيُنكُمْ قَليلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فى أعْيُنهِمْ ليقضِىَ اللّهُ أمْراً كان مفْعُولا وَإلى اللّهِ ترجَعُ الأمُورُ ﴾ .

أو متوسط : كقوله (٣) تعالى : ﴿ اقْتربَتِ السَّاعَةُ وانْشَقّ القَمرُ ، وَإنْ يَرَوا آيةً يُعْرِضُوا وَيَقُولوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ ﴾ .

ومن لطيف السجع قول البديع الهَمَذَانِىِّ من كتاب له إلى ابن فريغون (٤) : «كتابى والبحر وإن لم أره ، فقد سمعتُ خبره ، والليث وإن لم ألقَه ، فقد تصورت خَلقَهَ ، والملك العادل وإن لم أكن لقيته ، فقد لقينى صيته ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى أكثره » (٥) .

سكون أعجاز الفواصل (٦) : واعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز ، موقوفاً عليها ، لأن الغرض أن يزاوج بينها ، ولا يتم ذلك فى كل صورة إلا بالوقف ، ألا ترى أنك لو وصلتَ قولهم « ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت » لم يكن بُدٌّ من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب فيفوت الغرض من السجع ، وإذا رأيتهم يُخرجون الكلم عن أوضاعها للازدواج فى قولهم « إنى لآتيه بالغدايا والعشايا » أى بالغُدُوَاتِ (٧) ، فما ظنك بهم فى ذلك ؟

(١) ذهب الباقلانى فى « إعجاز القرآن » إلى أن السجع الطويل غير مرضى ولا محمود ، وهذا خطأ لوقوعه فى القرآن ، ولعله ممن لا يسمى ما فى القرآن سجعاً ، وسيأتى الخلاف فى ذلك .

(٢) الأنفال : ٤٣ ، ٤٤ (٣) القمر : ١ ، ٢

(٤) فى رسائل بديع الزمان : وله إلى الأمير ابن الحارث محمد مولى أمير المؤمنين .

(٥) لطف هذا السجع من جهة قصره واتفاق أسلوب فقراته فى الشرطية .

(٦) هذا السكون واجب عند اختلاف الحركات الإعرابية ، مستحسن عند اتفاقها .

(٧) لأن غدوة تجمع على غدوات لا على غدايا ، فلا يقال « غدايا » إلا مع «عشايا» وهذا على أن غدايا جمع غدوة لا غديّة ، وإلا كان جمعاً صحيحاً وإن لم يكن معه « عشايا » والأقرب حمل قولهم على هذا ، لأنه لا يصح تكلف حلية لفظية إلى هذا الحد .

الخلاف فى إطلاق السجع فى القرآن والشعر :

وقيل : إنه لا يقال « فى القرآن أسجاع » وإنما يقال « فواصل » (١) . وقيل: السجع غير مختص بالنثر ، ومثاله من الشعر (٢) قول أبى تمام :

تجلّى به رُشْدِى ، وَأَثْرَتْ به يَدِي وفاضَ بهِ ثِمدْى ، وأَوْرَى به زندِى (٣)

وكذا قول الخنساء :

حامى الحقيقة ، محمود الخليقة ، مَهْـ ـدىُّ الطريقة ، نَفّاعٌ وَضَرّارُ (٤)

وكذا قول الآخر :

ومَكَارِمٌ أَوْلَيْتُها مُتَبَرِّعًا وجرائمُ أَلغيْتَها مُتَوَرِّعا (٥)

وهو (٦) ظاهر التكلف (٧) . وهذا القائل لا يشترط التقفية فى العَروض

---

(١) الحق أن منع إطلاق ذلك عليه رعاية للأدب فقط ، لأن السجع فى الأصل هديل الحمام ونحوه ، وقيل : إنه لا شىء فى أن يقال فى القرآن أسجاع .

(٢) أكثره فى الشعر على ضربين : أن يجعل كل شطر فقرتين لكل فقرة سجعة ، وأن يجعل كل شطر فقرة كما فى البيت الثالث ، ونحوه مزدوجة أبى العتاهية :

حسبك مما تبتغيه القوتُ ما أكثر القوتَ لمن يموتُ

الفقرُ فيما جاوز الكفافا مَن اتقّى اللّهَ رجا وخـافا

وقد يأتى على غير هذين الضربين كما فى بيت الخنساء .

(٣) هو من قصيدة له فى مدح نصر بن منصور ، وقوله « تجلى » بمعنى ظهر ، وقوله « أثرت » بمعنى اغتنت ، والثمد : فى الأصل الماء القليل والمراد به المال القليل على سبيل الاستعارة ، وقوله « أورى » بمعنى صار ذا ورى أى نار ، والزند : العود الأعلى الذى يقتدح به النار ، وهذا كناية عن الظفر بالمطلوب ، والشاهد فى اتفاق فواصله فى الدال .

(٤) هو لتماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء فى أخيها صخر ، والحقيقة : ما يجب على الإنسان أن يحميه من عِرض ونحوه ، والخليقة : السجية . والشاهد فى اتفاق فواصله فى القاف .

(٥) لا يعرف قائله . وقوله « أوليتها » بمعنى أعطيتها ، والمتبرع : المعطى من غير طلب ، وقوله « ألغيتها » بمعنى أبطلتها ، والمتورع : المتمنع عن الانتقام ، وفى رواية : « فمكارم » .

(٦) أى السجع فى الشعر .

(٧) لأن الشعر فيه ضيق الوزن ، فلا يليق أن يضاف إليه ضيق آخر بالتزام السجع .

والضرب [1] كقوله :

وَزندُ نَدَى فَوَاضِلِه ، وَرِيٌّ ‏ ‏ وَرَنْدُ رُبِىَ فَضَائِله نَضِيرُ [2]

التشطير : ومن السجع على هذا القول [3] ما يُسَمَّى التشطير ، وهو أن يُجعل كل مِن شطرى البيت سجعة مخالفة لأختها [4] كقول أبى تمام :

تَدْبِيرُ معتصم ، باللّه مُنْتَقِم ‏ ‏ للّهِ مَرْتَغِب ، فى اللّه مُرْتَقِبُ [5]

التصريع : ومنه ما يسمى التصريع ، وهو جعل العَروض مُقَفَّاةً تقفية الضرب ، كقول أبى فِراسٍ :

بأطراف الْمُثَقَّفَةِ العَوَالِى ‏ ‏ تَفَرَّدْتَا بأوساط الْمَعَالِى [6]

---

(١) العروض : الجزء الأخير من الشطر الأول فى البيت ، والضرب : الجزء الأخير من الشطر الثانى فى البيت .

(٢) هو لناصر بن عبد السيد المعروف بأبى الفتح المطرزى ، والزند : العود الأعلى الذى يقتدح به النار ، وإثباته للندى تخييل ، والفواضل العطايا ، والورى : ذو النار فمن يقدحه يظفر بمراده ، والرند: نبات طيب الرائحة ، والربى : جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض ، والكلام مبنى على الاستعارة ، والشاهد فى أن التقفية فى حشو البيت بين — فواضله وفضائله — لا فى العروض والضرب ، ورواية « بغية الوعاة » للسيوطى :

وزند ندى فواضله ورى ‏ ‏ ورند ربى خواضله نضير

ودر خلاله أبـــدا ثمين ‏ ‏ ودر نـــواله أبدا غـــزير

والظاهر أن « خواضله » تحريف عن فضائله .

(٣) أى القول بأن السجع يأتى فى الشعر .

(٤) أى مسجوعا سجعة مخالفة لأختها ، بأن يكون كل شطر فقرتين تخالف الأوليان منهما الأخريين فى التقفية .

(٥) هو من قصيدة له فى مدح المعتصم بن هارون الرشيد ، وقوله « باللّه » متعلق بمعتصم ، وقوله « للّه » متعلق بمنتقم ، وقوله « فى اللّه » متعلق بمرتغب أى راغب فى ثوابه ، والمرتقب : الخائف من عقابه ، والشاهد فى تركب الشطر الأول من فقرتين متفقتين فى الميم ، والشطر الثانى من فقرتين متفقتين فى الباء .

(٦) هو لأبى الحارث بن أبى العلاء المعروف بأبى فراس الحمدانى . والمثقفة : المقومة ، والعوالى : الرماح بدل أو عطف بيان ، والأوساط : جمع وسط الشىء وهو أفضل شىء فيه . والشاهد فى تقفية العروض،والضرب فى اللام .

وهو مما اسْتُحْسِنَ حتى إن أكثر الشعر صُرِّعَ البيت الأول منه [١] ؛ ولذلك متى خالفت الْعَروضُ الضَّرْبَ فى الوزن جاز أن تجعل مُوَازِنَةً له إذا كان البيت مُصَرَّعاً كقول امرىء القيس :

أَلاَ عِمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ الْبالي وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كانَ فى العُصُرِ الْخَالي [٢]

أتى بعروض الطويل « مَفَاعيلُنْ » ، وذلك لا يصح إذا لم يكن البيت مصرَّعاً [٣] ، ولهذا خُطِّىء أبو الطيب فى قوله :

تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وظاهِره ظَرْفُ [٤]

المُوازنة والمماثلة : ومنه الموازنة ، وهى أن تكون الفاصلتان [٥] متساويتين فى الوزن دون التقفية ، كقوله [٦] تعالى : ﴿ وَنَمارِقُ مَصْفُوفَة ، وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ .

فإن كان ما فى إحدى القرينتين من الألفاظ ، أو أكثر ما فيها ، مثل ما يقابله من الأخرى فى الوزن خص باسم الْمُمَاثَلة ، كقوله [٧] تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . وقول أبى تمام :

---

(١) كذلك يستحسن فى الانتقال فى القصائد من غرض إلى غرض ، كالانتقال من النسيب إلى المدح .

(٢) قوله « عم » أمر من « وَعَمَ الديار » بمعنى حياها . وفى رواية : « ألا انْعَم » والطللَ : ما شخص من آثار الديار ، والعُصرُ : الدهر ضُمت صاده للوزن ، والخالى : الماضى .

(٣) لأنه يجب قبضها بحذف الخامس الساكن ، فتصير « مَفاعلن » .

(٤) هو من قصيدة له فى مدح أحمد بن الحسين القاضى . والحكم : بمعنى الحكمة ، والظرف مصدر « ظَرُفَ » فهو ظريف أى كيس حسن الهيئة . والشاهد فى عدم قبضه عروض الطويل من غير تصريع ، وقد اعتذر له من وجهين ، أن هذا جاء عن العرب ، وأنه الأصل .

(٥) يعنى بهما الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين أو المصراعين ، لأنها تأتى فى النثر والشعر .

(٦) الغاشية : ١٥ ، ١٦ ، والفاصلتان فى الآيتين « مصفوفة ومبثوثة » والتقفية فى الأولى على الفاء وفى الثانية على الثاء . ولا ينظر إلى تاء التأنيث فيهما لأنها لا تعد من حروف القافية لإبدالها هاء فى الوقف . (٧) الصافات : ١١٧ ، ١١٨

مَهَا الوحش إلا أنَّ هاتا أوانسٌ قَنَا الخَطِّ إلا أنَّ تلك ذوابلُ (١)

وقول البحتري :

فَأحْجَمَ لَمَّا لم يجد فيكَ مَطْمعاً وأقدَمَ لَمَّا لم يجد عنك مَهْرَبَا (٢)

القلب : ومنه القلب (٣) ، كقولك « أرض خضراء » ، وقول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل : « سِرْ فلا كَبا بِكَ الفرسُ » . وجواب القاضي : « دام عُلا العماد » . وقول القاضي الأرَّجَانيِّ :

مَوَدَّتُهُ تدوم لِكلِّ هَوْلٍ وهَلْ كُلٌّ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ (٤)

---

(١) سبق هذا البيت في الكلام على الطباق من هذا الجزء ، والشاهد في تساوي الفاصلتين « أوانس وذوابل » في الوزن دون التقفية .

(٢) هو من قصيدة له في وصف مبارزة الفتح بن خاقان للأسد . والضمير في قوله : « أحجم » للأسد الذي بارزه ، والمطمع : محل الطمع ، والمهرب : محل الهرب ، يعنى أن الأسد أحجم عنه لأنه لم يجد فيه مطمعا لقوته ، فلما عرف أنه لا ينجو منه أقدم دهشا إليه ، والشاهد في تساوي الفاصلتين « مطمعاً ومهرباً » في الوزن دون التقفية .

(٣) هو أن يكون الكلام بحيث لو عكس كان الحاصل من عكسه هو ذلك الكلام بعينه ولا يخفى ما فيه من التكلف . وما جاء منه في القرآن فهو غير مقصود فيه ، فلا يَرِد عليه ما يرد علىَّ من يتكلفه .

(٤) هو لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضي الأرجاني . والهول : المخافة من الأمر ، والاستفهام في قوله « وهل كل ... » للإنكار ، والمراد وصف صاحبه بالوفاء من بين الأصحاب . وقبل البيت :

أحبُّ المرءَ ظاهرُهُ جميل لصاحبه ، وباطنُه سليم

هذا وما ذكره الخطيب كله في قلب الحروف .

وقد يكون القلب في الكلمات كقوله الشاعر :

عَدلوا فما ظَلمتْ لهم دوَلٌ سعدُوا فما زالت لهم نِعمُ
بذلوا فما شحتْ لهم شيمٌ رفعوا فما زَلت لهم قدمُ

وهو مدح فإذا قلبت كلماته كان ذما ، وهذا قلبه :

نعمٌ لهم زالت فما سعدُوا دول لهم ظلمتْ فما عَدلوا
قَدمٌ لهم زلت فما رفعوا شيمٌ لهم شحتْ فما بذلوا

وفى التنزيل ﴿ كلٌ فى فَلَكٍ ﴾ [١] وفيه ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [٢] .

التشريع : ومنه التشريع ، وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما [٣] كقول الحريرى :

يا خاطب الدنيا الدَّنِيَّةِ إنَّها شَرَكُ الرَّدَى وقرارَةَ الأكْدَار [٤]

الأبيات ...

= وقد يكون القلب فى المفرد ، نحو « سلس وباب » ، ولا يضر فى القلب مد المقصور ولا قصر الممدود ، نحو « أرض خضراء » ، ولا يضر فيه أيضاً تخفيف المشدد أو تشديد المخفف ، نحو ﴿ كل فى فلك ﴾ ، وكذلك جعل الألف همزة أو الهمزة ألفا أو تبديل بعض الحركات والسكنات .

(١) الأنبياء : ٣٣ (٢) المدثر : ٣

(٣) لا يخفى ما فى التشريع من التكلف ، وإنما يقبل منه القليل الذى لا تكلف فيه ، وقد يبنى البيت فيه على أكثر من قافيتين ، كقول الحريرى من أول الكامل :

جُودِى على المستهترِ الصَبِّ الجوِىِّ وتَعطفِــى بوصــاله وتَرحمِــى
ذا المُبتلى المتفكِّرِ القلبِ الشــجِى ثم اكشفِى عن حاله لا تظلمى

فإنه يمكن أن يقال فيه من منهوك الرجز :

جودى على المستهتر ذا المبتلى المتفكر

ويمكن أن يقال فيه من مشطور الرجز الأحدِّ :

جودى على المستهتر الصب ذا المبتلى المتفكر القلب

ويمكن أن يقال فيه من مجزوء الرجز :

جُودِى على المستهتر الصــ بِّ الجِــــوى وتعطَفـــى
ذا المبتلـــى المتفكـــر الـــ ـقلبِ الشجِى ثم اكشفى

ويمكن أن يقال فيه :

جُودِى على المستهترِ الصبِّ الجوى وتعطفــى بوصـــاله
ذا المُبتلى المتفكر القلب الشجـــى ثم اكشفى عن حاله

(٤) هو من قصيدة للقاسم بن على المعروف بالحريرى فى المقامة الشعرية ، وبعده :

دارٌ متى ما أضحكت فى يومها أبكت غد تبّاً لها من دارِ
غَاراتهـــا لا تنقضى وأسِـيرُها لا يُفْتدَى بجــلائل الأخْطَارِ =

لزوم ما لا يلزم : ومنه لزوم ما لا يلزم ، وهو أن يجيء قبل حرف الرَّوِيِّ أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع [1] كقوله [2] تعالى : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهمْ يَمدُّونَهُمْ في الْغيِّ ثم لا يقصِرُونَ ﴾ وقوله : ﴿ فأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ ﴾ [3] وقول الشاعر :

سأشكر عَمْراً إن تراخَتْ منِّيتي	أيـاديَ لـم تُمنَـنْ وإنْ هيَ جَلَّتِ
فتًى غيرُ محجوبِ الغِنَى عن صديقه	ولا مُظْهِرِ الشكوى إذا النعلُ زَلَّتِ
رأى خُلَّتي من حيث يَخفى مَكانُها	فكانت قَذَى عينيه حتى تجَلَّتِ [4]

وقول الآخر

يقولون : في الْبستَانِ للعين لَذَّةٌ	وفي الخمر والماء الذي غيرُ آسِنِ
إذا شئتَ أن تلقى المحاسن كُلَّها	ففي وجه مَنْ تَهوَى جميعُ المَحَاسِنِ [5]

= والخاطب : الطالب ، والدنية : الحقيرة ، والردى : الهلاك ، وقرارة الشيء : ماقر فيه وسكن ، والشاهد في أنه يمكن أن يُرَكب ذلك من مجزوء الكامل ، فيقال :

يا خاطب الدنيا الدنية	إنهـا شـرك الردى
دارٌ متـى ما أضحكت	في يومها أبكت غدا
غـاراتهـا لا تنقضي	وأسـيرها لا يفتـدى

(١) إنما لم يقل « في مذهب السجع أو القافية » كما هو مقتضى السياق للإشارة إلى أن لزوم ما يلزم ضرب من السجع وإن وقع في الشعر ، ولا يخفى ما في لزوم ما لا يلزم من التكلف ، وما جاء منه في القرآن فهو غير مقصود فيه ، فلا يرد عليه ما يرد على من يتكلفه .

(٢) الأعراف : ٢٠١ ، ٢٠٢ (٣) الضحى : ٩ ، ١٠

(٤) سبق البيتان الأولان في الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول . والخلة : في البيت الثالث الحاجة ، والقذَى : الرمد ، وقوله « تجلت » بمعنى انكشفت ، والشاهد في التزامه اللام المشدَّدة والفتحة قبلها في الأبيات الثلاثة .

(٥) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري ، وقوله « الذي غير آسن » تقديره الذي هو غير آسن ، فحذف فيه صدر الصلة ، والآسن : المتغير ، وقوله « تهوى» بمعنى تحب ، والشاهد في التزامه السين والألف قبلها في البيتين . =

وقد يكون ذلك فى غير الفاصلتين أيضاً (١) ، كقول الحريرى : « وما اشْتال العسل ، من اختار الكسل » .

أصل الحسن في القسم اللفظي : وأصل الحسن فى جميع ذلك - أعنى القسم اللفظى - كما قال الشيخ عبد القاهر (٢) هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى (٣) فإن المعانى إذا أُرْسِلَتْ على سجيتها وتُرِكَتْ وما تريد طلبت لأنفسها الألفاظ ، ولم تكتس إلا ما يليق بها ، فإن كل خلافُ ذلك كان كما قال أبو الطيب :

إذا لم تُشَاهِدْ غيرَ حُسنِ شِيَاتِهَا ... وأعضائها فَالحُسْنَ عنك مُغَيَّبُ (٤)

= هذا والتزام ما لا يلزم قد يكون فى الحرف والحركة معاً فى الأمثلة المذكورة. وقد يكون فى الحرف وحده ، كقوله تعالى آية ١ ، ٢ القمر : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يُعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ وقد يكون فى الحركة وحدها ، كقول ابن الرومى :

لِما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بُكاءُ الطفل ساعة يولد

وإلا فمـا يبكيه منهـا وإنهـا ... لأوسـع ممـا كان فيه وأرغد

(١) بأن يكون فى الكلمات التى قبلهما ، كما فى « اشتال واختار » فى قول الحريرى .

(٢) ١٥ - أسرار البلاغة .

(٣) بأن يراعى فيها أولاً ما يقتضيه الحال ثم يأتى المحسن اللفظى بعد هذا فيتم به الحسن ، وإنما ذكر هذا هنا مع أنه سبق فى تعريف علم البديع لينبه على غلط بعض المتأخرين فيه ، ومثل المحسن اللفظى فى هذا ما سبق من المحسن المعنوى وإنما نبه عليه فى الأول فقط لأن الغلط فى التعلق به أكثر من الثانى .

(٤) الضمير فى « شياتها » لخيل يصفها فى قوله قبله :

وما الخيلُ إلا كالصديق قليلةٌ ... وإن كثرتْ فى عينِ مَن لا يجرِّبُ

والشيات : جمع شية وهى العلامة الظاهرة من لون ونحوه ، يعنى أن حسنها ليس فى صورتها وحدها وأن حسنها الكامل فى خصالها ، وكذلك الألفاظ والمعانى التى ساق البيت من أجلها .

وقد يقع فى كلام بعض المتأخرين ما حَمَل صَاحبَهُ فَرْطُ شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم فى البديع ، على أن ينسى أنه يتكلم لِيُفْهِمَ ويقول لِيُبِينَ ، وَيُخَيِّلَ إليه أنه إذا جمع عدةً مِنَ أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع مَا عَنَاهُ فى عمياء ، وأن يُوقِعَ السامِعَ طَلَبُهُ فى خبط عَشْوَاءَ (١) .

* * *

(١) من ذلك تكلف الجناس فى قول أبى تمام :

قرَّتْ بقران عينُ الدين وانشترت ... بالأشترين عيونُ الشِّرك فاصطلما

وقران : علم ، والأشتران : تثنية الأشتر علم أيضاً ، وقوله « انشترت » مطاوع - شتر العين : قلب جفنها ، و « شتر الشىء » قطعة ، وقوله « اصطلم » بمعنى استؤصل والبيت مع غثاثة لفظه وسوء تجنيسه يؤخذ عليه أن انشتار العين لا يوجب الاصطلام .

تمرينات على المحسنات اللفظية

تمرين - ١

بين نوع المحسن اللفظى ووجه حسنه فيما يأتى :

(١) سَلْسِلْ خطوطك ما غدَا مُتَسَلْسِلاً ... شَاطِى الحِمَامِ الزُّرْقِ بالأغْصَان

واسْجَعْ بشعرك ما غدَا مُتَصَلْصِلاً ... شَادِى الْحَمامِ الوُرْقِ بالألحان

(٢) هِلالٌ فى إضاءته حَيَاءٌ ... شِهَابٌ فى سماحته اتِّقَادُ

(٣) لم يَقضِ من حقكم بعضَ الذى يَجِبُ ... قَلبٌ متى ما جرى ذِكْرَاكُمُ يَجِبُ

(٤) أسْكرَنى باللفظ والمُقْلةِ الْـ ... ـكَحْلاءِ والوجنة والكَاسِ

سَاقٍ يُرِينِى قلبه قسوةً ... وكُلُّ ساقٍ قلبه قَاسِى

تمرين - ٢

بين نوع الجناس فى الأمثلة الآتية :

(١) تحَمَّلْتُ خوفَ المَنِّ كُلَّ رَزِيئَةٍ ... وَحَملُ رَزَايا الدهر أحْلى من المَنِّ

(٢) سِتْر المحبة يوم البين مُنْهَتِكٌ ... وَثَوْبُ صبرى من الأشْواقُ مُنتَهِكُ

(٣) لِعَينِى كُلَّ يوم ألْفُ عَبْرَةٍ ... تُصَيِّرُنى لأهل الشوق عِبْرَهْ

(٤) كُنْ كيف شئتَ عن الهَوى لا أنْتَهِى ... حتى تَعُودَ لِىَ الحياة وأنتَ هِى

(٥) مِنْ بحرُ جودِكَ أغْتَرِفْ ... وَبفَيْضِ علمك أعْتَرِفْ

(٦) عَطَفَتْ كأمثال القِسِىِّ حَوَاجِبًا ... فَرمتْ غَداةَ البين قلباً وَاجِباً

تمرين - ٣

بين النوع المحسن اللفظى ووجه حسنه فيما يأتى :

(١) تمَنَتْ سُلَيمَى أن أموتَ صبابة ... وأهوَنُ شىء عندنا ما تَمَنَّتِ

(٢) اسْلَمْ وَدُمْتَ على الحوادث مَارِسَا ... رُكنَا ثَبِيرٍ أو هِضَابُ حِرَاءِ

ونَلِ المرادَ مُمَكَّناً منه علَى ... رَغْمِ الدهور وَفُزْ بِطُولِ بقاءِ

(٣) ضَحِكْنَا وكان الضّحك مِنَّا سَفاهَة وحُقّ لِسُكانِ البسيطة أن يَبْكوا
تحَطِمُنا الأيــــامُ حتـــى كأنَّنَا زجاجٌ ولَكنِ لا يُعَــادُ لنا سَبْكُ

تمرين – ٤

لماذا حسن الجناس فى قول أبى الفتح ؟

نَاظِــراهُ فيمـا جَنَتْ نَاظِــراهُ أوْ دَعَانِى أمُتْ بما أوْدَعانِــى

ولم يحسن فى قول أبى تمام :

ذَهَبَتْ بِمذهبه السماحةُ فَالْتَوَتْ فيه الظُّنُونُ أمَذْهَبٌ أمْ مُذْهِبُ

تمرين – ٥

(١) كأن المدامَ وصَــوْبَ الغمام ورِيحَ الخزامى ونشــرَ القُـطُرْ
يُعَــــلُّ به بَرْدُ أنيــابهـــا إذا طَـرب الطائِــرُ المُسْتَحِرْ

(٢) فنحن فى جذل ، والروم فى وَجَلٍ والبَرُّ فى شغلٍ ، والبحر فـى خَجِلِ
مُوفٍ على مُهَجٍ ، فى يوم ذى رهَجٍ كأنه أجَــلٌ يَسعَـــى إلى أمَلِ

* * *

خاتمة
فى فصلين يُلحَقان بالبديع

هذا ما تيسر بإذن الله تعالى جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث ، وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين :

منها ما يتعين إهماله لعدم دخوله فى فن البلاغة ، نحو ما يرجع فى التحسين إلى الخط دون اللفظ ، مع أنه لا يخلو من التكلف ، ككون الكلمتين متماثلتين فى الخط ، وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة . ونحو ما لا أثر له فى التحسين ، كما يُسَمَّى « الترديد » (١) . أو لعدم جَدواهُ ، نحو ما يوجد فى كتب بعض المتأخرين مما هو دَاخلٌ فيما ذكرناه ، كما سماه : « الإيضاح » فإنه فى الحقيقة راجع إلى الإطناب (٢) أو خَلْطٌ فيه ، كما سماه : « حسن البيان » (٣) .

ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة (٤) وهو شيئان :

أحدهما : القول فى السرقات الشعرية وما يتصل بها .

والثانى : القول فى الابتداء والتخلص والانتهاء .

فعقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب

---

(١) هو أن تعلق الكلمة بمعنى ثم تعلق بمعنى آخر فى مصراع أو مصراعين ، كقول الشاعر :

هَوِيتَنى وهويتُ الغانيات إلى أنْ شبتُ فانصرفتْ عنهن آمالى

علق « هويتنى وهويت » بالغانيات . ومثاله فى المصراعين :

يُريك فى الروعِ بدراً لاحَ فى غسق فى ليث عِرِّيسةٍ فى صورةِ الرجل

(٢) فيكون من علم المعانى لا من علم البديع .

(٣) هو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة ، والخلط فيه أنه من البيان لا البديع .

(٤) هى بيان حسن الأخذ وقبحه فى السرقات الشعرية ، وبيان مواضع حسن الابتداء والتخلص والانتهاء وقبحها ، وقيل : إن هذا ليس من علوم البلاغة ، وإنما يختم الكلام فيها به لاتصاله بها وتوقفه عليها ، والحق أن براعة الاستهلال وحسن التخلص وبراعة المقطع من صميم البديع لا من لواحقه ، فالأولى قصر ما يلحق بالبديع على السرقات الشعرية .

الفصل الأول
السرقات الشعرية

السرقات الشعرية : اعلم أن اتفاق القائلين إنْ كان من الغرض على العموم[1] كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء فلا يُعدّ سرقةً ولا استعانةً ولا نحوهما ، فإن هذه أمور متقررة فى النفوس ، متصوَّرة للعقول ، يشترك فيها الفصيح والأعجم ، والشاعر والمُفْحَمُ .

وإن كان فى وجه الدلالة على الغرض [2] وينقسم إلى أقسام كثيرة : منها التشبيه بما توجَدُ الصفة فيه [3] على الوجه البليغ كما سبق [4] ، ومنها ذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن له الصفة ، كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر ، كقوله :

كأنَّ دنانيراً على قَسَمَاتِهِمْ ... وإنْ كانَ قد شَفَّ الْوجُوهَ لِقاءُ [5]

وكذا وصْف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة والارتياح لرؤيتهم ، ووصف البخيل بالعبوس وقلة البِشْر مع سعة ذات اليد ومساعدة الدهر .

فإن كان مما يشترك الناس فى معرفته لاستقراره فى العقول والعادات ، كتشبيه الفتاة الحسنة بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ، والبليد البطىء بالحجر والحمار ، والشجاع الماضى بالسيف والنار – فالاتفاق فيه كالاتفاق فى عموم الغرض .

---

(١) الغرض : هو المعنى المقصود ، ومعنى كونه على العموم أنه يقصده كل الناس فلا بد من أمرين : أن يكون الاتفاق فى الغرض لا فى الدلالة عليه ، وأن يكون الغرض عاماً ، فإذا كان الاتفاق فى الدلالة فهو مما يمكن أن يدعى فيه السبق والزيادة كما سيأتى ، وإن كان الاتفاق فى غرض خاص فهو مما يمكن أن يدّعى هذا فيه أيضاً .

(٢) جواب « إن » سيأتى فى قوله « فإن كان مما يشترك الخ » وما قبله اعتراض ، ووجه الدلالة على الغرض هو طريقها من تشبيه أو حقيقة أو مجاز أو كناية .

(٣) الصفة : هى الغرض السابق .

(٤) أى فى الكلام على التشبيه فى الجزء الثالث .

(٥) هو لمحرز بن المكعبر الضبى ، والقسمات : الوجوه ، وقوله « شف » بمعنى غير يعنى أن وجوههم تشرق فى الحرب على حين تتغير وجوه غيرهم فيها لهولها .

وإن كان مما لا يُنال إلا بفكرٍ ، ولا يصل إليه كل أحد (١) : فهذا الذى يجوز أن يُدَّعَى فيه الاختصاص والسبق ، وأن يُقضَى بين القائلَيْنِ فيه بالتفاضل ، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر ، وأن الثانى زاد على الأول أو نقص عنه . وهو ضربان :

أحدهما ما كان فى أصله خَاصًّا غريباً ، * والثانى ما كان فى أصله عَامِّياً مبْتذَلاً ، لكن تُصُرِّف فيه بما أخرجه من كونه ظاهراً ساذجاً إلى خلاف ذلك (٢) ، وقد سبق ذكر أمثلتهما فى التشبيه والاستعارة (٣) .

إذا عرفتَ هذا فنقول :

الأخذ والسرقة نوعان : ظاهر وغير ظاهر .

أقسام السرقة الظاهرة : النسخ والانتحال :

أما الظاهر فهو أن يؤخذ المعنى كله إما مع اللفظ كله أو بعضه (٤) وإمّا وحده ، فإن كان المأخوذ اللفظ كله من غير تغيير لنظمه فهو مذموم ، لأنه سرقة محضة ، ويسمى نَسْخاً وانْتِحَالا ، كما حُكِيَ أن عبد اللّه بن الزُّبير دخل على معاوية فأنشده :

إذا أنت لـم تُنْصِفْ أخاك وجدتَهُ ... على طَرَفِ الهِجْرانِ إن كـانَ يَعْقِلُ (٥)
ويركب حَدَّ السيفِ مِنْ أنْ تُضيمَهُ ... إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السيف مَزْحَلُ (٦)

فقال له معاوية « لقد شَعَرْتَ بعدى يا أبا بكر ». ولم يفارق عبد اللّه المجلس حتى دخل مَعْنُ بن أوْسٍ المُزَنِيُّ ، فأنشد كلمته التى أولها :

---

(١) بأن كان مجازاً مخصوصاً أو كناية أو تشبيها على وجه لطيف .

(٢) فإذا لم يتصرف فيه بذلك لم يجزأن يدعى فيه السبق والزيادة كالاتفاق فى عموم الغرض .

(٣) عند الكلام عليهما فى الجزء الثالث .

(٤) مثل أخذ اللفظ أخذ مرادفه كما سيأتى .

(٥) قوله « لم تنصف » بمعنى لم تعدل معه وتوفه حقه ، وطرف الهجران جانبه . والإضافة بيانية .

(٦) المراد بحد السيف ما يتحمله من الشدائد على سبيل الاستعارة ، و « من » فى قوله « من أن تضيمه » للبدل أو للتعليل ، والضيم : الظلم ، وشفرة السيف : حده ، والمراد به ما يتحمله من الشدائد أيضاً ، والمزحل : المبعد .

لَعَمْرُكَ ما أدرى وإنى لأوْجَلُ   عَلى أيِّنا تَغدُو المنيَّةُ أوّلُ [1]

حتى أتى عليها وفيها ماأنشده عبد الله ، فأقبل معاوية على عبد الله وقالِ له : « ألم تخبرنى أنهما لك ؟ « فقال : « المعنى لى واللفظ له ، وبعدُ فهو أخى من الرضاعة وأنا أحقُّ بشعره » [2] .

وقد رُوِىَ لأوس ولزهير فى قصيدتيهما [3] هذا البيت :

إذا أنت لم تُعرِضْ عن الجهل والْخَنَا   أصبْتَ حَليما أو أصابك جَاهِلُ [4]

وقد رُوِى لِلأُبَيْرِدِ الْيَرْبُوعِيِّ :

فَتًى يشترِى حُسْنَ الثناء بمالِهِ   إذا السَنَةُ الشهباءُ أعْوَزَهَا الْقَطْرُ [5]

ولأبى نُواس :

فتًى يشترِى حسنَ الثناء بماله   ويعلم أنّ الدائرَاتِ تدُور [6]

---

(١) لعمرك : قسم وهو مبتدأ وخبره محذوف تقديره قسمي ، وأوجل : أفعل تفضيل من الوجل وهو الخوف ، وقوله « تغدو » بمعنى تصبح ، أو بالعين المهملة من العدو ، والجار والمجرور متعلق بأدرى ، وما قبله اعتراض .

(٢) هذا اعتذار بارد وإن تظرَّف فيه .

(٣) يعنى قصيدة أوس بن حجر التى مطلعها :

أيا راكباً إمّا عرضتَ فبلغن   يزيدَ بن عبدِ اللهِ ما أنا قائلُ

وقصيده زهير بن أبى سُلمى التى مطلعها :

لسَلْمَى بشرقِيِّ القنانِ منازلُ   ورمْمٌ بصحراء اللُّبَيَّيْن حائلُ

(٤) قوله « لم تعرض » بمعنى لم تنصرف ، والخنا : الفحش ، والحليم : العاقل ، والمراد « أصبت حليما بجهلك أو أصابك جاهل بجهله » .

(٥) هو للأبيرد بن قيس بن المعذر من مرثية له فى أخيه مطلعها :

تَطاوَل ليلى لم أنمْ تقلبا   كأنّ فراشى حال من دونه الجمرُ

والشهباء : المجدبةَ ، وقوله « أعوزها القطر » بمعنى احتاجتَ إليه . والقطر : المطر ، وهذا كناية عن انقطاعه فيها .

(٦) هو من قصيدة للحسن بن هانى المعروف بأبى نواس فى مدح الخصيب . والدائرات : الدواهى ، وقوله « تدور » بمعنى تتقلب ويداولها الله بين الناس ، وقبل البيت :

إذا لم تَزُرْ أرضَ الخصيب ركابُنا   فأىُّ فَتى بعد الخصيبِ تَزورُ

وقد روى لبعض المتقدمين يمدح معبداً :

أجاد طوَيْسٌ والسُّرَيجِيّ بَعْدَه وما قَصباتُ السَّبقِ إلا لِمَعْبَدِ (١)

ولأبى تمام :

مَحَاسِنُ أصناف الْمغَنّينَ جَمّةٌ وما قَصَبات السبق إلا لمعبدُ (٢)

وحكى صاحب الأغانى فى أصوات معبد :

لهْفِى على فِتيَةٍ ذَلَّ الزمانُ لَهُمْ فما يُصيبهمُ إلا بما شَاؤوا (٣)

وفى شعر أبى نُواس :

دَارَتْ على فتيةٍ ذلَّ الزمانُ لهم فما تصيبهم إلا بما شَاؤُوا (٤)

وفى هذا المعنى ما كان التغيير فيه بإبدال كلمة أو أكثر بما يرادفها (٥) ، كقول امرىء القيس :

---

(١) لا يُعرف قائله ، وطويسٌ لقب عيسى بن عبد الله ، وقد غنى فى عهد عثمان بن عفان ، والسريجى لقب عبيد الله بن سريج ، وقد أخذ الغناءَ عن طويس ، ومعبد بن وهب غنى فى أول دولة بنى أمية ، وقصبات السبق هى التى تنصب فى حلبة السباق فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعرف أنه السابق ، ويقال هذا فى الكناية عن الفوز والغلبة .

(٢) هو من قصيدة له فى مدح خالد بن يزيد الشيبانى . وقبله :

فمهما تكن من وقعةٍ بَعْدُ لا تَكن سوَى حَسَنٍ مما فعلت مرَدَّدِ

(٣) لا يعرف قائله . واللهف التحسر ، وقوله « ذَلَ » بمعنى خضع ، ورواية الأغانى « فما أصابهم » . وقد غناه معبد للوليد بن يزيد ، وبعده :

ما زالَ يَعدو عليهم ريبُ دهرهم حتى تفانوا وريبُ الدهر عدَّاءُ

أبكَى فراقُهمُ عينـــــى وأرَّقَها إنّ التفرقَ للأحبـــاب بَكّـــاءُ

(٤) هو من خمرية للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس مطلعها :

دَعْ عنك لوْمى فإن اللومَ إغراءُ وداونى بالتى كانت هى الداءُ

والضمير فى قوله « دارت » للخمر ، وقد كان المعنى فى البيت الأول يراد به التحسر والتحزن ، فجعله أبو نواس فى موضع سرور ومجلس شرب خمر .

(٥) مثله ما كان التغيير فيه بالضدمع رعاية النظم والترتيب ، كقول بعضهم فى الهجاء :

=

وُقوفاً بها صَحبى عَلَىَّ مطيَّهُمْ   يقولون : لا تهلكْ أسىً وَتَجَمَّلِ [1]

وقول طرفة :

وُقوفاً بها صَحبِى علىَ مطيَّهم   يقولون : لا تهلكْ أسىً وَتَجَلَّدِ [2]

وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه :

وما الناسُ بالناسِ الذين عَهِدْتَهُمْ   ولا الدارُ بالدارِ التى كنتَ تَعْلَمُ [3]

وقول الفرزدق :

وما الناسُ بالناسِ الذين عهدتَهم   ولا الدار بالدار التى كنتَ تَعْرِفُ

وكقول حاتم :

وَمَنْ يَبتَدِعْ ما ليس مِن خِيم نَفْسِهِ   يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ على النفس خِيمُها [4]

= سودُ الوجوهِ لئيمةٌ أحسابُهمْ   فطسُ الأنوفِ من الطراز الآخرِ

فلم يفعل سوى أن غير ألفاظ بيت حسّان فى مدح آل جفنة :

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم   شُمُّ الأنوف مِن الطراز الأول

وإنما يذم التغيير بالمراد أو بالضد إذا لم يكن فيه فائدة من حسن سجع أو موازنة أو زيادة فصاحة أو سلامة للشعر .

(١) قوله « وقوفا » مصدر أو جمع واقف حال من فاعل « نبك » فى قوله قبله :

قفاً نَبكِ مِن ذكرى حبيبٍ ومنزلِ   بسقْطِ اللوَى بين الدخولِ فحَومَلِ

ومطيهم : مفعول به لوقوفاً لأنه متعد من الوقف بمعنى الحبس لا من الوقوف . وقوله « على » بمعنى لأجلى ، والأسى : شدة الحزن ، وقوله « وتحمل » بالحاء أو بالجيم من التجمل وهو الصبر الجميل .

(٢) هو لطرفة بن العبد ، وقوله « « وتجلد » أمر من تجلد بمعنى تكلف الجلد وصبر . وقبله :

لخولةَ أطلالٌ ببرقةِ ثهمدِ   تَلوحُ كباقى الوشمِ فى ظاهرِ اليدِ

(٣) المراد بالناس ناس معهودون له ، فأل فيه للعهد ، وقوله « عهدتهم » خطاب على الالتفات بمعنى عرفتهم ، وأل فى الدار للعهد أيضاً .

(٤) هو لحاتم الطائى ، وقيل : إنه لمالك السلمى ، وقوله « يبتدع » بمعنى يخترع ، والخيم : السجية ، وقوله « يدعه » بمعنى يتركه .

وقول الأعور :

ومن يَقْتَرِفْ خلقاً سوى خلْق نَفْسه ... يَدَعْهُ وَيغلبه على النفس خِيمُهَا [1]

الإغارة أو المسخ : وإن كان [2] مع تغيير لنظمه أو كان المأخوذ بعض اللفظ سُمى إغارةً ومسخاً .

فإن كان الثانى أبلغ من الأول لاختصاصه بفضيلة كحسن السبك [3] أو الاختصار أو الإيضاح أو زيادة معنى فهو ممدوح مقبول ، كقول بشار :

مَن راقبَ الناسَ لم يَظْفرْ بِحاجَتِه ... وفاز بالطَّيِّبَات الْفَاتِكُ اللَّهِجُ [4]

وقول سَلم الخاسر :

مَن راقب الناس مات غَمًّا ... وفاز باللَّذة الجسورُ [5]

فبيت سلم أجود سبكا وأخصر [6] . وكقول الآخر :

خَلَقْنا لهم فى كلِّ عَيْنٍ وحَاجِبٍ ... بِسُمْرِ القنَا والْبِيضِ عَيْناً وَحَاجِبَا [7]

وقال ابن نُباتَة بعده :

---

(١) هو لبشر بن منقذ المعروف بالأعور الشنى ، وقوله « يقترف » بمعنى يكتسب ، والخُلق : السجية .

(٢) أى أخذُ اللفظ كله .

(٣) بالخلو من التعقيد اللفظى والمعنوى ونحوهما .

(٤) هو لبشار بن بُرْدٍ . وقوله « راقب » بمعنى حاذر وخاف . والفاتك : الشجاع القتّالُ ، واللهج : الملازم لمطلوبه الحريص عليه من غير مبالاة .

(٥) هو لسلم بن عمرو المعروف بسلم الخاسر . والجسور : الجرىء .

(٦) أما الاختصار فظاهر ، وأما أنه أجود سبكا فلأن الفتك فى بيت بشار زائد على المقصود لتطلبه الجراءة فقط .

(٧) نسبه الخفاجى فى « ريحانة الألبا » لأبى إسحاق إبراهيم الغزى ، وجعله متابعاً فيه لابن نباتة على عكس ما سيجىء بعده فى « الإيضاح » ، وقوله : خلقنا : بمعنى أوجدنا ، والقنا : واحده قناة وهى الرمح ، والبيض : السيوف ، وقد جعل أثر الرمح عيناً لاستدارته ، وأثر السيف فوقه حاجبا لاستطالته على سبيلى الاستعارة .

خَلقنا بأطراف القنا فى ظهورِهم عيوناً لها وَقْعُ السيوفِ حواجبُ [1]

فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى ؛ وهو الإشارة إلى انهزامهم [2] . ومن الناس من جعلهما متساويين [3] .

وإن كان الثانى دون الأول فى البلاغة فهو مذموم مردود ، كقول أبى تمام :

هَيْهَاتَ لا يأتى الزمانُ بمِثْلِه إنَّ الزَّمانَ بمثله لَبَخيلُ [4]

وقول أبى الطيب :

أعْدَى الزمانَ سخاؤه فَسخَا به ولقد يكون به الزمانُ بَخيلا [5]

فإنَّ مصراع أبى تمام أحسن سبكا من مصراع أبى الطيب ، أراد أن يقول : كان الزمان به بخيلا . فعدل عن الماضى إلى المضارع للوزن ، فإن قلتَ : المعنى أن الزمان لا يسمح بهلاكه [6] قلتُ : السخاء بالشىء هو بذله للغير ، فإذا كان الزمان سخا به ، فقد بذله ، فلم يبقَ فى تصريفه حتى يسمح بهلاكه أو يبخل به [7] .

---

(١) هو لعبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدى . وتقدير الشطر الثانى : عيوناً وقع السيوف حواجب لها ، والمراد أثر وقعها ، وبعد البيت :

لقوا نبلنا مُرْدَ العوارضَ وانثنوا لأوجههم منها لِحَى وشواربُ

(٢) لأنه جعل ذلك فى ظهورهم ، وهذا إلى إرجاعه العيون للرماح والحواجب للسيوف ، وإجمال هذا فى البيت الأول ، وقد يجاب عن هذا بأن الإجمال من مقاصد البلغاء .

(٣) لأن بيت ابن نباتة إذا أشار إلى انهزامهم فالبيت الأول يشير إلى أنهم شجعان يعظم الفخر بالانتصار عليهم .

(٤) « هيهات » اسم فعل ماض بمعنى « بَعُدَ »، وفاعله محذوف تقديره « بعُد إتيان الزمان بمثله » بدليل ما بعده ، أو « بعد نسيانى له » بدليل قوله قبله :

أنْسى أبا نصرٍ نسيتُ إذنْ يدِى مِنْ حيثُ ينتصرُ الفتى ويُنيل

(٥) هو من قصيدة له فى مدح بدر بن عمار ؛ قوله « أعدى » فعل ماض من الإعداء وهو تجاوز الشىء من صاحبه إلى غيره ، والسخاء : الجود ، يعنى أن الزمان كان بخيلا به عليه فلما أعداه سخاؤه جاد عليه به فأسعده بصحبته .

(٦) فيكون المضارع فى موضعه .

(٧) لا يخفى أن جود الزمان به لا يُخرجه عن تصرفه ، للفرق فى هذا بين الجود به والجود بالمال .

وإن كان مثله فالخطب فيه أهون ، وصاحب الثانى أبعد من المذمة ، والفضل لصاحب الأول ، كقول بشار :

يا قومُ أذْنى لبعض الحيِّ عاشقةٌ والأُذْنُ تعشقُ قبل العين أحيَانًا (١)

وقول ابن الشّحنة المَوْصَلِيِّ :

وإنى امْرُؤٌ أحببتكم لِمكارِمٍ سمعتُ بها والأُذْن كالعينِ تَعْشَقُ (٢)

وكذا قول القاضى الأرّجَانىِّ :

لم يُبكِنى إلا حَديثُ فراقكم لَمَّا أسَرَّ به إلىَّ مُوَدِّعى

هو ذلك الدُّرُّ الذى أوْدَعْتُمُ فى مَسْمَعِى أَلْقَيتُهُ مِن مَدْمَعى (٣)

وقولُ جارِ اللّهِ :

وقائلةٍ : ما هذهِ الدُّرَرُ التى تُسَاقِطُها عيناكَ سِمْطَينِ سِمْطَيْن

فقلتُ : هو الدُّرُّ الذى قد حَشا بهِ أبو مُضَرٍ أُذْنى تَساقَطَ من عَيْنِى (٤)

وكقول أبى تمام :

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ المَنِيةِ لم يَجِدْ إلاَّ الفراقَ عَلَى النفوس دَلِيلاً (٥)

---

(١) هو لبشار بن برد . وبعض الحى : كناية عن محبوبته ، وإنما أسند العشق إلى أذنه لأنه كان أعمى ، والنفس قد تعشق بالسماع قبل الرؤية ، بأن يسبق وصف ما يعشق رؤيته .

(٢) هو لعمر بن محمد المعروف بابن الشحنة الموصلى ، والشاهد فى قوله : « والأذن كالعين تعشق » لأنه مأخوذ من قول بشار ، ولكنه مثله فى حسن السبك ونحوه .

(٣) هما لأحمد بن محمد المعروف بالقاضى الأرجانى ، والمراد بمودعه من حدثوه بفراقهم على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، والدر : اللؤلؤ استعارةٌ لحديثهم ، وأخبر به عن ضميره ، ثم استعاره لدمعه .

(٤) هما لمحمود بن عمر الزمخشرى المعروف بجار الله ، والسمط : هو الخيط ما دام الخرز أو اللؤلؤ منتظما فيه ، وأبو مضر : هو محمود بن جرير الضبى أستاذ الزمخشرى . والبيتان من قصيدة له فى رثائه ، وقد ذكر ابن خلكان أن اسمه منصور وهو خطأ .

(٥) قوله « حار » بمعنى ضلّ فى التوصل إلى مراده ، والمرتاد : الطالب ، والدليل: الطريق منصوب على أنه مفعول أول ليجد ، والمفعول الثانى محذوف تقديره له ، يعنى أنه لايجد له دليلا على النفوس إلا الفراق .

وقول أبى الطيب :

لَوْلاَ مُفارَقةُ الأحباب ما وجدتْ   لها المنايَا إلى أرواحنا سُبُلا (١)

واعلم أن من هذا الضرب (٢) ما هو قبيح جداً ، وهو ما يدل على السرقة باتفاق الوزن والقافية أيضاً ، كقول أبى تمام :

مُقيمُ الظَّنِّ عندك والأمَانِى   وإن قَلقَتْ ركابى فـى البِلاَدِ (٣)

ولا سافرتُ فى الآفاقِ إلاَّ   ومِنْ جَدْوَاكَ راحلتي وزادِي (٤)

وقول أبى الطيب :

وإنـى عنك بعـد غَدٍ لَغَادِى   وقلبى عن فِنائكَ غير غَادِ (٥)

مُحِبُّكَ حيثما اتَّجَهَتْ ركابِى   وَضَيْفُكَ حيثُ كُنتُ من البِـلادِ

الإلمام أو السلخ : وإن كان المأخوذ المعنى وحده سُمى إلْماماً وسَلْخاً ، وهو ثلاثة أقسام كذلك (٦) :

أولها كقول البحترى :

---

(١) قوله « لها » جار ومجرور مفعول ثان لوجدت ، وسبلا : مفعول أول ، ويجوز أن يكون « لها » اسم جنس جمعي واحده لهاة فيكون فاعل « وجدت » : « المنايا » مضاف إليه ، واللهاة : اللحمة المطبقة فى أقصى سقف الحلق ، والمراد بها الفم من إطلاق اسم الجزء على الكل ، وقد أثبتها للمنايا على سبيل التخييل .

(٢) هو ما كان الثانى فيه مثل الأول .

(٣) الخطاب لمدوحه أحمد بن أبى دؤاد . الأمانى : جمع أمنية وهى البغية ، وقوله «قلقت » بمعنى اضطربت فى السفر ، والركاب : الإبل ، يعنى أن فكره لا يتجه إلا إليه

(٤) الآفاق : النواحى جمع أفق ، والجدوى : العطية ، والراحلة : القوى من الإبل على الأحمال والأسفار .

(٥) الخطاب لمدوحه على بن إبراهيم التنوخى . والغادى : المسافر فى الغداة وهى أول النهار ، والفناء : الساحة أمام البيت .

(٦) أى كالإغارة والمسخ ، وهى أن يكون الثانى أبلغ من الأول أو دونه أو مثله .

تَصُدُّ حياءً أَنْ تراك بأَوْجُهٍ أتى الذَّنْبَ عاصيها فَلِيمَ مُطِيعُها (١)

وقول أبى الطيب :

وجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهاءُ قوم وحَلَّ بغير جَارِمِهِ العذابُ (٢)

فإن بيت أبى الطيب أحسن سبكا (٣) وكأنه اقتبسه من قوله تعالى : ﴿ أَتُهْلِكُنا بِمَا فَعلَ السُّفَهاءُ منَّا ﴾ (٤) . وقول الآخر :

ولستُ بنظَّار إلى جانب الغنى إذا كانتِ العلياءُ فى جانب الفقرِ (٥)

وقول أبى تمام بعده :

يصدُّ عن الدنيا إذا عنَّ سُؤْدَدٌ ولَوْ بَرزَتْ فى زىٍّ عذراءَ ناهدِ

فبيت أبى تمام أخصر وأبلغ ، لأن قوله « ولو برزت فى زى عذراء ناهد » زيادةٌ حسنة (٦) . وكقول أبى تمام :

---

(١) هو من قصيدة له يمدح فيها المتوكل ويذكر صلح بنى تغلب ، وقوله « تصد » بمعنى تصرف وفاعله ضمير مستتر جوازاً يعود على تغلب ، وقوله « حياء » مفعول لأجله ، والخطاب فى « تراك » للمتوكل ، وقوله « ليم » فعل مبنى للمجهول من اللوم وهو العذل .

(٢) الجرم : الذنب وهو معطوف على قوله قبله :

وكم ذنب مُوَلِّدُهُ دلالٌ وكم بُعد مولدِه اقترابُ

وقوله « جره » بمعنى ارتكبه ، والجارم : الكاسب .

(٣) لأنه وصف مرتكب الجرم بالسفاهة ، ولم يصف من أوخذ به بالطاعة المنافية للمؤاخذة ، وإنما يؤاخذ غير السفهاء بفعلهم لأنه لم يمنعهم منه .

(٤) الأعراف : ١٥٥ ، وإنما لم يكن اقتباساً صرفاً للاختلاف بينهما .

(٥) سبق هو وبيت أبى تمام فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثانى .

(٦) هذا علة لكونه أخصر وأبلغ ، لأن كون ذلك زيادة يشير إلى أن الشطر الأول من بيت أبى تمام يفيد ما أفاده البيت الأولى بشطريه فيكون أخصر ، وأما كونه أبلغ فلهذه الزيادة ، ولقوله « عن الدنيا » بدل قول الأول : « ولست بنظار إلى جانب الغنى » لأن الصدّ عن الدنيا أبلغ من عدم النظر إليها .

هو الصُنعُ إن يعجَلْ فخَيْرٌ وإن يَرِثْ ... فللرَّيْثُ فى بعض المواضع أنْفَعُ (١)

وقول أبى الطيب :

ومِن الخَير بَطْءُ سَيْبِك عَنِّى ... أسْرَعُ السُحْبِ فى المَسيرِ الجَهَامُ (٢)

فبيتَ أبى الطيب أبلغ لاشتماله على زيادة بيان (٣) .

وثانيها كقول بعض الأعراب :

وَريحُهَا أطيَبُ مِنْ طِيبِهَا ... والطيبُ فيه المِسْكُ وَالعَنْبَرُ (٤)

وقول بشار :

وإذا أدْنَيْتَ منها بَصَلاً ... غَلَبَ المِسْكُ عَلَى ريحِ البَصَل (٥)

وقول أشجع :

وعى عدُوِّك يا ابن عَمِّ مُحَمَّدٍ ... رَصَدانِ ضَـوءُ الصبح والإظْلامُ
فإذا تَنَبَّهَ رُعْتَـــهُ وإذا هَـــدَأ ... سَلَّتْ عليه سُيوفَكَ الأحْلامُ (٦)

---

(١) « هو » ضمير الشأن ، والصنع : بمعنى الإحسان مبتدأ خبره جملة الشرط ، وجملة ذلك خبر ضمير الشأن ، ويجوز أن يكون « هو » عائداً إلى حاضر فى الذهن والصنع خبره والشرط استئناف ، وقوله « يرث » بمعنى يبطىء ، والبيت من قصيدة له فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف .

(٢) هو من قصيدة له فى مدح على بن أحمد الخراسانى . والسيب : العطاء ، والجهام : السحاب الذى لا ماء فيه أو الذى هراق ماءه .

(٣) وجهه أنه ضرب المثلَ بالسحاب ، فكأنه دعوى بدليلها ، بخلاف ما قبله .

(٤) لا يعرف قائله ، ويعنى بقوله « وريحها » ريح فمها أو نحوه ، والواو فى قوله « والطيب » للحال .

(٥) هو لبشار بن برد ، وإنما كان هذا دون ما قبله لأنه جعل الفضل فى الغلب على ريح البصل للمسك ، لا لرائحتها ، وهذا إلى ما فيه من قبح إدناء البصل منها . وقبل البيت :

إنما عَظْمُ سليمَى حبتى ... قصبِ السكر لا عظمُ الجَمَلْ

وهذا من شعره الضعيف .

(٦) هما لأشجع بن عمرو السلمى في مدح هارون الرشيد ، ورصدان : رقيبان ، وقوله « تنبه » بمعنى تيقظ من نومه ، وقوله « رعته » بمعنى أفزعته . وقوله « هدأ » مخفف هدأ بمعنى نام ، وقوله « سلت » بمعنى شهرت ، وفى البيت الأول توشيع ، وفى الثانى لف ونشر مرتب .

وقال أبو الطيب :

يَرَى في النومِ رُمْحَكَ في كُلاَهُ ... ويَخْشى أنْ يراهُ في السُّهَادِ [١]

فَقَصَّرَ بذكر « السهاد » لأنه أراد اليقظة ليطابق بها النوم فأخطأ ، إذ ليس كل يقظة سهاداً ، وإنما السُّهادُ امتناع الكَرَى في الليل ، وأما المستيقظ بالنهار فلا يسمى ساهداً . وكقول البحتري :

وإذا تألَّقَ في النَّديّ كلامهُ المَصْـ ... ـقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِن عَضْبِهِ [٢]

وقول أبي الطيب :

كأنَّ ألْسنَهُمْ في النُّطْق قد جُعِلتْ ... عَلَى رِمَاحِهِم في الطَّعْنِ خُرْصَانَا [٣]

فإن أبا الطيب فاته ما أفاده البحتري بلفظي « تألق » و « المصقول » من الاستعارة التخييلية [٤] . كقول الخنساء :

وما بلغ المهدُون للناس مِدْحَةً ... وإن أطنبوا إلا وما فيك أفْضَل [٥]

---

(١) هو من قصيدة له في مدح علي بن إبراهيم التنوخي ، وضمير « يرى » للجبان في قوله قبله :

وكيف يبيتُ مضطجعاً جبانٌ ... فُرِشتْ لجنبه شوكُ القتاد

والكلية أو الكلوة : لحمة منتبرة لازقة بعظم الصلب عند الخاصرة .

(٢) هو من قصيدة له في مدح الحسن بن وهب . وقوله « تألق » بمعنى لمع ، وإثباته لكلامه تخييل ، والندى : مجلس أشراف القوم ، المصقول : المجلو وهو ترشيح لاستعارة السيف لكلامه ، والعضب : السيف القاطع . ولا يخفى ما في التصريح بالتشبيه بعد الاستعارة من القبح .

(٣) الخرصان : جمع خرْص وهو سنان الرمح أو الرمح نفسه ، والمراد هنا الأول ، يعني أن ألسنتهم عند النطق في المضاء تشبه أسنة رماحهم عند الطعن ، وضمير «ألسنهم » يعود إلى بني الحسن قوم ممدوحه سعيد بن عبد الله في قوله قبل البيت :

جزى بني الحسن الحسنَى فإنهم ... في قومهم مثلهم في الغُرّ عدنانا

(٤) الحق أن « تألق » تخييل ، وأن « المصقول » ترشيح كما سبق .

(٥) هو لتماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء ، وقولها « مدحة » مفعول «المهدون » ، ومفعول « بلغ » هو المستثنى منه المحذوف أي : حالا من الأحوال .

وقول أشجع :

وما ترك المُدَّاحُ فيكَ مقالةً ... ولا قال - إلاّ دُونَ ما فيك - قائل [1]

فإن بيت الخنساء أحسن من بيت أشجع لمَا فى مصراعه الثانى من التعقيد ، إذ تقديره - ولا قال قائل إلا دون ما فيك [2] .

وثالثها كقول الأعرابى :

ولم يَكُ أكثرَ الفِتْيَانِ مالاً ... ولكنْ كان أرْحَبَهُمْ ذِراعَا [3]

وقول أشجع :

وليس بأوْسَعهم فى الغِنَى ... ولكنَّ مَعْروفَهُ أوْسَعُ [4]

وكذا قول بكر بن النطّاح :

كأنكَ عند الكرِّ فى حَوْمَةِ الْوَغَى ... تَفِرُّ من الصَّفِّ الذى من وَرَائِكا [5]

وقول أبى الطيب :

فكأنهُ والطعنُ من قُدّامِهِ ... مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أن يُطْعَنَا [6]

---

(١) هو لأشجع بن عمرو السلمى . ومعناه أن مُداحه لم يتركوا مقالة فى مدحه ، ومع هذا لم يبلغوا ما يستحقه .

(٢) لا يخفى أن هذا لا يعد تعقيداً ، لأنه لا يحصل بمثل تقديم المستثنى وحده ، والمستثنى منه محذوف ، والتقدير « ولا قال قائل قولا إلا قولا دون ما فيك » .

(٣) هو لأبى زياد يزيد بن الحر الأعرابى فى مدح العباس بن محمد ، وقيل : إنه لموسى شهوات فى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وقوله « أرحبهم ذراعاً » بمعنى أوسعهم ، وهو كناية عن سخائه .

(٤) هو لأشجع بن عمرو السلمى ، واسم « ليس » يعود على جعفر بن يحيى فى قوله:

يروم الملوكُ مدى جعفرٍ ... ولا يصنعون كما يصنَعُ

وقيل : إن بيت الأعرابى أجود لدلالته على السخاء بطريق الكناية وهى أبلغ من الحقيقة .

(٥) الكر : الحمل على العدو فى الحرب ، وحومة الشىء : معظمه ، والوغى : الحرب ، والمراد أنه فى سرعة حمله مثل الفارّ من ذلك الصف .

(٦) هو من قصيدة له فى مدح بدر بن عمار ، وقبله :

نيطتْ حمائله بعاتق محْرَبٍ ... ما كرَّ قطُّ وهل يكرُّ وما انثنَى

والواو فى قوله « والطعن » للحال ، وقوله « من خلفه » متعلق بقوله « يطعن » يعنى أنه لشدة إقدامه لا يلتفت خلفه .

وكذا قول الآخر يذكر ابناً له مات :

والصبر يُحْمَدُ فى المواطن كلّها ... إلاّ عليك فَإنهُ مَذْمُومُ (١)

وقول أبى تمام بعده :

وقد كان يُدْعَى لابِسُ الصبرِ حَازماً ... فأصبح يُدْعَى حازماً حين يَجْزَعُ (٢)

أقسام السرقة غير الظاهرة : وأما غير الظاهر فمنه أن يتشابه معنى الأول ومعنى الثانى (٣) كقول الطِّرمَّاحِ بن حكيم الطَّائيِّ :

لقد زادَنى حُبًّا لنفسِىَ أننى ... بَغيضٌ إلى كلِّ امرىءٍ غير طَائلِ (٤)

وقول أبى الطيب :

وإذا أتتكَ مَذَمَّتى من نَاقِصٍ ... فهْىَ الشهادةُ لى بأنِّىَ كاملُ (٥)

فإنّ ذم الناقص أبا الطيب كبغض مَن هو غير طائل الطرِّماح ، وشهادة ذم الناقص أبا الطيب كزيادة حب الطرماح لنفسه .

وكذلك قول أبى العلاء المعرِّى فى مرثية :

وما كُلْفَةُ البدرِ المنير قَدِيمَةٌ ... ولكنَّها فى وجهه أثَرُ اللَّطْمِ (٦)

---

(١) هو لمحمد بن عبيد الله المعروف بالعتبى فى رثاء ابن له . والمواطن : جمع موطن وهو الموضع ، وقوله « إلا عليك » تقديره إلا فى موطن يصبر فيه عليك .

(٢) الحازم : من يضع الأمور فى مواضعها ، وقد جعل من يجزع على من يرثيه حازماً لأنه وضع جزعه فى موضعه ، وفى قوله « لابس الصبر » استعارة بالكناية .

(٣) قيده بعضهم بأن يكون من غير نقل للمعنى إلى محل آخر ، وبهذا يباين القسم الذى بعده ، ولكن الظاهر مما سيأتى أن الخطيب لا يقيده بهذا القيد ، فيكون أعم مما بعده .

(٤) البغيض : المكروه ، وغير الطائل : الذى لا فائدة فيه .

(٥) مذمتى : من إضافة المصدر لمفعوله ، وقد أخذه قبله أبو تمام ومروان ابن حفصة فى قولهما :

لقد آسفَ الأعداءَ فضلُ ابن يوسف ... وذو النقص فى الدنيا بذى الفضلُ مُولَعُ

ما ضرَّنى حسدُ اللئام ولم يزلْ ... ذو الفضل يحسده ذَوُو التقصير

(٦) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى فى رثاء أبى إبراهيم العلوى . والكلفة : حمرة يخالطها سواد ، يعنى أن كلفة البدر من لطمه خدّه على من يرثيه لحزنه عليه . ورواية الديوان « أثر اللدم » واللدم : ضرب المرأة وجهها باليد كاللطم ، ويقال أيضاً : لدمت النائحة صدرها وعضديها .

وقول القَيسرانيّ :

وأهْوَى الذى أهوَى له البَدْرُ ساجداً　　ألسْتَ ترَى فى وجهه أثَرَ التُّربِ (١)

وأوضح من ذلك قول جرير :

فلا يمْنَعكَ مِن أرَبٍ لِحاهُمْ　　سواءٌ ذو العمامةِ والخِمَارِ (٢)

وقول أبى الطيب :

ومَن في كَفِّهِ منهم قَناةٌ　　كمن فى كفه منهم خِضَابُ (٣)

ولا يغرك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيباً والآخر مديحاً أو هجاء أو افتخاراً أو غير ذلك (٤) ؛ فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المُخْتَلس لينظمه تحيَّل فى إخفائه ، فَغيَّرَ لفظه وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته .

ومنه النقل : وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محله ، كقول البحترى :

سُلِبُوا وأشرَقَتِ الدِّمَاءُ عَليهمُ　　مُحْمَرَّةً فكأنهم لم يُسْلَبُوا (٥)

---

(١) هو لأبى عبد الله محمد بن نصر المعروف بابن القيسرانى نسبة إلى قيسرية . وقوله « أهوى » مضارع بمعنى أحب ، وقد أعاده ثانيا بمعنى سقط وهو من الجناس التام والترب : التراب ، والمراد بأثره فى وجه البدر كلفته ، والمراد بوجهه ما يبدو لنا منه . والشاهد فى الشطر الثانى من هذا البيت مع الشطر الثانى من البيت الأول .

(٢) قبله :

إذا ما كنتَ ملتمساً نكاحاً　　فلا تعدلْ بجمع بنى ضرار

والأرب : الحاجة ، واللحى : جمع لحية وهى شعر الخدين والذَّقن ، وذو العمامة : الرجل ، وذات الخمار : المرأة ، وفى قوله « ذو العمامة والخمار » تغليب ، وهذا من أفحش الهجاء .

(٣) هو من قصيدة له ذكر فيها ما أوقعه سيف الدولة ببنى كلاب . والقناة : الرمح ، والخضاب : صبغ الحناء ، والحق أن السرقة فى هذا ظاهرة ، لأخذ أبى الطيب المعنى بنفسه من غير تصرف فيه ، وتشابه المعنيين إنما يكون مع شيء من التغاير بينهما .

(٤) هذا هو الذى يظهر منه أن الخطيب لا يقيد هذا القسم بما قيده بعضهم به فيما سبق ، والأولى تقييده به ليباين ما بعده .

(٥) هو من قصيدة له فى مدح إسحاق بن إبراهيم يذكر فيها وقعته بالخُرَّمية . وقوله « سلبوا » بمعنى جردوا من ثيابهم ، وقوله « أشرقت » بمعنى ظهرت أو لمعت .

نقله أبو الطيب إلى السيف فقال :

يَبِسَ النَّجيعُ عليه وهُوَ مُجَرَّدٌ عن غِمْدِهِ فكأنما هو مُغْمَدُ (١)

ومنه : أن يكون معنى الثانى أشمل من معنى الأول ، كقول جرير :

إذا غَضِبَتْ عليك بنو تَمِيم وَجَدْتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضَابًا (٢)

وقول أبى نُواس :

ليسَ على اللّه بِمُستَنْكَرٍ أن يَجمع العَالَمَ فى وَاحِدِ (٣)

ومنه القلب : وهو أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول ، سُمِّى بذلك لقلب المعنى إلى نقيضه ، كقول أبى الشّيص :

أجِدُ المَلامَةَ فى هواكِ لذيذةً حُبًّا لذكرِكِ فَلْيَلُمنى اللُّوَّمُ (٤)

وقول أبى الطيب :

أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فيه مَلامَةً إنَّ الملامةَ فيه من أعْدَائِهِ (٥)

---

(١) النجيع : الدم المائل إلى سواد ، والغمد : قراب السيف ، وقبله :

وصُن الحسامَ ولا تذله فإنه يشكو يمينك والجماجمُ تشهدُ

(٢) يعنى أنهم بمنزلة كل الناس ، فإن غضبوا فكأن كل الناس قد غضبوا .

(٣) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس . ويعنى بالواحد هارون الرشيد الوارد فى قوله قبله :

قُولا لهارونَ إمامِ الهدى عند احتفال المجلس الحاشد

ووجه كون بيت أبى نواس أشمل أن العالم فيه يشمل الإنس والجن والملائكة ولكن يجوز أن يكون مراد جرير أن الناس تبعٌ لبنى تميم فى غضبهم لا أنهم كل الناس ، وهذا معنى غير معنى بيت أبى نواس .

(٤) هو لمحمد بن رزين الخزاعى المعروف بأبى الشيص . واللوم : جمع لائم ، وفى استحسانه ملامته فى هواها من أجل ذكرها حسن وطرافة ، وهو فى هذا أرق من بيت أبى الطيب .

(٥) قبله :

القلب أعلم يا عـــذولُ بدائـــه وأحقُّ منك بجفنـه وبمائـه

فوَمَن أحبُّ لأعصينك فى الهوى قسماً به وبِحسنِه وبهائه

وكذا قول أبى الطيب أيضاً :

والجراحاتُ عنده نغماتٌ ... سُبِقَتْ قبل سَيْبِهِ بسؤالِ (١)

فإنه ناقض به قول أبى تمام :

وَنغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاهُ أَحْلَى ... على أُذُنَيْهِ من نَغَمِ السَّماعِ (٢)

وقد تبعه البحترى فقال :

نَشوانُ يَطْرَبُ للسُّؤال كأنما ... غَنَّاهُ مَالكُ طَيِّءٍ أو معْبَدُ (٣)

ومنه : أن يؤخَذَ بعضُ المعنى ويضاف إليه زيادة تحسنه ، كقول الأفْوَه الأوْدِيِّ :

وَترَى الطيرَ على آثارِنا ... رَأْيَ عينٍ ثِقَةً أن ستُمارُ (٤)

وقول أبى تمام :

وقد ظُلِّلَتْ عِقْبَانُ أعلامه ضُحًى ... بِعِقْبان طَيْرٍ فى الدِّمَاءِ نواهِلِ

أقامتْ مع الرَّاياتِ حتى كأنها ... مِن الجيش إلاّ أنها لم تُقاتل (٥)

---

(١) هو من قصيدة له فى مدح عبد الرحمن بن المبارك . والنغمات : جمع نغمة ، ويقال « ناغمه » كلمه كلاماً رقيقاً أو حسنا ، والسيب : العطاء ، يعنى أن نغمات السؤال تؤثر فى الممدوح وتؤذيه كالجراحات فيعطى من غير سؤال ، وهذا من التشبيه المقلوب .

(٢) هو من قصيدة له فى مدح ابن أصرم ، والمعتفى : الطالب ، والجدوى : العطية ، يريد بالسماع ما يحسن سماعه كالعود ونحوه .

(٣) هو من قصيدة له فى مدح أبى أيوب ابن أخت أبى الوزير . والنشوان : السكران من شدة الطرب ، ومالك طيء : هو مالك بن أبى السمح المغنى ، ومعبد : هو معبد ابن وهب وقيل ابن قطنى مولى العاص بن وابصة المخزومى ، وهو مغن أيضا .

(٤) هو لصلاءة بن عمرو المعروف بالأفوه الأودى ، وقوله « ثقة » حال أى واثقة أو مفعول لأجله ، وقوله « ستمار » بمعنى ستطعم ؛ يعنى أنها تتبعهم عند خروجهم للحرب واثقة بذلك .

(٥) هما من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ويذكر وقعة الأفشين ببابك الخرمى . وعقبان الأعلام : جمع عقاب وهو الراية الضخمة من إضافة العام للخاص ؛ وعقبان الطير: جمع عقاب وهو طائر معروف ؛ وفى اللفظين جناس تام ؛ والنواهل : جمع ناهلة وهو اسم فاعل من « نهل » بمعنى روى .

فإن الأفوه أفاد بقوله « رأى عين » قُربَها ، لأنها إذا بعدتْ تُخُيِّلت ولم تُرَ ، وإنما يكون قربها توقعاً للفَرِيسة ، وهذا يؤكد المعنى المقصود ، ثم قال « ثقةً أن ستمار » فجعلها واثقا بالمِيرةَ ، وأماَ أبو تمام فلم يُلمّ بشيء من ذلك [١] لكن زاد على الأفوه بقوله « فى الدماء نَواهل » ثم بإقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش ، وبذلك يتم حسن قوله « إلا أنها لم تقاتل » وهذه الزيادات حَسَّنَتْ قوله ، وإن كان قد ترك بعض ما أتى به الأفوه .

وهذه الأنواع [٢] ونحوها أكثرها مقبولة ، ومنها ما أخرجه حسن التصرف من سبيلِ الأخذ والاتباع ، إلى حَيِّزِ الاختراع والابتداع ، وكلما كان أشدَّ خفاءً كان أقربَ إلى القبول .

هذا كله [٣] إذا عُلِمَ أن الثانى أخذ من الأول ، وهذا لا يُعْلَمُ إلا أن يُعْلَمَ أنه كان يحفظ قولَ الأول حين نظم قوله ، أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذه منه ، لجواز أن يكون الاتفاق من قَبيل تَوَارُد الخواطر ، أى مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ والسرقة ، كما يُحكَى عن ابن مَيَّادَةَ أنه أنشد لنفسه :

مُفِيدٌ ومِتْلافٌ إذا ما أتَيْتَهُ ... تَهلَّل واهْتَزَّ اهتزازَ الْمهنَّدِ [٤]

فقيل له : أين يُذهب بك ؟ هذا للحُطيئة [٥] . فقال : « الآن علمتُ أنى شاعر ، إذ وافقتُه على قوله ولم أسمعه » .

---

(١) يردّ على هذا أن قوله « أقامت مع الرايات » يفيد أيضاً قربها منهم ؛ فالحق أن الذى لم يلم به هو قوله « ثقة أن ستمار » .

(٢) يعنى الأنواع الخمسة لغير الظاهر ؛ ونحوها هو غيرها مما يندرج فيه ؛ والحق أنها مقبوله من جهة الأخذ ؛ فإن اعتراها ردّ كان من جهة أخرى غيره .

(٣) يشير إلى ما ذكر فى الأخذ بقسميه من ادعاء السبق وأخذ الثانى من الأول ، وكونه مقبولا أو مردوداً .

(٤) هو للرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة . والمفيد : الذى يعطى أمواله للناس ، والمتلاف : الذى يتلف أمواله على نفسه ، وقوله « تهلل » بمعنى أشرق وجهه ، والمهند : السيف المصنوع من حديد الهند .

(٥) هو من قصيدة له فى مدح بغيض بن عامر بن شماس مطلعها :

آثرْتُ إدلاجى على ليلِ حُرَّةٍ ... هضيم الحشا حسَّانة المتجرَّدِ

ولهذا لا ينبغى لأحدٍ بَتُّ الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال ، وإلاّ [١] فالذى ينبغى أن يقال : قال فلان كذا وقد سبقهُ إليه فلان فقال كذا . فيغتنم به فضيلة الصدق ، ويسلم من دعوى العلم بالغيب ونسبة النقص إلى الغير .

ما يتصل بالسرقات الشعرية

ومما يتصل بهذا الفن القول فى الاقتباس ، والتضمين ، والعقد ، والحل ، والتلميح .

* أما الاقتباس فهو أن يُضَمَّنَ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه [٢] كقول الحريرى : « فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب [٣] حتى أنشدَ فأغرب » . وقوله : « أنا أنبئكم بتأويله [٤] ، وأميز صحيح القول من عليله » . وقول ابن نُبَاتةَ الخطيب : « فيأيُّها الغَفَلَةُ المطرقون ، أمَا أنتم بهذا الحديث مصدِّقون ، ما لكم لا تشفقون ؟ فوربِّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » [٥] . وقوله أيضاً من خطبة أخرى ذكر فيها القيامة : « هناك يُرْفَعُ الحجاب ، ويوضع الكتاب ، ويُجمعَ مَن وجب له الثواب ، وحقَّ عليه العقاب ، فيُضرَب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبَله العذاب » [٦] . وقول القاضى الفاضل وقد ذكر الإفْرَنْجَ : « وغضبوا زادهم اللّهَ غضباً ، وأوقدوا ناراً للحرب جعلهم اللّه لها حطباً » [٧] . وكقول الحماسى :

إذا رُمْتُ عنهــا سَــلْوَةً قال شــافعٌ   مِن الحب : ميعاد السُّلوّ المَقَابرُ
سَتَبْقَى لها فى مُضْمَرِ القلب والحشا   سَريرَةُ وَدٌّ يوم تُبلَى السَّرائرُ [٨]

---

(١) أى وإن لم يعلم الحال .

(٢) بأن يكون خالياً من الإشعار بذلك ، والإشعار به كأن يقال : قال اللّه تعالى كذا ونحوه .

(٣) مقتبس من النمل : ٧٧

(٤) مقتبس من يوسف : ٥٥

(٥) مقتبس من الذاريات : ٢٤

(٦) مقتبس من الحديد : ١٣

(٧) مقتبس من المائدة : ٦٤

(٨) هما للأحوص بن محمد الأنصارى ، وقوله « رمت » بمعنى أردت ، ومضمر القلب : مستوره ، والحشا : ما انضمت عليه الضلوع ، وقوله « تبلى » بمعنى تختبر أو تظهر ، والسرائر : الخبايا ، والشاهد فى قوله « يوم تبلى السرائر » فإنه مقتبس مَن الطارق ٨ .

وقول أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى :

لآل فريغونَ فى المَكْرُمات ... يَـــدٌ أولاً واعتذارٌ أخـــيرا

إذا مَـــا حَلَلْتَ بمَغنـــاهُمُ ... رأيتَ نَعيماً ومُلْكاً كبيرا (١)

وقول الأبيوَرْدِى :

وقصائدٍ مثْـــلِ الرياض أضَعتُها ... فــى بَاخلٍ ضاعتْ به الأحْســابُ

فإذا تناشدهَا الرُّوَاةُ وأبصروا ... المَمْدُوحَ قالوا : سَاحِرٌ كَذَّابُ (٢)

وقول الآخر :

لا تُعاشِرْ معشراً ضَلُّوا الهُدى ... فســـواءٌ أقبلـــوا أو أدبَرُوا

بدَتِ البغضاءُ من أفواههـــم ... والذى يُخْفُونَ منها أكْبَرُ (٣)

وقوله :

خَلّةُ الغانيات خَلّةُ سَوءٍ ... فاتقـــوا اللّه يَا أُولِـــى الألباب

وإذا ما سألتموهُنَّ شيئاً ... فاسألوهُنّ مِنْ وراءِ حِجَابٍ (٤)

---

(١) هما لأبى الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذانى ، وقد سبق التعريف بآل فريغون فى الكلام على السجع القصير ، واليد : مجاز عن الأثر الحسن ، والمغنى : محل الإقامة ، والشاهد فى آخر البيت الثانى ، فإنه مقتبس من سورة الإنسان : ٢٠

(٢) هما لأبى المظفر محمد بن أحمد المعروف بالأبيوردى ، والباخل : المانع الممسك ، والأحساب : جمع حسب وهو شرف الأصل ، والرواة : حفاظ الشعر ونقاده ، وإنما يرمونه بالسحر لأنه يصور الباطل حقاً كالساحر . والشاهد فى قوله « قالوا ساحر كذاب » فإنه مقتبس من سورة غافر : ٢٤ .

(٣) هما لمحمد الشجاعى ؛ وقوله « ضلوا الهدى » بمعنى لم يهتدوا إليها ؛ وقوله «بدت » بمعنى ظهرت ؛ والشاهد فى قوله « بدت البغضاء من أفواههم » فإنه مقتبس من سورة آل عمران : ١١٨ .

(٤) هما لأبى منصور عبد الرحمن بن سعيد . والخلة : الخصلة ، والغانيات : النساء الحسان ، والألباب : العقول الذكية . والشاهد فى قوله : ﴿ فاتقوا اللّه يا أولى الألباب ﴾ ﴿ فاسألوهن من وراء حجاب ﴾ . والأول مقتبس من سورة المائدة : ١٠٠ ، والثانى مقتبس من سورة الأحزاب : ٥٣

وقول الآخر :

إن كُنْت أزْمَعْتِ على هجرِنا ... مِن غَيْرِ مَا جرْمٌ فَصَبْرٌ جَميلْ

وإن تَبَدَّلْتِ بنا غَيْرَنا ... فَحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيلْ (١)

وكقول الحريرى : « وكتمان الفقر زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر عبادة » فإن قوله « انتظار الفرج بالصبر عبادة » لفظ الحديث ، وقوله : « قلنا : شاهت الوجوه وَقُبِّحَ اللُّكَعُ ومن يرجوه » . فإن قوله « شاهت الوجوه » لفظ الحديث ، فإنه روى أنه لَمَّا اشتدت الحرب يوم حُنَيْنٍ أخذ النبى ﷺ كَفًّا من الحصباء فرمى بها فى وجوه المشركين وقال « شاهت الوجوه » أى قبحت ، واللكع قيل : هو اللئيم ، وقال أبو عبيد : هو العبد . وكقول ابن عَبَّادٍ :

قالَ لى : إنّ رَقيبِى ... سَيِّءُ الْخُلقِ فَدارِه

قلتُ : دَعْنِى وَوَجْهُكَ الْجَنَّـ ... ـةُ حُفَّتْ بالمكارِه (٢)

اقتبس من لفظ الحديث « حُفَّتْ الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » .

والاقتباس منه ما لا يُنْقلُ فيه اللفظ الْمُقْتَبَسُ عن معناه الأصلى إلى معنى آخر كما تقدم ، ومنه ما هو بخلاف ذلك (٣) كقول ابن الرومى :

لَئِنْ أَخْطأتُ فى مَدْحِيكَ ... ما أخطأتَ في مَدْحِى

لقدْ أنزلْتُ حاجاتى ... بِوادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ (٤)

---

(١) هما لأبى القاسم بن الحسن الكاتبى . وقوله « أزمعت » بمعنى عزمت ؛ والجرم الذنب ؛ وقوله « حسبنا » بمعنى كافينا . والوكيل : المفوض إليه فى الشدائد وغيرها . والشاهد فى قوله « فصبر جميل » ؛ « فحسبنا الله ونعم الوكيل » – والأول مقتبس من سورة الرعد : ١٨ ؛ والثانى مقتبس من سورة آل عمران : ١٧٣ .

(٢) هما للصاحب إسماعيل بن عباد ؛ والضمير فى « قال » للمحبوب ؛ والرقيب : الحارس . وقوله « داره » بمعنى لاطفه . وقوله « حفت » بمعنى أحيطت .

(٣) أى ما ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلى إلى معنى آخر ، وبهذا يكون مجازاً بطريق من طرقه المعروفة .

(٤) هما لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى ، وقيل : إنهما لإسماعيل القراطيسى ، وإنما خَطّأ نفسه فى مدحه لأنه لا يستحق المدح ، ولم يخطئه فى منعه لأن مادح من لا يستحق المدح لا يستحق العطاء ، والشاهد فى أن المراد بالوادى هنا الجناب الذى لا خير فيه على سبيل الاستعارة ، وهو غير المراد منه فى سورة هود : ٣٧ .

ولا بأس بتغيير يسير لأجل الوزن أو غيره [1] كقول بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه :

قد كان ما خِفْتُ أن يكُونَا ... إنَّا إلى اللّهِ راجِعُونَا [2]

وقول عمر الخيّام :

سَبقْتُ العَالَمينَ إلــى المَعالى ... بصائبِ فكرةٍ وَعلوِّ همّةْ [3]
وَلاَحَ بحكمتى نُورُ الهُدَى فى ... ليَالٍ للضَّـلالَةِ مُدلَهِمّةْ [4]
يريـد الجاهلـون ليُطفئوهُ ... وَيَأْبَى اللّهُ إلا أن يُتمَّه [5]

وكقول القاضى منصور الهَرَوىّ الأزْدِىّ :

فلو كانت الأخلاقُ تُحْـوَى وِراثَةً ... ولـوْ كانتْ الآرَاءُ لا تَتَشَعَّبُ [6]
لأصبح كلُّ الناس قد ضمهُمْ هَوًى ... كما أنَّ كلَّ الناس قد ضمهم أبُ [7]
وَلَكِنَّهـا الأقدارُ كلٌّ مُيَسَّـرٌ ... لَما هـو مخلوقٌ لـه ومُقَـرَّبُ

اقتبس من لفظ الحديث « اعملوا كُلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِق له » .

---

(١) يعنى أن هذا لا يضر فى تسميته اقتباساً ، فإذا كثر التغيير كان من العقد الآتى .

(٢) هو للوزير أبى العلاء بن أورق فى رثاء الرئيس أبى عبد الرحمن محمد بن طاهر ، وظاهر كلام الخطيب أن البيت له ، والحق أنه لأبى تمام فى رثاء ابنه ، ولعل هذا الوزير استشهد به فى ذلك ، وقوله « كان » بمعنى وجد ، فهى تامة ، والشاهد فى ذلك مقتبس مع تغيير يسير من سورة البقرة : ١٥٦ .

(٣) العالمون : جمع عالَم وهو اسم لذوى العلم أو لكل ما علم اللّه به ، وقد جمع جمعاً صحيحاً لما فيه من معنى الصفة وهى العلم .

(٤) المدلهمة : الشديدة السواد وهو ترشيح لاستعارة ظلمة الليالى لخفاء الضلالة ، وذكر الضلالة معها غير حسن لأنه ينبىء عن التشبيه المنافى لدعوى الاستعارة .

(٥) الشاهد فى أن هذا مقتبس مع تغيير يسير من سورة التوبة : ٣٢ .

(٦) قوله « تحوى » بمعنى تحرز وتملك ، وقوله « تتشعب » بمعنى تتفرع وتختلف .

(٧) قوله « ضمهم » بمعنى جمعهم ، والهوى : الميل .

التضمين : وأما التضمين فهو أن يُضَمّنَ الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء (١) كقول بعض المتأخرين (قيل هو ابن التلميذ الطبيب النصراني) :

كانت بُلَهْنِيةُ الشَّبيبَةِ سَكْرَةً | فصحوتُ واستبدلتُ سِيرَةَ مُجْمِلِ
وقعدتُ أنتظر الفَناء كراكبٍ | عَرَفَ المَحلَّ فبات دون المنزلِ (٢)

البيت الثاني لمسلم بن الوليد الأنصاري . وقول عبد القاهر بن طاهر التميمي :

إذا ضاق صدري وَخِفْتُ العِدى | تَمثَّلْتُ بيتــــا بحالــى يَليــقْ
فَبِاللَّهِ أبْلُغُ مــا أرتجـــى | وباللّه أدفعُ مَا لاَ أُطيقْ (٣)

وقول ابن العميد :

وَصاحِبٍ كنتُ مغبــوطا بِصُحبَتِهِ | دَهْــراً فغادرنــى فَرْداً بــلا سَـكَنِ
هَبَّتْ له ريـح إقبَالٍ فطـار بها | نحو الســرور وَألْجَانــى إلــى الْحَزَنِ
كأنَّهُ كــان مَطْويًّا على إحَنٍ | ولم يكن فى ضروب الشعر أنشَدَنِى (٤)
إنّ الكرامَ إذا ما أسْهلوا ذكـروا | مَن كان يألفهم فــى المنزل الخشِـنِ

---

(١) بهذا التنبيه يتميز التضمين عن الأخذ والسرقة .

(٢) هما لأبى الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ . والبلهنية : رخاء العيش ، والمجمل : المحسن فى عمله والمترفق ، والفناء : الموت ، ودون : بمعنى قريب .

(٣) البيت الأول لعبد القاهر بن طاهر المعروف بأبى منصور البغدادى وهو من كبار الشافعية ، والبيت الثانى المضمن لا يعرف قائله .

(٤) الأبيات الثلاثة لمحمد بن الحسين المعروف بابن العميد . والرواية الصحيحة «وصاحبا » لأنه معطوف على « زمانا » فى قوله قبله :

أشكو إليك زمانا ظلّ يعركنى | عركَ الأديم ومَن يعدو على الزمن

والمغبوط : المسرور ، والسكن : ما يسكن إليه ويستأنس به ، والإقبال : قدوم الدنيا بالخير ، وقوله « ألجانى » مخفف ألجأنى ، والإحَن : جمع إحنة وهى العداوة ، وقد روى صاحب « معاهد التنصيص » هذه الأبيات للصاحب بن عباد .

البيت لأبي تمام (١) . وكقول الحريري :

على أنّي سأنشِدُ عند بَيْعِي أضَاعُوني وأيُّ فَتَى أضَاعُوا (٢)

المصراع الأخير قيل : هو للعَرْجِيِّ . وقيل : لأميَّةَ بن أبي الصَّلتِ ، وتمام البيت :

* لِيومْ كَرِيهةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ * (٣)

ولا حاجة إلى تقديره لتمام المعنى بدونه - ومثله قول الآخر :

قـد قُلتُ لمّا أطلعتْ وَجَنَـاتُه حَـولَ الشَّـقيقِ الغضُّ رَوْضَةَ آسِ

أعِذَارَهُ السَّاري العَجُولَ تَرفّقاً ما في وقوفك ساعةً من بَاسِ (٤)

المصراع الأخير لأبي تمام (٥) . وكقول الآخر :

كُنَّا معاً أمس في بؤسٍ نُكَابِدُهُ والعينُ والقلب منّا فـي قذًى وأذَى

والآنَ أقبلَتِ الدنيا عليـك بمـا تَهْوَى فلا تَنْسَنِي إن الكِرامَ إذا (٦)

(١) يعنى البيت الأخير ، وقد نسبه إبن خلكان لإبراهيم بن العباس الصولي ، ولعله أخذه من أبي تمام .

(٢) هو للقاسم بن علي المعروف بالحريري على لسان غلامه أبي زيد حين عرضه للبيع و« أي » اسم استفهام أريد به التعظيم مفعول مقدم لأضاعوا ، يعني : أيَّ فتى أضاعوا ، أي كاملا من الفتيان .

(٣) اللام في قوله « ليوم » بمعنى « في » متعلقة بأضاعوا ، والكريهة : الحرب ، وسداد الثغر : سدُّه على الأعداء بالخيل والرجال . والثغر : موضع المخافة من فروج البلدان .

(٤) هما لأبي العباس أحمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان ، والوجنات : جمع وجنة وهي ما ارتفع من الخدين ، والشقيق : ورد أحمر أريد به الخد على سبيل الاستعارة ، والغض : الطري ، والآس : الريحان والمراد به العذار على سبيل الاستعارة . والعذار : الشعر الذي يحاذي الأذن ، والساري : السائر بالليل ، وصفه بذلك لاشتماله على مثل سواده ، والباس : الحرج مخفف بأس ، وهو مبتدأ مؤخر مجرور بمن الزائدة .

(٥) هو من قوله في مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم :

ما في وقوفك ساعة من باسٍ نقضي حقوقَ الأربُعِ الأدراس

(٦) هما من قول بعض التجار للأمير بدر الدين بيلبك الخازندار ، وكان قد أحضره إلى القاهرة فباعه فيها ، فارتفع أمره حتى صار أميراً ، وقوله « نكابده » بمعنى «نقاسيه» ، والقذى : يرجع إلى العين ، والأذى : إلى القلب ، على اللف والنشر المرتب .

أشار إلى بيت أبى تمام (١) ، ولا بدّ من تقدير الباقى منه لأن المعنى لا يتم بدونه .

وقد عُلِمَ بهذا أن تضمين ما دون البيت ضربان (٢) .

وأحسن وجوه التضمين أن يزيد المُضَمَّنُ فى الفرع عليه فى الأصل بنكتة ، كالتورية والتشبيه فى قول صاحب التحبير :

إذا الوهم أَبْدَى لِى لَمَاهَا وَثغْرَهَا ... تذكــرتُ مــا بيــن العُذَيب وبَارِقِ

وَيُذكِرُنِى مِن قَدِّها وَمَدامِعِــى ... مَجَرَّ عَوَالِينَا ومَجْرَى السَّوَابِقِ (٣)

المصراعان الأخيران لأبى الطيب (٤) .

ولا يضر التغيير اليسير ليدخل فى معنى الكلام ، كقول بعض المتأخرين فى يهودى به داء الثعلب :

أقول لمعشر غَلِطُوا وغَضُّوا ... عن الشيخ الــرشيد وأنــكرُوهُ

---

(١) هو قوله :

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... مَن كان يألفهم فى المنزل الخشن

(٢) ضرب لا يحتاج إلى تقدير باقى البيت لأن المعنى لا يتم من غيره ، كما فى قول الحريرى ، وضرب يحتاج إلى تقديره لأن المعنى لا يتم إلا به ، كما فى قول ذلك التاجر

(٣) هما لابن أبى الإصبع عبد العظيم بن عبد الواحد المصرى صاحب « تحرير التحبير » فى البديع ، والوهم : الخيال ، اللمى : سمرة الشفتين ، والثغر : مقدم الأسنان ، والعذيب وبارق : موضعان ، ولكنه أراد بالعذيب الشفة تصغير عذب ، وبالبارق الثغر لأنه يشبه البرق ، وبما بينهما الريق ، على سبيل التورية ، وفى ذلك لف ونشر مرتب ، وفاعل « يذكرنى » يعود إلى الوهم ، والقدّ : القامة ، وآلتقدير ويذكرنى من تبختر قدها وجريان مدامعى ، لأن هذا هو الذى يشبه مجر العوالى أى جرها ومجرى السوابق أى جريها ، وهو تشبيه ضمنى ، وفى هذا لف ونشر مرتب أيضاً ، والعوالى : الرماح ، والسوابق : الخيل .

(٤) يعنى قوله :

تذكرتُ ما بين العذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق

والشاهد فى أن أبا الطيب يريد بالعذيب وبارق موضعين فأراد بهما ابن أبى الإصبع ما سبق على سبيل التورية ، ثم زاد عليه أيضاً تشبيه قدها ومدامعه بمجر العوالى ومجرى السوابق .

هُو ابنُ جَلاَ وطَلاَّعُ الثَّنَايَا | مَتَى يَضع العمامةَ تَعْرِفُوهُ (١)

البيت لسحيم بن وثيل وأصله :

أنا ابن جلا وطَلاَّع الثنايا | متى أضعُ العَمامةَ تعرفونى (٢)

تقسيم التضمين إلى استعانة وإيداع أو رفو : وربَّمَا سُمى تضمين البيت فما زاد استعانةً ، وتضمين المصراع فما دونه تارة إيدَاعاً وتارة رَفْواً (٣) .

العقد : وأما العقد فهو أن يُنْظَمَ نثر لا على طريق الاقتباس (٤) .

أما عقد القرآن فكقول الشاعر :

أنِلْنِى بالـذى استقرضتَ خَطًّا | وأَشْهِدْ معشراً قد شَاهَدُوهُ (٥)

فـإنّ اللّه خَــلاَّقَ البَرَايا | عَنتْ لجَــلالِ هيبته الوُجــوُهُ

يقــول : إذا تَــدَاينتُمْ بِدَيْنٍ | إلى أجَلٍ مُسَــــمًّى فاكْتبــوُهُ

وأما عقد الحديث فكما رُوى للشافعى رضى اللّه عنه :

عُمْدَةُ الخيرِ عندنا كَلِماتٌ | أربعٌ قَالهنَّ خيرُ البَرِيَّةُ

---

(١) هما لضياء الدين موسى بن ملهم فى الرشيد عمر الفُوِّى . وقوله « غضوا » بمعنى أعرضوا ، وقوله « جلا » صفة لمحذوف تقديره شَعر جلا وانكشف ، لأن داء الثعلب « وهو القراع » يسقط شعر الرأس ، والمراد بالثنايا مقدم أسنانه لأنها كانت بارزة ، والمراد بالعمامة عمامته التى يضعها على رأسه ، وهذا خلاف المراد منهما فى بيت سحيم .

(٢) سبق هذا البيت فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثانى .

(٣) سبق أمثلة لكل منهما فى شواهد التضمين السابقة .

(٤) بأن يُغيَّر فيه تغيير كثير إذا كان قرآناً أو حديثاً ، أو يشار إلى أنه منهما ، ليخالف بهذا طريق الاقتباس فيهما ، أما نظم غيرهما فهو عقد مطلقاً .

(٥) هى للحسين بن الحسن الواسانى الدمشقى ، وقوله ، أنلنى بمعنى أعطنى ، وقوله استقرضت : بمعنى استدنت ، والبرايا : الخلائق جمع برية ، وقوله « عنت » بمعنى خضعت . والشاهد فى عقده ذلك من سورة البقرة : ٢٨٢ .

إتَّقِ الشُّبُهاتِ ، وازْهَدْ ، وَدَعْ مَا ليس يَعْنِيكَ ، واعْمَلَنْ بِنِيَّهْ (١)

عقد قوله عليه السلام « الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ ، وبينهما أمور مشْتَبِهاتٌ » . وقوله عليه السلام : « ازهد فى الدنيا يحبك اللّه » وقوله عليه السلام : « من حُسْنِ إسلام المرءِ تركه ما لا يَعنيه » وقوله عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات » .

وأما عقد غيرهما فكقول أبى العَتَاهِيَة :

مَا بَالُ مَنْ أوّلُهُ نُطفَةٌ وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ (٢)

عقد قول على رضى اللّه عنه : « وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله نطفة ، وآخره جيفة ! » .

وقوله أيضاً :

كَفَى حزناً بِدفْنكَ ثم أنِّى نفضتُ تـــرابَ قبرك عـــن يَدَيَّا
وكانت فى حياتِك لى عِظَاتٌ وأنتَ اليوم أوْعَظُ منك حَيًّا (٣)

قيل : عقد قولَ بعض الحكماء في الإسكندر لمّا مات : « كان المَلكُ أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس » . وقيل : هو قول المُوبَذ لما مات قُباذُ الملك .

وقول الآخرَ :

يا صاحبَ البَغْيَ إنَّ البَغْيَ مَصْرَعَةٌ فَارْبَعْ فَخَيْرُ فَعالِ المرء أعْدَلُهُ
فلو بغَى جَبَلٌ يوماً علـــى جَبَلٍ لاندَكَّ منه أعَالِيه وأسْفَلُهُ (٤)

---

(١) هما لأبي عبد اللّه محمد بن إدريس الشافعى . أو قيل : إنهما لأبى الحسن ظاهر بن معوذ الأشبيلى . والعمدة : ما يعتمد الشىء ويقوم عليه ، والشبهات : الموقعة فى الاشتباه مما ليس بحرام بيِّن ولا حلال بين ، وقوله « يعنيك » بمعنى يهمك .

(٢) هو لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبى العتاهية ، والبال : الحال ، والنطفة : ماء الرجل أو المرأة ، وقوله « يفخر » بمعنى يباهى بنفسه ، حال من الموصول المضاف إليه .

(٣) هما لأبى العتاهية أيضاً فى رثاء على بن ثابت ، والباء فى قوله « بدفنك » زائدة لأنه فاعل كفى ، وما بعد « ثم » فى تأويل مصدر معطوف عليه .

(٤) لا يعرف قائلهما ، والبغى : الظلم ، والمصرعة : اسم مكان من « صرعه » بمعنى طرحه على الأرض ، وقوله « اربع » . بمعنى توقف وانتظر ، والفعال : الفعل الحسن ، وقوله « اندك » بمعنى انهدم » .

عقد قول ابن عباس رضى الله عنهما : « لو بغى جبل على جبل لَدُكَّ الباغى » وقول الآخر :

الْبَسْ جَدِيدكَ إنِّى لابِسٌ خَلَقِى ولا جَدِيدٌ لمنْ لا يَلْبَسُ الْخَلَقَا (١)

عقد المَثَلَ « لا جديد لمن لا خَلَق له » قالته عائشة رضى الله عنها وقد وهبتْ مالا كثيراً ، ثم أمرت بثوب لها أن يُرقَعَ . يُضْرَبُ فى الحث على استصلاح المال .

الحَلُّ : وأما الحل فهو أن يُنثَر نظمٌ ، وشرط كونه مقبولا شيئان : أحدهما أن يكون سبكه مختاراً لا يتقاصر عن سبك أصله ، والثانى أن يكون حسن الموقع مستقراً في محله غير قَلِق (٢) ، وذلك كقول بعض المغاربة : « فإنه لمّا قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته ، لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدق توهُّمه الذى يعتاده » حل قول أبى الطيب :

إذا سَاءَ فعلُ المرء ساءتْ ظُنُونُهُ وَصدَّقَ ما يعتاده مِن توهُّمِ (٣)

وكقول صاحب « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » (٤) يصف قلم كاتب : « فلا تحظى به دولة إلا فخرت على الدول ، وَغنيَتْ به عن الخيل والخَوَلَ ، وقالت : أعلى الممالك ما يبنى عى الأقلام لا على الأسل » . حلَّ قولَ أبى الطيب أيضاً :

* أعْلى الممالكَ ما يُبنى على الأسل * (٥)

وكقول بعض كتاب العصر فى وصف السيف : « أورثه عشقُ الرقاب نحولا ، فبكى ، والدمع مطر تزيد به الخدودُ مُحولا » . حل قول أبى الطيب أيضاً :

---

(١) وهو لعدى بن زيد العبادى ، والخلق : الثوب البالى يستوى فيه المفرد وغيره .

(٢) الفرق بينهما أن الأول يرجع إلى اللفظ بأن يكون سجعاً ذا فقرات مستحسنة ، والثانى يرجع إلى المعنى بأن يكون مطابقاً لما تجب مراعاته فى البلاغة .

(٣) قاله في الشكوى من سيف الدولة وسماعه لقول أعدائه ، وبعده :

وعادَى مُحبيه لقولِ عداته وأصبح فى ليلٍ من الشك مُظلم

(٤) هو ابن الأثير صاحبَ كتاب – المثل السائر .

(٥) هو من قوله :

أعلى الممالكَ ما يُبنى على الأسلِ والطعنُ عند محبيهن كالقبل

والأسل : الرماح . والقبل : جمع قبلة وهى اللثمة .

فى الخَدِّ إن عَزَمَ الخَليطُ رَحِيلاً ... مَطرٌ تزيد به الْخُدُودُ مُجُولا (١)

التلميح : وأما التلميح فهو أن يُشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره (٢) .

فالأول كقول ابن المعتز :

أتُرَى الْجِيرةَ الذين تَدَاعَــوْا ... عنــد سَيْــرَ الحبيب وَقْـتَ الزَّوَال

عَلِمَوا أنَّنِى مقيمٌ وقَلْبِــى ... رَاحِلٌ فيهمُ أمــامَ الْجِمـــال

مِثلُ صَاع العزيز فى أرْحُلِ القَوْ ... مِ ، ولا يعلمون ما فى الرِّحَالِ (٣) .

---

(١) الخليط : المخالط من الأحبة ، والمراد من المطر الدمع على سبيل الاستعارة . والمحول : (بالحاء) الجدب استعارة لشحوب الخد ، (وبالجيم) مصدر « مجل » إذا أصاب جلده نارٌ فتنفط ، وهذا من حرارة الدمع .

هذا وليس فى القرآن شيء من الحل خلافاً لابن أبى الإصبع فى زعمه أن قوله تعالى : سورة سبأ : ١٣ ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾ حل لقول امرىء القيس :

وقدور راسيات ... وجفان كالجواب

والحق أن هذا لا تصح نسبته إلى امرىء القيس ، وإنما هو مما نحل بعد الإسلام له .

(٢) أى ذكر واحد من القصة والشعر ؛ ومثلهما الإشارة إلى حديث أو آية أو مَثل أو مسألة علمية ، ومن ذلك قول الشاعر :

خذوا بدمى هذا الغزال فإنه ... رمانى بسهمَىْ مقلتيه على عمد

ولا تقتلوه إننى أنا عبــــدُه ... ولم أر حرا قط يُقتــل بالعبـــد

وقول الآخر فى الإشارة إلى المثل :

مَنْ غاب عنكم نسيتموه ... وقلبه عندكــم رهينـــه

أظنكم فى الوفاء ممـــن ... صحبته صحبة السفينه

(٣) هى لعبد الله بن المعتز ، وقوله « تداعوا » بمعنى دعا بعضهم بعضا للسير معه ، وصاع العزيز صواعه وهى مشربة كان يسقى بها ثم جعلت صاعا ، والعزيز عزيز مصر فى عهد يوسف ، والأرحل والرحال جمع رحل وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج ، أو ما يستصحبه المسافر من الأثاث ، والقوم : إخوة يوسف ، فأل فيه للعهد ، والشاهد فى إشارته بصاع العزيز إلى قصته المعروفة فى سورة يوسف : ٧٠

وقول أبى تمام :

لحقْنَا بأخْرَاهمْ وقد حَوَّمَ الهـــوَى ... قلوباً عهـــدنا طيْرَها وهْـــىَ وُقَّـعُ (١)

فرُدَّتْ علينا الشَّمْسُ والليل رَاغمٌ ... بشمْسٍ لهم من جانب الْخدْرِ تطلعُ (٢)

نَضَا ضَوْءها صِبْغَ الدُّجُنَّة وَانْطوَى ... لبَهْجتهَا ثَوْبُ الســـماءِ الْمجــزَّعُ (٣)

فَوَاللّهِ ما أدرِى أأحْلامٌ نائمٍ ... ألمّت بنَا أم كان فـــى الركْبِ يَوشَعُ (٤)

أشار إلى قصة يوشع بن نُونٍ فتى موسى عليهما السلامّ واستيقافه الشمس ، فإنه رُوِىَ أنه قاتل الجَبَّارِينَ يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم ، فدعا اللّهَ فَردَّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم .

والثانى كقول الحريرى: « وإنى واللّه لطالما تلقيت الشتاء بكافَاتِه ، وأعددتُ له الأُهَبَ قبل موافاته » . أشار إلى قول ابن سُكَّرَةَ :

جاء الشِّتَاءُ وعندى من حوائجـه ... سَبْعٌ إذا القَطْرُ عن حـاجاتنا حُبِسـا

كِنٌّ ، وكِيسٌ ، وكانُونٌ ، وكاسُ طِـلاً ... بعد الكَبابِ ، وكسٌ نَاعم ، وكِسَا (٥)

---

(١) ضمير أخراهم للأحبة الراحلين ، وقوله « حوم » بمعنى أدار ، والمراد بطيرها ما يتخالج فيها من الخواطر ، ووقع : جمع واقع يعنى أنها ساكنة غير متحركة ، ومبنى ذلك كله على تشبيه القلوب بالطير على سبيل الاستعارة بالكناية ، وإثبات التحويم لها تخييل وما عداه ترشيح .

(٢) الراغم : الذليل استعير لليل ، والباء فى قوله « بشمس » للتجريد ، والخدر : الهودج ، جرد بذلك من الشمس شمساً أخرى ظهرت من الخدر وهذا يتضمن تشبيه محبوبته بالشمس .

(٣) قوله « نضا » بمعنى أذهب ، والدجنة : الظلمة ، وثوب السماء : ظلمتها على الاستعارة ، وفى رواية « ثوب الظلام » ، والمجزع : كل ما فيه سواد وبياض .

(٤) قوله « ألمت » بمعنى نزلت . والركب : المسافرون .

(٥) هما لمحمد بن عبد اللّه المعروف بابن سكرة ، والقطر : المطر . وقوله « حبس » بمعنى منع ، والكنّ : البيت ، والكيس : صرة الدراهم ، وطلا : مقصور طلاء وهى الخمر وكسا : مقصور كساء وهو الثوب . والشاهد فى ابتداء كل من السبع بالكاف وإشارة الحريرى إليها بذلك .

وقوله أيضاً : « بتُّ بليلة نابغيَّة » . أومأ به إلى قول النابغة :

فَبتُّ كأنِّى سَاوَرَتْنى ضَئيلةٌ   منَ الرُّقْش فى أنيابها السُّمُّ ناقِعُ (١)

وقول غيره :

لَعَمْروٌ مع الرَّمْضاءِ والنَّارُ تَلتظى   أرَق وأحفَى منك فى ساعة الكرْبِ (٢)

المُسْتَجيـــرُ بِعمرو عنـــد كُرْبَتِه   كالمستجيرِ مِـــن الرَّمْضَـــاءِ بالنَّارِ (٣)

ومن التلميح ضرب يشبه اللُّغزَ ، كما رُوِى أن تميميًا قال لشريك النُّمَيْرى : « ما فى الجوارح أحبُّ إلىَّ من البازى » . فقال : « إذا كان يصيد القطَا » . أشار التميمى إلى قول جرير (٤) :

---

(١) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبيانى ، وقبله :

وعيد أبى قابوس فى غير كنهه   أتانى ودونى راكس والضواجع

وقوله « ساورتنى » بمعنى أصابتنى ، والضئيلة : الحية الدقيقة والأفعى كلما كبرت صغر جسمها ، والرقش : جمع رقشاء وهى الحية المنقطة بسواد وبياض ، والناقع : الشديد خبر عن السم ، وقيل : الصواب نصبه .

(٢) هو لأبى تمام من نسيب له فى بعض قصائده ، والرمضاء : الأرض الحارة ، وقوله « تلتظى » بمعنى تتوقد ، والأحفى : الأشفق .

(٣) فيه تلميح أيضاً إلى قصته الآتية .

(٤) ذكر السعد أن عمرا هو جساس بن مرة والحق أنه عمرو بن الحارث ، وكان جساس قد أردفه خلفه لما ركب ليلحق كليباً ، فلما طعنه وبه رمق قال له :

أغِثنى ياجسَّاس منكَ بِشربةٍ   تُعَوِّدها فضلا علىَّ وأنعم

فقال له جساس : « تجاوزتَ الأحص وشبيثا » ، ثم نزل عمرو فطعنه بسيفه ، فلما علم أنه يريد الإجهاز عليه قال « المستجير بعمرو ... البيت » وظاهر هذا أن البيت لكليب ، وفى بعض روايات القصة ما يفيد أنه لغيره ، وأنه يلمح به إلى قصته كبيت أبى تمام .

أنا البازى المطلُّ على نُميْرٍ أُتيحَ مِن السماءِ لها انْصبابا [1]

وأشار شريك إلى قول الطِّرمّاح :

تميمٌ بطرق اللُّؤمِ أهدَى منَ القَطا ولو سلكتْ طُرْقَ المكارم ضَلّتِ [2]

*   *   *

(١) البازى : طير من الصقور يتصيد ، والمطل : المشرف ، وقوله « أتيح » بمعنى هيء وقدّر ، وضمير « لها » لنمير .

(٢) هو للطرماح بن حكيم ، والطرق : جمع طريق ، والقطا : واحده قطاة وهى طائر فى حجم الحمام ، وقيل : إنه نوع من الحمام ، وقوله « ضلت » من ضل الطريق وضل عنه إذا لم يهتد إليه ، يعنى أنها لو أرادت سلوكها لمْ تهتد إليها .

تمرينات على السرقات الشعرية وما يتصل بها

تمرين – ١

بين موضع الأخذ ونوعه وحكمه فى قول عمرو بن معديكرب :

والضَّارِبِين بـكل أبيضَ مُرْهفٍ والطاعنين مَجامعَ الأضْغَانِ
قَوْمٌ تَرى أرماحَهم يوم الوَغَـى مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكتمان

وقول مسلم بن الوليد وأبى تمام بعده :

لا يستطيع يَزِيدُ مـــن طَبيعَته عن المُرُوءَةِ والمعروف إحْجَاماً
تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكفِّ حتى لو آنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لم تُجِبْهُ أنَامِلُهُ

تمرين – ٢

من أى أقسام الأخذ غير الظاهر ما يأتى :

(١) قول أبى العتاهية :

إنّمَا الناسُ كالبَهائم فى الرِّزْ قِ سَوَاءٌ جَهُولُهمْ والحَكيمُ

مع قول أبى تمام بعده :

فلو كانت الأرزاقُ تجرى على الحِجَى هَلَكْنَ إذَنْ من جَهْلِهِنَّ البهائمُ

(٢) قول مسلم بن الوليد :

يَغْدُو عَدُوُّكَ خائفاً فإذا رأى أنْ قدْ قَدَرْتَ على العقاب رَجَاكَا

مع قول أبى تمام بعده :

إذا سيفُه أضحَى على الْهَامِ حاكما غَدَا العَفْوُ منه وَهْوَ فى السيف حَاكِمُ

تمرين – ٣

ميز بين الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح فى الأمثله الآتية :

١) قوله تعالى سورة العنكبوت : ٤١ : ﴿ مَثَلُ الَّذينَ اتَّخَذُوا منْ دُونِ اللَّهِ أولياءَ كمَثَلِ العَنْكَبُوت اتخَذَتْ بَيْتاً وإنَّ أوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوت لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

٢) أشكو الأقاربَ لا يغيب جَفَاهُم يبغى أذاىَ صغيرُهم وكبيرُهمْ
همْ يَعلنون لدى اللّقاء مَوَدّتى واللّهُ يعلم ما تُكِنُّ صدورهُمْ

٣) لَمْ أنْس مَوْقِفَنا بكاظِمَةٍ والعَيْشُ مثْلُ الدار مسوّدٌ
والدمْع يُنشد فى مَسايله : هَلْ بالطُّلُول لِسَائلٍ رَدُّ

٤) قول إبراهيم بن العباس الصولى : « فأبدلوه آجالا من آمال » ، مع قول مسلم ابن الوليد قبله :

مُوفٍ على مُهَج فى يوم ذى رهَجٍ كأنهُ أجَلٌ يسعى إلى أمَلٍ

٥) قول أبى الطيب :

ولم أرَ فى عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التّمامِ

مع قول أرسطو قبله : « أعْجَزُ العَجَزَةِ مَن قدر أن يزيل العجزَ عن نفسه فلم يفعل » .

٦) قول أبى العلاء :

أفِقْ إنما البدرُ المقنّع رأسَهُ ضلال وغَىٌّ مثل بدر المقنّعِ

٧) قول أبى نواس :

بِروحى غزالٌ كان للناس قِبلةً وقد زرتُ فى بعض الليالى مُصَلّاهُ
ويَقرأ فى المحرابِ والناسُ خَلفهُ ولا تقتلو النفسَ التى حرّمَ اللّهُ
فقلتُ : تأمّلْ ما تقولُ فإنّها فِعالُكَ يا مَنْ تَقتلُ الناسَ عَيناهُ

* * *

الفصل الثانى

مواضع التأنق فى الكلام

ينبغى للمتكلم أن يتأنق فى ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أعذبَ لفظا ، وأحسن سبكا ، وأصح معنى (١) .

حسن الابتداء : الأول الابتداء ، لأنه أول ما يقرع السمع ، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه ، وإنْ كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه ، وإن كان فى غاية الحسن .

فمن الابتداءات المختارة قول امرىء القيس :

* قِفا نَبْك من ذكرى حبيبٍ ومنزل (٢) *

وقول النابغة :

كِلِينِى لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ ... وَلَيْلٍ أقَاسِيه بَطىءِ الكواكِبِ (٣)

---

(١) عذوبة اللفظ بسلامته من التنافر ونحوه ، وحسن سبكه بسلامته من التعقيد ، وزيادة صحة المعنى بمطابقته لمقتضى الحال .

(٢) هو من قوله فى مطلع معلقته :

قِفا نبك مِن ذكرى حبيبٍ ومنزل ... بِسَقْط اللوَى بين الدَّخول فحَوْمَلِ

والسقط : منقطع الرمل حيث يدق ، واللوى : الرمل المعوج الملتوى ، والدخول وحومل : موضعان ، وقد روى الأصمعى العطف بينهما بالواو لأنَّ « بين » لا يقع إلا على اثنين فصاعدا ، وعلى رواية الفاء يقدر : « أى ما بين أماكن الدخول فحومل » . وإنما حسن هذا المطلع لأنه وقف فيه واستوقف ، وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل ، بلفظ مسبوك لا تعقيد فيه ولا تنافر .

(٣) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبيانى ، وقوله « كلينى » أمر من وكل إليه كذا بمعنى سلمه إياه ، والناصب : المتعب ، وقد فُضِّل هذا المطلع على السابق وإن كان أقل منه معانى بأن شطريه متناسبان وألفاظه متلائمه .

وقول أبى الطيب :

أَتَظُنُّنِي مِنْ زَلَّةٍ أَتَعْتَبُ ... قلبى أَرَقُّ عليكَ مِمَّا تَحْسبُ (١)

وقوله :

أُرِيقُكَ أَمْ ماءُ الغمامة أم خَمْرٌ ... بِفِيَّ بَرُودٌ وَهْوَ فى كبدى جَمْرٌ (٢)

وقوله :

فِراقٌ ومَن فارقتُ غَيْرُ مُذَمَّمِ ... وأَمٌّ ومنَ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ (٣)

وقوله :

أَتُرَاهَا لِكثـرةِ العُشاقِ ... تَحْسَبُ الدمعَ خِلْقَةً فى المآقى (٤)

وقول الآخر :

زَمُّوا الجِمالَ فَقُلْ للعاذِلِ الجانِي ... لا عَاصِمَ اليوم مِنْ مِدْرار أجفَانِى (٥)

قبح الابتداء : وينبغى أن يُجتنب فى المديح ما يُتَطَيَّرُ به ، فإنه قد يتفاءل به الممدوح أو بعض الحاضرين ، كما رُوِىَ أن ذا الرمَّة أنشد هشام بن عبد الملك قصيدته البائية :

---

(١) الزلة : الذنب ، وقوله « أتعتب » بمعنى ألوم ، وقوله « تحسب » بمعنى تظن . ينكر أن يلومه على ذنبه إليه بهجره ونحوه لرقة قلبه عليه .

(٢) هو لأبى الطيب أيضاً . والغمامة : السحاب ، وبرود : صيغة مبالغة أى شديد البرد ، والاستفهام فى البيت من باب تجاهل العارف للتدله فى الحب ، ريقك وما عطف علَيه خبر مبتدإ محذوف تقديره « هو » أى ما ذقته ، وقوله « بفى برود » مبتدأ وخبر .

(٣) هو لأبى الطيب أيضاً ، وفراق خبر مبتدأ تقديره « حالى فراق » ، والأم : القصد يعنى بذلك فراقه لسيف الدولة الحمدانى حين غضب عليه وقصدَه لكافور بمصر .

(٤) هو لأبى الطيب أيضاً ، وقوله « أتراها » بمعنى أتظنها ، والاستفهام للتقرير ، والخلقة : الفطرة ، والمآقى : جمع موق أو مؤق وهو مجرى الدمع من العين أى طرفها مما يلى الأنف .

(٥) لا يعرف قائله ، وقوله « زموا الجمال » بمعنى شدوا الرحال عليها للسفر ، والعاذل : اللائم فى حبهم ، ومدرار الأجفان : دمعها الغزير السيلان .

* ما بالُ عينك منها الماءُ ينسكبُ * (١)

فقال هشام : « بل عينك » .

ويقال : إن ابن مُقَاتِلِ الضرير أنشد الدَّاعِيَ الْعَلوِى قصيدته التى أولها :

* مَوْعِدُ أحْبَابِكَ بِالْفُرْقَةِ غَدْ * (٢)

فقال له الداعى : « موعدُ أحبابك ، ولك المثل السوءُ » .

وروى أيضاً أنه دخل عليه فى يوم مهرجان وأنشد :

لاتَقلْ بُشْرَى ولكنْ بُشْرَيَان غُرَّةُ الدَّاعِي ويومُ المِهْرَجَانِ (٣)

فتطير به وقال : « أعمى يبتدىء بهذا المهرجان ! » وقيل : بطحه وضربه خمسين عَصاً ، وقال : إصلاحُ أدبه أبلغ فى ثوابه .

وقيل : لما بنى المعتصم بالله قصره بالميدان وجلس فيه أنشده إسحاق الموصلى :

يَادَارُ غَيَّرَكِ الْبِلَى وَمَحَاكِ يَا لَيت شِعْرِى ما الذى أبْلاكِ (٤)

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر .

ومَن أراد ذكر الديار والأطلال فى مديح فليقل مثل قول القُطامى :

---

(١) هو من قول غيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة فى مطلع له :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كُلَى مفريةٍ سربُ

والكلى جمع كلية أو كلوة وهما كليتان فى الجسم لإفراز البول ، والمفرية : المقطعة ، والسرب : السائل ، وقيل : إنشاده كان لعبد الملك بن مروان .

(٢) هو مطلع أرجوزة لنصر بن نصر الحلوانى ، وكنيته ابن مقاتل كما هنا ، لكن الذى فى « مروج الذهب » و « الصناعتين » أنها أبو المقاتل ، وهو يمدح بها محمد بن زيد الحسينى الداعى صاحب طبرستان ، والفرقة : اسم من الفراق وقيل : إنه اسم موضع ولكنه يوهم ذلك فتطير منه .

(٣) الغرة : بياض الجبهة ، ويوم المهرجان : أول يوم من فصل الخريف ، وهو من أعياد الفرس .

(٤) هو لإسحاق بن إبراهيم الموصلى ، والبلى : مصدر بَلَى الثوب بمعنى رَثَّ ، وقوله « ليت شعرى » بمعنى ليت علمى جواب ما بعده من الاستفهام .

* إنا مُحيوكَ فاسلَمْ أيها الطللُ [(١)] *

أو مثل قول أشجع السُّلمىّ :

قَصرٌ عليه تَحيَّةٌ وَسَلامُ خَلَعَتْ عليه جَمالَهَا الأيَّامُ [(٢)]

براعة الاستهلال : وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصودَ ، ويسمى براعة الاستهلال [(٣)] ، كقول أبى تمام يهنىء المعتصم بالله بفتح عَمُّوريَّة ، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح فى ذلك الوقت :

السَّيْفُ أصْدَقُ إنْباءً مِنَ الكُتُبِ فى حَدِّهِ الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ [(٤)]

بيضُ الصفائح لا سُودُ الصحائف فى مُتُونِهنَّ جلاءُ الشَّكِ والرِّيَبِ [(٥)]

وقول أبى محمد الخازن يهنىء ابن عبَّاد بمولودٍ لبنته :

بُشْرَى فقد أنجز الإقْبالُ ما وَعَدا وكَوكَبُ المجد فى أُفْقِ العُلا صَعَدَ [(٦)]

وقول الآخر :

---

(١) هو لعُمَير بن شُيَيْم المعروف بالقطامى فى مطلع له :

إنَّا مَحيُّوكَ فاسْلَمْ أيها الطللُ وإن بليتَ وإنْ طالت بك الطِّيَلُ

والطلل : الشاخص من الآثار ، والطيل : مَدَى الدهر .

(٢) هو مطلع قصيدة لأشجع بن عمرو السلمى فى مدح الرشيد ، وقوله « خلعت » بمعنى طرحت . وفى رواية » ألقت » .

(٣) هى أن يكون مطلع الكلام دالا على غرض المتكلم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة ، والحقُّ أنها من المحسنات البديعية ، ولهذا يذكرها فيها كثير من العلماء .

(٤) الإنباء مصدر « أنبأ » بمعنى أخبر ، وحد السيف = مقطعه .

(٥) بيض الصفائح : السيوف ، والصفائح : جمع صفيحة وهى وجه كل شىء ممدد عريض ، وسود الصحائف : الكتب ، والمتون : الظهور ، وإنما نسب ذلك إليها لاعتماد حد السيف فى القطع عليها .

(٦) هو لعبد الله بن محمد المعروف بأبى محمد الخازن ، والإقبال : قدوم الدنيا بالخير ، والأفق : الناحية استعير للعلا ، والمراد بكوكب المجد ذلك المولود على سبيل الاستعارة ، وبصعوده : ظهوره ، وإضافته للمجد على معنى الكلام .

أبْشِرْ فقد جاءَ ما تُرِيدُ   أبادَ أعْداءَكَ المُبِيدُ [1]

وكقول أبى الفرج السّاوى يرثى بعض الملوك من آل بُوَيْهِ - أظنه [2] فخر الدولة :

هِىَ الدنيا تقول بملء فيها :   حَذَارِ حذار مِنْ بطشْى وفَتْكى [3]

وكذا قول أبى الطيب يرثى أمّ سيف الدولة :

نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ وَالعَوَالِــى   وتقتلنا المَنُونُ بِــــلا قِتَـــالِ [4]

وَنَرْتَبِطُ السوابقَ مُقْرَبَاتٍ   وما يُنْجِينَ من خَبَبَ اللَّيَالى [5]

حسن التخلص : الثانى : التخلص ، ونعنى به الانتقال مما شُبِّبَ [6] الكلام به من تشبيب أو غيره [7] إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما [8] ، لأن السامع يكون مترقباً للانتقال من التشبيب إلى المقصود كيف يكون ، فإذا كان حسناً متلائم الطرفين حرّك من نشاط السامع وأعان على إصغائه إلى ما بعده ، وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس .

---

(١) لا يعرف قائله . وقوله « أباد » بمعنى أهلك ، والمبيد : المهلك وهو الله تعالى ، والجملة دعائية .

(٢) جاء فى « يتيمة الدهر » أنه فخر الدولة على القطع .

(٣) هى : ضمير القصة ، و « الدنيا » مبتدأ خبره الجملة بعده ، والجملة خبر ضمير القصة ، وملء الشىء : ما يملؤه ، وهذا كناية عن قولها ذلك جهرةً بلا خفاء ، والبطش : الأخذ بصولة وشدة ، والفتك : مرادف له .

(٤) المشرفية : السيوف المصنوعة فى مشارف الشام ، والعوالى : الرماح ، والمنون : المنية .

(٥) السوابق : الخيل ، والمقربات : المدناة من البيوت لفرط الحاجة إليها أو للضن بها فلا ترسل إلى المرعى ، والخبب : ضرب من العدْو لا يستفرغ الجهد استعير لليالى .

(٦) أى أبتدىءَ ، وأصل التشبيب ابتداء القصيدة بذكر أمور الشباب ، فاستعمل فى مطلق الابتداء على سبيل المجاز المرسل .

(٧) التشبيب : النسيب وغيره ، كوصف الخمر ونحوه مما كانت القصيدة تبدأ به .

(٨) الحق أن حسن التخلص بهذه الملاءمة يكون من المحسنات البديعية كبراعة الاستهلال .

فمن التخلصات المختارة قول أبى تمام :

يقول فى قُومسٍ قومى وقد أخذتْ ... من السُّرَى وخُطَا المهريَّة القُود (١)

أمطْلَعَ الشمسِ تبغـــى أن تؤمَّ بِنَا ... فقلتُ : كَلاَّ ولكن مطلع الجودِ (٢)

وقول مسلم بن الوليد :

أجِدَّك ما تَدْرِينَ أنْ رُبَّ لَيلَةٍ ... كأن دُجَاهَامِنْ قُرونـــكَ تُنْشَرُ (٣)

سَهرتُ بها حتى تَجَلَّتْ بغُرَّةٍ ... كَغُرَّةِ يحيى حين يُذكَرُ جَعْفَرُ (٤)

وقول أبى الطيب يمدح المغيثَ العَجَلىَّ :

مَرَّتْ بنَا بين تربَيهَـا فقلت لهَا ... : من أين جَالَس هـــذا الشَّادنُ العَرَبَا (٥)

فاستضحكتْ ثم قالَت : كالمغيثِ يُرَى ... لَيْثَ الشَّرىَ وَهْـوَ من عِجل إذاَ انْتَسَبَا (٦)

---

(١) قومس : موضع متسع بينْ خراسان وبلاد الجبل ، وقوله « أخذت » بمعنى أثرت ، والسرى : السير بالليل ، والمهرية : الإبل المنسوبة إلى مهرة ، والقود : الطويلة الظهور ، والأعناق : جمع أقود .

(٢) قوله « تؤم » بمعنى تقصد ، والشاهد فى أنه أحسن التخلص بأن انتقل من مطلع الشمس إلى الممدوح بعد أن جعله مطلع الجود ، فكان فى الانتقال من الأول إلى الثانى مناسبة من جهة أن كلا منهما مطلع لأمر محمود ، والمراد بمطلع الجود عبد الله بن طاهر الذى مدحه بهذه القصيدة .

(٣) قوله « أجدك » بكسر الجيم وفتحها ولا يقال إلا مضافاً ، وهو منصوب على نزع الخافض أى أبجدك ، فإذا كسرت جيمه فهو استحلاف بالحقيقة ، وإذا فتحت فهو استحلاف بالبخت ، والدجى : الظلمة ، والقرون : خُصَل الشعر ، وقوله « تنشر » بمعنى تبسط وتمد ، وهذا من التشبيه المقلوب .

(٤) قوله « تجلت » بمعنى ظهرت وانكشفت ، والغرة : بياض الجبهة ، والشاهد فى تخلصه من النسيب بالانتقال من غرة الصبح إلى الممدوح بعد أن جعل غرة الصبح كغرته، فكان فى الانتقال من الأول إلى الثانى مناسبة من جهة أن كل غرة تشبه الأخرى والبيتان من قصيدة له فى مدح جعفر بن يحيى البرمكى .

(٥) قوله « تربيها » تثنية تِرْب وهو الصديق أو مَنْ وُلد معها ، والشادن : ولد الظبية استعارة لمحبوبته .

(٦) قوله « كالغيث » خبر مبتدأ محذوف وتقديره أنا ، والشرى : طريق فى جبل سلمى كثيرة الأسد ، وعجل : قبيلة المغيث ، وفيه تورية لأن معناه القريب ولد البقرة ، ولا يخفى أنها تورية باردة لا تليق بمقام المدح ، والشاهد فى تخلصه من النسيب إلى المدح بذلك الاستفهام وجوابه .

وقوله أيضاً :

خَلِيلىَّ ما لِى لا أرى غيرَ شَاعرٍ فكَمْ منهُمُ الدَّعْوَى وَمِنِّى القصائدُ (١)

فلا تَعجَبَا ، إنَّ السيوفَ كثيرةٌ ولكِن سيف الدولةِ اليومَ واحِدُ (٢)

الاقتضاب : وقد يَنْتقلُ من الفن الذى شُبِّبَ الكلام به إلى ما لا يلائمه ، ويُسَمَّى ذلك « الاقتضابُ » ، وهو مذهب العرب الأول ومَن يليهم من المُخَضْرَمِين (٣) كقول أبى تمام :

لو رأى اللّهُ أن فى الشَّيْب خيْراً جَاوَرَتْهُ الأبْرَارُ فى الخُلْد شِيباً (٤)

---

(١) المراد بالدعوى ادعاء الشعر وهو فى الأصل مصدر « ادّعى الشىء » إذا زعم أنه له حقاً أو باطلا .

(٢) المراد بسيف الدولة ممدوحه ملك حلب ، وفى ذلك تورية لأن معناه القريب السيف الذى يناضل عن الدولة به ، والشاهد فى تخلصه إلى المدح يجعل انفراده بالشعر كانفراد الممدوح بكونه سيف الدولة .

(٣) المخضرمون : الذين قالوا الشعر فى الجاهلية والإسلام ، ومن الاقتضاب قولهم فى التخلص « دَعْ ذا أو عُدْ عن ذا » على أن منهم من كان يسلك مذهب التخلص كالمحدثين ومن ذلك قول زهير :

إنَّ البخيل مَلومٌ حيث كان ولَـ ـكنَّ الجوادَ على علاَّتِه هَرِمُ

كما أن من المحدثين من يذهب من الاقتضاب مذهبهم ، كأبى تمام فى قوله الآتى « لو رأى الله ... » البيتين .

وقد اختلف فى وقوع التخلص فى القرآن ، فقيل : لا يقع فيه لأنه يقع فى الغالب متكلفاً ، والقرآن لا تكلف فيه ، وقيل : إنه قد وقع فيه ، كقوله تعالى فى أول سورة يوسف ﴿ ألر ، تلك آيَاتُ الكتاب المُبين ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قرآناً عَربيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلونْ . نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هَذا القُرآن وَإنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِه لَمِنَ الْغَافلين ، إذ قالَ يُوسُفُ لأبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّى رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهمْ لِى سَاجِدِينَ ﴾ .

فالسورة موضوعة لقصة يوسف ، وقد افتتحها بذكر القرآن ، ثم تخلص إليها هذا التخلص . وقيل : إن الاقتضاب وقع فى القرآن أيضاً كما سيأتى ، لأن التخلص ليس إلا محسنا بديعيا ، فلا يلزم من حسنه فى الانتقال عدم صحة الاقتضاب ، والقرآن لم يترك وادياً من أودية البلاغة إلا أخذ منه بنصيب .

(٤) الأبرار : المطيعون ، والخلد : الجنة ، والشيب : جمع أشيب بمعنى شائب .

كلَّ يومٍ تُبدى صُروف اللّيَالى خُلقاً من أبى سعيد غرِيبا [١]

الاقتضاب القريب من التخلص : ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص[٢] كقول القائل بعد حمد الله – أما بَعْدُ [٣] قيل : وهو [٤] فصل الخطاب ، وكقوله[٥] تعالى : ﴿ هذا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لشرَّ مآبٍ ﴾ أى الأمر هذا أو هذا كما ذُكر[٦] .

وقوله [٧] تعالى : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن للمتقِين لحَسنَ مَآبٍ ﴾ ، ونحوه قول الكاتب : هذا باب ، هذا فصل .

---

(١) صروف الليالى : حوادثها ، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغرى ، والشاهد فى انتقاله إلى المدح اقتضابا من غير تخلص .

(٢) فى أنه لا يخلو من شىء من المناسبة والملاءمة .

(٣) إنما كانت اقتضاباً لأن الانتقال فيها من الحمد أو نحوه إلى غيره من غير ملاءمة ، وقد أشبهتْ التخلصَ بسبب أنه لم يؤت بما بعدها فجأة من غير قصد إلى ربطه بما قبله على نوع من الربط ، لأنها بمعنى « مهما يكن من شىء بعد الحمد أو نحوه فإنه كان كذا وكذا » ، وهذا يفيد أن ما بعدها مرتبط بالحمد ، أو نحوه على وجه اللزوم .

(٤) أى « أما بعد » لأنه يفصل بها بين ما قبلها من حمد الله ونحوه وما بعدها من المقصود ، ويعنى فصل الخطاب الوارد فى سورة ص : ٢٠ – فقد حمله عليه بعض المفسرين .

(٥) سورة ص : ٥٥

(٦) يعنى أن هذا خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر ، ووجه الربط فى ذلك أن الواو للحال ، فتفيد مصاحبةَ ما بعدها لما قبلها برعاية اسم الإشارة المتضمن لمعنى عامل الحال وهو أشير ، فالارتباط حاصل فى ذلك باسم الإشارة والواو معا .

(٧) سورة ص : ٤٩ ، وقيل : إن الاقتضاب المحض وقع فى القرآن كقوله تعالى سورة القيامة : ٣ – ١٧ :

﴿ أَيَحْسَبُ الإنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ ، بَلَى قادرينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّىَ بَنَانَهُ ﴾ الآيات إلى قوله ﴿ لا تُحرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرآنَهُ ﴾ .

فلا ارتباط بين قوله ﴿ لا تحرك به لسانك ... ﴾ وما قبله ، ولكن هذا لا ينافى دخوله فى الغرض المقصود من السورة ، كما أن الاقتضاب فى القصيدة لا ينافى دخول ما بعده فى الغرض المقصود منها .

حُسْنُ الانتهاء : الثالث الانتهاء ، لأنه آخر مَا يَعيه السمع ويرتسم فى النفس، فإن كان مختاراً كما وصفنا (١) جَبر ما عَسَاهُ وقع فيما قبله من التقصير، وإن كان غيرَ مختار كان بخلاف ذلك ، وربما أنسى محاسنَ ما قبله .

فمن الانتهاءات المرضية قول أبى نُوَاس :

فَبقيتَ لِلعِلْمِ الذى تَهْدِى لَهُ ... وَتقاعَسَتْ عن يومك الأيَّامُ (٢)

وقوله :

وَإنِّى جَديرٌ إذ بَلَغتُكَ بِالمُنَــى ... وَأنتَ بِما أمَّلْتُ منك جَــديرُ

فإنْ تُولِنْى مِنكَ الجميلَ فأهلُهُ ... وإلاَّ فإنى عاذرٌ وشَكورُ (٣)

وقول أبى تمام فى خاتمة قصيدة فتح عمُّورية :

إنْ كان بين صروف الدهــر مِــن رَحِمٍ ... موصولةٍ أو ذِمَامٍ غيــر مُقْتَضَبِ (٤)

فبين أيامك اللاتِــى نُصِرْتَ بهـا ... وبين أيــام بَدْرٍ أقــربُ النَّسَبِ (٥)

أبْقَيتْ بَنِى الأصفرَ المِمْرَاضِ كاسْمِهِمُ ... صُفْرَ الوجوه وجَلَّت أوجُهَ الْعَرَبِ (٦)

---

(١) فى أول هذا الفصل .

(٢) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس من قصيدة له فى مدح المأمون ، وقوله « تهدى » بمعنى تدل ، وقوله « تقاعست » بمعنى تأخرت ، والمراد بيومه يوم وفاته ، والشاهد فى حسن الانتهاء فى البيت باشتماله على ذلك الدعاء المؤذن بالانتهاء .

(٣) هما لأبى نواس أيضاً فى مدح الخصيب بن عبد الحميد المرادى ، والجدير : المستحق ، والمنى : ما يتمنى ويطلب ، وقوله « تولنى » بمعنى تعطنى ، وقوله « فأهله » على تقدير فأنت أهله ، وحسن الختام فى قوله « وإلا فإنى عاذر وشكور » لأن قبول العذر يقتضى انقطاع الكلام ، والمراد شكور لعطاياه الماضية أو لإصغائه إلى مديحه .

(٤) صروف الدهر : حوادثه ، والرحم : القرابة ، والذمام : الحق ، والمقتضب : المقطوع .

(٥) يعنى بأيام بدر يوم غزوة بدر وما كان قبله وبعده من الأيام المتممة له .

(٦) بنو الأصفر : الروم ، والممراض : صيغة مبالغة يعنى أن صفرته كانت لمرض لا خلقةٌ فيه ، والعرب : تسمى الروم بنى الأصفر لبياضهم لما كان بين الشعوب من محاولة تنقيص بعضهم لبعض ، وحسن الختام فى هذا البيت لأنه يفيد نهاية الفتح فيؤذن بانتهاءِ الكلام .

براعة المقطع : وأحسن الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام [١] كقول الآخر :

بَقيتَ بقاءَ الدهر يا كَهفَ أهْلِهِ وَهذا دُعاءٌ لِلبَرِيَّةِ شَامِلُ [٢]

وقوله :

فلا حَطَّتْ لك الهيجاءُ سَرْجاً ولا ذاقت لك الدنيا فِرَاقَا [٣]

وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها ، يظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر لما تقدّم من الأصول [٤] .

والله الموفق للخيرات .

*　*　*

(١) بأن يكون لفظاً موضوعاً للدلالة على الانتهاء ولو فى مجرى العرف والعادة كالدعاء والسلام ، ويسمّى الانتهاء الذى يؤذِن بذلك براعةَ المقطع .

(٢) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، أو لأبى الطيب ، وقد ذكر صاحب « معاهد التنصيص » أنه لم يجده فى ديوانهما ، والكهف فى الأصل الغار فى الجبل والمراد به الملجأ على سبيل الاستعارة ، والبرية : الخلق ، وإنما كان هذا دعاء شاملا لهم لأن بقاءه سبب لصلاح حالهم .

(٣) هو لأبى الطيب ، والخطاب لسيف الدولة . والهيجاء : الحرب ، والسرج : الرحل وقد غلب استعماله للخيل .

(٤) لأن فواتحها تدور بين تحميدات ونداءات يقصد منها إيقاظ السامع لما يلقى إليه ونحو ذلك ، وخواتمها تدور بين أدعية ووصايا ونحوها مما يحسن الانتهاء به ، كقوله تعالى فى ختام سورة المؤمنون ﴿ وقُلْ رَبِّ اغفرْ وارْحمْ وأنْتَ خيرُ الرَّاحمين ﴾ ١١٨ .

تمرينات على مواضع التأنق فى الكلام

تمرين – ١

بَيِّن المقصود من القصائد المجعول لها ما يأتى براعة استهلال :

١) المجدُ عُوفِىَ إذْ عُوفيتَ وَالكرمُ — وَزَالَ منك إلى أعدائك السُقَمُ

٢) أمَـا وَهَوَاهَا عِذْرَةً وتَنَصُّـلاً — لقد نقل الوَاشى إليها وأمْحَلاً

٣) حُكْمُ المَنِيَّةِ فـى البَرِيَّةِ جَارِى — ما هذِهِ الدنيـا بِـدار قَـرارِ

تمرين – ٢

ميِّز بين الاقتضاب والتخلص فيما يأتى :

١) وَبَـدَا الصبـاح كأنَّ غُرَّتَهُ — وَجْهُ الخليفـةِ حـين يُمتَدَحُ

٢) كأنمـا قَوْلُنَا لِلْبابِلـىِّ أَدِرْ — سُـلافَةً قَوْلُنا لِلْمَزْيَدِىِّ هَـبِ

٣) هـذا وكمْ لى بالْجُنينَةِ سَـكْرَةً — أنا مِنْ بَقايا شَرْبِها مَخْمُـورُ

٤) فَدَعْ ذَا وَسَلِّ الهمَّ عنك بِجَسْرَةٍ — ذَمُولٍ إذا صام النَّهارُ وَهَجَّرَا

٥) لولا الرجاءُ لَمُتُّ مِن أَلمِ النوَى — لكنَّ قلبى بالرجـاءِ مُوَكَّـلُ

إنَّ الرَّعِيَّةَ لـم تَزَلْ فى سيرةٍ — عُمَرِيَّةٍ مُذْ سَاسَهـا المُتَوَكِّلُ

تمرين – ٣

بين لِمَ كانت الانتهاءات الآتية براعة مقطع :

١) فمـا مِن نَـدَى إلا إليك مَحَلُّهُ — ولا رِفْعَـةٍ إلا إليـك تَسيرُ

٢) بَقِيتَ ولا أبقى لك الدَّهرُ كاشحاً — فإنك فى هـذا الزمانِ فَريدُ

٣) عليـكَ سَلامٌ نَشْـرُهُ كلما بَـدَا — به يَتَغَالى الطِّيبُ والمِسْكُ يُخْتَمُ

* * *

فهارس الكتاب

أولاً فهرس الآيات القرآنية مرتبة على ترتيبها فى المصحف الشريف

الآية	سورة	صفحة
٥	طه	٢٥
٢٢	الأنبياء	٤٣
٣٣	الأنبياء	٨٦
٦٤	الحج	١٥
١١٨	المؤمنون	١٣٦
٣٥	النور	٤١
١٦٨	الشعراء	٧٤
٢٢	النمل	٧٢
٧٧	النمل	١١١
٧٣	القصص	٢٩
٧٣	القصص	١٠
٤٠	العنكبوت	١٧
٦ ، ٧	الروم	٧
٢٧	الروم	٤٣
٥٥	الروم	٦٦
٤٣	الروم	٧٣
٣٧	الأحزاب	٧٤
٥٣	الأحزاب	١١٢
٧	سبأ	٥٨
١٣	سبأ	١٢١
١ ، ٢	القمر	٨١
٥	الرحمن	١٣
٥ ، ٦	الرحمن	١٦
٣٧	الرحمن	٣٩
٥٤	الرحمن	٧٤
٢٥ ، ٢٦	الواقعة	٥٠
٨٩	الواقعة	٧٣
٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠	الواقعة	٨٠
٢٤	سبأ	٥٨
٣٢	فاطر	٣٦
٧٢ ، ٧٣	الصافات	٦٩
١١٧ ، ١١٨	الصافات	٨٤
٢٠	سورة ص	١٣٤
٤٩	سورة ص	١٣٤
٥٥	سورة ص	١٣٤
٢٤	غافر	١١٢
٧٥	غافر	٧١
٢٨	فصلت	٣٨
٤٠	الشورى	١٩
٤٢	الشورى	٣٦
٢٩	الفتح	١٠
٢٤	الذاريات	١١١
٤٧	الذاريات	٢٥
١ ، ٢	النجم	٨٠
٢٩ ، ٣٠	الحديد	٦٩
١٣	الحديد	١١١
١٠	الممتحنة	٢٣
٨	المنافقون	٥٩
٦	التحريم	٨
٣٠ ، ٣١	الحاقة	٨٠
١٠	نوح	٧٤
١٣ ، ١٤	نوح	٧٩
٢٥	نوح	٧
٣	المدثر	٨٦
من ٣ إلى ١٧	القيامة	١٣٤
٢٠	الإنسان	١١٢
١ ، ٢	المرسلات	٨٠
٨	الطارق	١١١
١٣ ، ١٤	الغاشية	٧٩
١٥ ، ١٦	الغاشية	٨٤
٥ ، ٦	الليل	١٣
٩ ، ١٠	والضحى	٨٧
٧ ، ٨	العاديات	٧١
١ ، ٢ ، ٣	العصر	٨٠
١	الهمزة	٧١
١ ، ٢	الفيل	٨٠
١ ، ٢ ، ٣	الناس	٧٩

ثانيا فهارس الحديث الشريف والآثار

صفحة

ثالثا : الأمثال العربية والحكم

صفحة

رابعاً - فهرس القوافي

القافية	القائل	ص
الجوانحْ	الخنساء (تماضر بنت عمر)	٧١
﴿ د ﴾		
لمعبدُ	أبو تمام	٩٦
مغمدُ	أبو الطيب المتنبى	١٠٨
معيدُ	البحترى	١٠٩
غدُ	مطلع أرجوزة لابن مقاتل	١٢٩
المبيدُ	غير معروف	١٣١
الوتدُ	أبو تمام	٣٢
السهادُ	أبو الطيب المتنبى	١٠٤
القصائدُ	أبو الطيب المتنبى	١٣٣
واجدُ	أبو الطيب المتنبى	١٣٣
أحدُ	أبو تمام	٣٢
مردُ	أبو الطيب المتنبى	٣٥
عدّوا	أبو الطيب المتنبى	٣٥
خالدُ	أبو الطيب المتنبى	٥٢
سودا	أبو تمام	١٠
المحمودا	أبو إسحاق الصابى	٢١
توحيدا	أبو إسحاق الصابى	٢١
مزيدا	أبو إسحاق الصابى	٢١
سودا	عبد الله بن الزبير الأسدى	٢٣
صعدَ	أبو محمد الخازن عبد الله بن محمد	١٣٠
مفسدَه	أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم	٣١
أبدا	إبراهيم بن العباس الصولى	٣٤
مضطردا	إبراهيم بن العباس الصولى	٣٤

القافية	القائل	ص
غدا	إبراهيم بن العباس الصولى	٣٤
الأسدِ	أرطأة بن سهية	٣٩
الوتدْ	أحد شعراء الفرس	٣٣
الكبدْ	أحد شعراء الفرس	٣٣
ودادى	ابن فضالة القيروانى أو ابن الرومى	٦١
بالأيادى	ابن عجّاج الحسن بن أحمد	٥٩
لمجدِ	أبو تمام	٧٣
زندى	أبو تمام	٨٢
لمعبدِ	غير معروف	٩٦
تجلدِ	طرفة	٩٧
البلادِ	أبو تمام	١٠١
وزادى	أبو تمام	١٠١
غادى	أبو الطيب المتنبى	١٠١
البلادِ	أبو الطيب المتنبى	١٠١
ناهدِ	أبو تمام	١٠٢
واحدِ	أبو نواس	١٠٨
المهندِ	ابن ميادة (الرماح بن أبرد)	١١٠
القَرْدِ	أبو تمام	١٣٢
الجودِ	أبو تمام	١٣٢
فؤادى	ابن فضالة القيروانى أو ابن الرومى	٦١
للأعادى	ابن فضالة القيروانى أو ابن الرومى	٦٠
ودادى	ابن عجاج الحسن بن أحمد	٦٠
﴿ ذ ﴾		
أذى	أحد التجار	١١٦
إذا	أحد التجار	١١٦

علم البديع

رقم الايداع ٥٢٦٦/ ١٩٩٠

الترقيم الدولى I . S . B . N . : 977 - 247 - 008 - 7